



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

بحث بعنوان

الظواهر التركيبية البارزة في ديوان الأصمعيّات

إعداد

الطالب / حيدر أحمد إبراهيم القاضي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور /

جهاد يوسف العرجا

قدّمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من كلية الآداب - قسم اللغة العربية في النحو والصرف.

٢٠١٢ - ١٤٣٣ هـ - م



﴿...يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١)

"تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّهَا تُنْبِتُ الْعَقْلَ، وَتَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ"^(٢)

وَمَنْ يَصْنُطِرُ لِلْعِلْمِ يَظْفَرُ بِنَيْلِهِ وَمَنْ يَخْطِبُ الْحَسَنَاءَ يَصْنِرُ عَلَى الْبَذْلِ
وَمَنْ لَا يَذِلُّ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ يَسِيرًا يَعِشُ دَهْرًا طَوِيلًا أَخَا ذُلِّ^(٣)

(١) المجادلة: ١١/٥٨.

(٢) القول لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه، انظر: كنز العمال: ٣٥٨/٣ (٩٠٣٧).

(٣) البيتان على (الطويل) لابن هشام الأنصاري، انظر: مغني اللبيب: ٩/١.

الإهداء

- إلى اللّذين أنزل الله - تعالى - في حقّهما قرآنًا يُنلى: ﴿... وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(١).
- إلى أمّي الحبيبة التي ضحّت من أجل أبنائها...
- إلى أبي الذي لطالما أمدّني بالتشجيع المعنويّ والنّفسيّ من أجل مواصلة دراستي...
- إلى شريكة حياتي، ورفيقة دربي، التي عانت كثيرًا، فصيرت، فنالت...
- إلى كلّ من اطّلع أو يطّلع على هذا العمل موجّهًا ومرشدًا، أو مناقشًا نقاشًا إيجابيًا...
- إلى محبّي الخير لهذه الأمّة ولغتها...
- إلى محبّي لغة القرآن العظيم...
- إلى كلّ طالب ومتقف وباحث...
- إلى من نطق بالضاد، وسلك طريق الإيمان...
- إلى كلّ مخلص في عمله صادق في قوله...
- إلى روح شهيد العلم الطاهرة الأستاذ الفاضل: عبد الحميد النّجار - رحمه الله تعالى - وأسكنه فسيح جنّاته...

إلى هؤلاء، وإلى الجميع أهدي هذه الرّسالة، سائلًا المولى - عزّ وجلّ - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يلبسه ثوب القبول، وأن ينفع به، إنّه أكرم مأمول.

شكر وعرفان

﴿... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ...﴾^(١).

حمداً لله على ما منح من أسباب البيان، وفتح من أبواب التبيين، وصلاةً على النبي العذنان أما بعد...

كَمْ هو جميل أن يعترف الإنسان لأصحاب الفضل بفضلهم؛ وذلك انطلاقاً من قول الحبيب محمد - صلى الله عليه وسلم: "ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله"^(٢).

وإذا فتحت باب الشكر والاعتراف بالنعمة، فإن الله - عز وجل - هو أحق بأن يشكر على نعمه الجليلة وآلائه العظيمة، وذلك انطلاقاً من قوله - تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾^(٣)، تلك النعم التي حبانا إيها، وأسبغها علينا، فهو الذي منحنا نعمة العقل والتفكير، وشرفنا بأن جعلنا من طلاب العلم ومحبيه، نسأله - سبحانه - أن يكمل خطواتنا بالنجاح والتوفيق، وأن يهدينا لما فيه الخير ولما يحب ويرضى، إنه سميع الدعاء.

وإذا فتحت باب الشكر لمخلوقات الله - تعالى - فإنني أتوجه بالشكر إلى الجامعة الإسلامية، ممثلة في رئيسها الموقر، ومجلس أمنائها الكرام، والعاملين فيها من أكاديميين وإداريين على اختلاف مسمياتهم، تلك الجامعة التي شرفني الله - عز وجل - أن أكون من طلابها، ومن الرعيل الأول الذين طرقت بابها، كما أتقدم بالشكر لعمادة الدراسات العليا بالجامعة، وأتقدم بالشكر أيضاً لكلية الآداب، وأخص قسم اللغة العربية، وأتوجه بالشكر والامتنان العظيمين للأساتذة الكرام الذين تولوا مهمة تدريس المساقات التمهيدية التي أنارت لي ولزملائي الدرب.

وشكري الخاص أتوجه به إلى الأستاذ الدكتور: جهاد يوسف العرجا، الذي أخذ على عاتقه مهمة الإشراف على هذه الرسالة، حيث قام بقراءتها، وتقويمها أولاً بأول، ومتابعتها، وقد أفدت من علمه الوفير، وحسن توجيهاته، ونصح الصادق، وأخص فيه تحليه بالصدبر والأناة، حيث لم يرض علي بوقته الثمين، ولا بجهد النفيس، أشكره لما بذله في سبيل إنجاز هذا العمل، فكان ثمرة رأي سديد، ونصح رشيد، وعلم مفيد، حيث وجدت فيه الصديق الكريم، والأخ الحليم، والعالم البصير، فجزاه الله عناً وعن طلاب العلم خير الجزاء.

(١) النمل: ١٩/٢٧.

(٢) الجامع الكبير "سنن الترمذي"، ٣/٥٠٥ (١٩٥٤)، ط ٢، دار الجيل - دار الغرب الإسلامي. ومسنند أحمد، ٢/٢٩٥ (٧٩٢٦)، مؤسسة قرطبة. كنز العمال، باب الشكر، ٣/١٠٤ (٦٤١٨)، (د. ط)، دار الكتب العلمية.

(٣) إبراهيم: ٧/١٤.

كما أتقدّم بالشُّكر الجزيل سلفاً إلى الأساتذيين الفاضلين: الدكتور: أحمد إبراهيم الجديبة، والدكتور: كامل سعيد شهوان-عضويّ لجنة المناقشة-على ما بذلاه من جهد مشكور في تفضُّلها بالاطّلاع على محتويات هذه الرّسالة ومناقشتها، وما يتفضّلان به من إرشادات وتوجيهات ستؤخذ في الحسبان بإذن الله- تعالى- راجياً الله- جلّ جلاله- أن أكون أهلاً للإفادة من علمهما. وأتقدّم بالشُّكر العميق إلى أمناء المكتبات الخاصّة والعامّة في أرض الوطن وخارجه، وأخصُّ مكتبات: الجامعة الإسلاميّة، وجامعة الأزهر، وجامعة الأقصى، وجامعة القدس المفتوحة. كما وأتوجّه بالشُّكر إلى زملائي أساتذة اللُّغة العربيّة في مدرسة بئر السبع الثّانويّة على ما بذلوه من جهد طوال دراستي، حيث أمدوني بالتشجيع، ولم يبخلوا علىّ بأيّ معلومات تتعلّق بمجال تخصصهم.

لا يفوتني أن أتقدّم بالشُّكر الجزيل لزملائي في دراسة المتطلّبات التمهيدية لهذه الرّسالة فرداً فرداً على ما ساد بيننا من روح النّعاون البناء، والنّقد الهادف، والمنافسة الشّريفة، والعمل بروح الفريق الواحد، يا لها من أيام جميلة! ليتها تعود!

ولا أنسى أن أتقدّم بالشُّكر لكلّ من ساندني وقدم لي العون ووفّر لي سبل الرّاحة من أجل إتمام هذا البحث من أهل بيتي، وأخصُّ أمّي التي ما زالت ترفع كفيها بالدعاء المخلص، وكذلك زوجي، التي عانت كثيراً.

فلهؤلاء جميعاً خالص الشُّكر والتّقدير، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه -تعالى- وأن ينفع به، ويكسبه ثوب الرّضا والقبول إنّه على كلّ شيء قدير.

المقدمة

أحمدُ اللهَ الَّذِي بدأ بالإحسان، وأحسن خلقَ الإنسان، واختصَّه بنطق اللسان وفضيلة البيان، وجعل له من العقل الصَّحيح، والكلام الفصيح، منبأً عن نفسه ومخبراً عما وراء شخصه. والسَّلامُ على مَنْ خُتِمَتْ به الرِّسالاتُ، والذي رفعَ بماضي عزمه قواعدَ الإيمان، وخفضَ بعاملِ الجزمِ كلمةَ البهتانِ، وارضَى اللهمَّ عن الصَّحابةِ الكرامِ الَّذِينَ أُوتُوا الحكمةَ والبيانَ، وحفظوا السُّنةَ والقرآنَ، وجزاهم اللهُ عناءً وعن لغةِ القرآنِ التي حفظوها خيرَ الجزاءِ والإحسانِ.

اللهمَّ انفعنا بما علَّمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علماً، اللهمَّ إننا نسألكَ علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً، آمينَ آمينَ لا أرضى بواحدةٍ حتى أُبلِّغها ألفينِ آميناً، أمَّا بعد...

فإنَّ اللُّغةَ هي اللِّسانُ الناطقُ لأيِّ فكر، وهي المرأةُ الحقيقيَّةُ لحضارةِ الأممِ، وهي عمادُ الأُمَّةِ، فلا أُمَّةَ بلا لغةٍ، والنَّحوُ عمادُ اللُّغةِ، فلا لغةَ بدونِ نحوٍ أو صرفٍ.

وقد حظيتِ اللُّغةُ العربيَّةُ- الَّتِي تعدُّ مصدرًا مهمًّا من مصادرِ الثَّقافةِ الإسلاميَّةِ- بالمنزلةِ العظيمةِ الَّتِي تليقُ بها، ليس في قلوبِ أبنائها المتحدِّثين بها فحسب، ولكنَّها حظيتُ بهذه المنزلةِ عند كلِّ مَنْ له حسُّ جماليٍّ وذوقٌ رفيعٌ من اللُّغويين على مستوى العالمِ الإسلاميِّ بأسره، لِمَ لا؟ وهي لغةُ الوحي، ولغةُ القرآنِ الكريمِ، ولغةُ السُّنةِ النَّبويَّةِ المشرَّفةِ.

وأعتقدُ أنَّ العملَ على إخراجِ القواعدِ النَّحويَّةِ والصِّدْرِيَّةِ من طورِ الحفظِ والاستظهارِ إلى طورِ التَّطبيقِ العمليِّ المستمرِّ سيكونُ أحدَ مقوماتِ إعادةِ اللُّغةِ العربيَّةِ بجميعِ فروعِها ومكوناتِها إلى سابقِ عهودِها الذهبيَّةِ، وهذا من شأنه أن يُكسبَ المهتمِّينَ بهذا المجالِ خبرةً يستطيعون معها التَّغلبَ على العقباتِ الَّتِي قد تواجهُهم في استخدامهم للُّغةِ العربيَّةِ على الوجهِ الأقربِ إلى التَّوظيفِ الصَّحيحِ لقواعدها، والذي يحقُّ نوعاً من الرِّضا.

وهذا ما ابتغيتهُ من وراءِ دراستي لهذا الموضوعِ، الَّذِي تناولتُ فيه الظواهرَ التَّركيبِيَّةَ النَّحويَّةَ البارزةَ في ديوانِ (الأصمعيَّاتِ)، مثلُ هذه الظواهرِ تحدَّثَ عنها الكثيرُ من علماء النَّحوِ والصِّدْرِ قديماً وحديثاً، ولكنَّ الَّذين قاموا بدراسةِ تطبيقيَّةٍ على نصوصِ اللُّغةِ قليلون، وربما كان هناك تطبيقاتٌ متفرقةٌ تناثرتُ بين صفحاتِ الكتب؛ لذلك فضَّلتُ البحثَ في هذا الموضوعِ، وأرجو أن يسيرَ على هذه الطَّريقةِ عددٌ من الباحثينِ الآخرين، وذلك من أجلِ ربطِ النُّصوصِ الأدبيَّةِ بالقواعدِ النَّحويَّةِ والصِّدْرِيَّةِ، لعلَّها تفيدُ الدَّارسينَ للُّغةِ العربيَّةِ على اختلافِ مستوياتهم من أجلِ توثيقِ الصِّلةِ بهذه اللُّغةِ الرِّبانيَّةِ؛ لهذا اتجهتُ إلى اختيارِ موضوعِ رسالتي في علمِ النَّحوِ، وأملُ أن تستمرَّ أبحاثي مستقبلاً في هذا المجالِ.

- أسباب اختيار الموضوع:

هذا ويمكن تلخيص الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع فيما يأتي:

- أ- إنَّ هذا الموضوع له صلة وثيقة بالبحث في مصدر مهمٍّ من مصادر التراث العربيِّ، ألا وهو الشعر العربيِّ، فاعتزالي بهذا التراث هو الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع واتخاذها مجالاً للدراسة.
- ب- ما رأيته من أنَّ البحث في هذا الموضوع سيسهم في تشكيل مادةٍ إثرائيةٍ لدارسي مبحث اللغة العربية، ويعتقد أنَّ هذا النوع من الدراسة سوف يشكّل حافزاً لعدد من الدارسين للسَّير على طريقته.
- ت- ما رأيته من عدم وجود دراساتٍ نحويّةٍ كافيةٍ شاملةٍ تتناول ديوان (الأصمعيّات)، هذا إذا أخذت بعين الاعتبار أنَّ أبيات هذه المجموعة الشعريّة جاءت متناثرة في العديد من المؤلفات الأدبيّة والنحويّة، وربما تمّ التعليق عليها هنا أو هناك.
- ث- ما لاحظته من اشتغال (الأصمعيّات) على قصائد وأشعار تعدُّ مجالاً واسعاً لدراسة الظواهر النحويّة على اختلاف أنواعها ومسمّياتها.
- ج- اخترتُ هذا الموضوع مجالاً للدراسة والبحث لِمَا لاحظته من مظاهر سلبيةٍ في البيئة التعليميّة بصفة عامّة، حيث يتمكّن عددٌ غير قليل من الطُّلاب من حفظ القواعد النحويّة، ولكن قدرتهم على تطبيقها واستخدامها أثناء التعبير بنوعيه: الشفويّ والكتابي لا ترقى إلى المستوى المطلوب، فالباحث عندما يتنبّع الظواهر التركيبيّة النحويّة في مجموعة شعريّة، إنّما يوجه دعوة للآخرين للاهتمام بالجانب التّطبيقيّ للقواعد النحويّة التي قد يكون من السَّهل حفظها حتّى لدى الأطفال في المرحلة الأساسيّة.
- ح- ومن الأسباب التي دعّت الباحث لدراسة بعض الأساليب النحويّة في ديوان (الأصمعيّات) بالذات، أنّ (الأصمعيّات) لم تقف عند عصر محدود من عصور الاستشهاد، بل شملت قصائد من العصر الإسلاميّ إضافة إلى قصائد من العصر الجاهليّ، ومن هنا سوف يُتاح المجال للتوسُّع في استنباط عدد أكبر من الظواهر التركيبيّة التي تمثّلت في الديوان، وهذا من شأنه أن يعمل على توسيع مجال الدراسة، ف(الأصمعيّات) تصل إلى ألف وأربعمائة وتسعة وثلاثين بيتاً، وهذا يعطي مجالاً أكبر في ميدان الدراسات النحويّة.
- خ- اخترتُ (الأصمعيّات) مجالاً للدراسة؛ لأنّها اشتملت على أبيات لها أهميّة خاصّة من حيث إنَّ عددًا من النحويّين اعتمدها أساساً للاستشهاد.
- د- وعندما أدرس الظواهر التركيبيّة النحويّة في ديوان (الأصمعيّات) إنّما أتمثّل الدور العظيم الذي قام به اللُّغويّون الأوائل، الذين تتبَّعوا النصوص الأدبيّة محاولين وضع قواعد عامّة متفق عليها قدر الإمكان، وكانَّ الباحث بهذا العمل يعيد إلى الأذهان فكرةً تتمثّل في ضرورة التّعامل مع النصوص اللُّغويّة الصّحيحة لفهم القواعد النحويّة.

ذ- ومن الأسباب التي دعت إلى الاتجاه إلى مجموعة (الأصمعيّات) دون غيرها من المجموعات الشعريّة الأخرى هو أنّ تلك المجموعات ربّما أخذت حظّها على يد مجموعة من الدّارسين، بينما ظلّت (الأصمعيّات) في حاجة إلى البحث من النّاحية النّحويّة والصّرفيّة.

ر- ومنها الرّغبة في الإسهام في إثراء الدّراسات النّحويّة التّحليليّة.

ز- ومنها العمل على إفادة دارسي اللّغة من خلال محاولة تتبّع الشّواهد النّحويّة ومعرفة مواضعها لتطبّق على مجموعات شعريّة ونثريّة أخرى.

س- أن يجد دارسو اللّغة في هذه الدّراسة مرجعاً ميسراً يستعينون به على مواجهة مشكلات التّعبير اللّغويّ والاستخدام الصّحيح للتّراكيب النّحويّة المختلفة.

ش- الاستفادة من محتويات البحث في تقويم الألسنة وعصمة الأقلام من الخطأ واللّحن الجليّ.

- أهداف البحث:

وللبحث في هذا الموضوع أهداف لعلّ أهمها:

أ- العمل على دراسة عدد من الظواهر النّحويّة البارزة من خلال إحدى المجموعات الشعريّة المهمّة.

ب- العمل على إضافة دراسة نحويّة في ثوب جديد، ربّما تحصل منه الفائدة لطلاب العلم في هذا المجال.

ت- العمل على إحياء التّراث العربيّ بما فيه من كنوز دفيئة.

ث- توجيه دعوة للآخرين للسّير على طريقة الدّراسة نفسها للمساهمة في إحياء مجموعات شعريّة، ربّما غفل الكثير عنها، فالدراسة تعدّ إحياءً لهذه الأشعار وبعثاً لها من جديد.

- منهجية البحث:

سيعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفيّ التّطبيقيّ القائم على الملاحظة والتأمّل، والذي يقوم على تتبّع مجموعة من الظواهر التّركيبية النّحويّة، كما تظهر في ديوان (الأصمعيّات)، حيث سيقوم بوصف كلّ ظاهرة من الظواهر التي سيصادفها في ميدان بحثه وصفاً مفصلاً، وسيعرض أقوال أهل الاختصاص، وهو بعمله هذا لا يفرض على الأشياء سلوكاً معيّنًا، بل يسجّل واقعها مهما كان مفصلاً أو معقّداً، وسيراعي مجموعة من القواعد والضوابط التي سيسير عليها أثناء بحثه، ومنها:

أ- سيحرص الباحث في هذا المنهج على أن يجمع البحث بين الموضوعات التي تربطها علاقات مشتركة تحقيقاً للتّكامل، وتوضيحاً لجوانب الخبرة النّحويّة.

ب- سيراعي عرض القواعد ميسرةً، مركّزةً، موضحةً بالأمثلة والشّواهد مع القصد إلى أصحّ الآراء وأقواها.

ت- سيتجنَّب الخلافات المتعدِّدة والآراء الضَّعيفة إلاَّ ما نذر؛ حتَّى لا يقع الدَّارس أو القارئ في اضطراب قد ينتج عن التَّعامل مع الآراء المتشعِّبة في غير جدوى مع العناء والمشقَّة.
ث- سينتقي الباحث من المجموعة الشعريَّة المستهدفة بالبحث الأمثلة الحيَّة والواقعيَّة والخصبة بما تحمل من حقائق.

ج- سيعرض المسائل النحويَّة بطريقة سلسلة ومبسطة، تمكِّن القارئ من فهمها.

ح- العمل على شرح الكلمات والألفاظ الصَّعبة والغريبة التي تحتاج إلى توضيح بالاعتماد على المعاجم العربيَّة، وما قاله أهل الاختصاص.

خ- سيراعي كفيَّة استخدام القاعدة النحويَّة كما اتَّفق عليها جمهور النُّحاة، وكفيَّة استخدامها من قِبَل الشعراء الذين ورد شعرهم في ديوان (الأصمعيَّات).

د- التَّرجمة لجميع الأعلام من لغويِّين وشعراء وعلماء ونحاة، بحيث تكون التَّرجمة وجيزة تكفي لمجرد التَّعرُّف عليهم.

ذ- وسيتضمَّن البحث مجموعة من الفهارس أهمها فهرس الآيات القرآنيَّة الكريمة، وفهرس الأحاديث النُّبويَّة الشريفة، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات....

ر- آثرت أن تكون دراستي النظريَّة والتَّطبيقيَّة لديوان (الأصمعيَّات) متداخلة غير منفصلة؛ وذلك لمصلحة البحث؛ حتَّى لا يحصل تطويل مفرط، قد يكون مملاً في بعض الأحيان.

ز- كنت أرجح رأياً (ما) أفتنع به وأميل إليه مستنيراً ومستندلاً بما قاله النُّحاة.

س- سيقوم الباحث بالتمثيل للظواهر والمسائل النحويَّة- التي تمَّ عرضها- بأمثلة حيَّة من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، وأقوال لهدَّحابة والسلف الصَّالح، وأقوال العرب قبل التَّمثيل لها من ديوان (الأصمعيَّات) كلِّما دعت الحاجة لذلك؛ وذلك من أجل الإسهام في زيادة التَّوضيح.

ش- حرصتُ الدِّراسة على الاستقصاء الكامل للأبيات الشعريَّة في ديوان (الأصمعيَّات) التي يمكن التَّمثيل بها على ظاهرة (ما).

ص- لم تكفِّ الدِّراسة بالتمثيل بما ورد في الديوان من أبيات شعريَّة، وإنَّما تمَّ التَّمثيل بأبيات شعريَّة غير مذكورة في الديوان كلِّما دعت الحاجة إلى ذلك.

ض- عدم اللُّجوء إلى تكرار الأمثلة الشعريَّة للتَّمثيل على ظاهرة معيَّنة إلاَّ في حالة واحدة، وهي عدم وجود بديل لهذا البيت المكرَّر.

ط- ونقَّتُ الأشعار التي مثلتُ بها من خارج (الأصمعيَّات) من دواوين أصحابها.

ظ- نظراً لكثرة الأبيات الشعريَّة التي مثلتُ بها فقد آثرتُ عدم ذكر البيت كاملاً في فهرس الأشعار، وإنَّما تمَّ الاكتفاء بذكر الكلمة الأخيرة من كلِّ بيت، والتي غالباً ما تشتمل على القافية؛

وذلك لاختصار الحيز المكاني الذي قد تشغله الأبيات الشعرية في حالة ذكر البيت كاملاً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأبيات المذكورة كاملة داخل البحث، فلا حاجة إلى تكرارها مرة أخرى.

ع- استخدام بعض الرموز المتعارف عليها اختصاراً لبعض الكلمات، ومنها: (ت) اختصاراً لـ(تاريخ الوفاة)، و(د. ق) اختصاراً لـ(دون قُطْر)، و(د. ط) اختصاراً لـ(دون طبعة)، و(د. ت) اختصاراً لـ(دون تاريخ)، و(مُر) اختصاراً لـ(مرقُل)، و(مَج) اختصاراً لـ(مجزوء).

غ- وسيعقب الدراسة خاتمة تتضمن أهم نتائج البحث، وعدداً من التوصيات، وقمتُ بوضع النتائج الخاصة بكل فصل مجتمعة في الخاتمة.

- الدراسات السابقة التي تناولت الظواهر التركيبية النحوية:

تجدر الإشارة هنا إلى ذكر ثلاث دراسات أفادت جميعها في تحديد مجال هذه الدراسة، هي:

أ- رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في النحو، بعنوان: "الظواهر التركيبية في ديوان (المفضليات)"، إعداد الطالبة: فاطمة حسن عبد الرحيم فضة، إشراف الدكتور أحمد كشك، جامعة أمّ القرى، المملكة العربية السعودية، سنة ثمان وأربعمئة وألف هجرية، الموافق عام ثمانية وثمانين وتسعمائة وألف ميلادية.

ب- رسالة لنيل درجة الدكتوراه في النحو بعنوان: "الظواهر التركيبية في شعر الشماخ"، والتي تقع في ثلاثة أجزاء، إعداد الطالب: سليمان تاج الدين أحمد، إشراف الدكتور إبراهيم بركات، جامعة أمّ القرى، سنة إحدى عشرة وأربعمئة وألف هجرية، الموافق عام واحد وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية.

ت- بحث بعنوان: "الظواهر التركيبية في الأحاديث القدسية"، إعداد الأستاذ الدكتور جهاد يوسف العرجا، الجامعة الإسلامية بغزة، سنة سبع وعشرين وأربعمئة وألف هجرية، الموافق عام ألفين وستة ميلادية.

- الصعوبات التي واجهت الباحث أثناء كتابة البحث:

يحاول الباحث القيام بهذا العمل، وهو على علم بأنه سوف تواجهه الكثير من الصعاب، وتعترض طريقه العقبات منها:

أ- قلّة الدراسات النحوية التي تناولت ديوان (الأصمعيّات) بالدراسة والتقصّي والتحليل، فالآراء متفرقة هنا وهناك، وما كان أمام الباحث إلا أن يثدّ المنزر من أجل البحث عنها وجمعها وترتيبها.

ب- تعثّر الحصول على بعض المصادر أو المراجع التي يمكن الاعتماد عليها في كتابة الرسالة، والدليل على ذلك أنّ الباحث تعرّف على أسماء مجموعة من المصادر والمراجع التي يحتاج إليها،

فتبيّن له بعد عودته إلى عدد من المكتبات في قطاعنا الحبيب عدم توفر مثل هذه المراجع أو تلك المصادر.

ج- ومن الصّعوبات التي واجهتني أنّ تحليل الأعمال الأدبيّة وتدوّقها نحوياً عمل ليس من السّهولة بمكان، فهذه الأعمال الأدبيّة تعتمد في تحليلها على الدّوق الرّفيع لفهم الأساليب المستخدمة قبل اعتمادها على قواعد العلم وأسسها ونواميسه.

ت- ومنها أنّ الأشعار التي تضمّنها ديوان (الأصمعيّات) في معظمها تتّصف بالجزالة، وبالتالي ليس من السّهل الإلمام بمعانيها وتراكيبها دون الرّجوع إلى المعاجم العربيّة وإلى أقوال الشّراح كلّما وجدتُ لذلك سبباً، فالأمر يحتاج إلى مزيد من الصّبر والتّروّي في الفهم والتّحليل؛ أي: أنّني واجهت اللّغة التي كُتبت بها هذه المجموعة الشعريّة حيث كانت تتسم بالغرابة التي تحتاج في كثير من الأحيان إلى مزيد من البحث والتّحري لمعرفة المراد الذي يقصده الشّاعر من وراء حديثه، يقول الجاحظ: "ولم أر غاية رواة الأشعار إلّا كلّ شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى استخراج"^(١)، ويقول شوقي ضيف عن (الأصمعيّات): "وقد جاء فيها أيضاً كثير من الكلمات المهجورة التي لم تثبتها المعاجم"^(٢).

ث- كما أنّ اللّغة التي تحدّث بها النّحاة في مؤلّفاتهم تحتاج من الدّارس إلى التّدقيق والفهم العميق والفحص والتّحري الهادئ، البعيد كلّ البعد عن السّرعة والاستعجال.

- النّسخة التي تمّ الاعتماد عليها في دراسة ديوان (الأصمعيّات):

واعتمدتُ في دراستي للظواهر التّركيبية في ديوان (الأصمعيّات) على نسخة، هي من تحقيق وشرح الدّكتور محمّد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطّبعة الثّانية، سنة خمس وعشرين وأربعمائة وألف هجريّة، الموافق عام ألفين وخمسة ميلاديّة.

- ولماذا هذه النّسخة بالذّات؟

يجيب عن هذا السّؤال المحقّق الدّكتور طريفي نفسه، يقول في الصّدفة السّادسة من مقدّمة ديوان (الأصمعيّات) الذي قام بتحقيقه: "ولقد توصّلتُ إلى منهج علميٍّ يرمم النّص النّاقص في (الأصمعيّات)، ويحذف النّصوص الزّائدة التي أنتها من (المفضليّات)".

(١) البيان والتّبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ، ج٤، ص٢٤.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربيّ، (العصر الجاهليّ)، شوقي ضيف، (ت: ١٤٢٦هـ)، دار المعارف، مصر، ط٢٢، (د. ت)، ص١٧٨.

إذ إنَّ استخدام محقِّق الديوان للمنهج العلميِّ في تحقيقه هو الَّذي رَغِبني في اتِّخاذ النُّسخة الَّتِي حَقَّقها مجالاً لدراستي.

- قام المحقِّق بنسخ الكتاب معتمداً على المخطوط الأصليِّ للإمام الشَّنْقِيطِيّ - رحمه الله - وضبطه بالشَّكل اعتماداً على الأصل.

- قام محقِّق (الأصمعيَّات) بتصحيح ما وقع فيه الآخرون من الغلط والتَّصحيف، وذلك بالاستعانة بكتب الأدب ومصادر اللُّغة الموثَّقة.

ويضرب الباحث مثلاً واحداً للتَّدليل على صحَّة اعتقاده: نسب محقِّقا (الأصمعيَّات) المصريَّة قصيدة شعريَّة لعمر بن الأسود ص ٧٩-٨١، وهذا تصحيف، ونسبها (طريفي) إلى بشر بن سَوادَة ص ٩٣-٩٥، ويؤيد ما ذهب إليه (طريفي) ما جاء في كتاب (الاختيارين): ص ١٨٤-١٨٨، والعقد الفريد ص ٢٦٥/٥-٢٦٦.

- اعتمد (طريفي) في إتمام نقص بعض القصائد على المصادر الشعريَّة الموثوق بها، والَّتِي حفظها علماء أجلاء موثوق بهم، ومنهم أبو عليِّ القاليِّ في أماليه، وأبو الحسن الأَخفش في كتابه (الاختيارين)، على نحو ما سيُرى.

- قام (طريفي) بالتَّعريف بالشُّعراء جميعهم، ولم يغفل إلاَّ مَنْ لم يجد له ترجمة فيما عاد إليه من مصادر ومراجع.

- خرَّج الأشعار الواردة في الكتاب من دواوين الشُّعراء والمجموعات الشعريَّة الأخرى.
- وفي نسخته شرح للألفاظ الغريبة.

وهناك سبب آخر دعا الباحث إلى الاعتماد على هذه النسخة في دراسته، بالإضافة إلى كون المحقِّق المذكور اعتمد على منهج واضح في تحقيقه لهذه النُّسخة، ممَّا جعلها أقرب لما أُراده مؤلِّفها، يتمثَّل هذا السَّبب في أنَّ محقِّق هذه النُّسخة اعتمد في إصدارها على مجموعة من المؤلفات ومنها:

أ- مخطوطة العلامة الشَّنْقِيطِيّ - رحمه الله تعالى.

ب- الطُّبعة الأوروبيَّة الَّتِي طُبعت في (ليبزج) الألمانيَّة عام اثنين وتسعمائة وألف ميلاديَّة، وأعدت نشرها دار الآفاق الجديدة، ببيروت، عام إحدى وثمانين وتسعمائة وألف ميلاديَّة، بتحقيق المستشرق (ويليم بن الورد).

ت- طبعة (الأصمعيَّات) الصَّادرة عن دار المعارف المصريَّة، تحقيق أحمد شاكر، وعبد السلام هارون.

وإنَّ دلَّ هذا على شيء فإنَّه يدلُّ على أنَّ الدُّكتور محمَّد نبيل طريفي استفاد من النُّسخ المذكورة لما فيه مصلحة للنُّسخة الَّتِي قام بتحقيقها، وأنَّه قد استثنى التَّجاوزات الَّتِي يُعتدُّ أنَّ محقِّق النُّسخ السَّابِقة قد وقعوا فيها، فعمل على استبعادها.

- هيكليّة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدّمة، وتمهيد، وسبعة فصول وخاتمة، ثمّ سأختم بالفهارس العامّة.

ويُشكّل التمهيد مدخلاً لموضوع الدّراسة، حيثُ سيتمّ التّعريف على صاحب (الأصمعيّات)، وعلى مجموعته الشعريّة، وعلى الذين تعرّضوا لها بالشرح، والذين قاموا بتحقيقها معتمدين على مصادرها الأولى.

وحُصّص الفصل الأوّل للتّعجب بنوعيه السّماعيّ والقياسيّ، وحُصّص الفصل الثّاني للنداء وللبنى الدّائنيّة المصاحبة له، بينما حُصّص الفصل الثّالث للاستفهام، في حين حُصّص الفصل الرّابع للنفي، وكان الفصل الخامس من نصيب الجزاء، وأطلّ الفصل السّادس؛ ليحدّثك عن القسم، في حين تناول الفصل السّابع والأخير المستثنى، وأتبع كلّ ذلك بالخاتمة التي اشتملت على النتائج والنّوصيات، والتي سجّل الباحث فيها خلاصة ما توصلت إليه الدّراسة حول هذا الموضوع.

ثمّ جاء دور الفهارس الفنيّة العامّة حيث تمّ التّعريف على ثمانية أنواع منها كان من أهمّها: فهرس الآيات القرآنيّة، وفهرس آخر للأحاديث النّبويّة الشّريفة، وفهرس للأبيات الشعريّة، ثمّ المصادر والمراجع، ثمّ فهرس المحتويات.

وأخيراً فإنّ الباحث يؤمن بأنّه لا يمكن له أن يقول الكلمة الأخيرة الفصل في هذا البحث الذي خاض غماره؛ ذلك لأنّ طبيعة البحوث الأدبيّة واللّغويّة لم تكن تعرف القول الفصل في جزئية من جزئياتها.

لقد أخلصت النّيّة منذُ بداية تعرّفي على هذا البحث حتّى رجوتُ الله أن يوفّقني فيه أيّما توفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مَهَيِّدٌ

الأصمعيّ، والتّعريف بكتابه

أولاً: ترجمة للأصمعيّ، وبيان منزلته كراوية لأشعار العرب ولغتها

ثانياً: التّعريف بديوان (الأصمعيّات) وبيان أهمّيّته

أولاً: ترجمة للأصمعيّ، وبيان منزلته كراوية لأشعار العرب ولغتها، وفيه:

- ١ - اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه.
- ٢ - ولادته، ونشأته.
- ٣ - معنى الأصمعيّ في اللُّغة.
- ٤ - نبذة مختصرة عن العصر الذي عاش فيه الأصمعيّ.
- ٥ - مذهبه واعتقاده.
- ٦ - ثقافته، وحياته الثقافيّة.
- ٧ - شيوخه، وتلاميذه.
- ٨ - مكانته العلميّة.
- ٩ - منزلته الشعريّة.
- ١٠ - مِنْ طرائفه، ومناظراته.
- ١١ - منزلته بين علماء عصره.
- ١٢ - آثاره، ومؤلّفاته.
- ١٣ - الأصمعيّ بين المادحين، والقادحين.
- ١٤ - آراء النُّقاد المُحدّثين فيه.
- ١٥ - مِنْ أقواله.
- ١٦ - رأيه في الشّاعر المطبوع، والشّاعر المصنوع.
- ١٧ - الأصمعيّ والقراءات.
- ١٨ - وفاته.

توطئة

لقد فرضت طبيعة البحث على الباحث أن يفِي مؤلف هذا الديوان وجامعه حقّه، وأن ينزله منزلته التي يستحقّ، حيثُ سيتمُّ عرض أخباره وكلّ المعلومات التي تتعلّق به وبجهوده في خدمة اللّغة العربيّة، والتي ساهمت في إثراء المكتبة العربيّة وإغنائها، فيقدّم له بتمهيدٍ يشتمل على مبحثين، وما عساني أن أقول عن رجل وُصِفَ بأنّه صنّاجَةُ الرّواة، أجد نفسي اليوم لن أقول إلّا ما قد قيل، وما أراني أقول إلّا شيئاً مكرّراً، وعندما أتحدّث عن الأصمعيّ لا أعتذر عن واجب إلّا أنّني أعتذر عن إثقال هذا البحث بما سبقني إليه المؤرّخون الذين ترجموا لهذا العالم الفدّ من علماء اللّغة العربيّة.

أولاً: ترجمة للأصمعيّ، وبيان منزلته كراوية لأشعار العرب ولغتها

١ - اسمه ونسبه وكنيته:

اختلف المترجمون لهذه الشَّخصية الفدّة في نسبها زيادةً ونقصاناً، فمنهم من اقتصر على ذكر اسمه وكنيته ولقبه واسم أبيه، ومنهم من زاد على ذلك فذكر اسم جدّه، ومنهم من زاد على هذا النسب اسم جدّه الأعلى على نحو ما سيُعرض بعد قليل.

ذكره البلاذري^(١)، وعده من ولد مالك بن أعصر، قال: "هو عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن عليّ بن أصمعيّ"^(٢)، وزاد ابن النديم^(٣) على ما ذكره البلاذريّ: بن مظهر بن عمرو بن عبد الله الباهليّ^(٤)، وزاد ابن حزم الأندلسي^(٥) في نسبه عمّا ذكره البلاذريّ هكذا: ابن مظهر بن رياح بن عبد شمس بن أعيان بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر^(٦)، وزاد الخطيب البغداديّ^(٧) بسند سلسلة من الرواة على ما ذكره الأندلسيّ: ابن سعد بن قيس عيلان^(٨)، وزاد ابن خلّكان^(٩) في نسبه فذكر: مضر بن نزار بن معد بن عدنان الباهليّ، ويُلاحظ

(١) البلاذريّ: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذريّ: مؤرخ، جغرافيّ، نسابة، له شعر ومدائح، من أهل بغداد، جالس المتوكّل العباسيّ، ومات في أيام المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين هجريّة. انظر: معجم الأدباء: ٤٤/٢-٨٨، والفهرست: ١/١٦٤، والأعلام: ١/٢٧٦.

(٢) جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذريّ، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل رگاز، ورياض زركليّ، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ، ج ١٣، ص ١٦٠.

(٣) ابن النديم: محمّد بن إسحاق بن محمّد، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم، بغداديّ، كان ورّاقاً، وكان معتزليّاً متشيّعاً؛ يدلّ كتابه على ذلك، توفّي سنة ثمانٍ وثلاثين وأربعمائة هجريّة. انظر: معجم الأدباء: ٥/٢٢٧، والأعلام: ٦/٢٩.

(٤) انظر: الفهرست، ابن النديم، (ت: ٤٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، ١٣٩٨هـ، ج ١، ص ٨٢.

(٥) ابن حزم: عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرّحمن بن حزم، أبو المغيرة: أديب أندلسيّ، من الكُتّاب، وكتب عن عدّة من الملوك، وألّف تأليف، اتّسعت ثروته، ومات شاباً سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة هجريّة. انظر: الأعلام: ٤/١٦٩.

(٦) انظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، (ت: ٣٨٣هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ، ج ١، ص ٢٤٥.

(٧) البغداديّ: أحمد بن عليّ بن ثابت البغداديّ، أبو بكر، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرّخين المقدّمين، توفّي سنة ثلاث وستين وأربعمائة هجريّة. انظر: الأعلام: ١/١٧٢-١٧٣.

(٨) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، (ت: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج ١٠، ص ٤١٠.

(٩) ابن خلّكان: أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر، المعروف بابن خلّكان، أبو العباس: المؤرخ الحجّة، والأديب الماهر، انتقده ابن كثير بقوله: "الشّعراء يطيل تراجمهم، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة، والرّنادقة يترك ذكر زندقتهم"، مات سنة إحدى وثمانين وستمائة هجريّة. انظر: البداية والنهاية: ١١/١٢٨، والأعلام: ١/٢٢٠.

أنه ذكر (الباهلي) كما صنع ابن النديم، وإنما قيل له الباهلي وليس في نسبه اسم (باهلة)؛ لأن باهلة اسم امرأة مالك بن أعصر، وقيل: إن باهلة ابن أعصر^(١).

وروي عن الأصمعي ما يدل صراحة على أنه ليس من باهلة، ورد في (جمهرة أنساب العرب): كان الأصمعي يقول: "لست من باهلة؛ لأن قتيبة بن معن لم تلده باهلة قط"^(٢).
ويضع صاحب (خزانة الأدب)^(٣) تعليلاً آخر لاعتراض الأصمعي بأنه ليس من باهلة بقوله: "كان الأصمعي يقول: لست من باهلة؛ لأن أم قتيبة بن معن تميميّة، ولكن حنثته فغلبت عليه، وإنما تبرأ منها؛ لأن باهلة قبيلة مذمومة في العرب"^(٤)، ولأبي محمد الزبيدي^(٥) أبيات على المتقارب يهجو فيها الأصمعي، منها قوله:

وَمَنْ أَنْتَ هَلْ أَنْتَ إِلَّا امْرُؤٌ إِذَا صَحَّ أَصْلُكَ مِنْ بَاهِلَةٍ^(٦)

وأما كنيته فقد ذكر القفطي^(٧) أنها: أبو سعيد^(٨)، أما لقبه (راوية العرب) أو (صنّاجة)^(٩) (الرواة)،

(١) انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ، ج ٣، ص ١٧٠.

(٢) انظر: جمهرة أنساب العرب: ٢٤٦/١.

(٣) البغدادي: عبد القادر بن عمر: علامة بالأدب والتاريخ والأخبار، ولد وتادب ببغداد، وأولع بالأسفار، فرحل إلى دمشق ومصر... وجمع مكتبة نفيسة، كان يتقن آداب التركيّة والفارسيّة، من أشهر كتبه: (خزانة الأدب) وتوفّي في القاهرة سنة ثلاث وتسعين وألف للهجرة. انظر: الأعلام: ٤١/٤.

(٤) خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق محمد نبيل طريقي وإميل البيهقي، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، ١٤١٩هـ، ج ١١، ص ١٢٦.

(٥) الزبيدي: هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي: كان فصيحاً، نحوياً، شاعراً، جعل الرّشيد المأمون في حجره وكانت له في أيام الرّشيد والبرامكة أشعار كثيرة، ولكنه أحرقها قبل موته وأخذ على ولده ألا يخرجوا له غير المواعظ، توفّي سنة اثنتين ومائتين هجرية. انظر: معجم الشعراء: ٤٩٩/١.

(٦) انظر الأبيات في: الصناعاتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي البيجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، (د. ط)، ١٤٠٦هـ، ج ١، ص ٣٢٩، ومعجم الشعراء: ٤٩٩/١.

(٧) القفطي: علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، أبو الحسن، جمال الدّين، وزير، مؤرخ، من الكُتاب، مات سنة ست وأربعين وستمئة هجرية. انظر: معجم الأدباء: ٣٨١-٣٩٧، والأعلام: ١٦٩/٥.

(٨) انظر: انباه الرواة، القفطي، (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ج ٢، ص ١٩٨.

(٩) الصنّاجة: هو الذي يضرب بالصنّج، وهو آلة ذات أوتار يضرب بها، ويُقال ذلك للماهر المجيد، جاء في (لسان العرب) ٢٥٠٧/٤: "وكان أعشى بكر يُسمّى صنّاجة العرب؛ لجودة شعره".

كما أطلق عليه ابن جني^(١) يقول: "وهذا الأصمعي هو صنّاجة الرّواة والنّفلة"^(٢).

٢- ولادته ونشأته:

جاء في (مراتب النّحويين)^(٣): "وُلد سنة ثلاث وعشرين ومائة، وعمّر نيّفًا وتسعين سنة"^(٤)، وأجمع المترجمون لهذه الشّخصيّة على أنّ ميلاده ونشأته الأولى كانت بالبصرة، جاء في (تاريخ بغداد): "وكان من أهل البصرة، وقَدِم بغداد في أيام هارون الرّشيد"^(٥).

٣- معنى الأصمعي في اللّغة:

جاء في (تهذيب اللّغة): "والصدّمعاء: الشّاة اللّطيفة الأذن التي لصِقَ أذناها بالرّأس، ويُقال عَنز صمعاء وتيس أصمّع؛ إذا كانا صغيري الأذن، ويُقال: قلب أصمّع إذا كان ذكيًّا فطنًا"^(٦)، وجاء في (معجم الصّحاح): هو أصمّع القلب؛ إذا كان متيقظًا ذكيًّا، والأصمعان: القلب الذّكي والرّأى العازم، والأصمّع: الصّدغير الأذن، والأنثى صمعاء"^(٧).

وجاء في (لسان العرب): "صَمَعْتُ أذنه صَمَعًا، وهي صَمَعَاءُ: صَغُرَتْ ولم تُطَرَّفْ، وكان فيها اضْطِمَارٌ ولُصُوقٌ بالرّأس، ورجل أَصْمَعٌ وامرأة صَمَعَاءُ، والصدَمِعُ: الصّدغير الأذن المليحها، والصدّمعاء من المعز التي أذنها كأذن الطّبي، والأصمّع: الصّدغير الأذن، والأنثى صمعاء، وصَمَعٌ

(١) عثمان بن جنيّ الموصليّ، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنّحو، له شعر، وكان المتنبّي يقول: "ابن جنيّ أعرف بشعري منّي"، وتوفّي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٢٠٦/٣ - ٢٠٨، وبغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة: ١٣٢/٢.

(٢) الخصائص، صنعه أبو الفتح عثمان بن جنيّ، (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد عليّ النّجار، المكتبة العلميّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج ٣، ص ٣١١.

(٣) هارون الرّشيد العبّاسيّ، أبو جعفر: خامس خلفاء بني العبّاس وأشهرهم، كان عالمًا بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحًا، له شعر، وله محاضرات مع علماء عصره، شجاعًا كثير الغزوات، يُلقّب ب(جبار بني العبّاس)، حازمًا كريمًا متواضعًا، يحجّ سنة ويغزو سنة، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة هجريّة. انظر: تاريخ بغداد: ٥/١٤، والبداية والنّهاية: ٤٨-٢٧/١٤، والأعلام: ٦٢-٦٣/٨.

(٤) انظر: مراتب النّحويين، تصنيف أبي الطّيب عبد الواحد بن عليّ اللّغويّ الحلبيّ، (ت: ٣٥١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص ٤٨.

(٥) انظر: تاريخ بغداد: ٤١٠/١٠، ووفيات الأعيان: ١٧١/٣.

(٦) انظر: تهذيب اللّغة، أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهرّي الهرويّ، (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون وآخرون، الدّار المصريّة، مصر الجديدة، (د. ط)، ١٣٨٤هـ، ج ٢، ص ٦١.

(٧) انظر: الصّحاح؛ تاج اللّغة وصّاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: محمّد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤١٠هـ، ج ٤، ص ٣٨٠.

الفؤاد: حدّته، وقلب أصمغ: ذكيّ متوقّد فطن، والرأي الأصمغ: العازم الذكي، ورجل أصمغ القلب: إذا كان متيقظاً ذكياً، وصمغ فلان على رأيه إذا صمّم عليه^(١).

٤- نبذة مختصرة عن العصر الذي عاش فيه الأصمعيّ:

عاش الأصمعيّ في القرن الثّاني وبداية القرن الثّالث الهجريّ، حيثُ تواجد في عصر أُطلق عليه: (العصر العبّاسيّ الأوّل)، وتميّزت تلك الفترة بأنّها من أزهى عصور الحضارة العربيّة وأكثرها عطاء في مجال الأدب والثّقافة، حيث استوعبت الثّقافة العربيّة ثقافات الأمم المجاورة من خلال النّقل والترجمة، وتحوّلت اللّغة العربيّة إلى وعاء كبير يشتمل على ما تضمّنته تلك الثّقافات، في هذا العصر عاش الأصمعيّ، وتلقّى تعليمه، وألّف مؤلّفاته، وعلم تلاميذه.

وتناولت كتب الأدب^(٢) الحياة السياسيّة، والحياة الاجتماعيّة، والحياة الفكريّة أو العقليّة لتلك الفترة بالتّفصيل المملّ، وسيقتصر الحديث هنا على الحياة العقليّة في العصر الذي عاش فيه الأصمعيّ دون غيرها لما لها من أهميّة في التّعرف على ثقافته والعوامل التي أثّرت فيها، وهناك عوامل ساعدت على ازدهار الحياة الثّقافيّة والفكريّة^(٣) في هذا العصر، منها:

أ- إقبال النّاس على حلقات العلم التي كانت المساجد والمدارس مسرحاً لها للتزوّد من المعارف المختلفة على يد شيوخ أجلاء، جاء في كتاب (تاريخ الأدب العربيّ): "أخذ العلم عن نفر كثير من العلماء: منهم: عيسى بن عمّر النّفقي^(٤)، وشعبة بن الحجاج^(٥)، وحمّاد بن سلمة^(٦)، وحمّاد

(١) انظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم المصريّ الأفيقيّ "ابن منظور"، (ت: ٧١١)، تحقيق: عبد

الله الكبير، ومحمّد حسب الله، وهاشم الشاذليّ، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ج ٤، ص ٢٤٩٧.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربيّ (العصر العبّاسيّ الأوّل)، شوقي ضيف (ت: ١٤٢٦هـ)، دار المعارف، مصر، ط ١٦، (د. ت): ص ٩ وما بعدها، و ص ٤٤ وما بعدها.

(٣) انظر: المرجع نفسه: ص ٨٩ وما بعدها.

(٤) عيسى بن عمّر النّفقيّ بالولاء، أبو سليمان: من أئمّة اللّغة، من أهل البصرة، وهو شيخ الخليل وسيبويه والأصمعيّ، وأوّل من هدّب النّحو وربّبه، تُوفّي سنة تسع وأربعين ومائة هجريّة، انظر: وفيات الأعيان: ٤٤٦/٣، ونزهة الألباء: ٢٨، وخزانة الأدب: ١٢٨/١.

(٥) شعبة بن الحجاج بن الورد العنكيّ البصريّ، أبو بسطام: من أئمّة رجال الحديث، حفظاً ودراية وثبّتاً، وكان عالماً بالأدب والشّعر، قال الأصمعيّ: "لم نر أحداً قط أعلم بالشّعر من شعبة"، تُوفّي سنة ستين ومائة هجريّة، انظر: تاريخ بغداد: ٢٥٥/٩، والأعلام: ١٦٤/٣.

(٦) حمّاد بن سلمة بن دينار البصريّ الرّبيّ، أبو سلمة: مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن النّحاة، كان حافظاً ثقة مأموناً، نقل الذهبّيّ: "كان حمّاد إماماً في العربيّة، فقيهاً، فصيحاً مفوهاً، شديداً على المبتدعة"، له تآليف، تُوفّي سنة سبع وستين ومائة هجريّة، انظر: بغية الوعاة: ٥٤٨/١، والأعلام: ٢٧٢/٢.

ابن زيد^(١)، ومُسْعِر بن كِدَام الهَلَالِي^(٢)، وأخذ القرآن ومعظم علوم العربية عن أبي عمرو بن العلاء^(٣)»^(٤).

ب- ظهور علماء متخصصين في شتى مجالات المعرفة والثقافة.

ت- ترجمة الكثير من الأعمال الأدبية والثقافية المأخوذة عن الرومان واليونان والفرس والهنود، ونالت هذه الأعمال تشجيع الخلفاء ودعمهم، يقول الرَّافِعِيُّ: "ولمَّا أنشأ المأمون^(٥) دار التَّعْرِيبِ الَّتِي سَمَّاهَا (دار الحكمة) وهي دار كتبه العظيمة، أرصد فيها علماء التَّهْذِيبِ الكُتُبَ المترجمة وتوجيه الأسماء المعرَّبة من الأعلام والأجناس على ما يناسب المنطق العربي"^(٦).

ث- تشجيع الخلفاء والأمراء للكتاب والعلماء والقضاة مادياً ومعنوياً ممَّا أسهم في نهضة العلوم والآداب والفنون وأوجد في نفوس النَّاسِ محبة العلم، ومن الأمثلة التي تدلُّ على تشجيع الخلفاء العبَّاسِيِّين للعلماء ما قاله الرَّافِعِيُّ: "أمَّا المأمون فناهيك من خليفة عالم، وهو لم يزل منذ دخل العراق يرأسل الأصمعيَّ في أن يجيئه من البصرة، وكان لا ينفك أصحابه في مجالسه، ويقول: كأنتكم بالأصمعيَّ قد طلع، ولكنَّ الأصمعيَّ احتجَّ بضعف وكبر وعلل، ولم يجب إلى ذلك، فكان المأمون يجمع المسائل وينفذها إليه بالبصرة ثمَّ ينتظر جوابها"^(٧).

ج- انتشار حلقات العلم ومجالس المناظرة في قصور الخلفاء والوزراء والقادة والأمراء، حيث كان العلماء يتناظرون بحرية كاملة عارضين كلَّ ما لديهم من مسائل علمية وقضايا فكرية على بساط

(١) حمَّاد بن زيد بن درهم الأزدي البصريّ، أبو إسماعيل: شيخ العراق في عصره، من حُفَاطِ الحديث، حفظ أربعة آلاف حديث، وخرَّج حديثه الأئمة السُّنَّة، تُوفِّي سنة تسع وسبعين ومائة هجرية، انظر: تهذيب التَّهْذِيب: ٩/٣، والأعلام: ٢٧١/٢.

(٢) مُسْعِر بن كِدَام بن ظهير الهَلَالِي، أبو سلمة: من ثقات أهل الحديث، كوفيّ، وخرَّج له السُّنَّة، توفيَّ بمكة سنة اثنتين وخمسين ومائة هجرية، انظر: تهذيب التَّهْذِيب: ١٠/١١٣، والأعلام: ٢٧٢/٢.

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة المشهورين، اختلف في اسمه، فقالوا: اسمه كنيته، وفي بعض الروايات: اسمه زَبَّان، وهو الأصحُّ، كما قال السيوطي، كان إمام البصرة في القراءات والنحو واللغة، وأعلم النَّاسِ بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر، مات سنة أربع وخمسين ومائة. انظر: وفيات الأعيان: ٣/٤٦٧ والاقتراح للسيوطي: ٩١ (الهامش)، والأعلام: ٤١/٤.

(٤) انظر: تاريخ الأدب العربيّ، عمر فرُّوخ، (ت: ١٤٠٨هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، خ٢، ص٢٠٥.

(٥) المأمون: عبد الله بن هارون الرَّشِيد بن محمَّد المهديّ بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، سابع الخلفاء العبَّاسِيِّين، وأحد أعظم الملوك، في سيرته وعلمه وسعة ملكه، توفيَّ سنة ثلاث وتسعين ومائة هجرية. انظر: تاريخ بغداد: ٥/١٤، والأعلام: ١٤٢/٤.

(٦) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرَّافِعِيُّ، (ت: ١٣٦٥هـ)، راجعه: عبدالله المنشاوي، ومهديّ البقيرِيّ، مكتبة الإيمان، المنصورة، (ط١)، (١٣٢٩هـ)، ج١، ص١٧٥.

(٧) نفسه: ٣٣٧/١.

البحث والجدل والمناقشة، يقول شوقي ضيف: "وكانت مجالس الخلفاء تكتظُّ باللُّغويين من مثل الكسائي والأصمعي، فكان لا بدَّ للشُّعراء أن يروِّفُوهُم حَتَّى ينالوا استحسانهم، ويرى ذلك الخلفاء منهم فيُجزلوا لهم في العطاء"^(١).

ح- استخدام الورق في الكتابة والتدوين، وكانوا يكتبون قبل ذلك على الجلود والقرطيس، وتحقق ذلك بفضل أول مصنع للورق أنشأه الفضل بن يحيى البرمكي^(٢)، وهذا بدوره أسهم في إثراء المكتبات العامة والخاصة، وأدى كذلك إلى انتشار دكاكين الوراقين التي وفد إليها طلاب العلم، يقول الرَّافعي: "ولكنَّها كانت كتبًا من الجلد، وبقيت كذلك حَتَّى إذا اتَّخذ الفضل بن يحيى البرمكي هذا الكاغد (الورق) وأشار بصناعته، فشاعت الكتابة فيه مع الجلود والقرطيس وأصناف أخرى من الورق الصَّيني والتَّهامي والخرساني، واتَّخذ النَّاس من ذلك الصُّحف والدَّفَتر، ومن ثمَّ تَمَّت لهم أدوات التَّأليف"^(٣).

ولا شكَّ في أنَّ هذه العوامل مجتمعة أسهمت في نضوج الحياة العقليَّة في المجتمع العباسي بعصره الأوَّل والثَّاني، حيثُ انتشرت المعرفة والثَّقافة بين النَّاس، وكان لهذه النَّهضة أثرٌ واضح في الحياة الأدبيَّة، ويُعتقد أنَّ هذه العوامل أثَّرت في الأصمعيِّ كما أثَّرت في غيره وكانت سببًا في صقل شخصيَّته الأدبيَّة والثَّقافيَّة.

٥- مذهبه واعتقاده:

جاء في (مراتب النَّحويين) أنَّ الأصمعيِّ كان من أهل السُّنَّة^(٤)، وجاء في (نزهة الألباء): قال إبراهيم الحربي^(٥): "كان أهل العربيَّة كلُّهم أصحاب أهواء؛ إلَّا أربعة فإنَّهم أصحاب سُنَّة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد^(٦)، ويونس بن حبيب

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأوَّل): ١٣٩.

(٢) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: وزير الرِّشيد العباسي، وأخوه في الرِّضاع: كان من أجود النَّاس، توفِّي سنة ثلاث وتسعين ومائة هجريَّة. انظر: تاريخ بغداد: ٤٠٨/١، ووفيات الأعيان: ٢٧/٤، والأعلام: ١٥٢/٥.

(٣) تاريخ آداب العرب: ٢٦٠/١.

(٤) انظر: مراتب النَّحويين: ص ٤٨.

(٥) إبراهيم بن إسحاق بن بشير أبو إسحاق الحربي: كان إمامًا يُقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه، وهو إمام مصنَّف، عالم بكلِّ شيء، بارع في كلِّ علم، صدوق ثقة، مات ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين. انظر: بغية الوعاة: ٤٠٨/١.

(٦) الخليل بن أحمد، البصريِّ الفراهيدي، أبو عبد الرَّحمن، سيِّد أهل الأدب قاطبةً في علمه وزهده، والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النَّحو وتعليقه، وهو أوَّل من استخرج علم العروض، وضبط اللُّغة، وكان أوَّل من حصر أشعار العرب، مات سنة خمس وسبعين ومائة هجريَّة، وقيل غير ذلك. انظر: معجم الأدباء: ٣٠٠/٣، ووفيات الأعيان: ٢٤٢/٢، والوافي بالوفيات، ٢٤٢/١٣، وبغية الوعاة: ٥٧٧/١.

البصري^(١)، والأصمعي^(٢)، ونقل الرافعي عن كتاب: (التبهيّات)^(٣) خبراً - مع غرابته - يتناقض مع ما أثبتته المتحدّثون عن عقيدة الأصمعيّ، قال: "وقد كان الأصمعيّ شديد العصبية على جماعة من الشعراء لعل، فعلة ذي الرمة مع اعتقاد ذي الرمة العدل وكان الأصمعيّ جبرياً"^(٤).
والعجيب في هذه الرواية أنّه كيف يُوصف الأصمعيّ بأنّه جبريّ، وقد أجمع المؤرّخون على أنّه من أهل السنة؟!!

٦ - ثقافته، وحياته الثقافيّة:

حياة الأصمعيّ في مراحلها الأولى غير واضحة المعالم، ولم يذكر المؤرّخون شيئاً عن نشأته في مرحلة الطفولة، ولا يعلم الباحث شيئاً عن دراساته الأولى والمراحل التي اجتازها في هذه الفترة، ويُعتقّد أنّه في طفولته كان يتردّد على حلقات الشيوخ المشهورين في البصرة حيث أخذ عنهم شتى علوم المعرفة خاصة علوم العربية التي أهّلته ليصبح مؤلفاً مبدعاً، يدلّ على ذلك ما ترك وراءه من مخزون ثقافيّ فذّ ومؤلفات متنوعة، والتي تدلّ على أنّ هذا الرّجل كان متبحراً في علوم اللّغة والأدب والفقه وغيرها؛ فالبعرة تدلّ على البعير، والأثر يدلّ على المسير.
ويعتقد الباحث أنّ ثقافة الأصمعيّ لم تكن تختلف عن ثقافة غيره من علماء عصره من حيث اعتماد معظمهم - إن لم يكن جميعهم - على مصدر مهمّ جداً من مصادر الثقافة، ألا وهو القرآن الكريم الذي يُعدّ منبعاً للمعرفة والثّقافة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً إلى أن يرث الله الأرض ومنّ عليها.

(١) يونس بن حبيب الضبّيّ بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويُعرف بالنحويّ: علّامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره، أخذ عنه سيبويه والكسائيّ والفرّاء وآخرون، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة هجرية. انظر: معجم الأدباء: ٦٥١/٥، ووفيات الأعيان: ٢٤٤/٧، والوفاي بالوفيات، صلاح الدّين خليل بن أبيك الصّفديّ، (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركّي مصطفى، دار إحياء الثّراث، بيروت، (د. ط)، ١٤٢٠هـ، ج ٢٩، ص ١٧٧.

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرّحمن بن محمّد "ابن الأنباري"، (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السّامرائيّ، مكتبة المنار، الأردن، (د. ط)، ١٤٠٥هـ، ص ١٠٠.

(٣) كتاب (التبهيّات على أغلاط الرّواة) لعلّي بن حمزة البصريّ، أبو القاسم: لغويّ، من العلماء بالأدب، المتوفّي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة هجرية. انظر: الأعلام: ٢٨٣/٤. (لم يتسنّ لي الاطلاع على الكتاب مباشرة).

(٤) انظر: تاريخ آداب العرب: ٣٥٦/١. والجبرية يعتقدون أنّ معاصي العباد وطاعتهم من الله - عزّ وجلّ - جاء في كتاب (العقيدة في الله - عزّ وجلّ)، صالح الرّقب، ومحمّد بخيت، مكتبة الطّالب الجامعية، غزة - فلسطين، ط ٢، ١٤٢٩هـ، ص ٨٥: "فقابلتهم الجبرية، وقالوا: لا حيلة للعبد، ولا إرادة له ولا اختيار... حتّى آل بهم الأمر إلى أن جعلوا الإنسان كالريشة في مهبّ الريح... فكلّ الأمور بالقدر حتّى إذا فعلوا المعاصي... قالوا: هذا بقدر الله، وليس لنا بذلك أيّ ذنب، وهؤلاء في ضلال مبين".

ولا شكَّ في أنَّ الحديث الشَّريف والفقهِ كانا أحدَ مصادر ثقافة الأصمعيِّ المهمَّة، وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ الإمام أحمد بن حنبلٍ^(١) أتى على الأصمعيِّ في الفقه والسُّنة^(٢). كما أنَّ محفوظاته الكثيرة لروائع الشعر العربيِّ تعدُّ مصدرًا مهمًّا آخر من مصادر ثقافته، روى الخطيب البغداديُّ بسنده قال: "سمعت الأصمعيَّ يقول: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة"^(٣).

٧- شيوخه وتلاميذه:

أ- شيوخه:

لا شكَّ في أنَّ الأصمعيَّ تتلمذ على يد مجموعة من علماء عصره، ومنهم: الخليل بن أحمد الفراهيديِّ، ذكر ابن جنِّي قصته معه قال: وقد كان أرادَه الأصمعيُّ على أنْ يعلِّمه العرُوض، فتعدَّر ذلك على الأصمعيِّ ويعدُّ عنه فيئس الخليل منه، فقال له يوماً: يا أبا سعيد، كيف تقطِّع قول الشاعر؟^(٤):

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ^(٥)

قال: فعلم الأصمعيُّ أنَّ الخليل قد تأذَى ببعده عن علم العرُوض فلم يعاوده فيه^(٦). ومن شيوخه: خلف الأحمر^(٧)، جاء في (نزهة الألباء): وقال أبو عبيدة^(٨): "خلف الأحمر معلِّم

(١) أحمد محمَّد بن حنبل، أبو عبد الله، الشَّيبانيِّ الوائليِّ: إمام المذهب الحنبلِي، وأحد الأئمة الأربعة، نشأ منكبًا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارًا كثيرة، توفِّي سنة إحدى وأربعين ومائتين هجرية. انظر: تاريخ بغداد: ٤/٤١٣، والبدایة والنَّهاية: ١٤/٤٢٠، والأعلام: ١/٢٠٣.

(٢) انظر: نزهة الألباء: ١٠٠.

(٣) تاريخ بغداد: ١٠/٤١٠.

(٤) عمرو بن معد يكرب الزبيديِّ، شاعر مخضرم وفارس من فرسان الجاهليَّة المشهورين، دخل الإسلام ثم ارتدَّ، ثم أسلم وأبلى بلاءً حسنًا في معركة القادسيَّة. انظر: الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم "ابن قتيبة"، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد شاکر، (لا ناشر)، (د. ق)، ط ٣، ١٣٩٧هـ، ج ١، ص ٣٧٢، وجمهرة أنساب العرب: ٤١١، والمؤتلف: ٢٣٤، وشرح أبيات المغني: ٢/١٠٩، والخزانة: ٢/٣٩٢.

(٥) البيت على الوافر، في ديوان الأصمعيَّات: اختيار أبي سعيد عبد الملك بن قُرَيْب (ت: ٢١٦هـ)، تحقيق وشرح: محمَّد نبيل طريقي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٥هـ، ص ١٩٤، رقم ٢٧.

(٦) انظر: الخصائص: ٣/٣١١.

(٧) خلف بن حيَّان، أبو محرز، المعروف بالأحمر: راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة، توفِّي سنة ثمانين ومائة هجرية. انظر: بغية الوعاة: ١/٥٥٤، والأعلام: ٢/٣١٠.

(٨) أبو عبيدة: هو معمر بن المُتَنِّي التَّميميِّ من أنمة العلم بالأدب واللُّغة، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، وكان شعوبياً، ويرى رأي الخوارج، له نحو مائتي مؤلَّف، توفِّي بالبصرة سنة تسع ومائتين للهجرة. وقيل غير ذلك، انظر: وفيات الأعيان: ٥/٢٣٥-٢٤٣، وبغية الوعاة: ٢/٢٩٤، والأعلام: ٧/٢٧٢.

الأصمعيّ، ومعلّم أهل البصرة^(١)، ومن شيوخه أيضاً: نافع المدني^(٢)، جاء في (الخصائص):
 "كانت مشيخة القراء وأماثلهم تحضره - وهو حدث - لأخذ قراءة نافع عنه"^(٣)، ومن شيوخه: الإمام
 الشافعيّ^(٤)، جاء في (طبقات الشافعيّة): قال الأصمعيّ: "صحّحت أشعار الهذليّين على شاب من
 قريش بمكة يُقال له محمّد بن إدريس"^(٥)، وجاء في (تهذيب التهذيب): "صحّحت أشعار البدويّين
 على شاب من قريش بمكة يُقال له محمّد بن إدريس"^(٦)، وجاء في (طبقات النحاة): "قال
 الأصمعيّ: قرأت على الشافعيّ الشعر"، وقال: قرأت شعر الشنفرى^(٧) على غلام من قريش بمكة
 يُقال له محمّد بن إدريس"، وجاء فيها: وأنشد الشافعيّ الأصمعيّ لثلاثين شاعراً أساميهم عمرو"^(٨).

ب- تلاميذه:

إن رجلاً مثل الأصمعيّ لا بدّ وأن يكون عدد تلامذته كبيراً، غير أنّي استطعت التعرف
 على عدد قليل منهم، قد يصلون إلى العشرة، وبدلُ سياق الحال على أنّ الذين تتلمذوا على يد عالم
 كالأصمعيّ وقرؤوا عليه قد أصبحوا أئمّة في اللّغة والأدب، يُذكر منهم - على سبيل المثال لا

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدّين: عبد الرّحمن بن محمّد بن الأنباريّ، (ت: ٥٧٧هـ)،
 تحقيق: إبراهيم السّامرائيّ، مكتبة المنار، الأردن، (د. ط)، (د. ت)، ص ٥٣.

(٢) نافع بن عبد الرّحمن بن أبي نعيم المدنيّ: أحد القراء السّبعة المشهورين، كان صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه
 دعابة، اشتهر في المدينة، وانتهت إليه رياضة القراءة فيها، فأقرأ النّاس نيّفاً وسبعين سنة، توفّي سنة تسع وستين
 ومائة هجريّة. انظر: الأعلام: ٥/٨.

(٣) الخصائص: ٣/٣١١.

(٤) محمّد بن إدريس بن العبّاس الهاشميّ، أبو عبد الله: أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السّنة، وإليه نسبة الشافعيّة، كان أشعر
 النّاس وأدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات، قال عنه الإمام ابن حنبل: "ما أحد ممّن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعيّ في
 رقبته منّة"، توفّي سنة أربع ومائتين هجريّة. انظر: تاريخ بغداد: ٢/٥٦-٧٣، ووفيات الأعيان: ٤/١٦٣-١٦٩،
 والأعلام: ٦/٢٦-٢٧.

(٥) طبقات الشافعيّة الكبرى، تاج الدّين بن عليّ بن عبد الكافي السّبكيّ (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتّاح الحلو - ومحمود
 الطّناحيّ، هجر للطباعة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ، ج ٢، ص ١٦١.

(٦) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلانيّ (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف النّظاميّة، الهند، ط ١، ١٣٢٥هـ، ج ٩،
 ص ٣٠.

(٧) عمرو بن مالك الأزديّ، شاعر جاهليّ، يمانيّ، من فحول الطّبقة الثّانية، كان من فُتّاك العرب وعدائهم، وهو أحد
 الخُلعاء الذين تبرأت منهم عشائهم، وفي (الأمثال): "أعدى من الشنفرى"، وهو صاحب (لاميّة العرب)، توفّي سنة
 سبعين قبل الهجرة. انظر: مجمع الأمثال: ٦/٤٦، وشرح الحماسة للمرزوقيّ: ٤٨٧-٤٩٠، وشرح الحماسة للتبريزيّ:
 ٢٣/٢٦-٢٧، والأعلام: ٥/٨٥.

(٨) طبقات النحاة واللّغويّين، تقيّ الدّين بن قاضي شهبه الأسديّ الشافعيّ، (ت: ٨٥١هـ)، تحقيق: محسن غياض، مطبعة
 الثّعمان، بغداد، (د. ط)، ١٣٩٣هـ، ج ٩، ص ٣٠.

الحصر: محمد بن إبراهيم الفزاري^(١)، جاء في (معجم الأدباء): وحكي عنه أنه قال: قرأت كتاب (الأمثال) للأصمعيّ على الأصمعيّ، ومنّ زعم أنه قرأه عليه غيري فقد كذب^(٢)، ومن تلاميذه أيضاً: أبي عثمان المازني^(٣) البصريّ النحويّ، جاء في (وفيات الأعيان): وأخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعيّ وغيرهما^(٤).

ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه: ابن أخيه عبد الرحمن^(٥)، وابن أخته: أبو نصر^(٦)، حيث كان الأصمعيّ ييغضه، ومنهم أبو عمر الجرمي^(٧)، جاء في (تاريخ بغداد): "كان فقيهاً عالمًا بالنحو واللغة، ديبًا ورعًا حسن المذهب، صحيح الاعتقاد، وأخذ اللغة عن الأصمعيّ^(٨)، ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه: القاسم بن سلام^(٩)، وأبو حاتم السجستاني^(١٠)، وأبو الفضل الرياشي^(١١)،

(١) الفزاريّ: محمد بن إبراهيم بن محمد بن حبيب بن سمرة، كان نحوياً ضابطاً جيّد الخطّ، عالمًا بالفلك، أوّل من عمل في الإسلام اسطرلاباً، قال عنه صاحب (الوفاي بالوفيات): "إنّه أحد أربعة لم يُدرَك مثلهم"، توفي سنة ثمانين ومائة هجرة. انظر: الوفاي بالوفيات: ١/١٤٥-١٤٦، والأعلام: ٥/٢٩٣.

(٢) معجم الأدباء، أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرّوميّ الحمويّ (ت: ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، ١٤١١هـ، ج ٥، ص ٧٩.

(٣) بكر بن محمد بن حبيب، أبو عثمان المازنيّ، أحد الأئمّة في النحو، ووفاته بالبصرة سنة تسع وأربعين ومائتين هجريّة. انظر: تاريخ بغداد: ٧/٩٣، والأعلام: ٢/٦٩.

(٤) انظر: وفيات الأعيان: ١/٢٨٣.

(٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب، روى عن عمّه علماً كثيراً، وقرأ كتبه، لم تُذكر له سنة وفاة، ولكنّ أبا نصر كان أسنّ منه. انظر: مراتب النّحويّين: ٨٢.

(٦) أحمد بن هشام: سكن بغداد، وكان الأصمعيّ يميّته ويُسوّه، توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين هجريّة. انظر: مراتب النّحويّين: ٨٣.

(٧) صالح بن إسحاق، الجرميّ بالولاء، أبو عمر: فقيه، عالم بالنحو واللغة، من أهل البصرة، تُوفي سنة خمس وعشرين ومائتين للهجرة. انظر: بغية الوعاة: ٢/٩، والأعلام: ٣/١٨٩.

(٨) انظر: تاريخ بغداد: ٣/٣١٣.

(٩) القاسم بن سلام أبو عبيد، كان ذا فضل ودين وستر ومذهب حسن، روى عن جماعة ومنهم الأصمعيّ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين هجريّة عن سبع وستين سنة. انظر: تاريخ بغداد: ١٢/٤٠٣-٤١٥.

(١٠) سهل بن محمد بن عثمان السجستانيّ: من كبار العلماء باللغة والشعر، كان إماماً في علوم القرآن، روى عن جماعة ومنهم الأصمعيّ، له نيف وثلاثون كتاباً، توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين. انظر: وفيات الأعيان: ٣/٤٣٠، وبغية الوعاة: ١/٦٠٦، والأعلام: ٣/١٤٣.

(١١) العباس بن الفرّج بن عليّ بن عبد الله الرياشيّ البصريّ من الموالي، أبو الفضل: لغويّ راوية، عارف بأيام العرب، روى عنه المبرّد في الكامل، قُتل في البصرة سنة سبع وخمسين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد: ١٢/١٣٨، وبغية الوعاة: ٢/٢٧، والأعلام: ٣/٢٦٤.

وأحمد بن محمد اليزيدي^(١)، ومنهم أبو العيناء^(٢)، ذكره ابن النديم في (فهرسه) قال: "وروى عن الأصمعي وغيره من العلماء"^(٣).

ومن الذين رَوَوْا عن الأصمعي أبو عثمان المازني، نقل الرافعي عن كتاب (التبهيات): "وقيل لأبي عثمان المازني: لِمَ قَلَّتْ روايتك عن الأصمعي؟ قال: "رُميتُ عنده بالفدر والميل إلى مذهب الاعتزال؛ ثم ذكر قصدة أنه جاءه يوماً، فاستدرجه الأصمعي إلى الإقرار بعقيدته ليغري به العامة، وقال في آخرها: "ثم أطبق"؛ يعني الأصمعي نعليه وقال: "نعم القناع للقدري، فأقلتُ غشيانه بعد ذلك"^(٤)، فهذه الرواية تدلُّ على أن أبا عثمان المازني كان يتردد على الأصمعي ويروي عنه، ويتعلم منه ويتلمذ على يديه، وبعد أن اتهمه بالاعتزال حصلت بينهما الجفوة.

٨ - مكانته العلمية:

تدلُّ مؤلفات الأصمعي وكتبه التي خلفها وراءه على أنه تبوأ مكانة عالية، فهو عالم ناقد لغوي راوية، وكان للفترة التي عاشها الأصمعي - وهي ليست بالقصيرة - أثر في تمكنه من تأليف العديد من المؤلفات الأدبية، وما كان ليصل إلى تلك المرتبة الرفيعة إلا لغزارة علمه، وتنوع ثقافته، فمؤلفاته تدلُّ على أنه كان موسوعة علمية في عصره، فاشتهر ذكره في الآفاق، ويستدلُّ الباحث على مظاهر هذه الشهرة بأمر منها:

أ - كتبه ومؤلفاته:

من العوامل التي حققت شهرة للأصمعي مؤلفاته، حيث اهتم بها دارسو اللغة العربية قديماً وحديثاً، فاشتغل الناس بكتبه: قراءة، وشرحاً، ودراسةً، واشتهرت كتبه بالمغرب كما اشتهرت بالمشرق، فأنتوا عليه، ولاقت كتبه استحسان الكثير من العلماء والمفكرين، لدرجة أنها عدت من نفائس التراث العربي، وسيتم الحديث بعد قليل عن كتبه بشيء من التفصيل.

ب - توثيق العلماء له وشناؤهم عليه:

جاءت أخباره متناثرة في مختلف الكتب الأدبية، وفي كتب اللغة والمعاجم وشروح الدواوين

(١) أحمد بن محمد اليزيدي: كان أديباً، عالماً بالنحو، شاعراً، مات قبل سنة ستين ومائتين هجرية. انظر: تاريخ بغداد: ١١٧/٥.

(٢) محمد بن القاسم، أبو العيناء: أديب فصيح، من ظرفاء العالم، ومن أسرع الناس جواباً، اشتهر بنوادره ولطائفه، وكان ذكياً جداً، حسن الشعر، مليح الكتابة والنرسل، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين هجرية. انظر: تاريخ بغداد: ١٧٠/٣، ومعجم الشعراء: ٤٤٨، والأعلام: ٣٣٤/٦.

(٣) انظر: الفهرست: ١٧٠/٣.

(٤) انظر: تاريخ آداب العرب: ٣٥٦/١.

وغيرها، ومما يدلُّ على علوِّ مرتبته العلميَّة: إجماع العلماء - الذين ترجموا له - على الثناء عليه، وقيل قديماً: "الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً ما لم يروا عنده آثار إحسان"^(١).

ووصفه ابن خلكان بقوله: "كان الأصمعيُّ صاحب لغة ونحو، وإماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب"^(٢)، وقال عنه بعض العلماء: "كان الأصمعيُّ يحفظ ثلث اللُّغة"^(٣)، وقال الربيع بن سليمان^(٤): "سمعت الشافعيَّ - رحمه الله - يقول: ما عبَّر أحد بأحسن من عبارة الأصمعيِّ"^(٥)، وجاء في (نزهة الألباء): "وروي عن ابن أبي خينمة^(٦) قال: سمعت يحيى بن معين^(٧) يقول: "الأصمعيُّ ثقة"، ونُقل عن الشافعيِّ قوله: "ما رأيتُ بذلك المعسكر أصدق من الأصمعيِّ"، وسئل أبو داود^(٨) عن الأصمعيِّ، فقال: "صدوق"^(٩).

ت - تميُّزه عن علماء عصره:

ومن أهم العوامل التي جعلته يحقِّق مثل هذه الشهرة، تميُّزه على علماء عصره، ويذكر الباحث مثلاً على ذلك ما أورده السيوطيُّ^(١٠) في (المزهر)^(١١): "سأل الرِّشيد أهل مجلسه عن

(١) نفع الطَّيب من غصن الأندلس الرِّطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، (ت: ٨٤٧هـ)، تحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ط.)، ١٣٨٦هـ، ج ٥، ص ٣٥١.

(٢) وفيات الأعيان: ١/١٨١.

(٣) انظر: العبر في خبر من عَبر، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقق: محمد السعيد زغول، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د. ط.)، (د. ت.)، خ ١، ص ٢٨٩.

(٤) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي صاحب الشافعيِّ وراويَّة كُتبه، والنِّقَّة الثَّبت فيما يرويه، توفِّي سنة سبعين ومائتين. انظر: وفيات الأعيان: ٢/٢٩١، وطبقات الشافعية الكبرى: ٢/١٣١.

(٥) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، د. ط. ١٤٠٦هـ. خ ٢، ص ٣٧.

(٦) أحمد بن أبي خينمة: زهير بن حرب: كان ثقة، عالماً، متفناً، حافظاً، بصيراً بأيام النَّاس، راوية للأدب، مات سنة تسع وسبعين ومائتين هجرية. انظر: تاريخ بغداد: ٤/١٦٢.

(٧) يحيى بن معين بن عون البغدادي، أبو زكريا: من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، مات في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين هجرية. انظر: الأعلام: ٨/١٧٢-١٧٣.

(٨) أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني: إمام أهل الحديث في زمانه، توفِّي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد: ٩/٥٥، ووفيات الأعيان: ٢/٤٠٤-٤٠٥.

(٩) انظر: نزهة الألباء: ١٠٠.

(١٠) السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، نشأ في القاهرة يتيمًا، كان يُلقَّب ب(ابن الكتب)؛ لأنَّ أمه ولدته وهي بين الكتب! ولمَّا بلغ أربعين سنة اعتزل النَّاس، وخلا بنفسه في روضة المقياس منزويًا، فألَّف أكثر كُتبه، له نحو ستمائة مصنَّف، توفِّي سنة إحدى عشرة وتسعمائة هجرية. انظر: همع الهوامع: ١/٣-١٣، والأعلام: ٣/٣٠١.

(١١) المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د. ط.)، ١٤١٨هـ، ج ١، ص ١٣٢.

صدر هذا البيت: (وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ؟)، فلم يعرفه أحد فقال إسحاق الموصلي: "الأصمعي مريض، وأنا أمضي إليه فأسأله عنه"، فقال الرّشيد: "احملوا إليه ألف دينار لنفقته، واكتبوا في هذا إليه"، قال: فجاء جوابُ الأصمعيّ: أنشدنا خلف لأبي النّشاشِ النّهشليّ^(١):

وَسَائِلَةٌ أَيْنَ الرَّحِيلُ وَسَائِلِ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ^(٢)

٩- منزلته الشعريّة:

لم يُعرف الأصمعيُّ بين أوساط النّاس شاعراً كما عُرف راويةً للشّعر؛ ذلك لأنّ نصيبه في قول الشّعر قليل، وتعدّ ثقافته الأدبيّة امتداداً لثقافته اللّغويّة والنّحويّة، فقد كان له نصيب وافر منها جعلته في مكانة سامية رفيعة، ينقل عنه الأدباء وأهل العلم والرّواية، وما أبياته التي ناظر بها (العاشق المجهول) إلاّ واحدة من مقطوعاته الشعريّة التي تدلُّ على براعته الأدبيّة واللّغويّة، وقدرته على التّلاعب بالألفاظ، والقدرة على اختيار الألفاظ المناسبة، والمقدرة على المناظرة والمعارضة والمحاكاة، وتدلُّ أيضاً على معرفته بالشّعر والقدرة على نقده، وسأذكر مثلاً من مناظراته التي تدلُّ على براعته الشعريّة في المسألة التّالية من مسائل هذا المبحث.

١٠- من طرائفه ومناظراته:

أ- الشعريّة: أذكر منها مثلاً واحداً آخذه من كتابٍ للأبشيهيّ^(٣)، حيث ورد فيه: وحكى الأصمعيّ قال: بينما أنا أسير في البادية إذ مررتُ بحجرٍ مكتوب عليه هذا البيت: (الطويل)

أَيَا مَعْشَرَ الْعُشَّاقِ بِاللَّهِ خَبَرُوا إِذَا حَلَّ عِشْقٌ بِالْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ

فكتبتُ تحته:

يُدَارِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ سِرَّهُ وَيَخْشَعُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ

ثمّ عدتُ في اليوم الثّاني فوجدتُ مكتوباً تحته:

فَكَيْفَ يُدَارِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى وَفِي كُلِّ يَوْمٍ قَابُلهُ يَتَقَطَّعُ

(١) أبو النّشاشِ النّهشليّ النّميميّ، شاعر أمويّ، من لصوص بني تميم، ظفر به بعض عمّال مروان بن الحكم، فحبسه ثمّ هرب. انظر: الجليس الصّالح الكافي والأنيب النّاصح الشّافي: ٣/٣١٢.

(٢) البيت على الطّويل، في ديوان الأصمعيّات: ص ١٣١، رقم ١.

(٣) محمّد بن أحمد بن منصور الأبشيهيّ، بهاء الدّين، أبو الفتح، وفي لغته ضعف؛ لعدم إمامه بشيء من النّحو، يقع في كلامه اللّحن كثيراً، تُوفّي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة هجريّة. انظر: الضّوء اللامع للسّخاوي:

١٠٩/٥، والأعلام: ٣٣٢-٣٣٣.

فكتبته تحته:

إِذَا لَمْ يَجِدْ صَبْرًا لِكِتْمَانِ سِرِّهِ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ أَنْفَعُ

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شاباً مُلقًى تحت ذلك الحجر ميّناً - لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقد كتب قبل موته:

سَمِعْنَا أَطْعَمَنَا ثُمَّ مِتْنَا فَبَلِّغُوا سَلَامِي عَلَى مَنْ كَانَ لِلْوَصْلِ يَمْنَعُ^(١).

ب- **النثرية:** أذكر منها مثلاً واحداً آخذه من كتاب (مجالس العلماء)، حيث ذكر الزجاجي^(٢) ثلاث عشرة مناظرة للأصمعي مع مجموعة من علماء عصره، وهي من أطرف وأجمل المناظرات التي تناقلتها كتب الأدب، قال أبو عمر الجرمي يوماً في مجلس الأصمعي: أنا أعلم الناس بالأنحو، فسكت عنه الأصمعي ساعة، ثم قال له: يا أبا عمر، كيف تنشد؟

قَدْ كُنَّ يُكْنِنُ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فَالآنَ حِينَ بَدَيْنَ لِلنُّظَارِ^(٣)

كيف تقول: بدين أو بدان؟ قال أبو عمر: بدان، فقال له الأصمعي: يا أبا عمر، أنت أعلم الناس بالأنحو - يمازحه - وإنما هو (بدون)؛ لأنه من بدا يبدو؛ أي: ظهرن^(٤)، وذكر ابن جني قال: "إن أبا عمر تغفل الأصمعي فجاءه يوماً، وهو في مجلسه فقال له أبو عمر: كيف تحقر مختاراً فقال الأصمعي: مخيتير، فقال له أبو عمر: أخطأت، إنما هو مخير أو مخيير تحذف التاء؛ لأنها زائدة"^(٥).

١١ - منزلته بين علماء عصره:

كان الأصمعي متفوقاً على علماء عصره، ومما يدل على هذا التفوق القصص الكثيرة التي رويت عنه، منها ما ورد في (تاريخ بغداد): "قال الأصمعي: دخلت أنا وأبو عبيدة على الفضل بن

(١) انظر: المستطرف في كل فن مستظرف، محمد بن أحمد شهاب الدين أبي الفتح الأبيشي، (ت: ٨٥٢هـ)،

تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٨، ١٤٠٦هـ، ج ٧، ص ١٠٩.

(٢) الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم: شيخ العربية في عصره، وُلد في نهاوند، ونشأ في بغداد، نسبته إلى أبي إسحاق الزجاج، وتوفي في طبرية سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة. انظر: وفيات الأعيان: ١٣٦/٣، والوافي بالوفيات: ٦٧/١٨، وبغية الوعاة: ٧٧/٢، والأعلام: ٢٩٩/٢.

(٣) البيت للربيع بن زياد العبسي من قصيدة يرثي فيها مالك بن زهير على (الكامل)، وهي في (عيار الشعر) لابن طباطبا العلوي، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر: ٥١/١، وفي (شرح ديوان الحماسة) للتبريزي: ٢٦/٣.

(٤) مجالس العلماء، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت: ٣٤٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، وزارة الإعلام، الكويت، ط ٢، ١٤٠٤، ص ١٤٤.

(٥) انظر: الخصائص: ٣٠٠/٣.

الرَّبِيع^(١) فقال: يا أصمعي، كم كتابك في الخيل؟ قال: قلت: جلد، قال: فسأل أبا عبيدة عن ذلك، فقال: خمسون جلدًا، قال: ثم أمر بإحضار فرس، فقال لأبي عبيدة: اقرأ كتابك حرفًا حرفًا، وضع يدك على موضع موضع، فقال أبو عبيدة: ليس أنا ببيطار، إنما ذا شيء أخذته وسمعتة من العرب وألفته، فقال لي: يا أصمعي، قم فضع يدك على موضع موضع من الفرس ففقت ثم وضعت يدي على ناصيته فجعلت أقبض منه بشيء شيء، فأقول: هذا اسمه كذا، وأنشد فيه حتى بلغت حافره، قال: فأمر لي بالفرس، فكننت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبت الفرس وأتيت^(٢).

وذكر ابن خلكان هذه الحادثة، ولكنه ذكر أنها رويت من طريق أخرى، وأن ذلك كان عند هارون الرشيد، وأن الأصمعي لما فرغ من كلامه في أعضاء الفرس قال الرشيد لأبي عبيدة: ما تقول فيما قال، قال: أصاب في بعض وأخطأ في بعض، فالذي أصاب فيه مني تعلمه، والذي أخطأ فيه ما أدري من أين أتى به؟^(٣). وإن دلت مثل هذه الروايات على شيء فإنها تدل على أمرين: أحدهما: أن الأصمعي كان متفردًا ومتميزًا على علماء عصره، والآخر: وجود تنافس شديد بين العلماء في ذلك العصر، حيث يدعي كل واحد الفضل لنفسه دون الآخرين، وأنه صاحب فضل عليهم، وهذه أعداها من المنافسة الشريفة التي لا بد منها؛ لأنها تربي لدى الأفراد ملكة الإبداع، ولما لها من أهمية في خدمة لغتنا العربية.

١٢ - آثاره ومؤلفاته:

ألف الأصمعي مجموعة من الكتب القيمة، التي نالت استحسان كثير من العلماء العرب والأجانب، وتعد من نفائس التراث، في حين ضاع جزء من هذه المؤلفات، فلم تجد له أثرًا في المكتبات، واعتبرها العلماء من الكتب المفقودة، وبقيت بعض الكتب متناثرة في المكتبات هنا وهناك، وقد انبرى عدد من الدارسين فعملوا على تحقيق جزء منها، وقد صنّف محققًا الأصمعيات^(٤): أحمد شاکر، وعبد السلام هارون مؤلفات الأصمعي إلى مؤلفات مطبوعة، ومؤلفات غير مطبوعة، كما صنّف صلاح الدين المنجد كتب الأصمعي ومؤلفاته إلى التصنيف نفسه، في مقدمته التي قدّم فيها لكتاب (فحولة الشعراء)^(٥) للأصمعي، ولكن التصنيفات التي ذكرت طرأ عليها

(١) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس: وزير للرشيد العباسي، أديب حازم، توفي سنة ثمان ومائتين هجرية. انظر: تاريخ بغداد: ٣٤٣/١٢، والأعلام: ١٤٨/٥.

(٢) تاريخ بغداد: ٢١٤/١٠.

(٣) انظر: وفيات الأعيان: ١٧٦/٣.

(٤) الأصمعيّات، اختيار عبد الملك بن قُريب الأصمعيّ، (ت: ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد شاکر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٣، (د.ت)، ص١٢.

(٥) انظر: فحولة الشعراء، عبد الملك بن قُريب الأصمعيّ، (ت: ٢١٦هـ)، تحقيق المستشرق: تشارلز توري، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ، ص٧.

تعديل مع مرور الزمن، فغير المطبوع قد يصبح مطبوعاً مع مرور الأيام؛ لذلك آثرتُ عدم الاهتمام بهذا التصنيف.

وقدّر العلماء مؤلفات الأصمعيّ حقّ قدرها، ويشهد له أمران: الأول: احتفاؤهم بها في حياة مؤلفها، والآخر: حرصهم عليها وقيامهم على دراستها وتدريسها خير قيام، ويُعتَقَد أنّ هذه الكتب لاقت قبولاً لدى العلماء في حياته وظلّت محلّ عنايتهم بعد وفاته وما زالت، ولمّا لم يستطع المؤرخون ترتيب هذه الآثار ترتيباً زمنياً، فقد آثرتُ ذكرها كما وردت في كتب الأدب.

جاء في (الفهرست): "وله من الكتب: كتاب خلق الإنسان، وكتاب الأجناس، وكتاب الأنواء، وكتاب الهمز، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الفرق، وكتاب الصفات، وكتاب الأثواب، وذكر هذا الكتاب في (انباه الرّواة) باسم: (الأبواب)^(١)، وكتاب الميسر والقِداح، وكتاب خلق الفرس، وكتاب الخيل، وكتاب الإبل، وكتاب الشّاة، وكتاب الأخبية والبيوت، وكتاب الوحوش، وكتاب الأوقات، وكتاب فعل وأفعل، وكتاب الأمثال، وكتاب الأضداد، وكتاب الألفاظ، وكتاب السّلاح، وكتاب اللّغات، وكتاب الاشتقاق، وكتاب النّوادر، وكتاب أصول الكلام، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب الأراجيز، وكتاب جزيرة العرب، وكتاب الدّلّو، وكتاب الرّحل، وكتاب معاني الشّعْر، وكتاب المصادر، وكتاب القصائد السّت، وكتاب النّخلة، وكتاب النّبات والشّجر، وكتاب الخِراج، وكتاب ما اختلف لفظه وانفق معناه، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، وكتاب غريب (الحديث نحو مائتي ورقة)، وكتاب السّرج واللّجام والعقال، وكتاب غريب الحديث والكلام الوحشي^(٢)، وكتاب نوادر الأعراب، وكتاب مياه العرب، وكتاب النّسب، وكتاب الأصوات، وكتاب المذكّر والمؤنث، والأصمعيّات، وكتاب أسماء الخمر، وكتاب ما تكلم به العرب فكثر في أفواه النّاس"^(٣).

وذكر صاحب (كشف الظنون)^(٤) له كتاباً لم يذكره الآخرون، وهو: فتوح عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعيّ^(٥)، وذكر الاسم الكامل لكتاب: (الأجناس) وهو: الأجناس في أصول الفقه^(٦).

(١) انظر: انباه الرّواة: ٢٠٢/٢.

(٢) وأعتقد أنّ ابن النّديم غلط؛ لأنّ الكلام لا يوصف بالوحشيّ وإنّما يوصف بالوحشيّ.

(٣) انظر: الفهرست: ٨٢/١، وانباه الرّواة: ٢٠٢/٢.

(٤) مصطفى بن عبد الله كاتب حلبيّ، المعروف باسم حاجي خليفة: مؤرخ بحائثة، تركيّ الأصل، مستعرب، مولده ووفاته في القسطنطينيّة. تولّى أعمالاً كتابيّة في الجيش العثمانيّ، وانقطع في السّنوات الأخيرة من حياته إلى تدريس العلوم، توفّي: سنة سبع وستين وألف هجريّة. انظر: الأعلام: ٢٣٦/٦.

(٥) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطينيّ الرّوميّ الحنفيّ، (ت: ١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، ١٤١٣هـ. ج ٢، ص ١٢٤٠.

(٦) نفسه: ١١/١.

وذكر في هامش (انباء الرواة) عدة كتب له ومنها: كتاب الدارات، وكتاب النخل والكروم، وكتاب فحولة الشعراء^(١).

وخاصة ما يلاحظ على هذه المؤلفات أن صاحبها ألف كتباً كثيرة تدل على ثقافة متنوعة وإطلاع واسع، ويغلب على معظم كتبه الطابع اللغوي، ووصلت إلينا مجموعة من كتبه، وضاع بعضها، ومما يدل على ذلك الكارثة الثقافية الكبرى التي حصلت سنة ست وخمسين وستمائة هجرية، حيث ثبت أن التتار جعلوا من الكتب جسراً على نهر دجلة يمرّون عليه بخيولهم، ومن المعتقد أن الأثر المدمر لهذه الكارثة قد أصاب مؤلفات الأصمعي كما أصاب غيرها من المؤلفات الأخرى.

كما تم تحقيق وطباعة قسم من هذه المؤلفات، في حين ينتظر القسم الآخر من يحققه فرمًا توجد للأصمعي مؤلفات لم يتم اكتشافها حتى الآن خاصة وأنه يُسمع كل يوم عن اكتشاف مخطوطات جديدة في تخصصات مختلفة، والباحث هنا ليس بصدد معرفة مؤلفاته المحققة وغير المحققة؛ لأن ذلك سوف يحتاج إلى المزيد من الجهد، وليترك هذا الجهد لباحثين آخرين.

١٣ - الأصمعي بين المادحين والقادحين:

كان الأصمعي من الرواة واللغويين أصحاب المكانة العالية، حيث تحدّث عنه النقاد والمتفقون، ونال شهرة عظيمة لا تقل أهمية عن الشهرة التي حقّقها كبار اللغويين والرواة، وهناك من أنصفه، وهذا ما سيّضح من خلال آراء وأقوال الذين تحدّثوا عنه، فمعظمهم لم يألوا جهداً في إنصافه.

أولاً: المادحون

والمطلّع على هذا التمهيد - الذي يُترجم فيه للأصمعي - بكلّيته يتّضح له بصورة جليّة لا تقبل التأويل مدى الإطراء والإعجاب الذي نالهما الأصمعي من عدد كبير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم، وسأكتفي بذكر مثال واحد، وليكن ما قاله ابن جني: "وإليه محط الأعباء والثقل، ومنه تُجنى الفقر والملح، وهو ريحانة كل مغتبق ومصطبّح"^(٢).

(١) انظر: انباء الرواة: ٢/٢٠٣.

(٢) الخصائص: ٣/٣١١.

ثانياً: القادحون

جاء في (مراتب النحويين): "وكان أبو زيد^(١)، وأبو عبيدة يخالفانه ويناوئانه كما يناوئهما، فكلهم يطعن على صاحبه بأنه قليل الرواية"^(٢). ومن عجيب ما حكى في بعض كتب الأدب أن البعض تعرّض للأصمعيّ بالهجاء المقذع بعد وفاته، ممّا حملني على التّفكير في عدم ذكر هذا الهجاء؛ لأنّه قد اعتراني الشكّ في صحّة ما نُقل في هجاء الأصمعيّ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ الذين أثّروا عليه أكبر بكثير من الذين ذمّوه، ولا أنكر وجود مبغضين للأصمعيّ، ولكنهم عندما تعرّضوا له بالطّعن في حياته، لم يصل بهم الأمر إلى هذا الحدّ بعد وفاته، وأمثلة - على سبيل المثال - بما جاء في (مراتب النحويين): "وكان أبو عبيدة يطعن على الأصمعيّ بالبخل وضيق العطن، وكان الأصمعيّ إذا ذكر أبا عبيدة قال: ذاك ابن الحائك"^(٣)، هكذا كان الطّعن في حياته، لا يتّصف بالشدّة، ومن ناحية أخرى لا يجوز ذكر مثالب الميّت حتّى لو اتّصف بها في حياته مصداقاً لقوله - صلى الله عليه وسلم: "ادْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ"^(٤).

وعودة إلى الأمر الغريب والمستهجن الذي تناقلته بعض كتب الأدب من أنّ أحد الشعراء تعرّض للأصمعيّ بالهجاء والتّجريح بعد موته، واتّهمه بأنّه كان يُبغض النّبّي - صلى الله عليه وسلم - وأهل بيته، ذكر الخطيب البغداديّ قصّة غريبة من نوعها قال: حدثني أبو قلابة الجرمي^(٥) الشّاعر بعد موت الأصمعيّ، قال: (الخفيف)

لَعَنَ اللهُ أَعْظَمًا حَمَلُوهَا
نَحْوَ دَارِ الْبَلَاءِ عَلَى خَشَبَاتِ
أَعْظَمًا تُبْغِضُ النَّبِيَّ وَأَهْلَ الْـ
بَيْتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ^(٦)

(١) أبو زيد: سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاريّ: أحد أئمّة الأدب واللّغة البصريّين، كان يرى رأي القدرية، وهو من ثقات اللّغويّين، قال ابن الأنباريّ: "كان سيّويه إذا قال: (سمعت الثّقّة) عنيّ أبا زيد"، من تصانيفه كتاب: (النّوادر في اللّغة)، توفّي سنة خمس عشرة ومائتين هجريّة. انظر: معجم الأديباء: ٣/٣٧٦ - ٣٧٨، ووفيات الأعيان: ٢/٣٧٨، وبغية الوعاة: ١/٥٨٢، والأعلام: ٢/٩٢.

(٢) انظر: مراتب النحويّين: ٥٠.

(٣) نفسه: ٥٠.

(٤) الجامع الكبير "سنن الترمذي"، باب ما جاء في نضح بول الغلام، ٢/٣٢٩ (١٠١٩)، ط ٢، دار الجيل - دار الغرب الإسلاميّ.

(٥) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي: عالم بالقضاء والأحكام، ناسك، من أهل البصرة، وكان من رجال الحديث الثّقات، توفّي بالشّام سنة أربع ومائة هجريّة. انظر: حلية الأولياء وطبقة الأصفياء: ٢/٢٨٢، والأعلام: ٨٨/٤.

(٦) انظر: تاريخ بغداد: ١٠/٤١٨.

وجاءت الرواية من طريق أخرى، ورد في كتاب: (حياة الحيوان الكبرى): "قال أبو العيناء: كنا في جنازة الأصمعيّ، فحدّثني أبو قلابة الشاعر، وأنشدني لنفسه"^(١): (ما ذكرناه أعلاه من شعر). وفي الوقت الذي هُجّي فيه الأصمعيّ بعد موته، فإنّه أبّن بأبيات جميلة، أوردها الدّميريّ^(٢)، يقول^(٣): (البسيط)

لا درّ درّ نَبَاتِ الْأَرْضِ إِذْ فُجِعَتْ بِالْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ أَبَقْتُ لَنَا أَسْفَا
عِشْ مَا بَدَا لَكَ فِي الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى فِي النَّاسِ مِنْهُ وَلَا مِنْ عِلْمِهِ خَلْفَا^(٤).

انبرى ابن جنّي للدّفاع عن الأصمعيّ، فنقد أقوال من يقدح فيه، حيث أنّهم بأنّه يزيد في كلام العرب، بقوله: "وأما إسفاف من لا علم له وقول من لا مسكة به: إنّ الأصمعيّ كان يزيد في كلام العرب، ويفعل كذا، ويقول كذا، فكلام معفو عنه غير معبوء به، ولا منقول عن مثله"^(٥)، وجاء في (مراتب النّحويين): "يحكون أنّ رجلاً سأل ابن أخ الأصمعيّ (عبد الرّحمن)، قال: ما فعل عمك؟ فقال: قاعد في الشّمس يكذب على الأعراب، ويدافع عنه أبو الطيّب اللّغويّ"^(٦) بقوله: هذا باطل، ما خلق الله منه شيئاً، فأما ما يحكيه العوام وسقّاط النّاس من نوادر الأعراب ويقولون: هذا ممّا افتعله الأصمعيّ، وأنّى يكون الأصمعيّ؟ كما زعموا، وهو لا يفتي إلّا فيما أجمع عليه العلماء، ويقف عمّا ينفردون به عنه ولا يجوّز إلّا أفصح اللّغات ويلجّ في دفع ما سواه!"^(٧).

١٤ - آراء النّقاد المحدثين فيه:

يعتبره شوقي ضيف من أوثق رواة الشّعْر الجاهليّ، يقول: "إنّما نعتمد على ما رواه الأصمعيّ، وننّخذّه أساساً لبحث الشّاعر وشعره"^(٨)، ويؤيّد شوقي ضيف الفكرة القائلة: "إنّ (المفضّليات) و(الأصمعيّات) أهمّ مجموعتين للشّعْر القديم ألّفتا في العصر العبّاسيّ، وهما تزخران

(١) انظر: حياة الحيوان الكبرى، كمال الدّين محمّد بن موسى الدّميريّ، (ت: ٨٠٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ج ٢/ص ٤٨٥.

(٢) محمّد بن موسى بن عيسى الدّميريّ، أبو البقاء، كمال الدّين: باحث، أديب، من فقهاء الشّافعيّة من أهل دميرة بمصر، توفّي بها سنة ثمان وثمانمئة هجريّة. انظر: الأعلام: ٧/١١٨-١١٩.

(٣) نسبها لأبي العالية الشّاميّ (الشّاعر)، اسمه: الحسن بن مالك. انظر: (هامش) الأصمعيّات المصريّة: ١٢.

(٤) حياة الحيوان الكبرى: ٢/٤٨٥.

(٥) الخصائص: ٣/٣١١.

(٦) عبد الواحد بن عليّ الحلبيّ، أبو الطيّب اللّغويّ: أديب، أحد العلماء المبرزين المتفنّين بعلمي اللّغة والعربيّة سكن حلب، وقتل فيها سنة إحدى وخمسين وثلثمائة هجريّة. انظر: بغية الوعاة: ٢/١٢٠، والأعلام: ٤/١٧٦.

(٧) انظر: مراتب النّحويين: ٤٩.

(٨) تاريخ الأدب العربيّ، (العصر الجاهليّ): ٢٧٧.

بالغريب"^(١)، ومن هنا يتضح أن رواية الأصمعيّ تعدُّ من الروايات الصّحيحة الموثوقة التي لا يعترّيهما الشكّ ممّا يوحي بأنّ اختياراته كانت بعيدة كلّ البعد عن نسبة هذه الأعمال لغير أصحابها.

١٥ - من أقواله:

يُروى عنه^(٢) أنّه كان يقول: "أشدُّ النَّاسِ الأعْجَفُ الصَّخْمُ، وأخبثُ الأفاعي: أفاعي الجَدْبِ، وأخبثُ الذَّنَابِ: ذناب الغُضَى"، ويبدو أنّه متأثرٌ في العبارة الأخيرة بالمثل العربيّ القائل: "أخبثُ من ذُنْبِ الغُضَى"^(٣).

وكان الأصمعيّ يقول: "بشّار^(٤) خاتمة الشعراء، والله لولا أنّ أيامه تأخّرت، لفضّلته على كثير منهم"^(٥).

١٦ - رأيه في الشّاعر المطبوع والشّاعر المصنوع:

فالشّاعر المطبوع عنده هو الذي يقول ما يخطر بباله، دونما إعداد مسبق، ودون تزيين أو تحسين قبل عرضه على مسامع النَّاسِ، وأورد ابن جيّ في (الخصائص): وكان الأصمعيّ يعيب الحُطَيْبَةَ^(٦) ويتعقّبه فقيلاً له في ذلك، فقال: وجدتُ شعره كلّهُ جيّداً، فدلّني على أنّه كان يصنعه، وليس هكذا الشّاعر المطبوع: إنّما الشّاعر المطبوع الذي يرمي بالكلام على عواهنه، جيّده على رديئه"^(٧)، وجاء في (البيان والتبيين): "وكان الأصمعيّ يقول: زهير بن أبي سلمى^(٨) والحطيبية

(١) انظر: تاريخ الأدب العربيّ، (العصر العبّاسيّ الأوّل): ١٣٨-١٣٩.

(٢) انظر: المزهري: ١١٩/١.

(٣) انظر: مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد بن أحمد النّيسابوريّ الميدانيّ، (ت: ٥١٨)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّنة المحمّديّة، (د. ق)، (د. ط)، ١٣٧٤هـ، ج ١، ص ٢٥٩. وتجد أنّ الميدانيّ ينسب هذه الأقوال لابنة الحُصّ، ويعدّها من أسجاعها.

(٤) بشّار بن برد العُقيليّ، بالولاء، أبو معاذ: أشعر المولّدين على الإطلاق، وكان ضريزاً، وشعره كثير منقرّق، قال عنه الجاحظ: كان شاعراً راجزاً، سجّاعاً خطيباً، صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة، اتّهم بالزّندقة، مات سنة سبع وستين ومائة هجرية. انظر: تاريخ بغداد: ١١٢/٧، وخزانة الأدب: ٢١٨/٣، والأعلام: ٥٢/٢.

(٥) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرّحمن بن عليّ بن الجوزيّ، (ت: ٥٩٧هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ، ج ٨، ص ٢٨٩.

(٦) الحُطَيْبَةُ: جرول بن أوس بن مالك: لُقّب بالحُطَيْبَةُ؛ لقصره، والحطيبية: الرّجل القصير، قال ثعلب: وسُمّي الحطيبية؛ لدمايته، وقيل: لأنّه صرّط بين قوم، فقيل له: ما هذا؟ فقال: حُطَيْبَةُ، وقيل: لأنّه كان محطوء الرّجل؛ أي: لا أخمص لها، وهو أحد فحول الشعراء، وكان سفيهاً شريزاً. توفّي سنة خمس وأربعين هجرية. انظر: الشّعْر والشّعراء: ٣٢٢/١-٣٢٨، ووفيات الأعيان: ١٩٢/٥، وخزانة الأدب: ٣٥٩/٢، والأعلام: ٣٤/٣.

(٧) انظر: الخصائص: ٢٨٢/٣.

(٨) زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رباح المزنيّ، من مُضَرّ: حكيم الشعراء في الجاهليّة، ومن أئمّة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة، قال ابن الأعرابيّ: "كان لزهير في الشّعْر ما لم يكن لغيره"، كان أبوه، وخاله وابناه شعراء، توفّي سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة. انظر: الشّعْر والشّعراء: ١٣٧/٢-١٥٣، والأعلام: ٥٢/٣.

وأشباههما عبيد الشعر، وكذلك كلُّ مَنْ يجوّد في جميع شعره ويقف عند كلِّ بيت قاله وأعاد فيه النظر، حتّى يُخرج أبيات القصيدة كلّها مستوية في الجودة، وكان يُقال: لولا أنّ الشعر كان قد استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتّى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصدّعة^(١).

وتناول الأصمعيّ في رسالته (فحولة الشعراء) الكثير من الأحكام الأدبيّة الشّخصيّة على العديد من الشعراء وشعرهم، ومن ذلك: قال أبو حاتم: سألتُ الأصمعيّ عن الفحيف العامريّ^(٢) الذي قال في النّساء، قال: ليس بفصيح، ولا بحجّة، وسألته عن زياد الأعجم^(٣)، فقال حجّة لم يتعلّق عليه بلحن^(٤).

١٧ - الأصمعيّ والقراءات:

لم يكن الأصمعيّ راويةً من الطّراز الأوّل للغة والشّعر فحسب ولكنّه كان يروي وينقل عن القراء أيضًا، ومما يدلُّ على ذلك ما ورد في (تفسير البحر المحيط) في غير موضع، ومن ذلك قول المؤلّف^(٥): "روى هذه القراءة الأخيرة الأصمعيّ عن أبي عمرو ونافع"^(٦)، ويقول في موضع آخر: "والقراء على فتح راء (مرض) في الموضعين إلّا الأصمعيّ، عن أبي عمرو"^(٧).

١٨ - وفاته:

اختلف المترجمون في تاريخ وفاته اختلافًا كبيرًا على النّحو الآتي: ذكر ابن النّديم روايتين لتاريخ وفاته، إحداهما: نسبها لأبي العيّن، قال: "توفّي الأصمعيّ بالبصرة، وأنا حاضر في سنة ثلاث عشرة ومائتين"، والأخرى: جعلها مجهولة بقوله: "ويقال: مات الأصمعيّ في سنة

(١) انظر: البيان والتبيين: ١٣/٢.

(٢) الفحيف بن خمير بن سليم العقيليّ: شاعر، عدّه الجمحيّ في الطبقة العاشرة من الإسلاميين، له تشبيب بمحبوبته (خرقاء)، توفّي سنة مائة وثلاثين هجرية. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٧٩١/٢، الأعلام: ١٩١/٥.

(٣) زياد بن سليمان - أو سليم - الأعجم، أبو أمانة: من شعراء الدّولة الأمويّة، جزل الشعر، فصيح الألفاظ، أكثر شعره في مدح أمراء عصره وهجاء بخلائهم، توفّي سنة مائة هجرية. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٦٨١/٢، ٦٩٣، والشّعر والشّعراء: ٤٣٠/٢، والأعلام: ١٦٥/٣.

(٤) فحولة الشعراء: ١٦.

(٥) المؤلّف: أبو حيّان الأندلسيّ: محمّد بن يوسف بن عليّ الأندلسيّ، أثير الدّين: من كبار العلماء بالعربيّة والتّفكير والحديث والتّراجم واللّغات، المتوفّي سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة. انظر: بغية الوعاة: ٢٨٠/١، والأعلام: ١٥٢/٧.

(٦) تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسيّ، (ت: ٧٤٥هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٤، ص ٩٦.

(٧) نفسه: ١٨٧/١.

سبع عشرة ومائتين"^(١)، وجاء في (مراتب النحويين): وقال عبد الرحمن: "مات عمي في صفر سنة ست عشرة ومائتين، وله إحدى وتسعون سنة"^(٢)، وقال الخطيب البغدادي: "وبلغني أنّ الأصمعي بلغ ثمانياً وثمانين سنة وكانت وفاته بالبصرة"^(٣)، وروى البغدادي عن محمد بن أبي العتاهية^(٤) قال: لما بلغ أبي موت الأصمعي جزع عليه ورثاه، فقال: (الطويل)

أَسِفْتُ لِفَقْدِ الْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمٌ
تَقَصَّتْ بِشَاشَاتِ الْمَجَالِسِ بَعْدَهُ وَوَدَّعْنَا إِذْ وَدَّعَ الْإِنْسُ وَالْعِلْمُ
وَقَدْ كَانَ نَجْمَ الْعِلْمِ فِيْنَا حَيَاتَهُ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقَلَّ النُّجْمُ^(٥)

خلاصة ما قيل في مكان وفاته وزمانها: إنّ وفاته كانت بالبصرة على الأكثر، وقيل بـ(مرو)، أمّا زمان الوفاة فتراوح بين الاحتمالات الآتية: في (صفر) سنة ست عشرة ومائتين، أو ثلاث عشرة ومائتين، أو سبع عشرة ومائتين، ومن الملاحظ على روايات وفاته أنّها مختلفة، وسواء عاش الأصمعي سنتين أكثر أو سنتين أقلّ فهذا لا يهم كثيراً؛ لأنّ كلّ ابن أنثى لآلى زوال مهما طال عمره، والذي يهمّ هنا ما خلفه الأصمعي من ثروة لغويّة خالدة إلى أن يرث الله - سبحانه - الأرض ومن عليها، والتي أفادت منها المكتبة العربيّة كثيراً، وحققت الإثراء لعلوم اللّغة على اختلاف أنواعها - رحم الله - الفقيد وأسكنه فسيح جنّاته، وجزاه عنّا وعن المسلمين خير الجزاء، وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

(١) انظر: الفهرست: ٨٢/١.

(٢) انظر: مراتب النحويين: ٤٨.

(٣) انظر: تاريخ بغداد: ٤١٨/١٠.

(٤) محمد (العتاهية) بن إسماعيل (أبو العتاهية) بن القاسم، أبو عبد الله: شاعر عراقي مطبوع هذا طريقة أبيه في شعر الرّهد، وتقدّم في الأدب والفقّه، وولي القضاء برهة، وأخذ عنه بعض كبار العلماء في عصره. تُوفي سنة أربع وأربعين ومائتين هجريّة. انظر: الأعلام: ٣٤/٦.

(٥) انظر: تاريخ بغداد: ٤١٨/١٠، والأبيات في نزّهة الألباء: ١٠٠.

ثانياً: التّعريف بديوان (الأصمعيّات) وبيان أهميته، وفيه:

- ١- طبّعة ديوان (الأصمعيّات) ومادّته.
- ٢- توثيق نسبة الكتاب، وأصل التّسمية.
- ٣- الدّوافع من وراء تأليف الكتاب.
- ٤- المصادر التي اعتمد عليها الأصمعيّ في تأليف الكتاب.
- ٥- الكتاب وشروحاته بين المخطوطة والمطبوعة.
- ٦- مكان تأليف الكتاب ومنهجه.
- ٧- أهميّة الكتاب ومنزلته بين المجموعات الشعريّة الأخرى.
- ٨- آراء المحدثين في ديوان (الأصمعيّات).

١ - طبعة ديوان الأصمعيّات ومادته:

مِنَ المعروف أنّ هناك مجموعات شعريّة جمعها شعراء ورواة عن شعراء العربيّة، والأصمعيّات إحدى هذه المجموعات، والتي لا يشكُّ أحد في نسبتها للأصمعيّ، وهذه المجموعة تسمّى كذلك باسم الشّخص الذي اختارها وجمعها، وهو الأصمعيّ الأديب الرّأوية المشهور، يقول شوقي ضيف: "والمجموعة التّالفة من كتب المنتخبات العامّة: الأصمعيّات، نسبة إلى الأصمعيّ، راويها، وقد نشرها (الوارد)^(١) عن نسخة سقيمة في برلين سنة اثنتين وتسعمائة وألف، وأعاد نشرها عبد السّلام هارون، وأحمد شاكر عن نسخة للشّنقيطيّ، نقلها عن أصل قديم، وهي نشرة علميّة جيّدة، وقد بلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين، وهي مؤرّعة على إحدى وسبعين شاعرًا، منهم ستة إسلاميّون، وأربعة عشر مخضرمون، وأربعة وأربعون جاهليون، وسبعة مجهولون"^(٢).

والأصمعيّات عبارة عن مجموعة من المقطوعات الشعريّة، والتي يمكن أن يُطلق عليها اسم (قصائد)، وقد اختُلف في عددها، وفي عدد الشعراء الذين ذُكرت لهم أشعار فيها، جاء في مقدمة كتاب (الاختيارين): "ولم يكن فيه أسانيد تُردُّ كلّ قصيدة إلى راويها أو مختارها، فغابت معالم الوضوح، ولم تبقَ إلاّ بوارق طفيفة تهدي في بعض المواضع"^(٣).

ومما يدلُّ على الخلط الذي وقع بين (المفضليّات) و(الأصمعيّات) ما قاله أبو عليّ القاليّ^(٤) في (أماليه): "إنّ المفضّل^(٥) أخرج منها ثمانين قصيدة للمهديّ، ثمّ قرئت على الأصمعيّ فصارت مائة وعشرين، وقال في أصحاب الأصمعيّ: إنهم قرأوا عليه (المفضليّات) ثمّ استقرأوا

(١) فلهلم ألفرت: (Wihelm Ahlwardt) مستشرق ألمانيّ، كان يسمّي نفسه بالعربيّة: (وليم بن الورد البروسيّ)، قام برحلات متعدّدة، وقضى حياته في دراسة (الشرقيّات)، ولا سيّما العربيّة، أعظم آثاره: (فهرس مخطوطات المكتبة الملكيّة في برلين)، ومما نشره بالعربيّة: العقد الثّمين في دواوين الشعراء السّنة الجاهليّين، وديوان أبي نواس، والجزء الحادي عشر من (أنساب الأشراف وأخبارهم)، ومجموع أشعار العرب. انظر: الأعلام: ١٥٦/٥.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربيّ (العصر الجاهليّ): ١٧٨.

(٣) كتاب الاختيارين، صنعه: الأخفش الأصغر، (ت: ٣١٥هـ)، تحقيق: فخر الدّين قباوة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ. ص٥.

(٤) أبو عليّ القاليّ: إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون: أحفظ أهل زمانه للغة والشّعر والأدب، توفّي سنة ست وخمسين وثلاثمائة للهجرة. انظر: معجم الأدباء: ٣٠٢/٢، ووفيات الأعيان: ٢٢٦/١، والوفاي بالوفيات: ١١٤/٩، وبغية الوعاة: ٤٥٣/١، والأعلام: ٣٢١/١.

(٥) المفضّل بن محمّد بن عامر الضّبيّ، أبو العباس، وقيل: أبو عبد الرّحمن: راوية، علامة بالشّعر والأدب وأيام العرب، قيل: "هو أوثق من روى الشّعر من الكوفيّين"، لزم المهديّ، وصنّف له كتابه (المفضليّات)، وسمّاه: (الاختيارات)، توفّي سنة ثمانٍ وستين ومائة هجريّة. انظر: تاريخ بغداد: ١٢١/١٣، ونزهة الألباء: ٥١.

الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعره وضمّوه إلى (المفضليّات) وسألوه عمّا فيه ممّا أشكّل عليه من معاني الشعر وغريبه، فكثرت جدًّا^(١).

٢- توثيق نسبة الكتاب، وأصل التسمية:

من يطلع على ترجمة الأصمعيّ في كتب التراجم، ويطلع على مؤلفاته في الفهارس القديمة والحديثة يجد من بين كتبه كتابًا اسمه: (اختيارات الأصمعيّ) قديمًا، وتطور حديثًا إلى ما يُعرف بـ(ديوان الأصمعيّات)، ويُنسب هذا الكتاب للأصمعيّ، ولم يشذ عن ذلك أحد فيما يعتقد الباحث، ولا مجال للشك في هذه النسبة، وإذا كان ثمة شك يخطر ببال أحد في صحّة نسبة الكتاب للأصمعيّ، فيمكن تقديم بعض القرائن أو الأدلة أو الشواهد لإزالة مثل هذا الشك منها:

أ- ما كتّب في أول نسخ الأصمعيّات ونهايتها: أخذ مثلاً على ذلك ما كتبه العلامة الشنقيطيّ^(٢) - رحمه الله - بخطّ يده عنوانًا لـ(الأصمعيّات): "وهذه بقية (الأصمعيّات) التي أُخِلَّت بها (المفضليّات)"، كما كتّب في نهاية النسخة نفسها: "تجزت (الأصمعيّات) التي أُخِلَّت بها (المفضليّات) بحمد الله وعونه"^(٤)، كل ذلك يدلّ على أنّ (الأصمعيّات) منسوبة للأصمعيّ لا لغيره دون أدنى شك.

ب- إنّ أكثر الأشعار التي نقلتها كتب الأدب نُسبت للأصمعيّات، حيث نقل مؤلفون متأخرون ومعاصرون نصوصًا وأشعارًا عزّوها إلى هذه المجموعة الشعرية، يقول البغداديّ - على سبيل المثال: "والبيت من قصيدة لعبيد بن الأبرص الأسديّ"^(٥) أوردها الأصمعيّ في (الأصمعيّات)^(٦). أمّا عن أصل التسمية فيعتقد أنّ (الأصمعيّات) لم تُعرف قديمًا بهذا الاسم، وإنّما كانوا ينعنونها باسم: (اختيارات الأصمعيّ)، وأنّ مصطلح (الأصمعيّات) إنّما عُرف حديثًا، وممّا يدلّ على صحّة هذا الاعتقاد ما ورد في مقدمة كتاب (الاختيارين) قال: "وقد صنّف الكتاب على غير

(١) انظر: الأمالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم القاليّ البغداديّ، (ت: ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، ١٣٩٨هـ، ج ٣، ص ٣٣١.

(٢) محمّد محمود بن أحمد التّركزيّ الشنقيطيّ: علامة عصره في اللّغة والأدب، شاعر، أمويّ النسب، عُرف بابن التّلاميذ، انتدبته حكومة الأستانة للسّفر إلى إسبانيا والاطّلاع على ما فيها من المخطوطات العربيّة، توفيّ سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف هجريّة. انظر: الأعلام: ٨٩/٧-٩٠.

(٣) أُخِلَّت: خُلّت بها؛ أي: أُدخِلت في خلالها. انظر: الأصمعيّات، تحقيق: محمّد نبيل طريفي: ١٢.

(٤) الأصمعيّات المصريّة: ٥.

(٥) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسديّ، من مُضَرَ، أبو زياد: شاعر، من دهاة الجاهليّة وحكائها، وهو أحد أصحاب (المجمهرات) - طبقة ثانية عن المعلّقات - عاصر امرأ القيس، وله معه مناظرات، وعمر طويلاً حتّى قتله النّعمان بن المنذر سنة خمس وعشرين قبل الهجرة. انظر: الشعر والشعراء: ٢٦٧-٢٦٩.

(٦) خزنة الأدب: ٢٧٣/١١.

نسق واضح، فتداخلت اختيارات المفضل واختيارات الأصمعي^(١)، وجاء في (خزانة الأدب): "وهي قصائد اختارها لهارون الرشيد فاشتهرت بـ(الأصمعيّات)"^(٢)، لاحظ معي التعبير بالألفاظ: (اختيارات، واختارها) في سياق النصوص المقتبسة السابقة.

٣- الدوافع من وراء تأليف الكتاب:

تذكر كتب الأدب أنّ الرشيد عندما أوكل إلى الأصمعيّ مهمة تأديب ابنه (الأمين)^(٣)، وأشار عليه جمع قصائد من عيون الشعر العربي القديم؛ ليتعلّمها ابنه ويتدرّب عليها، إنّما كان متأثراً بأبي جعفر المنصور^(٤) الذي أشار على المفضل الضبيّ أنّ يختار أجود القصائد؛ ليتدرّب عليها (المهديّ)^(٥)، جاء في (أمالى القاليّ): "وكان المفضل يؤدّب (المهديّ)، فتقدّم إليه أبو جعفر المنصور أنّ يعمد إلى أشعار الشعراء المقلّين ويختار لفتاه لكلّ شاعر أجود ما قال، فاختر هذه القصائد، وهي مشهورة"^(٦)، وجاء في (نزهة الألباء): "وللمهديّ جمع الأشعار المختارة المسماة (المفضليّات) وتزيد وتنقص"^(٧)، وجاء في (خزانة الأدب): "(الأصمعيّات) وهي قصائد اختارها لهارون الرشيد فاشتهرت بـ(الأصمعيّات)"^(٨).

٤- المصادر التي اعتمدها الأصمعيّ في تأليف الكتاب:

ليس من السهل الإلمام بجميع المصادر المتعدّدة التي استفاد منها الأصمعيّ في كتابه المسمّى: (ديوان الأصمعيّات)، ويُعتقد أنّ الأصمعيّ اعتمده في تأليف هذا الكتاب على النّقل من طرق منها:

(١) انظر: كتاب الاختيارين: ٥.

(٢) خزانة الأدب: ١٠/١١٤.

(٣) محمّد بن هارون الرشيد: خليفة عباسيّ، بُوع بالخلافة بعد وفاة أبيه، كان شجاعاً أديباً، رقيق الشعر، مُكثرًا من الإنفاق، سيّئ التدبير، يُؤخّذ عليه انصرافه إلى اللّهو ومجالسة النّدماء، توفّي سنة ثمانٍ وتسعين ومائة هجريّة. انظر: تاريخ بغداد: ٣/٣٣٦، والأعلام: ٧/١٢٧.

(٤) عبد الله بن محمّد بن عليّ بن العباس، أبو جعفر المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأوّل من عني بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفاً بالفقه والأدب، مقدّماً في الفلسفة والفلك، محبّاً للعلماء، توفّي سنة ثمانٍ وخمسين ومائة هجريّة. انظر: تاريخ بغداد: ١٠/٢٣، والأعلام: ٤/١١٧.

(٥) محمّد بن عبد الله المنصور، أبو عبد الله، المهدي بالله: من خلفاء الدّولة العباسيّة، كان محمود العهد والسّيّرة، مُحبباً للرعيّة، حسن الخلق والخلق، جواداً، وكان يجلس للمظالم، توفّي سنة ثمانٍ وخمسين ومائة هجريّة. انظر: تاريخ بغداد: ٥/٣٩١، والأعلام: ٦/٢٢١.

(٦) انظر: الأمالى: ٣/٣٣٣.

(٧) انظر: نزهة الألباء: ٥١.

(٨) خزانة الأدب: ١٠/١١٤.

أ- عن الأعراب مباشرة، جاء في كتاب (تاريخ الأدب العربي): "ومنه نعرف أن الأصمعي كان ينقل عن مصدر من نفس القبيلة هو عمارة بن أبي طرفة الهذلي"^(١).

ب- عن حماد الراوية^(٢)، جاء في (مراتب النحويين) على لسان الأصمعي قوله: "كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس^(٣) فهو عن حماد الراوية إلا نثفاً سمعناها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء"^(٤).

ت- من لقيه الأصمعي وأخذ عنه، ومن البديهي أن يكون الأصمعي قد قابل خلقاً أكثر، منهم -على سبيل المثال- ما ذكر في (معجم الشعراء): "عمارة بن عطية^(٥) لقيه الأصمعي وأخذ عنه، وقتيبة الحماني^(٦) لقيه الأصمعي وأخذ عنه، ولبطة^(٧) بن الفرزدق^(٨) الشاعر لقيه الأصمعي وأخذ عنه، وله شعر، ومصرف بن الحارث وابنه الحارث بن مصرف^(٩)، شاعران لقيهما الأصمعي وأخذ عنهما، ولم ينسبهما، ومسرد بن اللعين^(١٠) الشاعر، لقيه الأصمعي وأخذ عنه، وأبو محمد اليزيدي"^(١١).

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): ١٨١.

(٢) حماد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم: أول من لقب بالراوية، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها. توفي سنة خمس وخمسين ومائة هجرية. انظر: وفيات الأعيان: ٢٠٦/٢-٢١٠، ونزهة الألباء: ٣٩-٤٢، والأعلام: ٢٧١/٢-٢٧٢.

(٣) امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث، أحد الشعراء المتقدمين على سائر الشعراء الجاهليين، جعله ابن سلام على رأس الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين، قيل: إنه مات مسموماً في بلاد الروم. انظر: جمهرة أشعار العرب: ٢٤٣، وطبقات فحول الشعراء: ٥١/١، والشعر والشعراء: ١٠٥/١.

(٤) انظر: مراتب النحويين: ٧٢.

(٥) لم أقف له على ترجمة فيما أطلعت عليه.

(٦) لم أقف له على ترجمة فيما أطلعت عليه.

(٧) جاء في (هامش) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجُمحي (ت: ٢٣١هـ)، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، (د. ط.)، (د. ت.)، خ ٢، ص ٣٤٨-٣٤٩: "سخر الفرزدق حتى من بنيه، فسماهم: لبطة، وكلطة، وسبطة، وخبطة، وركضة، بثلاث فتحات متواليه".

(٨) همام بن غالب بن صعصعة التميمي، أبو فراس: شاعر، من النبلاء، عظيم الأثر في اللغة، كان يُقال: "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس"، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، كان لا ينشد إلا قاعداً، توفي سنة عشر ومائة هجرية. انظر الشعر والشعراء، ابن قتيبة، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د. ط.)، (د. ت.)، ج ٢، ص ٤٧١، والأعلام: ٩٣/٨.

(٩) لم أقف لهما على ترجمة فيما عدت إليه من مصادر.

(١٠) لم أقف له على ترجمة فيما عدت إليه من مصادر.

(١١) انظر: معجم الشعراء، للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤ هـ)، تصحيح وتعليق: ف. كركو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ، ص ٢٤٧، ٣٣٢، ٣٥٧، ٣٩٠، ٤٨٧، ٤٩٩.

ث- اعتمد في تأليفه على محفوظاته، يقول عمر بن شبة^(١): "سمعت الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة"^(٢).

٥- الكتاب وشروحه بين المخطوطة والمطبوعة:

أ- مخطوطة العلامة الشنقيطي - رحمه الله- أنهى كتابتها بخط يده نصف ليلة الخميس لعشر بقين من ذي القعدة، سنة خمس وثمانين ومائتين وألف هجرية^(٣).

ب- الطبعة الأوروبية التي طبعت في (البيزج) الألمانية، وأعدت نشرها دار الآفاق الجديدة -بيروت- سنة إحدى وأربعمئة وألف هجرية بتحقيق المستشرق (ويليم بن الورد). يقول محققا الطبعة المصرية: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون: "فإن الظاهر أنه طبعها في نسخة سقيمة لا يوثق بها، وزادها تصرفه، وقلة تمرسه بلغة العرب سوءاً على سوء، بل أفسدها إفساداً"^(٤)، ولكن محقق النسخة التي اعتمدها الباحث عليها في بحثه هذا-محمد نبيل طريقي- يرفض وجهة نظر محقق الأصمعيّات المصرية، ويدافع عن الجهد الذي بذله محقق الطبعة الأوروبية بقوله: "لقد لحق الطبعة الأوروبية شيء من الإجحاف، لقد كانت هذه الطبعة مليئة بالروايات المختلفة التي تتفق مع مصادرنا القديمة (الاختيارين والمنتهى)، وهذا يسجل لها وليس عليها"^(٥).

ويعتقد الباحث أن كل من بذل جهداً في خدمة كتاب (الأصمعيّات) قد اجتهد، ولا يحقّ لطرف أن يبخل من الجهد الذي قام به الطرف الآخر، أو يقلل من شأنه، ولا يتصف بالكمال إلا رب العالمين، فالعمل الإنساني كما له محاسن له مثالب في أغلب الأحيان، وهذا جهد مبارك قام به الجميع حتى تم الحصول على ديوان (الأصمعيّات) منقحاً على الصدورة التي هو عليها الآن، ولولا فضل الله- سبحانه- ثم جهود هؤلاء وأولئك لما وصلت (الأصمعيّات) إلى المكتبة العربية بالصورة الجميلة التي هي عليها الآن، فالجميع مثاب على هذا الجهد العظيم إن شاء الله- تعالى.

ت- طبعة (الأصمعيّات)، تحقيق أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، الصادرة عن دار المعارف المصرية، الطبعة الثالثة، دون تاريخ.

ث- الأصمعيّات، تحقيق: قصي الحسين، منشورات دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، عام ثمانية وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية.

ج- ديوان الأصمعيّات، من تحقيق وشرح محمد نبيل طريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية،

(١) عمر بن شبة الثميري، أبو زيد البصري، أديب فقيه واسع الرواية، صدوق، ثقة، المتوفى سنة ثنتين ومائتين هجرية. انظر: تهذيب التهذيب: ٤٦٠/٧.

(٢) انظر: نزهة الألباء: ٩٠.

(٣) انظر: الأصمعيّات المصرية: ٥.

(٤) نفسه: ٦.

(٥) انظر: الأصمعيّات: تحقيق: طريقي: ١٥.

سنة خمس وعشرين وأربعمائة وألف هجرية.

ومِنَ الجدير بالذكر أَنَّ الباحث اعتمد في دراسته للظواهر التَّركيبيَّة النَّحويَّة في ديوان (الأصمعيَّات) على هذه النُّسخة الأخيرة، وقد أوضح في مقدِّمة البحث الأسباب وراء اعتماده على هذه النُّسخة بالذَّات في دراسته هذه^(١).

ح- كتاب (الاختيارين) الَّذي أَلفه الأَخفش الأصغر^(٢)، حيث جمع بين (المفضَّلِيَّات) و(الأصمعيَّات) في كتاب واحد، وعلَّق عليها وشرحها، وفسَّر المحقِّق (قباوة) في الهامش معاني المفردات الغامضة.

٦- مكان تأليف الكتاب ومنهجه:

ألف الأصمعيُّ هذا الكتاب في بغداد، ومِنَ الطَّبيعيِّ أَنْ يكون له خصوم كما كان له محبُّون يتتبعون أخطاءه وزلَّاتِه؛ لذلك حرص الأصمعيُّ على أَنْ تكون مؤلَّفاته مُحكمة التَّأليف موثوقة بقدر الإمكان؛ ومِنَ أجل هذا عمل ما في وسعه لإخراج هذه المجموعة الشعريَّة في صورتها المُحكمة الَّتِي هي عليها الآن، فكلُّ خطأ أو زلَّة محسوبة عليه، وتؤثِّر على شهرته وسمعته، ويمكن ملاحظة ما يأتي على منهج الأصمعيِّ في كتابه:

أ- سار الأصمعيُّ على نهج (المفضَّلِيَّات)، حيث اهتمَّت المجموعتان بالشَّعر الجاهليِّ، والمخضرم والإسلاميِّ واشتملت (الأصمعيَّات) على مقطوعات شعريَّة تفاوتت فيما بينها مِنْ حيث عدد الأبيات، فيلاحظ مثلاً قصيدة شعريَّة واحدة تتكوَّن مِنْ اثنين وسبعين بيتاً^(٣)، في حين ضمَّ عدد مِنْ القصائد أبياتاً قليلة^(٤)، وهناك قصائد اشتملت على عدد متوسط مِنْ الأبيات^(٥).

ب- حرص الأصمعيُّ على تضمين اختياراته أجود القصائد، الَّتِي تُعدُّ مِنْ روائع الشَّعر وخالصه، وربَّما كان هدفه مِنْ ذلك إرضاء نوق الخليفة الَّذي أوعز إليه باختيارها لتأديب ولده.

(١) انظر: مقدِّمة البحث: ح-خ.

(٢) عليُّ بن سليمان بن الفضل، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأصغر: نحويِّ، مِنْ العلماء، مِنْ أهل بغداد، وتوفِّي بها سنة خمس عشرة وثلاثمائة هجرية. انظر: وفيات الأعيان: ٣/٣٠١، وانباء الرُّواة: ٢/٢٧٦، وبغية الوعاة: ٦٧/٢، والأعلام: ٤/٢٩١.

(٣) مثل قصيدة سَهْم بن حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ، انظر: الأصمعيَّات: ٥٧-٦٦.

(٤) مثل قصيدة امرئ القيس الَّتِي اشتملت على ثلاثة أبيات، انظر: الأصمعيَّات: ١٤٥-١٤٦.

(٥) مثل قصيدة مالك بن حريم الَّتِي اشتملت على أربعين بيتاً، انظر: الأصمعيَّات: ٧٢-٧٨.

ت- يُلاحظ أيضاً على منهج الأصمعيّ أنّه اختار أشعاراً لشعراء مقلّين أمثال: الأسعر الجعفيّ^(١)، حيث وُصِفَ بأنّه: شاعر وفارس جاهليّ مقلّ^(٢).

ث- يُعتقد أنّ هدف الأصمعيّ وغايته من وراء اختياره كان التّركيز على النّاحيتين اللّغويّة والنّحويّة، لا سيّما أنّه طُلب إليه اختيار مجموعة من روائع الأدب العربيّ بهدف تعليم وتأديب أبناء الخلفاء، فركّز على الأشعار التي تحمل قيماً لغويّة وأدبيّة وأخلاقيّة دون التّركيز على سلسلة رواة الأشعار؛ ولعلّ هذا هو السّبب فيما ذهب إليه الدّارسون من أنّ (الأصمعيّات) لم تلقَ ما لقيته المفضليّات من القبول والانتشار، فركّز الأصمعيّ على قيمتها اللّغوية أكثر من تركيزه على قيمتها الفنيّة؛ لذلك لم تتل من الشّهرة ما نالته مجموعات أخرى، جاء في (الفهرست): "وعمل الأصمعيّ قطعة كبيرة من أشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء؛ لقلة غريبها واختصار روايتها"^(٣).

ج- ويُعتقد أنّ الأصمعيّ تحرّى الدّقة في نقل الأشعار من مظانها، يقول شوقي ضيف: "وله مجموعة مشهورة من الشعر القديم هي: (الأصمعيّات)، وهي ك(المفضليّات) ثقة ودقّة"^(٤).

ح- جمع الأصمعيّ في اختياراته أشعاراً ذات أغراض وموضوعات شعريّة متنوّعة، منها الغزل، والرّثاء، والمدح، والوصف، وتضمّنت أيضاً الحكمة وغيرها من الأغراض الشعريّة التي كانت معروفة في ذلك الوقت.

خ- لم يورد الأصمعيّ بعض القصائد كاملة، وإنّما اكتفى بذكر مقطوعات قصيرة، فلُوحظ -على سبيل المثال- أنّه يكتفي بذكر ثلاث مقطوعات لامرئ القيس، الأولى: تقع في خمسة أبيات، والثّانية: تقع في عشرة أبيات، والثّالثة: تقع في ثلاثة أبيات^(٥)، يقول شوقي ضيف: "فإنّ الأصمعيّ لم يرو كثيراً من القصائد كاملة؛ بل اكتفى بمختارات منها"^(٦).

د- جاءت بعض القصائد مشتملة على كلمات مهجورة، لم تتطرّق المعاجم إلى ذكرها، وقد نبّه محقّق (الأصمعيّات) -طريفي- على مثل هذه الألفاظ في مواضع كثيرة بقوله مثلاً: "هذه لفظة ليس لها وجود في المعاجم"، وقوله على -سبيل المثال- في تفسير كلمة: (الصدّلا) التي وردت في أحد أبيات (الأصمعيّات): لعلّه اسم موضع، ولم نجده فيما بين أيدينا من معاجم البلدان^(٧).

(١) الأسعر الجعفيّ هو مرثد بن أبي حمران الحارث بن معاوية الجعفيّ، والأسعر أو الأشعر لقبه: شاعر وفارس جاهليّ مقلّ. انظر: سمط اللّالي: ٩٤، وشرح حماسة أبي تمام للأعلم: ٢٠١/٧.

(٢) انظر: سمط اللّالي، أبو عبّيد البكريّ الأوثبيّ، (ت: ٥٥٨١)، تحقيق: عبد العزيز الميمنيّ، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، الهند، (د: ط)، ١٣٥٤هـ، ص ٩٤.

(٣) الفهرست: ٨٢/١.

(٤) تاريخ الأدب العربيّ، (العصر الجاهليّ): ١٥٥.

(٥) انظر: الأصمعيّات: ١٤٣-١٤٥.

(٦) تاريخ الأدب العربيّ، (العصر الجاهليّ): ١٧٨.

(٧) انظر: (هامش) الأصمعيّات: ٢٩.

ذ- الملاحظ أيضاً أنّ عدد الشُّرَاح الذين تعرَّضوا (للأصمعيّات) بالشُّرح قليل إذا ما قيس بعدد شُّرَاح (المفضليّات)، يقول شوقي ضيف: "غير أنّها لم تلعب الدور الذي لعبته (المفضليّات)، فلم يتعلّق بها الشُّراح، ولعلّ ذلك يرجع إلى قلّة غريبها بالقياس إلى (المفضليّات)"^(١).

يرى الباحث أنّ ما ذكره شوقي ضيف غير مقنع، ولا يقوم عليه دليل ملموس يدلّ على صحّته، وما أرى في كلامه إلاّ تكراراً لما ردّده بعض الأدباء دون أن يفصلوا القول في هذه المسألة غير ذاكين أدلّة على صحّة ما ذهبوا إليه، فمن خلال الاطّلاع على كلتا المجموعتين الشعريّتين- (المفضليّات) و(الأصمعيّات)- لم يلمس الباحث أنّ (المفضليّات) قد تميّزت عن (الأصمعيّات) في اشتمالها على الغريب، ويرى أنّ كلتا المجموعتين قد لعبتا الدور نفسه، هذا والله- تعالى- أعلى وأعلم.

٧- أهميّة الكتاب ومنزلته بين المجموعات الشعريّة الأخرى:

لا يشكُّ أحد في أنّ مؤلّفات الأصمعيّ عامّة، و(الأصمعيّات) خاصّة قد حظيت باهتمام الدّارسين منذ العصر الذي عاش فيه الأصمعيّ، وتأتي قيمة الكتاب من أكثر من ناحية، منها: أ- لقد حفظ هذا الكتاب جزءاً غير يسير من الثّراث الشعريّ العربيّ.

ب- ومما يدلّ على أهميّة هذه المجموعة الشعريّة أنّ الكثير من المؤلّفات النّحويّة والصدّرفيّة قد اتّخذت عدداً غير قليل من أبيات الأصمعيّات شواهد نحويّة، حيث اعتمدها النّحاة، ولم يقتصر الاستشهاد بما ورد في (الأصمعيّات) من أبيات شعريّة منتقاة على اللّغويّين والنّحاة والصدّرفيّين فحسب بل تعدّاهم الأمر إلى مؤلّفات في مختلف أنواع المعرفة، ومن ذلك كتب التّفسير بصفة خاصّة. ومنها تفسير ابن كثير^(٢)، وتفسير البحر المحيط وغيرها.

أمّا من حيث التّرتيب الزّمنيّ لوضع الكتاب فيقول الرّافعيّ: "وأولّ اختيار مدوّن عند العرب القصائد المعروفة ب(المعلّقات) اختارها حمّاد الرّاوية، ثمّ (جمهرة أشعار العرب) للقرشيّ^(٣)، ثمّ (المفضليّات) للمفضّل الضّبّيّ وهي مشهورة، ثمّ اختار الأصمعيّ القصائد المعروفة بالأصمعيّات، وكلّ هؤلاء لم يختاروا في كتبهم شيئاً للمولّدين"^(٤).

(١) تاريخ الأدب العربيّ، (العصر الجاهليّ): ١٧٨.

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، عماد الدّين: حافظ مؤرّخ فقيه، رحل في طلب العلم، تناقل النّاس تصانيفه في حياته، توفّي بدمشق سنة أربع وسبعين وسبعمائة هجريّة. انظر: الأعلام: ٣٢٠/١.

(٣) محمّد بن أبي الخطاب القرشيّ، أبو زيد: راوية عالم بالشعر، توفّي سنة سبعين ومائة هجريّة. انظر: الأعلام: ١١٤/٦، ولم أعثر على ترجمة له في مؤلّفات الأقدمين.

(٤) تاريخ آداب العرب: ٣٠٩/٢.

٨- آراء المحدثين في ديوان (الأصمعيّات):

اختلفت آراء الباحثين حول ديوان (الأصمعيّات)، ولكنّه اختلاف لفظي شكلي يعود إلى صاحب الاختيار نفسه، ولا يؤثّر على لبّ الموضوع، والذي يتمثّل في أنّ هذه الاختيارات قد خدمت اللّغة العربيّة والمكتبة العربيّة أيّما خدمة، وخالصة ما جاء حول هذا الاختلاف - وهو ما لمس خلال التّعامل مع ديوان (الأصمعيّات) بالدراسة والتّحليل - يُلاحظ في مقدّمة ديوان الأصمعيّات المصريّة نفسه^(١) حيث ورد ما خلاصته: "إنّ أكثر ما تضمّنته الأصمعيّات مقطوعات شعريّة قصيرة، قد تكون الواحدة منها بيتين فقط"، وعقد محقّقًا (الأصمعيّات) مقارنة بينها وبين (المفضليّات)، حيث لاحظ أنّ المجموعتين تلتقيان معًا في تسع عشرة قصيدة، وكان ذلك من الأسباب التي دفعت بعض الدّارسين إلى القول: إنّ الأصمعيّ قد شارك المفضّل في اختيار مجموعته الشعريّة، ولم تكن من اختياره وحده، حيث زاد الأصمعيّ عليها - بعده - بعض القصائد التي لم يكن المفضّل قد اختارها أصلًا، وذلك الأمر أدّى إلى إثارة الشّبّهات حول نسبة هاتين المجموعتين للأصمعيّ وللمفضّل، وأخذ الباحثون يتساءلون: أيرجع هذا الاختلاف إلى أنّ المفضّل قد اختار عددًا من القصائد؟ ثمّ زاد عليها الأصمعيّ، أم أنّ هذه القصائد كانت في الأصمعيّات ثمّ انتقلت إلى المفضليّات؟ أم أنّ هذه الاختيارات كانتا في ديوان واحد ثمّ حصل التّداخل بين المجموعتين؛ لدرجة أنّ الغموض ظلّ يكتنف حيثيات هذه المسألة.

الخلاصة:

والحق يُقال: إنّ (الأصمعيّات) و(المفضليّات) قد اشتملتا على ثروة لغويّة وأدبيّة قيّمة، إلّا أنّ (المفضليّات) فاقت أختها على المستويين اللّغويّ والأدبيّ، وعلى كلّ حال فإنّ للمجموعتين قيمة كبيرة، وكلّ واحدة تكمل الأخرى، ولا يستطيع أيُّ باحث في الدّراسات الأدبيّة أن يدّعي لنفسه أنّ لديه قدرة للاستغناء عمّا احتوته تلك المجموعتان؛ ذلك لأنّهما تعدّان مصدرًا من مصادر الأدب العربيّ المهمّة في العصرين الجاهليّ، وصدر الإسلام.

أمّا الأصمعيّ نفسه فكان من أكثر العلماء روايةً للشّعر، ومعرفةً بمعانيه، وإتقانًا للّغة، وإحاطةً بألفاظها، وعنده من الأخبار ما لم يتوفّر لغيره من النّاس، وهو صاحب معرفة بقواعد اللّغة، وعنده إلمام واسع بالأنساب إلّا أنّه كانت تنقصه الموهبة الشعريّة التي تعدّ شرطًا رئيسًا في تمكّن الإنسان ليصبح شاعرًا فحلًا حنفيًا، ونختم بمقولة ابن قتيبة في منزلة شعر الأصمعيّ، يقول معلقًا على أبيات للخليل: "وهذا الشّعر بين التّكلف ردىء الصّدنعة. وكذلك أشعار العلماء، ليس فيها شيء جاء من إسماع وسهولة، كشعر الأصمعيّ"^(٢).

(١) انظر: الأصمعيّات، تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السّلام هارون: ٥-١٠.

(٢) الشّعر والشّعراء: ٧٠/١.

الفصل الأوّل

ظاهرة التّعجب في ديوان (الأصمعيّات)

ويشتمل على ما يأتي:

- توطئة

- التّعجب: لغة واصطلاحاً

المبحث الأوّل: التّعجب السّماعي، ويقع في ثمانية مطالب:

المطلب الأوّل: التّعجب باستخدام لفظ (أَتَعَجَّب) أو أحد مشتقاته.

المطلب الثّاني: التّعجب بالنداء.

المطلب الثّالث: التّعجب بالجار والمجرور.

المطلب الرّابع: التّعجب بالاستفهام.

المطلب الخامس: التّعجب السّماعي بالدّعاء.

المطلب السّادس: التّعجب بأسلوب النّفي:(الجملة المنفية).

المطلب السّابع: التّعجب باستخدام اسم الفعل.

المطلب الثّامن: التّعجب بالجملة الخبريّة المثبتة.

المبحث الثّاني: التّعجب القياسي، ويتضمّن:

المطلب الأوّل: صيغتي التّعجب القياسي، وشروط الصّيغة.

المطلب الثّاني: اختلافات النّحاة في صيغتي التّعجب القياسي.

المطلب الثّالث: أحكام متفرّقة مشتركة تخصّص صيغتي التّعجب القياسي.

المطلب الرّابع: تصوّر لأسباب ندرة ورود صيغتي التّعجب القياسي في (الأصمعيّات).

توطئة

يُعتَقَدُ أَنَّ حَاجَةَ الْإِنْسَانِ لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا يَدُورُ فِي خَلْجَاتِ نَفْسِهِ حِينَ يَسْتَعْظِمُ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الْقَلِيلِ وَقُوعِهَا - حَيْثُ يَكُونُ فِي حَالَةٍ أَنْفِعَالٍ مِمَّا يُوَدِّيُّ إِلَى إِثَارَتِهِ وَدَهْشَتِهِ وَاسْتِغْرَابِهِ مِنْ شَيْءٍ يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ - قَدِيمَةٌ قَدِمَ الْبَشَرِيَّةَ نَفْسِهَا، وَبِصَرَفِ النَّظَرِ عَنِ طَبِيعَةِ الْأَسْلُوبِ أَوْ الطَّرِيقَةِ الَّتِي اسْتَضَمَّتْهَا الْإِنْسَانُ لِيُعْبَرَ عَنْ تَعَجُّبِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَسْتَضِمُّ أَلْفَاظًا وَإِشَارَاتٍ تُعِينُهُ عَلَى إِصْالِ فِكْرَتِهِ إِلَى الْآخَرِينَ، جَاءَ فِي (رِسَائِلِ الْجَاحِظِ)^(١): "وَقَدْ كَانَ يُقَالُ: لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَعَجَّبُوا مِنْ الْعَجَبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَجَبُ تَرَكَ التَّعَجُّبَ مِنَ الْعَجَبِ"^(٢).

وَلَا يَبَالِغُ الْبَاحِثُ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ التَّعَجُّبَ بِأَشْكَالِهِ الْمَخْتَلِفَةَ - وَخَاصَّةً السَّمَاعِيَّةَ مِنْهَا - قَدْ وُجِدَتْ عِنْدَ خَلَائِقٍ أُخْرَى كَالْمَلَائِكَةِ مِثْلًا قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ بِهَا الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، عِنْدَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْمَلَائِكَةَ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، فَأَبَدُوا تَعَجُّبَهُمْ مِنْ هَذَا الصَّنِيعِ الْإِلَهِيِّ بِالِاسْتِفْهَامِ التَّعْجِيبِيِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿... قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...﴾^(٣)، قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ^(٤) مُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: "تَعَجُّبٌ مِنْ أَنْ يَسْتَخْلِفَ مَكَانَ أَهْلِ الطَّاعَةِ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ"^(٥)، فَالْهَمْزَةُ فِي الْأَصْلِ وُضِعَتْ لِلِاسْتِفْهَامِ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَخْرَجَ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى مِثْلَ التَّعَجُّبِ كَمَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ (أَتَجْعَلُ).

فَالْإِنْسَانُ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ؛ لِيَجْنِيَ الْفَوَاكِهِ أَوْ لِيَصْطَادَ الْحَيَوَانَاتِ فِي الطَّبِيعَةِ، ثُمَّ يَعُودُ فِي الْمَسَاءِ لِيُعْبَرَ لِأَهْلِهِ عَنِ دَهْشَتِهِ وَاسْتِغْرَابِهِ وَتَعَجُّبِهِ مِمَّا شَاهَدَهُ مِنْ مَغَامِرَاتِ خِلَالِ يَوْمِ الْعَمَلِ الَّذِي قَامَ بِهِ مُسْتَضِمًّا أَسَالِيبَ تَعْبِيرِيَّةٍ تَعْجِيبِيَّةٍ مَخْتَلِفَةٍ، حَيْثُ تَطَوَّرَتْ لَدَيْهِ هَذِهِ الْأَسَالِيبُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَرَبَّمَا اتَّخَذَتْ أَشْكَالًا وَصُورًا تَعَارَفَ النَّاسُ فِيهَا بَيْنَهُمْ عَلَيْهَا، مِمَّا دَفَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى اسْتِنْكَارِ مَا كَانَ يَسْتَضِمُّهُ الْبَعْضُ مِمَّا شَدَّ عَمَّا هُوَ مُتَعَارِفٌ عَلَيْهِ بَيْنَهُمْ.

(١) الْجَاحِظُ: هُوَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ بْنِ مَحْبُوبٍ، أَبُو عَثْمَانَ، مِنْ كِبَارِ أُنْمَةِ الْأَدَبِ، وَرَأْسِ الْفِرْقَةِ الْجَاحِظِيَّةِ مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ، قَتَلْتُهُ مَجْلَدَاتٍ مِنَ الْكُتُبِ وَقَعَتْ عَلَيْهِ، لَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ، تُوَفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ.

انظر: معجم الأديباء: ٤/٤٧٣، ووفيات الأعيان: ٣/٤٧٠، وبيغة الوعاة: ٢/٢٢٨، والأعلام: ٥/٧٣-٧٤.

(٢) رِسَائِلُ الْجَاحِظِ، أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ الْجَاحِظُ، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ج٣، ص١١٦.

(٣) الْبَقْرَةُ: ٢/٣٠.

(٤) الزَّمْخَشَرِيُّ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدِ الْخَوَارِزْمِيِّ الزَّمْخَشَرِيِّ، جَارُ اللَّهِ، أَبُو الْقَاسِمِ: مِنْ أُنْمَةِ الْعِلْمِ بِالْبَدِينِ وَالنَّفْسِيرِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، كَانَ مَعْتَزَلِيَّ الْمَذْهَبِ، تُوَفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةَ لِلْهِجْرَةِ. انظر: معجم

الأديباء: ٥/٤٨٩، ووفيات الأعيان: ٥/١٦٨، وبيغة الوعاة: ٢/٢٧٩، والأعلام: ٧/١٧٨.

(٥) الْكَشَافُ عَنِ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ وَعَيُونَ الْأَقَاوِيلِ فِي وَجُوهِ التَّأْوِيلِ، الزَّمْخَشَرِيُّ، (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعليّ معوض، وفتحي حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ج١، ص٦١.

وجاء دور تقعيد القواعد، فأحصى اللغويون والنحاة نوعين من التعجب: الأول: التعجب السماعي، وهذا النوع عبارة عن ألفاظ سمعت عن العرب في مواقف تثير التعجب، ثم تناقلوها ليستخدموها في مواقف جديدة تشبه المواقف القديمة التي قيلت فيها، ولم ييؤب النحاة لهذا النوع من أنواع التعجب، يقول السيوطي: "من مفهوم التعجب الذي لا ييؤب له في النحو قولهم: سبحان الله، لله ذره، وحسبك بزيد رجلاً، ويا لك من ليل، وإنك من رجل، وما أنت جارة، وواها له ناهياً، ولا إله إلا الله، وسبحان الله من هو..."^(١).

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع يمكن التعرف عليه من خلال سياق الجملة التي ورد فيها وبالقرائن، أضف إلى ذلك أن للتعجب السماعي ألفاظاً مخصوصة متداولة بين الناس ويستخدمونها، سيتعرض لها الباحث بشيء من التفصيل بحول الله - تعالى.

والنوع الآخر من التعجب: التعجب القياسي، والذي يخضع للقواعد والصيغ القياسية، حيث سيلاحظ ندرة ورود هذا النوع في ديوان (الأصمعيّات)، وربما كان لذلك أسباب، ولم يأت من طريق الصدفة.

التعجب: لغة واصطلاحاً

قبل بسط القول في هذه الظاهرة التركيبية، والتي تحتل مكانة لا يُستهان بها في اللغات عموماً واللغة العربية على وجه التحديد؛ ذلك لأن أسلوب التعجب يرد كثيراً على لسان العربي، يجدر بالباحث أن يستعرض كلاً من المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي للتعجب، وذلك كما ورد في معاجم اللغة، وفي كتب علماء النحو.

أولاً: التعجب لغة

جاء في (معجم الصحاح) للجوهري^(٢): "العجيب: الأمر يُعجَبُ منه، وكذلك العجَابُ بالضم؛ والعجَابُ بالتشديد أكثر منه، وكذلك الأعجوبة، وقولهم: عجبٌ عجبٌ كقولهم: ليل لائل، يؤكّد به، والتعجيب: العجائب لا واحد لها من لفظها، ولا يُجمع عَجَبٌ ولا عجيب، ويقال: جمع عجيبٍ: عجائب وأعاجيب، وعجبتُ من كذا وتعجبتُ منه واستعجبتُ بمعنى، وعجبتُ غيري تعجيباً، وأعجبنى هذا الشيءَ لحسنه، وقد أعجبَ فلانٌ بنفسه، فهو مُعجَبٌ برأيه وبفسه، والاسم العُجْبُ بالضم، وقولهم: ما أعجبه برأيه، شاذٌّ لا يقاس عليه"^(٣).

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج٣، ص٤٢.

(٢) الجوهري: هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول الطيران، ومات في سبيله، لغوي من الأئمة، وخطه يُذكر مع خط ابن مقلة، له كتاب في العروض، ومقدمة في النحو، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة. انظر: معجم الأديباء: ٢٠٥/٢، والوافي بالوفيات: ٦٩/٩، وبغية الوعاة: ٤٤٦/١.

(٣) الصحاح: ١٢٩/٢ (عجب).

وجاء في (لسان العرب): "العُجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده، وجمع العَجَب: أعجاب، وقد عَجِبَ منه يعجب عَجَبًا، وتَعَجَّب واستعجب،... والاستعجاب: شدة التَّعَجُّب،... والتَّعَجُّب: أن ترى الشَّيء يعجبك، تظنُّ أنَّك لم ترَ مثله، وأمْرٌ عَجَابٌ وعَجَابٌ وعَجَبٌ وعَجِيبٌ، وعَجَبٌ عاجِبٌ وعَجَابٌ على المبالغة يُؤكِّد به،... والعُجْبُ والعَجَبُ والعَجْبُ الذي يعجبه القعود مع النساء ولا يأتي الرِّبِيَّة..."^(١).

ونقل ابن منظور عن الرَّجَّاح^(٢) قوله: "أصل العَجَب في اللُّغة أنَّ الإنسان إذا رأى ما ينكره ويَقِلُّ مثله، قال قد عَجِبْتُ مِنْ كَذَا"^(٣).

يقول ابن هشام^(٤): "والتَّعَجُّب انفعال يحدث في النَّفس عند الشُّعور بأمر خفي سببه، ولعلَّ هذا معناه اللُّغوي"^(٥)، ومن مفاهيم التَّعَجُّب: ما ذكره الخليل بقوله: "التَّعَجُّب ما يجده الإنسان في نفسه عند خروج الشَّيء عن عادته"^(٦)، والتَّعَجُّب عند الرَّمخسري: "روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشَّيء"^(٧)، وأمَّا ابن يعيش^(٨) فيعبر عن مفهوم التَّعَجُّب بقوله: "اعلم أنَّ التَّعَجُّب معنى يحصل عند المُتَعَجِّب عند مشاهدة ما يُجهل سببه، ويقلُّ في العادة وجود مثله، مثال ذلك أنا لو رأينا طائرًا يطير لم نتعجب منه؛ لجري العادة بذلك، ولو طار غير ذي جناح؛ لوقع التَّعَجُّب منه؛ لأنَّه خرج عن العادة وخفي سبب الطَّيران"^(٩).

(١) انظر: لسان العرب: ٢٨١١-٢٨١٢/٤ (عجب).

(٢) الرَّجَّاح: هو إبراهيم بن السري، أبو إسحاق: عالم بالنحو واللُّغة، وُلد ومات في بغداد، أصاب ثروة كبيرة، ومال إلى النَّحو فعلمه المبرّد، وكانت له مناقشات مع ثعلب وغيره، توفّي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة. انظر: معجم الأدباء: ٨٢/١، ووفيات الأعيان: ٤٩/١-٥٠، والوافي بالوفيات: ٢٢٨/٥، وبغية الوعاة: ٤١١/١.

(٣) انظر: لسان العرب: ٢٨١١/٤ (عجب).

(٤) ابن هشام: هو عبد الله بن يوسف بن أحمد، أبو محمّد، جمال الدّين: من أئمة العربيّة، مولده ووفاته بمصر، قال ابن خلدون: "ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنّه ظهر بمصر عالمٌ بالعربيّة يُقال له ابنُ هشام، أنحى من سيبويه"، توفّي سنة إحدى وستين وسبعمائة للهجرة. انظر: بغية الوعاة: ١٤٨/١، والأعلام: ١٤٧/٤.

(٥) أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، ابن هشام الأنصاريّ المصريّ، أبو محمّد، (ت: ٧٦١هـ) راجعه: يوسف البقاعيّ، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، ١٤١٤هـ، ج ٣، ص ٢٢٤، (الهامش).

(٦) الجمل في النَّحو، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: فخر الدّين قباوة، الرّسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص ٤٩.

(٧) الكشّاف: ٢٠٣/٥.

(٨) ابن يعيش: هو يعيش بن عليّ بن يعيش بن أبي السرايا، أبو البقاء، من كبار العلماء بالعربيّة، موصلّي الأصل، مولده ووفاته في حلب، وتصدّر للإقراء فيها إلى أن توفّي سنة ثلاث وأربعين وستمائة للهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٤٦/٧، وبغية الوعاة: ٣٥١/٢-٣٥٢، والأعلام: ٦٠٦/٨.

(٩) شرح المفصل، ابن يعيش، (ت: ٦٤٣هـ)، إدارة الطّباعة المنيريّة، مصر، (د. ط)، (د. ت)، ج ٧، ص ١٤٢.

ثانيًا: التَّعْجُبُ اصطلاحًا

عرّفه الكثير من اللُّغويين من نحويين وصرفيين وبلاغيين قديمًا وحديثًا؛ لدرجة أنّه ما من أحد منهم تحدّث عنه دون أن يتعرّض لمعناه اللُّغويّ أو الاصطلاحيّ أو الاثنين معًا، ويأخذ الباحث تعريفات عدد منهم، مراعيًا الترتيب الزمانيّ، عرّفه ابن السّراج^(١) بقوله: "والتَّعْجُبُ كُلُّهُ إِنَّمَا هُوَ مِمَّا لَا يُعْرَفُ سَبْبُهُ، فَأَمَّا مَا عُرِفَ سَبْبُهُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ أَنْ يَتَعَجَّبُوا مِنْهُ، فَكُلَّمَا أُبْهِمَ السَّبَبُ كَانَ أَفْحَمَ، وَفِي النَّفْسِ أَعْظَمُ"^(٢).

وعرّفه ابن عصفور^(٣) بقوله: "استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها، وخرج بها المتعجّب منه عن أمثاله، أو قلّ نظيره فيها"^(٤)، وهذا يفسّر اشتراط أن يكون الفعل الذي تُؤخّذ من مصدره صيغة التَّعْجُبِ مبنياً للمعلوم؛ فلا يُتَعَجَّبُ مِمَّا لَا زِيَادَةَ فِيهِ، وَلَا مِمَّا ظَهَرَ سَبْبُهُ، وَلِهَذَا يُقَالُ: إِذَا ظَهَرَ السَّبَبُ بَطَلَ الْعَجَبُ."

ويعرّفه الرّضويّ^(٥) في (شرح الكافية) بقوله: "ف فعل التَّعْجُبِ فِي اصطلاح النُّحَاة: هُوَ مَا يَكُونُ صِيغَةً مَا أَفْعَلَهُ، أَوْ أَفْعَلُ بِهِ دَالًّا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَلَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ أَفَادَ هَذَا الْمَعْنَى يُسَمَّى عِنْدَهُمْ فِعْلَ التَّعْجُبِ"^(٦)، وعرّفه المرادي^(٧) بقوله: "التَّعْجُبُ: اسْتِعْظَامُ فِعْلِ ظَاهِرِ الْمَزِيَّةِ، وَيُذَلُّ"

(١) هو أبو بكر محمّد بن سهل البغداديّ النُّحويّ، وكان أحد العلماء المذكورين وأئمّة النُّحو المشهورين بالأدب وعلم العربيّة، واسع النُّفاة، أخذ النُّحو عن المبرّد، وإليه انتهت الرِّياسة فيه بعده، وكان يُقال: "ما زال النُّحو مجنونًا حتى عقله ابن السّراج بأصوله"، تُوفّي سنة ست عشرة وثلاثمائة هجريّة. انظر: معجم الأديباء: ٣٣٩/٤، ووفيات الأعيان: ٣٥٧/١، والوافي بالوفيات: ٧٣/٣، وبغية الوعاة: ١٠٩/١.

(٢) الأصول في النُّحو، ابن السّراج النُّحويّ البغداديّ، (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتليّ، الرّسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) ابن عصفور: هو عليّ بن مؤمن بن محمّد الحضرميّ الأشبيليّ، أبو الحسن، حامل لواء العربيّة بالأندلس في عصره، تُوفّي سنة تسع وستين وستمائة للهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٢٤٢/٢، والوافي بالوفيات: ٢٤٢/١٣، وبغية الوعاة: ٢١٠/٢، والأعلام: ٢٧/٥.

(٤) شرح جمل الرّجائيّ، ابن عصفور الأشبيليّ، (ت: ٦٦٩هـ) تحقيق: صاحب أبو جناح، الهيئة العامّة للكتب، الإسكندريّة، (د. ط)، ١٤١٨هـ، ص ٥٧٦.

(٥) الرّضويّ: رضويّ الدّين محمّد بن الحسن الاستراباديّ: نجم الأئمة، وفاضل هذه الأئمة، المحقّق، صاحب شرح الكافية، قال السيّوطيّ: ولم أف على اسمه إلّا أنّه فرغ من تأليف (شرح الكافية) سنة ثلاث وثمانين وستمائة للهجرة. انظر: بغية الوعاة: ٥٦٧/١، وخزانة الأدب للبغداديّ: ٢٧/١.

(٦) شرح الرّضويّ على الكافية، رضويّ الدّين محمّد بن الحسن، (ت: ٦٨٨هـ) تصحيح وتعليق: يوسف عمر، جامعة قارونس، بنغازي، ط ٢، ١٤١٧هـ، ج ٤، ص ٢٢٨.

(٧) المراديّ: هو الحسن بن قاسم بن عبد الله المصريّ، أبو محمّد، بدر الدّين، المعروف بابن أمّ قاسم، مفسّر، أديب، مولده ووفاته بمصر، وشهرته وإقامته بالمغرب، مالكيّ المذهب، تُوفّي سنة تسع وأربعين وسبعمائة للهجرة. انظر: بغية الوعاة: ٥١٧/١، والأعلام: ٢١١/٢.

عليه بألفاظ كثيرة غير ما يُذكر في هذا الباب نحو: (سبحان الله) و(الله دَرُه)، لم ييؤب لها في النحو؛ لكونها لم تدل عليه بالوضع بل بقربنة^(١).

وعلق الصَّبَّان^(٢) في حاشيته على قوله: (ظاهر المزية) بقوله: "أي: بسبب زيادة فيه خفي سببها، فلا يُتَعَجَّبُ ممَّا لا زيادة فيه، ولا ممَّا ظهر سببه"^(٣)، ونقل الصَّبَّان عن الدَّمَامِينِي^(٤): "التَّعَجُّبُ: هو انفعال يحدث في النَّفْسِ عند الشَّعُورِ بأمر يُجْهَلُ سببُه، ومِنْ ثَمَّ قيل: إذا ظهر السَّبَبُ بطل العجب"^(٥).

وإن جاز استخلاصُ تعريفٍ للتَّعَجُّبِ بالاعتماد على أقوال النُّحاة السَّالفة الذِّكْر، يمكن القول: التَّعَجُّبُ شعور داخليّ يعترى النَّفْسَ، فتتفاعل عندما تستعظم أمرًا نادر الوقوع، فيَهْبُ الإنسان للتَّعبير عمَّا يجول في صدره بألفاظ تثير الدهشة والاستغراب.

وإذا ما تأملت التعريفات السابقة سواء اللُّغويَّة أو الاصطلاحية للتَّعَجُّبِ، وجدت أن تلك التعريفات متداخلة؛ لدرجة أنه يصعب الفصل بينها، وربما حصل اللبس في تحديد تعريف (ما)، أهو لغويّ أم اصطلاحيّ؟ فالعلاقة تكاملية، وهي وثيقة الصِّلة، فالتَّعريف الاصطلاحيّ يتوافق مع المعنى اللُّغويّ، ولكنَّ المعنى الاصطلاحيّ للتَّعَجُّبِ أعمُّ وأشمل وأوضح من المعنى اللُّغويّ.

هذا ويمكن اعتبار التَّعريف المُنسوب إلى ابن عصفور أنسبها وأفضلها؛ لأنَّه يتضمَّن من المعاني العامَّة والشَّاملة التي يعجز أيُّ تعريف آخر عن أدائها، كما قام ابن عصفور بتفسير محتويات التَّعريف، وذكر محترزاته، وللتَّعَجُّبِ صيغ كثيرة تُعرف بالقرائن من سياق الكلام، مثل: لله دَرُكٌ فارسًا، وسبحان الله وبيا لك من مجاهد، وغيرها الكثير ممَّا سيتمُّ التَّعرُّف عليه في الصِّدْفَات القليلة القادمة بحول الله - تعالى.

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، حسن بن قاسم المراديّ، (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: عبد الرّحمن عليّ سليمان، دار الفكر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ، ج ٢، ص ٨٨٥.

(٢) الصَّبَّان: هو محمَّد بن عليّ، أبو العرفان: عالم بالعربيَّة والأدب، مصريّ، مولده ووفاته بالقاهرة، وله العديد من المؤلِّفات، توفِّي سنة ست ومائتين وألف للهجرة. انظر: الأعلام: ٢٧٩/٦.

(٣) حاشية الصَّبَّان على شرح الأشمونيّ عليّ ألفية ابن مالك، محمَّد بن عليّ الصَّبَّان، (ت: ١٢٠٦هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة التَّوفيقيَّة، (د. ق)، (د. ط)، (د. ت)، ج ٣، ص ٢٣.

(٤) البدر الدَّمَامِينِيّ: محمَّد بن أبي بكر بن عمر الدَّمَامِينِيّ، عالم بالشَّريعة، وفنون الأدب، وُلد بالإسكندريَّة، رحل إلى الهند، وتوفِّي بها سنة سبع وعشرين وثمانمائة. انظر: بغية الوعاة: ٦٦/١، والأعلام: ٥٧/٦.

(٥) انظر: حاشية الصَّبَّان: ٢٣/٣.

المبحث الأول: التَّعْجُبُ السَّمَاعِيّ

المطلب الأول: التَّعْجُبُ باستخدام لفظ (تَعْجَب) أو أحد مشتقاته

هنا لا بدّ أن يُدرك الفرق بين التَّعْجُبِ الواقعِ مِنَ المتعجَّبِ وبين الإخبار عن وقوع التَّعْجُبِ، فألفاظ التَّعْجُبِ المقصودة كما هو واضح من مدلولها، إنّما هي مجرد إخبار عن وقوع التَّعْجُبِ، يقول صاحب (الصدّفة الصّفيّة)^(١): "قولك: ما أحسن زيدًا! هو نفس التَّعْجُبِ الواقعِ مِنَ المتعجَّبِ... بخلاف قولك: تعجبتُ من كذا، فإنّه إخبار عن حصول تعجّب، وليس هو نفس التَّعْجُبِ، فالتَّعْجُبُ مِنَ الألفاظ الإنشائيّة التي هي نفس العمل والفعل، لا إخبار عن وقوع الفعل"^(٢). ويقول سيبويه^(٣): "وقالوا يا للعجب ويا للماء، لما رأوا عجبًا، أو رأوا ماءً كثيرًا كأنّه يقول: تعال يا عجب، أو تعال يا ماء، فإنّه من أيّامك وزمانك، ومثل ذلك قولهم: يا للدّواهي؛ أي: تعالين فإنّه لا يُسْتَنْكَرُ لَكَنَّ"^(٤)، وقالت العرب: "العجب كلُّ العجب بين جمادى ورجب"^(٥)، ومن أمثلتها في القرآن الكريم قول الله - تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾^(٦)، يقول الفراء^(٧) تعليقًا على هذه الآية: "العجب وإن أُسند إلى الله - تعالى - فليس معناه من الله كمعناه من العباد"^(٨).

-
- (١) هو أبو إسحاق نقيّ الدّين إبراهيم بن الحسين الطّائيّ البغداديّ المعروف بالنّيليّ؛ نسبة إلى بلدة (النّيل) على الفرات: شارح ألقية ابن معط، توفي سنة ست وثمانين وستمئة للهجرة، وقد جاءت ترجمته مقتضبة وجيزة لا تشفي غليلاً. انظر: الصّفوة الصّفيّة في شرح الدرّة الألفية: ١/٥ - ٢٤.
- (٢) انظر: الصّفوة الصّفيّة في شرح الدرّة الألفية، إبراهيم بن الحسن النّيليّ، (ت: ما بعد ٦٨٦هـ)، تحقيق: محسن العميريّ، إحياء التّراث الإسلاميّ، مكّة، (د. ط)، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص ١٠٣.
- (٣) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثيّ بالولاء النّحويّ البصريّ، أبو بشر، ولُقّب بسيبويه؛ لأنّه كان يحبُّ شمّ النّفّاح، إمام النّحاة، وأوّل من بسط علم النّحو، لزم الخليل بن أحمد ففاهه، تُوفّي سنة ثمانين ومائة هجرية. انظر: معجم الأدباء: ٤/٤٩٩، ووفيات الأعيان: ٣/٤٦٣، وبغية الوعاة: ٢/٢٢٩-٢٣٠.
- (٤) الكتاب: سيبويه، (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ، ج ٢، ص ٢١٧.
- (٥) مجمع الأمثال: ٢/٤٤.
- (٦) الصّافات: ٣٧/١٢.
- (٧) الفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد، قيل له الفراء؛ لأنّه كان يفري الكلام، إمام الكوفيّين في النّحو واللّغة، أخذ عن الكسائيّ، قال أبو العباس ثعلب: لولا الفراء لما كانت عربيّة؛ لأنّه خلّصها وضبطها، تُوفّي سنة سبع ومائتين للهجرة. انظر: معجم الأدباء: ٥/٦١٩، ووفيات الأعيان: ٦/١٧٦، وبغية الوعاة: ١/٣٣٣.
- (٨) معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، (ت: ٢٠٧هـ)، دار عالم الكتب، (د. ق)، ط ٣، ١٤٠٣هـ، ج ٢، ص ٣٨٤.

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة، وهم يسخرون منك ومن تعجبك"^(١)، ومنه أيضاً - على سبيل المثال لا الحصر - قوله - تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ...﴾^(٢)، فالإعجاب بالشيء: أن يُسرَّ به سرور راضٍ به متعجب من حسنه، والمعنى: فلا تستحسن ولا تُفتنن بما أوتوا من زينة الدنيا^(٣).

ومن معاني التعجب^(٤) التي وردت في القرآن الكريم وأشار إليها الزركشي^(٥): أنه يدل على محبة الله للفعل، نحو: عجب ربك من شاب ليس له صبوة^(٦)... ونحو ذلك، فقد يدل على بغض الفعل كقوله - تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾^(٧)، وقوله - تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ...﴾^(٨)، وقد يدل على امتناع الحكم وعدم حسنه كقوله - تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ...﴾^(٩)، ويدل على حسن المنع منه وأنه لا يليق به فعله، كقوله - تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ...﴾^(١٠)، وقالت العرب قديماً في المثل: "عذر عجب"، يقال مثلاً لما لا يُقدر عليه، يريد (يا عجب)^(١١).

هذا وبعد تتبُّع هذه الصُّورة من صور التعجب السَّماعيِّ وجدتُ أن (الأصمعيَّات) قد تضمَّنت ستة أبيات من هذا القبيل^(١٢)، ومنها قول أعشى باهلة^(١٣)، يرثي المنتشر بن وهب الباهلي، أخاه لأمه: (البسيط)

(١) الكشاف: ٢٠٣/٥.

(٢) التوبة: ٥٥/٩.

(٣) انظر: الكشاف: ٥٧/٣.

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن: محمَّد بن عبد الله الزركشي، (ت: ١٧٩٤هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (د. ق)، ط١، ١٣٧٦هـ، ج٢، ص١٤.

(٥) الزركشي: هو محمَّد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقهِ الشافعيَّة والأصول، مصري المولد والوفاء، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، توفي سنة أربع وتسعين وسبعمائة. انظر: الأعلام: ٦٠/٦.

(٦) انظر الحديث في: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج٥، ص١٨٠.

(٧) الصافات: ١٢/٣٧.

(٨) البقرة: ٢٨/٢.

(٩) التوبة: ٧/٩.

(١٠) آل عمران: ٨٦/٣.

(١١) مجمع الأمثال: ٢٨/٢.

(١٢) يُنظر الموضوع السادس في الأصمعيَّات: ص٥٢، رقم ٣.

(١٣) أعشى باهلة يُكنى أبا قحافة، جاهلي واسمه عامر، وقيل: عمرو بن الحارث، وكان شديد العدو، جعله ابن سلام في طبقة أصحاب المراثي مع مَتَمَّ بن نُويرة، والخنساء، وكعب بن سعد الغنوي. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٢٠٣/١، والكامل في اللغة: ١٥٤/٤، والخزانة: ١٩٢/١.

قَدْ جَاءَ مَنْ عَلَّ أَنْبَاءَ أَنْبُوهُمَا إِلَيَّ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرٌ^(١)

والمعنى أنَّ النَّاسَ يَمُوتُونَ وَيُقْتَلُونَ فَلَا سَخَرَ مِنْ ذَلِكَ؛ أَي: لَا عَجَبَ فِيهِ وَلَا هُزْءَ مِنْهُ،
وقوله: (لا عجب)؛ أَي: لَا أَعْجَبُ مِنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ عَظِيمَةً؛ لِأَنَّ مِصَانِبَ الدُّنْيَا كَثِيرَةٌ^(٢).
وَمِنْ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَحْمِلُ مَعْنَى التَّعَجُّبِ قَوْلُكَ: (لا غرو)، بِمَعْنَى: لَا عَجَبَ، كَمَا فِي قَوْلِ
طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ^(٣): (الطَّوِيل)

لَا غَرَوَ إِلَّا جَارَتِي وَسُؤَالُهَا أَلَا هَلْ لَنَا أَهْلٌ سُنَّيْتِ كَذَلِكَ^(٤)

وعَلَّقَ صَاحِبُ (لِسَانِ الْعَرَبِ) عَلَى قَوْلِ طَرْفَةَ بِقَوْلِهِ: "وَالْغَرَوُ: الْعَجَبُ، وَلَا غَرَوُ وَلَا غَرَوِي؛
أَي: لَا عَجَبَ، وَغَرَوْتُ؛ أَي: عَجَبْتُ"^(٥).
وَمِنْهُ كَلِمَةٌ (عَجَبًا)، كَمَا فِي قَوْلِ سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ^(٦): (الْبَسِيط)

نُبِّئْتُ أَنَّ شَبِيهَ الْوَبْرِ أُوْعِدُنِي فَمَا قَضَيْتُ لِهَذَا الْمُوعِدِ عَجَبًا^(٧)

يَقُولُ سَيَّبِيُّوهُ فِي بَابِ: (مَا يُنْتَصَبُ عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ الْمَتْرُوكِ إِظْهَارَهُ مِنَ الْمَصَادِرِ):
"مِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ: حَمْدًا وَشُكْرًا لَا كُفْرًا وَعَجَبًا... فَإِنَّمَا يُنْتَصَبُ هَذَا عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ:
أَحْمَدُ اللَّهِ حَمْدًا وَأَشْكُرُ اللَّهَ شُكْرًا، وَكَأَنَّكَ قُلْتَ: أَعْجَبُ عَجَبًا... وَإِنَّمَا اخْتَزَلَ الْفِعْلُ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُمْ
جَعَلُوا هَذَا بَدَلًا مِنَ اللَّفْظِ بِالْفِعْلِ، كَمَا فَعَلُوا ذَلِكَ فِي بَابِ الدُّعَاءِ... وَقَوْلُكَ: عَجَبًا مِنْهُ فِي مَوْضِعِ
أَعْجَبَ مِنْهُ"^(٨).

(١) الأصمعيّات: ص ١٠٠، رقم ١.

(٢) انظر: خزانة الأدب: ١/١٩٦.

(٣) طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ قِيلَ لِقَبِّهِ طَرْفَةُ، وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ الْعَبْدِ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْعَشْرِينَ؛ لِأَنَّهُ قُتِلَ فِيهَا
بِأَمْرِ بْنِ عَمْرُو بْنِ هَنْدٍ، جَعَلَهُ ابْنُ سَلَامٍ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ، وَقَالَ عَنْهُ: "فَأَمَّا
طَرْفَةُ فَأَشْعَرُ النَّاسِ وَاحِدَهُ". انظر: طبقات فحول الشعراء: ١/١٣٧، والشعر والشعراء: ١/١٨٥، والمؤتلف:
ص ٢١٦.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٦٦، رقم ٤، قوله: "سُنَّيْتِ كَذَلِكَ"، يَقُولُ: "صَرِيْتُ غَرِيبَةً كَمَا صَرِيْتُ، حَتَّى تُسْأَلَ كَمَا سُئِلْتُ".

(٥) انظر: لسان العرب: ٥/٣٢٥١ (غرا).

(٦) سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنِ جَأْوَانَ، فَارِسٌ مَشْهُورٌ، وَشَاعِرٌ مَحْسَنٌ مَخْضَرٌ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ، يَقُولُ صَاحِبُ
الْخَزَانَةِ: وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ تَابِعِيٌّ. انظر: جمهرة أنساب العرب: ٢٤٨، والمؤتلف: ٢٠٠، والخزانة: ٩/٤٣٥.

(٧) الأصمعيّات: ص ٦١، رقم ٣٠، جَاءَ (فِي لِسَانِ الْعَرَبِ) ٦/٤٧٥٣ (وَبِر): "الْوَبْرُ: دَوِيْبَةٌ مِنْ دَوَابِّ الصَّحْرَاءِ،
حَسَنَةُ الْعَيْنِينَ شَدِيدَةُ الْحَيَاءِ، وَإِنَّمَا شَبَّهَهُ بِالْوَبْرِ تَحْقِيرًا. وَأُوْعِدُنِي: هَدَدُنِي".

(٨) انظر: الكتاب: ١/٣١٨-٣١٩.

وتكون (عجباً) مقرونة بياء النداء عند التعجب من شيء (ما)، فيقال: يا عجباً، ولكن الظاهر في هذا النموذج أن ياء النداء محذوفة، وتحدث النحاة عن جواز حذف حرف النداء اختصاراً^(١)، و(عجباً) مصدر للفعل (عَجِبَ)، ويُنادى هذا المصدر للدلالة على المبالغة في التعجب وأصله (يا عجبى)، يقول الزمخشري: "والألف في (يا ويلتا) مبدلة من ياء الإضافة في (يا ويلتي)، وكذلك في (يا لهفاً ويا عجباً)"^(٢)، ومنه قول عمرو بن معد يكرب: (الوافر)

أَمْشِي حَوْلَهَا وَأَطُوفُ فِيهَا وَتُعْجِبُنِي الْمَحَاجِرُ وَالْفُرُوعُ^(٣)

ومنه أيضاً قول الشاعر في القصيدة نفسها: (الوافر)

وَقَدْ عَجِبْتُ أُمَامَةً أَنْ رَأَيْتِي تَفَرَّعَ لِمَتِّي شَيْبٌ فَظِيغُ^(٤)

فإذا نظرت إلى الكلمات: (عجب، لا عجب، لا غرو، عجباً، تعجبني، عجت) وجدت أنها ألفاظ تدلُّ على التعجب السماعي الذي سُمع عن العرب، فإذا تعجَّب شخصٌ من شيء (ما) استخدم هذه الألفاظ في حديثه، فدلَّ ذلك على أنه في حالة دهشة وتعجب مما يرى أو يسمع.

المطلب الثاني: التعجب بالنداء

من البديهيات التي تعارف عليها البلاغيون أن النداء من الأساليب الإنشائية الطليعية، التي قد تخرج عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام بالقرائن، ومنها التعجب، وهو ما يهّم هنا، وقد تعرّض عدد من النحويين للحديث عن التعجب بالنداء أو النداء التعجبي كما نعته آخرون، ومثّلوا له من كلام العرب ومن القرآن الكريم والسنة المشرفة، أذكر - على سبيل المثال - ما قاله الزجاجي في كتابه (اللّامات): "وربّما سبق (لام) التعجب حرف النداء كقولهم: بالزيد فارساً! أي: اعجبوا لزيد فارساً، ويا لك راكباً! وكذلك ما أشبهه"^(٥).

ويقول صاحب (همع الهوامع) عن النداء الذي يفيد معنى التعجب: "والتعجب بالنداء على وجهين: أحدهما: أن ترى أمراً عظيماً فتنادي جنسه نحو: يالأماء، والآخر أن ترى أمراً تستعظمه،

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، عبد الله بن يوسف "ابن هشام الأنصاري"، (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، التراث العربي، الكويت، ط ١، ١٤٢١هـ، ج ٦، ص ٤٩٣.

(٢) الكشّاف: ٢١٧/٣.

(٣) الأصمعيّات: ص ١٩١، رقم ٧ (الزيادات من الكتابين).

(٤) نفسه: ص ١٩٢، رقم ١٢ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (لسان العرب) ١/٦٨٨ (جمم): "تَفَرَّعَ لِمَتِّي: علاها، واللّمة بكسر اللّام: شعر الرأس الذي يلمّ بالمنكب".

(٥) اللّامات، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي، (ت: ٣٣٧هـ، وقيل ٣٣٩هـ)، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ص ٨٠.

فتنادي مَنْ له نسبة إليه أو مَكِنَّةٌ - أي التَّمَكُّن - فيه نحو يا لِّلْعُلَمَاءِ^(١)، ومنه المثل العربيُّ: "يا لها دَعَةٌ لو أنَّ لها سَعَةٌ"؛ أي: أنا في دَعَةٍ، ولكن ليس لي مال فأنتَهَيُّ به^(٢). ومن الأمثلة التي وردت في الديوان، والتي تدلُّ على النداء التَّعْجِبي قول سَهْم بن حَنْظَلَةَ العَنَوِي: (البسيط)

يا لِلرِّجَالِ لِأَقْوَامٍ أَجَاوِرُهُمْ مُسْتَقْبِسِينَ وَلَمَّا يُقْبَسُوا لَهَا^(٣)

وإذا تأملت هذا البيت، وجدت أن اللَّام دخلت على الاسم في أسلوب النداء ولكنها أفادت التَّعْجِبَ، وتحدّث سيبويه عن (اللَّام) التي للتَّعْجِبِ بقوله: "وكلُّ هذا في معنى التَّعْجِبِ والاستغاثة، وإلا لم يجز، ألا ترى أنك لو قلت: يا لزيد وأنت تحدّثه لم يجز"^(٤).

كما وتحدّث صاحب (لسان العرب) عن هذه اللَّام بقوله: "ومنها لام التَّعْجِبِ مفتوحة، كقولك: يا للعجب، والمعنى يا عجب احضر فهذا أوانك"^(٥)، وفي بيت الشَّعر السَّابِق يُلاحظ أن المنادى المقصود به التَّعْجِبُ قد اشتمل على لام الجرِّ، كما يجوز أن يخلو منها، وعند حذفها تجيء الألف عوضاً عنها، فيقال: يا نجومًا! إذا حذفنا اللَّام من النُّجوم في (ياللنُّجوم)، وقد أشار ابن مالك^(٦) إلى هذا المعنى بقوله: (الرَّجَز)

وَلَامٌ مَا اسْتُعِيبَتْ عَاقَبَتْ أَلْفٌ وَمِثْلُهُ اسْمٌ ذُو تَعْجِبٍ أَلْفٌ^(٧)

شرح ابن عقيل^(٨) هذا البيت بقوله: "تُحذف لام المُستغاث، ويؤتى بألف في آخره عوضاً عنها، ومثله المتعجب منه، نحو: (ياللداهية) و(ياللعجب) فيجرّ بلام مفتوحة كما يُجرّ المستغاث، وتعاقب اللَّام في الاسم المتعجب منه ألف، فنقول: يا عجباً لزيد"^(٩).

(١) همع الهوامع: ٥٣/٢.

(٢) مجمع الأمثال: ٤٢٠/٢.

(٣) الأصمعيّات: ص ٦٠، رقم ٢١، جاء في (لسان العرب) ٣٥١٠/٤ (قبس): "يقبسوا لها: يُعطوا قبساً من نار، القبس: النَّار، والقبس: الشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ".

(٤) الكتاب: ٢١٨/٢.

(٥) لسان العرب: ٤١٠٤/٥ (لوم).

(٦) محمّد بن عبد الله، ابن مالك الطائيّ، أبو عبد الله، جمال الدّين: أحد الأئمة في علوم العربيّة، شافعيّ المذهب، وُلد في (جيان) وانتقل إلى دمشق، توفي فيها سنة اثنتين وسبعين هجريّة. انظر: بغية الوعاة: ١٣٠/١-١٣٧، والأعلام: ٢٣٣/٦.

(٧) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: عبد الله بن عقيل، (ت: ٧٦٩هـ)، دار التّراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٤٠٠هـ، ج ٣، ص ٢٨١.

(٨) ابن عقيل: عبد الله بن عبد الرّحمن بن عبد الله القرشيّ، بهاء الدّين: من أئمة النُّحاة، قال عنه ابن حيّان: "ما تحت أديم السَّماء أنحى من ابن عقيل"، كان مهيباً، مترفّعاً عن غشيان النَّاس، كريماً، كثير العطاء لتلاميذه، في لسانه لثغة، توفّي سنة تسع وستين وسبعمئة هجريّة. انظر: بغية الوعاة: ٤٧/٢-٤٨، والأعلام: ٩٦/٤.

(٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢٨١/٣.

ولا فرق بين المنادى المستغاث به والمنادى المتعجب منه، يقول أبو حيان الأندلسي: "ما صحَّ أن يكون منادى صحَّ أن يكون مستغاثاً به، ومتعجباً منه، وأجمعوا على جواز أن يكون ب(أل)، نحو: يا لله، ويا للرجال ويا للماء، ولام المستغاث به والمتعجب منه مفتوحة^(١)، كما خصَّ النُّحاة حرف النِّداء (يا) بالدُّخول على المُتَعَجِّب منه من بين سائر أحرف النِّداء، يقول صاحب (ارتشاف الضَّرْب): "ولا يدخل على المتعجب منه من حروف النِّداء إلا (يا) خاصة، ولا يجوز حذفها فيه، وقلَّ ورود (وا) في التَّعْجُب، كقول عمر - رضي الله عنه: واعجباً لك يا ابن العاص"^(٢). ومن صور النِّداء التَّعْجِبي التي وردت في الديوان، قول أسماء بن خَارجة^(٣): (الكامل)

يَا ضَلَّ سَعْيُكَ مَا صَنَعْتَ بِمَا جَمَعْتَ مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ^(٤)

جاء في (مجمع الأمثال): "يَا ضَلَّ مَا تَجْرِي بِهِ الْعَصَا"^(٥)، ومن التَّعْجُب في أسلوب النِّداء قولهم: يا شيء مالي، ويا فيء مالي، ويا هيء مالي. معناه كلُّه: الأسف والتَّلهُف والحزن. نقل صاحب (لسان العرب) عن الكسائي^(٦) قوله: "من العرب من يتعجب بشيء، وهيء، وفيء، ومنهم من يزيد فيقول: يا شيء ما، ويا هيء ما، ويا فيء ما؛ أي: ما أحسن هذا!، والأولى قد تُهَمَز وقد لا تُهَمَز، والثَّانية والثَّالثة لا تُهَمَز، ومعناه: التَّلهُف والأسى"^(٧).

(١) ارتشاف الضَّرْب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، (ت- ٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمَّد، الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ، ج ٤، ص ٢٢١١.

(٢) نفسه: ٢٢١١/٤.

(٣) أسماء بن خَارجة من سادات العرب وأشراف أهل الكوفة، كان فارساً شجاعاً كريماً وشاعراً، قال عنه الحجاج عند موته: "هل سمعتم بالذي عاش ما شاء، ثم مات حين شاء؟"، مات سنة ستين، وقيل خمس وستين للهجرة. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٥٣٩/٢، وجمهرة أنساب العرب: ٢٥٧، والإصابة: ١٩٥/١.

(٤) الأصمعيّات: ص ٥٤، رقم ٢١، جاء في (لسان العرب) ٢١٨١/٤ (شبيب): "شُبُّ إِلَى دُبِّ: هذان اسمان للشباب والهرم، والمعنى فيهما هو: منذ كنتُ شاباً حتَّى أن دببتُ على العصا"، وجاء في (مجمع الأمثال) ٧/٢: (أُعْيِينِي مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ، وَمِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ)، فَمَنْ تَوَّنْ جَعَلَهُ بِمَنْزِلَةِ الْإِسْمِ، وَمَنْ لَمْ يَنْوَنْ جَعَلَهُ كَقَوْلِهِمْ: "تهى رسول الله عن قيل وقال"، على وجه الحكاية للفعل، والمثلان يضربان لمن يكون في أمر عظيم غير مرضٍ فيمتدُّ فيه أو يأتي بما هو أعظم منه.

(٥) وفي (مجمع الأمثال) ٤١١/٢ - ٤١٢: "هذا المثل قاله عمرو بن عدِيٍّ لَمَّا رَأَى الْعَصَا، وَهِيَ فَرَسٌ جَدِيمَةٌ وَعَلَيْهَا قَصِيرٌ، وَالْمَنَادَى فِي قَوْلِهِ (يَا) مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا قَوْمُ ضَلُّ، أَرَادَ ضَلُّ بِالضَّمِّ، وَهِيَ مِنْ أَبْنِيَةِ التَّعْجُبِ".

(٦) الكسائي: هو عليُّ بن حمزة بن عبد الله الكوفي، أبو الحسن: أمام في اللُغة والنحو والقراءة، تنقل في البادية، وتوفِّي بالزري عن سبعين عاماً سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة. انظر: معجم الأدباء: ٨٧/٤، ووفيات الأعيان: ٢٩٥/٣، والوفيات بالوفيات: ٤٨/٢١، وبغية الوعاة: ١٦٠/٢ - ١٦٤، والأعلام: ٢٨٣/٤.

(٧) لسان العرب: ٢٣٧١/٤ (شياً).

وَمِنْ صَيْغِ التَّعْجُبِ السَّمَاعِيِّ فِي النَّدَاءِ: (يَا لَكَ) و(يَا لَكَ مِنْ)، واستعملته العرب للتَّعْجُبِ على غير قياس، يقول ابن منظور تعليقاً على قول كُتَيْبِ بْنِ رَبِيعَةَ التَّغْلِبِيِّ^(١): (الرَّجَز)

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِيضِي وَاصْفُرِي!

فهي كلمة تعجب^(٢)، وقد تخرُجُ ألفاظُ النَّدَاءِ عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أخرى، تُفهمُ من السياقِ بمَعونةِ القرائنِ، وهذا البيتُ خيرُ شاهدٍ على صحَّةِ هذا القولِ، وقال أبو حَيَّان: "وجاء التَّعْجُبُ متضمناً جملاً لم تكن في أصلِ الوضعِ، فمن ذلك قولهم: يَا لَكَ فَارِسًا"^(٣)، وَمِنْ أَمْثَلَةِ النَّدَاءِ الَّذِي يَحْمِلُ مَعْنَى التَّعْجُبِ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: (الوَافِر)

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ مِنْ أَنَاسٍ هُمْ كَانُوا الشَّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا^(٤)

ويُتَّضحُ مِنْ مَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّهُ يَتَحَسَّرُ وَيَتَعَجَّبُ مِنْ عَدَمِ إِدْرَاكِهِ لِبَنِي أُسْدٍ؛ يَعْنِي أَنَّ الَّذِي كَانَ يَشْفِيهِ مِمَّا يَجِدُ مِنْ قَتْلِ أَبِيهِ أَنْ يَنُتَّارَ مِنْ بَنِي أُسْدٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: يَا لَلْأَفْيَكَةِ، وَيَا لَلْبَهَيْتَةِ، وَيَا لَلْعَضِيهَةِ^(٥)، جَاءَ فِي (مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ): "يَا لَلْأَفْيَكَةِ هِيَ فَعِيلَةٌ مِنَ الْإِفْكِ، وَهِيَ الْكُذْبُ، وَكَذَلِكَ يَا لَلْبَهَيْتَةِ وَهِيَ الْبَهْتَانُ، وَقَوْلُهُمْ: يَا لَلْعَضِيهَةِ مِثْلُهَا فِي الْمَعْنَى، يُضْرَبُ عِنْدَ الْمَقَالَةِ يُرْمَى صَاحِبَهَا بِالْكَذْبِ، وَاللَّامُ فِي كُلِّهَا لِلتَّعْجُبِ، وَهِيَ مَفْتُوحَةٌ فَإِذَا كُسِرَتْ فَهِيَ لِلْإِسْتِغَاثَةِ"^(٦).

وَفِي اللَّامِ الَّتِي فِيهَا وَجْهَانٌ: فَإِنْ أُرِدْتَ الْإِسْتِغَاثَةَ نَصَبْتَهَا، وَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَدْعُو إِلَيْهَا بِمَعْنَى التَّعْجُبِ مِنْهَا كَسَرْتَهَا، كَأَنَّكَ أُرِدْتَ: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ اعْجَبْ لِلْعَضِيهَةِ، وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْجَبُوا لِلْأَفْيَكَةِ^(٧).

هذا ولم أقف على شيء من هذه الألفاظ أو أمثلة لها في ديوان (الأصمعيّات) فيما علمت.

(١) كُتَيْبِ بْنِ رَبِيعَةَ التَّغْلِبِيِّ الْوَالِيِّ: سَيِّدُ الْحَيِّينَ: مِنَ الشُّجْعَانِ الْأَبْطَالِ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، فَيَقَالُ: "أَعَزُّ مِنْ كَلْبِيبِ وَائِلٍ"، وَأَحَدٌ مَنْ تَشَبَّهُوا بِالْمَلُوكِ، وَبَلَغَ مِنْ هَيْبَتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "مَا أَظَلَّتْهُ هَذِهِ السَّحَابَةُ فِي حِمَايَ". انظر: معجم الشعراء: ٤٨٩/١، ولسان العرب: ٣٥١٠/٥ (قبر)، والأعلام: ٢٣٢/٥، والخزانة للبغدادي: ١٤٦/٢.

(٢) لسان العرب: ٤٩٧٨/٦ (يا).

(٣) ارتشاف الضرب: ٢٠٨٦/٤.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٤٥، رقم ١، جاء في (لسان العرب) ٤٠٨٧/٥ (لهف): "اللَّهْفُ وَاللَّهْفُ الْأَسَى وَالْحَزَنُ وَالْغَيْظُ، وَقِيلَ الْأَسَى عَلَى شَيْءٍ يَفُوتُكَ بَعْدَمَا تُشْرَفُ عَلَيْهِ".

(٥) جاء في (لسان العرب) على التّوالي: ٢٩٩١/٤ (عضه)، و ٩٧/١ (أفك) و ٣٦٨/١ (بهت): "الْعَضَةُ وَالْعِضَةُ وَالْعَضِيهَةُ الْبَهَيْتَةُ وَهِيَ: الْإِفْكَ، وَالْبَهْتَانُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَقِيلَ: السَّحَرُ وَالْكَهَانَةُ، وَالْأَفْيَكَةُ: كَالْإِفْكِ، وَهِيَ الْكُذْبُ، وَالْبَهَيْتَةُ مِنَ الْبَهْتَانِ وَهِيَ الْإِفْتِرَاءُ".

(٦) معجم الأمثال: ٤١٢/٢.

(٧) انظر: لسان العرب: ٢٩٩١/٤ (عضه).

المطلب الثالث: التَّعْجُبُ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ

أ- بِاللَّامِ:

مِنَ الحُرُوفِ الَّتِي مِنْ مَعَانِيهَا التَّعْجُبُ، وَنَصَّ النُّحَاةُ عَلَى اسْتِخْدَامِ الْعَرَبِ لَهَا فِي التَّعْجُبِ: اللَّامُ، يَقُولُ سَبِيوِيهِ عَنْ هَذِهِ اللَّامِ: "وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَقُولُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: لِلَّهِ، فَيَجِيءُ بِاللَّامِ، وَلَا تَجِيءُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَعْنَى التَّعْجُبِ"^(١)، وَتَحَدَّثَ النُّحَاةُ عَنْ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ لـ(اللَّامِ) وَمِنْهَا التَّعْجُبُ، وَعِنْدَمَا سُتُخْدَمُ لِلتَّعْجُبِ يَكُونُ لَهَا صَوْرَتَانِ: إِمَّا مَعَ الْقِسْمِ، وَهِيَ الدَّاخِلَةُ عَلَى اسْمِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ أَوْ مَجْرَدَةً عَنْهُ، وَهِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي النَّدَاءِ^(٢)، وَهَذِهِ الْأَخِيرَةُ سَبَقَ ذِكْرُهَا عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ ظَاهِرَةِ التَّعْجُبِ بِالنَّدَاءِ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ^(٣)، وَأَمَّا الصَّدُورَةُ الْأُولَى فَلَهَا مِثَالٌ وَاحِدٌ فِي دِيْوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ) هُوَ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ^(٤): (الطَّوِيلُ)

وَاللَّهُ صُغْلُوكٌ صَفِيحَةٌ وَجْهَهُ كَضَوْعٍ شَهَابٍ الْقَائِسِ الْمُتَوَّارِ^(٥)

يَقُولُ أَبُو الْقَاسِمِ الرَّجَاجِيُّ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنْ لَامِ التَّعْجُبِ: "وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا لَامُ الْقِسْمِ الْخَافِضَةِ، وَلَا تَكُونُ هَذِهِ اللَّامُ خَافِضَةً لِلْمَقْسَمِ بِهِ إِلَّا مُتَضَمِّنَةً مَعْنَى التَّعْجُبِ فِي اللَّهِ وَحْدَهُ"^(٦). وَقَوْلُهُ: (لِلَّهِ صُغْلُوكٌ) هَذَا التَّرْكِيبُ التَّعْجُبِيُّ شَبِيهُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ: (لِلَّهِ أَنْتَ)، وَهِيَ مِنْ أَلْفَاظِ التَّعْجُبِ السَّمَاعِيِّ الَّتِي تُقْلَتُ عَنِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يُبَوِّبْ لَهَا النُّحَاةُ، وَمَعْنَاهُ: أَيُّ: فِي جَمِيعِ الْكَمَالَاتِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَذْفُ جِهَةِ التَّعْجُبِ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ نَحْوِ: لِلَّهِ دَرْكٌ^(٧).

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: "لَا هَ ابْنِ عَمِّكَ"، يَقُولُ الْبَغْدَادِيُّ: "أَصْلُهُ: لِلَّهِ ابْنِ عَمِّكَ، فَحَذَفَ لَامَ الْجَرِّ مَعَ لَامِ التَّعْرِيفِ وَبَقِيَ عَمَلُهُ شَذُوذًا، وَهُوَ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَابْنُ عَمِّكَ: مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ وَاللَّامُ الْمَحْذُوفَةُ لِلتَّعْجُبِ"^(٨).

(١) الكتاب: ٤٩٧/٣.

(٢) انظر: همع الهوامع: ٣٦٧/٢.

(٣) انظر: ص ٤٥ من البحث وما بعدها.

(٤) عروة بن الورد: شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين

الأجواد، لُقِّبَ بعروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمعهم، ويقوم على أمرهم، قال عنه معاوية الخليفة: "لو كان لعروة

ولد لأحببت أن أتزوج إليهم". انظر: جمهرة أشعار العرب: ٤٥٠، والشعر والشعراء: ٦٧٥/٢.

(٥) الأصمعيّات: ص ٥٠، رقم ١٨، المعنى: وحيي الله صعلوكًا، يتلألاً وجهه قوة كأنه ضوء نار.

(٦) اللآمات: ٨١.

(٧) انظر: حاشية الصبان: ٢٣ / ٣.

(٨) خزانة الأدب للبغدادي: ١٧٢/٧.

ب- بالتاء:

التاء من الحروف التي تُستخدم في التّعجب مقرونة بلفظ الجلالة (الله)، وهي من الأمثلة على التّعجب باستخدام أسلوب القسم، وتحدثت سيبويه عن صيغة القسم (تالله) بقوله: "تالله رجلاً، وسبحان الله رجلاً، إنما أراد تالله ما رأيت رجلاً، ولكنه يترك الإظهار؛ أي: إظهار الفعل استغناءً؛ لأنّ المخاطب يعلم أنّ هذا الموضع إنّما يُضمّر فيه هذا الفعل؛ لكثرة استعمالهم إياه"^(١)، وفي موضع آخر يقول سيبويه عن (تالله): "وقد تقول: تالله! وفيها معنى التّعجب"^(٢)، وذكرها المبرّد^(٣) في (المقتضب) بقوله: "ومن ذلك أنّك تقول: تالله لأفعلن، فتقسم على معنى التّعجب، ولا تدخل التاء على شيء من أسماء الله غير هذا الاسم؛ لأنّ المعنى الذي يوجب التّعجب إنّما وقع هاهنا"^(٤). قال الزّمخشري في تفسير قوله - تعالى: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ...﴾^(٥): "قسّم فيه معنى التّعجب ممّا أُضيف إليهم"^(٦).

ب- (من) حرف وسيط بين لفظ التّعجب والمتعجب منه:

ومن حروف الجرّ التي أوصلت التّعجب إلى المتعجب منه (من)، مثل قول العرب: (ويحه من رجل) فقد دخلت (من) في الاسم النكرة الدال على العموم، وأوصلت معنى التّعجب إليه، ودلّت على أن المقصود هو معنى بعض لا العموم. يقول سيبويه: "وكذلك ويحه من رجل، وإنّما أراد أن يجعل التّعجب من بعض الرجال"^(٧)، ومن أمثلة ذلك في (الأصمعيّات) قول الأجدع بن مالك^(٨): (الكامل)

(١) الكتاب: ٢/٢٩٤.

(٢) نفسه: ٣/٤٩٧.

(٣) المبرّد: هو أبو العباس محمّد بن يزيد الأزديّ بالولاء، وُلد بالبصرة، وأخذ عن المازنيّ، وقصد بغداد فكان إمام عصره في النحو واللغة والأدب، تُوفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين هجرية. انظر: وفيات الأعيان: ٣١٣/٤، والوافي بالوفيات: ١٤١/٥، وبغية الوعاة: ٢٠٤/١.

(٤) المقتضب، محمّد بن يزيد المبرّد، (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمّد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج ٤، ص ١٧٥.

(٥) يوسف: ٧٣/١٢.

(٦) الكشّاف: ٣/٣٠٨.

(٧) الكتاب: ٤/٢٢٥.

(٨) الأجدع بن مالك الهمدانيّ: والد مسروق بن الأجدع، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام، ووفد على عمر بن الخطّاب، فسمّاه عبد الرحمن، وكان فارساً مشهوراً، وسيّداً وشريفاً، مات في خلافة الفاروق. انظر: جمهرة أنساب العرب: ٣٩٤، والمؤتلف: ٦١، وسمط اللالي: ١/١٠٩، والإصابة: ١/١٨٦.

والحارث بن يزيد ويحك أعولي حُلُوا شَمَائِلُهُ رَحِيبَ البَاعِ^(١)

وذكر حرف الجرّ (من) مع الاسم المتعجب منه ليس بواجب، والتقدير في البيت السابق: ويحك من امرأة، يقول سيبويه عندما تحدّث عن ألفاظ التعجب السماعي: "ومن ذلك، ويحه رجلاً، والله ذرّه رجلاً، وحسبك به رجلاً، وإن شئت قلت: ويحه من رجل، والله ذرّه من رجل، وحسبك به من رجل، فدخل (من) توكيداً"^(٢).

ث- بحرف الجرّ الزائد (الباء):

ومن الألفاظ التي يمكن للمرء أن يشتمّ فيها رائحة التعجب لفظة (كفى)؛ وذلك عندما تزداد الباء في معمولها، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم، ومن أمثله قوله - تعالى: ﴿... وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣)، ويعلق ابن السراج على (كفاك يزيد رجلاً)، و(حسبك يزيد رجلاً ومن رجل) بقوله: "تعجب، الباء دخلت لأنها دليل التعجب ولك أن تسقطها وترفع"^(٤).

هذا وقد ذكر السامرائي عددًا من التعبيرات التي يمكن استخدامها في التعجب، ومنها (كفى)، يقول: "ويكون ذلك إذا زيد على مرفوعها الباء، نحو: (كفى بمحمدٍ شاعرًا)، و(كفى بالشيب واعظًا)؛ أي: يكفيك الشيب عن غيره، والمعنى ما أكفى الشيب واعظًا، وما أكفى محمدًا شاعرًا"^(٥). ومما ورد في الحديث الشريف من هذا القبيل قوله - صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع"^(٦).

هذا ولم أقف في ديوان (الأصمعيّات) ولو على مثال واحد من هذا القبيل فيما علمت.

ج- بحرف الجرّ الشبيه بالزائد (رُبّ):

ومن أساليب التعجب - التي ذكرها النحاة - إدخال (رُبّ) على ضمير الغائب وتفسيره بتمييز، نحو: رُبّه رجلاً قابلتُ، والمعنى: قابلتُ رجلاً أيُّ رجل! أي: قابلتُ رجلاً عظيمًا. ومما يؤكد هذا القول ما ذكره ابن يعيش عند حديثه عن الأحكام التي تخصُّ (رُبّ) حيث قال: "علم أنهم قد يدخلون (رُبّ) على المضمر، وإذا فعلوا ذلك جاءوا بنكرة منصوبة تفسر ذلك المضمر، فيقولون:

(١) الأصمعيّات: ص ٧٩، رقم ٢، جاء في (لسان العرب) ٣١٧٦/٤ (عول)، و ٤٩٥٢/٦ (يدي): "أعولي: من العويل، وهو الصياح والبكاء، ونصب " الحارث بنزاع الخافض، والتقدير: أعولي عليه. رحيب الباع: الواسع الكريم، وطويل الباع إذا كان سمحًا جوادًا".

(٢) الكتاب: ١٧٤/٢.

(٣) النساء: ١٣٢/٤.

(٤) الأصول في النحو: ١٠٩/١.

(٥) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٤، ص ٢٤٩.

(٦) كنز العمال، الفصل الثالث: في أخلاق وأفعال مذمومة، ٢٢١/٣ (٧٨٦٤)، (د: ط)، دار الكتب العلميّة.

رُبَّه رجلاً... وهذا إنما يفعلونه عند إرادة تعظيم الأمر وتفخيمه، فيُكْنُون عن الاسم قبل جَزِي ذكره ثم يفسرونه بظاهر بعد البيان، وليس ذلك بمطرد في الكلام^(١).

هذا ولم يقف الباحث في ديوان (الأصمعيات) على (رُبّ) وقد لحقها ضمير الغائب ليُقصد بها التّعجب، وإنما وردت (رُبّ) متلوّة باسم ظاهر يعرب مبتدأً مجروراً لفظاً مرفوعاً محلاً - ستّ مرات - وهذا لا يدخل ضمن الصّورة التي ذكرها ابن يعيش.

المطلب الرابع: التّعجب بالاستفهام

وللاستفهام معانٍ كثيرة قد يخرج إليها عن معناه الأصلي، وتُفهم من سياق الكلام، وتُعرف بالقرائن والدلائل، وقد فصلّ البلاغيون القول في هذه المعاني، ومنها: التّعجب، يقول الزّركشي في (البرهان): "لأنّ الاستفهام والتّعجب بينهما تلازم؛ لأنّك إذا تعجبت من شيء فبالحريّ أن تسأل عنه"^(٢). أمّا عبد السّلام هارون فيعتبر أنّ أساليب التّعجب المنقولة عن الاستفهام من أبلغ الأساليب وأفصحها، يقول: "أبلغ أساليب التّعجب ما كان منقولاً عن الاستفهام، تقول: ما هذا الجمال؟! وما ذلك الحسن؟! وفي هذا الأسلوب يسأل المتعجب عن سبب الحسن، إشارة إلى أنّ للحسن أسباباً كثيرة تستدعي السؤال"^(٣).

من أدوات الاستفهام التي وردت في القرآن الكريم وكان غرضها التّعجب: (الهمزة)، حيث وردت في آيات كثيرة أحصاها النّحاة وعلماء التّفسير - جزاهم الله تعالى خيراً - منها على سبيل المثال لا الحصر - قول الله - تعالى: ﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّا لَمَدِينُونَ﴾^(٤)، يقول الفراهيديّ معلقاً على هذه الآية: "إنّ هذه الألف ألف تعجب؛ لأنّ الكفّار لا تستفهم"^(٥)، ومنه قوله - تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا...﴾^(٦)، وكما يتّضح من ظاهر معنى الآية الكريمة، فقد قالت سارة متعجبة: كيف ألد وأنا كبيرة في السنّ؟ وهذا زوجي كما تزوّنه شيخاً كبيراً لا يُولد لمثله! إنّ بشارتك هذه شيء عجيب مخالف لما هو معروف، جاء في (معاني القرآن): "فذكروا أنّها كانت بنت ثمان وتسعين سنة، وكان - عليه السلام - أكبر منها بسنة"^(٧)، فالمراد من الاستفهام ليس طلب الفهم، وإنما القصد التّعجب من فعل الإنجاب في هذا العمر، وقوله - جلّ

(١) شرح المفصل: ٢٨/٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٤٠٤/٤.

(٣) الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ، عبد السّلام هارون، الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ، ص٩٦.

(٤) الصّافات: ٥٣/٣٧.

(٥) الجمل في النّحو: ٢٤٦.

(٦) هود: ٧٢/١١.

(٧) معاني القرآن: ٢٣/٢.

ثناؤه- بعد ذلك: «...إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ»^(١) قد وضَّح القصد والغرض مِنْ هذا الاستفهام، وعن العلاقة الَّتِي تربط الاستفهام بالتَّعْجُب، يقول البهاء السُّبُكِيُّ: "أَمَّا التَّعْجُبُ (فالاستفهام) معه مستمرٌّ؛ لأنَّ مَنْ تَعَجَّبَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ بِلِسَانِ الْحَالِ سَائِلٌ عَنْ سَبَبِهِ"^(٢). هذا وقد ورد الاستفهام التَّعْجُبِيُّ بصيغ مختلفة في ديوان (الأصمعيَّات)، ومنها:

١- التَّعْجُبُ بِالْهَمْزَةِ:

بعد الاطلاع على ديوان (الأصمعيَّات)، وتتبع الاستفهام بالهمزة لغرض التَّعْجُب، تمَّ إحصاء تسعة عشر موضعا مِنْ هذا القبيل^(٣)، ومنه قول سَعْدَى بنت الشَّمْرَدَلِ الجُهَنِيَّةِ^(٤) ترثي أخاها: (الكامل)

أَمِنْ الْحَوَادِثِ وَالْمُنُونِ أَرْوَعُ وَأَبَيْتُ لِنَيْي كَلَّةُ لَا أَهْجَعُ^(٥)

ومنه قول عمرو بن مَعْدِ يَكْرِبِ: (الوافر)

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ^(٦)

ومنه قول عِلْبَاءِ بِنِ أَرْقَمِ^(٧): (الطَّوِيل)

أَمِنْ أَجْلِ كَبْشٍ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ قَرْيَةٍ وَلَا عِنْدَ أَدْوَادٍ رِتَاعٍ وَلَا غَنَمٍ^(٨)

(١) هود: ٧٢/١١.

(٢) البهاء السُّبُكِيُّ وآراؤه البلاغيَّة والنقدية، عبد الفتاح لاشين، دار الطباعة المحمديَّة، القاهرة، ط ١، ١٣٨٩هـ، ص ١٢٢.
(٣) انظر المواضع الأخرى في الأصمعيَّات: ص ٥٢، رقم ٣. ص ٥٣، رقم ٤. ص ٧٩، رقم ١. ص ١٤٣، رقم ١. ص ١٨٨، رقم ٩.

(٤) سَعْدَى بنتُ الشَّمْرَدَلِ الجُهَنِيَّةِ: شاعرة جاهليَّة من بني جُهينة، اختُلف في اسمها فقيل: هي سلمى بنت مخدعة، وقيل: سعدى بنت الشَّمْرَدَلِ، لها شعر في رثاء أخيها أسعد بن مجدعة الهذليِّ حينما قتلته بهز من بني سليم بن منصور. وهو على الأغلب أخواها لأُمِّها، لها شعر في الأصمعيَّات. انظر: سمط اللآلي: ٣٦ "الهامش"، ولسان العرب: ٩٠٢/٢ (حضر)، والأعلام: ٨٩/٣.

(٥) الأصمعيَّات: ص ١١٤، رقم ١، جاء في (لسان العرب) ١٧٧٧/٣ (روح): "أَرْوَعُ: أفرغ؛ أرادت أنها فرعة لا تعرف طعم النَّوْمِ مِنَ الْحَزَنِ".

(٦) نفسه: ص ١٩٠، رقم ١ (الزيادات مِنَ الكتابين)، جاء في (خزانة الأدب) ١٨٣/٨: "ريحانة: اسم لأخت الشَّاعر. هُجُوع جمع هاجع؛ أي: النَّائم، والسَّمِيع: المسموع".

(٧) علباء بن أرقم بن عوف، شاعر جاهليِّ عاصر الملك النُّعمان بن المنذر، وكان النُّعمان قد أحمى كَبْشًا، فوثب عليه علباء فذبحه، فحُمِلَ إلى النُّعمان، فلما وقف بين يديه أنشده قصيدة، هذا البيت أحد أبياتها. انظر: كتاب الاختيارين: ٢٠٥، ومعجم الشُّعراء: ٣٠٤، وشرح أبيات المغني: ١/١٦٠، وخزانة البغدادي: ٤٤٤/١.

(٨) الأصمعيَّات: ص ١٧٥، رقم ٩، الأَدْوَاد: جماعات الإبل، الواحد نود، والدَّوْدُ للقطيع مِنَ الإبلِ الثَّلاثِ إلى التَّسع، وقيل ما بين الثَّلاثِ إلى العشر، وورد في (لسان العرب) ١٥٢٥/٣ (ذود): "الرَّتَاع: الرَّاغِعة في الخصب والسَّعة".

في هذه الأبيات يُلاحظ دخول همزة الاستفهام التي تفيد معنى التَّعْجُب على شبه الجملة، كما يُلاحظ أَنَّ الهمزة لم تتخلَّ تمامًا عن استفهاميَّتها لتفيد معنى التَّعْجُب، وإنَّما تجد أنَّ القارئ لهذه الأبيات يتذوَّق نكهة الاستفهام فيها، كما دخلتْ همزة الاستفهام على الجملة الفعلية في أبيات شعرية وردتْ في (الأصمعيَّات)، أذكر منها قول أسماءَ بنِ خَارجةَ: (الكامل)

أَحْسِبْتِنَا مِمَّنْ تُطِيفُ بِهِ فَاخْتَرْتِنَا لِلأَمْنِ وَالخِصْبِ^(١)

ومنها قول مَقَّاسِ العائِديِّ^(٢): (الطويل)

أَجْنُثْمُ إِيْنَا فِي بَقِيَّةِ مَالِنَا تُرْجُونَ مِنْ جَهْلِ إِيْنَا المَنَاكِرَا^(٣)

وهذا قاله على وجه الإنكار والتَّعْجُب^(٤)، ومنها قول الأجدعِ بنِ مالكِ الهَمْدانيِّ: (الكامل)

أَسَأَلْتِنِي بِرِكَائِبِ وَرِحَالِهَا وَنَسِيتِ قَتْلَ فَوَارِسِ الأَرِيَاعِ^(٥)

وقول المُمزَّقِ العبديِّ^(٦) يستعطف عمرًا بن هند: (الطويل)

أَكَلَفْتَنِي أَدْوَاءَ قَوْمِ تَزَكُّهُمْ وَإِلَّا تَدَارَكُنِي مِنَ البَحْرِ أُغْرَقُ^(٧)

هنا دخلتْ همزة الاستفهام التي تفيد التَّعْجُب على جملة فعلية فعلها ماضٍ يليها ضميران متصلان يقعانِ فاعلاً ومفعولاً به - وهذا مِنْ مسوغات تقدُّمِ الفاعل على المفعول به وجوباً - تفصل بينهما نون الوقاية التي تقي الفعل مِنَ الكسر، والمعنى: "كَلَفْتَنِي جنایات قوم أنا منهم بريء ومُخالف لهم ومُتباعد عنهم، فكيف تأخذني بدنب مَنْ هذه حاله؟! "^(٨).

(١) نفسه: ص ٥٥، رقم ٢٧.

(٢) مَقَّاس: لقبه، وقيل: اسمه، واسمه مسهر بن النعمان بن عمرو، شاعر مخضرم، وقيل جاهلي مجيد مقل.

انظر: معجم الشعراء: ٤٠٤، وجمهرة أنساب العرب: ١٧٤، والمؤتلف: ١٠٧.

(٣) الأصمعيَّات: ص ٦٧، رقم ٨، ورد في (لسان العرب) ٣/١٨١٥ (زجا): "ترجون: تسوقون".

(٤) انظر، شرح اختيارات المفضل: الخطيب التبريزي (ت: ٥٥٢) تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ. ج ٣، ص ١٣١٧.

(٥) الأصمعيَّات: ص ٧٩، رقم ١، الأرياع، قيل: هم الذين يأخذون ربع الغنيمة، وقيل: الأرياع موضع قُتلوا فيه.

(٦) الممزق العبدي: هو شأس بن نهار بن أسود، وهو ابن أخت المُتقَّبِ العبديِّ، شاعر جاهلي، عاصر النُعمان

ملك الحيرة، جعله ابن سلام في طبقة شعراء البحرين. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٢٧٤/١، ومعجم الشعراء:

٤٩٥، والمؤتلف: ٢٨٣، وشرح أبيات المغني: ١٤٧/٥.

(٧) الأصمعيَّات: ص ١٨٥، رقم ١٨ (الزيادات من الكتابين)، أدواء: جمع داء، والداء اسم جامع لكلِّ مرضٍ وعيبٍ

في الرِّجالِ ظاهرٍ أو باطنٍ حتَّى يُقال: داءُ الشَّحِّ أشدُّ الأَدْوَاءِ، وقوله: إنَّ لم تَدَارَكُنِي: إنَّ لم تغتني.

(٨) لسان العرب: ٤٥٣/١ (نهم).

ومن أمثلة دخول همزة الاستفهام المحذوفة على الجملة الفعلية، ذات الفعل المضارع قول مُهْلَهْل بن ربيعة^(١): (الكامل)

يَا حَارِ تَجْهَلْ عَلَى أَشْيَاخِنَا إِنَّا ذُوو السُّورَاتِ وَالْأَحْلَامِ^(٢)

فهو يتعجب من صنيع حارثة الذي يجهل على أشياخهم، وهمزة الاستفهام التي تفيد معني التعجب محذوفة، والتقدير: أتجهل!

ودخلت الهمزة على العلم المركب تركيباً إضافياً، في قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ^(٣): (الطويل)

تَنَادُوا فَقَالُوا: أَزَدَتِ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ: أَعْبَدَ اللَّهُ ذَلِكُمْ الرَّدِيِّ^(٤)

ومن هذه الصور دخول الهمزة على المصدر، الذي يقع مفعولاً مطلقاً، ويتمثل ذلك في قول الممزق العبدِيّ: (الطويل)

أَحَقًّا أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنْ ابْنَ فَرْتَنَا عَلَى غَيْرِ إِجْرَامٍ بَرِيقِي مُشْرِقِي^(٥)

ومن صور التعجب بالاستفهام أن تُتلى الهمزة بأداة نفي مثل: (لم) أو (ليس)، كما ورد في قوله - تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ...﴾^(٦)، يقول ابن منظور تعليقا على (ألم): "هي كلمة نقولها العرب عند التعجب من الشيء، وعند تنبيه المخاطب"، ويسوق عدداً من الآيات القرآنية كأمثلة عليها، ومنها قوله - تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ...﴾^(٧)؛ أي: ألم تعجب لفعالهم، ألم ينته أمرهم إليك!^(٨)، ويقول الفراء عند شرحه لهذه الآية: "وإدخال العرب (إلى)

(١) مُهْلَهْل بن ربيعة هو أبو ليلي امرؤ القيس بن ربيعة، وقيل عدي بن ربيعة بن الحارث، شاعر جاهلي، قال عنه ابن سلام: "إنه أول من قصد القصائد"، وسُمي مُهْلَهْلًا؛ لأنه لهل الشعر؛ أي: أرقه، وكان فيه خُثْث، وهو أحد الشعراء الكذبة والبقاة. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٣٩/١، والشعر والشعراء: ٢٩٧/١، والأُمالي: ١٣٠/٢.

(٢) الأصمعيّات: ص ١٧٣، رقم ١، النداء للحارث بن عباد البكري. السُّورَاتِ: مفرد السُّورَة، وهي الشرف الرفيع والمنزلة العالية، الأحلام: مفرد حلم، وهو العقل والأناة والتروّي والتثبت في الأمور.

(٣) دريد بن الصَّمَّة: شاعر فحل معمر، مخضرم عاش نحو مئتي سنة، أدرك الإسلام، وشهد حينئذ مظاهراً المشركين، وهو أعمى وقتل في يومها، وهو فارس مشهور أبرص، شهد نحو مائتي غزوة ظافراً، ورؤي عن الجُمحيّ أنه جعله أشعر الفرسان. انظر: الاختيارين: ٤٠٤، والعقد الفريد: ٢٨/٦ والمؤتلف: ١١٤.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٢٢، رقم ٢٤.

(٥) نفسه: ص ١٨٥، رقم ١٦ (الزيادات من الكتابين)، وفي (شرح أبيات المغني) ١٤٦/٥-١٤٧: "ابن فرتنا: هي المرأة الزانية والأمة أيضاً؛ وأراد بابن فرتنا هنا الواشي، وهي كلمة سبب. وإجرام مصدر أجرم؛ أي: أذنب. ومشريقي: اسم فاعل من أشريقي بريقي؛ أي: أعصني به".

(٦) البقرة: ٢٥٨/٢.

(٧) النساء: ٥١/٤.

(٨) لسان العرب: ١٥٤٢/٣ (رأى).

(إلى) في هذا الموضع على جهة التّعجب، كما تقول للرجل: أما ترى إلى هذا! والمعنى - والله أعلم - هل رأيت مثل هذا، أو رأيت هكذا! ^(١)، ويعلق الزركشي على دخول الهمزة على (لم) بقوله: "وإذا دخلت على (لم) أفادت معنيين: أحدهما: التّنبية والتذكير، نحو قوله - تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾" ^(٢)، وثانيهما: التّعجب من الأمر العظيم كقولك: ألم تر إلى فلان يقول: كذا ويعمل كذا! على طريق التّعجب منه" ^(٣)، هذا وقد ورد هذا الاستفهام المنفي بكثرة في الأحاديث النبوية الشريفة، أذكر منها - على سبيل المثال - قوله - صلى الله عليه وسلم: "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط" ^(٤).

ومن الأمثلة التي وردت في ديوان (الأصمعيّات) على همزة الاستفهام الداخلة على (لم) قول المفضل النكري ^(٥): (الوافر)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اسْتَقَلُّوا فَنَيْتْنَا وَنَيْتُهُمْ فَرِيقٌ ^(٦)

كما هو واضح من خلال معنى البيت، فإن الاستفهام هنا غرضه التّعجب، فهو يتعجب من صنيع جيرته الذين نهضوا مرتحلين، بدليل أنه في البيت التالي لهذا البيت وبسبب رحيلهم أصبح دمه سلساً ينحدر كحبات اللؤلؤ. ومنه قول سوار بن المضرب ^(٧): (الوافر)

أَلَمْ تَرِنِي وَإِنْ أَنْبَأْتُ أُنِّي طَوَيْتُ الْكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الْغَوَانِي ^(٨)

(١) معاني القرآن: ١٧٠/١.

(٢) الفرقان: ٤٥/٢٥.

(٣) البرهان: ١٧٩/٤.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، باب فضل قراءة المعوذتين، ٩٦/٦، المطبعة المصرية بالأزهر. وكنز العمال، باب المعوذتين، ٢٩٩/١ (٢٧٤٢)، (د. ط)، دار الكتب العلمية.

(٥) هو المفضل بن أعسر بن أسحم.. شاعر جاهليّ فحل جعله ابن سلام في طبقة شعراء البحرين. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٢٧٤/١، والاختيارين: ٢٤١، وشرح أبيات المغني: ٣٤٩/١.

(٦) الأصمعيّات: ص ٢٢٠، رقم ١ (الزيادات من الكتابين)، وفي (لسان العرب): ٣٣٩٨/٥ (فرق): "استقلوا: نهضوا مرتحلين. والنية: الوجهة التي ينوونها. والفريق: الطائفة من الناس، فَنَيْتْنَا وَنَيْتُهُمْ فَرِيقٌ": قال سيبويه: قال: فريقٌ كما تقول للجماعة صديقٌ".

(٧) سوار بن المضرب، أحد بني سعد، شاعر إسلامي، وهو أحد الذين فرّوا من الحجاج، سُمي بالمضرب؛ لأنه شَببَ بامرأة، فحلف أخوها ليضربنه بالسيف، فضربه حتى أغشى عليه، فسُمي مضرباً لذلك. انظر: الاختيارين: ١٠٥، والكامل: ٣٠٠/١، وشرح الحماسة للمرزوقي: ١٣٠/١، وشرح الحماسة للنيريزي: ٦٥/١.

(٨) الأصمعيّات: ص ٢٣٨، رقم ١، جاء في (الاختيارين) ١٠٥: "يقال: طويْتُ عن ذلك الأمر كَشْحًا، إذا سلوتُ عنه".

وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَجْدَعِ بْنِ مَالِكٍ الْهَمْدَانِيَّ: (الكامل)

أَبْنِي الْخُصَيْنِ أَلَمْ يَحْنِكُمْ بَغْيِكُمْ أَهْلَ اللَّوَاءِ وَسَادَةَ الْمِرْبَاعِ^(١)

وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْإِسْتِفْهَامِ الدَّاخِلِ عَلَى (لَيْسَ) مَعَ وَجُودِ (الْفَاءِ) فَاصِلًا بَيْنَهُمَا فِي دِيْوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ)
قَوْلِ سَعْدَى بِنْتِ الشَّمْرَدَلِ الْجُهَيْنِيَّةِ تَرْتِي أَخَاهَا: (الكامل)

أَفَلَيْسَ فِيمَنْ قَدْ مَضَى لِي عِبْرَةٌ هَلِكُوا وَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنْ لَنْ يَرْجِعُوا^(٢)

فكما هو ظاهر من خلال معنى البيت فإن الاستفهام قد أفاد معنى التّعجب، وما أرى في هذه الفاء إلا زائدة، جاء بها الشاعر؛ ليستقيم له وزن البيت الموسيقي، بدليل أنه لو فُرى البيت بدونها لظلّ محافظاً على معناه بها.

٢- التّعجب ب(هل):

من حروف الاستفهام التي قد تفيد معنى التّعجب (هل)، وتحدث عنها الكثير من النحاة، واختلفت آراؤهم حولها على النحو الآتي:

نقل الزّمخشري عن سيبويه: "أنّ (هل) بمعنى (قد)، إلا أنّهم تركوا الألف قبلها؛ لأنّها لا تقع إلا في الاستفهام"^(٣)، ومن الجدير بالذكر أنّي قمتُ بالبحث عن هذه المعلومة في (الكتاب) لسيبويه، ولمّا يتسنّى لي العثور عليها، وربّما يكون الزّمخشري قد نقلها عن سيبويه الذي صرّح بها من مكان آخر غير كتابه هذا، وما ذكره سيبويه بصورة غير مباشرة: هو أنّ (هل) للاستفهام^(٤)، وقال المبرّد^(٥) عنها: "وهي للاستفهام، نحو قولك: هل جاء زيد؟ وتكون بمنزلة (قد) في قوله - تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ...﴾"^(٦).

وذكر ابن هشام أنّ (هل) حرف موضوع لطلب التّصديق الإيجابي، دون التّصور، ودون التّصديق السلبي، فيمتنع، نحو: هل زيداً ضربت، وهل لم يقم زيداً؟^(٧)، ويُفهم من هذا القول: إنّ (هل) لا يأتي بعدها اسم منصوب بعده فعل، كما أنّها لا تدخل على النّفي.

(١) نفسه: ص ٨٢، رقم ٢٢، المرباع: ربع الغنيمة يأخذه رئيس الجند.

(٢) نفسه: ص ١٥٥، رقم ٨.

(٣) المفصل في صنعة الإعراب، محمود بن عمرو الزّمخشري، (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عليّ بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ٤٣٧.

(٤) انظر: الكتاب: ١/١٢٧.

(٥) المقتضب: ١/٤٤.

(٦) الإنسان: ١/٧٦.

(٧) انظر: مغني اللبيب: ٤/٣٢٤.

وقال عنها السُّيوطي: " (هل) ويُقال فيها (أل) بإبدال هائها همزة، لطلب التَّصديق، وتختصُّ بورودها للجحد"^(١)، وربما قصد الإمام بالجحد، أنَّ الاستفهام بها يراد به النَّفي، مثلما تقول في الغرض البلاغيِّ مِنَ الاستفهام هو النَّفي، كما في قوله - تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾^(٢). ويدخل حرف الاستفهام (هل) على الجملة الفعلية، وكذلك الاسمية، يقول ابن الحاجب^(٣) عن (الهمزة وهل) أداتين من أدوات الاستفهام: "تدخلان على الجملتين الفعلية والاسمية، فيصير معناهما السؤال عن مضمونهما بعد أن كان خبراً، كقولك: هل زيد قائم؟ وهل قام زيد؟ إلا أنَّ الهمزة أعم"^(٤).

هذا وقد وردت (هل) في (الأصمعيَّات) في أربعة عشر موضعاً، ولُوْحِظَ أنَّ (هل) قد دخلت على نوعين من الجمل؛ حيث دخلت على الجملة الفعلية في عشرة مواضع، منها خمسة فعلها ماضٍ، والخمسة الباقية فعلها مضارع، والأفعال المضارعة أربعة منها معرب والخامس مبني؛ بسبب اتصاله بنون التوكيد الخفيفة اتصالاً مباشراً، ومن المواضع التي وردت فيها (هل) الاستفهامية التَّعْجِيبِيَّة مَثَلَةٌ بالفعل الماضي^(٥) قول سلامة بن جندل^(٦): (الطويل)

أَلَا هَلْ أَتَتْ أَنْبَاؤُنَا أَهْلَ مَأْرِبٍ كَمَا قَدْ أَتَتْ أَهْلَ الدَّبَا وَالْحَوْرَنْقِ^(٧)

فالاستفهام التَّعْجِيبِيُّ هنا غرضه النَّفي، فأنبأؤهم لم تأتِ أهل مأرب كما أتت أهل الدَّبَا والحَوْرَنْقِ، ولو أنَّها أتت لَمَا عَبَّرَ الشَّاعِرُ عن استغرابه وتَعْجِبه وتَسَائِلهُ، ومنه قول صُحَيْرِ بن عُمَيْرٍ^(٨): (الرجز)

(١) همع الهوامع: ٥٠٥/١.

(٢) الزُّمر: ٩/٣٩.

(٣) ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر، أبو عمرو، جمال الدِّين: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية، من تصانيفه: (الكافية في النحو)، و(الشافية في الصرف)، مات سنة ست وأربعين وستمائة للهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٢٤٨/٣، والوافي بالوفيات: ١٨٢/١١، وبغية الوعاة: ١٣٤/٢ - ١٣٥، والأعلام: ٢١١/٤.

(٤) الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب النَّحْوِي، (ت: ٦٤٦هـ) تحقيق: موسى بناي العليي، مطبعة العاني، بغداد، (د. ط)، (د. ت)، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٥) انظر باقي المواضع في الأصمعيَّات: ص ١٧٩، رقم ٤. وص ٢٣٧، رقم ٣٢.

(٦) سلامة بن جندل بن عبد الرَّحْمَنِ: شاعر جاهلي قديم، فحل مُؤَلِّ، جعله ابن سَلَّام في الطبقة السَّابعة، وكان من أشدَّاء العرب المذكورين وفرسانهم المعدودين، وكان أحد من يصف الخيل فيحسن، وأجود شعره - على الكامل - قصيدته التي أولها: أَوْدَى الشَّبَابُ حَمِيدًا ذُو النَّعَاجِبِ وَوَلَّى وَذَلِكَ شَأْوُ غَيْرِ مَطْلُوبِ

انظر: طبقات فحول الشعراء: ١٥٥/١، والشعر الشعراء: ٢٧٢/١، والمؤتلف: ٤٤، وسمط اللآلي: ٤٩/٢.

(٧) الأصمعيَّات: ص ١٤٨، رقم ٩، أنباؤنا: أخبارنا. والحَوْرَنْقِ بالكوفة، ومأرب باليمن. والدَّبَا موضع بالبصرة.

(٨) صُحَيْرِ بن عُمَيْرِ التَّمِيمِي: لم أقف له على أخبار فيما عدتُ إليه من مصادر.

وَهَلْ عَلِمْتَ فُحْشَاءَ جَهْلَةٍ^(١)

وَهَلْ عَلِمْتَ يَا قُفَيَّ التَّنْفُلَةَ^(٢)

أما مواضع دخولها على الفعل المضارع المعرب^(٣)، فتمثّل في قول خُفَافَ بنِ نُدْبَةَ^(٤): (الطّويل)

فَدَعُ ذَا وَلَكِنْ هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضِيءُ حَبِيئًا فِي ذُرَى مُتَأَلِّقٍ^(٥)

والشّاعر هنا يتعجّب من طَيْفِ المحبوبة (أسماء) الّتي ذكرها في بداية القصيدة، ودخلت على الفعل المضارع المبنيّ في قول السّمّوئل بن عادياء^(٦): (الخفيف)

هَلْ أَقْوَلُنْ إِذَا تَدَارَكَ حِلْمِي وَتَدَاكَ عَلَيَّ: إِنِّي دُهَيْتُ^(٧)

ويلاحظ أنّها دخلت على الجملة الاسميّة في أربعة مواضع^(٨)، ومنها قول عُرْوَةَ بنِ الْوَرْدِ: (الطّويل)

تَقُولُ: لَكَ الْوَيْلَاتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ ضُبُوءًا بِرَجُلٍ تَارَةً وَيَمْنَسِرٍ^(٩)

(١) الأصمعيّات: ص ٢٣٥، رقم ١٩ (الزيادات من الكتابين)، الفحشاء: جمع فاحش.

(٢) نفسه: ص ٢٣٥، رقم ٢٤ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (أمالى القاليّ) ٢/٢٩٠: "التنّفلة: الأنثى من أولاد النّعالب".

(٣) انظر باقي المواضع في الأصمعيّات: ص ١٤٧، رقم ٥. وص ٢٠٤، رقم ٢. وص ٢٢٦، رقم ٣٢.

(٤) خُفَافَ بنِ نُدْبَةَ هو خُفَافَ بنِ عمير بن الحارث بن الشّريد، شاعر مخضرم أدرك الجاهليّة والإسلام، وشهد فتح مكة، وكان معه لواء بني سليم وشهد حنينًا، وعاش إلى خلافة عمر، وكان أحد فرسان قيس، وهو أحد أغربة العرب. انظر: الشّعْر والشّعراء: ١/٣٤١، والمؤتلف: ١٥٣، وخزانة الأدب: ١٦/٤.

(٥) الأصمعيّات: ص ٢٩، رقم ٣٠، الحبيّ: السحاب الّذي يتراكم بعضه فوق بعض، انظر: لسان العرب: ٢/٧٦٦ (حبيب). والذّرى: جمع ذرّة، وذرّة كلّ شيء أعلاه. ومتألّق: صفة لبارق.

(٦) السّمّوئل بن عادياء بن حباء اليهوديّ: صاحب تيماء الّتي عُرفت بتيماء اليهوديّ، ويُقال: إنّ العرب كانوا ينزلون بالسّمّوئل ضيوفًا، فيمتارون في حصنه، وكان يُقام فيه سوق، وإليه التّجّأ امرؤ القيس. انظر: معجم الشّعراء: ٣٩٦، ولسان العرب: ٤/٢٧٨١ (عيد)، والخزانة: ٥/٢٧٩.

(٧) الأصمعيّات: ص ٩٨، رقم ١٢، جاء في (لسان العرب) ٢/١٣٦٥ (درك): "تدارك: تتابع. وتداكا: أراد تدافع وتراحم إذا تناوبته الهموم والهواجس".

(٨) انظر باقي المواضع في المرجع نفسه: ص ٤٧، رقم ٦. وص ١٦٦، رقم ٤.

(٩) نفسه: ص ٤٨، رقم ٨، الضّابيّ: الّذي يتخفّى للوحش، والرّجل والرّجالة: الجماعة، والمنسر من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، فأراد أنّها قالت له: كم تقاسي الغارات! انظر: جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام: ٤٥١، وجاء في (لسان العرب) ٤/٢٥٤٢ (ضبا)، و ٥/٧٤٧٣ (نسر): "الضّبوء: الملتصق بالأرض؛ يريد أنّه يضبا بالنّهار ليخفى ويسري بالليل. والمنسر: ما بين الثلاثين إلى الأربعين".

قوله: (لك الويلات) فيه قولان: أحدهما: أن يكون دعاءً منها عليه في الحقيقة، وثانيهما: أن يكون دعاءً منها له في الحقيقة، كما تقول العرب للرجل إذا رمى فأجاد: قاتله الله ما أرماه!^(١)، ومنه قول المثلّمس^(٢) يعاتب خاله الحارث اليشكري: (الطويل)

وهل لي أم غيرها إن تركتها أبى الله إلا أن أكون لها ابتما^(٣)

صحيح أن الغرض البلاغي هنا هو النفي؛ أي: ليس لي أم غيرها، لكن هذا الاستفهام لا يخلو من التعجب، هذا إذا علم أن المرء إذا استفهم عن شيء (ما) فهو متعجب منه لا محالة. وبعد تتبّع حرفي الاستفهام (هل والهمزة) في ديوان (الأصمعيّات) وُجد أن الهمزة قد تدخل على حروف العطف، ومن ذلك قول طريف العبّري^(٤): (الكامل)

أو كلّمًا وردت عطا قبيلة بعثوا إلي رسولهم يتوسّم^(٥)

في حين وُجد أن حروف العطف هي التي تدخل على (هل) خاصة الواو، يقول صاحب (الصفوة الصفيّة): وتدخل الهمزة على حروف العطف كالواو والفاء وثمّ، وأمّا (هل) فتدخل حروف العطف عليها، قال - تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيًّا فَأَحْيَيْنَاهُ...﴾^(٦)، وأمّا (هل) فلا تقع هذه المواقع، وتدخل عليها حروف العطف، ولا يقعن بعدها^(٧).

٣- التّعجب ب(كيف):

ومن أدوات الاستفهام التي قد تخرج عن معناها الحقيقي إلى معنى التّعجب (كيف)، جاء في (الصّاح)^(٨): "كيف: اسم مبهم غير متمكّن؛ وإنّما حرك آخره لالتقاء الساكنين، ويبي على الفتح دون الكسر لمكان الياء، وهو للاستفهام عن الأحوال، وقد يقع بمعنى التّعجب، كقوله-

(١) انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، الكويت، ط٥، ١٣٨٢هـ، ص٣٦.

(٢) المثلّمس: هو جرير بن عبد المسيح - أو بن عبد العزى: شاعر جاهليّ، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد، كان ينادم عمرو بن هند، ثم هجاه، فأراد عمرو قتله ففرّ إلى الشام، وفي الأمثال (أشأم من صحيفة المثلّمس)، توفي سنة خمسين قبل الهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٩٢/٦ والأعلام: ١١٩/٢.

(٣) الأصمعيّات: ص٢٤٤، رقم ٣ (الزيادات من الكتابين).

(٤) هو طريف بن تميم بن عمرو... شاعر جاهليّ مقلّ، كان رجلاً فارساً جسيماً، يُلقب مجدعاً. انظر: العقد الفريد: ٢٠٨/٥، والمؤتلف: ١٤٤، والكامل في اللغة: ٦٠٢/١.

(٥) الأصمعيّات: ص١٤٣، رقم ١، جاء في (الاختيارين) ١٨٩: "رسولهم: وفي رواية عريفهم؛ أي: شريفهم". وجاء في (لسان العرب) ١٨٣٨/٦ (وسم): "يتوسّم يتنّبّت. والوسم: أثر الكي والجمع وسوم".

(٦) الأنعام: ١٢٢/٦.

(٧) انظر: الصفوة الصفيّة في شرح الدرّة الألفية: ٣٠٠/٢.

(٨) الصّاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية: ١١١/١.

تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ...﴾^(١)، ويقول ابن هشام في معرض حديثه عن (كيف): "ويقال فيها (كي)، كما يقال في سوف (سو)، وتستعمل على وجهين: أحدهما أن تكون شرطاً، والثاني وهو الغالب: أن تكون استفهاماً، إمّا حقيقياً، نحو: كيف زيد؟ أو غيره، نحو قوله - تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ...﴾^(٢)، فإنّه أخرج مخرج التّعجب^(٣)، وقال الفراء في شرح هذه الآية: "الاستفهام فيها على وجه التّعجب والتّوبيخ، لا على الاستفهام المحض؛ أي: ويحكم كيف تكفرون!"^(٤)، وعلّق الصّدّيق على الآية نفسها بقوله: "أي: أتعجب من كفركم بالله، فاستعملت (كيف) في التّعجب مجازاً عمّا وُضعت له من الاستفهام عن الأحوال"^(٥).

هذا وقد وردت (كيف) في ديوان (الأصمعيّات) في أربعة مواضع، وهي فيها استفهام خرج إلى معنى التّعجب، وقد جاءت مقرونة بالفاء في موضعين، ومقرونة بالواو في موضع واحد، وغير مقرونة بشيء في موضع آخر، وهذه المواضع هي: قول كعب بن سعد الغنوي^(٦): (الطويل)

وَحَدَّثْتُمَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ وَقَلِيبٌ^(٧)

فلفظ (كيف) استفهام ومعناه التّعجب من الذين نصحوه أن يخرج بأخيه العليل من الأمصار ليصحّ، ولكن الموت أدركه بين الرّياض والكتّبان، كما دخلت (كيف) على الجملة الفعلية في قول سعدى بنت الشّمردل الجهنّية: (الكامل)

هَذَا الْيَقِينُ فَكَيْفَ أَنْسَى فَقْدَهُ إِنَّ رَبَّ دَهْرٍ أَوْ نَبَا بِي مَضَجٌ^(٨)

ومنه قول مهلهل بن ربيعة: (الوافر)

بِیَوْمِ الشَّعْثَمِينِ لَقَرَّ عَيْنًا وَكَيْفَ لِقَاءٍ مِّنْ تَحْتِ الْقُبُورِ^(٩)

(١) البقرة: ٢٨/٢.

(٢) البقرة: ٢٨/٢.

(٣) انظر: مغني اللبيب: ١٣٢/٣ - ١٣٥، وهمع الهوامع: ١٥٩/٣.

(٤) معاني القرآن: ٢٣/١.

(٥) حاشية الصّبّان: ٢٣/٣.

(٦) كعب بن سعد الغنوي، شاعر إسلامي، سُمّي كعب الأمثال؛ لكثرة ما في شعره من الأمثال، جعله ابن سلام في طبقة أصحاب المرثي من الجاهليين. انظر: جمهرة أشعار العرب: ٥٥، والاختيارين: ٧٥٠.

(٧) الأصمعيّات: ص ١١٣، رقم ٤٣.

(٨) نفسه: ص ١١٧، رقم ٢٤، جاء في (لسان العرب) ١٢٨٨/٢ (ريب): "راب دهر: أصاب بحوادثه ونوازله، ورَيْبُ الدَّهْرِ صُرُوفُهُ وَحَوَادِثُهُ".

(٩) نفسه: ص ١٧١، رقم ٤، الشّعثمان: قيل هما ابنا معاوية بن عامر: شعثم وعبد شمس، وفي (أمالى القالي) ١٣١/٢: "الشّعثمان موضع معروف".

(كيف) هنا لفظه استفهام، ومعناه التَّعْجُب، واستبعاد للقاء مَنْ تحت القبور، وهي اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم، وقوله (لقاء) مبتدأ مؤخر، يقول ابن السَّرَّاج: 'فأما قولك: كيف أنت؟ وما أشبه مما يُستفهم به مِنَ الأسماء (فأنت) مرتفع بالابتداء، (وكيف) خبر، فالمعنى في: كيف أنت؟: على أيِّ حال أنت؟ ولكنَّ الاستفهام الَّذي صار فيه جُعِلَ له صدر الكلام وهو في الحقيقة الشَّيء المستفهم عنه"^(١)، وَمِنْ أَمَثَلِهَا أَيْضًا قَوْلُ الْفَقْعَسِيِّ^(٢): (الرَّجَز)

كَيْفَ قَرَيْتَ ضَيْفَكَ الْأَزْيَا^(٣)

فالشَّاعر هنا يتعجَّب مِنْ كَيْفِيَّةِ معاملة مَنْ يخاطب لضيفه البائس، الَّذي جاء يطلب الزَّاد، فقام المستضيف إليه بالفقيل - السَّوْط - يضره به ضرب البعير إذ أحبَّ؛ أي: إذا برك، وقيل الإحباب في الإبل كالحران في الخيل^(٤).

٤ - التَّعْجُبُ بِ(أَنْي):

(أَنْي): اسم استفهام، وهو كغيره مِنْ أدوات الاستفهام، قد يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أُخرى تُستفاد مِنَ السِّيَاقِ بالقرائن، ومنها التَّعْجُبُ.

وَمِنَ الَّذِينَ تَحَدَّثُوا عَنْهَا السُّيُوطِيُّ^(٥) يقول: "هي ظرف للمكان عموماً، وتقع (أَنْي) استفهاماً بمعنى (متى)، وبمعنى (مِنْ أين)، نحو: ﴿...أَنْي لَكَ هَذَا...﴾^(٦)، وبمعنى (كيف)، نحو: ﴿...قَالَ أَنْي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾^(٧)، ومن أمثلة (أَنْي) الَّتِي أَفَادَتِ التَّعْجُبَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿...قَالُوا أَنْي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا...﴾^(٨)، وَيَلْقَى الزَّمْخَشَرِيُّ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: "كيف، وَمِنْ أَيْنَ؟ وهو إنكار لِتَمَلُّكِهِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِبْعَادِ لَهُ"^(٩). ومنه قوله - تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنْي يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ...﴾^(١٠)؛ أي: كيف يكون ذلك! فهو يتعجَّب مِنْ قَوْلِ مَنْ

(١) انظر: الأصول في النَّحو: ٦٠/١.

(٢) هو أبو محمَّد عبد الله بن رُبَيْعِ بن خالد الفقعسي: راجز إسلامي. انظر: سمط اللآلي: ١٤٨/١.

(٣) الأصمعيّات: ص ١٨١، رقم ١ (الزيادات مِنَ الكتّابين)، جاء في (لسان العرب): ١٨٠١/٣ (زيب): "الأزب: هو كَثْرَةُ شَعَرِ الدَّرَاعَيْنِ، وَالْحَاجِبِينَ، وَالْعَيْنِينَ، وَالْجَمْعُ الرُّبُّ، وَالرُّبُّ طُولُ الشَّعْرِ وَكَثْرَتُهُ".

(٤) انظر: شرح المفصل: ٨٣/٤.

(٥) همع الهوامع: ٤٥٠/٢.

(٦) آل عمران: ٣٧/٣.

(٧) البقرة: ٢٥٩/٢.

(٨) البقرة: ٢٤٧/٢.

(٩) الكشّاف: ٤٧٢/١.

(١٠) آل عمران: ٤٠/٣.

قول مَنْ بَشَّرُوهُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ غُلَامٌ مَعَ كَبِيرٍ سَنَّهُ، وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ الْإِنْجَابَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّنِّ نَادِرٌ الْوَقُوعِ، وَمِنْ أَمْثَلْتِهِ فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) - وَهُوَ الْمِثَالُ الْوَحِيدُ - قَوْلُ أَسْمَاءَ بِنِ خَارِجَةَ: (الْكَامِلُ)

وَيَغْيِرُ مَعْرِفَةَ وَلَا نَسْبٍ أَنَّى وَشَعْبُكَ لَيْسَ مِنْ شَعْبِي^(١)

(أَنَّى) هُنَا بِمَعْنَى (كَيْفِ)، وَهِيَ اسْتِفْهَامٌ تَعْجِيبِيٌّ، فَالشَّاعِرُ يَتَحَدَّثُ عَلَى لِسَانِ الْعَادِلَةِ الَّتِي أَبَدَتْ تَعْجِيبَهَا وَاسْتِكْرَاهَا مِنْ فِعْلِهِ، حَيْثُ اخْتَارَ مَكَانَ تَوَاجُدِهَا لِلْأَمْنِ وَالْخَصْبِ دُونَ مَعْرِفَةِ سَابِقَةٍ وَدُونَ عِلَاقَةِ نَسَبٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ ذَلِكَ وَشَعْبُهُ لَيْسَ مِنْ شَعْبِهَا!؟

٥ - التَّعْجُبُ بِ(مَا):

مِنْ أَدْوَاتِ الْاسْتِفْهَامِ الَّتِي قَدْ تَخْرَجُ عَنْ مَعْنَاهَا لِتَقْيِيدِ التَّعْجُبِ (مَا)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿... فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾^(٢).

يَقُولُ الصَّدْبَانُ تَعْلِيْقًا عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: "وَقَدْ يُسْتَفَادُ مِنَ الْاسْتِفْهَامِ مَعْنَى التَّعْجُبِ"^(٣)، وَمِنْهُ قَوْلُنَا: (مَا لَكَ)، يَقُولُ النَّبْرِي: "مَا لَكَ مِنْ فَارِسٍ قَاتَلَهُ اللهُ! وَأَنْتَ تَمْدَحُهُ، لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ التَّعْجُبُ، وَيَقُولُونَ: يَالِكَ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلًا! وَمَا أَنْتَ مِنْ رَجُلٍ! وَيَا فَارِسًا مَا أَنْتَ مِنْ فَارِسٍ! وَحَسْبُكَ بِهِ رَجُلًا! وَلَا كَالْيَوْمِ رَجُلًا! كُلُّ هَذَا يُرَادُ بِهِ التَّعْجُبُ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ اللَّفْظِ بِهَا مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الْاسْتِفْهَامِ وَالنَّدَاءِ"^(٤). هَذَا وَقَدْ وَرَدَتْ (مَا) الْاسْتِفْهَامِيَّةُ الَّتِي يَفُوحُ مِنْ جَنَابَاتِهَا مَعْنَى التَّعْجُبِ فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) ثَمَانِي مَرَّاتٍ، وَمِنْ شَوَاهِدِهَا قَوْلُ سُوْحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيِّ^(٥): (الْوَافِرُ)

عَذْرَتْ الْبُزْلَ إِذْ هِيَ خَاطِرْتِي فَمَا بَالِي وَبِأَلِ ابْنِي لِبُونِ^(٦)

(١) الْأَصْمَعِيَّاتِ: ص ٥٥، رَقْم ٢٨.

(٢) النَّمَلُ: ٢٧/٢٠.

(٣) حَاشِيَةُ الصَّبَّانِ: ٢٥/٣.

(٤) انْظُرْ: شَرْحُ اخْتِيَارَاتِ الْمَفْضَلِ: ٩٥/١ - ٩٦.

(٥) سُوْحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيِّ، شَاعِرٌ مَخْضَرَمٌ، جَعَلَهُ ابْنُ سَلَامٍ فِي الطَّبَقَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ، وَقَالَ عَنْهُ: "شَرِيفٌ مَشْهُورٌ الْأَمْرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، شَاعِرٌ خَنْدِيزٌ". انْظُرْ: طَبَقَاتُ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ: ٥٧١/٢ - ٥٧٦، وَالشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ: ٦٤٣/٢، وَالْإِصَابَةُ: ٢٥٢/٣، وَالخَزَانَةُ: ١٦١/١، وَشَرْحُ أَبِياتِ الْمَغْنِيِّ: ١٢/٤.

(٦) الْأَصْمَعِيَّاتِ: ص ٢١، رَقْم ٥، خَاطِرْتِي: رَاهَنْتِي. وَالْبِازِلُ: الْبَعِيرُ الَّذِي اسْتَكْمَلَ قُوَّتَهُ وَسَنَّهُ، وَجَمْعُ الْبِازِلِ: بُزْلٌ. ابْنُ اللَّبُونِ: وَلَدُ النَّاقَةِ الَّذِي اسْتَكْمَلَ السَّنَةَ الثَّانِيَةَ وَدَخَلَ فِي الثَّلَاثَةِ. انْظُرْ: الصَّحَّاحُ: ٤١/٥، وَلِسَانُ الْعَرَبِ: ٢٧٦/١ (بِزْلُ)، وَ ٣٩٩٠/٥ (لِبْنِ). وَذُكِرَتْ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ لِلْفِظَةِ (الْبَالِ) وَمِنْهَا: الْحَالُ وَالشَّانُ، وَالْبَالُكَ: الْأَمَلُ يُقَالُ: فُلَانٌ كَاسِفُ الْبَالِ، وَكُسُوفٌ بِالْهَاءِ أَنْ يُضِيقَ عَلَيْهِ أَمْلُهُ، وَهُوَ رَجِيٌّ الْبَالِ إِذَا لَمْ يَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَلَمْ يَكْتَرِثْ، وَيُقَالُ: مَا بِالْكَ؟ انْظُرْ: الصَّحَّاحُ: ٣٢٨/٥، وَلِسَانُ الْعَرَبِ: ٣٩٠/١ (بُول).

ومنه ما قاله ذُو الخِرْقِ الطُّهُويِّ^(١): (البيسط)

ما بالُ أمِّ حُبَيْشٍ لا تُكَلِّمُنَا لَمَّا افْتَقَرْنَا وَقَدْ نُثْرِي فَتَنْفِقُ^(٢)

فهو يُبدي تعجُّبه من صنيعها؛ حيثُ إنَّها أعرضتُ عنه بسبب فقره، فهو يستنكر عليها ذلك، فلا حاجة لفعالها هذا؛ لأنَّه قد يتبدَّل حاله من الفقر إلى الغنى! ومنه قول دَوْسَرَ بنِ ذُهَيْلِ القُرَيْعِيِّ^(٣): (الطويل)

وقائِلَةٌ ما بالُ دَوْسَرَ بَعْدَنَا صَحا قَلْبُه عَن آلِ لَيْلى وَعَن هِنْدِ^(٤)

في الأمثلة السابقة يُلاحظ كيف دخل الاستفهام على الأسماء؟ وهو الأغلب. ورد في (شرح التسهيل)^(٥) لابن مالك: "لأنَّ الاستفهام المشوب بتعجُّب لا يليه غالبًا إلا الأسماء نحو قوله- تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾^(٦)، و﴿الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ﴾"^(٧). ونحو قول الشاعر: يا جارتنا ما أنتِ جارةٌ!^(٨)، ومن أمثلة (ما الاستفهامية) التي أفادت معنى التعجُّب ودخلت على الجملة الفعلية قول امرئ القيس: (السريع)

قُولا لِدُودانَ عبيدِ العِصا ما غَرَّكُم بِالأسدِ الباسِلِ^(٩)

(١) ذُو الخِرْقِ الطُّهُويِّ هو خليفة بن حمل بن عامر بن حميري، شاعر جاهلي، وفارس من فرسان بني طهية.

انظر: المؤلف: ١٥٦، وشرح أبيات المغني: ٣٠١/١، والخزانة: ٦٠/١ - ٦١.

(٢) الأصمعيّات: ص ١٣٩، رقم ١، وفي (لسان العرب) ٤٧٩/١ (ترا): "نثري: من الثراء، وهو الغنى والجاه. والثراء: الكثرة، والثراء: المال الكثير".

(٣) لم أجد له خبراً فيما عدتُ إليه من مصادر ومراجع.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٦٧، رقم ١، صحا قلبه: أفاق من الحب.

(٥) انظر: شرح التسهيل، ابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله، (ت: ٦٧٢هـ) تحقيق: عبد الرحمن السيّد، ومحمد المختون، هجر للنشر، (د.ق)، ط ١، ١٤١٠هـ، ج ٣، ص ٣٢.

(٦) الواقعة: ٢٧/٥٦.

(٧) القارعة: ١/١٠١، ٢.

(٨) هذا الشطر الثاني من (مجزوء الكامل) لأعشى بني قيس، وأوله: بَانَتْ لِتَحْرِنُنَا عَفَاةً

و(جارة) تمييز؛ لأنَّ (ما) الاستفهامية تفيد التّفخيم؛ أي: كملت جارة. انظر: خزانة الأدب: ٢٨٩/٣، ٢٩١.

(٩) الأصمعيّات: ص ١٤٤، رقم ٣، وفي (لسان العرب): ١٤٥٠/٢ (دود)، و: ٢٩٨٠/٤ (عصا)، و: ٢٨٤/١ (بسل): "دودان: قبيلة من بني أسد، وكانت بنو أسد قتلت أبا امرئ القيس، فوصف أنّه أوقع بهم، قال ابن

سيده: "وقولهم عبيدُ العِصا؛ أي: يُضْرَبُونَ بها، وهو دلالة على الدُّل. والباسل: الأسد؛ لكراهة منظره وقبحه. والبسالة: الشجاعة، والباسل: الشديد، والباسل: الشجاع، والجمع: بسلاء وبسلاء، وقصد بالأسد الباسل: أباه.

ما استفهامية تعجبية والمقصود التّعظيم، ومن أمثلة دخولها على الجار والمجرور قول
الْمُنْخَلِ الْيَشْكُرِيَّ^(١): (مرقل الكامل)

فَدَنَتْ وَقَالَتْ يَا مَنْ — خُلِّ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورٍ^(٢)

جاء في (شرح الحماسة) للتبريزي^(٣): "الحرور: حرُّ الشمس، والمعنى: أنها رأته على غير
ما عهدته، تعجبت وقالت: ما بجسمك من حرور! كما تقول: ما لقينا من فلان! على جهة
الاستعظام والتعجب، وقيل الحرور: الحمى"^(٤)، ومنه قول كعب بن سعد الغنوي: (الطويل)

تَقُولُ سُلَيْمَى مَا لِجِسْمِكَ — كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابُ طَيْبٌ^(٥)

٦- التّعجب ب(أي):

من أدوات الاستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية إلى التّعجب (أي)، وقد ذكر
صاحب (الأزهيّة)^(٦) ستة أوجه ل(أي) أحدها: أن تكون تعجباً كقولك: أيُّ رجلٍ زيدٌ!، وأيُّ رجلٍ
أخوك!"^(٧). ومنه قوله - تعالى: ﴿لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾^(٨) قال الزمخشري معلقاً على هذه الآية:

(١) المنخل اليشكوري هو المنخل بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري، شاعر مقل من شعراء الجاهلية، وكان
نديماً للنعمان بن المنذر الذي اتهمه بامرأته، فسعى به إليه في أمرها فقتله. انظر: الشعر الشعراء: ٤٠٤،
ومعجم الشعراء: ٣٧٨، والمؤتلف: ٢٧١، والخزانة: ١٠٩/١٠.

(٢) الأصمعيّات: ص ٧١، رقم ١٧.

(٣) التبريزي: هو يحيى بن علي بن محمد التبريزي، أبو زكريا: من أئمة اللغة والأدب نشأ ببغداد، فقام على خزنة
الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي سنة اثنتان وخمسمائة للهجرة. انظر: معجم الأدباء: ٢٢٨/٥-
٢٣٠، وبغية الوعاة: ٣٣٨/٢، والأعلام: ١٥٧/٨.

(٤) انظر: شرح ديوان الحماسة، أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، الشهير بالخطيب، (ت: ٥٠٢هـ)، عالم الكتب،
بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج ٢، ص ٧٢. ولسان العرب: ٨٢٧/٢ (حرر).

(٥) الأصمعيّات: ص ١٠٨، رقم ١. جاء في (مختارات شعراء العرب)، ابن الشجري، (ت: ٥٤٢)، تحقيق: علي
البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ط)، ١٣٩٤هـ. ص ١٧٠: "الشاحب: الضامر المتغير، يقال: شحَبَ
جِسْمُهُ إِذَا تَغَيَّرَ. وحميت الشيء: إذا منعت منه".

(٦) الهروي: علي بن محمد، أبو الحسن عالم باللغة والنحو، من أهل هراة، قرأ على الأزهري، له كتب منها:
(الذخائر في النحو)، وجمع ما تفرق منه وسمّاه (الأزهيّة في علم الحروف)، توفي سنة خمس عشرة وأربعمائة
هجريّة. انظر: معجم الأدباء: ٢٨٧/٤، وبغية الوعاة: ٢٠٥/٢، والأعلام: ٣٢٧/٤.

(٧) انظر: الأزهيّة في علم الحروف، علي بن محمد الهروي، (ت: ٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مجمع
اللغة العربيّة، دمشق، ط ٢، ١٤١٣هـ، ص ١٠٨.

(٨) المرسلات: ١٢/٧٧.

(ومآذا) هنا استفهام على طريقة التّعجب والاستتكار، ومنه قول أسماء بن خارجة:
(الكامل)

إِنِّي لَسَائِلُ كُلِّ ذِي طَبِّ مَاذَا دَوَاءُ صَبَابَةِ الصَّبِّ؟^(١)
ومنه قول قيس بن الخطيم^(٢): (المنسرح)

رَدَّ الْخَلِيْطُ الْجَمَالَ فَانصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا^(٣)

ومن الأبيات التي جمعت بين أداتي الاستفهام (ما) و(ماذا) اللتين تفيدان معنى التّعجب، قول كعب بن سعد الغنوي: (الطويل)

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا وَمَاذَا يُؤَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يَوُوبُ^(٤)

ويعلق محققو (الكشاف) على هذا البيت بقولهم: " (ما) في الموضعين من الاستفهام، معناه التّعجب والاستعظام"^(٥).

٨- التّعجب بـ (من):

من أسماء الاستفهام التي تحمل معنى التّعجب (من)، ذكرها السيوطي^(٦) عندما علق على قوله - تعالى: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا... ﴾^(٧).

يقول سيبويه: "ألا تري أنك تقول سبحان الله من هو وما هو! فهو استفهام فيه معنى التّعجب، ولو كان خبراً لم يجز ذلك؛ لأنه لا يجوز في الخبر أن تقول من هو؟ وتسكت"^(٨).

ووردت (من) في (الأصمعيّات) في موضعين، وهما قول المنخل اليشكري: (مرقل الكامل)

(١) نفسه: ص ٥٢، رقم ١، جاء في (لسان العرب) ٢٦٣٠/٤ (طبب)، و٢٣٨٥/٤ (صبيب): "الطب: بنتليث الطاء علاج

الجسم والنفس. والصبابة: رقة الشوق وحرارته. صب الرجل إذا عشق يصب صبابة".

(٢) قيس بن الخطيم بن عدي: شاعر مخضرم، وفارس مشهور، له في وقعة بعثت أشعار كثيرة، جعله ابن سلام في طبقة

شعراء القرى، دعاه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام، وتلا عليه القرآن، فقال: "إني لأسمع كلاماً عجباً"، ولكنه

لم يسلم. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٢١٥/١، والمؤتلف: ١٥٩، والخزانة: ٣٢/٧.

(٣) الأصمعيّات: ص ٢١٥، رقم ١، جاء في (الاختيارين) ٤٩٠: الخليل: القوم الذين أمرهم واحد، ومعنى ردّ الخليل؛ أي: رثوا

جمالهم من الرعي. وانصرفوا: مضوا.

(٤) نفسه: ص ١١١، رقم ٢٧.

(٥) الكشاف: ٤٢٢/٦ (الهامش).

(٦) انظر: همع الهوامع: ٤٢/٣.

(٧) يس: ٥٢/٣٦.

(٨) الكتاب: ١٨١/٢.

يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيْمٍ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ^(١)

فهو يخبرها بأنه كَلِفٌ بها، ولا شكَّ في أنَّ غرض الاستفهام هنا هو النَّقْي؛ لأنه أراد أن يقول لها أنا مُتَيْمٌ بك، ولا أحد لي سواك ولكنَّ سياق الكلام يحمل معنى التَّعْجُبِ مِنْ تَصْرُفِهَا فِي حال تَخْلِيهَا عنه وقد خطب ودَّها، ومنه قول أبي النَّشَاشِ النَّهْشَلِيِّ اللَّصِّ: (الطَّوِيل)

وسائِلَةُ أَيْنَ الرَّحِيلِ وَسَائِلِ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذاهِبُهُ^(٢)

فهو يتعجَّبُ مَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ عن مَذاهِبِهِ؛ لأنَّ مَذاهِبَهُ كثيرة، وَمَنْ يَسْأَلُهُ عنها فذلك يستحقُّ أَنْ يُتَّعَجَّبَ مِنْ فعله.

جاء في (شرح الحماسة) للأعلم^(٣)، يشرح هذا البيت يقول: "وقوله: (ومَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ؟)؛ أي: مَذاهِبُ الصُّعْلُوكِ كثيرة منتشرة لا يقتضيها سؤال، فينبغي ألاَّ يُسْأَلَ عنها، والصُّعْلُوكُ: الفقير"^(٤).

المطلب الخامس: التَّعْجُبُ السَّمَاعِيّ بالدُّعَاءِ

سُمِعَتْ عن العرب ألفاظٌ كثيرة تدلُّ على التَّعْجُبِ بالدُّعَاءِ، ومنها: لك الويل، لحي الله، أخزاه الله، هوت أمه، هبنته أمه، تربت يداك، رمى الله في عينيها بالقذى، قاتله الله...

١ - (ويل لك) وما جاء على شاكلتها:

مِنْ أَلْفَاظِ التَّعْجُبِ بالدُّعَاءِ قولنا: (لك الويل)، قال - تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ...﴾^(٥)، وهذه الصِّيْغَةُ وردت في (الأصمعيّات) خمس مرات^(٦)، ومنه قول سَعْدَى بنِ الشَّمْرَدَلِ: (الكامل)

(١) الأصمعيّات: ص ٧٢، رقم ٢٥.

(٢) نفسه: ص ١٣١، رقم ١.

(٣) هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان النَّحْوِيُّ الشَّنْتَمِرِيُّ المعروف بالأعلم، كان عالماً بالعربيَّة واللُّغة ومعاني الأشعار، حافظاً لها، حسن الضبط لها، مشهوراً بإتقانها، مات سنة ست وأربعين وأربعمائة هجريَّة. انظر: معجم الأدباء: ٦٤٩/٥، ووفيات الأعيان: ٨١/٧، والوفاي بالوفيات: ٩٠/٢٩، وبيغة الوعاة: ٣٥٦/٢.

(٤) شرح حماسة أبي تمام، أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشَّنْتَمِرِيُّ، (ت: ٤٤٤ هـ)، تحقيق: علي المفضل حمّودان، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ، ج ٢، ص ٦٣٣.

(٥) هود: ٧٢/١١.

(٦) انظر الموضوع الخامس في (الأصمعيّات): ص ٤٨، رقم ٨.

وَيْلُمَهُ رَجُلًا يُلِيذُ بِظَهْرِهِ إِبِلًا وَنَسَّالُ الْفَيَافِي أَرْوَعُ^(١)

ورد في (الخصائص): "وَيْلُمَهُ" إِنَّمَا أَصْلُهُ (وَيْلٌ لِأُمِّهِ)، فَحُذِفَتْ لَامٌ (وَيْلٌ) وَتَتَوَيْنَهُ، وَحُذِفَتْ هَمْزَةُ (أُمَّ)، فَبَقِيَ (وَيْلُمَهُ)، فَاللَّامُ الْآنَ لَامُ الْجَرِّ، أَلَّا تَرَى أَنَّهَا مَكْسُورَةٌ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ الْمَحذُوفَةُ هِيَ لَامُ الْجَرِّ كَمَا حُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ مِنْ قَوْلِهِ: اللهُ أَفْعَلُ^(٢)، وَجَاءَ فِي (لِسَانِ الْعَرَبِ): "وَيُرَدُّ الْوَيْلُ بِمَعْنَى التَّعْجُبِ، وَقِيلَ: (وَيْ) كَلِمَةٌ مَفْرَدَةٌ، وَ (لَأُمُّهُ) مَفْرَدَةٌ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَفْجَعُ وَتَعْجُبُ، وَحُذِفَتْ الْهَمْزَةُ مِنْ (أُمِّهِ) تَخْفِيفًا وَأَلْقِيَتْ حَرَكَتُهَا عَلَى اللَّامِ، وَيُنْصَبُ مَا بَعْدَهَا عَلَى التَّمْيِيزِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣)، وَمِنْهُ قَوْلُهَا فِي الْقَصِيدَةِ نَفْسُهَا:

وَيْلٌ مَّ قَتَلَى بِالرِّصَافِ لَوْ أَنَّهُمْ بَلَّغُوا الرَّجَاءَ لِقَوْمِهِمْ أَوْ مُنَّعُوا^(٤)

(وَيْلٌ مَّ) تَعْجُبٌ وَمَدْحٌ، وَلَا يُرَادُ بِهِ الدُّعَاءُ، وَكَمَا يُلَاحِظُ أَنَّ الْاِخْتِصَارَ هُنَا عَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَكْبَرَ، يَقُولُ ابْنُ مَنْظُورٍ نَقْلًا عَنِ اللَّيْثِ^(٥) مَعْلَقًا عَلَى (مَّ): "مِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَحْذِفُ أَلْفَ (أُمَّ)"^(٦)، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي دُوَادٍ الْإِيَادِيِّ^(٧) يَصِفُ فَرَسًا: (الْمَتَقَارِبِ)

وَدَارٍ يَقُولُ لَهَا الرَّائِدُ نَ وَيْلُ أُمَّ دَارِ الْخُذَاقِي دَارًا^(٨)

يقول البغدادي في شرح البيت: "يقول: رُبَّ مَنْزِلٍ يُنْزَلُ فِيهِ يَقُولُ لَهَا الرَّائِدُونَ - وَهُمْ الَّذِينَ

(١) نفسه: ص ١١٥، رقم ١٣، يليذ: يمنع ويحمي. ونسأل: صيغة مبالغة من (نسل)؛ وأراد سراع. والأروع: الذي يروعك جماله وحسنه. والفيافي: القفار. انظر: لسان العرب: ٥٠٧/٣ (لوذ)، و ٦٦٠/١١ (نسل)، و ٨/١٣٥ (روع).

(٢) الخصائص: ١٥٠/٣.

(٣) انظر: لسان العرب: ٤٩٤٠/٦ (وَيْل).

(٤) الأصمعيّات: ص ١١٥، رقم ٩، الرِّصَاف: اسم موضع.

(٥) اللَّيْثُ: اسمه اللَّيْثُ بْنُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارِ الْخُرَّاسَانِيِّ الْغُفَوِيِّ النَّحْوِيِّ، صَاحِبُ الْخَلِيلِ أَخَذَ عَنْهُ النَّحْوُ وَاللُّغَةُ، وَأَمَلَى عَلَيْهِ تَرْتِيبَ كِتَابِ (الْعَيْنِ)، وَقِيلَ: هُوَ صَاحِبُ الْعَرَبِيَّةِ، قَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ: كَانَ مِنْ أَكْتَبِ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ، بَارِعًا فِي الْأَدَبِ بِصِيرًا بِالشُّعْرِ وَالغَرِيبِ وَالنَّحْوِ. انظر: بغية الوعاة: ٢٧٠/٢.

(٦) انظر: لسان العرب: ١٣٦/١ (أُمَّ).

(٧) أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ، هُوَ جَارِيَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَقِيلَ: حَنْظَلَةُ بْنُ الشَّرْقِيِّ، شَاعِرٌ قَدِيمٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَحَدُ وُصَّافِ الْخَيْلِ، وَضَرَبَتْ الْعَرَبُ الْمِثْلَ بِجَارِ أَبِي دُوَادٍ، فَقَالُوا: "جَارُ كَجَارِ أَبِي دُوَادٍ". انظر: الشعر والشعراء: ٢٣٧/١، ومجمع الأمثال للميداني: ١٦٣/١، والمؤتلف: ١٦٦، وسمط اللآلي: ٨٧٩/٢.

(٨) الأصمعيّات: ص ٢٠٩، رقم ١ (الزيادات من الكتابين).

يترددون في طلب المرعى والمنزل - ذلك تعجباً منها"^(١)، ومنه قول عبد الله بن عَنَمَةَ^(٢): (الوافر)

لَأُمِّ الْأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجْنَتْ غَدَاةَ أَضْرَّ بِالْحَسَنِ السَّبِيلِ^(٣)

يقول ابن منظور معقفاً على هذا البيت: "يَقُولُ هَذَا عَلَى جِهَةِ التَّعْجِبِ؛ أَي: وَيْلٌ لَأُمِّ الْأَرْضِ، مَاذَا أَجْنَتْ مِنْ بَسْطَامٍ؛ أَي: بِحَيْثُ دَنَا جَبَلُ الْحَسَنِ مِنَ السَّبِيلِ"^(٤).

٢ - لحي الله^(٥):

يقول المرزوقي^(٦): "لحي الله: كلمة تُستعمل في الشتم، وأصله اللوم والقشر... وإنما قال هذا على وجه الإنكار"^(٧)، وورد هذا التركيب في (الأصمعيّات) في موضعين^(٨): منها قول عُروَةَ بن الوُرْد: (الطويل)

(١) شرح أبيات المغني: عبد القادر بن عمر البغدادي، (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد الدقاق، دار الثقافة العربيّة، دمشق، ط٢، ١٤١٠هـ، ج٥، ص١٩٢.

(٢) عبد الله بن عنمة: شاعر جاهليّ مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم، وشهد معركة القادسيّة. انظر: شرح الحماسة للمرزوقي: ١/٥٨٢ و شرح اختيارات المفضلّ للتبريزي: ٣/١٥٤٠، وشرح الحماسة للتبريزي أيضاً: ٢/٦٩، والسّمط: ١/٣٨٩، والإصابة: ٤/٢٠١، والخزانة: ٨/٤٧٣.

(٣) الأصمعيّات: ص٤٠، رقم ١، أجنت: سترت. الحسن قيل: اسم رمل، وقيل هو جبل قُتل به بسطام بن قيس. السبيل: الطريق؛ يقول: ويْلٌ لَأُمِّ الْأَرْضِ حين أجنت مثل هذا الرّجل، وغيبتُ معروفه وفضله. انظر: شرح حماسة أبي تمام للشنتمري: ١/٥٥٤.

(٤) لسان العرب: ٤/٢٥٧٤ (ضرر).

(٥) وردت (لحي) في ديوان الأصمعيّات مرّتين، وأنحدت صورتين في رسمها للألف: مرّة مقصورة، وأخرى قائمة، وأعتقد أنّ الصورة الأولى هي الأقرب للصواب؛ ذلك لأنّ جميع الأبيات الشعريّة - تقريباً - التي نُقلت عن العرب، والتي تحمل الدُعاء بالهلكة، ووردت في (لسان العرب) رُسمت الألف فيها مقصورةً، أمّا بالنسبة لـ(لحا) فهي من لحا يلحو لحواً، ولحا الشجرة؛ أي: قشّرها، وهذا المعنى ليس بعيداً عن المعنى الأوّل، وهو الدُعاء بالهلكة، وبناءً على هذه المعطيات أعتقد بصحّة الاستعمالين المذكورين. هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

(٦) المرزوقي: هو أحمد بن محمّد بن الحسن، أبو عليّ: عالم بالأدب، من أهل أصبهان، كان معلّم أبناء بني بويه، توفّي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة للهجرة. انظر: معجم الأدباء: ٢/١٨، وبغية الوعاة: ١/٣٥٦، والأعلام: ١/٢١٢.

(٧) شرح ديوان الحماسة، أحمد بن محمّد المرزوقي، (ت: ٤٢١هـ)، نشره: أحمد أمين، وعبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ج١، ص٤٢١.

(٨) انظر الموضوع الآخر في (الأصمعيّات): ص١٣٦، رقم ٧.

لَحَى اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مَضَى فِي الْمُشَاشِ آفَا كُلَّ مَجَزَرٍ^(١)

وواضح من معنى هذا البيت أن الشاعر ينحى باللائمة، ويدعو بالهلكة على الصُعْلُوك الذي لا هم له إلا أن يطوف إذا ما أظلم عليه الليل على المجازر ويلتقط المُشَاش، قانعًا بهذه الخساسة، ولا همّة له تدفعه نحو معالي الأمور، ومن هنا يتضح أن قوله: (لحى الله)؛ بمعنى قبّح ولعن وأهلك، فهو يتعجب من فعل هذا الصُعْلُوك رخيص القدر والمكانة.

٣- قولهم: (لا قرب الله)، ومنه في (الأصمعيّات) قول عوف بن عطية التميمي^(٢): (الطويل)

بِوُدِّهِمْ لَا قَرَبَ اللَّهُ وَدَّهِمْ وَلَا زَالَ مُعْطِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ حَارِمًا^(٣)

(لا قرب الله ودّهم) دعاء عليهم، ولكنّه يحمل معنى التّعجب من فعلهم الغريب.

٤- قاتله الله:

من ألفاظ التّعجب بالدعاء قولك: (قاتله الله)، ومن شواهد في القرآن الكريم قوله- تعالى: ﴿... قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٤)، و(قاتلهم الله): لعنهم الله، (أنّى يؤفكون): كيف يُصْرَفُونَ عن الحقّ إلى الباطل بعد وضوح الدليل حتّى يجعلوا لله الولد، وهذا تعجب للنبيّ - صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين، يقول الزمخشريّ في تفسير هذه الآية: "قاتلهم الله؛ أي: هم أحقّاء بأن يُقال لهم هذا؛ تعجبًا من شناعة قولهم، كما يُقال لقوم ركبوا شنعاء: قاتلهم الله ما أعجب فعلهم، (أنّى يؤفكون): كيف يُصْرَفُونَ عن الحقّ"^(٥)، وفي مكان آخر فسّر (قاتلهم الله) بقوله: "دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك، (أنّى يؤفكون): كيف

(١) نفسه: ص ٤٩، رقم ١٣، الصُعْلُوك: الفقير، والذي قصده عروة هنا الرّجل الخامل، والمُشَاش: رأس العظم اللّين. والمجزر: الموضع الذي يُجزر فيه الإبل. انظر: جمهرة أشعار العرب: ٤٥٣.

(٢) عوف بن عطية بن الخرع: شاعر جاهليّ مذكور، كان فارسًا شديدًا ذا رأي وسيادة، ومن أهل الشرف، جعله ابن سلّم في الطبقة الثامنة من الجاهليّين. انظر: طبقات فحول الشعراء: ١٤٩/١، ومعجم الشعراء: ٢٧٥.

(٣) الأصمعيّات: ص ١٨٨، رقم ١١ (الزيادات من الكتابين).

(٤) التوبة: ٣٠/٩.

(٥) الكشاف: ٢٤/٣.

يعدلون عن الحقّ تعجبًا من جهلهم وضلالتهم^(١)، ومن شواهد في الديوان - وهو الشاهد الوحيد فيما عُلِمَ - قول مُرْقَشِ الْأَصْغَرِ^(٢): (البيسط)

قَاتَلَكَ اللَّهُ مِنْ مَشْرُوبَةٍ لَوْ أَنَّ ذَا مِرَّةٍ عَنْكَ صَبُورٌ^(٣)

٥- هَوْتُ أُمِّهِ:

جاء في القرآن الكريم قوله - تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾^(٤)؛ يعني جهنم، وسماها أمًّا؛ لأنّه يأوي إليها كما يأوي إلى أمّه، وسميت النار هاوية؛ لأنّه يهوي فيها مع بُعد قعرها^(٥)، ومنه قولهم: (هَوْتُ أمّه)، وورد هذا التركيب في (الأصمعيّات) في موضعين هما: قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

هَوْتُ أُمِّهِ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ مِنْ الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَنْوِبُ^(٦)

هوتُ أمّه: المراد ليس الدعاء بالوقوع، بل التّعجب والمدح، جاء في (شرح ديوان الحماسة): "(هوتُ أمّم) من الأدعية التي استعملتها العرب على العكس، وذلك أنّ ظاهرها نّمّ ودعاء على المذكور، والمراد منها المدح، ويدلّ على غرضهم من ذلك أنّهم لا يجيئون بها في مواطن الدّم ومثله"^(٧). وقوله في القصيدة نفسها أيضًا: (الطَّوِيل)

هَوْتُ أُمِّهِ مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَادِيًا وَمَاذَا يُؤَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يَوُوبُ^(٨)

(١) نفسه: ١٢٥/٦.

(٢) مُرْقَشِ الْأَصْغَرِ هو عمرو بن حرملة بن سعد، وهو صاحب فاطمة بنت المنذر: شاعر جاهلي مشهور، وفارس مُحارب مذكور، أحد عشاق العرب النثيمين، عاصر مهلهلاً، وهو أشعر من عمّه مُرْقَشِ الْأَكْبَرِ وأطول عمراً. انظر: معجم الشعراء: ٢٠١، وشرح اختيارات المفضل: ١٠٧٧/٢، والخزانة: ٣١٤/٨.

(٣) الأصمعيّات: ص ١٧٠، رقم ٤، المِرَّة: القوّة وشدّة العقل، قال الزّمخشرّي: (ذو مِرَّةٍ)؛ أي: حصافة في عقله ورأيه. انظر الكشّاف: ٦٣٦/٥.

(٤) القارعة: ٩/١٠١.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمّد بن أحمد القرطبي، (ت: ٦٧١)، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرّياض، (د. ط)، ١٤٢٣هـ، ج ٢٠، ص ١٦٧.

(٦) الأصمعيّات: ص ١٠٩، رقم ٩، هوتُ أمّه: هلكت، كأنّها انحدرت إلى الهاوية، والمهوى والمهواة: ما بين الجبلين ونحو ذلك، وتهاوى القوم في المهواة: إذا سقط بعضهم في إثر بعض. انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٦٧. وحين ينوب؛ أي: حين ينزل ما ينزل من الحوادث.

(٧) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٠١/٢.

(٨) الأصمعيّات: ص ١١١، رقم ٢٧.

يقول ابن الأنباري^(١): "هوت أمه" دعاء عليه في الظاهر، وهو دعاء له في الحقيقة^(٢). وجاء في (مجمع الأمثال): "هوت أمه؛ أي: سقطت وهذا دعاء لا يراد به الوقوع، وإنما يُقال عند التّعجب والمدح، فمعناه التّعجب يُقال: العربُ تدعو على الإنسان والمراد الدعاء له"^(٣). ونقل ابن منظور عن ابن بري^(٤) في تفسير بيت كعب بن سعد قوله: (هوت أمه) يُستعمل على جهة التّعجب كقولهم: (قاتله الله ما أسمع!)، و(ما) استفهام فيها معنى التّعجب؛ أي: أيُّ شيء يبعث الصُّبح من هذا الرَّجل؟^(٥)، وقوله: (هوت أمه ما يبعث الصُّبح): أي هلكت أمه كأنها انحدرت إلى الهاوية.

وأورد صاحب (الكشاف) هذا البيت عند ذكره لقوله - تعالى: (فأمه هاوية) على أنه من قولهم: إذا دعوا على الرَّجل بالهلكة: هوت أمه؛ لأنه إذا هوى؛ أي: سقط وهلك، فقد هوت أمه تكلاً وحرزاً^(٦)، ويقول البغداديُّ معلقاً على البيت: "والمراد ليس الدعاء بالوقوع بل التّعجب والمدح كقولهم: قاتله الله ما أفصحه! يعني أنه مستحق؛ لأنه يُحسد ويُدعى عليه بالهلاك، و(ما): نكرة موصوفة؛ أي: أيُّ شيء يبعث الصُّبح منه حين يغدو إلى الحرب؟ وأيُّ شيء يرد اللَّيل منه حين يرجع إلى أهله؟ وفيه معنى التَّجريد"^(٧).

ويعلق التبريزي على قول الشاعر: (هوت أمهم) بقوله: "يُقال هذا في الاستفهام والتّعجب؛ أي: تكلتهم أمهم؛ أي: هلكت، والمهواة والهوة والأهوية والهواء على فعالة بمعنى واحد، وهو ما بين أعلى الجبل والبئر إلى المستقر وقيل معناه، رؤوسهم هاوية في الهوة"^(٨).

(١) ابن الأنباري: هو محمد بن القاسم بن محمد، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن، توفي في بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة للهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٣٤١/٤، وبغية الوعاة: ٢١٢/١، والأعلام: ٣٣٤/٦.

(٢) انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٧.

(٣) مجمع الأمثال للميداني: ٣٩٠/٢.

(٤) ابن بري: هو عبد الله بن بري المقدسي الأصل المصري، أبو محمد: الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية، كان علامة عصره، وحافظ وقته، ونادرة دهره، وتوفي بمصر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة للهجرة. انظر: معجم الأدباء: ٤٤٨/٣، وفيات الأعيان: ١٠٨/٣ - ١٠٩، وبغية الوعاة: ٣٤/٢.

(٥) انظر: لسان العرب: ١٣٦/١ (أمم).

(٦) انظر: الكشاف: ٤٢٢/٦.

(٧) خزنة الأدب: ٤٦٣/١٠.

(٨) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٠١/٢.

٦ - هِبَلْتِكَ أُمُّكَ:

مِنْ التَّعْجُبِ بِالدُّعَاءِ قَوْلُهُمْ: (هِبَلْتِكَ أُمُّكَ)، وَمِنْ أُمَّتِهِ فِي الدِّيَّانِ - وَهُوَ الْمَثَالُ الْوَحِيدُ -
قَوْلِ سَعْدَى بِنْتِ الشَّمْرَدَلِ: (الكامل)

أَجَعَلْتَ أَسْعَدَ لِلرَّمَاكِ دَرِيئَةً هِبَلْتِكَ أُمُّكَ أَيَّ جَرْدٍ تَرْقِعُ^(١)

هذا البيت يظهر فيه ثلاثة من الشواهد على التعجب السماعي: الأول: همزة الاستفهام التي تحمل معنى التعجب، والثاني: قوله (هِبَلْتِكَ) التي تعطي معنى التعجب، والثالث: أي الاستفهامية التي تفيد معنى التعجب أيضاً.

٧ - تَرَبْتُ يَدَاكَ:

مِنْ التَّعْجُبِ بِالدُّعَاءِ قَوْلُهُمْ: (تَرَبْتُ يَدَاكَ)، وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تُنْكُحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفُرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبْتُ يَدَاكَ"^(٢).

وقد اختلف العلماء في معنى قول الرسول - صلى الله عليه وسلم: (تربت يداك) اختلافاً كثيراً قال الإمام النووي^(٣) - رحمه الله تعالى - تعليفاً على هذا الحديث: "والأصح الأقوى الذي عليه المحققون في معناه: أنها كلمة أصلها (انْفَقَرْتُ)، ولكن العرب اعتادت استعمالها غير قاصدة حقيقة معناها الأصلي، فيذكرون تربت يداك، وقاتله الله ما أشجعه، ولا أم له ولا أب لك، وتكلمته أمه، وويل أمه، وما أشبه هذا من ألفاظهم يقولونها عند إنكار الشيء أو استعظامه أو الحث عليه أو الإعجاب به والله أعلم"^(٤).

وقد ورد هذا التركيب التعجبي في (الأصمعيّات) - وهو المثال الوحيد - في قول علباء بن أرقم بن عوف: (الكامل)

تَرَبْتُ يَدَاكَ وَهَلْ رَأَيْتَ لِقَوْمِهِ مِثْلِي عَلَى يُسْرِي وَحِينَ تَعَلَّتِي^(٥)

(١) الأصمعيّات: ص ١١٦، رقم ١٩، أسعد: اسم المرثي، وهو أخو سعدى، والدريئة: الحلقة التي يتعلم عليها الطعن، وقيل: الدريئة البعير أو غيره الذي يستتر به الصائد من الوحش. وهبلك أمك؛ أي: تكلمتك وفقدتك، والجرد: الثوب الخلق. انظر: لسان العرب: ٧١/١ (درأ)، و: ٦٨٥/١١ (هبل)، و: ١١٥/٣ (جرد).

(٢) صحيح البخاري، باب النكاح، ٧/٧ (٥٠٩٠)، ط ١، دار طوق النجاة.

(٣) الإمام النووي: يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، توفي سنة ست وسبعين وستمائة للهجرة. انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٤٩/٨، والأعلام: ١٤٩/٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، المشهور بالنووي، (ت: ٦٧٦هـ)، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ط ١، ١٣٤٧هـ، ج ٣، ص ٢٢١.

(٥) الأصمعيّات: ص ١٧٩، رقم ٤.

أقبل عليها يُؤبِّخها، ويُخطئ رأياها، ويكذب ظنَّها ويقبِّح اختيارها في إفاته نفسها الحظَّ منه، ويدعو عليها بالفقر والبأساء... فيقول: صار في يدك التراب، وهل رأيت لقومه من يُماتلني في حالتي السراء والضراء... حتى تُعلقي منك رجاءك فيَّ بغيري، إذا أُخليت مكاني، و(ترب) تستعمل في الفقر والخيبة لا غير^(١).

٨- ويحك:

من التَّعَجُّب بالدُّعاء قولنا: ويحك، وويحه، قال سيبويه: "ومع هذا أنك إذا قلت: ويحه، فقد تعجبت وأبهمت، من أيِّ أمور الرِّجل تعجب، وأيِّ الأنواع تعجب منه، فإذا قلت: فارساً وحافظاً فقد اقتصت ولم تُبهم، وبيّنت في أيِّ الأنواع هو"^(٢)، ومن أمثلته في (الأصمعيّات) - وهو المثال الوحيد - قول الأجدع بن مالك: (الكامل)

والحارث بن يزيد ويحك أغولي حُلوا شَمائِلُهُ رَحِيبَ الباع^(٣)

(ويح) كلمة تُقال رحمةً وكذلك ويحما، وقيل: ويحما ويويح كلمة ترحم وتوجع، وقد يُقال بمعنى المدح والعجب وهي منصوبة على المصدر^(٤)، ويقول النووي في شرحه: "وقوله - صلى الله عليه وسلم: (ويحكم أو قال ويلكم)^(٥) قال القاضي: هما كلمتان استعملتهما العرب بمعنى التعجب والتوجع، وقال سيبويه: (ويل): كلمة لمن وقع في هلكة، و(ويح): ترحم، وحكي عنه: (ويح): زجر لمن أشرف على الهلكة، وقال غيره: ولا يزد بهما الدعاء بإيقاع الهلكة ولكن الترحم والتعجب"^(٦).
أما بالنسبة لإعرابها فهي تُعرب إعراب (ويل) فإن كانت مرفوعة أُعربت مبتدأ، وإن كانت منصوبة دون تنوين أو مضافة أُعربت مفعولاً به لفعل محذوف، وأما إن كانت منونة فهي مفعول مطلق لفعل مهمل، استعملته العرب قديماً ثم تركته^(٧). غير أن (ويح) كلمة استعملتها العرب في معنى الترحم والتوجع وإظهار الشفقة، فنقول: ويحك، ويوح فلان، ويوح زيد، ويوح لزيد، وويحاً له، وأما (ويل) و(ويك) فهما كلمتان بمعنى عذاب ودعاء بالشر، وتُستعمل (نفس) استعمالاً (ويح)^(٨).

(١) شرح الحماسة للمرزوقي: ٥٤٨/١ - ٥٤٩.

(٢) الكتاب: ١٧٤/٢.

(٣) الأصمعيّات: ص ٧٩، رقم ٢.

(٤) لسان العرب: ٤٩٣٧/٦.

(٥) صحيح البخاري، باب قول النبي: تربت يمينك، ٣٨/٨، (٦١٦٦)، ط ١، دار طوق النجاة.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي: ٥٦/٢.

(٧) انظر: المعجم الوافي في أدوات النحو، صنفه: عليّ توفيق الحمد، ويوسف جميل الرُّغبّي، دار الأمل، الأردن، ط ٢،

١٤١٤هـ، ص ٣٦٥.

(٨) نفسه: ٣٥٦.

٩- ضلّ سعيك:

يُقال عند الدُّعاء على كائن حيٍّ - وليس بالضرّورة أن يكون إنساناً - ومن أمثلته في (الأصمعيّات) - وهو المثال الوحيد - قول أسماء بن خَارجة: (الكامل)

يَا ضَلَّ سَعْيُكَ مَا صَنَعْتَ بِمَا جَمَعْتَ مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ^(١)

فالشّاعر يخاطب الدُّبّ بقوله: "ماذا صنعت بما جمعت من شُبِّ إلى دُبِّ!؛ أي منذ كنت شاباً إلى أن دببت على العصا؛ وهو كناية عن الهرم، فكأنّه يدعو عليه متعجباً من صنيعه.

١٠- التّعجب باستخدام ألفاظ أخرى:

من ألفاظ التّعجب بالدُّعاء التي وردت في كلام العرب، قولهم:

أ- عَيْلٌ ما هو عائله:

أي: غلب علي ما هو غالبه من العول: وهو الغلبة والنقل، يُقال: عالني الشّيء؛ أي: غلبني وثقل عليّ، وهذا دعاء للإنسان يُعجب من كلامه أو من غير ذلك من أموره^(٢).

ب- أخزاه الله:

جاء في (لسان العرب): والخزّي: "الهوان، وقد أخزاه الله أي أهانه...ومن كلامهم للرجل إذا أتى بما يُستحسن، ما له أخزاه الله! وربما قالوا: أخزاه الله من غير أن يقولوا: ما له، وكلامٌ مُخزٍ يُستحسن فيقال لصاحبه: أخزاه الله، وذكروا أن الفرزدق قال بيتاً من الشعر جيّداً فقال: هذا بيتٌ مُخزٍ؛ أي: إذا أنشد، قال الناس: أخزى الله قائله ما أشعره! وإنما يقولون هذا وشبهه بدل المدح ليكون ذلك واقياً له من العين، والمراد من كل ذلك إنّما هو الدُّعاء له لا عليه، وقصيدة مُخزية أي نهايةً في الحسن يُقال لقاتلها أخزاه الله"^(٣)، هذا ولم يرد هذا التّركيب في الأصمعيّات.

(١) الأصمعيّات: ص ٥٤، رقم ٢١، الضلال والضلالة ضد الهدى والرّشاد، يقال: أضللت الشّيء إذا غيبتّه وأضللت الميّت دفننّه. انظر: لسان العرب: ١/٢٦٠١ (ضلال).

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزبيديّ، (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، دار الهداية، (د. ق)، (د. ط)، (د. ت). ج ٣٠، ص ٧٢. و مجمع الأمثال: ٢٣/٢، ولسان العرب: ٤/٣١٧٥.

(٣) انظر: لسان العرب: ٢/١١٥٥ (خزا).

ت - رمى الله عينها بالقذى^(١):

جاء في مكان آخر من (المعجم) نفسه: "رَمَى اللّهُ فِي عَيْنِي بُيُوتَةَ بِالْقَذَى^(٢) كَقَوْلِكَ: سُبْحَانَ اللّهِ مَا أَحْسَنَ عَيْنَهَا! ونحو منه: قَاتَلَهُ اللّهُ مَا أَشْجَعَهُ! وَهَوَتْ أُمُّهُ مَا أَرْجَلَهُ!"^(٣)، ولم يرد هذا التّركيب في الأصمعيّات أيضاً.

ث - حَلَقِي، خَمَشِي، عَقْرِي:

يُقال للمرأة عَقْرِي حَلَقِي معناه عَقَرها الله وحَلَقها؛ أي: حَلَقَ شَعْرها أو أَصَابها بوجع في حَلَقها، فَعَقْرِي هاهنا مَصَدَّرٌ كَدَعْوَى عَقْرِي وحَلَقِي، ويحتمل أن يكونا مصدرين على فَعَلَى؛ بمعنى العَقْر والحَلَق كالشَّكْوَى للشَّكْوِ، وقيل: الألف للتَّأْنِيثِ مثلها في غَضْبِي وسَكْرِي^(٤)، ونقل صاحب (لسان العرب) عن الأصمعيّ: "يُقال عند الأمر تَعَجَّبُ مِنْهُ خَمَشِي، وعَقْرِي، وحَلَقِي كأنه مِنْ العَقْرِ، والحَلَقِ، والخَمَشِ"^(٥)، ولم يرد هذا التّركيب في الأصمعيّات أيضاً.

ج - أَرَبَ ما له:

نقل ابن منظور عن ابن الأثير^(٦) في هذه اللفظة ثلاث روايات: إحداها - وهي التي تهّم هنا: أَرَبَ بوزن عِلِمَ ومعناه: الدُّعاء عليه؛ أي: أُصِيبَتْ أَرابُهُ وسَقَطَتْ وهي كلمة لا يُرادُ بها وفُوعُ الأمر كما يُقال تَرَبَّتْ يَدَاكَ وقَاتَلَكَ اللّهُ وإنما تُذَكَّرُ في معنى التَّعَجُّبِ^(٧). ولم يرد هذا التّركيب في الأصمعيّات أيضاً.

ح - لا شَلَّ عَشْرُكَ:

جاء في (لسان العرب): "ويُقال في الدُّعاء: لا تَشَلُّ يَدُكَ ولا تَكَلُّ، وقد شَلَّتْ يا رَجُلُ بالكسر تَشَلُّ شَلًّا؛ أي: صِرْتُ أَشَلًّا، والمرأة شَلَاءٌ، ويُقال لمن أجاد الرَّمِي أو الطَّعْنَ: لا شَلًّا ولا عَمِي، ولا شَلَّ عَشْرُكَ؛ أي: أَصَابِعُكَ"^(٨)، هذا ولم أَقِفْ - فيما علمتُ - على أمثلة لهذه الألفاظ في ديوان (الأصمعيّات).

(١) القَذَى ما يقع في العين وما ترمي به، وجمعه أَقْدَاءٌ وقُدَيٌّ. انظر: لسان العرب: ٥/٣٥٦٢ (قذي).

(٢) هذا صدر بيت لجميل بئينة على الطويل، ورد في ديوانه: دار بيروت للنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ٦٨،

وعجزه: وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح

(٣) لسان العرب: ٦/٤٥٩٢ (نيب).

(٤) نفسه: ٤/٣٠٣٦ (عقر).

(٥) نفسه: ٢/٩٦٧ (حلق).

(٦) ابن الأثير: هو إسماعيل بن أحمد بن سعيد، عماد الدّين بن تاج الدّين، المعروف بابن الأثير: كاتب، من

العلماء بالأدب، شافعيّ، حلبيّ الأصل. توفّي سنة تسع وتسعين وستمائة للهجرة. انظر: الأعلام: ١/٣٠٩.

(٧) انظر: لسان العرب: ١/٥٦ (أرب).

(٨) نفسه: ٤/٢٣١٦ (شلل).

المطلب السادس: التَّعْجُبُ بِأَسْلُوبِ النَّفْيِ: (الجملة المنفية)

قد يخرج النَّفْيُ عن معناه الحقيقيِّ إلى التَّعْجُبِ، وَمِنْ خِلالِ تَتَبُّعِ الأَمْثَلَةِ في كِتابِ النُّحَاةِ وَجُدَ أَنَّ أَدْوَاتِ النَّفْيِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي التَّعْجُبِ اثْنَتَانِ، هُمَا: (لا، وما).

١ - التَّعْجُبُ بِ(لا):

أ - التَّعْجُبُ بِاسْتِخْدامِ (لا النَّافِيَةِ):

تقول: ولا كزيد رجل! كأنه قال: لا أحد كزيد، ومنه يا جارتنا ما أنت! عند مَنْ جعل (ما) نافية^(١)، ومثال التَّعْجُبِ بِطَرِيقِ النَّفْيِ مِنْ (الأصمعيَّات) قول أبي النَّشْناشِ النَّهْشَلِيِّ اللَّصِّ: (الطَّوِيل)

ولم أرَ مِثْلَ الهَمِّ ضاجِعَهُ الفَتَى ولا كَسَوادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طالِبُهُ^(٢)

قوله: (ولا كسواد اللَّيْلِ) تعجب، أي أنه لم يرَ كسواد اللَّيْلِ وسيلةً للحصول على الغُنْمِ والظَّفَرِ، يقول صاحب (كتاب الجليس الصَّالِحِ)^(٣) عند تعرُّضه لهذا البيت: "فَأُنْشِدَ عبد الملك هذه القصيدة فلما سمع قوله: (ولا كسواد اللَّيْلِ أخفق صاحبه) قال: لَصٌّ وَرَبَّ الكعبة، وأمر بطلبه فَطُلبَ فَأَعْجَزَ"^(٤)، ويقول المرزوقي في شرح البيت المذكور: "لم أرَ كالفقر يتَّخذه الفتى ضجيعاً؛ أي: يرضى به ويلزومه له، ولم أرَ كسواد اللَّيْلِ أكدى راكبه والطالب فيه، والمعنى يجب ألا يحصل واحد منهما، لا الرِّضا بالفقر، ولا الإخفاق مع ركوب اللَّيْلِ"^(٥).

ومن صور التَّعْجُبِ بِالنَّفْيِ قولهم: لا عُدَّ مِنْ نَفْرِهِ:

(لا عُدَّ مِنْ نَفْرِهِ) دعا عليه وهو يمدحه، وهذا كقولك لرجل يعجبك فعله: ما له قاتله الله! أخزاه الله! وأنت تريد غير معنى الدُّعاء عليه^(٦)، وجاء في (مجمع الأمثال): "ما لَهُ لا عُدَّ مِنْ نَفْرِهِ": هذا دُعاء في موضع المدح، نحو قولهم: "قاتله الله ما أَفْصَحَهُ"^(٧). ولم يرد هذا التَّركيب في الأصمعيَّات.

(١) انظر: الكتاب: ٢٩٣/٢، وهمع الهوامع: ٤٢/٣ .

(٢) الأصمعيَّات: ص ١٣٢، رقم ٦.

(٣) هو المعافى بن زكريا بن يحيى الجريبي، أبو الفرج: قاضٍ، مِنْ الأُدباء الفقهاء، له شعر حسن، وقيل له الجريبيُّ أَنَّهُ كان على مذهب (ابن جرير) الطبري، له تصانيف ممتعة في الأدب وغيره، توفي سنة تسعين وثلاثمائة للهجرة. انظر: معجم الأُدباء: ٥٠٧/٥، ووفيات الأعيان: ٢٢١/٥، وبغية الوعاة: ٢٩٣/٢ - ٢٩٤.

(٤) الجليس الصَّالِحِ الكافي والأُنيس النَّاصِحِ الشَّافِي، أبو الفرج المَعافى بن زكريا، (ت: ٣٩٠هـ)، تحقيق: محمَّد الخولي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ، ج ٣، ص ٢١٢.

(٥) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٠٤/١.

(٦) لسان العرب: ٤٤٩٩/٦ (نفر).

(٧) انظر: مجمع الأمثال: ٢٨٠/٢.

ب- التَّعْجُبُ بِ(لا النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ):

مِنْ صَوْرَهَا قَوْلُ الْعَرَبِ: (لَا أَبَا لَكَ)، وَهِيَ عِبَارَةٌ يُرَادُ بِهَا الْمَبَالِغَةُ فِي الْمَدْحِ، وَكَأَنَّ الْمَدْحَ لَيْسَ لَهُ أَبٌ يَرَعَاهُ سِوَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَأَنَّهُ عَصَامِيٌّ اعْتَمَدَ عَلَى ذَاتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَلَيْسَ عَلَى وَالِدِهِ، وَتَكُونُ عَادَةً جُمْلَةً مَعْتَرِضَةً تَقَعُ حَشْوُ الْكَلَامِ، لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ^(١).

وَمِنْ أَمْتَلَتْهَا مَا رَوَاهُ عِكْرَمَةُ^(٢)، قَالَ: "رَأَيْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْمَقَامِ يَكْبُرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ... فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: "أَوْلَيْسَ تَلِكُ صَلَاةُ النَّبِيِّ! لَا أُمَّ لَكَ"^(٣)، جَاءَ فِي (لِسَانِ الْعَرَبِ): "وَأَمَّا إِذَا قَالَ: (لَا أَبَا لَكَ) فَلَمْ يَتْرِكْ لَهُ مِنَ الشَّتِيمَةِ شَيْئًا، وَلَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ لَا أُمَّ لَكَ إِلَّا فِي غَضَبِهِ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِمْ: (لَا أُمَّ لَكَ) يَقُولُ: أَنْتَ لَقِيطٌ لَا تُعْرِفُ لَكَ أُمَّ"^(٤). هَذَا وَاخْتُلِفَ فِي إِعْرَابِ (لَا أَبَا لَكَ)، يَرَى ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ (أَبَا): اسْمٌ لَا، وَهُوَ مُضَافٌ، وَالْكَافُ مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَاللَّامُ مَقْحَمَةٌ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَالْخَبْرُ مَحْذُوفٌ، وَقَدْ اعْتَمَدَ ابْنُ هِشَامٍ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ مِنْ ذِكْرِهَا دُونَ اللَّامِ^(٥)، وَأَعْرَبَهَا آخَرُونَ هَكَذَا: لَا: نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، وَأَبَا: اسْمُهَا مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَلْفِ عَلَى لُغَةٍ مَنْ يُلْزَمُ الْأَسْمَاءَ الْخَمْسَةَ الْأَلْفَ دَائِمًا، وَلِئِنْ جَارَ وَمَجْرُورٌ فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرِهَا^(٦).

وَمِنْ صَوْرِ التَّعْجُبِ بِاسْتِخْدَامِ (لَا النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ) قَوْلُهُمْ: لَا أُمَّ لَكَ: جَاءَ فِي (مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ): "لَا أُمَّ لَكَ عِنْدَنَا فِي مَذْهَبٍ، لَيْسَ لَكَ أُمَّ حَرَّةٌ، وَهَذَا الشَّتْمُ الصَّدْرِيحُ، لِأَنَّ بَنِي الْإِمَاءِ عِنْدَ الْعَرَبِ لَيْسُوا بِمَحْمُودِينَ، وَلَا لِأَحْقِينَ بِمَا يَلْحَقُ بِهِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرَائِرِ"^(٧). وَذَكَرَ ابْنُ مَنْظُورٍ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّعْبِيرَيْنِ (لَا أَبَا لَكَ، وَلَا أُمَّ لَكَ)، بِقَوْلِهِ: "لَا أَبَا لَكَ هُوَ أَكْثَرُ مَا يُدْكَرُ فِي الْمَدْحِ؛ أَيُّ: لَا كَافِيٍّ لَكَ غَيْرِ نَفْسِكَ، وَقَدْ يُذْكَرُ فِي مَعْرُضِ الدَّمِّ كَمَا يُقَالُ: لَا أُمَّ لَكَ، وَقَدْ يُذْكَرُ فِي مَعْرُضِ التَّعْجُبِ وَدَفْعًا لِلْعَيْنِ كَقَوْلِهِمْ اللَّهُ دَرُكٌ"^(٨).

هَذَا وَلَمْ أَقِفْ فِي دِيَوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ) عَلَى أَمْثَلَةٍ لِهَذِهِ الصُّورِ مِنَ التَّعْجُبِ بِالنَّفْيِ فِيمَا عَلِمْتُ.

(١) انظر: المعجم الوافي في أدوات النحو: ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) هو عِكْرَمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدَنِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: تَابِعِيٌّ، كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالتَّفْسِيرِ وَالْمَغَازِي، رَوَى عَنْهُ زُهَاءُ ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ بِالْمَدِينَةِ هُوَ وَكُثِيرٌ عَزَّةٌ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ لِلْهَجْرَةِ، فَقِيلَ: "مَاتَ أَعْلَمُ النَّاسِ وَأَشْعَرُ النَّاسِ". انظر: معجم الأدباء: ٥١٨/٣ ووفيات الأعيان: ٢٦٥/٣ والأعلام: ٢٤٤/٤.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج ٢، ص ٢٧١.

(٤) انظر: لسان العرب: ١/١٣٦ (أم).

(٥) انظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، محمد بن عبد المنعم الجوهري، (ت: ٨٨٩هـ) تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١١هـ، ج ٢، ص ٥٧٩.

(٦) انظر: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ٢٧٤.

(٧) مجمع الأمثال: ٢/٢٤٢.

(٨) انظر: لسان العرب: ١/١٨ (أبي).

٢- التَّعْجُبُ باستخدام (ما) النَّافِيَةِ: وَمِنْ صَوْرَهَا:

أ- قولهم: ما أنت! ما أنتِ جارة! وهذه الصُّورَةُ ذكرها أبو حَيَّان عندما تحدَّثَ عن التَّعْجُبِ الَّذِي جاء متضمَّنًا جملاً لم تكن له في أصل الوضع وَمِنْ ذَلِكَ: ما أنتَ مِنْ رجلٍ، وقيل: لا تُحذف (من)، وما أنتِ جارة، خرَّجوه على أَنَّ (جارة) تميِّز، وما أنتِ مِنْ جارة...^(١)، واختلفوا في إعراب (جارة) بين تميِّز النَّسْبَةِ والحال^(٢)، جاء في (المعجم الوافي): (ما أنت) تعبير يُقصد به التَّعْجُبُ، و(ما): مبتدأ، والخبر: أنت^(٣).

ب- قولهم: ما رأيت كالليوم رجلاً، ولا كالليلة قمرًا!

فهذه الألفاظ سواء أكانت خبريَّة أو إنشائيَّة فقد نُقلت عن معناها الأصليِّ لإفادة معنى التَّعْجُبِ، وهي مِنْ أَلْفَاظِ التَّعْجُبِ السَّمَاعِيِّ الَّتِي لم يقف الباحث على أمثلة لها في (الأصمعيَّات) فيما عَلم.

المطلب السَّابِع: التَّعْجُبُ باستخدام اسم الفعل، ومنه:

أ- التَّعْجُبُ باستخدام اسم الفعل الماضي، مثل: هيهات، وهي اسم فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح أو الكسر أو الضَّمِّ، وفيها لغاتٌ كثيرة أفصحها ما ذكرنا^(٤).
ومِنْ أمثلة التَّعْجُبِ باسم الفعل (هيهات) في القرآن قوله- تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾^(٥). هذا وقد وردت هذه الصُّورَةُ في (الأصمعيَّات) مرَّةً واحدة، وهي قول قَيْسِ بْنِ خَطِيمٍ: (المنسرح)

هَيْهَاتَ مَنْ أَهْلُهُ بِيَثْرَبَ قَدْ أَمْسَى وَمَنْ دُونَ أَهْلِهِ سَرِفٌ^(٦)

جاء في (شرح الرُّضِيِّ على الكافية): "كلُّ ما هو بمعنى الخبر، ففيه معنى التَّعْجُبِ، فمعنى هيهات؛ أي: ما أبعد، وشتان؛ أي: ما أشدَّ الافتراق، وسرعان، ووشكان؛ أي: ما أسرع، وبطآن؛ أي: ما أبطأ، والتَّعْجُبُ هو التَّأَكِيدُ المذكور، وكلُّها بلا علامة للمضمر المرتفع بها"^(٧).

(١) انظر: ارتشاف الضَّرْبِ: ٢٠٨٧/٤.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢٩٢/٢ (الهامش).

(٣) انظر: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ٣١١.

(٤) نفسه: ٣٤٨.

(٥) المؤمنون: ٣٦/٢٣.

(٦) الأصمعيَّات: ص ٢١٨، رقم ١٨ (الزيادات مِنَ الكتابين)، سَرِف: مكان لا يبعد عن مَكَّةَ إِلَّا الشَّيْءُ اليسير.

(٧) شرح الرُّضِيِّ على الكافية: ٩٠/٣.

ب- قولنا: بُطَّان، سُرْعَان، وَشَكَان، شَتَّان:

حدَّد السِّيَوطِيُّ المعنى الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ (بُطَّان) وما ينطبق عليها ينطبق على أخواتها الثلاثة فقال: "وتعجبًا، كقولهم: بُطَّان هذا الأمر، بمعنى بَطْرٌ، وفيه معنى التَّعْجُبِ"^(١).
ويقول الرِّضِيُّ في معرض حديثه عن أسماء الأفعال التي مِنْ معانيها التَّعْجُبُ: "ومنها: شَتَّان، بمعنى افترق، مع تعجب؛ أي: ما أشدَّ الافتراق، فيطلب فاعلين فصاعدًا، كافترق، نحو: شَتَّان زيد وعمرو، وقد تزداد بعده (ما)، نحو: شَتَّان ما زيد وعمرو، وقد يُقال في غير الأكثر الأفصح: شَتَّان ما بين زيد وعمرو"^(٢).

ت- قولهم: وا، واهَا، وي.

- وا: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب^(٣).
- واه: بالبناء على الفتح أو الكسر مع التَّنوين: (واهٍ) أو بالألف: (واها) أو بالألف مع التَّنوين: (واهاً): اسم فعل بمعنى أعجب أو أتلهَّف^(٤).
- وي: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب، والفاعل ضمير مستتر، وتكون مفردة، واستعمالها مع (كأن) المشددة والمخففة كثير، وقولهم: (ويْلُمُه) قيل أصلها وي لأُمه، ثم حذفت الهمزة تخفيفاً^(٥).
وأورد صاحب (مجمع الأمثال) خبراً طريفاً عن استخدام العرب لكلمة (واها) حيث قيل لحُبلى: ما تشتهين؟ قالت: التَّمْرَ وَوَاهَا لِيَه؛ أي: اشتهي كلَّ شيء يُذكر لي مع التَّمْر، وواهاً لِيَه؛ أي: أشتهيه ويعجبني، يضرب لمن يشتهي ما يُذكر، وواها كلمة تعجب، تقولها لِمَا يعجبك^(٦)، وممَّا يدلُّ على أنَّ (وي) تعجب ما نقله الفراء عن بعض العرب قوله: "وقد قال آخرون: إنَّ معنى (وي كأن) أنَّ (وي) منفصلة من كأن، كقولك للرجل: وي، أما ترى ما بين يديك! فقال: وي، ثمَّ استأنف (كأن) يعني: كأنَّ الله يبسط الرِّزق، وهي تعجب"^(٧).

هذا ولم يرد شيء من هذه الألفاظ التَّعْجِيبِيَّة في الدِّيوان وكذلك شَتَّان، على حدِّ معرفتي.

ث- ومن أسماء الأفعال التي تحمل معنى التَّعْجُبِ قولهم: (بخِ بخِ)

وكلمة (بخ) سواء كانت مفردة أم مكررة للتوكيد لها صور وأشكال كثيرة، لا مجال لذكرها هنا، وكلُّ ما يهَمُّ معرفته عنها أنَّها اسم فعل مضارع بمعنى: أمدح وأثنى وأبدي إعجابي وتقديري

(١) همع الهوامع: ٨٤/٣.

(٢) شرح الرِّضِيِّ على الكافية: ١٠٣/٣.

(٣) انظر: المعجم الوافي في أدوات النُّحو: ٣٦١.

(٤) نفسه: ٣٦٢.

(٥) نفسه: ٣٦٤.

(٦) مجمع الأمثال: ٩٢/٢.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٣١٢/٢.

وإعظامي لِمَا أرى. و(بخِ بخِ) ذكرها الميداني في (مجمعه) حين وردت في مَثَلٍ عربيٍّ قديمٍ هو: (بخِ بخِ ساقِ بخلخال)، يقول: " (بخِ بخِ) كلمة يقولها المتعجب من حسن الشيء وكماله الواقع موقع الرضا، كأنه قال: ما أحسن ما أراه! وهو ساق مُحَلَّاة بخلخال، ويجوز أن يريد بالباء معنى (مع) فيكون التَّعْجُبُ مِنْ حَسْنِهَا"^(١).

جاء في (المعجم الوافي): (بخِ) اسم فعل مضارع مبني على الكسر بمعنى استحسنت، ويغلب استعمالها مكررة بالكسر والتثوين والفاعل مستتر^(٢).

المطلب الثامن: التَّعْجُبُ بِالْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمَثْبُتَةِ

بعد الاطلاع على عدد من كتب الأدب وقفت على مجموعة من ألفاظ التَّعْجُبِ بِالْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمَثْبُتَةِ، والتي ورد فيها لفظ الجلالة، وقصد بها التَّعْجُبُ، ومنها: لله دَرُّهُ، والله دَرُّهُ فارساً، والله أنت، وسبحان الله، والعظمة لله، ونحو ذلك.

١ - التَّعْجُبُ بِ (لِلَّهِ دَرُّهُ):

معنى (لله دَرُّهُ)؛ أي: خيره وعطاؤه وما يُؤخذ منه، هذا هو الأصل، ثم يُقال لكلِّ متعجبٍ منه^(٣)، جاء في (لسان العرب): وقولهم: "لله زيدٌ، كأنه جاء به الله من أمرٍ عَجِيبٍ، وكذلك قولهم: لله دَرُّهُ؛ أي: جاء الله بدَرِّهِ مِنْ أَمْرٍ عَجِيبٍ لكَثْرَتِهِ"^(٤).

وقال النُّحَاةُ فِي قَوْلِهِ: (لِلَّهِ دَرُّكَ): "إِنَّ هَذِهِ لَامُ التَّعْجُبِ، وَإِنْ كَانَ دَعَاءٌ لِلْمَخَاطَبِ بِهِ أَوْ الْمَخْبِرِ عَنْهُ فِي قَوْلِهِمْ لِلَّهِ دَرُّهُ، وَقَالُوا مَعْنَاهُ: كَثُرَ اللَّهُ خَيْرُهُ، وَالذَّرُّ: اللَّبْنُ، وَكَانَ أَكْثَرَ مَا يَشْرَبُونَ فُدَّعِيَ بِتَكْثِيرِهِ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكْثُرُ إِلَّا بِكَثْرَةِ غَنَمِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ، وَمَخْرَجُهُ مَخْرَجُ التَّعْجُبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِلَّهِ دَرُّكَ؛ أَي: لِلَّهِ مَا تَأْتِي بِهِ"^(٥).

٢ - التَّعْجُبُ بِاسْتِخْدَامِ سُبْحَانَ:

سبحان: اسم مصدر نائب عن فعله ملازم للإضافة إلى الاسم الظاهر أو إلى الضمير إلا لضرورة شعريَّة، ولم يُشْتَهَرَ عَنِ الْعَرَبِ اسْتِعْمَالُهُ إِلَّا مَنْصُوبًا، نَحْوُ: سُبْحَانَ اللَّهِ؛ أَي: بَرَاءَةٌ لَهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَنَقْصٍ، وَاسْتِعْمَلْتَهُ الْعَرَبُ لِلتَّعْجُبِ دُونَ قِيَاسِ^(٦).

مِنَ الْمَلَاظِحِ عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ اسْتِعْمَالِ الْمَصْدَرِ (سُبْحَانَ) مُضَافًا إِلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ لِإِظْهَارِ التَّعْجُبِ وَالذَّهْشَةِ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ بِلَفْظِهَا وَمَعْنَاهَا وَضَعْتُ أَصْلًا لِلدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ، ثُمَّ

(١) مجمع الأمثال: ١١٠/١.

(٢) المعجم الوافي في أدوات النحو: ١١١.

(٣) انظر: مجمع الأمثال: ١٩٢/٢.

(٤) انظر: لسان العرب: ٢٨١٢/٤.

(٥) انظر: اللامات: ٨٢.

(٦) انظر: المعجم الوافي في أدوات النحو: ص ١٧٩.

استُخدمت في التَّعْجُبِ على غير الأصل، ومنه قوله - جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿... سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

وذكر النوويُّ في (شرح صحيح مسلم) أنَّ عائشة - رضي الله تعالى عنها - عندما سُئِلَتْ، هل رأى محمَّد - صلى الله عليه وسلم - ربَّه سبحانه وتعالى؟ فقالت: سبحان الله لقد قَفَّ^(٢) شَعْرِي لِمَا قَلَّتْ، بقوله: "أَمَّا قولها: (سبحان الله) فمعناه التَّعْجُبُ مِنْ جَهْلٍ مِثْلٍ هَذَا، وكأنَّها تقول: كيف يخفى عليك مثل هذا؟ ولفظة (سبحان الله) لإرادة التَّعْجُبِ كَثِيرَةً فِي الْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ كَقَوْلِهِ - صلى الله عليه وسلم: سبحان الله! تطهَّري بها^(٣)، وقوله: سبحان الله! المسلم لا ينجس^(٤)، وقول الصَّحَابَةِ: سبحان الله! يا رسول الله^(٥).

ويقول ابن منظور تعليقاً على الآية السَّالِفَةِ الذِّكْر: "و (سبحان الله) معناه: تنزيه الله - تعالى - عن كلِّ ما لا ينبغي له أن يُوصَفَ...سُئِلَ عليٌّ - كرَّم الله تعالى وجهه - عن: (سبحان الله) فقال: كلمة رضيها الله لنفسه فأوصى بها، والعرب تقول: سبحان من كذا! إذا تعجَّبت منه"^(٦). وقال الزَّمخَشَرِيُّ: "وسبحانك للتَّعْجُبِ مِنْ عَظَمِ الْأَمْرِ، فَإِنْ قَلْنَا: مَا مَعْنَى التَّعْجُبِ فِي كَلِمَةِ التَّسْبِيحِ؟ قَلْتُ: الْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْعَجَبِ مِنْ صَنَائِعِهِ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ مُتَعَجِّبٍ مِنْهُ، أَوْ لِنَتْنِيهِ اللَّهُ - تعالى - مِنْ أَنْ تَكُونَ حَرَمَةَ نَبِيِّهِ فَاجِرَةً"^(٧).

أعتقد أنَّ السَّبَبَ وَاللَّهُ - تعالى - أعلم في عدم ظهور هذه الصِّيْغَةِ التَّعْجِيبِيَّةِ (سبحان الله) في ديوان (الأصمعيَّات)، يتمثَّل في أنَّ هذا اللَّفْظَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي عُرِفَتْ مَعَ ظُهُورِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْجَدِيدِ، كغِيَرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الْجَدِيدَةِ مِثْل: الصَّدَلَاةِ، وَالصَّدُومِ، وَغِيَرِهَا الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ مَجِيئِهِ، هَذَا إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ دِيوانَ (الأصمعيَّات) تَضَمَّنَ أَشْعَارًا لِشِعْرَاءِ جَاهِلِيَّيْنِ، وَإِسْلَامِيَّيْنِ مِنْ صَدْرِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَكُونُوا قَدْ تَعَوَّدُوا عَلَى اسْتِخْدَامِ وَتَوْظِيْفِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فِي أَشْعَارِهِمْ، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْغَرِيبِ أَلَّا تَتَضَمَّنَ (الأصمعيَّات) وَلَوْ مِثَالًا وَاحِدًا يَحْمِلُ لَفْظَ (سبحان).

٣ - التَّعْجُبُ بِاسْتِخْدَامِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ:

مِنْ صِيْغِ التَّعْجُبِ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ:

(١) الثُّور: ١٦/٢٤.

(٢) قَفَّ شَعْرِي: معناه قام شعري من الفزع؛ لكوني سمعت مالا ينبغي أن يُقال، قال ابن الأعرابي: "تقول العرب عند إنكار الشيء: قَفَّ شعري، واقشعر جلدِي، واشمأزت نفسي". انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٠/٣.

(٣) صحيح البخاري، باب: الطَّيِّبُ لِلْمَرْأَةِ عِنْدَ غَسْلِهَا، ٧٠/١ (٣١٣)، ط ١، دار طوق النِّجَاة.

(٤) نفسه، باب: عرق الجنب، ٦٥/١ (٢٨٣)، ط ١، دار طوق النِّجَاة.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٠/٣.

(٦) لسان العرب: ١٩١٤/٣ (سبح).

(٧) الكشَّاف: ٢٧٦/٤.

أ - الله أنت:

ورد عن العرب قولهم: (الله أنت من رجل)، فنسبة المخاطب لله لا تدلُّ على التَّعْجُبِ، ولكن لورود هذا الأسلوب غالباً في مواقف الإعجاب والدّهشة نجده يعطي معنى التَّعْجُبِ. (الله أنت): هي من ألفاظ التَّعْجُبِ السَّمَاعِيّ التي نُقلتْ عن العرب، ولم يُبَوِّب لها النُّحاة، ومعناه: أي: في جميع الكمالات، كما يدلُّ عليه حذف جهة التَّعْجُبِ، فهو أبلغ من نحو: الله دَرَكٌ^(١)، ومن التَّركيب التي اشتملتْ على اللام وأفادت معنى التَّعْجُبِ قول عُرْوَةَ بنِ الْوَرْدِ: (الطَّوِيل)

وَاللهِ صَلُّوكُ صَفِيحَةٌ وَجْهَهُ كَضَوْءِ شِبْهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ^(٢)

المعنى: وحيى الله صلوكاً، يتلألاً وجهه قوة كأنه ضوء نار، ويلاحظ هنا دخول اللام على لفظ الجلالة في القسم بمعنى التَّعْجُبِ، يقول أبو القاسم الزَّجَاجِيّ عند حديثه عن لام التَّعْجُبِ: "ومن هذا الباب أيضاً لام القسم الخافضة، ولا تكون هذه اللام خافضة للمقسم به إلا متضمّنة معنى التَّعْجُبِ في الله وحده"^(٣)، وقوله: (الله صلوك) هذا التَّركيب التَّعْجُبِيّ شبيه بالقول: (الله أنت). وإذا أُريد معنى التَّعْجُبِ بالجار والمجرور فلا يجوز ترك اللام، يقول سيبويه: "فأما (تالله) فلا تُحذف منه التاء إذا أردت معنى التَّعْجُبِ، والله مثلها إذا تعجبت ليس إلا"^(٤).

ب - الله أبوك:

نقل ابن منظور عن ابن الأثير قوله: "إذا أُضيف الشّيء إلى عظيم شريفٍ اكتسب عِظَمًا وشرفًا كما قيل بيئتُ الله وناقتهُ الله، فإذا وُجدَ من الوالد ما يحسن موقعه ويحمد قيل: الله أبوك في معرض المدح والتَّعْجُبِ؛ أي: أبوك الله خالصاً حيثُ أنجب بك وأتى بمثلك"^(٥)، وكلُّ هذه الصيغ لم يرد منها شيء في ديوان (الأصمعيّات) فيما علمت.

٤ - التَّعْجُبُ بِ(مرحى) وأخواتها وهما: (برحى)، و(أيحى):

المرحُ شدةُ الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره، وقيل: المرحُ التَّبَخُّرُ، وقيل: المرحُ الأشرُّ والبطرُّ، وبرحٌ برحاً وبُروحاً: زال، والبراحُ مصدر قولك برح مكانه؛ أي: زال عنه، و(أيحى) تُقال

(١) انظر: حاشية الصَّبان: ٢٣ / ٣ .

(٢) الأصمعيّات: ص ٥٠، رقم ١٨.

(٣) اللّامات: ٨١.

(٤) الكتاب: ٤٩٨/١ .

(٥) لسان العرب: ١٩/١ (أبى).

للرّامي إذا أصاب، فإذا أخطأ قيل بَرَحَى^(١)، أمّا بالنّسبة لإعراب (برحى)، فتعرب مصدرًا نائبًا عن فعله: وإن قلنا: برحى له، ومرحى له، فتعربان مبتدأين^(٢).

٥- التّعجب باستخدام (كَمْ) الخبريّة:

وممّا نصّ عليه النّحاة أنّ (كَمْ الخبريّة) تفيد الكثرة، جاء في (المعجم الوافي): "كَمْ الخبريّة يُكنى بها عن العدد الكثير في مقام الافتخار والتّعظيم، أو العدد القليل بقريّة"^(٣).
وعن الهدف من استعمال العربيّ لـ(كم الخبريّة) في كلامه يقول عبّاس حسن: "كان الدّافع إلى استعمال (كم الخبريّة) هو: الافتخار والمدح بكثرة شيء محبوب معلوم أو الذّم بكثرة شيء معيب كذلك"^(٤).

الباحث بدوره لم يجد نويًا واحدًا نصّ على أنّ (كم الخبريّة) تُستعمل صيغة تعجب سماعيّ، ولكنني أدرجتها هنا؛ لأنني أستمّ رائحة التّعجب في كلّ موضع تُستعمل فيه (كم الخبريّة)، فعندما نقول- على سبيل المثال: (كم من شهيد سقط في الانتفاضة!) فإنني أُعبّر عن كثرة الشّهداء الذين سقطوا، وأُعبّر في نفس الوقت عن إعجابي الشّديد من هذا العدد للدّلالة على كثرة الضّحايا، فإذا اتّصف شيء (ما) بأنّه كثير زائد عن الحدّ، فهذا ممّا يثير الدهشة في النّفس ويدعو إلى التّعجب، لأنّ المتعجب من شيء يستعظمه، ووردت (كَمْ) الخبريّة في (الأصمعيّات) أربع مرّات^(٥)، أمثّل بمثالين منها، هما: قول سُعدى بنت الشّمردلِ ترثي أخاها: (الكامل)

كَمْ مِنْ جَمِيعِ الشَّمَلِ مُنْتَمٍ كَانُوا كَذَلِكَ قَبْلَهُمْ فَتَصَدَّعُوا^(٦)

وقول ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجميّ^(٧): (الطّويل)

وكمّ دون ليلى من فلاة كأنما تجلّل أعلاها ملاة مفصّلا^(٨)

(١) نفسه: ٨٨/١ (أيج).

(٢) انظر: المعجم الوافي في أدوات النّحو: ١١٢.

(٣) نفسه: ٢٥٢.

(٤) النّحو الوافي، عبّاس حسن، (ت: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط٨، (د. ت)، ج٤، ص٥٧٣.

(٥) انظر موضوعين آخرين لـ(كم) الخبريّة في الأصمعيّات: ص١٩٤، رقم٢٩. وص٢٥٥، رقم٢٦.

(٦) نفسه: ص١١٥، رقم١٠، تصدّعوا: تفرّقوا.

(٧) ضابئ بن الحارث بن أرطاة...شاعر مخضرم فحل، جعله ابن سلام في الطبقة التاسعة من فحول الشعراء

الجاهليين. انظر: طبقات فحول الشعراء ١/١٧١، والشعر الشعراء: ١/٣٥٠، والإصابة: ٣/٤٩٨.

(٨) الأصمعيّات: ص١٩٧، رقم٨ (الزيادات من الكتابين)، الفلاة: المفازة، تجلّل الملاء: لبسها.

المبحث الثاني: التعجب القياسي

توطئة

كان الباحث قد تحدّث في المبحث الأول من هذا الفصل عن التعجب السماعي، حيث قام باستعراض أهم الألفاظ التي سمعت عن العرب، ومثّل لها بما ورد من أشعار في ديوان (الأصمعيّات) كلّما وجدَ إلى ذلك سبيلاً، ولا يدّعي الباحث لنفسه الإحاطة بكافة تلك الألفاظ، كما لا يدّعي كذلك الإحاطة بشموليّة التمثيل لها.

وربّما كان الحديث الذي دار بين أبي الأسود الدؤلي^(١) وابنته - والذي أخذ شكل المحاورّة، وتناقلته كتب الأدب - أحد الأسباب التي دفعت النحاة للتفكير في تخصيص باب من أبواب النحو للتعجب، وأعني بذلك التعجب القياسي وليس السماعي؛ ذلك لأنّ التعجب السماعي لم يوبّ له النحاة كما مرّ في أكثر من موضع عند الحديث عن التعجب السماعي.

ليس هذا فحسب بل يمكن للباحث أن يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يعتقد أنّ هذا الحديث الذي دار بين أبي الأسود وابنته ربّما كان سبباً مباشراً في وضع علم النحو برمّته، جاء في معجم (الصّاح) قالت ابنة أبي الأسود الدؤلي لأبيها في يوم شديد الحرّ: يا أبت، ما أشدّ الحرّ! قال: إذا كانت الصدّعاء من فوقك، والرّمضاء من تحتك، فقالت: أردت أن الحرّ شديد، قال: فقولني إذن: ما أشدّ الحرّ! فحينئذ وُضِعَ باب التعجب^(٢).

وبعد أن قام الباحث بقراءة ديوان الأصمعيّات أكثر من مرة متأملاً أبياته بيّناً إثر بيت، تبين له أنّ الأبيات التي اشتملت على شواهد للتعجب القياسي لم تتجاوز عدد أصابع اليدين الاثنتين، وربّما كان لذلك أسباب آمل أن يتمّ التّعرّف عليها في نهاية هذا الفصل بحول الله - تعالى. والآن سأستعرض كلّ ما يتعلّق بالتعجب القياسي وما أحيط به من مسائل، مطبقاً ذلك على الأبيات الشعريّة التي وردت في ديوان الأصمعيّات.

المطلب الأول: صيغتا التعجب القياسي، وشروط الصياغة

أولاً: صيغتا التعجب القياسي

للتعجب القياسي صيغتان، يقول ابن السّراج: "فعلُ التعجب على ضربين، وهو منقول من بنات الثلاثة، إمّا إلى أفعل ويبنى على الفتح؛ لأنّه ماضٍ، وإمّا إلى أفعل به ويبنى على الوقف؛

(١) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن جندل، ويُعدّ في الشعراء المخضرمين، والنحويين المعدودين؛ لأنّه

أول من تحدّث في مسائل النحو، كان علويّ الرأي، مات بالبصرة سنة تسع وتسعين. انظر: الشعر والشعراء:

٧٢٩/٢، ومعجم الشعراء: ٢٤٠/١، وسمط اللّالي: ٦٦/١، والإصابة: ٥٦٥/٣، وخزانة البغدادي: ٢٧٦/١.

(٢) انظر: الصّاح: ٣٧٩/٤.

لأنه على لفظ الأمر^(١).

والمبوّب له في النحو العربي صيغتان هما: ما أفعله! وأفعل به، ويقصد بصيغ التّعجب القياسية: تلك الصيغ التي وضعها الصرّفيون لتدلّ بلفظها ومعناها على التّعجب والدّهشة، وهذا ما نصّدت عليه كتب النحو التي تناولت هذا الموضوع دون استثناء سواء القديم منها أم الحديث، وهذا ما يمكن للباحث قوله بدايةً، جاء في (حاشية الصّبان): "والمبوّب له في كتب النحو صيغتان، ما أفعله، وأفعل به؛ لا طرادهما فيه"، فسرها الصّبان؛ أي: كثرة استعمالهما فيه لوضعهما له^(٢). ويقول ابن الحاجب في (الإيضاح): "التّعجب الذي يعنيه النّحويون: هي الألفاظ التي تدلّ على إنشاء التّعجب، لا ما يدلّ على التّعجب، ألا ترى أنّك لو قلت: تعجبت من زيد وأشباهه، لم يكن من باب التّعجب الذي يُبوّب له النّحويون، ولم يحده استغناء بذكر الصّيغة وحصرها في: ما أفعله وأفعل به، إذ المقصود إنّما هو الصّيغة، فإذا انحصرت حصل المقصود"^(٣).

ومن هنا يتضح أنّ الصّيغة الأولى: (ما أفعله)، في نحو قولك: ما أكرم العربي!، تتركب من ثلاثة عناصر هي: ما التّعجبية، وفعل التّعجب (أكرم)، والمتعجب منه (كرم العربي)، وأمّا الصّيغة الأخرى: (أفعل به)، في نحو قولك: أكرم بالعربي! فتتكوّن من عناصر ثلاثة أيضًا هي: فعل التّعجب (أفعل)، والباء، وهي حرف جرّ زائد، ولولا وجود الباء الزائدة لما كان هناك تعجب أصلاً، فوجود الباء يدلّ على أنّ سياق الكلام تعجب، والمتعجب منه (كرم العربي).

ثانياً: شروط الصياغة

تناولت كتب النحو هذه الشروط بشيء من التفصيل، لدرجة أنّ لسابقين لم يتركوا للأحقين شيئاً يقولونه في هذا المجال، وربما زاد بعضهم شرطاً أو شرطين على ما نقل عن الأقدمين، على نحو ما سترى عند الرّضي في (حاشيته).

ويطيب المقام لتزيين هذه الرسالة بذكر تلك الشروط مختصرةً ملخّصةً، وذلك بالإعتماد على ما ورد في كتب النحاة والصرّفيين، والسؤال: كيف تتمّ عمليّة التّعجب باستخدام صيغتي التّعجب القياسي؟ وبمعنى آخر، ما هي شروط اشتقاق صيغتي التّعجب القياسي؟

يمكن القول: إنّ شروط صياغة (أفعل التّعجب) هي نفسها شروط صياغة اسم التّفصيل، يقول الرّضي معلّقاً على كلام صاحب (المفصل) الذي نقله ابن الحاجب: "ولا يصاغان إلاّ ممّا يُبنى منه أفعل التّفصيل"^(٤): شروط صوغ أفعل التّفصيل هي نفس شروط صوغ التّعجب، ولكن

(١) الأصول في النحو: ٩٨/١.

(٢) حاشية الصّبان: ٢٤/٣.

(٣) الإيضاح في شرح المفصل: ١٠٧/٢.

(٤) نفسه: ١٠٧/٢.

الرَّضِيِّ يَفْرُقُ بَيْنَ التَّعْجُبِ وَالتَّفْضِيلِ: "بِأَنَّ التَّعْجُبَ لَا يُبْنَى إِلَّا مِمَّا وَقَعَ فِي الْمَاضِي وَاسْتَمَرَ بِخِلَافِ التَّفْضِيلِ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَنَا أَضْرِبُ مِنْكَ غَدًا، وَلَا يُتَعَجَّبُ إِلَّا مِمَّا حَصَلَ فِي الْمَاضِي وَاسْتَمَرَ حَتَّى يَسْتَحِقَّ أَنْ يُتَعَجَّبَ مِنْهُ"^(١).

ويقول المرادي: "سَوَتْ الْعَرَبُ بَيْنَ (أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ) وَ(فَعَلَ التَّعْجُبِ) فِيمَا يَصَاحُغَانِ مِنْهُ؛ لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّنَاسُبِ، فَمَا جَازَ صَوغَ التَّعْجُبِ مِنْهُ جَازَ أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ مِنْهُ، وَمَا لَا يَجُوزُ صَوغَ فَعَلَ التَّعْجُبِ مِنْهُ لِفَقْدِ بَعْضِ الشُّرُوطِ لَا يَجُوزُ صَوغَ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ مِنْهُ"^(٢).

مِنْ هُنَا يَتَّضِحُ أَنَّ هُنَاكَ شَبَهًا كَبِيرًا بَيْنَ أَفْعَلِ التَّعْجُبِ وَأَفْعَلِ التَّفْضِيلِ، يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ فِي (شَرْحِ التَّسْهِيلِ): "قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ أَفْعَلَ الْمُتَعَجَّبِ بِهِ يَنَاسِبُ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ وَزَنًا وَمَعْنَى، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَحْمُولٌ عَلَى الْآخِرِ فِيمَا هُوَ أَصْلٌ لَهُ؛ وَمِنْ أَجْلِ تَنَاسُبِهِمَا سَوَتْ الْعَرَبُ بَيْنَهُمَا فِي أَنْ يُصَاحَغَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِمَّا صِيغَ مِنْهُ الْآخِرُ، وَأَلَّا يُصَاحَغَ مِمَّا لَا يُصَاحَغُ"^(٣)، وَمِثَالُهُ مِنْ دِيْوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ) قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ^(٤): (الطَّوِيلِ)

أَكْرَ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا^(٥)

يقول المرزوقي معلقًا على هذا البيت: "والمراد: لم أرَ أحسنَ كَرًّا وأبلغَ حَمَايَةً لِلْحَقَائِقِ مِنْهُمْ، وَلَا أَضْرَبَ لِلْقَوَانِسِ بِالسُّيُوفِ مِنَّا: وَانْتَصَبَ الْقَوَانِسُ مِنْ فَعَلَ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: "وَأَضْرَبَ مِنَّا"، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُ عَنْ أَضْرَبَ؛ لِأَنَّ (أَفْعَلَ) الَّذِي يَتَمُّ بِمِنْ لَا يَعْمَلُ إِلَّا فِي النُّكْرَاتِ، كَقَوْلِكَ: هُوَ أَحْسَنُ مِنْكَ وَجَهًّا، وَ(أَفْعَلَ) هَذَا يَجْرِي مَجْرَى فَعَلَ التَّعْجُبِ، وَلِذَلِكَ تَعَدَّى إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي بِاللَّامِ، فَقُلْتَ: مَا أَضْرَبَ زَيْدًا لِعَمْرٍو"^(٦).

وَأَمَّا عَنِ الشُّرُوطِ التَّسْعَةِ الَّتِي تَكَادُ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ^(٧) تَجْمَعُ عَلَيْهَا فَيُمْكِنُ تَلْخِيصُهَا فِيمَا يَأْتِي:

أُولَاهَا: أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ فَعَلَ، فَلَا يُبْنَى التَّعْجُبُ مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَمَنْ قَالَ: مَا أَكَلَبَهُ! مِنَ الْكَلْبِ، وَمَا

(١) انظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٢٩/٤، وشرح المفصل: ١٤٢/٧.

(٢) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٩٣٣/٢.

(٣) شرح التسهيل: ٥٠/٣.

(٤) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلميّ، مِنْ مُضَرَ، أَبُو الْهَيْثَمِ: شَاعِرُ فَارِسِ مَخْضَرَمٍ، مِنْ سَادَاتِ قَوْمِهِ، أُمَّهُ الْخَنْسَاءُ الشَّاعِرَةُ، وَكَانَ مِنَ الْمَوْلَفَةِ قُلُوبِهِمْ، وَيُدْعَى فَارِسَ الْعُبَيْدِ، وَهُوَ فَارِسُهُ، وَكَانَ بَدْوِيًّا فُحًّا، مَاتَ فِي خِلَافَةِ عَمْرٍو سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ لِلْهَجْرَةِ. انظر: سمط اللآلي: ٣٢، وخزانة البغدادي: ٤٢١/٩، والأعلام: ٢٦٧/٣.

(٥) الأصمعيّات: ص ٢٣٠، رقم ١٢ (الزيادات من الكتابين)، قَوَسُ الْفَرَسِ: مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ، وَقِيلَ: أَعْلَى الْبَيْضَةِ.

(٦) انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٤١/١.

(٧) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢٣٥-٢٣٧، وشرح ابن عقيل: ١٥٣/٣، وارتشاف الضرب:

٢٠٨٦-٢٠٧٧/٥.

أحمره من الحمار، فقد أخطأ^(١).

ثانيها: أن يكون الفعل المراد صوغ التَّعْجُب منه ثلاثياً، مثل: كرم، وسمع، وضرب، وعلم، نحو: ما أَكْرَمَ العربي! وأكْرَمَ بالعربي!

بعد استعراض آراء النحويين حول مسألة (التَّعْجُب من الفعل الثلاثي) يتبين أنهم أجمعوا رأيهم حولها، ومنهم من جعل ذلك يصل إلى درجة الوجوب، أذكر - على سبيل المثال لا الحصر - رأي المبرد الذي يقول في (المقتضب): "واعلم أن بناء فعل التَّعْجُب إنما يكون من بنات الثلاثة، نحو: ضَرَبَ وعِلِمَ ومكث^(٢)، ويقول ابن السراج - الذي تتلمذ على يد المبرد: "لأنَّ فعل التَّعْجُب إنما يكون مفعولاً من بنات الثلاثة فقط، نحو: ضَرَبَ وعِلِمَ ومكث، لا يجوز غير ذلك، نحو: ضرب زيد، ثمَّ تقول: ما أضربه، وعلم ثمَّ تقول: ما أعلمه، ومكث ثمَّ تقول: ما أمكثه"^(٣).

واشترطوا في الثلاثي ألا يكون مزيداً، يقول ابن مالك: "وقيد كون الثلاثي مجرداً تنبيهاً على أنَّ حقه ألا يبنى من مزيد فيه، كعلم وتعلم وقارب واقترب"^(٤)، ويقول صاحب (توضيح المقاصد): "وقوله: (ثلاثي) محمول على المجرد"^(٥).

والتَّعْجُب من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف من المسائل الخلافية التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني^(٦) في كتابه (المقتصد) حيث يقول: "فما كان من الفعل زائداً على ثلاثة أحرف، نحو: انطلق، واستخرج، فإنَّ التَّعْجُب لا يدخل فيه، ألا ترى أنك لا تقدر أن تبني (فعل) من انطلق واستخرج إلا بعد الحذف، تقول: طَلَّقَ وَخَرَجَ، وما أطلقه وما أخرجه، وذلك يؤدي إلى اللبس، فلما كان كذلك استغنوا عنه بقولهم: ما أشدَّ استخراجَه"^(٧). أمّا إن كان الفعل المزيد المراد صياغة التَّعْجُب منه على وزن (أفعل) فللنَّحاة فيه ثلاثة مذاهب^(٨):

(١) انظر: المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدّين بن عقيل، (ت: ٧٧٩هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار

الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ، ج ٢، ص ١٦٠.

(٢) المقتضب: ١٧٨/٤.

(٣) الأصول في النحو: ٩١/١.

(٤) شرح التَّسْهِيل: ٤٤/٣.

(٥) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ١١٠٧/٣.

(٦) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، من أكابر النحويين، والإمام المشهور، عالم البلاغة، والمتكلم على مذهب الأشعري، والفقهاء على المذهب الشافعي. تُوفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وقيل أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة. انظر: المقتصد: ١٧/١-٢٠.

(٧) المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشد، الجمهورية العراقية، (د. ط)، ١٤٠٢هـ، ج ١ ص ٣٧٩.

(٨) شرح جمل الزجاجي لأبن عصفور: ٥٧٩-٥٨٠.

الأوّل: لا يجوز التّعجب منه مطلقاً، وهو مذهب المبرّد^(١) وابن السّراج^(٢) وآخرون، والثّاني: أنّه يجوز مطلقاً، ونُقل عن الأخفش^(٣) والمبرّد^(٤)، ونُسب إلى سيبويه، قال ابن مالك: "هذا مذهب سيبويه والمحقّقين من أصحابه"^(٥)، والثّالث: التّفصيل بين أن تكون الهمزة في (أفعل) للنّقل، مثل قولهم في السّماعيّ: ما أولاه بالمعروف، وما أعطاه للتراهم! فلا يجوز أن يُبنى منه صيغة التّعجب، أو لا تكون للنّقل، مثل: ما أوحش الدّار، وما أخطأه، وما أصوبه!، فيجوز، ومذهب التّفصيل هذا هو مذهب ابن عصفور، ولم يذهب إليه غيره^(٦).

ثالثها: أن يكون الفعل تامّاً غير ناقص، فلا يُتّعّب من (كان وأخواتها) وما يجري مجراها مباشرة، وذهب الجمهور إلى أنّه لا يجوز التّعجب من (كان، وظلّ، وكاد) ونحوهنّ من النّواقص، وحكي جواز ذلك عن الفراء^(٧).

يقول صاحب (الأصول في النّحو): "ولا يجوز عندي أن يُستقّ فعل التّعجب من (كان) التي هي عبارة عن الزّمان، فإذا اشتقّت من (كان) التي هي بمعنى (خلق ووقع) جاز، وقوم يجيزون: ما أكّون زيداً قائماً؛ لأنّه يقع في موضعه المستقبل والصفّات، ويعنون بالصفّات (في الدّار) وما أشبه ذلك من الظّروف، ويجيزون ما أظنّني لزيد قائماً ويقوم"^(٨).

يتّضح من هذا القول جواز اشتقاق فعل التّعجب من (كان) التّامة التي بمعنى حدث وحصل، والتي تأخذ فاعلاً، وليس (كان) النّاقصة التي تأخذ اسماً وخبراً .
يقول صاحب (شرح التّسهيل): "وقيد بكونه فعلاً تامّاً تنبيهاً على أن حقه ألا يُبنى من فعل ناقص ك(كان، وظلّ، وكرب، وكاد)"^(٩).

(١) انظر: المقتضب: ١٨١/٤ - ١٨٢.

(٢) انظر: الأصول: ١٥٢/٣.

(٣) الأخفش: هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المعروف بالأخفش الأوسط: نحويّ، عالم باللّغة والأدب، أخذ العربيّة عن سيبويه، وصنّف كُتُباً، وزاد في العروض بحر (الخَبَب)، قال المبرّد: أحفظ من أخذ عن سيبويه الأخفش، مات سنة عشر، وقيل: خمس عشرة، وقيل: إحدى وعشرين بعد المائتين للهجرة. انظر: بغية الوعاة: ٥٩٠/١، والأعلام: ١٠١/٣ - ١٠٢.

(٤) انظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ٢٣٠/٤.

(٥) انظر: شرح التّسهيل: ٤٦/٣، والمساعد: ١٦٤/٢.

(٦) انظر: المساعد: ١٦٤/٢، وارتشاف الضّرْب: ٢٠٧٨/٥.

(٧) انظر: رأي الفراء في المساعد: ١٦٠/٢.

(٨) الأصول في النّحو: ١٠٨/١.

(٩) شرح التّسهيل: ٤٤/٣.

رابعها: أن يكون الفعل مثبتًا غير منفيّ، يقول ابن مالك في (شرح التسهيل): " ويُتوصَل إلى التَّعَجُّب بفعل مثبت متصرّف مصوغ للفاعل، ذي مصدر مشهور إن لم يستوفِ الشُّروط بإعطاء المصدر ما للمتَّعَبِّب منه مضافًا إليه بعد ما أشدّ أو أشدّد ونحوهما"^(١).

خامسها: أن يكون مبنياً للمعلوم، فلا يصاغ من المبنّي للمجهول مباشرة .
سادسها: أن يكون الفعل تامّ التَّصْرُف، غير جامد، فلا يصاغ من مثل: ليس، وعسى، ونعم، وبئس ونحوها مطلقاً؛ لأنّ الجامد لا يتصرّف، وما لا يتصرّف لا نستطيع أن نأخذ منه الصديغة المطلوبة، يقول ابن هشام: "وأما الجامد والذي لا يتفاوت معناه؛ فلا يُتَّعَبَّبُ منهما البتّة"^(٢).

وأما عن سبب عدم جواز صياغة التَّعَجُّب من الفعل الجامد فيقول المرادي: "فإن كان غير متصرّف لم يكن فيه هذا العمل؛ لأنّه لا مصدر له"^(٣)، ونقل ابن مالك عن بعضهم بناء فعل التَّعَجُّب من (عسى)^(٤).

سابعها: أن يكون الفعل قابلاً للتفاوت، بمعنى أن يصلح للمفاضلة سواء بالزيادة أو بالتقصان، فلا يُصاغ من أفعال، مثل: مات، وفني، وعمي، وغرق، وما كان في مقامها مطلقاً؛ ذلك لأنّ الموت والنفاء والعمى والغرق ممّا لا يتفاوت النَّاس في تعرّضهم إليها، فهي ممّا لا يصلح للمفاضلة بين شيئين، ويسمّيه أبو حيان بالقابل للكثرة^(٥).

ويقول سيبويه: "وأما قولهم في الأحمق: ما أحمقه، وفي الأرعن: ما أرعنه، وفي الأنوك: ما أنوكه، وفي الألد: ما ألدّه، فإنما هذا عندهم من العِلْمِ ونقصان العقل والفتنة، فصارت (ما ألدّه) بمنزلة (ما أمرسه وما أعلمه)، وصارت (ما أحمقه) بمنزلة (ما أبلده وما أشجعه وما أجنّه)؛ لأنّ هذا ليس بلونٍ ولا خلقةٍ في جسده"^(٦).

ويجوز التَّعَجُّب من الأفعال التي لا يصحُّ التَّعَجُّب منها مطلقاً إذا أُريد بها معنى غير المعنى الحقيقيّ الذي جرت العادة على استعماله، ومن الأمثلة على ذلك ممّا ذكره ابن السراج عند تعليقه على الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٧).

قيل: له في هذا جوابان: أحدهما: أن يكون من عمى القلب، وإليه يُنسب أكثر الضلال، فعلى هذا تقول: ما أعماه كما تقول: ما أحمقه، والوجه الآخر: أن يكون من عمى العين، فيكون قوله: (فَهُوَ

(١) نفسه: ٤٨/٣.

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢٣٨/٣.

(٣) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٨٩٨/٢.

(٤) انظر: شرح التسهيل: ٤٨/٣، والمساعد: ١٦١/٢.

(٥) انظر: ارتشاف الضرب: ٢٠٧٩/٥.

(٦) الكتاب: ٩٨/٤.

(٧) الإسراء: ٧٢/١٧.

في الآخرة) لا يُراد به: أنه أعمى من كذا وكذا، ولكنّه فيها أعمى كما كان في الدنيا أعمى وهو في الآخرة أضلُّ سبيلاً^(١).

نقل الميداني عن المازني أنه قال: قد جاءتْ أَحْرُفٌ كثيرةٌ ممَّا زاد فعله على ثلاثة أحرف فأدخلتْ العربُ عليه التَّعْجُبُ، قالوا: ما أَتَقَاهُ اللهُ، وما أَنتَّهتْ، وما أَظْلَمَهَا، وما أَضْوَأَهَا، وللفقير: ما أَفْقَرُهُ، وللغني: ما أَغْنَاهُ! وإنَّما يُقال في فعلهما: افتقر واستغنى وقالوا للمستقيم: ما أَفْوَمَهُ وللمتمكِّن عند الأمير: ما أَمَكَّنَهُ، وقالوا: ما أَصَوَّبَهُ! وهذا على لغة مَنْ يقول: صَابَ بمعنى أصاب، وقالوا (ما أَخْطَأَهُ)؛ لأنَّ بعض العرب يقولون خَطِئْتُ في معنى أَخْطَأْتُ^(٢)، إلا أنَّ الميداني يعترض على تلك الاستعمالات بقوله: قلت: في بعض هذا الكلام نظر؛ وذلك أنَّ الحُكْمَ بأنَّ هذه الكلمات كلُّها من المزيِّد فيه غيرُ مسلَّم؛ لأنَّ قولهم (ما أتقاه الله) يمكن أن يُحمَل على لغة مَنْ يقول: تقاه يتَّقِيه بفتح التَّاء من المستقبل وسكونها حتَّى قد قالوا: أتقى الأتقياء، وبنوا منه تَقِي يتَّقِي، مثل: سَقَى يَسْقِي، إلا أنَّ المستعمل تحريك التَّاء من يَتَّقِي^(٣).

ثامنها: ألا يكون الوصف من الفعل على وزن أفعل الذي مؤنَّثه على وزن فعلاء مثل: سمر، وعرج، وعور، وحول، التي مؤنَّثها: سمراء، عرجاء، عوراء، حولاء.

يقول سيبويه: "ألا ترى أنك لا تقول: ما أجوبه! إنما تقول: ما أجود جوابه! ولا تقول: هو أجوب منه، ولكن: هو أجود منه جواباً ونحو ذلك، وكذلك لا تقول: أجوب به، وإنما تقول: أجود بجوابه"^(٤)، وعبر أبو حيان عن هذا الشرط بقوله: "كونه غير مُعَبَّر عن فاعله بأفعل فعلاء"^(٥)، وذهب جمهور البصريين إلى أنه لا يُتَّعَب من العاهات، وأجاز ذلك الأخفش، والكسائي، وهشام، نحو: ما أعوره!^(٦).

ونقل ابن السراج عن سيبويه العلة في عدم جواز صياغة التَّعْجُب من الألوان والعيوب، نحو: الأحمر والأصفر والأعور والأحول، وما أشبه ذلك، فلا يُقال فيه: ما أحمره، ولا ما أعوره، يقول: "قال الخليل - رحمه الله: وذلك أنه ما كان من هذا لوناً أو عيباً فقد ضارح الأسماء وصار خلقة كاليد والرَّجُل والرَّأس ونحو ذلك، فلا تقل فيه: ما أفعله كما لم تقل ما أيداه، وما أرجله، إنما تقول: ما أشدَّ يدهُ، وما أشدَّ رجله"^(٧).

(١) انظر: الأصول في النحو: ١/١٠٥.

(٢) انظر: مجمع الأمثال: ١/٨٢.

(٣) نفسه: ١/٨٢.

(٤) الكتاب: ٤/٩٩.

(٥) ارتشاف الضرب: ٥/١٠٨٢.

(٦) انظر: المساعد: ٢/١٦٢.

(٧) الأصول في النحو: ١/١٠٢ - ١٠٣.

تاسعها: ألا يكون مبنياً للمفعول، وفعل التَّعَجَّبَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ بِنَائِهَا لِلْمَفْعُولِ^(١).

وفي بداية هذا الفصل عند ذِكرِ المعنى الاصطلاحي للتعجب ذَكَرَ الباحث تعريف ابن عصفور للتَّعَجَّبَ، وهو: "استعظام زيادة في وصف الفاعل خَفِيَ سببها"، وقوله: "في وصف الفاعل" تَحَرَّرَ مِنْ وَصْفِ الْمَفْعُولِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّعَجُّبُ مِنْ وَصْفِ الْمَفْعُولِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: مَا أَضْرَبَ زَيْدًا. وَأَنْتَ تَرِيدُ التَّعَجُّبَ مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ^(٢).

وَمِنَ الشُّرُوطِ الَّتِي وَضَعَهَا أَبُو حَيَّانَ لَصِيَاغَةِ فِعْلِ التَّعَجُّبِ، كَوْنِهِ غَيْرَ مَبْنِيٍّ لِلْمَفْعُولِ، وَجَعَلَهُ احْتِرَازًا مِمَّا يُبْنَى لِلْمَفْعُولِ، فَلَا يَجُوزُ: مَا أَضْرَبَ زَيْدًا، وَأَنْتَ تَتَعَجَّبُ مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي حَلَّ بِهِ^(٣)، وَأَجَازَ ابْنُ مَالِكٍ^(٤) صِيَاغَةَ التَّعَجُّبِ مِنَ الْمَفْعُولِ إِنْ أَمِنَ اللَّبْسَ، مِثْلَ: مَا أَحْبَبَهُ، وَمَا أَشْغَفَهُ! وَهُوَ فِي أَفْعَالِ التَّفْضِيلِ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي التَّعَجُّبِ، كَمَا (أَزْهَى مِنْ طَاوَسٍ، وَمِنْ دِيكَ)^(٥)، وَأَشْغَلَ مِنْ ذَاتِ النَّحِّيِّينِ!^(٦).

فَإِذَا اسْتَوْفِيَ الْفِعْلُ الشُّرُوطَ السَّابِقَةَ صَغَتْ مِنْهُ التَّعَجُّبَ عَلَى وَزْنِ مَا أَفْعَلَهُ! أَوْ أَفْعَلَ بِهِ مَبَاشَرَةً، وَلَا تُشْتَقُّ الصِّيغَتَانِ أَوْ إِحْدَاهُمَا إِلَّا مِمَّا تَوَفَّرَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ مَجْتَمِعَةً. وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى صِيغَةِ التَّعَجُّبِ الْقِيَاسِيِّ الَّتِي تَوَفَّرَتْ لَهَا جَمِيعُ الشُّرُوطِ السَّابِقَةِ الذِّكْرَ، وَوَرَدَتْ فِي دِيوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ) قَوْلُ الْأَجْدَعِ بْنِ مَالِكٍ: (الكامل)

إِنَّ الْفَوَارِسَ قَدْ عَلِمَتْ مَكَانَهُمْ فَانْعِقْ بِشَاتِكَ نَحْوَ أَهْلِ رِدَاعٍ^(٧)

وَالسُّؤَالُ كَيْفَ يُمْكِنُ التَّعَجُّبُ مِنَ الْفِعْلِ الَّذِي فَقَدَ وَاحِدًا مِنَ الشُّرُوطِ السَّابِقَةِ؟

وَالْإِجَابَةُ عَنِ السُّؤَالِ تَجِدُهَا عِنْدَ صَاحِبِ (تَوْضِيحِ الْمَقَاصِدِ)، يَقُولُ: "إِذَا قُصِدَ التَّعَجُّبُ مِنْ فِعْلِ عَدَمٍ بَعْضَ الشُّرُوطِ الْمَذْكُورَةِ لَمْ يَجْزُ صَوْغُ صِيغَتِي التَّعَجُّبِ مِنْهُ، بَلْ يُؤَوِّدُ إِلَى التَّعَجُّبِ مِنْهُ

(١) انظر: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ٥٣٥.

(٢) نفسه: ص ٥٧٦.

(٣) انظر: ارتشاف الضرب: ٢٠٨١/٥.

(٤) انظر: شرح التسهيل: ٤٥/٣.

(٥) مجمع الأمثال: ٣٢٧/١.

(٦) نفسه: ٣٧٦/١، وذات النحيين: امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة كانت تتبع السمن في الجاهلية فأتاها خوات بن جبير الأنصاري يبتاع منها سمناً، فلم ير عندها أحداً، وساومها، فأمرها أن تمسك بيديها نحيين من السمن، ففعلت، فلما شغل يديها ساورها فلم تقدر على دفعه حتى قضى ما أراد وهرب.

(٧) الأصمعيّات: ص ٨٠، رقم ١٢، جاء في (لسان العرب) ٤٤٧٦/٦ (نعق): النعيقُ دعاء الراعي الشاء، يقال: انعق بضأنك؛ أي: ادعها.. ونعق الراعي بالغنم ينعق بالكسر نَعَقًا وَنَعَقًا وَنَعِيقًا وَنَعَقَانًا صَاحَ بِهَا وَزَجَرَهَا، يَكُونُ ذَلِكَ فِي الضَّأْنِ وَالْمَعَزِّ.

بصوغهما ممّا جمع الشُّروط، ويؤتى بمصدر الفعل الذي عَدِمَ بعض الشُّروط فيُعَامَلُ معاملة الاسم المتعجّب منه فيُنصَبُ بعد (ما أفعل)، ويُجْرُ بالباء بعد (أفعل) مضافاً إلى اسم المتعجّب منه، فيقال في التّعجّب من (استخرج) ونحوه: ما أشدَّ استخراجه، وأشدُّ باستخراجه، ومن نحو (مات): ما أفجع موته، وأفجع بموته^(١).

ويقول السامرائي: "ولا شك أن الكلمة التي تسبق المصدر تحدّد المقصود بتعجبك، فقولك مثلاً: (ما أشدَّ حمرة الورد) يختلف عن قولك (ما أجمل حمرة الورد)، فالأولى: تتعجب فيها من شدة الحمرة، والثانية: تتعجب فيها من جمال حمرة، فهو ليس بمعنى واحد"^(٢).
أمّا إذا افتقد الفعل شرطاً من الشُّروط السّالفة الذكر فلا يُصاغ التّعجب منه مباشرة، وإنّما يُتوصّل إلى التّعجب منه بالطرق الآتية:

أ- كيفية التّعجب من الفعل المزيد مثل: اندحر، واستعان، واستعمل، وتدحرج، وأجاب، وما على شاكلتها.

فهذه الأفعال ومثلها لا يصحُّ التّعجب منها مباشرة، وإنّما تأتي بفعل مستوفٍ للشُّروط مثل: أكثر، أو أكبر، أو أفضل، أو أجمل، أو أحسن، أو أشدّ، وما على شاكلتها، ثمّ تأتي بالمصدر الصّريح أو المؤول بالصّريح من الفعل المراد التّعجب منه، وذلك على النحو الآتي:

يُقال في التّعجب من (اندحار الاحتلال) باستخدام الفعل (اندحر) مثلاً: ما أعظم اندحار الاحتلال! وأعظم باندحار الاحتلال! وما أعظم أن يندحر الاحتلال! وأعظم بأن يندحر الاحتلال!

وحصر ابن السّراج الأفعال التي لا يجوز أن تُستعمل في التّعجب في نوعين بقوله: "واعلم أن الأفعال التي لا يجوز أن تُستعمل في التّعجب على ضربين: الضّرب الأوّل: الأفعال المشتقة من الألوان والعيوب، والضّرب الآخر: ما زاد من الفعل على ثلاثة أحرف، وسواء كانت الزيادة على الثلاثة أصلاً أو غير أصل"^(٣)، وفصل الحديث في كلا الضّربين بما لا يتسع المجال لذكره هنا.

ويجوز التّعجب من بعض الأفعال بطريقة مباشرة مع أنّها لم تستوفِ الشُّروط اللّازمة، فيقال في بعض الأفعال المزيدة: ما أتقى علياً، وما أعطاه!

جاء في كتاب (الأصول): "فإن قال قائل: فقد قالوا: ما أعطاه! وهو من (أعطى يعطي)، وما أولاه بالخير! قيل: هذا على حذف الزوائد؛ لأنّ الأصل عطا يعطو إذا تناول، والسبب في عدم جواز بناء التّعجب من غير الثلاثي مباشرة؛ لِمَا في ذلك من هدم لبنية الفعل، وأعطى غيره إذا ناوله، وكذلك ولي وأولى غيره"^(٤).

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٨٩٨/٢.

(٢) معاني النحو: فاضل صالح السامرائي: ٢٤٠/٤.

(٣) الأصول في النحو: ١٠٢/١.

(٤) نفسه: ٩٩/١-١٠٠.

والسبب في عدم جواز بناء التّعجب من غير الثلاثي مباشرة؛ لما في ذلك من هدم لبنية الفعل، يقول المرزوقي في (حماسته): "وفعل التّعجب يجب أن يكون من الثلاثي لا غير: فَعَلَ وفَعِلَ وفَعِلَ، وأوجعني ليس منها، قلت: ذلك سائغ على مذهب سيبويه، إذ كان عنده أن فَعَلَ التّعجب يكون من الثلاثي ومما كان على أفعل خاصة، على ذلك حكي قولهم: ما أعطاه للمال! وما آتاه للخير! وإنما هما من الإيتاء والإعطاء، لا من الأتي والعطاء، وكذلك قولهم: ما أسداه للمعروف! وذلك لكثرة وجوه الشبه بين فَعَلَ وأفَعِلَ، ألا ترى أنهما يتفقان في معنى، وأنه يُقال في مفعولها مفعولٌ، وفي فاعلها فاعل، وأن كل واحدٍ منهما يقع في مطاوعة الآخر، إلى غير هذا من الشبه. وكان أبو العباس المبرد يقول: ذلك جائزٌ على حذف الزوائد، يعني بناء التّعجب من أفعل" (١).

ب- الفعل الناقص، مثل: (كان وأخواتها) تتبع معها نفس الطريقة التي أتبعته مع الفعل المزيد، يُقال في التّعجب من إشراق شمس الحرية باستخدام الفعل الناقص (كان) مثلاً: ما أجملَ كونَ شمسِ الحريةِ مشرقةً! وأجملُ بكونِ شمسِ الحريةِ مشرقةً! وما أجملُ أن تكونَ شمسُ الحريةِ مشرقةً! وأجملُ بأن تكونَ شمسُ الحريةِ مشرقةً!

ت- وكذلك إذا كان الوصف من الفعل على وزن أفعل فعلاء -خاصة الأفعال الدالة على لون أو حلية أو عيب- يُتّعجبُ منه بواسطة الفعل المساعد، ثم المصدر الصدرّيح أو المؤول من الفعل المراد التّعجب منه، فإذا شاهدت فتاة هيفاء زائد هيفها عمًا هو متعارف عليه تعجبت من شدة هيفها بقولك: ما أشدَّ هيفَ الفتاة! وأجملُ بشدة هيفِ الفتاة! وما أشدَّ أن تهيفَ الفتاة! وأجملُ بشدة أن تهيفَ الفتاة!

ورد في (الكتاب) باب ما لا يجوز فيه ما أفعله: "وذلك ما كان على أفعل، وكان لوئًا أو خلقةً، ألا ترى أنك لا تقول: ما أحمره! ولا ما أبيضه! ولا تقول في الأعرج: ما أعرجه! ولا في الأعشى: ما أعشاه! إنما تقول: ما أشدَّ حمرة! وما أشدَّ عشا!... وما لم يكن فيه (ما أفعله) لم يكن فيه (أفعل به)... والمعنى في أفعل به، وما أفعله واحد، وكذلك أفعل منه" (٢).

وورد في (الإنصاف في مسائل الخلاف) مسألة القول في جواز التّعجب من البياض والسواد دون غيرهما من الألوان: ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يُستعمل (ما أفعله) في التّعجب من البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان، نحو أن تقول: هذا الثوب ما أبيضه، وهذا الشعر ما أسوده! وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز فيهما كغيرهما من سائر الألوان، أمّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما جوّزنا ذلك للنقل والقياس، أمّا النقل فدلّلوا عليه بقول الشاعر: (البيسيط)

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٧٩٦/١.

(٢) الكتاب: ٩٧/٤.

إِذَا الرَّجَالُ شَتَوْا وَاشْتَدَّ أَكْلُهُمْ فَأَنْتَ أبيضُهُمْ سِرْبَالِ طَبَّاحٍ^(١)

وجه الاحتجاج أنه قال: أبيضهم، وإذا جاز ذلك في (أفعلهم) جاز في (ما أفعله) و(أفعل به)؛ لأنَّهما بمنزلة واحدة في هذا الباب، وأمَّا القياس فقالوا: إنَّما جَوَزْنَا ذلك مِنَ السَّوَادِ والبِياضِ دون سائر الألوان؛ لأنَّهما أصلاً الألوان، ومنهما يتركَّب سائرهما. وأمَّا البصريُّون فاحتجُّوا بأنَّ قالوا: الدَّليل على أنَّه لا يجوز استعمال (ما أفعله) مِنَ البِياضِ والسَّوَادِ: أنَّنا أجمعنا على أنَّه لا يجوز أن يُستعمل ممَّا كان لونًا غيرهما مِنْ سائر الألوان، فكذلك لا يجوز منهما^(٢). ونقل البغداديُّ في (الخرزانة) عن السِّيرافيِّ عند ذكره لهذا البيت أنَّ الكوفيِّين أجازوا التَّعَجُّبَ مِنَ السَّوَادِ والبِياضِ لأنَّهما أصولُ الألوان^(٣).

ث- وأمَّا إذا كان الفعل منفيًّا أو مبنياً للمجهول فإنَّه يُتَّعَبُّبُ منهما بوساطة الفعل المساعد يليه المصدر المؤوَّل فقط مِنَ الفعل الَّذي تريد التَّعَجُّبَ منه.

والسَّبَبُ في عدم بناء صيغتي التَّعَجُّبِ مِنَ الفعل المنفيِّ مباشرة؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى اللَّبس بين التَّعَجُّبِ مِنَ المُنْبَتِ وَمِنَ المنفيِّ؛ لأنَّ صيغة التَّعَجُّبِ إثبات وليس فيها أداة نفي^(٤).

فإذا أردتَ التَّعَجُّبَ مِنَ الفعل المنفيِّ (لا يخشى) مثلاً قلت: ما أعظَمَ ألاَّ يخشى المؤمنُ مِنْ قول الحقِّ! وأعظَمُ بالألَّا يخشى المؤمنُ مِنْ قول الحقِّ ويُتَّعَبُّبُ مِنَ الفعل المبنِي للمجهول (يُعَاد) مثلاً بقولك: ما أجملَ أن يُعَادَ الحقُّ المسلوبُ إلى أصحابه! وأجملُ بأنَّ يُعَادَ الحقُّ إلى أصحابه!

أمَّا فيما يتعلَّق بصفات الله -عزَّ وجلَّ- فقد انقسم النُّحاة في القول بجواز التَّعَجُّبِ منها إلى فريقين: فريق قال بالجواز، ومنهم الرُّضِيُّ، يقول: "فجاز استعماله في التَّعجبِ مِنْ شيء يستحيل كونه بجعل جاعل، نحو: ما أقدر الله، وما أعلمه؛ وذلك لأنَّه اقتصر مِنَ اللَّفْظِ على ثمرته وهي التَّعجبُ مِنَ الشَّيء"^(٥)، وفريق قال بعدم الجواز، جاء في (حاشية الصِّبَّان): "اعلم أنَّه لا يُتَّعَبُّبُ مِنَ صفاته -تعالى- قياساً، فلا يقال: ما أعلم الله؛ لأنَّها لا تقبل الزِّيادة، وشذ قول العرب: ما أعظم الله، وما أقدره، وما أجلُّه!"^(٦).

(١) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه، اعتنى به: حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ص٢٣.

(٢) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويِّين البصريِّين والكوفيِّين، أبو البركات عبد الرَّحمن بن محمَّد، ابن الأثيريِّ النُّحويِّ، (ت: ٥٧٧)، تحقيق: جودة مبروك، الخانجيِّ، القاهرة، ط١، (د.ت)، ص١٢٤-١٢٦.

(٣) خزانة الأدب للبغداديِّ: ٢٣٣/٨.

(٤) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢٣٧/٣ (الهامش).

(٥) شرح الكافية: ٢٣٣/٤.

(٦) حاشية الصِّبَّان: ٢٢/٣.

المطلب الثاني: اختلافات النُّحاة في صيغتي التَّعْجَبِ القِيَاسِيَّ

هناك اختلافات تتعلَّق بصيغتي التَّعْجَبِ القِيَاسِيَّ تناولتها كتب النُّحو ولا يوجد بُدٌّ من ذِكر

هذه الأحكام ولو بشيء من الإيجاز، ومن هذه الأحكام:

أولاً: اختلاف النُّحاة حول صيغة (ما أفعلُهُ)

الخلاف الأول: اختلافُهُم حول (ما) في قول المتعجَّب: (ما أفعلُهُ)

والخلاف يمكنُ تلخيصُهُ فيما يأتي:

١- منهم من اعتبرها نكرةً تامَّةً بمعنى شيءٍ، وهذا هو مذهب الخليل بن أحمد، وسيبويه، وجمهور البصريين^(١)، وقد وافق هذا المذهب كثيرون، منهم ابنُ السَّرَّاج وابنُ الأَنْباري^(٢) والسيوطي^(٣) وغيرهم، يقول ابنُ السَّرَّاج: "فلذلك لزمها أن تكون مبهمَةً غيرَ مخصوصةٍ، كما قالوا: شيءٌ جاءك؛ أي: ما جاءك إلا شيءٌ"^(٤).

ويقول ابنُ الأنباري: "وما ذهب إليه سيبويه، والأكثرُونَ أولى؛ لأنَّ الكلامَ على قولهم مستقلٌّ بنفسه، فناسب النُّكرة المبهمة التي لا شيء أشدُّ إبهامًا منها"^(٥).

٢- ومنهم من اعتبرها استفهاميَّةً، دخلها معنى التَّعْجَبِ، وهم: الفراء وابنُ درستويه^(٦) من الكوفيِّين^(٧).

وحجَّتُهُم: أنَّهم استدلُّوا بالإجماع على أن قولَهُم: أيُّ رجلٍ زيدٌ؟ استفهامٌ دخله معنى التَّعْجَبِ، وردَّ دليُّهُم بأنَّ الاستفهامَ المتضمَّنَ تعجُّبًا لا يليه غالبًا إلا الأسماءُ، نحو: ﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٨).

(١) انظر: أسرار العربيَّة، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبيد الله الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمَّد شمس الدِّين،

دار الكتب العلميَّة، بيروت ط١، ١٤١٨هـ، ص٧٦، والمساعد على تسهيل الفوائد: ١٤٨/٢.

(٢) ابنُ الأنباري: هو عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدِّين الأنباري: من علماء

اللُّغة والأدب وتاريخ الرِّجال. كان زاهدًا عفيفًا، تُوفِّي سنة سبع وسبعين وخمسائة للهجرة. انظر: وفيات

الأعيان: ١٣٩/٣، وبغية الوعاة: ٢/٨٦-٨٨، والأعلام: ٣/٣٢٨.

(٣) انظر: همع الهوامع: ٣/٣٧.

(٤) الأصول في النُّحو: ١/٩١.

(٥) انظر: أسرار العربيَّة: ٧٧.

(٦) عبد الله بن جعفر بن محمَّد بن درستويه بن المرزبان، أبو محمَّد: من علماء اللُّغة، فارسي الأصل، له

تصانيف كثيرة، منها: أخبار النُّحويِّين، تُوفِّي ببغداد سنة سبع وأربعين وثلاثمائة للهجرة. انظر الأعلام: ٤/٧٦.

(٧) انظر: شرح التَّصريح على التَّوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى، (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمَّد عيون السُّود،

دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ج٢، ص٥٩، والمساعد: ١٤٨/٢.

(٨) الحاقَّة: ١/٦٩ - ٢.

٣- أمّا أبو الحسن الأَخْفَشُ فقد وافقَ الجمهورَ في أنّها نكرةٌ تامّةٌ، وفي قولٍ آخرٍ أنّها نكرةٌ موصوفةٌ (بأفعل) وأنّها معرفةٌ موصولةٌ به، والخبرُ على هذينِ محذوفٌ وجوباً^(١).

هذا وقد رجّحَ ابن عَقيـل صحّة القول الأوّل بقوله: "وما قدّمناه مِنْ أنّ (ما) نكرة تامّة هو الصّحيح، والجملة التي بعدها خبر عنها، والتّقدير شيء أحسن زيداً"^(٢).

وذكرها سيبويه بقوله: "وذلك قولك ما أحسن عبد الله! زعم الخليل أنّه بمنزلة قولك: شيءٌ أحسنَ عبد الله، ودخله معنى التّعجب، وهذا تمثيل ولم يتكلّم به أحد"^(٣).

والظاهر أنّ سيبويه يوافق الخليل على أنّ (ما) التّعجيبية نكرة تامّة، ولكنّه ربّما لم يكن مقتنعاً بالتمثيل الذي مثل به الخليل بدليل قوله: "زعم الخليل".

هذا وقد علّق ابن عَقيـل في (المساعد) على مصداقية اعتراض سيبويه على تمثيل الخليل بقوله: "فلا يقولون: شيءٌ أحسن زيداً في معنى: ما أحسن زيداً؛ لأنّ (شيئاً) لا يُعطي إبهام (ما) نصّاً"^(٤).

وابن يعيش لا يوافق الفراء في كون (ما) استفهامية دخلها معنى التّعجب، حيث علّق بقوله: "وما ذكره مِنْ أنّ (ما) استفهام فبعيد جدّاً؛ لأنّ التّعجب خبر محض يحسن في جوابه صدق أو كذب، والمتكلّم لا يسأل المخاطب عن الشيء الذي جعله حسناً، وإنّما يخبره بأنّه حسن، ولو كانت استفهاماً لم يسغ فيها صدق أو كذب؛ لأنّ الاستفهام ليس بخبر"^(٥).

ومع أنّ جملة التّعجب - كما هو متعارف عليه عند البلاغيين - مِنَ الأساليب الإنشائية غير الطّليبية، إلّا أنّ ابن يعيش جعل التّعجب خبراً محضاً، وهذا يتنافى مع ما اصطاح عليه أهلُ البلاغة، وربّما أراد ابن يعيش أن يوصل فكرة مفادها أنّ جملة التّعجب مثل الخبر الذي يحتمل الصّدق أو الكذب، ولا يجوز لنا أن نعتبر (ما) استفهامية فيها معنى التّعجب.

كما أنّه لم يوافق الأَخْفَش في كون (ما) موصوفة أو موصولة؛ ويعلّل ذلك بقوله: "ولمّا أُريد بها الإبهام جُعِلت بغير صفة ولا صلة إذ لو وُصفت أو وُصِلت لكان الأمر معلوماً"^(٦). و (ما) التّعجيبية في صيغة (ما أفعله) مبنية؛ لتضمّنها معنى حرف التّعجب - كما يقول ابن الأنباري - وإن لم يكن له حرف يُنطق به؛ لأنّ الأصل في التّعجب أن يكون بالحرف كغيره مِنَ المعاني، إلّا أنّهم لمّا لم

(١) انظر: شرح التّسهيل لابن مالك: ٣١/٣ - ٣٢، والمساعد على تسهيل الفوائد: ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) شرح ابن عَقيـل على ألفية ابن مالك: ١٥٠/٣.

(٣) الكتاب: ٧٢/١.

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد: ١٤٨/٢.

(٥) شرح المفصل: ١٤٩/٧.

(٦) انظر: نفسه: ١٤٣/٧، والمساعد على تسهيل الفوائد: ١٤٨/٢.

يفعلوا ذلك ضمّنوا(ما) معنى حرف التّعجب فبنّوها كما بنّوا(ما) إذا تضمّنت معنى حرف الاستفهام والشرط^(١).

والصيغة الأولى من صيغ التّعجب، وهي(ما أفعله) لا بدّ أن تلزمها (ما)، يقول ابن السراج: "فأما الضرب الأول فلا بدّ من أن تلزمه(ما)، تقول: ما أحسن زيدًا، وما أجمل خالدًا! وإنّما لزم فعل التّعجب لفظًا واحدًا... ولم يُصرف ليدلّ على التّعجب، ولولا ذلك لكان كسائر الأخبار"^(٢).

الخلافة الثاني: يتمثل في (أفعل) أهي اسم أم فعل؟

فعل؟ ومن النّحاة الذين تعرّضوا لهذه المسألة: ابن الأنباري في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلافة)^(٣) وغيره، على نحو ما سترى...

ذهب الكوفيون إلى أن (أفعل) في التّعجب، نحو: ما أحسن زيدًا! اسم، واحتجوا بأن قالوا: الدليل على ذلك: أنه جامد لا يتصرف، ولو كان فعلاً لوجب أن يتصرف؛ لأنّ التصرف من خصائص الأفعال، فلمّا لم يتصرف وكان جامدًا وجب أن يلحق بالأسماء.

ومنهم من ذكر دليلاً آخر على اسميتها بأن قال: الدليل على أنه اسم: أنه يدخله التّصغير، والتّصغير من خصائص الأسماء قال الشاعر: (البيسط)

يَا مَا أَمِيلِحَ غَزَلَانَا شَدَنَ لَنَا مِنْ هَوْلِيَانُكُنَّ الضَّالِّ وَالسَّمْرِ^(٤)

ف(أميلح) تصغير أملح، وقد جاء ذلك كثيرًا في الشعر، وذهب البصريون إلى أنه فعل ماضٍ، وإليه ذهب أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين، واحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه فعل: أنه إذا وُصِل بياء الضمير دخلت عليه نون الوقاية، نحو: ما أحسنني عندك! وما أظرفني في عينك! وما أعلمني في ظنك! ونون الوقاية إنّما تدخل على الفعل لا على الاسم^(٥).

وجاء في (شرح ابن عقيل): "واختلّف في (أفعل) في التّعجب هل تلزمه نون الوقاية أم لا؟ فتقول: ما أظرفني إلى عفو الله! وما أظرفني إلى عفو الله! عند من لا يلتزمها فيه، والصدّح أنّها

(١) انظر: أسرار العربية: ٣٨.

(٢) الأصول في النّحو: ٩٨-٩٩.

(٣) انظر: الإنصاف في مسائل الخلافة: ١٠٥-١٠٧.

(٤) اختلف في نسبة هذا البيت، حيث نسب إلى عدد من الشعراء، وقيل: إنّه للعرجي، وهو عبد الله بن عمر، نسب إلى (العرج) وهو من نواحي مكّة، وهو أموي، ولم يكن له نباهة في أهله، مات في حبس محمد بن هشام المخزومي. انظر: خزنة الأدب للبغدادي: ١/١١١.

(٥) انظر: الإنصاف في مسائل الخلافة: ص ١٠٥-١٠٧، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك:

تلتزم^(١). ودخول نون الوقاية على (أفعل) في صيغة (ما أفعله) ترتب عليه أن اختلفوا، هل (أفعل) التَّعْجُبُ اسم أم فعل؟

فقال الكوفيون: هو اسم، فلا تتصل به نون الوقاية؛ لأنها تختصُّ بدخولها على الأفعال لتقيها الكسر، وأمَّا البصريون فقالوا: هو فعل، وهنا يكون اتصاله بنون الوقاية كي تقيه الكسر أمرًا واجبًا^(٢). ومنهم مَنْ ذكر دليلًا آخر على فعلية (أفعل التَّعْجُب) وهو أنه يلزم البناء على الفتح تمامًا مثل الأفعال الماضية التي لم يتصل بها شيء، أو اتَّصلت به تاء التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةِ أو ألف الاثنين، وهذا ذكره ابن عقيل في (المساعد) دليلًا آخر مِنْ أدلَّةِ البصريين على قولهم: بَأَنَّ (أفعل) التَّعْجُبُ فعلٌ، وهو بناؤه على الفتح، ونصبه المفعول الصَّرِيح، والهمزة فيه للنَّقل، كما ذكر دليلًا آخر للَّذين قالوا باسمية (أفعل) هو عدم تصرفه^(٣).

خلاصة القول في هذه المسألة: إنَّ الكوفيين أجازوا حذف نون الوقاية في (ما أفعل زيدًا) في التَّعْجُب؛ لأنَّهم يقولون باسمية (أفعل)، وأمَّا مذهب البصريين فيتمثل في أن نون الوقاية تلتزم معه؛ لأنَّهم يقولون بفعلية.

الخلافا الثالث: اختلفوا في إعراب المُتَّعَجَّبِ منه

كما اختلفوا في (زيدًا) مِنْ قولك: ما أحسنَ زيدًا! فاعتبرها سيبويه والبصريون مفعولًا به، وزعم الفراء ومَنْ وافقه مِنْ الكوفيين أنه انتصب فرقًا بين الاستفهام والخبر، فالأصل: زيدٌ أحسنَ مِنْ غيره، فأتوا بـ(ما)، فقالوا: ما أحسن، على سبيل الاستفهام، ونقلوا الصَّفة مرَّةً في زيد إلى ضمير (ما) فانصب زيد للفرق^(٤).

الخلافا الرَّابِع: اختلف الكوفيين فيما بينهم، هل (أفعل) التَّعْجُبُ مبنية أم معربة؟

وإن كان الكوفيون متفقين حول اسمية (أفعل) إلا أنَّهم اختلفوا، أهي مِنَ المبنيات أم مِنَ المعربات، يقول السُّيوطي: "(فتحة أفعل) على هذا، قيل: بناء لتضمُّنه معنى التَّعْجُب، وقيل: إعراب، وهو خبر (ما) بناءً على نصب الخبرية بالخلاف عند الكوفيين، والأصحُّ أن (ما) مبتدأ خبره ما بعده"^(٥).

(١) شرح ابن عقيل: ١١٠/١.

(٢) انظر: شرح التَّسهيل: ٣١/٣.

(٣) انظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ١٤٧/٢.

(٤) انظر: نفسه: ١٤٧/٢.

(٥) همع الهوامع: ٣٧/٣.

ثانياً: اختلاف النحاة حول صيغة (أفعل به)

الخلافاً الأول: اختلافهم حول (الباء) في (أفعل ب)

لخص المرادي أقوال النحاة حولها بقوله: "وأما (باء التعجب) ففيها مذهبان: أشهرهما أنها زائدة، وهذا مذهب أكثر النحويين، ثم اختلف هؤلاء: ذهب سيبويه، وجمهور البصريين إلى أنها زائدة مع الفاعل، مثلها في (كفى بالله شهيداً)، وذهب الفراء والزجاج ومن قال بقولهما إلى أنها زائدة مع المفعول، وجعلوا فاعل (أحسن) ضمير المخاطب، وكذلك قال ابن كيسان^(١)، لكنه جعل الفاعل ضمير الحسن، كأنه قال: أحسن يا حُسنُ بزيدٍ؛ أي: دُم به، وذهب الثاني أنها للتعدية، وليست بزائدة، والهمزة في (أحسن) للصدى^(٢)". وهذه الباء بعد أفعل لازمة عند الفريقين، إلا إذا كان المتعجب منه (أن وصلتها)^(٣)، فلا يجوز حذفها على المذهبين إلا مع (أن) و(أن)^(٤)، كقول العباس بن مرداس: (الطويل)

وَقَالَ نَبِيُّ الْمُسْلِمِينَ: تَقَدَّمُوا وَأَحْبَبُ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمُقَدَّمَا^(٥)

جاء في (شرح التسهيل) لابن مالك: "ولو اضطرَّ شاعر إلى حذف الباء المصاحبة غير (أن) بعد (أفعل) لزمه أن يرفع، وعلى مذهب الفراء يلزمه النصب"^(٦).

خلاصة القول في هذه المسألة، أن الباء التي تدخل على المتعجب منه في صيغة (أفعل به) لا بد منها، وهي لازمة لتدل على أن الجملة التي دخلت عليها هي صيغة أريد بها التعجب، ويتضح ذلك من خلال تأمل هاتين الجملتين والمقارنة بينهما، أكرم بمحمد!، وأكرم محمداً، فدخول الباء على الجملة الأولى دل على أن الصيغة صيغة تعجب، بعكس الجملة الأخرى التي تتركب من فعل أمر يفيد الطلب، وفاعل مستتر وجوباً تقديره أنت ومفعولاً به.

(١) ابن كيسان: هو محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن: عالم بالعربية، نحواً ولغةً، من أهل بغداد، أخذ عن المبرد وثعلب، وقيل: إنه أنحى منهما، ويحفظ المذهبين البصري والكوفي في النحو، ومن كتبه: (المهذب في

النحو)، توفي سنة تسع وتسعين ومائتين للهجرة. انظر: معجم الأدباء: ٩٣/٥، وبغية الوعاة: ١٨/١.

(٢) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين الحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ، وقيل: ٧٥٥هـ) تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ٤٧.

(٣) انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٨٨٨/٢.

(٤) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٤٩.

(٥) التمثيل فيه: قوله: (إلينا) حيث فصل به بين فعل التعجب الذي هو (أحب) وفاعله المنسبك من الحرف المصدرى ومعموله، وهذا الفاصل جار ومجرور معمول لفعل التعجب، وذلك جائز في الأصح من مذاهب النحويين.

(٦) شرح التسهيل: ٣٣/٣.

يقول ابن السراج: "وزيد فاعله إذا قلت: أكرم يزيد؛ لأنَّ زيدًا هو الَّذي كَرُم، وإنَّما لزمَت الباء هنا الفاعل لمعنى التَّعَجُّب، وليُخالف لفظه لفظ سائر الأخبار" (١).

الخلاف الثَّاني: يتمثَّل في اختلافهم حول دلالة فعل التَّعَجُّب (٢)

الأكثر على أنَّ فعل التَّعَجُّب يدلُّ على الماضي المتَّصل بالحال، فإذا أُريد الماضي المنقطع أتى بـ(كان) أو المتستقبل أتى بـ(يكون)، وقيل: إنَّما يدلُّ على الحال دون الماضي، حُكِيَ عن المبرِّد، وقيل: يدلُّ على الثلاثة: الحال والمضيِّ والاستقبال، ويُقَيَّد في الماضي بـ(كان وأمسى)، وفي الحال بـ(الآن) وفي الاستقبال بـ(يكون)، ونحوه مِنَ الظُّروف المستقبلية، كقوله - تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا...﴾ (٣).

المطلب الثالث: أحكام متفرقة مشتركة تخصُّ صيغتي التَّعَجُّب القياسيِّ

هناك أحكام تتعلَّق بصيغتي التَّعَجُّب القياسيِّ تناولها النُّحاة كما سبقت الإشارة، وبعد استعراض مجموعة من مؤلفاتهم تبيَّن أنَّهم اختلفوا حول بعض المسائل التي تخصُّ هذه الظاهرة، وسبق تناول هذه المسائل، وفي نفس الوقت وجد الباحث أنَّهم قد اتَّفَقوا حول بعض المسائل التي تخصُّ هذه الظاهرة، ومنها:

١ - عدم اختلافهم في فعلية (أفعل)، ولا خلاف في أنَّ النُّاطق بهذه الصيغة متعجِّب، ولم يختلفوا في فعلية (أفعل) كما اختلفوا في فعلية (أفعل)؛ لأنَّ الأوَّل وزن لم يأت في الأسماء إلا قليلاً جداً كـ(أصبع) من لغات (إصبع) (٤).

ويقول الميداني: "وحكم أفعل به في التَّعَجُّب حكم ما أفعله، لا يُقال: أعور به كما لا يُقال: ما أعوره، بل يُقال: أشدُّ بعوره! ويستوي في لفظ أفعل به المذكر والمؤنث والتنثية والجمع تقول: يا زيد أكرم بعمر، ويا هند أكرم بزيد، ويا رجلان أكرم، ويا رجال أكرم، كما كان في: ما أحسن زيدا! وما أحسن هنداً! وما أحسن الزيدين! وما أحسن الهندات!" (٥).

٢ - يجوز التَّعَجُّب بصيغة (ما أفعل وما أحسن) دون ذكر (ما)، ذكر ذلك السيوطي في (همع الهوامع) (٦). ووقفْتُ على بيت واحد يفيد هذا المعنى في ديوان (الأصمعيَّات)، وهو قول العباس بن مرداس: (الطويل)

(١) الأصول في النحو: ١٠١/١.

(٢) انظر: همع الهوامع: ٤١/٣.

(٣) مريم: ٣٨/١٩.

(٤) انظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ١٤٩/٢.

(٥) مجمع الأمثال: ٨٢/١.

(٦) انظر: همع الهوامع: ٣٦/٣.

وَقُرَّةٌ يَحْمِيهِمْ إِذَا مَا تَبَدُّوا وَيَطْعُنُهُمْ شَزْرًا فَأَبْرَحَتْ فَارِسًا^(١)

وكما هو واضح من معنى البيت، فهو يمدحه بقوله: إذا تبددت الخيل؛ أي: تفرقت في الغارة ردها وحماها، وهذا البيت من شواهد سيبويه، واستشهد به النحاة، وشاهدتهم فيه: نصب (فارساً) على التمييز للنوع الذي أوجب فيه المدح، يقول سيبويه معلقاً على هذا البيت: "فكأنه قال: فكفى بك فارساً، وإنما يريد كُفيت فارساً، ودخلته هذه الباء توكيداً"^(٢).
والخيل يطلق على همزة (أفعل) ألف التعجب، يقول: "وأما ألف التعجب قولهم: أكرم زيداً! وأظرف بعمره! أي: ما أكرم زيداً، وأظرف عمرًا، قال - تعالى: أسمع بهم وأبصر! أي: ما أسمعهم وأبصرهم!"^(٣).

يقول السيوطي: "ومنه؛ أي: الجامد (صيغتا التعجب) وهما (ما أفعل، وأفعل به) قال الكوفي: وأفعل بغير (ما) مسندة إلى الفاعل، نحو قوله: فأبرحت فارساً؛ أي: ما أبرحك فارساً"^(٤).
٣ - عدم جواز فصل فعل التعجب عن معموله، ولا يجوز الفصل بين فعل التعجب ومعموله إلا إذا كان الفصل بالنداء أو بشبه الجملة.

يقول ابن عقيل: "فإن كان الظرف أو المجرور معمولاً لفعل التعجب ففي جواز الفصل بكل منهما بين فعل التعجب ومعموله خلاف، والمشهور جوازه خلافاً للأخفش والمبرد ومن وافقهما، ونسب الصديقي المنع إلى سيبويه ومما ورد فيه الفصل في النثر قول^(٥) عمرو بن معد يكرب:
لله در بني سليم ما أحسن في الهجاء لقاءها وأكرم في اللزبات^(٦) عطاءها وأثبت في المكرمات بقاءها"^(٧). ومما ورد منه شعراً قول العباس بن مرداس: (الطويل)

وَقَالَ نَبِيُّ الْمُسْلِمِينَ تَقَدَّمُوا وَأَحْبَبَ إِلَيْنَا أَنْ تَكُونَ الْمُقَدَّمَا^(٨)

(١) الأصمعيّات: ص ٢٣١، رقم ٢١ (الزيادات من الكتابين)، والطعن الشزر: هو ما كان في جانب، وهو أشد من اليسر، وهو الطعن المستقيم، وإنما كان الشزر أشد؛ لأن مقاتل الإنسان في جانبه. أبرحت: وأصل (أبرحت) من البراح وهو المتسع من الأرض، المنكشف؛ أي: تبين فضلك كما يتبين البراح من الأرض. أبرحت؛ أي: جئت بأمر مفرط في العجب. انظر: الكتاب: ١٧٤/٢، و هامش الهمع: ٣٦/٣، والخزانة للبغدادي: ٢٨٩/٣.

(٢) الكتاب: ١٧٥/٢.

(٣) الجمل في النحو: ٢٤٥.

(٤) همع الهوامع: ٣٦/٣.

(٥) انظر: أمالي القالي: ١١٦/٢.

(٦) جاء في (لسان العرب) ٤٠٢٥-٤٠٢٦ (لرب): "اللرب: الضيق وعيش لرب ضيق واللرب الطريق الضيق وماء لرب قليل، والجمع لراب، واللروب: القحط، واللربة: الشدة، وجمعها لرب، والجمع اللزبات بالتسكين".

(٧) شرح ابن عقيل: ١٥٧/٣.

(٨) البيت في ديوانه، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص ١٤٢.

فكما هو ظاهر في البيت يُلاحظ أنّ الشّاعر قد فصل بشبه الجملة بين فعل التّعجب (أحبب) وفاعله الذي هو المصدر المؤوّل المركّب من (أنّ ومعموليهما)، والفاصل هو قوله: (إلينا) وذلك أجازة التّحويّون كما مرّ.

يقول السيوطي: "ولا يُفصل المتعجب منه من (أفعل)، و(أفعل) بشيء إلا بظرف ومجرور يتعلّق بالفعل فإنه يجوز على الصّحيح؛ لتوسّعهم فيها، ولجواز الفصل بهما بين أنّ ومعموليهما، وليس فعل التّعجب بأضعف منها؛ ولكثرة وروده كقوله: ما أحسن في الهجاء لقاءها!"^(١). وذكر السيوطي أنّ بعضهم جوّز الفصل بالنداء، وهو ابن مالك، نحو: أغرز عليّ أبا اليقظان أنّ أراك صريعاً مجدّلاً!، وجوّز هشام وأبو عمر الجرمي الفصل بالحال، نحو: ما أحسن مقبلاً زيداً! ومنهم من جوّزه ب(لولا)، نحو: ما أحسن لولا بخله زيداً! ومنهم من جوّزه بالمصدر، نحو: ما أحسن إحساناً زيداً!^(٢)، يقول الرضي: "وأما الفصل بين الفعلين والمتعجب منه، فإن لم يتعلّق الفصل بهما، فلا يجوز اتفاقاً"^(٣).

٤ - من هذه الأحكام، أنه لا بدّ من فكّ الإدغام في الفعل الثلاثي المضعف.

تأمل معي قول ابن السّراج في هذه الحالة: "وتقول: أشدّد به، ولا يجوز الإدغام"^(٤)، وإذا تأملت البيت السّابق وجدت أنّ الشّاعر قد تمثّل حكماً آخر من الأحكام التي تخصّ صيغة التّعجب (أفعل به) والتي تحدّث عنها النّحاة، وهو فكّ (أحبب) التي على وزن (أفعل) وعدم إدغامها، يقول المرادي: "فإنّ إدغامه غير مسموع في كلامهم، وإنّما المسموع الفكّ، كقوله: وأحبب إلينا أنّ تكون المقدّما، وحكى بعض النّحويّين عن الكسائيّ إجازة إدغامه"^(٥).

٥ - هل يعمل فعل التّعجب في مصدره؟

يُجيب عن هذا السؤال صاحب (الأصول) بقوله: "لا يعمل فعل التّعجب في مصدره، وكذلك: أفعل منك، لا تقول: عبد الله أفضل منك فضلاً، وتقول: ما أحسنك وجهاً، وأنظفك ثوباً؛ لأنّك تقول: هو أحسن منك وجهاً وأنظف منك ثوباً"^(٦).

٦ - جواز حذف المتعجب منه.

ويجوز حذف المتعجب منه - وهو المنصوب بعد أفعل والمجرور بالباء بعد أفعل - إذا دلّ عليه دليل، وإلى هذا المعنى أشار ابن مالك في ألفيته بقوله: (الرجز)

(١) همع الهوامع: ٤٠/٣.

(٢) نفسه: ٤٠/٣.

(٣) شرح الرضيّ على الكافية: ٢٣٢/٤.

(٤) الأصول في النّحو: ١٠٨/١.

(٥) انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك: ١٦٥٠/٣.

(٦) الأصول في النّحو: ١١٠/١.

وَحَذَفُ مَا مِنْهُ تَعَجَّبَتْ اسْتَبِحَ إِنْ كَانَ عِنْدَ الْحَذْفِ مَعْنَاهُ يَضِحُ^(١)

فأما عن حذف المتعجب منه بعد (ما أفعله) فلم أقف على أمثلة له في ديوان (الأصمعيّات)، ولكي تتضح الصّورة بالمثال يطيب التّمثيل بما استشهد به النّحاة، وهو قول امرئ القيس بن حجر الكندي: (الطويل)

أَرَى أُمَّ عَمْرٍو دَمَعَهَا قَدْ تَحَدَّرًا بُكَاءً عَلَى عَمْرٍو وَمَا كَانَ أَصْبِرًا^(٢)

والمتملّ في الشّطر الثّاني مِنَ البيت يدرك أنّه قد تضمّن أمرين: الأوّل: جواز دخول (كان الزّائدة) بين ما التّعجبية وأفعل التّفصيل، ومنّ هنا يتّضح قول النّحاة بجواز الفصل بين ما التّعجبية وفعل التّعجب بـ(كان) الزّائدة، والآخر: حذف المتعجب منه، وهو الضّمير المنصوب الذي يقع مفعولاً به لفعل التّعجب، والتّقدير: ما كان أصبرها! وأما عن حذف المتعجب منه بعد صيغة التّعجب (أفعل به)، فقد تمثّل في (الأصمعيّات) في قول عُرْوَةَ بن الوزد: (الطويل)

فَذَلِكَ إِنْ يُلِقَ الْمَنِيَّةَ يُلْقَهَا حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ^(٣)

علّق الشننمريُّ بقوله: "أي: ما أجدره بالغنى؛ لأنّه قد طلبه من بابه، وتأتّى له من وجهه"^(٤). واستشهد بهذا البيت شراح الألفية^(٥) على أنّ (أجدر) صيغة تعجب، حذفت منه المتعجب منه حذفاً غير قياسيّ، إذ لا يجوز ذلك في أفعل به إلا إذا كان معطوفاً على آخر مذكور معه المتعجب منه، كقوله - تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا...﴾^(٦)؛ أي: وأبصر بهم. منّ هنا يتّضح ومنّ خلال الآية الكريمة أنّه يجوز حذف المتعجب منه بشرطين، الأوّل: أن تكون صيغة التّعجب أفعل به، والآخر: وجود ضمير يدلّ على المحذوف، ورد في (خزانة

(١) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١٥٠/٣.

(٢) ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: عبد الرّحمن المصطاويّ، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ، ص ٩٧.

(٣) الأصمعيّات: ص ٥٠، رقم ٢١.

(٤) شرح الحماسة للأعلم: ٢٢٤/١.

(٥) جاء في هامش (توضيح المقاصد) للمرايّي تعليفاً على البيت المذكور ٨٩١/٢: "الشّاهد فيه: (فأجدر) حيثُ حذف المتعجب منه، وهو فاعل (أجدر) مع حرف الجرّ من غير أن تكون صيغة التّعجب المحذوف معمولها معطوفة على أخرى مذكور معمولها المشابه للمحذوف".

(٦) مريم: ٣٨/١٩.

الأدب): وأجدر به؛ أي: بالاستغناء، ونقل المؤلف عن العيني^(١) قوله: "به)؛ أي بكونه حميداً"^(٢).

٧- هل ترد (كان) أو إحدى أخواتها بين (ما) و(أفعل) التَّعَجُّب؟

ورود (كان) بين (ما) و(أفعل) يدلُّ على أنَّ الصِّفَةَ المتعجَّب منها وقعت في الماضي، جاء في (الكتاب): "وتقول: ما كان أحسنَ زيدًا، فتُذكر (كان) لتدلُّ أنَّه فيما مضى"^(٣)، إلا أنَّ ابن يعيش يعتبر أنَّ معنى (كان) باقٍ وإنَّ أُلغيت مِنَ الإعراب، يقول: "(وكان) ملغاة عن العمل مفيدة للزَّمان الماضي، كما تقول: مَنْ كان ضرب زيدًا، تريد مَنْ ضرب زيدًا؟... (فكان) تدخل في هذه المواضع وإنَّ أُلغيت مِنَ الإعراب فمعناها باقٍ"^(٤). وفي (كان) هذه ثلاثة مذاهب للنَّحويِّين كما أوضح البطليموسي^(٥)، فمنهم مَنْ يجعلها زائدةً، وهو مذهب الفارسي^(٦)، ومنهم مَنْ يجعلها التَّامةً، وهو مذهب السِّيرافي^(٧)، ومنهم مَنْ يجعلها النَّاقصةً، ويعتبر الأخيرة أبعد الأقوال عن الصِّواب، ويضع لتعليل ذلك ثلاثة أسباب:

أ- لأنَّ مَنْ اعتبرها ناقصةً جعل خبرَ (ما) في التَّعَجُّب على وزن (أفعل)، وجعل خبرَ (كان) فعلًا ماضيًا.

ب- إنَّ التَّعَجُّب إنَّما هو ممَّا يزيد وينقص، وتتفاضل فيه الأشياء.

(١) محمود بن أحمد، بدر الدِّين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، مِنْ كبار المحدثين، له مؤلِّفات، ومنها: المقاصد النَّحوية، توفِّي سنة خمس وخمسين وثمانمائة هجرية. انظر: بغية الوعاة: ٢/٢٧٥، الأعلام: ٧/١٦٣.

(٢) خزانة الأدب: ١٠ / ١٤.

(٣) انظر: الكتاب: ١ / ٧٣.

(٤) شرح المفصل: ٧ / ١٥٠.

(٥) هو أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن السِّيد البطليموسي، مِنْ أشهر علماء الأندلس، كان مقدِّمًا في علم اللُّغة، توفِّي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة مِنَ الهجرة. انظر: الخلل في إصلاح الخلل مِنْ كتاب الجمل للسِّيد البطليموسي: ص ١٥ - ١٨.

(٦) الفارسي: الحسن بن أحمد، أبو علي: أحد الأئمَّة في علم العربيَّة، كان متَّهمًا بالاعتزال، وله شعر قليل، أخذ عن الرَّجاء وابن السِّراج، وقيل: إنَّه أعلم مِنَ المبرِّد، وله مؤلِّفات كثيرة منها: (التَّنكرة) في علوم العربيَّة، توفِّي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٢ / ٨٠، وبغية الوعاة: ١ / ٤٩٦.

(٧) السِّيرافي: هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان، أبو سعيد: نحوي، عالم بالأدب، وكان معتزليًّا متعقِّفًا، ينسخ الكتب بالأجرة، له مؤلِّفات منها: (الإقناع) في النَّحو، و(شرح كتاب سيوييه) وغيرها، توفِّي سنة ثمان وستين وثلاثمائة للهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٢ / ٧٨، وبغية الوعاة: ١ / ٥٠٧ - ٥٠٩، والأعلام: ٢ / ١٩٥.

ت- فَإِنَّ التَّعَجُّبَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الحَدَثِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ الفِعْلِ لَا مِنَ الزَّمَنِ، وَأَحْسَنُ الأَقْوَالِ عِنْدَهُ قَوْلُ مَنْ قَالَ فِيهَا: إِنَّهَا زَائِدَةٌ^(١).

وذكر الرضوي في (شرح الكافية) فائدة الفصل بـ(كان) في التَّعَجُّبِ بقوله: "ويُفصل بـ(كان)، وحدها بين (ما) وأفعل، وهي مزيدة، وفائدة الفصل بـ(كان) في نحو: ما كان أحسن زيدًا: أنه كان في الماضي حُسْنٌ واقع دائم، إلا أنه لم يتصل بزمان المتكلم بل كان دائمًا قبله"^(٢). ويقول ابن مالك: "ولما كان فعل التَّعَجُّبِ مسلوب الدلالة على الماضي، وكان المتعجب منه صالحًا للمعنى أجازوا زيادة (كان) إشعارًا بذلك عند قصده، نحو: ما كان أحسن زيدًا!"^(٣).

كما سُمع عن العرب زيادة (أصبح، وأمسى) بين (ما) وفعل التَّعَجُّبِ، يقول ابن الحاجب: "وإدخال (أصبح، وأمسى) هاهنا في الدلالة على الوقت الذي حصل فيه المتعجب منه كإدخال (كان) في الدلالة على الوقت المتعجب منه، وإن اختلفت جهات الأزمان، وقد حُكي: ما أصبح أبردها، وما أمسى أدفأها!"^(٤)، إلا أن ابن السراج لم يقبل بهذا الاستعمال الذي أجازته قوم من النحويين، وهو قولهم: ما أصبح أبردها، وما أمسى أدفأها! حيث احتجوا بأن (أصبح، وأمسى) من باب (كان)، يقول: "فهذا عندي غير جائز، ويفسد تشبيههم ما ظنوه: أن (أمسى وأصبح) أزمنة مؤقتة و (كان) ليست مؤقتة، ولو جاز هذا في (أصبح، وأمسى)؛ لأنهما من باب (كان) لجاز ذلك في (أضحى) و (صار) و (ما زال)"^(٥). ويقول السبوي: "ولا يفصل بين (ما) وأفعل إلا بـ(كان) الزائدة) نحو: ما كان أحسن زيدًا!"^(٦).

٨- هل توجد صيغ أخرى للتَّعَجُّبِ القياسيِّ عدا ما أفعله، وأفعل به؟

سُمع عن العرب ما (أفعلني له)، و (ما أفعلني إليه)، جاء في (الكتاب): "تقول: ما أبغضني له، وما أمقتني له، وما أشهاني لذلك، إنما تريد أنك ماقتت، وأنتك مبعضت، وأنتك مشته، فإن عنيت غيرك قلت: ما أفعله، إنما تعني به هذا المعنى، وتقول: ما أمقتته وما أبغضته إلي، إنما تريد أنه مقيت، وأنته مبعضت إليك، كما أنك تقول: ما أقبحه، وإنما تريد أنه قبيح في عينك، وما أقدره، إنما تريد أنه قدر عندك"^(٧).

(١) انظر: كتاب الخلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليموسي، (ت: ٥٢١هـ)، تحقيق سعيد سعودي، دار الطليعة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص ٢٢٧.

(٢) شرح الرضوي على الكافية: ٣٣٢/٤.

(٣) شرح التسهيل: ٤٢/٣.

(٤) الإيضاح في شرح المفصل: ١١٢/٢.

(٥) الأصول في النحو: ١٠٧/١.

(٦) همع الهوامع: ٤١/٣.

(٧) الكتاب: ١٠٠/٤.

وكما هو واضح من كلام سيبويه، فإننا نستخدم (اللأم) في صيغة التَّعْجُب إذا كان المتعجب منه فاعلاً، وإذا كان المتعجب منه مفعولاً استخدمنا (إلى)، وعلى هذا يكون معنى (ما أبغضني له): أنك تبغضه، ومعنى (ما أبغضني إليه): أنه يبغضك.

ومن صور التَّعْجُب القياسي التي نقلها النحاة وسُمعت عن العرب قولهم: (كرماً وطول أنف)، يقول سيبويه: "وسمعت أعرابياً، يقول: كرمًا وطول أنف؛ أي: أكرم بك وأطول بأنفك"^(١). ومن الأبيات الشعرية التي تناولت مثل هذه الألفاظ ووردت في ديوان (الأصمعيّات) قول سَعْدَى بنتِ الشَّمرِذَلِ الجُهَنِّيَّة: (الكامل)

مُتَحَلِّبُ الكَفَّيْنِ أَمِيثٌ بَارِعٌ أَنْفٌ طَوَالٌ السَّاعِدَيْنِ سَمِيدَعٌ^(٢)

فالشاعرة هنا ترثي أباها وتعدّد مناقبه، وتصفه بأنّه كان طويل الساعدين؛ أي: أنّ فضله يمتدّ إلى مساحة أوسع ليضمّل عددًا كبيرًا من النَّاس، وكأنّها تتعجب من طول ساعديه المفرطة في الطول، لنقول: أطول بساعديه، وهذا قياسًا على قول سيبويه السابق الذكر.

٩ - فعلا التَّعْجُب لا يتصرّفان:

ومن الأحكام التي تتعلّق بفعل التَّعْجُب أنّهما لا يتصرّفان، جاء في (شرح ابن عقيل): "لا يتصرّف فعلا التَّعْجُب، بل يلزم كلّ منهما طريقة واحدة، فلا يُستعمل من (أفعل) غير الماضي ولا من (أفعل) غير الأمر، قال المصنّف: وهذا ممّا لا خلاف فيه"^(٣)، ويقول ابن السراج: "اعلم أنّ كلّ فعل لزم بناءً واحدًا فهو غير متصرّف...، فمن الأفعال التي لم تتصرّف ولزمت بناءً واحدًا فعل التَّعْجُب، نحو: ما أحسن زيدًا وأكرم بعمرو، والفعالان المبنيان للحمد والذم، وهما (نعم وبئس)، فهذه الأفعال وما جرى مجراها لا تتصرّف ولا يدخلها حروف المضارعة ولا يُبنى منها اسم فاعل"^(٤).

وذكر صاحب (الصفوة الصّفيّة) أنّ الأفعال غير المتصرّفة ستة وهي: فعل التَّعْجُب، ونعم وبئس، وحبذا، وعسى، وليس^(٥)، وجاء في (شرح التّسهيل): "لا خلاف في عدم تصرّف فعلي التَّعْجُب"^(٦)، وأوضح ابن الحاجب السبب في عدم جواز تصرّف فعلي التَّعْجُب بقوله: "لأنّها جرت

(١) نفسه: ٣٢٨/١.

(٢) الأصمعيّات: ص ١١٧، رقم ٢٦، متحلّب الكفين: يسيل الكرم منه. أميث: سهل في عطائه لئى سمح، الميثاء: الأرض السهلة. أنف: أبي، يأنف الظلم. طول: والطوال بالضمّ: المُفْرِط الطول. سَمِيدَع: السَمِيدَعُ بالفتح: الكريم السيّد الجميل الجسيم. انظر: لسان العرب: ٩٥٦/٢ (حلب)، و٤٣٠٤/٦ (ميث)، و١٥٠٩/٣ (ذكر)، و٢٧٢٦/٤ (طول)، و٢٠٩٠/٣ (سمد).

(٣) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١٥٣/٣.

(٤) الأصول في النحو: ٩٨/١.

(٥) انظر: الصفوة الصّفيّة فى شرح الدرّة الألفيّة: ١٠٣/٣.

(٦) شرح التّسهيل: ٤٠/٣.

كالمثل، والأمثال لا تُغَيَّر؛ أو لأنها بمجموعها نُدلُّ على إنشاء التَّعْجُب، فلزمتُ طريقة واحدة كما لزمتُ نعم وبئس" (١). وذكر النَّيْلِيُّ سبباً آخر بقوله: "وإنما لم يتصرَّف فعل التَّعْجُب؛ لأنه ليس بخبر عن أمر واقع، بل قولك: ما أحسنَ زيداً! هو نفس التَّعْجُب الواقع من المتعجَّب؛ لأنه إخبار عن إيقاع تعجُّب" (٢).

ونقل السيوطي عن ابن هشام جواز الإتيان بمضارع ما أفعل، فتقول: ما يحسن زيداً (٣)، وقال المبرد بعدم جوازه بقوله: "فإذا قلت ما أحسنَ زيداً! لم يجز أن تضع الفعل المضارع هاهنا، فتقول: ما يحسن زيداً؛ لأنَّ معنى التَّعْجُب إنما دخله على هيئة إن زال لفظها زال المعنى" (٤).

١٠ - عدم جواز تقديم معمول فعل التَّعْجُب علي فعله.

من هذه الأحكام أنه لا يجوز تقديم معمول فعل التَّعْجُب علي فعل التَّعْجُب، ولا يُتصرَّف فيهما بتقديم ولا تأخير، فلا تقول: "زيداً ما أحسنَ" ولا: "بزيد أحسن" (٥).
بمعنى آخر، من الواجب أن تؤخَّر المتعجَّب منه على فعلَي التَّعْجُب، إلى هذا الحكم أشار ابن مالك بقوله:

وَفِعْلُ هَذَا الْبَابِ لَنْ يُقَدَّمَ
مَعْمُولُهُ وَوَصْلُهُ بِمَا أُلْزِمَا (٦)

فلا يُقدَّم معمول فعل التَّعْجُب على الفعل، ولا على (ما)، يقول المرادي: "قلو قلت: ما أحسنَ مقبلاً زيداً، وأكرم رجلاً به! لم يجز بإجماع" (٧).

١١ - هل سُمع عن العرب تصغير فعلَي التَّعْجُب؟

ورد في كتاب (الأصول): "فإن قال قائل: فما بال هذه الأفعال تُصغَّر؟ نحو: ما أميلحه وأحيسنه، والفعل لا يُصغَّر، فالجواب في ذلك: أن هذه الأفعال لمَّا لزمتُ موضعاً واحداً ولم تتصرَّف ضارعت الأسماء التي لا تزول إلى (يفعل) وغيره من الأمثلة فصغَّرت كما تُصغَّر" (٨).

(١) الإيضاح في شرح المفصل: ١١١/٢.

(٢) الصَّفوة الصَّفِيَّة: ١٠٣/٣.

(٣) همع الهوامع: ٣٧/٣.

(٤) المقتضب: ١٧٧/٤.

(٥) انظر: شرح الرُّضِيَّ على الكافية: ٢٣٢/٤.

(٦) شرح ابن عقيل: ١٥٦/٣.

(٧) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك: ٩٦/١.

(٨) الأصول في النحو: ١٠٠/١.

١٢ - إذا كان هناك فعلاً للتعجب، فما الذي ينصب المتعجب منه؟

يقول ابن السراج: "قول: ما أحسن وأجمل زيداً! إن نصبت (زيداً) ب(أجمل)، فإن نصبت ب(أحسن) قلت: ما أحسن وأجمله زيداً؛ تريد: ما أحسن زيداً وأجمله، وعلى هذا مذهب إعمال الفعل الأول"^(١).

١٣ - عدم جواز توكيد فعل التعجب.

ومن الأحكام التي تخص فعل التعجب التي تحدت عنها النحاة، أنه لا يجوز توكيد فعل التعجب بنون التوكيد، يقول المرادي شارح (الألفية): "وتوكيد فعل التعجب بنون التوكيد نادر"^(٢).

١٤ - وتشارك صيغتا التعجب القياسي في أن كل ما وقع بعدهما يُعرب تمييزاً، حيث يقع التمييز بعد كل ما دل على التعجب، وإلى هذا أشار ابن مالك في ألفيته حين قال:

وَبَعْدَ كُلِّ مَا اقْتَضَى تَعَجُّبًا مَيِّزٌ كَ أَكْرَمِ أَبِي بَكْرٍ أَبَا^(٣)

ويشرح ابن عقيل هذا البيت بقوله: "يقع التمييز بعد كل ما دل على تعجب، نحو: ما أحسن زيداً رجلاً! وأكرم بأبي بكر أباً، والله درك عالماً، وحسبك يزيد رجلاً وكفى به عالماً!"^(٤).

المطلب الرابع: تصوّر لأسباب ندرة ورود صيغتي التعجب القياسي في (الأصمعيّات)

بعد تتبع واستقراء الأبيات الشعرية في ديوان (الأصمعيّات) وجد الباحث أن صيغتي التعجب القياسي نادرتا الوقوع، لدرجة أنه لم يقف إلا على أمثلة قليلة لها في الديوان، بعكس صور التعجب السماعي التي وردت عن العرب، فهي تتمثل في الديوان بشكل واضح؛ وتفسير ذلك يحتاج إلى مزيد من البحث والنقضي، ويحتاج إلى مزيد من استطلاع آراء أهل اللغة والنحو والصرف حول هذه المسألة.

أقول: إن اللغة سالت على لسان العربي مضبوطة بالسليقة دون حاجة إلى ضوابط مسجلة، تلتزمه بالتقيّد بهذه الضوابط وتلك القواعد، نقل ابن جني في كتابه: (الخصائص) عن أبي علي - رحمه الله - قوله: "إنما دخل هذا النحو في كلامهم؛ لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد"^(٥).

(١) نفسه: ١٠٦/١.

(٢) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢٩٤/١.

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢٩٠/٢.

(٤) نفسه: ٢٩١/٢.

(٥) الخصائص: ٢٧٣/٣.

فما هو السبب في قلة ورود صيغتي التّعجب القياسي في الشعر العربي، خاصة في الأشعار التي وصلت من العصرين، الجاهلي و صدر الإسلام، وأخص بالذكر بدايات عصر صدر الإسلام، تلك الفترة التي سبقت تفعيد القواعد، فلاحظ أن الأشعار التي قيلت في العصرين الأدبيين المذكورين واشتملت على صيغتي التّعجب القياسي قليلة، مقارنة مع الأشعار التي قيلت بعد مرحلة تفعيد القواعد، وتعرف الشعراء على وجود صيغتين للتّعجب القياسي، حيث درجت ألسنتهم على استعمالها بصورة جلية واضحة، تسترعي الانتباه.

وقد لوحظت هذه الظاهرة ليس فقط في الأشعار التي وردت في ديوان (الأصمعيّات)، وإنما لوحظت في مجموعات شعرية أخرى نقلت أشعار العصرين الأدبيين المذكورين، ومن هذه المجموعات ديوان (المفضليات).

فالعربي البدوي لم يحبذ استخدام اللغة وفق قواعد وقوالب قياسية، ربما يشعر أنها مجرد قيود تثقل كاهله، ولا تلبي رغباته وطموحاته، خاصة أنه ليس بحاجة إليها؛ لأنه يتحدث بالسليقة وغالبًا ما يكون صائبًا في استخداماته اللغوية، وربما كان ذلك أحد الأسباب التي جعلت التّعجب السماعي الذي لم ييؤب له منتشرًا في ديوان الأصمعيّات بشكل واضح بعكس صيغتي التّعجب القياسي النادرة الوقوع.

وكل الذي يُستطاع التسليم بصحته أن العربي كان يستخدم التّعجب بصيغته المختلفة سواء السماعية أو القياسية، وأن الناس يتعجبون من دهر لا يستخدم أهله التّعجب في حديثهم؛ لأنهم رأوا في ذلك ضرورة ملحة، وهم بحاجة لاستخدامه في حديثهم مثل حاجتهم للطعام والشراب.

نقل الجاحظ في رسائله عن بكر بن عبد الله المرزبي^(١) قوله: "كنا نتعجب من دهر لا يتعجب أهله من العجب، فقد صرنا في دهر لا يستحسن أهله الحس، ومن لا يستحسن الحس لم يستبج القبيح"^(٢).

يقول السامرائي: "ثم إن التّعجب انفعال قديم في نفس البشر، والأظهر أنه وضعت له صيغته ابتداءً؛ لأن الإنسان محتاج إلى التعبير عنه قبل كثير من التعبيرات، ولا داعي للدخول في تحليلات تفسد المعنى والدوق"^(٣).

ومما يدل دلالة واضحة على أن صيغتي التّعجب القياسي كانتا معروفين عند العرب قديمًا، ويستخدمهما حتى العامة في حديثها الحادثة - التي سبق أن ذكرت في مطلع الجزء الثاني

(١) بكر بن عبد الله المرزبي: نسبة إلى مزيّنة، بصري ثقة، وكان من النساك والزهاد من أهل البیان، وله أقوال

مأثورة في مواضع كثيرة من (البيان والتبيين)، مات سنة ست ومائة للهجرة. انظر: البيان والتبيين: ١/١٠١.

(٢) رسائل الجاحظ: ٣/١١٦.

(٣) معاني النحو: ٤/٢٣٩.

من هذا الفصل^(١) - والتي دارت بين أبي الأسود وابنته، حيث انتقد فيها ابنته عندما عبرت عن تعجبها من شدة الحر بطريقة لم تكن مرضية، فعبر الأب عن امتعاضه مما سمع، لدرجة أنه هب مذعورًا مما سمع، ليحدث عليًا عنه، فكانت هذه الحادثة أحد الأسباب التي دعت النحاة للتفكير في وضع علم النحو، وبخاصة الباب الأول منه وهو التعجب.

جاء في (لسان العرب) ما يأتي: "قالت ابنة أبي الأسود الدؤلي لأبيها في يوم شديد الحر: يا أبت ما أشد الحر! قال: إذا كانت الصدعاء من فوقك والرمضاء من تحتك، فقلت: أردت أن الحر شديد، قال: فقولني ما أشد الحر! فحينئذ وضع باب التعجب"^(٢).

وهذه القصة إن دلت على شيء فإنها تدل على أن العرب كانوا شديدي العناية بالإعراب، وكان حسهم به دقيقًا يقظًا، ويعتبرونه عنوانًا للثقافة، والأدب الرفيع، والخلق القويم. وحركات الإعراب تعمل على تخصيص المعاني، وتحدد الأغراض بأيسر الطرق، كقولهم: ما أحسن زيدًا، إذا أرادوا نفي الإحسان عنه، وما أحسن زيدًا! إذا أرادوا التعجب من حسنه، وما أحسن زيدًا؟ إذا أرادوا الاستفهام عن أحسن ما فيه، ولا يوجد ذلك في غير لغة العرب، وإن دل ذلك على شيء فإثما يدل على مدى درجة السمو العقلي الذي يتمتع به العربي.

نقل المرادي مذهب الجمهور من النحاة الذين قالوا: إن الإعراب إنما جاء به في الاسم ليدل على المعاني المعتورة عليه، كقولهم: (ما أحسن زيد) بالرفع في النفي، وبالنصب في التعجب، وبالجر في الاستفهام، فلو لا الإعراب لالتبست هذه المعاني^(٣).

ويمكن وضع افتراض آخر للأسباب التي جعلت من صيغتي التعجب القياسي أن تكونا نادرتي الوقوع في ديوان (الأصمعيات)، يتمثل هذا الافتراض في أن صيغتي التعجب القياسي لو كانتا مشهورتين بين الناس لوجدنا أثرهما باديًا للعيان، خاصة في تلك الفترة التي نقل الأصمعي مجموعته الشعرية عنها، وهذا يدل دلالة واضحة على أن صيغتي التعجب القياسي لم تكونا مشهورتي الاستعمال بين الناس، ولكن لا يمكن إنكار وجود هذه الظاهرة التركيبية في الاستعمال اللغوي العربي، لدرجة أن البعض ذهب إلى القول: إن صيغتي التعجب القياسي من صنيع النحاة الذين تولوا عملية تقعيد القواعد، حيث قاموا بوضع قاعدة قياسية للتعجب القياسي. ولنتأمل معًا تعريف ابن السراج لعلم النحو يقول: "النحو علم استخراج المتقدم من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصدته المبتدئون بهذه اللغة"^(٤).

(١) انظر: ص ٨٦ من هذا البحث.

(٢) لسان العرب: ٤ / ٢٤٧٣.

(٣) انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ١ / ٢٩٨.

(٤) الأصول: ١ / ٣٥.

ولم تكن هاتان الصيغتان واضحتي المعالم، لدرجة أن سيبويه لم يدر حدَّ التَّعْجُبِ كما جاء في (معجم الأديباء): قال الفراء: ولم يكن الخليل يُحْسِنُ النِّدَاءَ، ولا كان سيبويه يدرى حدَّ التَّعْجُبِ" (١). ولكنَّ هذا يبقى مجرَّوأي قابلٍ للصَّحَّةِ أو عديمها؛ لأنَّ النُّحاةَ الَّذِينَ قاموا بتقعيد القواعدِ إِنَّمَا اعتمدوا على الأشعارِ الَّتِي نُفِلَتْ إليهم، ولم تأتِ قواعدهم - خاصةً القياسية - من فراغٍ، وإنما اعتمدوا على أصولٍ بنوا عليها قواعدهم وأبدوا فيها آراءهم.

ونقل السيوطي عن الفخر الرازي قوله: "رسم عليّ - كرم الله وجهه - لأبي الأسود الدؤلي باب (إن)، وباب الإضافة، وباب الإمالة، ثم صنّف أبو الأسود باب العطف، وباب النعت، ثم صنّف باب التَّعْجُبِ والاستفهام" (٢).

ظاهرة ندرية ورود صيغتي التَّعْجُبِ القياسي في الكلام العربي لاحظها علماءنا الأفاضل، من مفسرين وغيرهم في القرآن الكريم أيضًا، ولم تقتصر على المجموعات الشعرية ك(المفضليات) و(الأصمعيّات) فحسب.

يدلُّ الباحث على صحّة هذا الاعتقاد بأنَّ التَّعْجُبِ القياسي كان نادر الوقوع في الكلام العربي بما في ذلك الشعر قبل مرحلة وضع القواعد النحوية، وأنَّ القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب لم يكن ليشتمل على صيغتي التَّعْجُبِ القياسي إلا ما ندر، ويؤيد هذا ما أورده الزركشي في (البرهان) بأنَّ التَّعْجُبِ ب(ما) ورد في القرآن مرتين، وهما قوله - تعالى: ﴿...فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (٣)، و﴿قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (٤)، وزاد: ولا ثالثَ لهما في القرآن (٥)، هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

(١) معجم الأديباء: ٩٦/٤.

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمّد ياقوت، دار المعرفة الجامعية، طنطا، (د. ط)، ١٤٢٦هـ، ص ٤٣٢.

(٣) البقرة: ١٧٥/٢.

(٤) عبس: ١٧/٨٠.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٠٤/٤.

الفصل الثَّاني

ظاهرة النِّداء في ديوان (الأصمعيَّات)

ويشتمل على ما يأتي:

- توطئة

- النِّداء: لغة واصطلاحًا

المبحث الأول: أنواع النِّداء وأحكامه:

المطلب الأول: أحرف النِّداء ومعانيها.

المطلب الثاني: العامل في المنادى.

المطلب الثالث: أنواع المنادى وحكم كلِّ نوع، تابع المنادى وأحكامه.

المطلب الرابع: حذف (يا) النِّداء.

المطلب الخامس: أحكام متفرقة تخصُّ النِّداء.

المطلب السادس: الأساليب التي تلي النِّداء وتأتي تابعةً له ومرتبطةً به.

المبحث الثاني: البنى النِّدائية التابعة للنِّداء، وتشمل:

المطلب الأول: التَّرخيم.

المطلب الثاني: الاستغاثة.

المطلب الثالث: النُّدبة.

المطلب الرابع: النِّداء الذي يحمل معنى الدُّعاء، والنِّداء التَّعجُّبي.

توطئة

النِّداء مِنَ الأساليب الإنشائية التي يستخدمها النَّاسُ في كلامهم وأحاديثهم الرَّسمية وغير الرَّسمية، ولا غنى لهم عنه لإتمام عملية الاتِّصال بالآخرين والتَّواصل معهم، ويُعتَقَد أنَّ النِّداء كان في طليعة الأساليب التي حُوِّطَبَ بها أبو البشر -عليه السلام- مِنْ قِبَلِ الله - عزَّ وجلَّ- بعد أن خلقه مِنْ تراب فقال له: كن فيكون، وحبذا لو ضُرِبَتْ أمثلة حيَّة وواقعيَّة مِنَ القرآن الكريم؛ لتكون دليلاً على صحَّة هذا الاعتقاد، جاء في محكم التَّنزيل قول الله- تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾^(١)، وقوله- عزَّ وجلَّ: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ...﴾^(٢)، كما نُودِيَ آدَمُ مِنْ قِبَلِ مخلوقات أُخرى على نحو ما تجد في قوله- تعالى- على لسان إبليس- عليه ما يستحقُّ مِنَ الله- منادياً آدم: ﴿... قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾^(٣).

وممَّا يدلُّ على أهميَّة النِّداء في الكلام، استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب بكثرة لافتة للانتباه، فقد أحصى الدَّارسون^(٤) أربعمئة وخمسين بنية ندائيَّة، حُوِّطَبَتْ بها المخلوقات على اختلاف مسمياتها، وربَّما كان النِّداء موجَّهاً مِنَ المخلوقات إلى ربِّ العزَّة. مِنْ الملاحظ على أحرف النِّداء المستخدمة في القرآن الكريم أنَّ حرف النِّداء (يا) هو مِنْ أكثر أحرف النِّداء استخداماً فيه، وهناك مِنَ العلماء مَنْ قال: إنَّه لا يوجد غيرها في التَّنزيل، ومِنْ ذلك ما ذكره السيوطيُّ مِنْ أنَّ القرآن المجيد مع كثرة النِّداء فيه لم يأت فيه غيرها^(٥). لقد شغل النِّداء مساحة لا بأس بها في مصنفات اللُّغويين مِنْ نحويين وبلاغيين، خاصَّة الأوائل منهم أمثال: سيبويه- شيخ النُّحاة- وابن السَّراج وغيرهما، حيث أُولُوا هذا الموضوع اهتماماً كبيراً، فلم يخلُ كتاب ذو قيمة مِنَ الكلام عنه، فهو لم يكن غائباً عند طليعة النُّحاة، إلاَّ أنَّ المسائل التي تخصُّ النِّداء لاقت خلافاً واضحةً فيما بينهم، على نحو ما سيُرى، والآن تعالوا للاطلاع على تعريف النِّداء لغة واصطلاحاً.

(١) البقرة: ٣٣/٢.

(٢) البقرة: ٣٥/٢.

(٣) طه: ١١٧/ ٢٠.

(٤) طه: ١٢٠/ ٢٠.

(٥) انظر: النِّداء في القرآن الكريم، مبارك تريكي، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر، ١٤٣١هـ. رسالة لنيل درجة الدكتوراه، ص ١٢٨، ١٣٣.

(٦) انظر: الأشباه والنظائر في النَّحو، أبو الفضل جلال الدِّين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج ٢، ص ١٣٠.

– النداء: لغة واصطلاحاً

أولاً: النداء لغة:

يمكن التعرف على مفهوم النداء لغةً مِنْ خلال استعراض أقوال اللغويين، يقول الجوهري: "النداء: الصّوت، وقد يُضْمُّ مثل: الدُّعاء والرُّغاء، وناداه مناداة ونداء؛ أي: صاح به... وتنادوا؛ أي: نادى بعضهم بعضاً"^(١)، وجاء في (لسان العرب): "والنداء والنداء: الصّوت، مثل: الدُّعاء والرُّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء؛ أي: صاح به، وأندى الرجل إذا حَسَنَ صوته... والندى: بُد الصوت، ورجل ندى الصّوت: بَعِيْدهُ، والإنداء بُعْدُ مَدَى الصّوت، وندى الصّوت بُعْدُ مَذْهبه، والنداء ممدود: الدُّعاء بأرفع الصّوت وقد نادَيْته نداءً، وفلان أندى صوتاً مِنْ فلان؛ أي: أبعْدُ مَذْهباً وأرفع صوتاً"^(٢)، وهو بكسر النُّون وضمِّها، وهو في اللُّغة الدُّعاء لعاقِل وغيره"^(٣). كما يَنْضَح مِنْ التّعريفات السَّابِقة فإنَّ في كلمة (النداء) لغات: أشهرها المدُّ مع كسر النُّون، ويجوز فيها القصر أيضاً، وقد ورد السَّماع بضمِّ النُّون مع المدِّ أو القصر أيضاً، وهي مصدر قياسيٌّ للفعل: (نادى)، والهمزة آخر الكلمة أصلها الواو. هذا وقد مرَّ لفظ (نداء) في (الأصمعيّات) في موضع واحد فقط، وهو قول بِشْر بن سَوَادَةَ^(٤): (الكامل)

لَمَّا سَمِعْتُ نِدَاءَ مَرَّةٍ قَدْ عَلَا
وَأَبْنَى رِبِيْعَةً فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ^(٥)

ثانياً: النداء اصطلاحاً:

عرّفه ابن يعيش بقوله: "تنبيهه المخاطب وحمله على الالتفات والاستجابة"^(٦)، وعرّف ابن الحاجب (المنادى) بقوله: "المنادى هو المطلوب إقباله بحرف نائب مناب أَدْعُو، لفظاً أو تقديراً"^(٧). وفي المساعد: النداء: "الدُّعاء بـ(يا) وأخواتها"^(٨)، وعرّفه السُّيوطيُّ بقوله: "هو طلب إقبال المدعوّ"

(١) انظر: الصّاح : ٢٥٥/٧.

(٢) لسان العرب: ٤٣٨٨/٦ (ندي).

(٣) المساعد: ٢٤٠/٢.

(٤) بِشْر بن سَوَادَةَ، وهو أخو بني مالك بن بكر، مِنْ تغلب، وفي (الاختيارين): بشر بن سلوة، وهي أمّه، وأبوه أسر في يوم ذي قار. انظر: الأصمعيّات: ٩٢، والاختيارين: ١٨٤، والعقد الفريد: ٢٦٥/٥، والمؤتلف: ٧٧.

(٥) الأصمعيّات: ص ٩٤، رقم ٦.

(٦) شرح المفصل لابن يعيش: ١٢٠/٨.

(٧) شرح الرُّضِيّ على الكافية: ٣٤٤/١.

(٨) المساعد لابن عقيل: ٤٨٠/٢.

على الدّاعي بحرف نائب مناب (أدعو)^(١).

وعرّفه صاحب (النحو الوافي): "توجيه الدّعوة إلى المخاطب، وتبنيه للإصغاء، وسماع ما يريد المتكلّم"^(٢).

ويمكن استخلاص تعريف للنداء بالاعتماد على التّعريفات المذكورة، فالنداء: توجيه المتكلم دعوة للمخاطب؛ بهدف تبنيه للاستماع لما يُلقى على مسامعه، باستخدام أداة نداء مناسبة.

(١) الإتيان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق:

مركز الدّراسات القرآنيّة، مجمع الملك فهد، السّعوديّة، ط١، (د.ت)، ج٥، ص١٧١٨.

(٢) النحو الوافي: ١/٤.

المبحث الأول

المبحث الأول: أنواع النداء وأحكامه

المطلب الأول: أحرف النداء ومعانيها

اختلف النحاة في عدد أحرف النداء، وفي تصنيفها لنداء القريب أو لنداء البعيد أو كون بعضها مشتركاً لنداء القريب والبعيد معاً، كل حسب فهمه لدلالة هذه الأحرف، ومن ذلك ما نقله ابن منظور عن ابن كيسان قوله: "في حروف النداء ثمانية أوجه: يا زَيْدُ، ووازيْدُ، وأزيْدُ، وأيا زَيْدُ، وهيا زَيْدُ، وأي زَيْدُ، وآي زَيْدُ، وآزيْدُ"^(١).

وذكر الزمخشري ست أدوات وهي: يا، وأيا، وهيا، وأي، والهمزة، ووا، فالثلاثة الأول لنداء البعيد أو مَنْ هو بمنزلته مَنْ نائم أو ساهٍ، فإذا نُودي بها مَنْ عداهم فلحرص المنادي على إقبال المدعو عليه ومفاطنته لما يدعوه له، و(أي) والهمزة للقريب، و(وا) للندبة خاصة^(٢). وجاء في (ارتشاف الضرب) عند ذكر حروف النداء: "مذهب الجمهور أنها حروف، وذهب بعض النحاة إلى أنها أسماء أفعال تتحمل ضميراً مستكناً فيها"^(٣).

يقول ابن عقيل: "ولا يخلو المنادي مَنْ أَنْ يكون مندوباً أو غيره، فإن كان غير مندوب: فإمّا أَنْ يكون بعيداً، أو في حكم البعيد - كالنائم والساهي - أو قريباً، فإن كان بعيداً أو في حكمه، فله مِنْ حروف النداء: (يا، وأي، وآ، وهيا)، وإن كان قريباً فله الهمزة، نحو: (أزيدُ أقبِلْ)، وإن كان مندوباً - وهو المتوجّع عليه أو المتوجّع منه - فله (وا)، نحو: (وازيده)، (وواظهره) و(يا) أيضاً عند عدم التباسه بغير المندوب، فإن التبس تعيّن (وا) وامتعت (يا)"^(٤).

وقال ابن الحاجب: "حروف النداء: (يا) أعمّها، و(أيا وهيا) للبعيد، و(أي والهمزة) للقريب"^(٥). وعلّق الرضي على هذا القول شارحاً: وقد تنوب (وا) مناب (يا) في النداء، والمشهور استعمالها في الندبة، وقد جاء (آ) بهمزة بعدها ألف، و(أي) بهمزة بعدها ألف، بعدها ياء ساكنة، فيا: أعمّها؛ أي: يُنادى بها القريب والبعيد^(٦).

(١) لسان العرب: ٦: ١٩٧٦ (يا).

(٢) انظر: المفصل: ٤١٣/١.

(٣) ارتشاف الضرب: ٢١٧٩/٥.

(٤) شرح ابن عقيل: ٢٥٥/٣ - ٢٥٦.

(٥) شرح الرضي على الكافية: ٤٢٥/٤.

(٦) انظر: نفسه: ٤٢٥/٤.

الآن وبعد أن عُرض بعضُ من أقوال النُّحاة في أحرف النِّداء بشيء من الإيجاز، تعالوا لاستعراض هذه الأدوات بشيء من التفصيل، واحدةً تلو الأخرى.

الحرف الأول: (يا)

ذكر السُّيوطيُّ أنَّ ابن مالك في (شرح التَّسهيل) ادَّعى أنَّ النِّداء بحرف النِّداء (يا) قليل في كلام العرب، وردَّ عليه قوله بدليلٍ ماديٍّ محسوس، وهو أنَّه وقف لذلك على أكثر من ثلاثمائة شاهد وأفردها بتأليف^(١).

واختلفت النُّحاة حول (يا)، أهى للقريب أم للبعيد؟ أم هي للقريب والبعيد معاً، ومن خلال استعراض أقوال العلماء حول هذه المسألة يتبيَّن أنَّ آراءهم انحصرت في ثلاثة أقوال:

١- لنداء القريب، نسب السُّيوطيُّ هذا الرَّأي لابن الخبَّاز^(٢) الذي نقله بدوره عن شيخه، حيث اعتبرها لنداء القريب، ويعلِّق السُّيوطيُّ على هذا الرَّأي بقوله: "وهو خرق لإجماعهم"^(٣).
٢- لنداء البعيد، وهذا الرَّأي منسوب لمجموعة من النُّحاة المتأخرين ومنهم الرَّمخشري، يقول: "حروف النِّداء: (يا، وأيا، وهيا، وأي، والهمزة، ووا)، فالثلاثة الأول لنداء البعيد، أو مَنْ هو بمنزلته من نائم أو ساه"^(٤).

٣- لنداء القريب أو البعيد، ذكره أبو حيان الأندلسي^(٥)، يقول ابن هشام: "(يا) حرف لنداء البعيد حقيقة أو حكماً، وقد يُنادى بها القريب توكيداً"^(٦)، ويقول سيوييه: "فأما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء: ب(يا، وأيا، وهيا، وأي، وبالآلف)، نحو قولك: أحرار بن عمرو، إلا أنَّ الأربعة غير الآلف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدُّوا أصواتهم للشَّيء المترخي عنهم، والإنسان المعرض عنهم... وقد يستعملون هذه التي للمدِّ في موضع الآلف ولا يستعملون الآلف في هذه المواضع التي يمدُّون فيها"^(٧). وذكر المبرِّد هذه الأحرف التي يُنبه بها المدعو وهي: يا، وأيا، وهيا، وأي، وألف الاستفهام، وقال معلِّقاً عليها: فهذه الحروف سوى الآلف تكون لمدِّ الصَّوت"^(٨).

(١) انظر: همع الهوامع: ٢٦/٢.

(٢) ابن الخبَّاز: هو أحمد بن الحسين الأربلي، أبو عبد الله، شمس الدِّين: نحويٌّ ضرير، وكان أستاذًا بارعاً، وعلاماً زمانه في النُّحو واللُّغة والفقه والعروض والفرائض، له تصانيف، منها: الغرّة المخفية في شرح الدُّرة الألفية، وله شعر، تُوفي سنة سبع وثلاثين وستمائة للهجرة. انظر: بغية الوعاة: ٣٠٤/١، والأعلام: ١١٧/١.

(٣) انظر: همع الهوامع: ٢٧/٢.

(٤) المفصل: ٤١٣/١.

(٥) انظر: ارتشاف الضُّرب: ٢١٧٩/٥.

(٦) مغني اللبيب: ٤٤٧/٤.

(٧) انظر: الكتاب: ٢٢٩/٢-٢٣٠.

(٨) المقتضب: ٢٣٣/٤.

ونعتها صاحب (الجنى الداني) بحروف التنبية، يقول عنها: "حروف تنبيهه، وهي قسمان: الأول: أن تكون لتنبية المنادى، نحو: يا زيد، فهي في هذا حرف نداء، وهي أمّ باب النداء؛ فلذلك دخلت في جميع أبوابه، وانفردت بباب الاستغاثة، وشاركت (وا) في باب الندبة، وهي لنداء البعيد مسافة أو حكماً، وقد يُنادى بها القريب، توكيداً. والثاني: أن تكون لمجرد التنبية، لا للنداء"^(١). ويقول السيبوي: "(يا) هي أصل حروف النداء؛ ولهذا كانت أكثر أحرفه استعمالاً، ولا يُقدّر عند الحذف سواها، ولا ينادى اسم الله - عزّ وجلّ - واسم المستغاث وأيتها وإيتها إلاّ بها أو ب(وا)"^(٢).

ونقل السيبوي عن ابن أياز^(٣): "قال النحاة: (يا) أمّ الباب، ولها خمسة أوجه من التصرف: أولها: نداء القريب والبعيد بها، وثانيها: وقوعها في باب الاستغاثة دون غيرها، وثالثها: وقوعها في باب الندبة، ورابعها: دخولها على أي، وخامسها: أن القرآن المجيد مع كثرة النداء فيه لم يأت فيه غيرها"^(٤).

وقد ورد النداء في (الأصمعيّات) باستخدام حرف النداء (يا)، ومن الملاحظ هنا أنّ حرف النداء (يا) هو أكثر أدوات النداء استخداماً، حيث دخلت على المنادى بجميع أقسامه، فاستخدمت في حوالي ثلاثين موضعاً، وقد استعملت (يا) في أبيات شعريّة لنداء القريب، كما استعملت لنداء البعيد في أبيات أخرى، ولا يسعنا سوى سياق الحال للتفريق بين مواضع استخدامها للقريب أو للبعيد، وإن كان ذلك ليس من السهولة بمكان.

وسأكتفي بذكر مثال على كلّ؛ ذلك لأنّ الخوض في معرفة (يا) أهى للقريب أم للبعيد لا يعود على البحث بكبير فائدة، ومن الأمثلة على ورود (يا) لنداء البعيد قول: خُفَافَ بنِ نُذْبَةَ: (الكامل)

فَلَيْنُ صَرَمَتِ الْحَبْلِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَالرَّأْيُ فِيهِ مُخْطِئٌ وَمُصِيبٌ^(٥)

فهو ينادي محبوبته (ابنة مالك) مستخدماً حرف النداء (يا) التي للبعيد، فهي ليست قريبة منه، وبيّن مدى صبره على جفائها بسبب قطعها حبل الوصال. هذا وسيتمّ عرض باقي الأبيات التي استخدمت فيها أداة النداء (يا) خلال التمثيل على ما يخصّ النداء من أحكام، كلّ في موضعه، وأمّا (يا) التي لنداء القريب، فتتملّ في قول الشاعر نفسه: (السريع)

(١) انظر: الجنى الداني: ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٢) الأشباه والنظائر: ١٣٠/٢.

(٣) ابن أياز: حسين بن بدر بن أياز بن عبد الله، أبو محمد، جمال الدين البغدادي: عالم بالنحو، من أهل بغداد، وليّ مشيخة النحو بالمستنصرية، توفي سنة إحدى وثمانين وسثمائة للهجرة. انظر: الأعلام: ٢٣٤/٢.

(٤) الأشباه والنظائر في النحو: ١٣٠/٢.

(٥) الأصمعيّات: ص ٣٢، رقم ٣.

يَا هِنْدُ يَا أُخْتَ بَنِي الصَّارِدِ مَا أَنَا بِالْبَاقِي وَلَا الْخَالِدِ^(١)

ففي هذا البيت ينادي زوجه (هند) ليخبرها بأنه زهد في متع الحياة ومآربها، وهي معه في البيت، فهي قريبة منه، وكرّر النداء للتأكيد على الحقيقة التي يريد إيصالها إليها. ومن الملاحظ أنّ المنادى الأوّل (يا هند) جاء علماً مبنياً على الضمّ في محل نصب، والآخر (يا أخت) جاء منصوباً؛ لأنّه مضاف، وهناك علة أخرى لنصبه وهي أنّه من التّوابع، فهو بدل كلّ من كلّ من المنادى الأوّل، فهند هي أخت بني الصّارِد؛ لذلك يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر بالحذف.

يقول ابن عقيل في شرحه: "إذا كان تابع المنادى المضموم مضافاً غير مصاحب للألف واللام وجب نصبه، نحو: (يا زيدُ صاحبَ عمرو)"^(٢). ويقول السيوطي: "وإن كررت المضاف وحده، نحو: (يا تيم تيم عدي) فلك أن تضمّ الأوّل على أنّه منادى مفرد، وتتصب الثّاني على أنّه منادى مضاف مستأنف، أو منصوب بإضمار أعني، أو على أنّه عطف بيان أو بدل، وزاد ابن مالك أو على أنّه توكيد"^(٣).

الحرف الثّاني: وا

(وا) حرف نداء مختص بباب النُّدبة^(٤)، والنُّدبة: مصدر، ندب الميّت إذا تفجّع عليه، وألحق به الغائب، والمندوب نوع من المنادى، والنُّدبة: إعلان المتفجّع من فقدته لموت أو غيبته، ولها (وا) و(يا) مع الأمن، وللمندوب حكم النّداء^(٥)، فلا يُنادى به إلّا المندوب، نحو: وازيداه، وهذا مذهب سيبويه، وجمهور النّحويّين، وذهب بعض النّحويّين إلى أنّ (وا) يجوز أن يُنادى بها غير المندوب، فيقال: "وازيد أقبيل"، وكقول عمر بن الخطّاب لعمر بن العاص - رضي الله عنهما: (واعجبا لك يا بن العاص)^(٦). واختلّف في واوها، قيل: هي بدل من (يا)، وإنّما وُضِعَتْ بالواو؛ لأنّ الواو أحد حروف التّأوّه، وقيل: هي أصل بنفسها - وهو الصّحيح - إذ لو كانت بدلاً من الياء لاستعملت في غير هذا الباب في الاستغاثة^(٧).

(١) نفسه: ص ٣٤، رقم ١، بنو الصّارِد: حيّ من بني مرّة من عطفان.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢٦٦/٣.

(٣) انظر: همع الهوامع: ٤٣/٢.

(٤) رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، (ت: ٧٠٢هـ)، تحقيق: أحمد محمّد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٢٣هـ، ص ٥٠٣.

(٥) انظر: همع الهوامع: ٥٠/٢.

(٦) انظر: الجنى الدّاني: ٣٥١.

(٧) رصف المباني: ٥٠٣.

الحرف الثالث: (أ) الهمزة:

يقول المرادي: "وأما همزة النداء فهي حرف مختص بالاسم، كسائر أحرف النداء، ولا يُنادى بها إلا القريب مسافة وحكما"^(١)، ويقول ابن هشام عنها: "الألف المفردة تأتي علي وجهين: أحدهما: أن تكون حرفاً يُنادى به القريب... والثاني: أن تكون للاستفهام وحقيقته طلب الفهم نحو: أزيد قائم؟"^(٢).

ونقل السيوطي عن ابن الخباز عن شيخه أن الهمزة للمتوسط، وأن الذي للقريب (يا)، يقول السيوطي: "وحروف النداء ثمانية: أحدها الهمزة، والجمهور على أنها للقريب... وزعم شيخ ابن الخباز أنها للمتوسط"^(٣). ووضح أن هذا الرأي مخالف لرأي جمهور النحاة، يقول ابن هشام في (المغني) معلقاً على رأي شيخ ابن الخباز: "وهو خرق لإجماعهم"^(٤).

الخلاصة في هذه المسألة تجدها عند ابن مالك الذي يقول: "وكون الهمزة للقريب، وما سواها للبعيد هو الصحيح"، وهو يعتمد في رأيه هذا على ما ذكره سيبويه الذي أخبر بذلك رواية عن العرب^(٥).

هذا ووقف في ديوان (الأصمعيّات) على خمسة أبيات^(٦) للنداء بالهمزة المفردة، أربعة منها للنداء على وجه الحقيقة، والخامس للنداء على وجه المجاز، منها قول سوار بن المضرب: (الوافر)

أَعَادِلْتِي فِي سَلْمِي دَعَائِي فَبَائِي لَا أَطَاوِعُ مَنْ نَهَانِي^(٧)

وقوله: أَعَادِلْتِي: الهمزة فيه لنداء القريب، والقرب يُعَلَّمُ بالقرينة الدالة عليه، أو مِنْ كَوْنِ الكلام في سياق العتاب، والعتاب غالباً ما يكون عن قرب، ومنه قول الأجدع بن مالك الهمداني: (الكامل)

أَبْنِي الْحُصَيْنِ أَلَمْ يَحْنِكُمْ بَغْيِكُمْ أَهْلَ اللّوَاءِ وَسَادَةَ الْمِرْبَاعِ^(٨)

وقوله أيضاً في القصيدة نفسها:

(١) انظر: الجنى الداني: ٣٥.

(٢) مغني اللبيب: ٦٩/١-٧٠.

(٣) همع الوامع: ٢٦/٢.

(٤) مغني اللبيب: ٦٩/١.

(٥) انظر: شرح التسهيل: ٣٨٤/٣.

(٦) انظر الموضوع الخامس: ص ٢٤٤، رقم ٤.

(٧) الأصمعيّات: ٢٤٠، رقم ٢١ (الزيادات من الكتابين)، العاذلة: اللاتمة.

(٨) نفسه: ص ٨٢، رقم ٢٢.

أَبْتِي مُنْسَفَةٌ اسْتَهَا لَا تَأْمَنُوا حَرْبًا تَقْضُ مَضَاجِعَ الْهَجَاعِ^(١)

فالشاعر يناديهم بعد أن غزاهم وقتل منهم أربعة، فهو قريب منهم؛ لأنه يتواجد في ديارهم، ومن صور النداء المجازي التي وردت في ديوان (الأصمعيّات) قول: مُهْلَهْلُ بن ربيعة: (الوافر)

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْبِرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي^(٢)

فهو ينادي تلك الليلة التي قُتل فيها أخوه أن تتجلي بصبح، وهذا أمر غرضه التمني؛ لأنه يطلب المستحيل، ويخاطب غير العاقل.

الحرف الرَّابِع : أَيَا

حرف من حروف النداء المتفق عليها، وهي للبعيد^(٣)، يقول صاحب^(٤) (رصف المباني):

"ولا يجوز حذفها وإبقاء المنادى، وإذا وجدنا (منادى) دون حرف نداء حكمنا بالحذف لـ(يا)؛ لأنها أم

الباب"^(٥)، ومن أمثلته في ديوان (الأصمعيّات) - المثال الوحيد - قول دُرَيْد بن الصَّمَّة: (الطويل)

أَيَا رَاكِبًا^(٦) إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغْنِي أَبَا غَالِبٍ أَنْ قَدْ تَأَزَّنَا بِغَالِبٍ^(٧)

الحرف الخامس: هَيَا

جاء في (الصَّحاح): " (هَيَا) مِنْ حُرُوفِ النَّدَاءِ، وَأَصْلُهَا أَيَا، مِثْلُ هِرَاقٍ وَأَرَاقٍ"^(٨)، وجاء في

كتاب (رصف المباني): " (هَيَا) حرف تنبيه، وتكون للنداء، كقولك: هَيَا زَيْدُ، وهي للبعيد مسافة

(١) نفسه: ص ٨٣، رقم ٢٨، منسفة: اسم فاعل من الرباعي، وانتسف الشيء: اقتلعه. والإست: المؤخرة، قال الأصمعي: عساها إستها؛ أي: تحرك حمارها الذي تركبه بإستها. انظر: لسان العرب: ٤٤١١/٦ (نسف)، و ١٧٧/١.

(٢) نفسه: ص ١٧١، رقم ١، قال أبو علي: ذي حُسْم: موضع، وتحوري: ترجعي، يُقال: "ماله لا حار إلى أهله"؛ أي: لا رجع إليهم. انظر: الأمالي: ١٣٠/٢.

(٣) الجنى الداني: ٤١٩.

(٤) المالكى: هو أحمد بن عبد النور بن أحمد أبو جعفر، جاء في (تاريخ غرناطة): كان قِيَمًا على العربية، عالمًا بالنحو، ومن أعظم مصنفاة: رصف المباني في شرح حروف المعاني. مات سنة ثنتين وسبعمئة للهجرة. انظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني ١٣ - ١٩، وبغية الوعاة: ٣٣٢/١.

(٥) رصف المباني: ٢٢٥.

(٦) في ديوان الأصمعيّات رُوي (يا راكبًا) بدون همزة، وهذا تصحيف؛ ذلك لأن البيت على البحر الطويل الذي يبدأ بـ(فعلولن) مما يدل على أن رواية البيت بـ(أيا) أقرب إلى الصواب.

(٧) الأصمعيّات: ص ١٢٥، رقم ١.

(٨) الصَّحاح: ٤١٢/٧.

وحكمًا كالتَّائِم، واختُلِفَ في هائِها، هل هي بدل مِن همزة (أَيَا)، أو هي حرف قائم بذاته؟^(١)، والأكثرُونَ على أَنَّها بدل مِن الهمزة؛ لكثرة بدل الهاء مِن الهمزة^(٢). وهذا الحرف مِن أحرف النَّداء لم أقف له على أمثلة في ديوان (الأصمعيَّات).

الحرف السادس: أَي

حرف نداء، كقولك: أَي زيدُ، وفي الحديث: أَي ربِّي^(٣)، وهي لنداء البعيد، وقال بعضهم يجوز مدّها (أَي) إذا بَعُدَت المسافة، فيكون المدُّ فيها دليلًا على البعد^(٤)، حكاه الكسائيُّ، وقيل للقريب وقيل للمتوسط، فهي في المنزلة الوسطى مِن الهمزة و(أَيَا)^(٥). وهذا الحرف (أَي) ليس له أمثلة في (الأصمعيَّات) أيضًا.

الحرفان السَّابع والثَّامن:

(أَي) بالمدِّ والسُّكُون، و(أ) بالمدِّ، وهما للبعيد وقد حكاهما الكوفيُّون عن العرب الذين يثقون بعربيَّتهم، جاء في (شرح التَّسهيل): "ولم يذكر مع حروف النَّداء (أ) و(أَي) بالمدِّ إلا الكوفيُّون، رَوَوْها عن العرب الذين يثقون بعروبتهم، ورواية العدل مقبولة"^(٦).

وخلاصة القول في هذه المسألة - استخدام أحرف النَّداء للقريب أو للبعيد - تجده عند ابن مالك في (شرح التَّسهيل) حيث يقول: "وكون الهمزة للقريب، وما سواها للبعيد هو الصَّحيح؛ لأنَّ سيبويه أخبر بذلك رواية عن العرب، ومَنْ زعم أنَّ (أَي) كالهمزة في الاختصاص بالقرب لم يعتمد في ذلك إلا على رأيه، والرَّواية لا تُعارض بالرَّأي، وصاحب هذا الرَّأي هو المبرِّد وتبعه كثيرٌ مِنَ المتأخِّرين"^(٧). وجاء في (الجنى الدَّاني) أنَّ سيبويه ذكر روايةً عن العرب مفادها أنَّ الهمزة للقريب وما سواها للبعيد^(٨).

المطلب الثَّاني: العامل في المنادى

اختلف النَّحاة حول العامل في المنادى، جاء في (شرح ابن يعيش): "واعلم أنَّهم اختلفوا في العامل في المنادى، فذهب قوم إلى أنَّه منصوب بالفعل المحذوف لا بأحرف النَّداء، ويؤيد ابن

(١) رصف المبانى: ٤٧٢.

(٢) انظر: الجنى الدَّاني: ٥٠٧.

(٣) كنز العمال، باب: الإكمال من آخر أهل الجَنَّة دخولًا، ٢١٤/١٤ (٣٩٤٣٢)، (د: ط)، دار الكتب العلميَّة.

(٤) رصف المبانى: ٢١٣.

(٥) انظر: نفسه: ٢١٣، والجنى الدَّاني: ٢٣٣.

(٦) شرح التَّسهيل: ٣/٣٨٦، والجنى الدَّاني: ٤١٨.

(٧) شرح التَّسهيل: ٣/٣٨٦.

(٨) انظر: الجنى الدَّاني: ٢٣٢.

يعيش هذا الرأي، ويرفض أن تكون أحرف النداء عاملة في المنادى، ويعتبرها أحرف تنبيه للمدعو، وهي غير مختصة؛ أي: تدخل على الجملة الاسمية كما تدخل على الجملة الفعلية^(١).

وفصل ابن عقيل بقوله: "لأنَّ المنادى مفعول به في المعنى وناصبه فعل مضمر نابت (يا) منابه"^(٢)، وذكر ابن يعيش رأي مَنْ أسماهم بـ(الأكثرين) الذين ذهبوا إلى أنَّ هذه الأحرف هي العاملة بنفسها دون الفعل المحذوف؛ لنيابتها عن الفعل الذي هو أنادي أو أدعو^(٣).

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): "ذهب بعضهم إلى أنَّ أحرف النداء أسماء أفعال بمعنى (أدعو) ك(أف) بمعنى: أتضجر، وليس ثمة فعل مقدر"^(٤).

وجاء في (الجنى الداني): "ذهب بعض النحويين إلى أنَّ (يا) وأخواتها التي يُنادى بها أسماء أفعال، تتحمل ضميرًا مستكنًا فيها، وتُقل هذا عن الكوفيين"^(٥).

ويقول سيبويه: "علم أنَّ النداء، كلُّ اسمٍ مضاف فيه فهو نصبٌ على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفردُ رفعٌ وهو في موضع اسمٍ منصوب"^(٦).

وعقد ابن يعيش في (شرح المفصل) بابًا للمنادي سمَّاه (المنصوب باللائم إضماره)، وأنَّ المنادى عند البصريين هو أحد المفعولات^(٧).

واعتبر المبرد أنَّ حرف النداء الذي ناب مناب الفعل (أدعو) هو العامل، وممَّا يدلُّ على ذلك قوله: "علم أنَّك إذا دعوت مضافًا نصبتَه، وانتصابه على الفعل المتروك إظهاره؛ وذلك قولك: يا عبد الله؛ لأنَّ (يا) بدل من قولك: أدعو عبد الله"^(٨).

وأوضح ابن مالك أسباب إضمار فعل النداء وعدم الجمع بينه وبين حرف النداء بقوله: "وناصبه (أنادي) لازم الإضمار؛ لظهور معناه مع كثرة الاستعمال وقصد الإنشاء؛ ولجعل العرب أحد الحروف المذكورة كالعوض منه، وكلُّ واحدٍ من هذه الأسباب كافٍ في إيجاد لزوم الإضمار"^(٩).

(١) انظر: شرح المفصل: ١٢٠/٨.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢٥٨/٣.

(٣) انظر: شرح المفصل: ١٢١/٨.

(٤) انظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٢/٢ - ٣٣.

(٥) الجنى الداني: ٣٥٥.

(٦) الكتاب: ١٨٢/٢.

(٧) شرح ابن يعيش: ١٢٧/١.

(٨) المقتضب: ٢٠٢/٤.

(٩) شرح التسهيل: ٣٨٥/٣.

ويقول ابن منظور: " (يا) حَرْفٌ نِدَاءٌ وهي عاملةٌ في الاسم الصَّحِيح... (يا) نفسها هي العاملُ الواقعُ على زيد وحالها في ذلك حال (أَدْعُوْ وأُنَادِي) فيكون كلُّ واحد منهما هو العامل في المفعول" (١).

ويقول ابن هشام عن (يا): "وليس نصب المنادى بها ولا بأخواتها، ولا بهنَّ أسماء لـ (أدعو) محتملة لضمير الفاعل بل بـ (أدعو) محذوفًا لزومًا" (٢).

والمقصود بـ (أسماء)؛ أي: أسماء أفعال فيها ضمير مستكن، وهذا هو مذهب الكوفيِّين (٣)؛ أي: أنَّ حروف النِّداء أسماء أفعال بمعنى (أدعو)، مثل: أْف، بمعنى أتضجَّر، وذهب بعضهم إلى أنَّ النَّاصب للمنلَى معنويٌّ وهو القصد، ورُدَّ بأنَّه لم يُعْهَد في عوامل النَّصب (٤).

ومهما يكن من أمر فإنَّني أعتقد أنَّ ما ذهب إليه ابن يعيش ورفاقه من أنَّ العامل في المنادى هو الفعل المحذوف الذي يُقدَّر بـ (أدعو) أو (أنادي)، وليس أحرف النِّداء؛ ذلك أنَّ أحرف النِّداء وردت في الاستعمال العربيِّ داخلة على الأسماء، كما وردت داخلة على الأفعال؛ أي: أنَّها لا تختص لا باسم، ولا بفعل، وما كان هذا صفته فلا يصلح للعمل في غيره، وهذا التفسير هو خلاصة رأي ابن يعيش.

المطلب الثالث: أنواع المنادى وحكم كلِّ نوع، تابع المنادى وأحكامه

أولاً: أنواع المنادى وحكم كلِّ نوع

١ - المبنّي في محل نصب:

أ - العلم المفرد:

يقول سيبويه: "ورفعوا المفرد كما رفعوا قبلُ وبعدُ، وموضعها واحد، وذلك قولك: يا زيدُ، ويا عمرو، وتركوا التثوين في المفرد كما تركوه في (قبلُ)" (٥)، ويقول ابن عقيل في شرحه: "لا يخلو المنادى من أن يكون مفردًا، أو مضافًا، أو مشبّهًا به، فإن كان مفردًا: فإمّا أن يكون معرفة، أو نكرة مقصودة، أو نكرة غير مقصودة، فإن كان مفردًا - معرفة أو نكرة مقصودة - بُنِيَ على ما كان يُرفع به" (٦).

(١) لسان العرب: ٤٩٧٦/٦.

(٢) مغني اللبيب: ١٠٤/٤.

(٣) انظر: الجنى الذاني: ٣٥٥.

(٤) انظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٢/٢.

(٥) الكتاب: ١٨٣/٢.

(٦) شرح ابن عقيل: ٢٥٨/٣.

يُفهم من كلام ابن عقيل أن المنادى إن كان مرفوعاً بالضمة مثلاً بُنيَ عليها، وإن كان مرفوعاً بالألف أو بالواو بُنيَ عليها أيضاً، وهكذا دواليك، ومن أمثلة دخول (يا) على المفرد العلم؛ أي: ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف قول مُشَعَّثِ العامري^(١): (الوافر)

تَمْتَعُ يَا مُشَعَّثُ إِنَّ شَيْئًا سَبَقَتْ بِهِ الْوَفَاةُ هَوَ الْمَتَاعُ^(٢)

ومما قرره النُّحاة أن (يا) للنداء حقيقة أو حكماً، ويُلاحظ أن الشاعر هنا استخدمها لنداء القريب توكيداً، وهذا أجازته النُّحاة، يقول ابن هشام: "وقد يُنادى بها القريب توكيداً، وقيل: هي مشتركة بين القريب والبعيد، وقيل: بينهما وبين المتوسط"^(٣). والمنادى في هذه الأمثلة حقيقي؛ لأنه ينادي أشخاصاً. ووقع المنادى علماً مفرداً مع حذف حرف النداء، وذلك كما في قول عمرو بن حُنَيِّ التَّغْلِبِيِّ^(٤) يُجِيبُ طَرِيفًا الْعَنْبَرِيَّ: (الكامل)

وَلَقَدْ دَعَوْتَ طَرِيفُ دَعْوَةَ جَاهِلٍ سَفَهَا وَأَنْتَ بِمَنْظَرٍ لَوْ تَعْلَمُ^(٥)

التَّقدير: وَلَقَدْ دَعَوْتَ يَا طَرِيفُ...والبيت فيه تمثيل آخر على اجتماع القسم والشَّروط، وسيتَّم الحديث عن هذه المسألة بالتَّفصيل - بحوله تعالى - في الفصل الخامس^(٦)، والذي خُصَّصَ للشَّروط والجزاء.

أمَّا المنادى المركَّب تركيباً مزجياً مثل: سيبويه ونفطويه، أو عددياً مثل: ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، فلم أقف على أمثلة له في (الأصمعيَّات)، وكذلك المنادى المبني على الألف أو الواو لم أقف على شيء منه فيها أيضاً.

والمنادى المفرد العلم مبني على ما يُرفع به - كما هو معروف - فلا يُنَوَّن إلا في الضَّرورة الشَّعريَّة، ويعلَّل ذلك سيبويه بقوله: "فإنَّما لحقه التَّنوين كما لحق ما لا ينصرف؛ لأنَّه بمنزلة اسم لا ينصرف، وليس مثل النَّكرة؛ لأنَّ التَّنوين لازمٌ للنَّكرة على كلِّ حال"^(٧)، وهذه الصُّورة ليس لها تمثيل في (الأصمعيَّات) أيضاً.

(١) ذكره المرزبانِي في (معجم الشعراء) ص ٤٧٥ بقوله: "مُشَعَّثِ العامري، وأحسبه لقباً".

(٢) الأصمعيَّات: ص ١٦٥، رقم ٢.

(٣) مغني اللبيب: ٤٤٧/٤.

(٤) عمرو بن حُنَيِّ التَّغْلِبِيِّ، وفي الأعلام مُعرَّف باسم (جابر) بدلاً من (عمرو): شاعر فارس جاهليّ مذكور من أهل اليمن، صحب امرأ القيس حين خرج إلى القسطنطينية، تُوفي سنة ستين قبل الهجرة تقريباً. انظر:

الاختيارين: ١٩١، والسَّمط: ٨٤٢ (الهامش)، والأعلام: ١٠٣/٢.

(٥) الأصمعيَّات: ص ١٣٠، رقم ١، وفي (الاختيارين): "بمنظر: بمشع. ولو تعلم: لو كنت تعلم حالك".

(٦) انظر: ص ٣٨٢ من هذه الرسالة.

(٧) الكتاب: ٢٠٢/٢.

ب- النكرة المقصودة:

وهي النكرة التي يزول إبهامها بعد دخول حرف النداء عليها، حيث يفصّد المنادى فرداً من أفرادها، فتصبح معرفة تدلُّ على واحد بعينه، جاء في (النحو الوافي): "النكرة المقصودة: هي النكرة التي يزول إبهامها وشيوعها بسبب ندائها، مع قصد فرد من أفرادها، والاتّجاه إليه وحده بالخطاب؛ فتصير معرفة دالة على واحد معيّن بعد أن كانت تدلُّ على واحد غير معيّن، ولولا هذا النداء لبقيت على حالتها الأولى من غير تعريف"^(١).

وأمثل لها بكلمة (نار) فهي مبهمة، يصدق لفظها على كلِّ نار، ولكن الله - عزَّ وجلَّ - عندما نادى النَّار في قوله - تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) تلك النَّار التي أشعلها قوم إبراهيم - عليه السلام - لإحراقه أصبحت هذه الكلمة (نار) نكرة مقصودة، فقط بعد دخول حرف النداء عليها، ولولا النداء لبقيت على حالها قبل النداء نكرة مغرقة في العموم. فحكم هذين النوعين من المنادى، البناء على الضم، أو ما ينوب عنها في محل نصب إلا في حالة الضرورة الشعرية، فيحقُّ للشاعر ما لا يحقُّ لغيره، حيث يحقُّ له تنوين ما لا يجوز تنوينه، ويحقُّ له كذلك نصب العلم المفرد والنكرة المقصودة بدلاً من رفعهما.

كما يقول النُّحاة: فإنَّ المنادى المضموم معرفة دائماً، وممَّا يدلُّ على أنه معرفة خلوه من التثوين، يقول سيبويه: "كلُّ اسم في النداء مرفوع معرفة؛ وذلك أنه إذا قال: يا رجل، ويا فاسق، فمعناه كمعنى (يا أيُّها الفاسق)، و(يا أيُّها الرجل)... وممَّا يقوي أنه معرفة تركُّ التثوين فيه"^(٣). ويقول عباس حسن: "والنكرة المقصودة هي - في الرأى الأنسب - القسم الوحيد الذي يستفيد التعريف من النداء دون بقية أقسام المنادى"^(٤)؛ أي: أنها تكون في الأصل نكرة، ولكنها تكتسب التعريف بعد دخول أداة النداء عليها.

هذا ولم أقف على أمثلة لهذا النوع في (الأصمعيّات) على حدِّ معرفتي.

٢- المنادى المنصوب

أ- النكرة غير المقصودة:

وهي النكرة التي تبقى على شيوعها وعموميّتها وإبهامها تماماً كما كانت قبل دخول حرف النداء عليها، فلا تدلُّ على مفرد بعينه مقصوداً بالاستدعاء؛ لذلك لا يعمل النداء على إكسابها التعريف، ومثّل لها ابن عقيل بقول الأعمى: يا رجلاً خذ بيدي^(٥).

(١) انظر: النحو الوافي: ٢٥/٤.

(٢) الأنبياء: ٦٩/٢١.

(٣) الكتاب: انظر: ١٩٧/٢ - ١٩٩.

(٤) النحو الوافي: ٣١/٤.

(٥) انظر: شرح ابن عقيل: ٢٦٠/٣.

والمنادى النكرة غير المقصودة منصوب هنا، ورد في (الكتاب): "وقال الخليل - رحمه الله: إذا أردت النكرة فوصفت أو لم تصف فهذه منصوبة؛ لأنَّ التَّنوين لحقها فطالت، فجعلت بمنزلة المضاف لما طال نُصب ورُدَّ إلى الأصل، كما فعل ذلك بـ(قبلُ) و(بعدُ)"^(١).
وقد ورد هذا النوع من أنواع المنادى في ديوان (الأصمعيّات) في موضع واحد فقط فيما علمت، وهو قول دُرَيْد بن الصَّمَّة: (الطَّويل)

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغْنِ أَبَا غَالِبٍ أَنْ قَدْ تَأَزَّنَا بِغَالِبٍ^(٢)

هنا نصب (راكبًا)؛ لأنَّه منادى نكرة غير مقصودة، إذ لم يقصد راكبًا بعينه، إنَّما أراد راكبًا من الرُّكبان؛ ليلبغ خبره، ولو أراد راكبًا بعينه لبناه على الضَّمِّ، وإنَّما قال هذا؛ لأنَّه كان أسيرًا. وكما هو واضح فإنَّ الفرق بين النكرة المقصودة والنكرة غير المقصودة يتمثل في أنَّ المنادى في الأولى معروف بعينه؛ وفي الأخرى مجهول، يصدق على كلِّ منادى من النوع المذكور.

ب- المضاف

يقول سيبويه: "اعلم أنَّ النِّداء كلُّ اسم مضاف فيه فهو نصب"^(٣)، بشرط أن تكون الإضافة لغير ضمير المخاطب، فلا يصحُّ أن يُقال: يا خادمك.
وورد هذا النوع في (الأصمعيّات) واتَّخذ صيغًا منها: يا ابنة مالك، ويا أمَّ مالك، ويا ابنة منذر... ومنه قول عُرْوَةَ بن الوَرْد: (الطَّويل)

أَقْلِي عَلِيَّ اللَّوْمِ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ وَنَامِي فَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي^(٤)

الإضافة كما يقول ابن السَّرَّاج نوعان: الأولى: محضة: (وهي إضافة الاسم إلى الاسم)، والثَّانية غير محضة: (وهي إضافة أحد المشتقَّات إلى الاسم)^(٥). وورد النِّداء بالإضافة المحضة في (الأصمعيّات)، منه - على سبيل المثال - قول مَقَّاس العائديّ يتوعَّد امرأ القَيْسِ الكَلْبِيّ: (الطَّويل)

أَوْلَى فَأَوْلَى يَأْمُرُ الْقَيْسِ بَعْدَ مَا خَصَفْنَ بِأَثَارِ الْمَطِيِّ الْحَوَافِرِ^(٦)

والمنادى هنا مركَّب تركيبًا إضافيًا؛ أي: يوجد عندنا عَلْمَان، أُضيف الثَّاني إلى الأوَّل.

(١) الكتاب: ١٩٩/٢.

(٢) الأصمعيّات: ص ١٢٥، رقم ١.

(٣) الكتاب: ١٨٢/٢.

(٤) الأصمعيّات: ص ٤٧، رقم ١، ابنة منذر: امرأته.

(٥) انظر: الأصول في النُّحو: ٥/٢ - ٨.

(٦) الأصمعيّات: ص ٦٦، رقم ١، أولى فأولى: يتوعَّد. وخصفن: تبعث الخيل الإبل.

ووقع المنادى مضافاً مع حذف حرف النداء، وذلك كما في قول أبي ذؤاد الإيادي: (الخفيف)

غَيْرَ ذَنْبٍ بَنِي كِنَانَةَ إِنِّي إِن أَفَارِقُ فَأَيْنِي مَجْدَامٌ^(١)

التقدير: يا بني كِنَانَةَ، وأمّا الحديث عن الإضافة المحضة، فيندرج تحت ما يُعرف باسم المنادى الشبيه بالمضاف الذي سننتقل إليه في الحال.
ت- الشبيه بالمضاف:

هو المنادى الذي اتصل به معمول يتّم معناه، والمعمول قد يكون مرفوعاً، أو منصوباً، أو مجروراً، ومن أمثلة المعمول المنصوب في (الأصمعيّات) قول: سُعدى بنت الشّمردل الجُهنيّة ترثي أخاها: (الكامل)

يَا مُطْعِمَ الرِّكْبِ الجِيَاعِ إِذَا هُمْ حثُّوا المَطِيَّ إِلَى العَلَى وَتَسْرَعُوا^(٢)

فالركب: مفعول به لاسم الفاعل (مُطْعِم)، فهو من قبيل الشبيه بالمضاف، ولكنّ (الركب)، و(الجياع) جاءتا مجرورتين في (الأصمعيّات) بالكسرة، وعلى هذا فإنّ المنادى يعتبر حينها من المضاف، وليس من نوع الشبيه بالمضاف، وكما لوحظ أنّ حكم الأنواع الثلاثة الأخيرة من المنادى، هو وجوب النصب بالفتحة أو ما ينوب عنها.

ثانياً: تابع المنادى وأحكامه:

تحدّث النحاة قديمهم ومحدثهم عن هذه المسألة وفصلوا القول فيها، لدرجة أنّ كتب النحو تعجّ بالمعلومات حولها، ولا بدّ من الإشارة إلى أهمّ ما تضمّنته هذه الكتب ولو بشيء من المختصر المفيد.

أحكام تابع المنادى:

١- إذا كان المنادى مفرداً، وتابعه مفرداً، ولا يشتمل على (أيها) أو (أيتها) جاز رفعه على اللفظ ونصبه على المحلّ، نحو: يا غلامُ محمّدٌ ومحمّدًا.
سأل سيبويه الخليل- رحمه الله- عن: يا زيدُ نفسه، ويا تميمُ كلّكم، ويا قيسُ كلّهم، فقال: هذا كلّه نصبٌ، كقولك: يا زيدُ ذا الجُمّة، وأمّا (يا تميمُ أجمعون) فأنت فيه بالخيار، إن شئت قلت أجمعون، وإن شئت قلت أجمعين^(٣).

(١) نفسه: ص ٢٠٦، رقم ١٤ (الزيادات من الكتابين)، مجدام: قاطع ماضٍ.

(٢) نفسه: ص ١١٦، رقم ٢٠، الركب: الجماعة الرّاكبون. وحثُّوا: أهاجوا وأثاروا. والمطيّ: الإبل التي تُمتطي.

(٣) الكتاب: ١٨٤/٢.

٢- وأما إذا كان تابع المنادى معرفًا بالألف واللام، والمنادى (أيها، أو أيُّها)، وجب رفعه، ومنه قوله - تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ...﴾^(١). ومنه أيضًا قوله - تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٢)، فالتابع في الآيتين اسم جنس، فإن كان مشتقًا فهو نعت، وإن كان جامدًا فهو نعت أو عطف بيان. وتمثلت هذه الصُّورة في (الأصمعيّات) في موضعين^(٣)، أمثل بأحدهما، وهو قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البسيط)

يَا أَيُّهَا الْمَوْعِدِيُّ إِنِّي بِمَنْزِلَةٍ تَغْيِي عَلَيْكَ وَتَلْقَى دُونَهَا رَبِّيَا^(٤)

يقول صاحب (الأزهيّة): "وتكون (أي) نداء، كقولك: (يا أيُّها الرَّجُلُ) أقبل، فقولك: (يا) حرف النداء و (أيُّ) منادى مفرد؛ فلذلك رفعته بلا تنوين، و (ها) للتنبية، وهو حرف بُني مع (أيُّ) في النداء لا يفارقه، والرَّجُلُ نعت لـ(أيُّ)، ولا بدّ لـ(أيُّ) ها هنا من النّعت لإبهامه، وإلا لم يُعلم"^(٥). كما يجب رفع تابع اسم الإشارة، المعرّف بـ(أل)؛ لأنّه مبهم مثل (أيُّ) تمامًا، مثل: يا هذا المجاهد تقدّم، وهنا لا يجوز البدل. ويقول سيبويه: "واعلم أنّ الأسماء المبهمة التي تُوصف بالأسماء التي فيها الألف واللام تُنزل بمنزلة (أيُّ) وهي: هذا، وهؤلاء، وأولئك، وما أشبهها... فالأسماء المبهمة توصف بالألف واللام ليس إلا، ويُفسر بها، ولا تُوصف بما يُوصف به غير المبهمة، ولا تفسر بما يفسر به غيرها إلا عطفًا"^(٦).

خلاصة القول في هذه المسألة: أنّه يمكن التّوصل إلى نداء المعرّف بأل، وذلك باستخدام (أيُّ) أو اسم الإشارة، وهنا يتعيّن الرّفْع، نقول: يا أيُّها الرَّجُلُ، ويا هذا الرَّجُلُ، كما أنّه يصحُّ أن يُنادى اسم الإشارة بمفرده أو بتابع بعده، فنقول: يا هذا الرَّجُلُ، ولا يجوز نداء (أيُّ) بمفردها.

٣- وإذا كان المنادى منصوبًا، فإنّه يجب نصب تابعه، وذلك كقولك: يا عبدَ الرَّحْمَنِ الشُّجَاعِ، ويا طالبًا مجتهدًا، ويا شيخنا صاحبَ الوقارِ، ويا عبدَ الرَّحْمَنِ ومحمدًا، ويا معلّمنا خالدًا، ويا أخانا الحسنَ، يقول سيبويه: "أرأيت قول العرب: يا أخانا زيدًا أقبل؟ قال: عطفوه على هذا المنصوب فصار نصبًا مثله، وهو الأصل؛ لأنّه منصوب في موضع نصبٍ، وقال قوم: يا أخانا زيدٌ"^(٧).

(١) الحجّ: ١/٢٢.

(٢) الفجر: ٢٧:٨٩.

(٣) انظر الموضع الآخر: ص ٥٨، رقم ٨.

(٤) الأصمعيّات: ص ٦١، رقم ٣١، تعيا؛ أي: تتعب دون الوصول إليها.

(٥) الأزهيّة في علم الحروف: ١٠٧.

(٦) الكتاب: ١٨٩/٢-١٩٠.

(٧) نفسه: ١٨٤/٢-١٨٥.

٤- ويجب نصب تابع المنادى إذا كان مضافاً، مجرداً مِنْ (أل)، أو شبيهاً بالمضاف، ومثاله قولنا: يا سعيدُ معلِّمنا، ويا محمَّدُ وعبد الرَّحمن، ويا عائشةُ بنتَ أبي بكر. جاء في (الكتاب): "وتقول: يا أيُّها الرَّجلُ وزيدُ، ويا أيُّها الرَّجلُ وعبدَ الله؛ لأنَّ هذا محمول على (يا)...وتقول يا هذا ذا الجمَّة، كقولك: يا زيدُ ذا الجمَّة، ليس بين أحدٍ فيه اختلاف"^(١). هذا وقد ورد في (الأصمعيَّات) المنادى اسم علم مثلواً بالمنادى المضاف مرَّةً واحدة، هي قول خُفَّافِ بنِ ثُدْبَةَ: (الكامل)

يَا هِنْدُ يَا أُخْتِ بَنِي الصَّارِدِ مَا أَنَا بِالْبَاقِي وَلَا الْخَالِدِ^(٢)

هنا نصب تابع المنادى، وحمله على مثل ما حمل عليه الأوَّل، حيثُ كرَّر حرف النِّداء، وهذا البيت يذكِّرنا بمسألة أُخرى وهي: حكم المنادى إذا سبقه منادى آخر؛ أي: في حالة تكرار المنادى.

يقول السيوطي: "قلك أن تضمَّ الأوَّل على أنَّه منادى مفرد، وتنصب النَّاني على أنَّه منادى مضاف مستأنف أو منصوب بإضمار (أعني) أو على أنَّه عطف بيان أو بدل، زاد ابن مالك أو على أنَّه توكيد"^(٣). ومنه قول سوَّار بن المُضَرَّب: (الوافر)

أَلَا يَا سَلَمَ سَيِّدَةَ الْعَوَانِي أَمَا يُفْدَى بِأَرْضِكَ تِلْكَ عَانَ^(٤)

المطلب الرَّابع: حذف (يا) النِّداء:

كاد النُّحاة يُجمِعون على الحالات الخاصَّة الَّتِي لا يصحُّ معها حذف (يا) النِّداء، ولكي يتمَّ التعرُّف على هذه المسألة أكثر لا بدَّ مِنْ استعراض أقوال عدد مِنَ العلماء فيها: يقول ابن مالك: "ولا يجوز حذف حرف النِّداء إنَّ كان المنادى لفظ الجلالة (الله)، أو ضميراً، أو مستغناً، أو متعجباً منه، أو مندوباً، فإنَّ كان غير هذه الخمسة جاز الحذف"^(٥). وهذا القول لابن مالك يدلُّ على الحالات الَّتِي لا يصحُّ معها حذف حرف النِّداء، وهي: ١- مع لفظ الجلالة، بشرط ألاَّ يكون آخره ميماً مشدَّدة، ولم يرد شيء منه في (الأصمعيَّات).

(١) نفسه: ١٨٨/٢.

(٢) الأصمعيَّات: ص ٣٤، رقم ١، بنو الصَّارِد: حيَّ من بني مُرَّة مِنْ غَطَفَانَ.

(٣) همع الهوامع: ٤٣/٢.

(٤) الأصمعيَّات: ص ٢٣٨، رقم ٧، (الرِّيادات مِنَ الكتَّابين).

(٥) انظر: شرح التَّسهيل: ٣٨٦/٣، وشرح ابن عقيل: ٢٥٦/٣.

٢- الاسم المستغاث، وورد التمثيل له في (الأصمعيّات) بيت واحد فقط، هو قول سَهْم بن حَنْظَلَةَ الغَنَوِيِّ: (البسيط)

يَا لِلرِّجَالِ لَأَقْوَامٍ أَجَاوِرُهُمْ مُسْتَقْبِسِينَ وَلَمَّا يُقْبَسُوا لَهَبًا^(١)

وهنا لا يجوز حذف حرف النداء، وقد ذكرها الشاعر.

٣- إنْ كان المنادى (أَيْهَا) أو (أَيْتَهَا)، ومنه قوله في القصيدة نفسها:

يَأْيُهَا الرَّكِيبُ الْمُزْجِي مَطِيئَهُ لَا نِعْمَةً تَبْتَغِي عِنْدِي وَلَا نَسَبًا^(٢)

٤- الاسم المندوب، يقول ابن هشام في معرض حديثه عن جواز حذف حرف النداء (يا): "ولا يُنادى اسم الله- عزَّ وجلَّ- والاسم المستغاث و(أَيْهَا وأَيْتَهَا) إلَّا بها ولا المندوب إلَّا بها أو بـ(وا)"^(٣).

٥- المنادى المتعجب منه، وسبق التمثيل له مِنْ خارج (الأصمعيّات) في الفصل الأوَّل الَّذِي خُصَّصَ لِلتَّعْجُبِ^(٤).

٦- النكرة غير المقصودة، وَمِنْ أمثلته في ديوان (الأصمعيّات) قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطويل)

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ أَبَا غَالِبٍ أَنْ قَدْ تَأَزَّنَا بِغَالِبٍ^(٥)

هنا لا يستقيم حذف حرف النداء.

٧- المنادى البعيد، ويُعتَقَدُ أَنَّهُ مِنَ المنطقيِّ أَلَّا يُحْدَفَ حرف النداء مع المنادى البعيد، فنداء البعيد باستخدام حرف النداء قد يعطي فرصة للمدعو لكي يكون في حالة استعداد تامٍّ لاستقبال ما سيُلْقَى على مسامعه مِنْ قبل الداعي، بعكس فيما لو حُدِّقَتْ أداة النداء، فربَّما لا يفهم المدعو أَنَّهُ المقصود بالدعاء، فلا يستقيم حذفها مع المنادى البعيد، هذا والله- تعالى- أعلى وأعلم.

سبقَتْ الإشارةُ إلي جواز حذف حرف النداء إلَّا في خمسة مواضع حدَّدها ابن مالك، والآن سيتعرَّف الباحث على أبيات شعريَّة وردت في (الأصمعيّات) حُدِّفَ فيها حرف النداء، وتتخذ الحذف الصُّور الآتية:

(١) الأصمعيّات: ص ٦٠، رقم ٢١.

(٢) نفسه: ص ٥٨، رقم ٨.

(٣) مغني اللبيب: ٤/٤٤٧.

(٤) انظر: ص ٤٨ من هذا البحث.

(٥) الأصمعيّات: ص ١٢٥، رقم ١.

أ- حذف ياء النداء في العلم المفرد، ووقع ذلك في موضعين^(١)، ومِنْهُمَا قول ضابئ بن الحارث بن أَرْطَاة الْبُرْجُمِيِّ: (الطَّوِيل)

فَلَا تَجْرَعَنَّ قِيَارٌ مِنْ حَبْسٍ لَيْلَةٍ قَضِيَّةً مَا يُفْضَى لَنَا فَنُؤُوبُ^(٢)

ب- حذف ياء النداء في الإضافة المحضة، ومِنْ أَمَثَلَتِهِ قول عُرْوَةَ بنِ الْوَرْدِ: (الطَّوِيل)

ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنَّنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ الْبَيْعَ مُشْتَرِي^(٣)

ومنه قول الأجدع بن مالك الهمداني: (الكامل)

أَبْلُغْ لَدَيْكَ أَبَا عُمَيْرٍ مُرْسَلًا فَلَقَدْ أَنْخَتَ بِمَنْزِلِ جَعَجَاعِ^(٤)

يظهر مِنْ معنى البيت أَنَّهُ يوجِّه نداءه إلى أبي عُمَيْرِ الَّذِي قُتِلَ أَبْنَاؤُهُ الثَّلَاثَةُ، يقول له: يا

أبا عمير، أبلغ عشيرتك بأنه ليس في مصلحتكم القدوم إلينا إذا أردتم التَّار.

ومنه قول الأَسْعَرِ الْجُعْفِيِّ: (الكامل)

أَبْلُغْ أَبَا حُمْرَانَ أَنَّ عَشِيرَتِي نَاجُوا وَلِلْقَوْمِ الْمُنَاجِينَ التَّوَى^(٥)

فالشَّاعر يخاطب نفسه، وفي ذلك عزاء لها، حيثُ يعلن عن تظلمه مِنْ إخوته لأبيه الَّذين

قَبِلُوا بِأَخْذِ دِيَّةِ أَبِيهِمُ الْمَقْتُولِ، ويدعو عليهم بالهلاك، والنَّقْدِيرُ: أَبْلُغْ يَا أَبَا حُمْرَانَ...

وقال يزيد بن الصَّعِقِ^(٦) يَسُبُّ رَجُلًا مِنْ بَنِي أُسْدٍ: (الطَّوِيل)

بَنِي أُسْدٍ مَا تَأْمُرُونَ بِأَمْرِكُمْ إِذَا أَحَقَّتْ خَيْلٌ تَثُوبٌ وَتَدَّعِي^(٧)

(١) انظر الموضع الآخر المرجع نفسه: ص ٢٠٤، رقم ١.

(٢) نفسه: ص ٢٠٢، رقم ٢ (الزيادات مِنَ الْكُتَابِينَ)، جاء في (هامش) الْأَصْمَعِيَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ ص ١٨٤: "قِيَار: اسم فرسه، وقيل: اسم جَمَلِهِ".

(٣) نفسه: ص ٤٧، رقم ٢.

(٤) نفسه: ص ٧٩، رقم ٦، وفي (الاختيارين): ٤٦٨: "يقول: صِرْتَ فِي ضَيْقٍ بِمَحَارِبَتِكَ إِيَّانَا، فَلَا تَسْرَحْ وَلَا تَذْهَبْ. وَالْجَعَجَاعُ: الْمَحْبِسُ الضَّيِّقُ، وَكُلُّ مَحْبِسٍ: جَعَجَاعٌ".

(٥) نفسه: ص ١٥٧، رقم ١، نَاجُوا: مِنَ الْمُنَاجَاةِ فِي اللَّيْلِ. وَالتَّوَى: الْهَلَاكُ.

(٦) يزيد بن الصَّعِقِ: شاعر فارس جاهلي هجاء. نزل به رجل مِنَ الْيَمَنِ، فلم يحسن جواره، فلفقيه الرَّجُلُ بعدُ في الْيَمَنِ، فسَلَّمَهُ إلى عبيده فقتلوه. انظر: (هامش) الْأَصْمَعِيَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ: ١٤٤، وخزانة البغدادي: ١/٤١٠ والأعلام: ١٨٥/٨.

(٧) الْأَصْمَعِيَّاتِ: ١٦٢، رقم ٢، تَثُوبٌ: تأتي متواتر، بعضها إثر بعض. وتَدَّعِي: تنتسب، يريد أن الفرسان يجاهرون بأنسابهم ويفخرون.

ومنه أيضاً قول الممزَّق العَبْدِي: (الطَّوِيل)

تَرْوُحٌ وَتَغْدُو مَا يَحُلُّ وَضِيئُهَا إِلَيْكَ ابْنَ مَاءِ الْمُزْنِ وَابْنَ مُحَرَّقٍ^(١)

ت- حذف (يا) النداء في المنادى من غير الأسماء، ومن ذلك قول السَّمَّوَعْل بن عادِيَاء: (الخفيف)

لَيْتَ شِعْرِي وَأَشْعُرَنَّ إِذَا مَا قِيلَ أَقْرَأْ عُتُونَهَا وَقَرَيْتُ^(٢)

مما يدل على أن المحذوف هو (يا) النداء دون غيرها، الاستعمال العربي لهذه اللفظة، حيث وردت تارة مقرونة بـ(يا)، وتارة أخرى مجردة منها، ولم ترد (ليت) مقرونة بغير (يا) فيما اطلعت عليه من أبيات شعريّة، سواء في (الأصمعيّات) أو غيرها، والأمثلة كثيرة في كتب الأدب والنحو، إلا أن هناك من يعتبر (يا) لا تتعدى كونها حرف تنبيه، ولا علاقة لها بالنداء، ومنهم البغدادي، يقول تعليقا على التركيب (يا ليت شعري): "قوله: يا ليت شعري... (يا) الداخلة على (ليت): حرف تنبيه...، والتزم حذف الخبر في (ليت شعري) مردفاً باستفهام، وهذا الاستفهام مفعول (شعري)؛ أي: ليت علمي بـ(ما)^(٣)."

يعتقد الباحث أنه لا بأس من اعتبارها حرفاً للتنبيه والنداء في آن واحد؛ لأنّ المعنيين لا يتعارضان ولا يصطدمان، وفي هذا البيت نستطيع أن نقرأ خصيصة من خصائص (ليت)، وهي: أن خبرها يُحذف وجوباً إن كان اسمها كلمة (شعري)؛ أي: علمي، وذلك إذا وليها أداة استفهام كقولك: ليت شعري كيف فعلت هذا؟

يُلاحظ هنا أن الاستفهام جاء بعدها في البيت التالي، وهو قوله: (أَلَيْ الْفَضْلُ أَمْ عَلِيٌّ؟)^(٤)، والتقدير: ليت علمي كذا ثابت أو موجود أو واقع. يقول الأعلام الشنتمريُّ في (شرحه): "وقوله: (ليت شعري) التزم حذف الخبر في (ليت شعري) مردفاً باستفهام"^(٥).

ث- حذف حرف النداء إذا كان المنادى اسم إشارة:

جواز حذف (يا) النداء مع اسم الإشارة قليل عند ابن مالك^(٦) ونصَّ ابن الحاجب على جوازه واستثنى حالات معينة بقوله: "ويجوز حذف حرف النداء، إلا مع اسم الجنس والإشارة

(١) نفسه: ١٨٤، رقم ١١، جاء في (شرح أبيات المغني) ١٤٦/٥: "الْوَضِيْن: بَطَان عَرِيض مَنْسُوجٍ مِنْ

شَعْر... وَابْن: مَنْادَى بِإِضْمَارِ (يَا). وَمَاءِ السَّمَاءِ: عَامِرُ بْنُ حَارِثِ الْغَطْرِيفِ مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ... وَمُحَرَّقٌ: هُوَ

الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو الْغَطْرِيفِ... وَاسْمِي بِالْمُحَرَّقِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ."

(٢) نفسه: ص ٩٨، رقم ٨.

(٣) انظر: خزانة الأدب: ٤٥٤/١١.

(٤) هذا صدر البيت، وأما عجزه فهو: إِذَا حُو سَبَبْتُ إِنِّي عَلَى الْحِسَابِ مُقِيَّتُ

(٥) شرح حماسة أبي تمام: ٧٣٨/١.

(٦) شرح التسهيل: ٣٨٦/٣، وشرح ابن عقيل: ٢٥٧/٣.

والمستغاث والمندوب^(١)، وعلّق الرّضّيُّ على قول ابن الحاجب: "يعني ب(الجنس) ما كان نكرة قبل النداء". ومن أمثلة حذف حرف النداء مع اسم الإشارة في (الأصمعيّات) قول الأسعّر الجعفيّ: (الكامل)

وَكْتِيْبَةٌ وَجَهْتُهَا لِكْتِيْبَةٍ حَتَّى تَقُولَ سَرَائِهُمُ: هَذَا الْفَتَى^(٢)

أراد: تَقُولَ سَرَائِهُمُ: يَا هَذَا الْفَتَى، وقد جوّز ابن الأنباريّ حذف حرف النداء إلّا مع النكرة والمبهم؛ لأنّ الأصل فيهما النداء ب(أي)، نحو: (يا أيُّها الرَّجُلُ، ويا أيُّها الرَّجُلُ)، فلمّا أطرحوا (أيا) والألف واللّام، لم يطّرحوا حرف النداء؛ لئلا يؤدي ذلك إلى الإجحاف بالاسم^(٣).
وربّما حُذِفَ حرف النداء ودُكِرَ الفعل الدّال على وجود نداء، وهذا على عكس التراكيب التي رُكِبَتْ منها الجملة الندائيّة، ومثال ذلك في (الأصمعيّات) قول عبد الله بن عَمَمَةَ: (الوافر)

نُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ^(٤)

التّقدير: ونَدْعُو يَا أَبَا الصَّهْبَاءِ، وفي هذا البيت يُلاحَظ أنّ حرف النداء (العوّض) محذوف، وما هو مذكور فعل النداء الذي اعتبره النحاة المعوّض، وهذا على غير ما جرت عليه العادة من أنّ حرف النداء عوض عن الفعل (أدعو) أو (أنادي).
وحُذِفَ حرف النداء في هذه الأمثلة المذكورة، والمحذوف هو (يا)؛ ذلك لأنّها أكثر أحرف النداء استعمالاً، وقد ذكر هذا المعنى ابن هشام بقوله: "وهي أكثر أحرف النداء استعمالاً؛ ولهذا لا يُقدَّر عند الحذف سواها"^(٥).

بعد هذا التّجوال بين دفتي ديوان (الأصمعيّات)، يتّضح أنّ للمنادى وأدواته من حيث الذّكر والحذف أربع صور:

أولها: أن يُذكر المنادى والأداة معاً.

ثانيها: أن تُحذف الأداة ويبقى المنادى دليلاً عليها.

ثالثها: أن يُحذف المنادى وتبقى الأداة دليلاً عليه، وذلك عند من قال بجواز حذف المنادى من النّحويين.

(١) شرح الرّضّيِّ على الكافية: ٤٢٥/١.

(٢) الأصمعيّات: ١٦٠، رقم ١٩، الكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش. وسرّاتهم: أشرافهم وساداتهم.

(٣) أسرار العربيّة: ١٨٢.

(٤) الأصمعيّات: ص ٤٠، رقم ٢، أبو الصّهباء: كنية بسطام. جَنَحَ اللَّيْلُ: مال على النّهار وعَشِيَه. والأصيل: العشيّ؛ يريد وقت العشاء؛ أي: مأوى الأضياف، يُدعى للقرى فيجيب. انظر: شرح الحماسة للأعلم: ٥٥٤.

(٥) مغني اللّبيب: ٤٤٧/٤، والأشباه والنظائر في النّحو: ١٣٠/٢.

يقول ابن الحاجب عن حذف المنادى: "وقد يُحذف المنادى لقيام القرينة، نحو: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ...﴾^(١)، علّق الرّضّي بقوله: "المنادى مفعول به، فيجوز حذفه، إذا قامت قرينة دالة عليه بخلاف سائر المفعول به، فإنّه قد يُحذف نسيّاً منسياً"^(٢).

جاء في (الصّحاح): "وأما قوله - تعالى: ﴿أَلَا يَا اسْجُدُوا﴾^(٣) بالتّخفيف، فالمعنى: يا هؤلاء اسجدوا فحذف المنادى اكتفاء بحرف النداء كما حذف حرف النداء اكتفاء بالمنادى في قوله - تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا...﴾^(٤)، وقال بعضهم إنّ (يا) في هذا الموضع إنّما هو للتّنبية كأنّه قال: ألا اسجدوا، فلما أدخل عليه (يا) التّنبية سقطت الألف التي في اسجدوا؛ لأنّها ألف وصلٍ وذهبت الألف التي في (يا) لاجتماع الساكنين"^(٥).

ورفض المالقي فكرة كون المنادى محذوفاً للعلم به؛ وعلل ذلك من وجهين: الأوّل: "إنّ (يا) نابت مناب الفعل؛ لكونه لازماً للحذف بعدها؛ لأنّ المراد (أدعو وأنادي)، فلو حذف المنادى معها لحذفت الجملة بأسرها، وذلك إخلال، والآخر: أنّ المنادى معتمد المقصد، فإذا حذف تناقص المراد، فلزم على هذا أن تكون (يا) لمجرد التّنبية في غير نداء، ولكثرة استعمالها حذفت"^(٦). رابعها: أن يُحذف المنادى والأداة معاً.

أما صورتان الأولى والثانية، فقد سبق التّمثيل لهما، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح، وأما الصّورة الثالثة: وهي أن يُحذف المنادى وتبقى الأداة دليلاً عليه، فتمثّلت في موضعين - فيما أطلعت عليه - هما: قول كعب بن سعد الغنوي: (الطويل)

تَقُولُ: أَلَا يَا اسْتَبِقْ نَفْسَكَ لَا تَكُنْ تُسَاقُ لِعَبْرَاءِ الْمَقَامِ دَحُولُ^(٧)

التّقدير: ألا يا هذا استبق نفسك، جاء في (شرح المفصل): "اعلم أنّهم كما حذفوا حرف النداء لدلالة المنادى عليه، كذلك أيضاً قد يحذفون المنادى لدلالة حرف النداء عليه"^(٨)، ومنه قول امرئ القيس: (الوافر)

(١) النّمّل: ٢٥/٢٧.

(٢) شرح الرّضّي على الكافية: ٤٢٩/١.

(٣) النّمّل: ٢٥/٢٧.

(٤) يوسف: ٢٩/١٢.

(٥) انظر: الصّحاح للجوهري: ٤١٢/٧ - ٤١٣.

(٦) رصف المباني: ٥١٤.

(٧) الأصمعيّات: ص ٨٨، رقم ٢.

(٨) شرح المفصل: ٢٤/٢.

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ مِنْ أَنْاسٍ هُمْ كَانُوا الشَّقَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا^(١)

ويعلق التبريزيُّ على عبارة (يا لهف نفسي) بقوله: "هذا تهكُّم، ويجوز أن يكون نادى نفس اللَهْف، ويجوز أن يكون المنادى محذوقاً، وانتصب (لهف) على المصدر"^(٢)، وواضح من البيت أن صاحبه يتحسّر على عدم إدراكه لبني أسد، الذين قتلوا أباه ليثأّر منهم، وهو بذلك يندب حظه؛ لأنّ الفرصة ضاعت أمامه، وجاء في (لسان العرب) لابن منظور: "ويقال نادى لهفه إذا قال: يا لهفي، وقيل في قولهم يا لهفا عليه: أصله يا لهفي، ثم جُعِلت ياء الإضافة ألفاً كقولهم: يا ويلى عليه"^(٣).

وأما عن الصُّورة الرَّابِعة والأخيرة؛ وهي حذف المنادى والأداة معاً، فهذا ليس من اليسير الاهتداء إليه، إلا إذا أشار المتكلم إلى هذا الحذف، ونبّه إلى مواضعه، وأنّه يقصده؛ لأنّ ذلك من الأمور المبهمة غير الواضحة أو المتجلية للمتلقّي.

وبناءً على ما ذكر فقد وقفتُ على موضعين في ديوان (الأصمعيّات)، وذلك بعد جهد جهيد، الأوّل قول الممزّق العبدي: (الطويل)

أَحَقًّا أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنْ ابْنَ فَرْتَنَا عَلَى غَيْرِ إِجْرَامٍ بَرِيقِي مُشْرَقِي^(٤)

ورد في (خزانة الأدب) للبغدادي: قوله: "أبيت اللعن؛ أي: أبيت أن تأتي من الأخلاق المذمومة ما تلعن عليه، وكانت هذه تحية لحم وجذام وكانت منازلهم الحيرة وما يليها... وحكى ثعلب^(٥) عن الفراء أن المشيخة كانوا يضيفونه على الغلط؛ لأنّه إذا أضافه خرج ذمّاً، فيقول: (أبيت اللعن) كأنّهم شبّهوه بالإضافة على الغلط، وقال: أراد بـ(أبيت اللعن)؛ أي: يا من هو بيت اللعن"^(٦).

(١) الأصمعيّات: ص ١٤٥، رقم ١، جاء في (شرح اختيارات المفضّل) للتبريزي ٢٦٨/١، ٣٨٨: يا لهف؛ أي: يا حسرتا، واللهف: التّحرُّن على فائت كاد يُدرك، ورجل لهفان، والملهوف: المظلوم يستغيث، وفي المثل: (إلى أمّه يلهف اللّهفان)، يُضرب في استعانة الرّجل بأهله وإخوانه، انظر: مجمع الأمثال: ٢٢/١.

(٢) شرح اختيارات المفضّل للتبريزي: ١٣٠٦/٣.

(٣) لسان العرب: ٤٠٨٧/٥ (لهف).

(٤) الأصمعيّات: ص ١٨٥، رقم ١٦، جاء في (شرح أبيات المغني) ١٤٦/٥ - ١٤٧: "ابن فرتنا: هي المرأة الرّانية والأمة أيضاً؛ وأراد بابن فرتنا هنا الواشي، وهي كلمة سبّ".

(٥) ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار الشيبانيّ بالولاء، أبو العباس: إمام الكوفيّين في النّحو واللّغة، كان راوية للشّعْر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللّهجة، ثقة حجة، وُلد ومات في بغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ١٠٢/١ - ١٠٥ وبغية الوعاة: ٣٩٦/١ - ٣٩٨، والأعلام: ٢٦٧/١.

(٦) انظر: خزانة الأدب للبغدادي: ٤٠٧/٢.

وقال المرزوقي في (شرح الحماسة): "أبيت اللعن: تحية كان يُستعطفُ به الملوك، وأصل اللعن الطرد"^(١)، وقال الزمخشري: "أبيت اللعن: وهي تحية الملوك في الجاهلية؛ أي: لا فعلت ما تستوجب به اللعن"^(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن التركيب اللغوي (أبيت اللعن) قد استعملته العرب في كلامها سواء الشعري أو النثري بكثافة؛ لدرجة أنه مرَّ بي أثناء البحث عن حيثياته مئات المرات، ولم أقف لأمثلة عليه في (الأصمعيّات) إلا في موضع واحد - سبق ذكره - حيث لم يقصد منه التحية في هذا الموضع، وإنما أُريدَ منه الهجاء كما نصَّ على ذلك ابن الأنباري نقلًا عن ثعلب والفراء، وقد حُذفَ منه المنادى والأداة، والتقدير: يا مَنْ هو بيت اللعن. هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

وعثرْتُ على بيت آخر في (الأصمعيّات) يُعتَقَدُ أنَّ المنادى وأداته قد حذفَا منه، وهو قول الأجدع بن مالك: (الكامل)

والحارث بن يزيد ويحك أعولي خلوا شمائله رحيب الباع^(٣)

وحبذا لو تمَّت الاستعانة بأقوال علماء اللغة في توضيح هذا الحذف وما يحيط به، يقول النبريزي معلقًا على لفظة (يا ويح نفسي): "المنادى محذوف في قوله: (يا ويح) كأنه قال: يا قوم ويح نفسي، وانتصب (ويح) بفعل مضمر، كأنه قال: يا قوم أزمني الله ويحًا لِمَا يعروني من الشوق والإشفاق"^(٤).

المطلب الخامس: أحكام متفرقة تخصُّ النداء

أولاً: نوع الجملة الندائية قبل النداء وبعده

بناءً على ما قرَّره النحاة في مسألة (العامل في المنادى) - والتي رأينا آراء النحاة^(٥) عنها قبل قليل - فإننا ندرك أنَّ المنادى نوع من المفعول به، ويقولون: إنَّه منصوب بفعل محذوف، والتقدير: أدعو أو أنادي، وهذا الفعل لا يظهر مطلقًا، والأصل في أداة النداء أن تُذكر؛ لأنها نابت مناب الفعل (أدعو) أو (أنادي)، وفي ديوان (الأصمعيّات) ذُكر فعل النداء في عدة مواضع دون ذكر المنادى والأداة، ومن هذه الأمثلة قول: سَهْم بن حَنْظَلَة الغنوي: (البسيط)

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢١٠/١.

(٢) أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ، ج ٢، ص ١٧٢.

(٣) الأصمعيّات: ص ٧٩، رقم ٢، أعولي: من العويل، وهو الصياح والبكاء، ونصب (الحارث) بنزع الخافض، والتقدير: أعولي عليه. رحيب الباع: الواسع الكريم، وطويل الباع إذا كان سمحًا جوادًا. انظر: الاختيارين: ص ٤٦٧، ولسان العرب: ٣١٧٦/٤ (عول)، و ٤٩٥٢/٦ (يدي).

(٤) شرح اختيارات المفضل للنبريزي: ١١٧/١.

(٥) انظر: ص ١٢٤ - ١٢٥ من هذا الفصل.

- وَتُبَّ الْقَعُودِ تَنَادَى الْحَادِيَانِ بِهِ
 وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ: (الوافر)
- لِيُنْفِرَاهُ وَشَدًّا تَيْلَهُ حَقَبًا^(١)
 يُنَادِي مِنْ بَرَاقِشٍ أَوْ مَعِينٍ
 وَقَوْلُهُ فِي الْقَصِيدَةِ نَفْسَهَا أَيْضًا:
- فَنَادَانَا: أَنْكُمُنْ أَمْ نُبَادِي
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَسْمَاءَ بْنِ حَارِجَةَ: (الكامل)
- مِنْ مَطْعَمٍ غَبًّا إِلَى غِبِّ^(٢)
 يَدْعُو الْغِنَى أَنْ نَالَ عُلُقَتَهُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ: (الطويل)
- وَقَدْ سَدَّ جَوْرُ اللَّيْلِ كُلَّ سَبِيلٍ^(٣)
 وَمُنْشَقُّ أَعْطَافِ الْقَمِيصِ دَعْوَتُهُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ بَشَرَ بْنِ سَوَادَةَ: (الكامل)
- عِنْدَ اللَّقَاءِ بِكُلِّ شَاكٍ مُعْلِمٍ^(٤)
 وَدَعَا بَنِي أُمَّ الرُّوَاعِ فَأَقْبَلُوا

ويلاحظ على الجمل التي اشتملت على فعل النداء في الأبيات السابقة أنها خبرية، فعلها مضارع كما في: (يُنَادِي، وَيَدْعُو) أو ماضٍ كما في: (تَنَادَى، وَفَنَادَانَا، وَدَعْوَتُهُ، وَدَعَا). أما الجمل التي تشتمل على حرف النداء مع وجود المنادى أو مع حذفه - على نحو ما سيلاحظ في الأمثلة التي سيتم التمثيل بها من (الأصمعيّات) في المواضع المختلفة - فإن النحاة يعتبرونها جملاً إنشائية طلبية. يقول ابن مالك: "لأنّ إظهار (أنادي) يوهم أنّ المتكلم مخبر بأنّه

(١) الأصمعيّات: ص ٦٣، رقم ٤٩. القعود: القاعد، وربما أراد بغيراً قعوداً. والحادي: سائق الإبل. وينفروه: يفزعه. والنيل: وعاء قضيب البعير، وقيل: هو القضيب نفسه. وشدًّا تيله حَقَبًا؛ أي: بالحقب، وهو الحزام الذي يلي حقو البعير.

(٢) نفسه: ١٩٠، رقم ٢ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (خزانة البغدادي) ١٨٢/٨: بَرَاقِشٌ وَمَعِينٌ بَفَتْحِ أَوْلَهُمَا: بلدتان كانتا متقابلتين باليمن. واتلأب بمعنى استقام. والمليح بفتح الميم: الأرض الواسعة.

(٣) نفسه: ١٩٢، رقم ١٧ (الزيادات من الكتابين)، ورد في (الاختيارين) ٣٦٧: "الحالبان: عرقان مكتنفان السُرّة. والقطيع: السوط".

(٤) نفسه: ٥٤، رقم ١٩.

(٥) نفسه: ٨٩، رقم ١٤، أعطاف القميص: أطرافه. وجوز الليل: وسطه ومعظمه.

(٦) نفسه: ٩٥، رقم ١٥.

سيوقع نداء، والغرض علم السامع بأنه مُنْشئٌ له، والإضمار مَعِين على ذلك، فكان واجباً، هذا مع كون الحرف كالعوض منه، فلم يُجْمَع بينهما، كما لم يُجْمَع بين العوض والمعوض^(١). خلاصة القول في هذه المسألة أنّ جملة النداء كانت خبرية ثم أصبحت إنشائية بعد دخول حرف النداء عليها، وقد مرّ قول^(٢) المبرد: "قولك: يا عبد الله، (يا) بدل من قولك أدعو عبد الله". فالجملة تحولت من الخبر قبل النداء إلى الإنشاء بعده.

ثانياً: دخول حرف النداء على غير الأسماء

من المتعارف عليه أنّ للاسم ثماني علامات يتميّز بها عن غيره من الأفعال والحروف؛ إحداها: دخول النداء عليه، وإنّما اختصّ به؛ لأنّ المنادى مفعول به في المعنى أو في اللفظ أيضاً، والمفعولية لا تليق بغير الاسم كما يقول النحاة^(٣). ولكنّ القارئ لديوان (الأصمعيّات) يلاحظ دخول حرف النداء -خاصة (يا) - على غير الأسماء، مثل دخولها على (ليت، وربّ) ودخولها على الجملة الفعلية ذات الفعلين الماضي والأمر، فهذه المسألة تحتاج إلى نقاش.

ذكر المراديّ رأيّه في هذه المسألة بقوله: "(يا) تكون لمجرد التّنبية، لا للنداء، ويليها أحد خمسة أشياء: الأمر، والدعاء، وليت، وربّ، وحبّذا... هذا مذهب قوم من النّحويّين، قال بعضهم: وهو الصّحيح، وذهب آخرون إلى أنّها في ذلك حرف نداء، والمنادى محذوف"^(٤). ذهب ابن مالك في (التّسهيل) إلى التّفصيل في ذلك، وهو أنّ (يا) إنّ وليها أمر أو دعاء فهي حرف نداء، والمنادى محذوف، وإنّ وليها (ليت أو ربّ أو حبّذا) فهي لمجرد التّنبية^(٥). يعلّق السيوطي على دخول (يا) على (ربّ) والفعل الأمر بقوله: "فالجواب أنّ (يا) في ذلك ونحوه للتّنبية لا للنداء، وحرف التّنبية يدخل على غير الاسم، وقيل: للنداء والمنادى محذوف"^(٦). ويقول ابن هشام: "(يا) الدّاخله على (ربّ) ليست للنداء، وإنّما هي للتّنبية كالدّاخله على (ليت) وعلى (حبّذا)"^(٧).

(١) شرح التّسهيل: ٣/٣٨٥.

(٢) انظر: ص ١٢٥ من هذا الفصل.

(٣) انظر: شرح ابن عقيل: ١/١٦.

(٤) انظر: الجنى الدّاني في حروف المعاني: ٣٥٥-٣٥٧.

(٥) شرح التّسهيل: ٣٨٨-٣٩٠.

(٦) همع الهوامع: ١/٢٥.

(٧) شرح أبيات مغني اللّبيب: ٣/١٦٢.

قد يدخل حرف النداء على غير الاسم؛ لغرض بلاغي أيضاً، يمكن فهمه من سياق الكلام؛ ومن ذلك دخول (يا) النداء على الحرف النّاسخ (ليت)، ومن أمثله في القرآن الكريم، قوله - تعالى: ﴿... يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ...﴾^(١)، وقوله - تعالى: ﴿... قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وقوله - تعالى: ﴿... قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ...﴾^(٣). هذا وقد وردت هذه الصّورة في ديوان (الأصمعيّات) في موضعين، وهما قول الأسعر الجعفيّ: (الكامل)

مَسَحُوا لِحَاهُمْ ثُمَّ قَالُوا: سَالِمُوا يَا لَيْتِي فِي الْقَوْمِ إِذْ مَسَحُوا اللَّحَى^(٤)

وقول ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجميّ: (الطّويل)

سِوَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ: يَا لَيْتَ أَهْلِهَا بِهَا وَالْمُنَى كَانَتْ أَضَلَّ وَأَجْهَلًا^(٥)

كما دخلت (يا) على حرف الجرّ الشّبيه بالزائد، حيثُ حُدِفَ المنادى، ومن أمثله في كلام العرب قولهم في المثل: يا رَبُّ هِجَاءٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا، يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ إِذَا وَقَعَ فِي خِصْمَةٍ فَاعْتَذَرَ^(٦).

هذا وورد هذا التّركيب في (الأصمعيّات) ثلاث مرّات^(٧)، ومن أمثلة ذلك قول المُنخَل اليشكُريّ: (مُرَقَّلُ الكامل)

يَا رَبَّ يَوْمٍ لِلْمُنَى خَلَّ قَدْ لَهَا فِيهِ قَصِيرٌ^(٨)

ومنه قول الأسعر الجعفيّ: (الكامل)

يَارَبَّ عَزْجَلَةٍ أَصَابُوا خَلَّةً دَابُّوا وَحَارَ دَلِيلُهُمْ حَتَّى بَكَى^(٩)

(١) القَصَص: ٢٨/٧٩.

(٢) يس: ٣٦/٢٦.

(٣) الزُّخْرَف: ٤٣/٣٨.

(٤) الأصمعيّات: ١٥٩، رقم ١٨، جاء في (لسان العرب) ٤/٣٠٤٥: "وعلامه الصُّلح مسح اللّحيّ".

(٥) الأصمعيّات: ١٩٧، رقم ٤ (الزيادات من الكتابين).

(٦) مجمع الأمثال: ٤٢١/٢.

(٧) انظر الموضع الثّالث: ص ١٤٢، رقم ٥.

(٨) الأصمعيّات: ص ٧١، رقم ٢٠، جاء في (شرح الحماسة) للأعلم: ٢٢٢/١: يُقال: لها يلهو، من اللّهو واللّعب...

ووصف اليوم بالقصير؛ لأنّ يوم السُّرور يقصر، كما أنّ يوم الحزن يطول.

(٩) نفسه: ص ١٦٠، رقم ٢٥. جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ١٤٢: "عرجلة: رجالة، وجمعها عراجل.

الخلّة: الحاجة".

ثالثاً: هل يجوز الجمع بين أداة النداء و(أل)؟

اختلف النحاة حول هذه المسألة، فتعالوا بنا لنستمع إلى ما يقوله أهل الاختصاص في هذه المسألة، هذا إذا علم أن أقسام النداء الخمسة تشترك في هذا الحكم وهو: عدم جواز نداء المبدوء بـ(أل)، جاء في (كتاب) سيبويه: "واعلم أنه لا يجوز لك أن تتادي اسماً فيه الألف واللام البتة؛ إلا أنهم قد قالوا: يا الله اغفر لنا، وذلك من قبيل أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه، وكثر في كلامهم فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التي من نفس الحروف"^(١).

يقول ابن الأنباري: "فإن قيل ولم لم يجمعوا بين (يا) و(الألف واللام)؟ قيل لأن (يا) تفيد التعريف، والألف واللام تفيد التعريف؛ فلم يجمعوا بين علامتي تعريف، إذ لا تجتمع كلمتا تعريف في كلمة واحدة"^(٢).

ذكر ابن الأنباري هذه المسألة كمسألة خلافية بين النحاة، يقول: "ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نداء ما فيه الألف واللام، نحو: يا الرجل، ويا الغلام، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز، وأما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه جائز أنه قد جاء ذلك في كلامهم، قال الشاعر: (الوافر)

فَدَيْتُكَ يَا الَّتِي تَيَّمَتِ قَلْبِي وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ بِالْوَدِّ عَنِّي^(٣)

فقال: يا التي، حيث أدخل حرف النداء على ما فيه الألف واللام، فدل على جوازه والذي يدل على صحة ذلك أننا أجمعنا على أنه يجوز أن نقول في الدعاء: يا الله اغفر لنا. وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إنه لا يجوز ذلك؛ لأن الألف واللام تفيد التعريف و(يا) تفيد التعريف، وتعريفان في كلمة لا يجتمعان"^(٤).

خلاصة القول في هذه المسألة، تجدها عند ابن مالك حيث شرح ابن عقيل رأيه بقوله: "لا يجوز الجمع بين حرف النداء و(أل) في غير اسم الله - تعالى، وما سمي به من الجمل إلا في ضرورة الشعر"^(٥). ويقول الجوهري: "وبعض الشعراء أدخل على (التي) حرف النداء، وحروف النداء لا تدخل على ما فيه الألف واللام إلا في قول القائل: يا الله، وحده فكأنه شبهها به من حيث كانت الألف واللام غير مفارقتين لها"^(٦). هذا ولم أقف على شيء من ذلك في (الأصمعيّات).

(١) الكتاب: ١٩٥/٢.

(٢) أسرار العربية: ١٢٨.

(٣) البيت لا يعرف قائله، وهو من شواهد سيبويه في (الكتاب): ١٩٧/٢، ومذكور في (الأصول) لابن السراج: ٤٦٣/٣، وشرح الرضي على الكافية: ٣٨٣/١، وخرانة الأدب: ٢٥٦/٢، وهمع الهوامع: ٣٦/٢.

(٤) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٨٦-٢٨٧.

(٥) شرح ابن عقيل: ٢٦٤/٣.

(٦) انظر: الصّاح: ٣٣٠/٧.

أما دخول حرف النداء على العلم فلا مانع؛ لأنَّ العِلْمِيَّة ليست بأداة ظاهرة، هذا وقد دخلت أداة النداء على ما فيه (أل) في (الأصمعيَّات) في موضعين^(١)، أمثل بأحدهما، وهو قول سَهْم بن حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ: (البسيط)

يَا أَيُّهَا المَوْعِدِيُّ إِنِّي بِمَنْزِلَةٍ تَغِي عَيْنِكَ وَتَلْقَى دُونَهَا رُتْبًا^(٢)

يُلاحَظ هنا أنَّ الشَّاعر نادى ما فيه (أل)، حيثَ تَمَّ التَّوصِل إليه بوصلة النداء (أَيُّ) متَّصلة بهاء التَّنبيه. وهناك وسيلة أخرى لنداء ما فيه (أل) وهي أن نأتي باسم إشارة مناسب، نحو قولك: يا هذه الفتاة تمسكي بالأخلاق الحسنة، أو بهما معًا، نحو: يا أيُّها الفلسطيني اعرف وطنك.

جاء في (لسان العرب): "وأما قولهم في النداء: أَيُّها الرَّجُل، وأَيُّها المَرْأَة، وأَيُّها النَّاس، فإنَّ الرَّجَّاج قال: (أَيُّ) اسم مبهم مبني على الضمِّ مِنْ (أَيُّها الرَّجُل)؛ لأنَّه منادى مفرد، والرَّجُل صفة لأَيُّ لازمة، تقول: يا أَيُّها الرَّجُل أَقبل، ولا يجوز يا الرَّجُل؛ لأنَّ (يا) تنبيه بمنزلة التَّعريف في الرَّجُل، فلا يُجمع بين (يا) وبين الألف واللام، فتصل إلى الألف واللام بـ(أَيُّ)، و(ها) لازمة لـ(أَيُّ) للتَّنبيه وهي عوض من الإضافة في أَيُّ؛ لأنَّ أصل (أَيُّ) أن تكون مضافة إلى الاستفهام والخبر، والمُنَادى في الحقيقة (الرَّجُل)، و(أَيُّ) وصلة إليه، وقال الكوفيون: إذا قلت: يا أَيُّها الرَّجُل، ف(يا) نداء، و(أَيُّ) اسم منادى، و(ها) تنبيه، والرَّجُل صفة، قالوا: ووَصِلْتُ (أَيُّ) بالتَّنبيه فصارا اسمًا تامًّا؛ وقال أبو عمرو سألت المبرد عن (أَيُّ) مفتوحة ساكنة ما يكون بعدها؟ فقال: يكون الذي بعدها بدلًا"^(٣). هذا ولم أقف على شيء من ذلك في ديوان (الأصمعيَّات).

رابعًا: المنادى المضاف إلى ياء المتكلم

الأكثر على أن ياء المتكلم تُحذف في المنادى، واستمع معي إلى النص الآتي المقتبس من (كتاب) سيبويه لتندبر محتواه، يقول سيبويه: "اعلم أنَّ (ياء الإضافة) لا تثبت مع النداء، كما لم يثبت التثوين في المفرد؛ لأنَّ (ياء الإضافة) في الاسم بمنزلة التثوين... ولأنَّه لا يكون كلامًا حتَّى يكون في الاسم، كما أنَّ التثوين إذا لم يكن فيه لا يكون كلامًا، فحذف وتُرك آخر الاسم جرًّا ليُفصل بين الإضافة وغيرها، وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم، حيث استغنوا بالكسرة عن الياء، ولم يكونوا ليُثبِتُوا حذفها إلَّا في النداء ولم يكن لبس في كلامهم لحذفها وكانت الياء حقيقةً بذلك لما ذكرتُ لك"^(٤).

(١) انظر الموضع الآخر في الأصمعيَّات: ص ٥٨، رقم ٨.

(٢) نفسه: ص ٦١، رقم ٣١، تعيا؛ أي: تتعب دون الوصول إليها.

(٣) انظر: لسان العرب: ١/١٨٣.

(٤) الكتاب: ٢/٢٠٩.

فَصَلَ النَّحْوِيُّونَ^(١) القول في هذه المسألة ما خلاصته: أَنَّهُ إِذَا أُضِيفَ الْمَنَادَى إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ: فإِمَّا أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا، أَوْ مَعْتَلًا، فَإِنْ كَانَ مَعْتَلًا فَحُكْمُهُ كَحُكْمِهِ فِي غَيْرِ الْمَنَادَى، وَخِلَاصَتُهُ أَنَّ الْمَنَادَى الْمَعْتَلُ بِالْأَلْفِ أَوْ الْوَاوِ أَوْ الْيَاءِ غَيْرِ الْمَشْدَدَةِ تَثْبُتُ يَأُوهُ مَفْتُوحَةً فِي الْأَفْصَحِ، نَحْوُ: (فَتَايَ وَعَصَايَ، وَمَحَامٍ)، وَأَمَّا مَا كَانَ آخِرَهُ يَاءً مَشْدَدَةً، نَحْوُ: كَرْسِيٍّ، فَتُحْدَفُ يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ مَعَهُ مَعَ كَسْرِ مَا قَبْلَهَا أَوْ فَتْحِهِ مَعَ جَوَازِ إِبْقَاءِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ سَاكِنَةً^(٢). وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا جَازَ فِيهِ خَمْسَةُ أَوْجِهٍ^(٣):

أحدها: حذف الياء، والاستغناء بالكسرة، نحو: (يا عبد) وهذا هو الأكثر، وقد ورد بيت واحد في (الأصمعيّات) على هذا النّمط، هو قول قيس بن الخطيم: (المنسرح)

يَا رَبِّ لَا تُبْعِدْنِي دِيَارَ بَنِي عُذْرَةَ حَيْثُ انصَرَفْتُ وَأَنْصَرَفُوا^(٤)

ثانيها: إثبات الياء ساكنة، نحو: (يا عبدي) وهو دون الأول في الكثرة.

ثالثها: قلب الياء ألفًا، وحذفها، والاستغناء عنها بالفتحة، نحو: (يا عبد)

رابعها: قلبها ألفًا، وإبقاؤها، وقلب الكسرة فتحة، نحو: (يا عبدًا).

خامسها: إثبات الياء محرّكة بالفتح، نحو: يا عبدي.

أَمَّا الْأَوْجُهَةُ الْأَرْبَعَةُ الْأَخِيرَةُ فَلَمْ أَقِفْ عَلَى أَمْتَلَةٍ لَهَا فِي (الأصمعيّات).

المطلب السادس: الأساليب التي تلي النداء وتأتي تابعة له ومرتبطة به

وبعد الاطلاع على النداء واستخداماته في ديوان (الأصمعيّات)، يلاحظ أنه جاء متبوعًا

بتراكيب متنوّعة منها:

١- الأمر: وقد دخلت (يا) النداء على فعل الأمر، ومن أمثلة دخولها على فعل الأمر في

(الأصمعيّات) قول كعب بن سعد الغنوي: (الطويل)

تَقُولُ: أَلَا يَا اسْتَبَقِ نَفْسَكَ لَا تَكُنْ تُسَاقُ لِعَبْرَاءِ الْمَقَامِ دَخُولِ^(٥)

في هذا البيت يلاحظ دخول (يا) - التي تُستخدم للنداء - على فعل الأمر في قوله: (يا

استبقي)، ويُعتَقَدُ أَنَّ الْمَنَادَى مُحذُوفٌ وَمَقْدَّرٌ، وَالتَّقْدِيرُ: أَلَا يَا هَذَا اسْتَبَقِ نَفْسَكَ، وَيُمْكِنُ اعْتِبَارُ (يا)

(١) انظر: شرح الرّضويّ على الكافية: ٣٨٩/١، وارتشاف الضرب: ٢٢٠٧/٥ - ٢٢١٠، وشرح ابن عقيل: ٢٧٤/٣ - ٢٧٥.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل: ٨٩/٢ - ٩٢.

(٣) انظر: الكتاب: ٢٠٩/٢ - ٢١٤.

(٤) الأصمعيّات: ص ٢١٧، رقم ١٤ (الزيادات من الكتابين).

(٥) نفسه: ص ٨٨، رقم ٢، بئر دخول: واسعة الجوانب. انظر: لسان العرب: ١٣٣٦/٢ (دحل).

حرف تنبيه ولا حاجة لتقدير المنادى. كما دخلت (يا) على الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي في موضع واحد، وهو قول أسماء بن خارجة: (الكامل)

يَا ضَلَّ سَعْيُكَ مَا صَنَعْتَ بِمَا جَمَعْتَ مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ^(١)

وأما دخول (يا) على الجملة ذات الفعل المضارع فلم أقف على أمثلة له في (الأصمعيّات).
٢- التوكيد: ومن أمثلة النداء المتلوّ بأسلوب التوكيد والتي وردت في (الأصمعيّات) قول عروة بن الورد: (الطويل)

ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنِّي بِهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ الْبَيْعَ مُشْتَرِي^(٢)

٣- الشرط: وتمثّل ذلك في (الأصمعيّات) في قول سعدى بنت الشمردل الجهنية ترثي أخاها: (الكامل)

يَا مُطْعِمَ الرُّكْبِ الْجِيَاعِ إِذَا هُمْ حَثُّوا الْمَطِيَّ إِلَى الْعَلَى وَتَسْرَعُوا^(٣)

وقد يسبقُ النداء بالشرط كما في قول خفاف بن نُدْبَةَ: (الكامل)

فَلَنْ صَرَمْتَ الْحَبْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَالرَّأْيُ فِيهِ مُخْطِئٌ وَمُصِيبٌ^(٤)

٤- الاستفهام: ومثاله قول المنخل اليشكريّ: (مرفل الكامل)

يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيْمٍ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ^(٥)

٥- النهي: ومثاله قول قيس بن الخطيم: (المنسرح)

يَا رَبِّ لَا تَبْعِدَنَّ دِيَارَ بَنِي عُدْرَةَ حَيْثُ انصَرَفْتُ وَانصَرَفُوا^(٦)

وهذه هي الحالة الوحيدة التي وردت في (الأصمعيّات) حيث نُودي فيها ربُّ العزّة.

(١) نفسه: ص ٥٤، رقم ٢١.

(٢) نفسه: ص ٤٧، رقم ٢.

(٣) نفسه: ص ١١٦، رقم ٢٠، الركب: الجماعة الرّكبون. وحثوا: أهاجوا وأثاروا. والمطيّ: الإبل التي تُمنطى.

(٤) نفسه: ص ٣٢، رقم ٣.

(٥) نفسه: ص ٧٢، رقم ٢٥.

(٦) نفسه: ص ٢١٧، رقم ١٤ (الزيادات من الكتابين).

٦- النَّفْي: ومثاله قول خُفَّافَ بنِ نُذْبَةَ: (الكامل)

يَا هِنْدُ يَا أُخْتِ بَنِي الصَّارِدِ مَا أَنَا بِالْبَاقِي وَلَا الْخَالِدِ^(١)

٧- النَّدَاءُ الْمَتَلَوُّ بِشِبْهِ الْجُمْلَةِ، وَيَنْقَسِمُ إِلَى:

أ- الظَّرْفُ: ومثاله قول مَقَّاسِ الْعَائِدِيِّ يَتَوَعَّدُ امْرَأَ الْقَيْسِ الْكَلْبِيِّ: (الطويل)

أَوْلَى فَأَوْلَى يَا امْرَأَ الْقَيْسِ بَعْدَ مَا خَصَفْنَ بِآثَارِ الْمَطِيِّ الْحَوَافِرِ^(٢)

ب- الجار والمجرور: ومثاله قول المُنَخَّلِ الْيَشْكُرِيِّ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي: (الكامل)

يَا هِنْدُ مَنْ لِمَتَيْمٍ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ^(٣)

(١) نفسه: ص ٣٤، رقم ١.

(٢) نفسه: ص ٦٦، رقم ١، أولى فأولى: يتوعد. وخصفن: تبتعت الخيل الإبل.

(٣) نفسه: ص ٧٢، رقم ٢٥.

المبحث الثاني: البنى الندائية التابعة للنداء

المطلب الأول: الترخيم

- الترخيم لغة:

جاء في (الصّاح): "كلام رخيم؛ أي: رقيق، وقد رَحِمَ صوته رخامة، والتّرخيم: التّليين، ويُقال: الحذف، ومنه ترخيم الاسم في النداء، وهو أن يَحذفَ بمنْ آخره حرف أو أكثر، وأرخمتُ الدّجاجة على بيضها، إذا حضنته، فهي مرخّم ومرخّمة أيضًا"^(١)، والتّرخيم لغة التّسهيل، ومنه صوت رخيم؛ أي سهل لين، وقيل الرّأفة والإشفاق"^(٢)، وتحدّث ابن منظور عن سبب تسمية التّرخيم بهذا الاسم بقوله: "سُمِّيَ تَرْخِيمًا؛ لتليين المنادي صوتَه بحذف الحرف"^(٣).

- الترخيم اصطلاحًا:

عرّفه النّحاة بقولهم: حذف آخر الاسم في النّداء"^(٤)، وإنّما اعتمدوا في تعريفهم هذا على تعريف سيبويه الذي عرّفه بقوله: "والتّرخيم حذفُ أواخر الأسماء المفرد تخفيفًا، كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفًا"^(٥). ومنهم من عرّفه بتعريف يحمل معنى قريبًا من التّعريف الذي وضعه سيبويه، بقوله: "والتّرخيم: إسقاط شيءٍ من آخر الاسم في النّداء، كقولهم: يا مالك، يا مال؛ ويا حارث، ويا حار".

وعرّفه ابن السّراج بقوله: "التّرخيم حذف أواخر الأسماء المفردة الأعلام تحقيقًا، ولا يكون ذلك إلا في النّداء، إلا أن يضطرّ شاعر"^(٦). وعرفه الزّمخشريُّ بقوله: "التّرخيم حذف في آخر الاسم على سبيل الاعتباط، ثمّ إمّا أن يكون المحذوف كالتّأبّت في التّقدير وهو الكثير، أو يُجعل ما بقي كأنّه اسم برأسه فيُعامل بما تُعامل به سائر الأسماء"^(٧). وعرّفه آخرون بقولهم: "حذف آخر الاسم باطراد فلا يسمّى مثل (يد) مرخّمًا"^(٨).

(١) الصّاح: ٢٠٨/٦.

(٢) انظر: المساعد: ٥٤٦/٢، وهمع الهوامع: ٥٧/٢.

(٣) لسان العرب: ١٦١٧/٣ (رخم).

(٤) انظر: أسرار العربيّة: ١٣٢، وارتشاف الضّرب: ٢٢٢٧/٥.

(٥) الكتاب: ٢٣٩/٢.

(٦) الأصول في النّحو: ٣٥٩/١.

(٧) المفصّل: ٧١/١.

(٨) انظر: المساعد: ٥٤٦/٢، وهمع الهوامع: ٥٧/٢.

- الأصل الذي جعل النحاة يفكرون في وضع باب للترخيم:

جاء في (لسان العرب): "قال الأصمعي: أخذ عني الخليل معنى الترخيم؛ وذلك أنه لقيني، فقال لي ما تُسمي العرب السهل من الكلام؟ فقلت له: العرب تقول: جارية رخيمة إذا كانت سهلة المنطق، فعمل باب الترخيم على هذا"^(١). ويقول الزمخشري: "ومن خصائص النداء: الترخيم إلا إذا اضطر الشاعر فرخم في غير النداء"^(٢).

عن اختصاص الترخيم بالنداء، يقول ابن الأنباري: "فإن قيل فإلم خص الترخيم في النداء قيل: لكثرة دوره في الكلام فحذف طلباً للتخفيف"^(٣)، ومن أمثلة الترخيم في غير النداء للضرورة التي تحدث عنها الزمخشري، ووردت في (الأصمعيات) قول المفضل النكري: (الوافر)

لَقِينَا الْجَهْمَ ثَعْلَبَةَ بِنَ سَيْرٍ أَضَرَ بِمَنْ يُجَمِّعُ أَوْ يَسُوقُ^(٤)

اعتقد هنا أن الشاعر قصد ترخيم اسم أبي عدوه: ثعلبة بن سيار، بالحذف ليجعله (سِير) بدلاً من (سيار)؛ للدم وتقليل الشأن، وقد أسعفته الضرورة الشعرية.

- لغتا الترخيم:

في الترخيم لغتان: لغة من ينتظر ولغة من لا ينتظر، ويوضح ذلك السيوطي بقوله: "في المرخم لغتان: الانتظار، وهو نية المحذوف، وترك الانتظار، وهو عدم نيته، والأول أكثر استعمالاً وأقواهما في النحو"^(٥)، ومثال الأول من (الأصمعيات) قول مهلهل بن ربيعة: (الكامل)

يَا حَارِ تَجْهَلُ عَلَى أَشْيَاخِنَا إِنَّا دَوُو السُّورَاتِ وَالْأَحْلَامِ^(٦)

يا حار؛ أي: يا حارثة، ومثال الآخر قول المثلث: (الطويل)

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تُسَاطِطُ دِمَاؤُنَا تَرَائِلُنْ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمَ دَمَا^(٧)

يعلق ابن الأنباري: "يريد أحارثة؛ وهذا كثير في كلامهم"^(٨).

(١) لسان العرب: ١٦١٧/٣ (رخم).

(٢) المفصل: ٧١/١.

(٣) أسرار العريية: ١٣٢.

(٤) الأصمعيات: ص ٢٢٦، رقم ١٩ (الزيادات من الكتابين)، ثعلبة بن سيار: من أعداء الشاعر، غير الشاعر اسمه للضرورة؛ أراد: لقد أضرت بأصحابه الذين جمعهم وساقهم معه لحربنا.

(٥) همع الهوامع: ٦٧/٢.

(٦) الأصمعيات: ص ١٧٣، رقم ١.

(٧) نفسه: ص ٢٤٤، رقم ٤ (الزيادات من الكتابين).

(٨) أسرار العريية: ١٣٤.

- أغراض الترخيم وأسبابه:

تحدّث النّحاة عن أغراض التّرخيم، فهو لم يأتِ في كلام العرب عبثاً دون هدف أو حكمة قد يقصدها المتكلّم أو لا يقصدها من وراء ترخيمه لجزء من الكلمات العربيّة، من هذه الأغراض: أ- الضّرورة الشّعريّة: ومثاله من خارج (الأصمعيّات) قول زهير بن أبي سلمى، وهو على الطّويل:

خُدُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكْرِمٍ وَاذْكُرُوا أَوَاصِرْنَا وَالرَّحْمُ بِالْغَيْبِ تُذَكِّرُ^(١)

يعلّق ابن يعيش بقوله: "وهذا عندنا محمول على الضّرورة"^(٢)، فلو قال الشّاعر: (يا آل عكرمة) لاختلّ الوزن العروضي، وعندما رَحِمَ العَلَمَ استقام الوزن. ب- الإفضاء إلى المطلوب: يقول الرّضيّ: إنّما كثر التّرخيم في المنادى دون غيره؛ لكثرتة؛ ولكون المقصود في النّداء هو المنادى له، فقصد بسرعة الفراغ من النّداء الإفضاء إلى المقصود بحذف آخره اعتباراً"^(٣).

ت- عجز المتكلّم عن نطق الأحرف التي يتكوّن منها المنادى كاملة لعلّة أصابته، كمرض أو نحوه، وإلى هذا الغرض أشار السّامرائي في كتابه: (معاني النّحو)^(٤). وعن سبب لجوء العربيّ للتّرخيم في كلامه، يقول سيبويه: "وإنّما كان ذلك- أي التّرخيم- في النّداء؛ لكثرتة في كلامهم، فحذفوا ذلك كما حذفوا التّوين، وكما حذفوا الياء من قومي ونحوه في النّداء"^(٥).

- شروط التّرخيم:

لم يترك النّحاة للمتكلّمين الحرّية في ترخيم كلمات اللّغة العربيّة كيفما يشاؤون دون ضوابط، ولكنّهم نظّموا عمليّة لجوء المتكلّم إلى التّرخيم في كلامه وفق أصول وضوابط وقواعد متعارف عليها، وربّما اختلفوا في بعض حيثياتها؛ وذلك حتّى لا يكون التّرخيم وسيلة سهلة يلجأ إليها المتكلّم حيثما أراد.

يقول الزّمخشريّ عن شروط التّرخيم: "وله شرائط: إحداها: أن يكون الاسم علماً، والثّانية: أن يكون غير مضاف، والثّالثة: أن لا يكون مندوباً ولا مستعاناً، والرّابعة: أن تزيد عدّته على ثلاثة أحرف إلا ما كان في آخره تاء تأنّيث فإنّ العلميّة والزّيادة على الثّلاثة فيه غير مشروطتين"^(٦).

(١) البيت لزهير في ديوانه، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ، ص ٢٧.

(٢) شرح المفصّل: ٢٠/٢.

(٣) شرح الرّضيّ على الكافية: ٣٩٣/١.

(٤) انظر: معاني النّحو: ١٨٦/٤.

(٥) انظر: الكتاب: ٢٣٩/٢، والأصول في النّحو: ٣٥٩/١.

(٦) انظر: الأصول في النّحو: ٣٥٩/١، والمفصّل: ٧١/١، وارتشاف الضّرب: ٢٢٢٧/٥، وهمع الهوامع: ٥٩/٢.

– الأسماء التي لا تُرَخَّم:

يمكن التعرف عليها مِنْ (الكتاب) لسيبويه حيث يقول: "واعلم أَنَّ التَّرْخِيمَ لا يكون في مضاف إليه ولا في وصف؛ لأنَّهما غيرُ مناديين، ولا يُرَخَّم مضاف ولا اسمٌ منونٌ في النداء... ولا تُرَخَّم مستغاثًا به إذا كان مجرورًا، لأنَّه بمنزلة المضاف إليه، ولا تُرَخَّم المندوب؛ لأنَّ علامته مستعملة... وإذا تبيَّت لم تُرَخَّم؛ لأنَّها كالتنوين"^(١)، ويقول في موضع آخر^(٢): "واعلم أَنَّ الحكاية لا تُرَخَّم؛ لأنَّك لا تريد أن تُرَخَّم غير منادى،... ولو رَخَّمتَ هذا لرَخَّمتَ رجلًا يسمَّى بقول عنتره"^(٣): يا دارَ عبلةَ بالجِواءِ تكَلِّمي"^(٤). وجاء في كتاب (التسهيل): "ولا يُرَخَّم اسم موصول ولا إشارة"^(٥).

– الأسماء التي رَخَّمتها العرب:

أ- الاسم المؤنث المنادى المختوم بالهاء، يقول سيبويه: "اعلم أَنَّ كلَّ اسم كان مع الهاء ثلاثة أحرف أو أكثر من ذلك، كان اسمًا خاصًّا غالبًا، أو اسمًا عامًّا لكلِّ واحدٍ مِنْ أُمَّة، فإنَّ حذف الهاء منه في النداء أكثر في كلام العرب، فأما ما كان اسمًا غالبًا، فنحو قولك: يا سَلَمَ أَقبل، وأما الاسم العام، فنحو قول العجاج^(٦):

جَارِي لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي^(٧)

(١) الكتاب: ٢٤٠/٢

(٢) نفسه: ٢٦٩/٢.

(٣) عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية العسبي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى، يُوصَف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعدوية، وكان مغرمًا بابنة عمه (عبلة)، عاش طويلًا، توفي سنة اثنتين وعشرين قبل الهجرة. انظر: الشعر والشعراء: ٢/ ٢٥٠-٢٥٤، و خزانة الأدب للبغدادي: ١/ ١٤٤، والأعلام: ٩٢-٩١/٥.

(٤) هذا صدر بيت لعنتره بن شداد على الكامل، وهو في ديوانه، تحقيق: محمد سعيد مولولي، ص ١٨٣، وعجزه:

عَمِّي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةَ واسلمي

(٥) المساعد على تسهيل الفوائد: ٥٤٧/٢.

(٦) رؤبة بن عبد الله العجاج، أبو الجحاف، أو أبو محمَّد: راجز، من الفصحاء المشهورين، وفي الوفيات: لمَّا مات رؤبة قال الخليل: "دفنا الشعر واللغة والفصاحة"، توفي سنة خمس أو سبع وأربعين ومائة للهجرة. انظر: الشعر والشعراء: ٢/ ٥٩٤-٦٠١، ووفيات الأعيان: ٢/ ٣٠٢-٣٥٠، و خزانة الأدب: ١/ ١٠٣، والأعلام: ٣/ ٣٤.

(٧) هذا صدر بيت للعجاج على الرجز، وعجزه:

سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي

وهو من شواهد سيبويه، ومذكور في الخزانة، جاء في (خزانة الأدب للبغدادي) ١٠٩/٢: "العذير: الأمر الذي يحاوله الإنسان فيُعَدَّر فيه، ويُقَل عن الرِّجَاجِ قوله: العذير: الحال؛ وذلك أَنَّ العجاج كان يُصَلِّحُ جِلْسًا لجمَلته فأنكرته امرأته عليه، وهزئت منه، فقال لها هذا "و(الجلس): كساء رقيق يكون تحت بردعة البعير، وهو يستره، يُقال في المثل: "صار جِلْسُ بيته"، إذا كان لا يبرح منه، ويقال: جِلْسٌ كَشَفَ نفسه... وهذا جلس يعزي نفسه، يُضْرَبُ لِمَنْ يقوم بالأمر يصنعه فيضيعه. انظر: مجمع الأمثال: ١/ ٤٠٤، ٢٠٦.

إذا أردتَ يا سَلْمَةُ، ويا جاريةً^(١). يُلاحظ على بيت العجاج- الذي استشهد به سيبويه على ترخيم كلمة (جارية)- أنَّ حرف النِّداء محذوف في كلمة (جاري)، وهو اسم نكرة قبل النِّداء، ويتعرَّف فقط بعد دخول حرف النِّداء عليه، والتَّقدير: يا جاري... وهذا بدوره استكمالاً للحديث عن مسألة جواز حذف حرف النِّداء التي سبق الاستماع إلى أقوال النُّحاة فيها^(٢).

من أمثلة ترخيم الاسم المؤنث المختوم بالهاء في (الأصمعيّات) قول سَوَّار بن المُضَرَّب: (الوافر)

أَلَا يَا سَلْمَ سَيِّدَةَ الْغَوَانِي أَمَا يُفْدَى بِأَرْضِكَ تِلْكَ عَانِ^(٣)

الظاهر أنَّه لا يُشترط في ترخيم هذا النوع من الأسماء شيء، يقول ابن عقيل: "لا يُشترط في ترخيمه علمية ولا زيادة على الثلاثة، قال بعض العرب: يا شا، ارجُني؛ أي: يا شاة، أقيمي؛ أي: لا تسرحي"^(٤)، ومن أمثله أيضاً قول دُرَيْد بن الصِّمَّة يرثي أخاه: (الطَّويل)

أَعَاذِلَ إِنَّ الرُّزْءَ فِي مِثْلِ خَالِدٍ وَلَا رُزْءَ فِيمَا أَهْلَكَ المَرْءَ عَنْ يَدِ^(٥)

يعلق البغدادي: فقله: (أعاذل) الهمزة للنِّداء، و(عاذل) منادى مرخَّم عاذلة^(٦).

ب- المركَّب تركيباً مزجياً، نحو: حضرموت، وسيبويه، وخمسة عشر علماً، فإنَّه يُرخَّم عند البصريين، ولم يُسمع، بل قاسوه على ما فيه تاء التَّأنيث^(٧).

هذا ولم أقف على أمثلة لهذه الصُّورة في (الأصمعيّات) فيما علمتُ.

ت- المنادى العَلَم الرَّائد المبني غير المؤنث بالتَّاء، نقول في شمردل علماً: يا شمرد، ويدخل فيه الكناية عن العَلَم، مثل: يا فلان، نقول فيه: يا فُلا تعال^(٨).

نقل ابن يعيش عن الكسائيِّ والفراء جواز ترخيم المضاف مستشهدين ببيت لزهير بن أبي سُلمي، هو قوله على الطَّويل:

خُذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكْرِمَ وَاذْكُرُوا وَأَوَّصِرْنَا وَالرَّحْمَ بِالْغَيْبِ تُذَكِّرُ^(٩)

(١) الكتاب: ٢٤١/٢.

(٢) انظر: ص ١٣٢-١٣٣ من هذا الفصل.

(٣) الأصمعيّات: ص ٢٣٨، رقم ٧.

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد: ٥٤٧/٢.

(٥) الأصمعيّات: ص ١١٩، رقم ٨، الرُّزء: المصيبة يفقد الأعرَّة، والجمع أرزاء. خالد: من أسماء عبد الله أخي دُرَيْد. مَا أَهْلَكَ المَرْءَ عَنْ يَدِ؛ أي: ما أهلك من المال. انظر: لسان العرب: ١٦٣٤/٤.

(٦) انظر: خزانة الأدب للبغدادي: ٢١٢/٢.

(٧) انظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٥٤٨/٢.

(٨) نفسه: ٥٤٩/٢.

(٩) البيت لزهير في ديوانه: ص ٢٧.

يعلّق ابن يعيش بقوله: "وهذا عندنا محمول على الضّرورة، وحاله حال ما رُخِم في غير النداء للضّرورة؛ لأنّ المضاف إليه غير منادى"^(١). ونسب البغدادي للكوفيّين أنّهم أجازوا ترخيم المضاف، ويقع الحذف في آخر الاسم الثّاني كما في البيت، وقالوا: المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشّيء الواحد فجاز ترخيمه كالمفرد، والأصل يا آل عكرمة، ومنع البصريّون هذا التّرخيم، وقالوا: لا حجّة في هذا البيت؛ لأنّه محمول على الضّرورة^(٢).

فإن قيل: هل يجوز ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف؟ قيل: اختلف التّحويّون في ذلك، فذهب البصريّون إلى أنّه لا يجوز ترخيمه؛ وذلك لأنّ التّرخيم إنّما دخل الكلام لأجل التّخفيف، وما كان على ثلاثة أحرف فهو في غاية الخفّة، فلا يحتمل الحذف؛ لأنّ الحذف منه يؤدّي إلى الإجحاف به. وذهب الكوفيّون إلى أنّه يجوز ترخيمه إذا كان أوسطه متحرّكاً، وذلك نحو قولك: في (عنق) يا (عُن) وفي (كنف) يا (كَت)^(٣).

دُكر أنّها لا يجوز ترخيم المضاف، ولكنّه سُمع عن العرب ترخيم (يا صاحبي)، يقول الجوهري: "وقولهم في النداء يا صاح؛ معناه يا صاحبي، ولا يجوز ترخيم المضاف إلّا في هذا وحده، سُمع من العرب مرخّماً"^(٤). وورد في (الأصمعيّات) عدد من الأبيات التي يظهر فيها التّرخيم بوضوح، حسب الشّروط التي سبق الكلام عنها^(٥)، ومن ذلك قول أبي دُوادِ الإياديّ، واسمه جارِيّة بن الحجاج بن حُذاق: (الخفيف)

مَنَعَ النُّومَ مَآوِيَ التَّهْمَامِ وَجَدِيرٌ بِأَلْهَمٍ مِّنْ لَا يَنَامُ^(٦)

ماوي، وفي رواية ماري: منادى مرخّم أصله: يا ماوية- يا مارية، ومنه قول امرئ القيس: (السريع)

يَا دَارَ مَآوِيَّةَ بِالْحَائِلِ فَالسَّهْبِ فَالْخَبْتَيْنِ مِّنْ عَاقِلٍ^(٧)

(١) شرح المفصّل: ٢٠/٢.

(٢) خزانة الأدب للبغداديّ: ٢٩٠/٢.

(٣) أسرار العريّة: ١٣٢.

(٤) الصّاح: ١٨٠/٢.

(٥) انظر: ص ١٥٠ من هذا الفصل.

(٦) الأصمعيّات: ص ٢٠٤، رقم ١، (الزيادات من الكتابين).

(٧) نفسه: ١٤٤، رقم ١، جاء في (ديوان امرئ القيس) ١٤١: "حائل، والسّهب، والخبّتان، وعائل: أسماء أماكن".

هنا ذكر الشاعر العَلَم (ماوية) ولم يَرَحِّمُه، نقل العلامة ابن منظور عن ابن بَرِّي قوله:
 "(أَمْ) مُنَادَى مُرَحَّم حُذِفَتْ مِنْهُ التَّاءُ، وليس في كلام العرب مضاف رُحِمَ في النداء غير (أَمْ) كما أَنَّهُ
 لم يُرَحِّمَ نكرة غير (صاحب) في قولهم: (يا صاح) ^(١)، وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ: (الطَّوِيل)

دَرِينِي وَنَفْسِي أَمْ حَسَانَ إِنِّي بِهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ الْبَيْعَ مُشْتَرِي ^(٢)

ومنه قوله أيضًا في القصيدة نفسها:

سَلِي السَّاعِبَ الْمُعْتَرَّ يَا أَمْ مَالِكِ إِذَا مَا اعْتَرَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْرِي ^(٣)

ومنه قول أبي دُوَادِ الْإِيَادِي يصف فرسًا: (المتقارب)

وَدَارٍ يَقُولُ لَهَا الرَّائِدُو نَ وَيَلُّ أَمْ دَارِ الْخُذَاقِي دَارًا ^(٤)

مِنَ الْأَعْلَامِ الَّتِي اعْتَرَاهَا التَّرْخِيمُ: أَمَامَةٌ، مِنْ أَمَلْتَهَا فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) قَوْلَ عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ:
 (الوافر)

وَقَدْ عَجِبْتُ أَمَامَةً أَنْ رَأَيْتِي تَفَرَّعَ لِمَتِّي شَيْبٌ فَظِيْعٌ ^(٥)

جاء في (لسان العرب) نقلًا عن ابن الأعرابي ^(٦): "(وَأَمِيْمَةٌ) وَ(أَمَامَةٌ): اسم امرأة، وَرَوَى
 الْأَصْمَعِيُّ (أَمَامَةً) بِالْأَلْفِ، فَمَنْ رَوَى أَمَامَةً عَلَى التَّرْخِيمِ، وَمَنْ رَوَى أَمِيْمَةً فَعَلَى تَصْغِيرِ التَّرْخِيمِ،
 قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ ^(٧): وَأَمَامَةٌ: ثَلَاثُمِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، هَكَذَا فَسَّرَهُ أَبُو الْعَلَاءِ ^(٨)، وَوَرَدَ هَذَا الْعَلَمُ هَكَذَا
 (أَمَامَةً) فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) مَرَّحَمًا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَهِيَ مَا ذَكَرْتُ، بَيْنَمَا لَمْ يَرِدْ مُصَغَّرًا هَكَذَا (أَمِيْمَةً).

(١) انظر: لسان العرب: ١٧/١ (أبي).

(٢) الأصمعيّات: ٤٧، رقم ٢.

(٣) نفسه: ٥١، رقم ٢٨.

(٤) نفسه: ص ٢٠٩، رقم ١ (الزيادات من الكتابين).

(٥) نفسه: ص ١٩٢، رقم ١٢ (الزيادات من الكتابين).

(٦) ابن الأعرابي: محمّد بن زياد، أبو عبد الله: راوية، ناسب، علامة باللّغة، قال ثعلب: "شاهدت مجلس ابن
 الأعرابي، وكان يحضره زهاء مائة، كان يسأل ويقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشرة سنة، ما
 رأيت بيده كتابًا قط، ولقد أملى على الناس ما يُحمل على أجمال، ولم يُرَ أحد في علم الشعر أغزر منه".
 انظر: وفيات الأعيان: ٣٠٦/٤، والوافي بالوفيات: ٦٦/٣، وبغية الوعاة: ١٠٥/١، والأعلام: ١٣١/٦-١٣٢.

(٧) عليّ بن إسماعيل، المعروف بابن سيده الأندلسي، أبو الحسن: إمام في اللّغة وآدابها، صنّف: (المخصّص)،
 وغيره وهو من أئمة كنوز العربيّة، كان ضريّرًا، اشتغل بنظم الشعر مدّة، توفّي سنة ثمان وخمسين وأربعمئة
 هجرية. انظر: وفيات الأعيان: ٣٣٠/٣، والأعلام: ٢٦٣/٤.

(٨) لسان العرب: ١٣٩/١ (أمم).

- الترخيم في غير النداء:

تحدثت النحاة عن حالات يجوز فيها الترخيم، في غير ما تعارفوا عليه من ترخيم المنادى، ومن ذلك الترخيم لأجل الضرورات الشعرية، من أجل أن يستقيم الوزن أو القافية أو الاثنان معاً، حيث أجازوا للشاعر ما لم يجيزوا لغيره، يقول سيبويه: "واعلم أن الترخيم لا يكون إلا في النداء إلا أن يضطر شاعر" (١). واستشهد المبرّد على جواز الترخيم في غير النداء ببيت (٢) للحطيئة، قاله في هجاء امرأته، وهو قوله على (الوافر):

أَطَوْفُ مَا أَطَوْفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَاعِ (٣)

يعلق المبرّد بقوله: "وقد اضطرّ الحطيئة فذكر (لكاع) في غير النداء" (٤)، هذا ولم أقف في (الأصمعيّات) على أسماء رُحمت في غير النداء على حدّ ما علمتُ.

- تصغير الترخيم:

جاء في (شرح ابن عقيل): "من التّصغير نوع يسمّى تصغير التّرخيم: وهو عبارة عن تصغير الاسم بعد تجريده من الزوائد التي هي فيه" (٥). ومن الأمثلة التي وردت في (الأصمعيّات) من هذا القبيل قول عوف بن عطية الذي صغّر (فاطمة) على (فطيمة) حيث جرّد العلم من الألف: (الكامل)

سَخِرْتُ فُطَيْمَةً أَنْ رَأَيْتِي عَارِيًا جَرَزِي إِذَا لَمْ يُخْفَهُ مَا أَرْتَدِي (٦)

المطلب الثاني: الاستغاثة

من البنى النّدائيّة التّابعة للنداء الاستغاثة، تحدثت عنها النحاة في معرض حديثهم عن النداء، والاستغاثة: دعاء المستنصر المستنصر به، والمستعين المستعان به، وإذا استغيث بالمنادى أو تُعجّب منه جرّ باللام مفتوحة للفرق بينه وبين المستغاث من أجله، فنقول: يا لله للمسلمين (٧).

(١) الكتاب: ٢٣٩/٢.

(٢) البيت في ديوانه، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ص٩٣.

(٣) أطوف: أكثر الطوفان، قعيدة البيت: ربّنة، وإتما قيل: قعيدة؛ لعودها وملازمتها، ويقال في النداء للثيم: يا لكع، ولأنثى: يا لكاع، وهي اللثيمة. انظر: الكامل: ٢٠٨/١.

(٤) الكامل، محمّد بن يزيد المبرّد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ، خ١، ص٢٠٨.

(٥) شرح ابن عقيل: ١٤٩/٤.

(٦) نفسه: ص١٨٩، رقم (الزيادات من الكتابين). جرّز الإنسان: جسمه.

(٧) انظر: شفاء العليل في إيضاح التسهيل، لأبي عبد الله محمّد بن عيسى السلسلي، (ت: ٧٧٠هـ)، تحقيق: عبد الله علي الحسيني البركاتي، المكتبة الفيصلية، مكّة، ط١، ١٤٠٦هـ، ج٢، ص٨١٥.

وعرّفها السُّبُوطِيُّ بِأَنَّهَا: "دعاءُ المُسْتَعِثِّ المُسْتَعَاثِ"^(١)، والاسْتَعَاثَةُ هِيَ نداءٌ مَنْ يَعِينُكَ عَلَى مَشَقَّةٍ أَوْ يُخَلِّصُكَ مِنْ شِدَّةٍ وَقَعَتْ فِيهَا. ونقولُ للمنادَى مُسْتَعَاثًا، وللمنادِي مُسْتَعِثًّا.

- **أحكامها:** وللاستعاثة أحكام منها:

١- ما يُسْتَعْمَلُ مِنْ حُرُوفِ النِّداءِ فِي الاسْتَعَاثَةِ (يا):

يقول الرُّضِيُّ: "ولا يُسْتَعْمَلُ مِنْ حُرُوفِ النِّداءِ فِي الاسْتَعَاثَةِ والتَّعَجُّبِ إِلَّا (يا) وحدها؛ لكونها أشهر في النِّداءِ، فكانت أولى بأن يُنَوِّسَ فِيهَا باستعمالها في المنادى المُسْتَعَاثِ به والمتعجَّب منه"^(٢).

٢- يُجْرُ المُسْتَعَاثُ بلامٍ مُفْتوحَةٍ، بينما يُجْرُ المُسْتَعَاثُ لَهُ بلامٍ مَكسُورَةٍ، ويعلِّقُ ابنُ مَنْظُورٍ عَلَى اللَّامِينِ بِقَوْلِهِ: "واللَّامانِ جَمِيعًا لِلجُرِّ وَلكِنَّهُم فَتَحُوا الأُولَى وَكسَرُوا الثَّانِيَةَ؛ لِيُفَرِّقُوا بَيْنَ المُسْتَعَاثِ بِهِ وَالمُسْتَعَاثِ لَهُ، وَقَدْ يَحذِفُونَ المُسْتَعَاثِ بِهِ وَيُبْقُونَ المُسْتَعَاثَ لَهُ، يَقُولُونَ: يَا لِمَاءِ يَرِيدُونَ يَا قَوْمَ لِمَاءِ؛ أَي: لِمَاءِ أَدْعُوكُمْ"^(٣).

٣- مِنَ التَّعْرِيفِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ لَلاستعاثةَ أربعةَ أركانٍ، هِيَ:

أ- المُسْتَعِثُّ: وَهُوَ النَّاطِقُ بِالاسْتَعَاثَةِ الَّذِي يَطْلُبُ العونَ.

ب- حَرْفُ الاسْتَعَاثَةِ: وَلِهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ فَقَطْ هُوَ (يا).

ت- المُسْتَعَاثُ بِهِ: وَهُوَ الَّذِي يُطَلَّبُ مِنْهُ العونُ وَالمُساعدَةُ، وَيُجْرُ فِي الأَغْلَبِ بِالأَلامِ المُفْتوحَةِ، جَاءَ فِي (المَقْتَضِبِ): "فَإِذَا دَعَوْتَ شَيْئًا عَلَى جِهَةِ الاسْتَعَاثَةِ، فَالأَلامُ مَعَهُ مُفْتوحَةٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرِ بْنِ الخَطَّابِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- صائِحًا لَمَّا طُعِنَ: يَا اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ! فَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى شَيْءٍ فَالأَلامُ مَعَهُ مَكسُورَةٌ، تَقُولُ: يَا لِلعَجَبِ، وَإِنَّمَا فَتِحَتْ الأَتِي لِلْمُسْتَعَاثِ عَلَى الأَصْلِ؛ لِيُفَرِّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ هَذِهِ الأَتِي وَصَفْنَا"^(٤).

ث- المُسْتَعَاثُ لَهُ: وَهُوَ مَنْ تُطَلَّبُ لَهُ المُساعدَةُ وَالثُّبُوتُ وَالتَّأْيِيدُ، وَيُجْرُ بِلامٍ مَكسُورَةٍ، جَاءَ فِي (شَرْحِ التَّنْصِيحِ): "وَالامُ المُسْتَعَاثِ لَهُ مَكسُورَةٌ دائِمًا، عَلَى الأَصْلِ، كَقَوْلِ عَمْرِ- رَضِيَ اللهُ: "يَا اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ"، بِكسْرِ لامٍ (لِلْمُسْلِمِينَ)^(٥). وَيَعْلَلُ الرُّضِيُّ كسْرَ لامِ المُسْتَعَاثِ لَهُ بِقَوْلِهِ: "وَإِنَّمَا تُكسِرُ لامَ المُسْتَعَاثِ لَهُ؛ لِعَدَمِ وَقوعِهِ مَوْجِعِ الضَّمِيرِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: يَا اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ"^(٦).

(١) همع الهوامع: ٥٣/٢.

(٢) شرح الرُّضِيِّ عَلَى الكافية: ٣٥٤/١.

(٣) انظر: الصَّحاح: ٣١٣/٦، ولسان العرب: ٤١٠٤/٥ (لوم).

(٤) انظر: المقتضب: ٢٥٤/٤.

(٥) شرح النَّصْرِيحِ عَلَى التَّوْضِيحِ: ٢٤٤/٢.

(٦) شرح الرُّضِيِّ عَلَى الكافية: ٣٥٣/١.

٤- يمكن حذف المستغاث، نحو: يا للمظلوم، وقد يُستغنى عن المستغاث له إذا كان معلوماً^(١).
 ٥- نعوّض بالألف في آخر المستغاث عن اللام المفتوحة في حالة حذفها من أوله، نحو: يا خالداً للمسلمين، ويمكن أن يخلو من الاثنتين: يا خالد للمسلمين. يقول أبو حيان: "وتعاقب اللام ألف كالف المندوب، فنقول: يا زيدا، ولا يُجمع بينهما، فلا يجوز: يا لزيدا"^(٢).
 ٦- يمكن جرّ المستغاث له بـ(من)، مثل قولك: يا لله من كيد الاحتلال، يقول السيوطي: "وقد يُجرّ المستغاث من أجله بـ(من)؛ لأنها تأتي للتعليل كاللام"^(٣).
 ٧- في حالة العطف تُفتح لام المعطوف إذا كررنا (يا)، يقول الرضي: "وإن عطف مع (يا) فلا بدّ من فتح لام المعطوف أيضاً"^(٤). وإذا تمّ العطف دون تكرير (يا) كُسرَت لام المعطوف: يا لمحمد ويا لعثمان للمهوف، يا لمحمد ولعثمان للمهوف. يقول المبرد: "إنما فتحتها في الأوّل فراراً من اللبس، فلما عطف عليه الثاني علم أنه يراد به ما أريد بما قبله فأجريت مجراها في الظاهر"^(٥).
 ويقول الرضي: "فإن عطف بغير (يا) كُسرَت لام المعطوف؛ لأنّ الفرق بينه وبين المستغاث له حاصل بعطفه على المستغاث"^(٦).

٨- تُفتح لام المستغاث له إذا كان ضميراً غير ياء المتكلم، نحو: يا لصاح الدين لنا. هذا وقد ورد في (الأصمعيّات) بيتان تتمثل فيهما الاستغاثة، هما قول سَهْم بن حَنْظَلَةَ الغنويّ: (البسيط)

يَا لِلرِّجَالِ لِأَقْوَامٍ أَجَاوِرُهُمْ مُسْتَقْبِسِينَ وَلَمَّا يُقْبِسُوا لَهَا^(٧)

وقول كَعْب بنِ سَعْدِ الغنويّ: (الطّويل)

وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(٨)

يُلاحظ هنا أنّه يجوز نداء الاسم الموصول، فـ(مَنْ) اسم موصول بمعنى النّدي، وهو يستغيث بأهل الكرم وما من مجيب!

(١) انظر: ارتشاف الضرب: ٢٢١١/٥، وشرح الرضيّ على الكافية: ٣٥٣/١

(٢) ارتشاف الضرب: ٢٢١٤/٥.

(٣) انظر: همع الهوامع: ٥٤/٢، وارتشاف الضرب: ٢٢١١/٥، وشرح الرضيّ على الكافية: ٣٥٢/١.

(٤) انظر: شرح الرضيّ على الكافية: ٣٥٢/١، وارتشاف الضرب: ٢٢١٢/٥، وهمع الهوامع: ٥٤/٢.

(٥) المقتضب: ٢٥٥/٤.

(٦) شرح الرضيّ على الكافية: ٣٥٢/١، وهمع الهوامع: ٥٤/٢.

(٧) الأصمعيّات: ص ٦٠، رقم ٢١.

(٨) نفسه: ص ١١٢، رقم ٣٦. النّدي: الكرم.

المطلب الثالث: النُدْبَة

- المعنى اللُّغويُّ للنُّدْبَة:

جاء في (الصَّحاح): "تَدَبَّ المَيْتُ؛ أي: بكى عليه، وعدَّدَ محاسنه، يندبه ندبًا، والاسم النُّدْبَة بالضَّمِّ... وندبه لأمر فانتدب له؛ أي: دعاه له فأجاب... ورجل ندب؛ أي: خفيف في الحاجة، وفرس ندب؛ أي: ماضٍ، والندب، بالتحريك: الخطر... وتقول: رَمَيْنا ندبًا؛ أي: رشقًا، والندب أيضًا: أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد"^(١).

- النُّدْبَة في اصطلاح النُّحاة:

عرَّفها صاحب (الجنى الدَّاني) بأنَّها: "نداء المتفجّع عليه، والمتوجّع منه. نحو: وازيداه"^(٢)، وجاء في (أسرار العربية): "إنَّ قال قائل: ما النُّدْبَة؟ قيل: تفجّع يلحق النَّادِب عند فقد المندوب، وأكثر ما يلحق ذلك النَّساء لضعفهنَّ عن تحمُّل المصائب"^(٣)، واعتبر السُّيوطيُّ المندوب نوع من المنادى كسابقه، والنُّدْبَة مصدر (ندب) المَيْت، إذا تفجّع عليه، وذكر خلاله الجميلة في معرض المدح، والنُّدْبَة من كلام النَّساء غالبًا، وألحق به الغائب^(٤).

من خلال التَّعريفات السَّابِقة يمكن استخلاص ثلاثة أنواع من المنادى المندوب، وهي:

- أ- المنادى المندوب المفقود حقيقة، كقول عائشة- رضي الله عنها- باكية على أبيها: "وا أبتاه".
- ب- المنادى المندوب حكمًا: ومثاله قول المرأة العربية مستغيثة بالمعتصم: "وا معتصماه؛ ذلك لأنَّ المعتصم في الوقت الذي أطلقت فيه تلك المرأة استغاثتها كان حيًّا.
- ت- المنادى المندوب توجُّعًا: ومن أمثلته قول المتنبي: (البسيط التَّام)

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ مَمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيْمٌ وَمَنْ بَجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٥)

دُكِّرَ في هذا الفصل أنَّ (وا) تستعمل لنداء المندوب (في النُّدْبَة)^(٦)، وقد تستعمل (يا) للنُّدْبَة بشرط وضوح هذا المعنى في السِّياق، مع عدم وقوع لبس، وقد تمثَّل ذلك في (الأصمعيَّات) في قول سُعدى بنت الشَّمرِ دل الجُهنيَّة ترثي أباها: (الكامل)

يَا مُطْعِمَ الرُّكْبِ الجِياعِ إِذَا هُمْ حثُّوا المَطِيَّ إِلَى العُلَى وَتَسرَّعُوا^(٧)

(١) انظر: الصَّحاح: ٢٤٤/٢.

(٢) الجنى الدَّاني: ٣٥١.

(٣) أسرار العربية: ١٣٥.

(٤) انظر: همع الهوامع: ٤٩/٢، وارتشاف الضَّرْب: ٥/٢١١٥.

(٥) البيت في ديوانه، دار بيروت للنَّشر، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ٣٣١.

(٦) انظر: ص ١٢١ من هذا الفصل.

(٧) الأصمعيَّات: ص ١١٦، رقم ٢٠، الرُّكْب: الجماعة الرُّكْبون. وحثُّوا: أهاجوا وأثاروا. والمطي: الإبل تُمنطى.

فجُو النَّصُّ الَّذِي قِيلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ إِتْشَاءَ الشَّعْرِ بَعْدَ مَوْتِ أُخِيهَا (أَسْعَدِ) الَّذِي قَتَلْتَهُ بَهْزٍ - مِنْ بَنِي سَلِيمٍ - دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ (يَا) لِلنُّدْبَةِ، وَيُلَاحِظُ أَنَّ الْمُنَادَى هُنَا مُضَافٌ؛ لِذَلِكَ فَهُوَ مَنْصُوبٌ وَعَلَامَةُ نَصْبِهِ الْفَتْحَةُ الظَّاهِرَةُ، فَهُوَ مَعْرَبٌ وَلَيْسَ مَبْنِيًّا.

- الْغَرَضُ مِنَ النُّدْبَةِ:

الغرض منها: إظهار التَّفَجُّع، والإعلام بِعِظَمِ المصَابِ، وهذا يناسبه مَدُّ الصوت؛ لذلك لا يجوز حذف حرف النُّدْبَةِ، جاء في (الكتاب): "اعلم أَنَّ المندوب مدعوٌّ ولكنَّه متفجَّع عليه، فإنَّ شئتَ ألحقتَ في آخر الاسم الألف؛ لأنَّ النُّدْبَةَ كأنَّهم يترنِّمون فيها، وإنَّ شئتَ لم تُلحَق كما لم تُلحَق في النِّدَاءِ"^(١).

- الْحُرُوفُ الَّتِي تُسْتَعْمَدُ فِي النُّدْبَةِ:

للنُّدْبَةِ حرف واحد، هو (وا)، ويمكن استخدام (يا) إذا أمن اللبس، يقول سيبويه: "واعلم أَنَّ المندوب لا بُدَّ له مِنْ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ اسْمِهِ (يَا) أَوْ (وا)، كما لزم (يا) المُسْتَعْتَبُ بِهِ وَالمْتَعَجَّبُ مِنْهُ"^(٢).

ويتساءل ابن الإنباري: "فإن قيل: فما علامة النُّدْبَةِ؟ قيل: (وا) أَوْ (يا) فِي أَوَّلِهِ، وَأَلْفٌ وَهَاءٌ فِي آخِرِهِ، وَإِنَّمَا زِيدَتْ (وا) أَوْ (يا) فِي أَوَّلِهِ وَأَلْفٌ فِي آخِرِهِ لِيُمدَّ بِهَا الصَّوْتُ"^(٣). وجاء في (همع الهوامع): "ويختصُّ مِنْ حُرُوفِ النِّدَاءِ بِحَرْفَيْنِ (وا) وَهِيَ الْأَصْلُ وَ(يا) وَلَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا عِنْدَ أَمْنِ اللَّبْسِ بِالْمُنَادَى غَيْرِ الْمُنْدُوبِ، كَأَنْ يَنْدُبَ مِيتًا اسْمَهُ (زيد) وَبِحَضْرَتِكَ مَنْ اسْمُهُ زَيْدٌ"^(٤).

- مَا يُنْدَبُ، وَمَا لَا يُنْدَبُ:

ما يُنْدَبُ: المتفجَّع عليه إذا كان مشهورًا، ويُشترط أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَةً دُونَ النِّكْرَةِ، فَلَا يَصِحُّ نَدْبُهَا، وَلَا تَدْبُ الْمَعْرِفَةُ الْمُبْهَمَةُ، مِثْلُ: أَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ وَالضَّمَائِرِ وَأَسْمَاءِ الْمَوْصُولِ وَالْمَعْرَفِ بِ(أل). وعن الأسماء الَّتِي لَا يَصِحُّ نَدْبُهَا يَحْدِثُنَا سِيبَوِيهِ: هَذَا بَابُ مَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْدَبَ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: وَارْجُلَاهُ، وَبَارِجُلَاهُ. وَزَعَمَ الْخَلِيلُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَيُونُسُ أَنَّهُ قَبِيحٌ، وَأَنَّهُ لَا يَقَالُ، وَقَالَ الْخَلِيلُ - رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا قَبِيحٌ لِأَنَّكَ أَبْهَمْتَ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: وَارْجُلَاهُ، كَانَ قَبِيحًا؛ لِأَنَّكَ إِذَا نَدَبْتَ، فَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْجَعَ بِأَعْرَفِ الْأَسْمَاءِ، وَأَنْ تَخْصَّ وَلَا تُبْهَمَ؛ لِأَنَّ النُّدْبَةَ عَلَى الْبَيَانِ، وَلَوْ جَازَ هَذَا لَجَازَ يَا

(١) الكتاب: ٢/٢٢٠.

(٢) نفسه: ٢/٢٢٠.

(٣) أسرار العريية: ١٣٥.

(٤) همع الهوامع: ٢/٤٩.

رجلاً ظريفاً، فكننت نادباً نكرة^(١). وتحدّث أبو حيّان عمّا لا يُندب، معتمداً على كلام سيبويه بقوله: "ولا يكون المندوب مضمرّاً، ولا اسم إشارة، ولا موصولاً بصلة لا تعيّنهُ، ولا اسم جنس مفرداً على مذهب الجمهور"^(٢).

المطلب الرَّابِع: النِّداء الَّذِي يَحْمِلُ مَعْنَى الدُّعَاءِ، والنِّداءُ التَّعْجِيبِيّ

أولاً: النِّداء الَّذِي يَحْمِلُ مَعْنَى الدُّعَاءِ، ومثاله مِنْ (الأصمعيّات) قول قَيْسِ بْنِ الخَطِيمِ:
(المنسرح)

رَبِّ لَا تَبْعِدَنْ دِيَارَ بَنِي عُدْرَةَ حَيْثُ انْصَرَفْتُ وانْصَرَفُوا^(٣)

فالنِّداء هنا موجّه من الشّاعر إلى الله - عزّ وجلّ - وهو نداء حكميّ؛ إذ ليس المقصود منه الحضور والإقبال، إنّما أن يستجيب الله - سبحانه - لنداء الدّاعي، والنِّداء هنا خرج عن دلّالته الأصليّة؛ وهي طلب إقبال المدعوّ وتبنيه إلى الطّلب (النّهي) الَّذِي غرضه الدُّعاء. والعلاقة جدّ وثيقة بين الدُّعاء والنِّداء، فغالباً ما يكون أحدهما مقروناً بالآخر، وإلى هذا المعنى أشار صاحب (التّحرير والتّنوير) بقوله: "لأنّ الدُّعاءَ يَصْدُرُ بالنِّداءِ غَالِباً"^(٤)، وهذه هي الحالة الوحيدة الّتي وردت في (الأصمعيّات) وقد نُودي فيها ربُّ العزّة.

ثانياً: النِّداءُ التَّعْجِيبِيّ

سبق التّعريض لهذه البنية النِّدائيّة بالتّفصيل عند الحديث عن التّعجب السّماعيّ في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل^(٥)، وحبذا لو استذكرت معي قول صاحب (همع الهوامع) عن النِّداء الَّذِي يفيد معنى التّعجب: "والتّعجب بالنِّداء على وجهين: أحدهما: أن تری أمراً عظيماً فتنادي جنسه نحو: يا للماء، والآخر أن تری أمراً تستعظمه، فتنادي من له نسبة إليه أو مكنة؛ أي: التّمكّن فيه نحو يا للعلماء"^(٦).

(١) الكتاب: ٢٢٧/٢.

(٢) ارتشاف الضرب: ٢٢١٥/٥.

(٣) الأصمعيّات: ص ٢١٧، رقم ١٤.

(٤) التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور التّونسيّ، (ت: ١٣٩٣هـ)، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، (د. ط)،

١٤٠٤هـ، ج ١٢، ص ٨٤.

(٥) انظر: ص ٤٥-٤٨ من الفصل الأوّل.

(٦) همع الهوامع: ٥٣/٢.

وسبق التمثيل للنداء التَّعْجُبِيّ مِنْ (الأصمعيّات)^(١) في المكان المذكور، ولا حاجة لذكر ما سبق الحديث عنه مرّة أخرى. ويكفي ذكر مثال واحد عليه هو قول امرئ القيس: (الوافر)

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ مِنْ أَنْاسٍ هُمْ كَانُوا الشَّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا^(٢)

في هذا البيت نُودي اللَّهْفُ، وهو ممّا لا يعقل، وكان الهدف تنبيه المخاطب، وتأكيد القصّة التي يروها الشاعر، فإذا قال: يا لهف هند، فكأنّه قال: يا هند، تلهّفي على ما حصل لي من عدم إدراكي لقتلة أبي من أجل النّيل منهم وتضييعي الفرصة التي سنحت أمامي.

يقول الزركشي: «معنى النداء فيما لا يعقل تنبيه المخاطب وتوكيد القصّة، فإذا قلت: يا عجباً فكأنّك قلت: اعجبوا»^(٣). واللّهف يحمل معنى الحسرة والتّحزّن والأسف على شيء فانت، ولكنّه أنزل هنا منزلة العقلاء عندما ناداه الشاعر، يقول صاحب (التّحرير والتّوير): «وَنِدَاءُ الْأَسْفِ مَجَازٌ، نَزَلَ الْأَسْفَ مَنْزِلَةً مَنْ يَعْقِلُ فَيَقُولُ لَهُ: احْضُرْ فَهَذَا أَوْ أَنْ حُضُورِكَ»^(٤).

وفي نهاية هذا الفصل الذي خصّص للنداء يمكن وضع تصوّر للسبب الذي جعل حرف النداء (يا) أكثر دوراً من غيره في ديوان (الأصمعيّات)، فيمكن القول وعلى الله - تعالى - المعتمد: من المعروف أنّ (يا) لنداء البعيد، وإن كان هناك من اعتبرها لنداء القريب والبعيد على حدّ سواء؛ لأنّها أعمّ وأشمل أحرف النداء، كما ذكر أبو حيّان، والشعراء الذين يقيمون في البادية - التي توصّف بأنّها مترامية الأطراف - استخدموا حرف النداء (يا) بكثرة، وذلك يتفق مع طبيعة البيئة التي عاش فيها هؤلاء الشعراء، لا سيّما أنّ (الأصمعيّات) تتضمّن أشعاراً نقلها الأصمعيّ عن العرب الأفحاح.

وإذا كان البعد المكانيّ يشكّل أحد الأسباب - حسبما يعتقد الباحث - التي تفسّر ظاهرة بادية ملموسة في ديوان (الأصمعيّات)، وهي: دوران حرف النداء (يا) بين محتوياتها الشعريّة أكثر من غيره، فإنّ هناك سبباً آخر، يتمثّل في البعد النّفسيّ أحياناً بين الشعراء ومن يخاطبونهم، ومن أمثلة هذا النوع صدود المحبوبة وعدم استجابتها لدعوة من يدعوها للوصل وعدم الهجران والصدود، ولكن دون جدوى، فيحصل البعد النّفسيّ بين الشاعر ومحبوبته ممّا يضطرّه إلى استخدام حرف النداء (يا) عند توجيه النداء العاجل لاستمالة قلبها.

(١) انظر: ص ٤٥ - ٤٨ وما بعدها من الفصل الأوّل.

(٢) الأصمعيّات: ص ١٤٥، رقم ١.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣/٣٥٣.

(٤) التّحرير والتّوير: ١٣/٤٢.

أخيراً وليس آخراً يتّضح أنّ النداء من الأساليب الأكثر تداولاً على ألسنة المخاطبين، وممّا يدلُّ على أهمّيّة النداء في كلام البشر أنّ النداء أحد وسائل الاتّصال والتّواصل بين النّاس، فهو وسيلة تمهيديّة للتّفاهم حول أمر من الأمور، وهذا يعتبر دليلاً على أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة. باختصار يمكن القول: إنّ أسلوب النداء من الظواهر اللّغويّة التركيبيّة المهمّة التي تناولتها دراسات متنوّعة: بلاغيّة، ونحويّة، ودلاليّة بالتّفصيل.

الفصل الثالث

ظاهرة الاستفهام في ديوان (الأصمعيّات)

ويشتمل على ما يأتي:

- توطئة

- الاستفهام: لغة واصطلاحًا

المبحث الأول: الاستفهام: أقسامه ومعانيه

المطلب الأول: أدوات الاستفهام.

المطلب الثاني: حرفا الاستفهام (الهمزة، وهل).

المبحث الثاني: أسماء الاستفهام، ويتضمّن:

المطلب الأول: أسماء الاستفهام ذات الحرفين: (ما، مَنْ، كم).

المطلب الثاني: أسماء الاستفهام ذات الثلاثة أحرف: (أين، متى، كيف، أيّ).

المطلب الثالث: أسماء الاستفهام ذات الأربعة أحرف (ماذا، مَنْ ذا، أنّى).

المطلب الرابع: اسم الاستفهام ذا الخمسة أحرف (أيّان)، ألفاظًا ألحقتها العرب

بالاستفهام.

توطئة

الاستفهام من الأساليب الضرورية لأي لغة من لغات العالم المتعارف عليها أو غير المتعارف عليها، فلا يستطيع قوم الاستغناء عنه من أجل تحقيق التّواصل مع الآخرين؛ ولأهمية أسلوب الاستفهام للمتكلّم ولسمّاع على حدّ سواء اهتمّ به اللّغويّون والبلاغيّون والنّحويّون، وأفردوا له أماكن لا يُستهان بها في مصنفاتهم، فعرفوه لغةً واصطلاحًا، وتحدّثوا عن أدواته، وفصدّوا القول فيها، فالتّحاة الأوائل لم يغفلوا الحديث عن الاستفهام وكلّ ما يتعلّق به من أحكام.

جاء اللّاحقون ولم يستطيعوا إضافة الشّيء الكثير على التّصوّر الذي رسمه الأوائل عن هذا النّوع من الأساليب، بل وُجدَ مَنْ يصرّح أنّ مَنْ جاء بعد سيبويه كانوا عيالاً على كتابه، نقل البغداديّ عن المازنيّ قوله: "مَنْ أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النّحو بعد كتاب سيبويه فليستحي ممّا أقدم عليه"^(١).

والاستفهام: أسلوب يُطلَب به العلم عن شيء كان مجهولًا، والجملة الاستفهاميّة: هي الجملة المبدؤة بأداة استفهام.

والاستفهام قسمان: حقيقيّ يقصد به صاحبه معرفة ما يجهله، ومجازي: يعلم فيه صاحبه جوابه، ولكنّه يقصد معنًى آخر يُفهم من السّياق بعد التأمّل في النّص، وأطلق عليه بعض النّحويّين الاستخبار^(٢).

والاستفهام من المصطلحات المعروفة عند البلاغيّين، والتي تداولوها في كتبهم، واعتبروه من الأساليب الإنشائيّة الطّليبيّة، كما هو متعارف عندهم، مع أنّ سيبويه سبقهم إلى الحديث عنه، حتّى أنّه عقد في كتابه بابًا سمّاه: "باب ما يُختار فيه النّصب وليس قبله منصوب بُني على الفعل"، وهو باب الاستفهام^(٣)، ثمّ جاءت الدّراسات البلاغيّة للاستفهام كمصطلح بلاغيّ فيما بعد. ويتمّ أسلوب الاستفهام بطرق منها ما هو بأداة مذكورة، ومنها ما هو بأداة غير مذكورة، بنغمة صوتيّة معيّنة تدلّ على أنّ سياق الكلام استفهام.

(١) خزانة الأدب للبغداديّ: ٣٥٨/١.

(٢) انظر: الصّاحبيّ: ١٣٤.

(٣) انظر: الكتاب: ٩٨/١.

– الاستفهام لغة واصطلاحاً

أولاً: الاستفهام لغة

يقول ابن يعيش: "الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحد، فالاستفهام مصدر استفهمت؛ أي: طلبتُ الفهم، وكذلك الاستعلام والاستخبار" (١).
وجاء في (لسان العرب): "الفَهْمُ معرفتك الشيء بالقلب... وفهّمت الشيء عَقَلْتُهُ وعَرَفْتُهُ وفهّمت فلاناً وأفهّمته ونقّهم الكلام فهّمه شيئاً بعد شيء، ورجل فهّم: سريع الفهم، ويقال: فهّم وفهّم وأفهّمه الأمر وفهّمه إياه جعله يفهمه واستفهمه: سأله أن يفهمه" (٢).

ثانياً: الاستفهام اصطلاحاً:

جاء في كتاب (الصدّاحي): "الاستخبار: طلب خُبْر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام. وذكّر أنّ ناساً فرّقوا بين الاستخبار والاستفهام قالوا: وذلك أنّ أولى الحالين الاستخبار، لأنّ تستخبر فتجأب بشيء، فربّما فهّمته وربّما لم تفهمه، فإذا سألت ثانيةً فأنت مستفهم تقول: أفهمني ما قلته لي" (٣)، وجاء في (دلائل الإعجاز): "الاستفهام استخبار، والاستخبار: هو طلب من المخاطب أن يُخبرك" (٤)، وجاء في (البرهان): "الاستخبار: وهو طلب خبر ما ليس عندك، وهو بمعنى الاستفهام؛ أي: طلب الفهم" (٥).

إنّ جاز إعطاء تصوّر لمصطلح الاستفهام فإنّه يمكن القول: الاستفهام هو طلب العلم بشيء (ما)، لم يكن معروفاً لدى السائل، وذلك باستخدام أداة من أدواته المتعارف عليها، أو الإيحاء بما يدلّ على أنّ المُستفهم يريد إزاحة الإبهام الذي يكتنف أمراً (ما).

(١) انظر: شرح المفصل: ١٥٠/٨، والصفوة الصفيّة: ٢٩٩/٢

(٢) لسان العرب: ٣٤٨١/٥.

(٣) انظر: الصّاحبيّ في فقه اللّغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا، (ت: ٣٩٥هـ) علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ص ١٣٤.

(٤) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الفارسيّ الأصل، الجرجانيّ، (ت: ٤٧١هـ) القاهرة، مكتبة الخانجيّ، (د. ط)، (د. ت)، ص ١٤٠.

(٥) البرهان: ٣٢٦/٢.

المبحث الأول

الاستفهام أقسامه ومعانيه

المطلب الأول: أدوات الاستفهام

للاستفهام ثلاث عشرة أداة، بها يتحقق الغرض من طلب الإفهام، منها الحروف، ومنها الأسماء، والأسماء منها المعرب ومنها المبني، وهذه الأدوات هي: الهمزة، وهل، وما، وماذا، وأني، ومن، ومن ذا، وأين، وكيف، وأي، وكم، ومتى، وأيان.

وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل إلا إنهم توسعوا فيها فابتدعوا بعدها الأسماء والأصل غير ذلك، ألا ترى أنهم يقولون: هل زيد منطلق؟ فإن قلت: هل زيداً رأيت؟ وهل زيد ذهب؟ فبح، ولم يجز إلا في الشعر^(١).

حرفاً الاستفهام هما: (هل والهمزة) ومنهم من يلحق بهما (أم) أمثال ابن يعيش، يقول: وحروفه ثلاثة: (الهمزة، وهل، وأم) ولم يذكر الشيخ - الرّمخسري - هنا (أم)؛ لأنه ذكرها في حروف العطف^(٢).

ويقول سيبويه: "أما (أم) فلا يكون الكلام بها إلا استفهاماً، ويقع الكلام بها في الاستفهام على وجهين: على معنى أيهما وأيهم، وذلك قولك: أزيد عندك أم عمرو؟ وعلى أن يكون الاستفهام الآخر منقطعاً من الأول"^(٣).

ونقل البغدادي عن أبي عبيدة - معمر بن المثنى - أن (أم) تأتي بمعنى الاستفهام المجرد، وقال: إن المعنى في: (أم رأيت): هل رأيت؟^(٤).

جاء في (الصّحاح): "وأما (أم) مخففة، فهي حرف عطف في الاستفهام، ولها موضعان، أحدهما: أن تقع معادلة لألف الاستفهام بمعنى (أي)، تقول: أزيد في الدار أم عمرو؟ والمعنى أيهما فيها؟ والآخر أن تكون منقطعة مما قبلها خبراً أو استفهاماً، تقول في الخبر: إنها لأبل أم شاء يا فتى... فانصرفت عن الأول فقلت: أم شاء، بمعنى بل؛ لأنه إضراب عما كان قبله، إلا أن ما يقع

(١) انظر: الكتاب: ١/ ٩٨ - ٩٩.

(٢) انظر: شرح المفصل: ١٥٠/٨.

(٣) الكتاب: ١٦٩/٣.

(٤) انظر: شرح أبيات المغني: ٢٣٥/١.

بعد (بل) يقين، وما بعد (أَمْ) مظنون، وتقول في الاستفهام: هل زيد منطلق أَمْ عمرو يا فتى؟ إنَّما أُضْرِبَتْ عن سؤالك عن انطلاق زيد وجعلته عن عمرو، ف(أَمْ) معها ظنٌّ واستفهام وإضراب^(١).
يقول الفراهيديُّ: "فَأَمَّا (أَمْ) المنقطعة، فنحو قولك: إِنَّهَا لِإِبِلٍ أَمْ شَاءَ، كَأَنَّهُ قَالَ: بل شاء هي، فمعناها إذا كانت منقطعة معنى (بل)؛ ولذلك لا تجيء مبتدأة إنَّما تكون على كلام قبلها مبنية استفهاماً أو خبراً"^(٢)، وجاء في (لسان العرب): "و(أَمْ) حرف عطف معناه الاستفهام ويكون بمعنى (بَل)"^(٣).

جاء في (شرح ابن عقيل)^(٤): "(أَمْ) على قسمين: منقطعة وستأتي، ومتصلة: وهي التي تقع بعد همزة التَّسْوِيَةِ، نحو: سواءَ عَلِيٌّ أَقَمْتَ أَمْ قَعَدْتَ، ومنه قوله- تعالى: ﴿...سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا...﴾"^(٥) مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَقِيلٍ يَبْضَحُ أَنَّ (أَمْ) نوعان: متصلة، ومنقطعة (منفصلة):
ف(أَمْ) المتصلة كما يفهم من كلام النُّحاة تنحصر في صورتين: الصُّورَةُ الْأُولَى: المسبوقة بكلام يشتمل على همزة التَّسْوِيَةِ المسبوقة بكلمة سواء، وهذه الصُّورَةُ لم أقف على أمثلة لها في (الأصمعيَّات).

ليس من اللازم أن تكون همزة التَّسْوِيَةِ مسبوقة بكلمة سواء، فقد يُغني عنها ما يدلُّ على دلالتها في التَّسْوِيَةِ نحو: ما أبالي، وليت شعري، ولا أعلم، ولا أدري.
يرى بعض النُّحاة أن الهمزة مع هذه الألفاظ (ليت شعري، ولا أعلم، ولا أدري) للتَّعْيِين؛ لأنَّها ليست في حكم (ما أبالي) التي تكون بعدها همزة التَّسْوِيَةِ، كأنَّ القائل يريد أن يقول: "لا أدري جواب هذا الاستفهام، جاء في (المقتضب): "التَّسْوِيَةُ مثل قولك: سواءَ عَلِيٌّ أَذْهَبَتْ أَوْ جِئَتْ، وما أبالي أَقْبَلْتَ أَمْ أَذْبَرْتَ؟ وليت شعري أزيد في الدَّار أم عمرو؟"^(٦).

يرى آخرون أن الألفاظ السالفة كلُّها خاضعة لحكم واحد هو اعتبار الهمزة بعدها للتَّسْوِيَةِ، وأنَّ همزة التَّسْوِيَةِ لا شأن لها بالاستفهام، فقد تركته نهائياً وتمخَّضت للتَّسْوِيَةِ^(٧).
أمَّا الصُّورَةُ الثَّانِيَّة: فتشتمل على همزة استفهام يُقصد منها ومن (أَمْ) التَّعْيِين، ويكون معناهما التَّعْيِين، وتمثَّلت هذه الصُّورَةُ في ديوان (الأصمعيَّات)، ومن أمثلتها قول السَّمَّوعِلِ بْنِ عَادِيَاءَ:
(الخفيف)

(١) انظر: الصَّحاح: ١٤٤/٦.

(٢) الجمل في النَّحو: ٣٢٠.

(٣) لسان العرب: ١٣٩/١.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل: ٢٢٩/٣.

(٥) إبراهيم: ٢١/١٤.

(٦) المقتضب: ٢٨٧/٣.

(٧) انظر: الأزهية في علم الحروف: ١٢٤.

أَبْفَضِلْ مِنَ الْمَلِكِ وَنُعْمَى أَمْ بِذَنْبٍ قَدَّمْتُهُ فَجَزَيْتُ^(١)

يُلاحظ في هذا البيت ما يدلُّ على أَنَّ (أَمْ) مَتَّصِلَةٌ وليست منفصلة، فهناك احتمالان: **الأوَّل**: أَنَّ الشَّاعِرَ رَبَّمَا يِنَالُ فَضْلَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ، وَالْآخِرُ: أَنَّهُ سَوْفَ يُحَاسِبُ عَلَى ذَنْبٍ اقْتَرَفْتَهُ يَدَاهُ! والمتكلم لا يدري أيَّ الحالتين سوف تحصل له؟

يُطْلَقُ السُّيُوطِيُّ عَلَى (أَمْ) المَتَّصِلَةَ بنوعيتها اسم: المعادِلة؛ لمعادلتها للهمزة في إفادة التَّسْوِيَةِ أو الاستفهام، ويجمعهما أَنْ يُقَالَ: "هي الَّتِي لا يستغني ما بعدها عمَّا قبلها"^(٢).

أَمَّا النُّوعُ الْآخِرُ مِنْ أَنْوَاعِ (أَمْ) فَهِيَ المنقطعة، وهي الَّتِي تقع بين جملتين مستقلَّتين في المعنى، وسُمِّيَتْ بذلك؛ لِأَنَّ الجُمْلَةَ بعدها مستقلَّة، وهي الَّتِي تقع بعد غير همزة الاستفهام^(٣).

(أَمْ) المنقطعة لا يفارقها معنى الإضراب حيث لا توجد همزة تسوية، ولا همزة استفهام يُطَلَبُ بها وب(أَمْ) التَّعْيِينُ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ النُّوعَيْنِ تابعان ل(أَمْ) المَتَّصِلَةَ، كما سبقت الإشارة.

يقول ابن عقيل: "إذا لم يتقدَّم على (أَمْ) همزة التَّسْوِيَةِ ولا همزة مغنِيَةٌ عن (أَيِّ) فهي منقطعة وتفيد الإضراب كـ(بل)، كقوله - تعالى: ﴿... لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ...﴾"^(٤)؛ أَي: بل يقولون افتراه، ومثله: إِنَّهَا لِإِبْلِ أَمْ شَاءَ؛ أَي: بل هي شاء"^(٥).

قد تقع (أَمْ) المنقطعة بعد أداة استفهام غير الهمزة، ومثَّل له النُّحَاةُ بقوله - تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ...﴾"^(٦). يقول الصَّدَّابَانُ^(٧): "وقد تكون (هل) بمعنى الهمزة فيعطف بـ(أَمْ) بعدها، كحديث: هل تزوجت بكرًا أم ثيبًا؟"^(٨).

المطلب الثاني: حرفا الاستفهام (الهمزة، وهل)

أولاً: الهمزة

يُطْلَقُ عَلَيْهَا سيبويه اسم: "الألف"، ويعتبرها أصل أدوات الاستفهام، يقول: "وأما الألف فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز، كما جاز ذلك في (هلاً)؛ وذلك لأنَّها حرف الاستفهام الَّذِي لا

(١) الأصمعيّات: ص ٩٨، رقم ١٣.

(٢) همع الهوامع: ١٦٦/٣.

(٣) انظر: الأزهية في علم الحروف: ١٢٧، وهمع الهوامع: ١٦٩/٣.

(٤) السجدة: ٣٢/٢ - ٣.

(٥) انظر: شرح ابن عقيل: ٢٣١/٣.

(٦) الرعد: ١٦/١٣.

(٧) حاشية الصبان: ١٥٢/٣ - ١٥٣.

(٨) صحيح البخاري، باب استئذان الرّجل الإمام، ٥٢/٤ (٢١٦٧)، ط ١، دار طوق النّجاة.

يزول عنه إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره^(١). ويقول صاحب (الجنى): "قالهمزة أعم، وهي أصل أدوات الاستفهام؛ ولأصالتها استأثرت بأمر منها: تمام التصدير بتقديمها على الفاء والواو وثم، وكان الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة؛ لأنها من الجملة المعطوفة، لكن راعوا أصالة الهمزة في استحقاق التصدير فقدّموها، بخلاف (هل) وسائر أدوات الاستفهام، هذا مذهب الجمهور"^(٢).

ووردت همزة الاستفهام في (الأصمعيّات) إحدى وأربعين مرّة، واتّخذت صوراً مختلفة، ودخلت في تراكيب واستخدامات متنوّعة على النحو الآتي:

١- وردت داخلية على الجملة الفعلية واتّخذت مجموعة من الصّور:

أ- دخلت على الجملة ذات الفعل المضارع المثبت خمس مرّات، ومنه قول عروّة بن الزّرد:
(الطّويل)

أَيَهْلَكَ مُعْتَمٌّ وَرَيْدٌ وَلَمْ أَقُمْ عَلَى نَدَبٍ يَوْمًا وَلِي نَفْسٌ مُخْطِرٍ^(٣)

ومنه قوله أيضًا في القصيدة نفسها:

أَبْسَطُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي^(٤)

ب- وردت داخلية على الجملة الفعلية المثبتة ذات الفعل الماضي، ومنه قول أسماء بن خارجة:
(الكامل)

أَحْسِبْتِنَا مِمَّنْ تُطِيفُ بِهِ فَاخْتَرْتِنَا لِلْأَمْنِ وَالْخِصْبِ^(٥)

ومعادل الهمزة هنا محذوف، والتّقدير: أحسبتنا أم لم تحسبنا، حيث حُذفت (أم) المتّصلة مع معطوفها، وهذا من النّادر الذي لا يقاس عليه، ومنه قول صحرير بن عمير: (الرجز)

أَقْصَدْتُهَا فَلَمْ أُجْرِهَا أَنْمَلَةَ^(٦)

التّقدير: أقصدتها أم لم أقصدها، يقول الفراهيدي عن (أم) المعادلة: "وإنما تجيء (أم) بعد (أو)، يقول القائل: "ضربت زيدًا أو عمرًا"، فنقول مستفهمًا: أزيدًا ضربت أم عمرًا؟ فهذه المعادلة

(١) الكتاب: ٩٩/١.

(٢) انظر: الجنى الداني: ٣١.

(٣) الأصمعيّات: ص ٥١، رقم ٢٢.

(٤) نفسه: ص ٥٢، رقم ٢٩.

(٥) نفسه: ص ٥٥، رقم ٢٧.

(٦) نفسه: ص ٢٣٧، رقم ٣٨ (الزيادات من الكتابين).

للألف كأنك قلت: أيهما ضربت؟ فجوابه: زيد، إن كان هو المضروب، أو عمرو، إن كان قد وقع به الضرب^(١).

٢- ووردت داخلة على الجار والمجرور أربع مرّات، ومثاله قول سوار بن المضرب: (الوافر)

أَمِنْ أَهْلِ النَّقَا طَرَقَتْ سُلَيْمَى طَرِيدًا بَيْنَ شُنْظَبٍ وَالثَّمَانِ^(٢)

٣- ووردت داخلة على حروف النفي:

أ- دخولها على (لا):

جاء في (الكشاف): " (ألا): مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي؛ لإعطائه معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً"^(٣).

يقول ابن مالك: "وألحق بحروف التخصيص في الاختصاص بالفعل (ألا) المقصود بها العرض، نحو: ألا تزورنا، وهي مركبة من (لا) والهمزة، وأما (ألا) المستفتح بها فغير مركبة ولا مختصة، بل جائز أن تُصدّر بها جملة اسمية أو جملة فعلية"^(٤)، وجاء في (لسان العرب): "وأما (ألا) التي للعرض فمركبة من (لا) وألف الاستفهام"^(٥). (ألا) كلمة بمنزلة (أما) بالفتح ومعناها (حقاً)؛ ولذلك أجاز سيبويه: أما إنه منطلق، وأما أنه، يقول: "فسألت الخليل عن ذلك فقال: إذا قال: أما أنه منطلق، فإنه يجعله كقولك: حقاً أنه منطلق، وإذا قال: أما إنه منطلق، فإنه بمنزلة قوله: ألا، كأنك قلت: ألا إنه ذاهب"^(٦).

جاء في (لسان العرب): " (ألا) حرف يُفتتح به الكلام، تقول: ألا إن زيدا خارج، كما تقول: اعلم أن زيدا خارج...، ونقل عن الكسائي قال: (ألا) تكون تنبيهاً، ويكون بعدها أمرٌ أو نهي أو إخبار تقول من ذلك: ألا قم، ألا لا تقم، ألا إن زيدا قد قام"^(٧). وقد تكون (ألا) للنقير والتوبيخ، جاء في (لسان العرب): "وتكون أيضاً تقييماً وتوبيخاً، ويكون الفعل بعدها مرفوعاً لا غير تقول من ذلك: ألا تندم على فعالك؟ ألا تستحي من جيرانك؟ ألا تخاف ربك؟"^(٨).

(١) الجمل في النحو: ٣٢٠.

(٢) الأصمعيّات: ص ٢٣٩، رقم ٩ (الزيادات من الكتابين)، شُنْظَب: وإد بنجد لبني تميم. والثَّمَانِي: هضبات ثمانٍ في أرض بني تميم.

(٣) الكشاف: ١/١٨٠.

(٤) انظر: شرح الكافية الشافية، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (ت: ٦٧٢)، تحقيق: عبد المنعم هريري، دار المأمون للتراث، السعودية، ط ١، ١٤٠٢هـ، ج ٣، ص ١٦٥٥.

(٥) انظر: لسان العرب ١/١٠٤.

(٦) الكتاب: ٣/١٢٢.

(٧) انظر: لسان العرب ١/١٠٤.

(٨) نفسه: ١/١٠٤.

من أقوال النحاة التي ذكرت يتضح أن (ألاً) بالتشديد حرف تحضيض من أخوات (لولا) و(لوما) و(هلاً)، وكلها تختص بالدخول على الأفعال، وأن (ألاً) قسمان، الأول: (ألاً) التي للعرض، وهي ملحقة بحروف التحضيض، وهي تختص بالدخول على الفعل، وهي مركبة من (لا) والهمزة، وهي التي تهتم البحث هنا، والآخر: (ألاً) المستفتح بها وهي غير مركبة ولا مختصة. ووردت (ألاً) في (الأصمعيّات) أربع عشرة مرة داخلية في تراكيب مختلفة، في ثلاثة مواضع منها كانت مركبة من (لا) والهمزة وهي للعرض، ومنها قول سَهَمَ بِنِ حَنْظَلَةَ الْعَنَوِيّ: (البيسط)

أَلَا تَرَى إِنَّمَا الدُّنْيَا مُعَلَّلَةٌ أَصْحَابَهَا ثُمَّ تَسْرِي عَنْهُمْ سَلْبًا^(١)

وقول ذي الخرق الطهوي: (البيسط)

قَالَتْ: أَلَا تَبْتَغِي مَا لَا تَعِيشُ بِهِ مِمَّا تُلَاقِي وَشَرُّ الْعَيْشَةِ الرَّمَقُ^(٢)

ب- دخلت على (ما) مرة واحدة، وهي قول سوار بن المضرب:

أَلَا يَا سَلْمَ سَيِّدَةَ الْعَوَانِي أَمَا يُفْدَى بِأَرْضِكَ تِلْكَ عَانَ^(٣)

(أما) للاستفهام هنا، وهي مركبة من (ما) النافية وألف الاستفهام، يقول الرمخشري عند شرحه لقوله -تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ...﴾^(٤): "(أما) أخت (ألا)، وهي من مقدمات القسم وطلائعه"^(٥). تحدّث ابن منظور في (لسان العرب) عن (أما) التي تكون للاستفتاح، و(أما) الاستفهامية بقوله: "وحكى بعضهم: هما والله لقد كان كذا؛ أي: أما والله، فالهاء بدل من الهمزة،... قال الليث: (أما) استفهام جحد، كقولك أما تستحي من الله؟ قال: وتكون (أما) تأكيداً للكلام واليمين، كقولك: أما إنّه لرجل كريم، وفي اليمين، كقولك: أما والله لنن سهرت لك ليلة لأدعّك نادماً"^(٦). وقد تأتي (ما) النافية في تركيب دون الهمزة مع إمكانية تقديرها، وتمثّل ذلك في قول يزيد بن الصّعق: (الطويل)

(١) الأصمعيّات: ص ٦٢، رقم ٤٠. جاء في (هامش) الأصمعيّات المصرية ص ٥٥: "التعليل: أن يلهيه ويشغله

بالقليل. تسري عنهم السلب: تنزعه، والسلب ما يسلب؛ أي: تأخذ ما أعطت".

(٢) نفسه: ص ١٣٩، رقم ٤. الرمق: القليل من العيش الذي يمكس الرمق؛ وهو بقية الحياة.

(٣) نفسه: ص ٢٣٨، رقم ٧ (الزيادات من الكتابين)، العاني: الأسير.

(٤) البقرة: ١٢/٢.

(٥) الكشاف: ١٨٠/١.

(٦) انظر: لسان العرب: ١٢٢/١ (أما).

بَنِي أَسَدٍ مَا تَأْمُرُونَ بِأَمْرِكُمْ إِذَا لَحِقَتِ خَيْلٌ تُشُوبُ وَتَدَّعِي؟^(١)

يقول ابن السَّيِّد البطليموسي: " (ما ترى الدهر)، أصله: أما ترى، فحذفت الألف المصاحبة ل(ما)"^(٢).

ت- ودخلت على (لم) أربع مرّات:

يقول الفرّاء: " (ألم تر) معناه خبر، كأنّك قلت في الكلام: اعلم أنّ...^(٣)، ويقول التَّبْرِيْزِيُّ مَعْلَقًا على (ألم): "وعلى هذا قولهم: ألم أفعل كذا، تقرير فيما وجب ولو تفرّد ألف الاستفهام، فقيل: أفعلت كذا، لكان تقريرًا فيما يجب"^(٤)، ومثاله قول سَوَّارِ بْنِ الْمُضَرَّبِ: (الوافر)

أَلَمْ تَرِنِي وَإِنْ أَنْبَأْتُ أَنِّي طَوَيْتُ الْكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الْغَوَانِي^(٥)

ومنه قول سَهْمَ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البيسط)

وَحَيٍّ وَرِدِّ أَلَمْ يَنْزِلْ بِعَقْوَتِهِمْ حَتَّى تَضَائِقَ وَأَدِيهِمْ بِمَا رَحُبًا^(٦)

جاء في (الكتاب): "وسألته عن: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً...﴾"^(٧) فقال: هذا واجب، وهو تنبيه، كأنّك قلت: أسمع أنّ الله أنزل من السماء ماء...^(٨).

ث- ودخلت الهمزة على (ليس) في (الأصمعيّات) ثلاث مرّات، مرّة واحدة دخلت عليها دخولًا مباشرًا، وهي قول صُحَيْرِ بْنِ عُمَيْرٍ: (الرَّجَز)

أَلَسْتِ أَيَّامَ حَلَلْنَا الْأَعْزَلَةَ^(٩)

(١) الأصمعيّات: ص ١٦٢، رقم ٢، يريد أنّ الفرسان يجاهرون بأنسابهم ويفخرون.

(٢) انظر: الحُلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل للسَّيِّد البطليموسي: ٣٨٥.

(٣) معاني القرآن: ٢٢٩/٢.

(٤) شرح اختيارات المفضل للتَّبْرِيْزِيِّ: ٣٤٢/٣.

(٥) الأصمعيّات: ص ٢٣٨، رقم ١ (الزيادات من الكتابين). جاء في (الاختيارين) ص ١٠٥: يُقال: طويت عن ذلك الأمر كشحًا، إذا سلوت عنه.

(٦) نفسه: ص ٦٥، رقم ٦٧، الحي: البطن من بطون العرب. والورد: القوم الذين يردون الماء. والعقوة: السّاحة. ورحب: اتسع.

(٧) الحج: ٦٣/٢٢.

(٨) الكتاب: ٤٠/٣.

(٩) الأصمعيّات: ص ٢٣٣، رقم ٧ (الزيادات من الكتابين)، الأعزله: اسم وإد لبني تميم.

همزة الاستفهام هنا دخلت على أداة النفي (ليس) فأفادت التقرير؛ ذلك لأن ما بعدها قد وقع بالفعل، عندما عبّر بصيغة الماضي (حللنا)، ودخلت على (ليس) مرةً تفصل بينهما الواو، وأخرى تفصل بينهما الفاء، ومثال وقوع (الفاء) بين الهمزة و(ليس) في (الأصمعيّات) قول سَعْدَى بنتِ الشَّمْرَدَلِ الجُهَنِيَّة: (الكامل)

أَفَلَيْسَ فِيمَنْ قَدْ مَضَى لِي عِبْرَةٌ هَلَكُوا وَقَدْ أَيَقْنَتُ أَنْ لَنْ يَرْجِعُوا^(١)

دخلت الهمزة على ليس يفصل بينهما حرف العطف (الواو) في (الأصمعيّات) مرةً واحدة، وذلك في قول أسماء بن خَارجَةَ: (الكامل)

أَوْلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَسْأَلُكُمْ مَا خَطَبُ عَادِلَتِي وَمَا خَطْبِي^(٢)

٤- ودخلت على الجملة الاسميّة:

أ- دخلت على المبتدأ، ومثال دخولها على المبتدأ قول دُرَيْدِ بن الصَّمَّة: (الطَّويل)

تَنَادَوْا فَقَالُوا: أَزْدَتِ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ: أَعْبَدَ اللهُ ذَلِكُمْ الرِّدِي^(٣)

ب - ودخلت على اسم الفاعل، كما في قول المْتَلَمِّس: (الطَّويل)

أَمُنْتُفَلًا مِنْ آلِ بُهْتَةَ خِئْتِي أَلَا إِنِّي مِنْهُمْ وَإِنْ كُنْتُ أَيْنَمَا^(٤)

ت - ودخلت على شبه الجملة الجار والمجرور الواقع خبرًا مقدّمًا، مثل قول عمرو بن معدٍ يكرب (الوافر)

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ يُورِقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ^(٥)

٥- ووردت همزة الاستفهام داخلة على المصدر، ومثاله قول عبد الله بن عَمَّة: (الوافر)

أَجِدْكَ لَنْ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخُبُّ بِهِ عُدَاوَةَ دُمُولُ^(٦)

(١) نفسه: ص ١١٥، رقم ٨.

(٢) نفسه: ص ٥٢، رقم ٣.

(٣) نفسه: ص ١٢٢، رقم ٢٤.

(٤) نفسه: ص ٢٤٤، رقم ٥ (الزيادات من الكتابين)، يقال: انتقل من ذلك الأمر وانتفى منه، ويقال للرجل يُرمَى بشيء: انقل ذلك عن نفسك؛ يريد أنا منهم وإن كنت أئنما كنت.

(٥) نفسه: ص ١٩٠، رقم ١ (الزيادات من الكتابين).

(٦) نفسه: ص ٤١، رقم ٣، تخبُّ: تسير الخبب، وهو ضرب من العدو. والدُمُول: التي تسير الدَّمِيل، وهو سير سريع من سائر الإبل.

يقول سيبويه: "ومثل ذلك في الاستفهام: أَجِدَّكَ لا تفعل كذا وكذا؟ كأنه قال: أحمقاً لا تفعل كذا وكذا؟ وأصله مِنَ الْجِدِّ كأنه قال: أَجِدًّا، ولكنَّه لا يتصرَّف، ولا يفارقه الإضافة كما كان ذلك في لُبَيْك ومعاذ الله"^(١)، وَمِنْ أُمَّتِله دخول الهمزة على المصدر أيضاً قول الممزَّق العَبْدِي: (الطَّوِيل)

أحمقاً أبيت اللعن أن ابن فرتنا على غير إجرام بريقي مشرقياً^(٢)

في هذا البيت انتصب المصدر بفعل مضمر دلَّ عليه الاستفهام، والتقدير: أحمق حقا، وإنما ذكر المصدر دون الفعل؛ لأنه أعم وأبلغ في المراد، وهمزة الاستفهام للإثبات والتقرير والتوبيخ. جاء في (شرح أبيات المغني): "ومن هنا عودل بها - بالهمزة - أم؛ لأنَّ (أم) يثبت بها الشيء مبهماً، فلما تشابها من باب الإثبات وقعا معاً موقع (أي)، ولا يعادل (أم) سوى الألف"^(٣).

- أحكام تخصُّ همزة الاستفهام:

١- جواز حذفها، قال النُّحاة بجواز حذف حرف الاستفهام (الهمزة)، ومنهم ابن هشام الذي يقول: "ذهب قوم إلى أن حذف همزة الاستفهام لأمن اللبس من ضرورات الشعر، ولو كانت قبل (أم) المتصلة، وهو ظاهر كلام سيبويه، وذهب الأخفش إلى جواز حذفها في الاختيار، وإن لم يكن بعدها (أم)"^(٤). ونقل ابن حجر تعليق ابن مالك على قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبريل: **وإن زني، وإن سرق؟ فقال: وإن زني وإن سرق**^(٥)، قال ابن مالك معقفاً: "حرف الاستفهام في أول هذا الكلام مقدر، ولا بد من تقديره"، وقال غيره: التقدير: **أو إن زني، أو إن سرق دخل الجنة؟**^(٦). واختار المرادي أن حذفها مطرد إذا كان بعدها (أم) المتصلة؛ لكثرة نظماً ونثراً، ومثّل له من النثر بقراءة ابن محيصن^(٧): **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**^(٨)

(١) الكتاب: ٣٧٩/١.

(٢) نفسه: ص ١٨٥، رقم ١٦، جاء في (شرح أبيات المغني) ١٤٦/٥ - ١٤٧: "ابن فرتنا: هي المرأة الزانية والأمة أيضاً؛ وأراد بابن فرتنا هنا الواشي، وهي كلمة سب. ومشرقياً: اسم فاعل. وبريقي؛ أي: أغصني به".

(٣) شرح أبيات مغني اللبيب: ٥٤/١.

(٤) مغني اللبيب: ٧٨/١.

(٥) صحيح البخاري، باب الجنائز، ٧١/٢، (١٢٣٧)، ط ١، دار طوق النجاة.

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر: ٢٦٧/١١.

(٧) ابن محيصن: هو أبو حفص محمد بن عبد الرحمن السهمي بالولاء، المكي: مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعربية، انفرد بحروف خالف فيها المصحف، روى له مسلم والترمذي والنسائي حديثاً واحداً، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة للهجرة. انظر: الأعلام: ١٨٩/٦.

(٨) البقرة: ٦/٢.

بهمزة واحدة^(١)، وعلّق ابن عقيل على قراءة ابن مُحَيِّصِين بقوله: "قد تُحذف همزة التَّسْوِية والهمزة المغنية عن (أَيِّ) عند أمن اللبس وتكون (أَم) متَّصلة كما كانت والهمزة موجودة"^(٢).
 هذا هو مذهب الرَّمخسريِّ حيث ذكره في (كشَّافه) بقوله: "حُذِفَت الهمزة مع مدخولها في قوله - تعالى: ﴿... فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾"^(٣) تقدير الكلام: أهو حاضر استتر عني، أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ؟"^(٤).
 وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى حَذْفِ الهمزة دون أن يكون بعدها (أَمْ) قول مُهَلِّهْل بن ربيعة: (الكامل)

يَا حَارِ تَجْهَلْ عَلَى أَشْيَاخِنَا إِنَّا دَوُو السُّورَاتِ وَالْأَحْلَامِ^(٥)

يُعتقد أنَّ الفعل (تجهل) حُذِفَت منه ألف الاستفهام والتَّقدير (أتجهل)، ويمكن اعتباره خبراً؛
 أي: أنت تجهل.

ويرفض ابن هشام القول بحذف ألف الاستفهام إن لم يكن هناك دليل - مثل وجود (أَمْ) -
 على المحذوف، يقول: "وهذا القول خطأ فاحش، إنَّما يجوز حذف الألف إذا كان في الكلام دليل
 عليها"^(٦). وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى حَذْفِ الهمزة قبل (أَمْ) المتَّصلة مِنْ (الأصمعيَّات) قول مَالِك بن حَرِيمِ
 الهمْدَانِي^(٧): (الطَّوِيل)

تَشَكِّيْنَ مِنْ أَعْضَادِهَا خِينٍ مَشِيْهَا أَمْ الْقَضُ مِنْ تَحْتِ الدَّوَابِرِ أَوْجَعَا^(٨)

موضع الاستدلال قوله: (تَشَكِّيْنَ)، حيث حُذِفَت همزة الاستفهام للضَّرورة؛ لدلالة (أَمْ)
 عليها، والتَّقدير: (أَتَشَكِّيْنَ).

(١) انظر: الجني الذَّاني: ٣٤-٣٥.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل: ٢٣٠/٣.

(٣) التَّمَل: ٢٧/٢٠.

(٤) انظر: الكشَّاف: ٤٤٥/٤.

(٥) الأصمعيَّات: ص ١٧٣، رقم ١.

(٦) شرح أبيات المغني: ٣٣/١.

(٧) مالك بن حريم بن مالك، مِنْ بني دَالَانَ، الهمْدَانِي: شاعر همدان في عصره وفارسها وصاحب مغازيها،
 مخضرم، كان يقال له: "مفزع الخيل"، ويعدُّ مِنْ فحول الشعراء، لم أقف على تاريخ وفاته. انظر: الاختيارين:
 ٢٣٠، ومعجم الشعراء: ٣٥٧، ٤٩٤، والسَّمط: ٧٤٨/٢، والأعلام: ٢٦٠/٥.

(٨) الأصمعيَّات: ص ٧٧، رقم ٣٥، جاء في (الاختيارين) ص ٢٣٨: "خِين: مِنْ خان يخون. والقضُّ: حجارة
 صغار. والأعضاء: جمع العُضد. والدَّوَابِر: جمع دابرة، وهي التي تلي مؤخَّر الرُّسغ".

نقل ابن هشام عن ابن السَّيِّد البطليموسي قوله: "أكثر ما تُحذف ألف الاستفهام إذا كان بعدها (أَمْ)؛ لأنَّ (أَمْ) تدلُّ عليها، فإذا لم تكن في الكلام لم يجز عند أكثر النُّحويِّين"^(١). ويقول الفراهيدي: "ثمَّ اعلم أنَّ ألف الاستفهام أمارتها؛ يعنى علامتها، (أَمْ)، نحو قول الله - تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾"^(٢)، وربما أضمروا ألف الاستفهام واستغنوا عنه بأمارته فيقولون: زيد أتاك أم عمرو، ومحمَّد عندك أم زيد"^(٣). ويقول البغدادي: "وظاهر كلام المصنِّف أنَّ حذفها سائغ في الكلام غير مختصَّ بالشَّعر، سواء أمن اللُّبس - كما هنا - أم لا، وكلاهما ضرورة عند سيبويه"^(٤).

مِنَ الملاحظ على المثال السَّابق (بيت الشَّعر) أنَّ الهمزة حُذفت قبل الفعل، ووجود (أَمْ) دليل واضح على حذفها، ولكنني عثرت على بيت مِن الشَّعر في (الأصمعيَّات) حُذفت فيه الهمزة دون وجود (أَمْ)، وهو قول أعشى بَاهِلَةَ: (البيسط)

إِذَا سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكِهَا فَازْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مُنْتَشِرًا^(٥)

التَّقدير: أكنتَ سالِكها، وجاءت الهمزة مقرونة بـ(أَمْ) خمس مرَّات في (الأصمعيَّات)، ومنها قول أسماء بنِ خَارجَةَ: (الكامل)

أَبْهًا ذَهَابُ الْعَقْلِ أَمْ عَتَبَتْ فَأَزِيدَهَا عَتْبًا عَلَى عَتْبٍ^(٦)

ألف الاستخبار لا تحتاج إلى (أَمْ)، يقول الفراهيدي: "وأما ألف الاستخبار فلا تحتاج إلى (أَمْ) تقول: أعندك شيء؟ أنت الرجل؟"^(٧).

٢- الهمزة ترد لطلب التَّصور:

جاء في (الجنى الدَّاني): "وتنفرد الهمزة، بأنَّها ترد لطلب التَّصور، نحو: أزيدُ في الدَّار أم عمرو؟ ولذلك انفردت بمعادلة (أَمْ) المتَّصلة؛ لأنَّها يُطلب بها تعيين أحد الأمرين، و(هل) لا يطلب بها ذلك"^(٨).

(١) انظر رأي البطليموسي في (شرح أبيات مغني اللبيب): ٣٥/١.

(٢) الواقعة: ٦٩/٥٦.

(٣) الجمل في النُّحو: ٢٣٤.

(٤) شرح أبيات المغني: ٢٥/١.

(٥) الأصمعيَّات: ص ١٠٦، رقم ٢٢، سلكت سبيلاً: يريد سبيل الموت التي لا بدَّ من سلوكها. وأبعده الله: نحاه عن الخير.

(٦) نفسه: ص ٥٣، رقم ٤، جاء في (لسان العرب) ٤/٤٧٩٢ (عتب): "أبها: أراد بالصَّبابَة. والعتب: السَّخَط والموجدة، إمَّا العتْبُ والعتْبَانُ: لومك الرَّجُل على إساءة كانت له إليك".

(٧) الجمل في النُّحو: ٢٣٥.

(٨) الجنى الدَّاني: ٣٤١.

٣- تدخل همزة الاستفهام على الجمل المثبتة كما تدخل على الجمل المنفية،
فمثال دخولها على المثبتة قوله- تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾^(١)، ومثال دخولها على
المنفية قوله- تعالى: ﴿...أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾^(٢).

وفي ديوان (الأصمعيّات) دخلت الهمزة في تراكيب متنوعة في أربعين موضعاً، نصفها تقريباً جمل
مثبتة والنصف الآخر جمل منفية.

٤- لها حقُّ الصّدّارة في الكلام، فهي تسبق حروف العطف والجرّ، ومثاله: قوله- تعالى: ﴿أَفَلَا
يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٣)، وقوله- تعالى- أيضاً: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيهِ اللَّهُ شَكُّ فَاطِرِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾^(٤)، وذكر ابن هشام دليلين^(٥) على أحقيّة همزة الاستفهام للصدّارة:

أ- أنّها لا تُذكر بعد (أم) كما يُذكر غيرها، لا تقول: أقام زيد أم أقعد؟ وتقول: أم هل قعد؟
ب- أنّها إذا كانت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بـ(ثمّ)، فُدمت على العاطف تنبيهاً على
أصالتها في التصدير.

في (الأصمعيّات) دخلت الهمزة على الواو ثلاث مرّات، ومِنَ الأمثلة على ذلك قول أسماء بن
خارجة: (الكامل)

أَوْلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَسْأَلُكُمْ مَا خَطْبُ عَائِلَتِي وَمَا خَطْبِي^(٦)

ودخلت على الفاء مرّة واحدة كما سبقت الإشارة، أمّا دخولها على (ثمّ) فلم أقف على شيء
منه في (الأصمعيّات). والهمزة إذا دخلت على الواو أو الفاء العاطفتين يُعتقد أن تكون الجملة التي
بعدها معطوفة على جملة محذوفة تناسب المقام مثل: اعلموا أو كلّما وردت عكاظ قبيلة بعثوا...

٥- مِنْ خصائص همزة الاستفهام دون باقي أخواتها أنّها تدخل على أحد ثلاثة من حروف العطف،
ولا تدخل على غيرها^(٧)، وهي: (الواو) ومثالها من القرآن قوله- تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا

(١) الماعون: ١٠٧/١.

(٢) الأعراف: ١٧٢/٧.

(٣) الغاشية: ١٧/٨٨.

(٤) إبراهيم: ١٠/١٤.

(٥) مغني اللبيب: ٨٣/١ - ٨٤.

(٦) الأصمعيّات: ص ٥٢، رقم ٣.

(٧) انظر: همع الهوامع: ٤٨٢/٢.

نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهِ...»^(١)، ومثال (الفاء) قوله- تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢)، ومثال (ثم) قوله- تعالى: ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ...﴾^(٣).

وللنَّحَاةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ رَأْيَانِ^(٤):

الأوَّل: أَنَّ الهمزة تركت مكانها بعد حرف العطف وتقدّمت عليه تنبيهًا على أصالتها في التصدير، فالجمله بعد العاطف معطوفة على الجمله التي قبله وقبل الهمزة، وهذا هو رأي الجمهور.

والآخر: أَنَّ الجمله بعد العاطف معطوفة على جمله محذوفة تقع بين العاطف والهمزة،

والأصل- على سبيل المثال: أنسوا ولم يتفكروا؟ أأغمضوا أعينهم ولم ينظروا؟ أأعدوا ولم يسيروا؟ وأميل إلى الاعتقاد بأن الهمزة للاستفهام، والحروف الثلاثة للاستئناف وليست للعطف؛ والسبب في اختياري لهذا الرأي أَنَّ رأي كلِّ مِنَ الجمهور والرَّمخسريِّ يقوم على حذف جمل وتقدير أخرى، وهذا لا داعي له، هذا إذا علمنا أَنَّ بعض النُّحَاة قالوا بأنَّ الأحرف الثلاثة تصلح لأن تكون حروف استئناف كما هو بديهيٌّ. ويقول الخليل عن واو الاستئناف: "معناه الابتداء مثل قولهم: خرجت وزيد جالس، وكلُّ واو توردها في أوَّل كلامك فهي واو استئناف وإن شئت قلت ابتداء"^(٥).

٦- ترد مع همزة الاستفهام (أم المعادلة) وإن وردت معها أفادت التَّصوُّر، مثال: أقرأت قصة أم رسالة؟

- المعاني التي قد تخرج إليها الهمزة عن معناها الأصلي وتُستفاد من سياق الكلام بالقرائن:

جاء في (الجنى الداني): "ثمَّ إنَّ همزة الاستفهام قد ترد لمعانٍ آخر، بحسب المقام،

والأصل في جميع ذلك معنى الاستفهام"^(٦).

١- التَّسْوِيَةُ:

يكون الغرض من الاستفهام بالهمزة التَّسْوِيَةُ إذا دخلت الهمزة على جمله يصحُّ حلول

المصدر محلَّها، وصورتها في الكلام صورة الاستفهامية المعادلة إلا أنَّ هذه تتقدّمها التَّسْوِيَةُ^(٧)

(١) البقرة: ١٠٠/٢.

(٢) الطُّور: ١٥/٥٢.

(٣) يونس: ٥١/١٠.

(٤) انظر: همع الهوامع: ٤٨٣/٢.

(٥) الجمل في النَّحو: ٢٨٥.

(٦) الجنى الداني: ٣١.

(٧) انظر: رصف المباني: ١٣٦.

وربما وقعت الهمزة بعد كلمات مثل: سواء، أو ما أبالي، أو ما أدري، أو لبت شعري^(١)، مثاله من (الأصمعيّات) قول عُبَاء بن أَرَم: (الطَّوِيل)

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ مِنْ خَمَرٍ يَأْتِي الضَّلَالُ أُمَّ اتَّخَمْتُ^(٢)

لكن ابن هشام يعترض على كون الهمزة للتسوية، وإن تقدّمت عليها (ما أدري)، جاء في (شرح أبيات المغني): "على أن الهمزة مع (أم) لطلب النعنين، وليست الهمزة فيه للتسوية وإن تقدّم عليها ما أدري"^(٣)، ومنه قول السَّمَوَعِلِ بنِ عَادِيَاء: (الخفيف)

أَلِي الْفَضْلُ أُمَّ عَلِيٍّ إِذَا حُو سَبْتُ إِنِّي عَلَى الْحِسَابِ مُقْبِتُ^(٤)

فالمعنى الذي خرجت إليه همزة الاستفهام في هذا البيت هو التسوية؛ لأنّ معناه مرتبط بالبيت الذي قبله، حيث ذكر الشاعر التّركيب: لبت شعري، يقول:

لَيْتَ شِعْرِي أَشْعَرَنَّا إِذَا مَا قِيلَ اقْرَأْ عُنْوَانَهَا وَقَرِيبْتُ^(٥)

٢- الإنكار الإبطالي^(٦): وهذه تقتضي أنّ ما بعدها غير واقع وأنّ مدّعيه كاذب، نحو: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ...﴾^(٧)، ومنه قول كَعْبِ بنِ سَعْدِ الغَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ لَا يُرَاخِي مَنِيَّتِي قُعُودِي وَلَا يُدْنِي الْوَفَاةَ رَحِيلِي^(٨)

فمن يدّعي أنّ قعوده يُوجَل منيَّته، أو أنّ رحيله يذنبها كاذب، وهو غير واقع أصلاً، فالهمزة للإنكار الإبطالي.

٣- الإنكار التّوبيخي: وهذا يقتضي أنّ ما بعد الهمزة واقع وأنّ فاعله ملوم، ويسمّيه الزّركشي الإنكار الحقيقي^(٩)، نحو قوله- تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا نَحْنُونَ﴾^(١٠)، مثاله من (الأصمعيّات) قول عَوْفِ بنِ عَطِيَّةِ بنِ الخَرَج: (الطَّوِيل)

(١) الجنى الدّاني: ٣٢.

(٢) الأصمعيّات: ص ١٧٦، رقم ١١.

(٣) شرح أبيات مغني اللّبيب: ٢٠٨/١.

(٤) الأصمعيّات: ص ٩٨، رقم ٩.

(٥) نفسه: ص ٩٨، رقم ٨.

(٦) انظر: مغني اللّبيب: ٩١/١، والبرهان: ٣٣١/٢.

(٧) الإسراء: ٤٠/١٧.

(٨) الأصمعيّات: ص ٨٨، رقم ٧. الإسراء: ٤٠/١٧.

(٩) البرهان: ٣٣١/٢.

(١٠) الصّافات: ٩٥/٣٧.

أَتَأْكُلُ أَشْبَاهَ الْمَغَازِلِ ذِمَّتِي وَلَمَّا تَكُنْ فِيهَا الرَّيَابُ عَمَامًا^(١)

فالشاعر ينكر على بني ضبّة فعلهم، حيث أغاروا على جيرانه من بني الأعشى، ويلومهم على هذا الفعل؛ لذلك هبّ لنجدة جيرانه، وأعاد إليهم إبلهم التي أخذها بنو ضبّة؛ فكيف يعتدي بنو ضبّة على أناس جيران لي وفي حمايتي؟! إن هذا غير مستساغ أبداً!
٤ - التّقرير:

معناه حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده ثبوته أو نفيه ويجب أن يليها الشيء الذي تقرّره به، تقول في التّقرير بالفعل: أضريت زيداً؟ وبالفاعل: أنت ضريت زيداً؟ وبالمفعول أزيداً ضريت؟^(٢)، جاء في (الكتاب): "وتقول: ألسنت صاحبنا أو لست أخانا، ومثل ذلك: أما أنت أخانا أو ما أنت صاحبنا، وقوله: ألا تأتينا أو لا تحدّثنا، إذا أردت التّقرير"^(٣)، ومن أمثلة همزة الاستفهام التي تفيد التّقرير في الجملة المثبتة، قول الأَسدي^(٤): (الطّويل)

أَعْبَتَ عَلَيْنَا أَنْ نُمَرَّنَ قِدْنَا وَمَنْ لَا يُمَرَّنَ قِدَّهُ يَتَقَطَّعُ^(٥)

من أمثلة همزة الاستفهام التي تفيد التّقرير في الجملة المنفيّة قول أسماء بنِ خَارجة:
(الكامل)

أَوْلَمْ يُجَرِّبْتِي الْعَوَائِلُ أَوْ لَمْ أَبْلُ مِنْ أُمْتَالِهَا حَسْبِي^(٦)

يقول الرّضي^(٧): "وإذا دخلت همزة الاستفهام على (لم) و(لما) فهي للاستفهام على سبيل التّقرير، ومعنى التّقرير: إلقاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه، كقوله - تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِيْنَا وَلِيدًا...﴾"^(٨).

(١) الأصمعيّات: ص ١٨٨، رقم ٩، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ١٦٨: "المغازل: جمع مغزل، وهو

ما تغزل به المرأة، شبّههم بالمغازل في الدّقة، أراد دقّتهم وخسنتهم. الرّباب: خمس قبائل تجمّعت فصارت يداً واحدة حيث أغاروا على جيران ابن عطية. عماما: مفردا عم؛ أي: الجماعة".

(٢) مغني اللّبيب: ٩١/١.

(٣) الكتاب: ١٨٧/٣.

(٤) هو ثعلبة بن الحارث بن عمرو بن همام، ضرب يزيد بن الصّعق على رأسه عند أسره في يوم ذي نجب.

انظر: (هامش) الاختيارين: ٥٠٥.

(٥) الأصمعيّات: ص ١٦٣، رقم ١، جاء في لسان العرب: ٣٥٤٣/٥ (قدد): تمرين القدّ: تليينه بالدّهن. والقدّ: سيّر يُفدّ من جلد غير مدبوغ".

(٦) نفسه: ص ٥٣، رقم ٥.

(٧) شرح الرّضيّ على الكافية: ٨٣/٤.

(٨) الشّعراء: ١٨/٢٦.

٥- التَّهْكُم: نحو، قوله- تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...﴾^(١).

٦- الأمر: نحو، قوله- تعالى: ﴿...أَسَلَّمْتُمْ...﴾^(٢)؛ أي: أسلموا.

٧- التَّعْجُب: نحو، قوله- تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾^(٣).

في التَّعْجُب السَّمَاعِيّ^(٤) أحصى الباحث تسعة عشر موضعاً لهزمة الاستفهام التي يمكن أن يُسْتَمَّ فيها رائحة التَّعْجُب، ولا حاجة للحديث مرّة أخرى عن مسألة استكمل البحث فيها.

٨- الاستبطاء: نحو، قوله- تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...﴾^(٥).

وهذه المعاني الثمانيّة اقتصر ابن هشام على ذكرها، والتَّمثِيل عليها من القرآن والشَّعر، وذكر أنّ غيره ذكر معاني أخر لهزمة الاستفهام، ولكن لا صحّة لها حسب رأيه^(٦).

ذكر المرادِيّ من معانيها: التَّنْبِيه والتَّهْدِيد والتَّنْذِير ومعاقبة أحرف القسم، مثل: الله^(٧) لقد

كان كذا^(٨). وذكر الزُّرْكَشِيّ^(٩) للهزمة ثمانية عشر من المعاني، ومنها: التَّنْبِيْهِ كقوله- تعالى: ﴿

...أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾^(١٠) هو تنبّيت للنَّصَارَى فيما ادَّعوه،

والدُّعاء، كقوله- تعالى: ﴿...أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا...﴾^(١١).

خلاصة القول في هذه المسألة ذكره المرادِيّ، ويتمثّل في أنّ بعض التَّحْوِيّين ذكر أنّ

التَّقْرِير هو المعنى الملازم للهزمة، في غالب هذه المواضع المذكورة، وأنّ غيره من المعاني،

كالتَّوْبِيْخ والتَّحْقِيق، والتَّنْذِير، ينجز مع التَّقْرِير^(١٢).

(١) هود: ٨٧/١١.

(٢) آل عمران: ٢٠/٣.

(٣) الفرقان: ٤٥/٢٥.

(٤) انظر: الفصل الأول: ص ٥٣-٥٧ من هذا البحث.

(٥) الحديد: ١٦/٥٧.

(٦) انظر: مغني اللبيب: ٩٠/١ - ٩٧.

(٧) الهزمة هنا عوض من حرف القسم (الباء) دون غيرها؛ لأصالة الباء في القسم على نحو ما ستعرف عند

الحديث عن القسم في موضعه بحوله- تعالى. انظر: ص ٣٥٢ من هذا البحث.

(٨) انظر: الجنى الداني: ٣٢ - ٣٣.

(٩) انظر: البرهان: ٢٣٦/٢ - ٢٣٨.

(١٠) المائدة: ١١٦/٥.

(١١) الأعراف: ١٥٥/٧.

(١٢) انظر: الجنى الداني: ٣٤.

- همزة الاستفهام مقرونة بلفظ (سأل):

وردت همزة الاستفهام مقرونة بلفظ (سأل) في ديوان (الأصمعيّات) ثلاث مرات، منه قول الأجدع بن مالك الهمداني: (الكامل)

أَسَأَلْتَنِي بِرِكَائِبٍ وَرِحَالِهَا وَنَسِيتِ قَتْلَ فَوَارِسِ الْأَرْبَاعِ^(١)

يُلاحظ في (الأصمعيّات) أحياناً أن المتحدث يعبر عن معنى الاستفهام دون استخدام أداة من أدواته، وهذا يمكن تسميته بالاستفهام غير المباشر، حيث استُخدمت أسماء أو أفعال تؤدي هذا المعنى، مثل: أسأل، يسأل، سائل... من أمثله قول مالك بن حريم الهمداني: (الطويل)

وَلَا يَسْأَلُ الضَّيْفُ الغَرِيبُ إِذَا شَتَا بِمَا زَخَرَتْ قِدْرِي لَهُ حِينَ وَدَّعَا^(٢)
ومنه قول سَهْمَ بنِ حَنْظَلَةَ الغَنَوِيِّ: (البيسط)

سَأَلِ بِنَا حَيَّ عِلْبَاءٍ فَقَدْ شَرِبُوا مِنَّا بِكَاسٍ فَلَمْ يَسْتَمْرِنُوا الشُّرْبَا^(٣)

ثانياً: هل

(هل) حرف استفهام، تدخل على الأسماء والأفعال؛ لطلب التصديق الموجب، لا غير، نحو: هل قام زيد؟ وهل زيد قائم؟ فتساوي الهمزة في ذلك^(٤).

الأصل في (هل) أن تكون للاستفهام، كما ذكر النحاة، وقد يخرج هذا الاستفهام عن المعنى الأصلي إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام وتُعرف بالقرائن - كما يقول البلاغيون - منها:

١ - النَّفْي:

يقول المرادي: " (هل) قد يُراد بالاستفهام بها النفي"^(٥)، ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله - تعالى: ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴾^(٦)، ومن أمثلتها في (الأصمعيّات) قول عُرْوَةَ بنِ الْوَرْدِ: (الطويل)

(١) الأصمعيّات: ص ٧٩، رقم ١.

(٢) نفسه: ص ٧٨، رقم ٣٨، زخرت القدر: جاشت. جاء في (الاختيارين): "الضيف الغريب: الذي لا يُعرف. وشتا: دخل في الشتاء. وقوله: بما زخرت، أي: عمّا زخرت."

(٣) نفسه: ص ٦٥، رقم ٦٩، الكأس: أراد: كأس الموت.

(٤) الجنى الداني: ٣٤١.

(٥) نفسه: ٣٤٢.

(٦) سبأ: ١٧/٣٤.

فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ جَزُوعًا وَهَلْ عَنَ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخِّرٍ^(١)

الجواب: ما عَنَ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخِّرٍ، فهل لطلب التَّصديق، والغرض الَّذِي خرج إليه الاستفهام هنا هو النَّفْي، ويُلاحظ دخول (هل) على شبه الجملة الجار والمجرور، ومِنْ زائدة، وما بعدها مبتدأ مؤخر مجرور لفظاً مرفوع محلاً، مِنْ أمثلتها أيضاً قول سَلَامَةَ بِنِ جَنْدَلٍ: (الطَّوِيل)

وَقَفْتُ بِهَا مَا إِنْ تُبِينُ لِسَائِلٍ وَهَلْ تَفْقَهُ الصَّمُّ الْخَوَالِدُ مِنْطِقِي^(٢)

٢ - (هل) بمعنى (قد):

نصَّ بعض النَّحْوِيِّينَ على أَنَّ (هل) قد تأتي بمعنى (قد) ومنهم شيخ النُّحَاة، يقول: "(هل) إنّما تكون بمنزلة (قد)، ولكنهم تركوا الألف إذ كانت (هل) لا تقع إلّا في الاستفهام"^(٣). يقول المبرِّد^(٤): "(هل) تخرج مِنْ حَدِّ المسألة فتصير بمنزلة (قد)، نحو قوله - تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ...﴾"^(٥)، وذكر ابن هشام أَنَّ (هل) تأتي بمعنى (قد)، وذلك مع الفعل، وبذلك فسَّرَ قوله - تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ...﴾^(٦) جماعةً منهم ابن عباس - رضي الله عنهما - والكسائيُّ والفرَّاءُ والمبرِّدُ^(٧)، يقول ابن مالك في (شرح التَّسهيل): "(هل) حرف استفهام تجيء مع الماضي بمعنى (قد)"^(٨). هذا وقد جاءت (هل) مثلثةً بالفعل الماضي في (الأصمعيَّات) في سبعة مواضع، مِنْ أمثلتها قول العَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: (الطَّوِيل)

فَدَعَهَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَاهَا مَقَادُنَا لِأَعْدَائِنَا نُزْجِي الثَّقَالَ الْكَوَانِسَا^(٩)

(١) الأصمعيَّات: ص ٤٧، رقم ٦.

(٢) نفسه: ص ١٤٧، رقم ٥، الصَّمُّ الْخَوَالِدُ: آثار الدِّيَارِ الباقية، وفي (لسان العرب) ١٢٢٥/٢ (خلد): "الصَّمُّ الْخَوَالِدُ: والخوالد الجبال والحجارة والصُّخُور؛ لطول بقائها بعد دروس الأطلال".

(٣) الكتاب: ١٨٩/٣.

(٤) المقتضب: ٢٨٩/٣.

(٥) الإنسان: ١/٧٦.

(٦) الإنسان: ١/٧٦.

(٧) مغني اللبيب: ٣٣٥/٤.

(٨) شرح التَّسهيل: ١٠٩/٤.

(٩) الأصمعيَّات: ص ٢٢٩، رقم ٦. (الرِّيَادَاتِ مِنَ الْكُتَابِينَ)، الكوانس التي تدخل الكناس. وكنس الضَّبِّي دخل في كناسه، جعله لدخول المرأة في هودجها. وجاء في (الاختيارين) ٧٣٤: "مَقَادُنَا: يعني الخيل. ونزجي: نسوق. والثَّقَالَ: الإبل".

التَّقْدِير: قد أتاها مقادنا، يقول ابن مالك في موضع آخر: "وقد تدخل الهمزة على (هل) فتتعيَّن أن تكون المرادفة لـ(قد)"^(١). هذا ووردت هذه الصُّورة في (الأصمعيَّات) مرَّتين، منها قول سلامة بن جندل: (الطَّويل)

أَلَا هَلْ أَتَتْ أَنْبَاؤُنَا أَهْلَ مَأْرِبٍ كَمَا قَدْ أَتَتْ أَهْلَ الدَّبَا وَالْخَوْرَنْقِ^(٢)

هنا فُصِّلَت الهمزة عن (هل) بـ(لا) النَّافية، مِنْ كلام ابن مالك أَنَّ (هل) لا يتعيَّن أن تكون بمعنى (قد) إذا لم تدخل عليها الهمزة.

نسب ابن هشام للزَّمخشرِيِّ أَنَّ (هل) لا تأتي إلَّا بمعنى (قد) أصلاً، ونسب ذلك لسيبويه، وفتشْتُ كتاب سيبويه، ولم يتسنَّ لي العثور على الكلام الَّذِي نسبهُ الزَّمخشرِيُّ لسيبويه، وعكس قوم ما قاله الزَّمخشرِيُّ: "مِنْ أَنَّ (هل) لا تأتي بمعنى (قد) أصلاً"، وأيد ابن هشام^(٣) هذا الرَّأي بقوله: "وهو الصَّواب عندي"، ويورد ثلاثة أدلة على صحَّة ما ذهبوا إليه، أحدها: تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما - ولعلَّه أراد أن الاستفهام في الآية للنَّقير وليس باستفهام حقيقيٍّ، والثَّاني: قول سيبويه الَّذِي شافه العرب وفهم مقاصدهم، والثَّالث: دخول الهمزة عليها، والحرف لا يدخل على مثله في المعنى.

٣- هل بمعنى (إنَّ):

يقول صاحب (الجنى الدَّاني) في معاني (هل): "الثَّالث: أن تكون بمعنى إنَّ، زعم بعضهم أنَّ (هل) في قوله -تعالى- ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾^(٤) بمعنى (إنَّ)"^(٥)، ونقل أبو حيَّان عن بعضهم أنَّ (هل) تأتي تقريراً وإثباتاً في الآية المذكورة^(٦)، مثاله مِنْ (الأصمعيَّات) قول طرفة بن العبد: (الطَّويل)

لَا عَرَوْا إِلَّا جَارِيَّتِي وَسُؤَالَهَا أَلَا هَلْ لَنَا أَهْلٌ سُئِلَتْ كَذَلِكَ^(٧)

٤- مِنْ معاني (هل) أن تأتي للأمر، ولم أقف على أمثلة لهذه الصُّورة في (الأصمعيَّات). بعد الاطِّلاع على التراكيب التي اشتملت على (هل) في (الأصمعيَّات) وجدتُ أن (هل) وردت خمس عشرة مرَّة، هي على النَّحو الآتي:

(١) شرح التَّسهيل: ١١٢/٤.

(٢) الأصمعيَّات: ص ١٤٨، رقم ٩.

(٣) انظر: رأي ابن هشام في (المعنى): ٣٤٠/٤ - ٣٤٣.

(٤) الفجر: ٥/٨٩.

(٥) الجنى الدَّاني: ٣٤٥.

(٦) ارتشاف الضَّرْب: ٥/٢٣٦٧.

(٧) الأصمعيَّات: ص ١٦٦، رقم ٤.

أ- دخلت على الجملة الاسميّة أربع مرّات، في واحدة منها دخلت على المبتدأ والخبر، مثاله في (الأصمعيّات) قول عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ: (الطَّوِيل)

تَقُولُ: لَكَ الْوَيْلَاتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ ضُبُوءًا بِرَجُلٍ تَارَةً وَبِمَنْسِرٍ^(١)

ب- ودخلت على الجملة الاسميّة التي وقع خبرها شبه جملة مقدّمًا على الخبر ثلاث مرّات، من الأمثلة على ذلك قول المُنْتَلَمَسِ: (الطَّوِيل)

وَهَلْ لِي أُمَّ غَيْرُهَا إِنْ تَرَكْتُهَا أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنَمَا^(٢)

ت- ودخلت على الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي سبع مرّات، منه قول عِلْبَاءَ بْنِ أَرْقَمَ بْنِ عَوْفٍ: (الكامل)

تَرَبَّتْ يَدَاكَ وَهَلْ رَأَيْتَ لِقَوْمِهِ مَثَلِي عَلَى يُسْرِي وَحِينَ تَعَلَّتِي^(٣)

ث- ودخلت (هل) على الجملة ذات الفعل المضارع ثلاث مرّات، من أمثلة ذلك قول خُفَّافِ بْنِ نُذْبَةَ: (الطَّوِيل)

فَدَعُ ذَا وَلَكِنْ هَلْ تَرَى ضَوْءَ يُضِيءُ حَبِيًّا فِي ذُرَى مُتَالِقٍ^(٤)

- توكيد الفعل المضارع بعد (هل):

كما أنّ الفعل المضارع جاء مؤكّدًا بنون التوكيد بعد (هل) مرّة واحدة، هي قول السّمّوعِلِ ابن عادياء: (الخفيف)

هَلْ أَقُولُنْ إِذَا تَدَارَكَ حِلْمِي وَتَدَاكَ عَلَيَّ: إِنِّي دُهَيْتُ^(٥)

هذه الصّدورة شبيهه بقوله - تعالى: ﴿... هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾^(٦)، إلّا أنّ الفعل في

الآية الكريمة مؤكّد بنون التوكيد النّقيّة، بينما نجده في البيت مؤكّدًا بنون التوكيد الخفيفة.

(١) نفسه: ص ٤٨، رقم ٨.

(٢) نفسه: ص ٢٤٤، رقم ٣ (الزيادات من الكتابين).

(٣) نفسه: ص ١٧٩، رقم ٤.

(٤) نفسه: ص ٢٩، رقم ٣٠. الحبيّ: السحاب الذي يتراكم بعضه فوق بعض.

(٥) نفسه: ص ٩٨، رقم ١٢.

(٦) الحجّ: ١٥/٢٢.

- زيادة (من) بعد (هل):

وردت (هل) وقد زيدت بعدها (من) في (الأصمعيّات) مرّتين، ومنها قول أبي دُوَادٍ
الإياديّ: (الخبيف)

هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنٍ بَاكِرَاتٍ كَالْعَدُولِيِّ سَيْرُهُنَّ أَنْقَحَامٌ^(١)

ف(من) هنا زائدة، و(طَعَائِنٍ) تعرب مفعولاً به مجروراً لفظاً منصوباً محلاً.

الآن وبعد التعرّف على حرفي الاستفهام (الهمزة وهل) يمكن استنتاج الفروق بينهما من خلال أقوال النحاة، هذا إذا علم أنّ سيبويه هو أوّل مَنْ فَرَّقَ بينهما بقوله: "وذلك أنّ (هل) ليست بمنزلة ألف الاستفهام... وممّا يدلُّك على أنّ ألف الاستفهام ليست بمنزلة (هل): أنّك تقول للرجل: أطرباً؟ وأنت تعلم أنّه قد طرب؛ لتوبّخه وتقرّره، ولا تقول هذا بعد(هل)"^(٢)، ومن الفروق الملموسة بينهما:

أ- هل: حرف استفهام تدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق الموجب، لا غير، نحو: هل قام زيد؟ وهل زيد قائم؟ فتساوي الهمزة في ذلك، أنّت نجحت أم أخوك؟^(٣).

ب- وتشارك الهمزة مع باقي أدوات الاستفهام عدا (هل) بأنّها لطلب التصور، أحضر زيد أم أخوه؟ وهل لا يُطلب بها ذلك.

ت- أنّ الهمزة لا يُستفهم بها، إلّا وقد هجس في النفس إثبات ما يُستفهم بها عنه، بخلاف (هل) فإنّه لا يترجّح عنده لا النفي ولا الإثبات^(٤).

ث- أنّ الهمزة قد يليها اسم بعده فعل في الاختيار، وإن كان الأولى أن يليها الفعل، بخلاف (هل) فإنّها لا يتقدّم الاسم بعدها على الفعل إلّا في الشعر^(٥).

يقول سيبويه: "واعلم أنّ حروف الاستفهام كلّها يقبُح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم: لو قلت: هل زيد قام؟ وأين زيد ضريرته؟ لم يجز إلّا في الشعر، فإذا جاء في الشعر نصبته، إلّا الألف (الهمزة) فإنّه يجوز فيها الرّفْع والنّصب"^(٦).

ويقول عبد القاهر الجرجاني: "إذا قلت: (أفعلت؟) فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: أنّت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشك في

(١) الأصمعيّات: ص ٢٠٤، رقم ٣ (الزيادات من الكتابين)، الطّعائِن: النّساء في الهودج، جمع طعينة. وكالعدوليّ:

كالمركب العدوليّ، نسبة إلى قرية بالبحرين. وانقحام؛ أي: شديد.

(٢) الكتاب: ١٧٥/٣ - ١٧٦.

(٣) الجنى الداني: ٣٤١.

(٤) نفسه: ٣٤٣.

(٥) انظر: مغني اللبيب: ٣٢٨/٤.

(٦) الكتاب: ١٠١/١.

الفاعل مَنْ هو؟ وكان التَّردُّدُ فيه، ومثال ذلك أَنْكَ تقولُ : أفرغتَ مِنَ الكتابِ الَّذِي كُنتَ تَكْتُبُه؟ تبدأ في هذا ونحوه بالفعل؛ لأنَّ السُّؤالَ عن الفعلِ نَفْسِه والشَّكَّ فيه، وتقولُ: أأنتَ بِنيتِ هذه الدارِ؟ فتبدأ في ذلك بالاسم؛ ذلك لأنَّكَ لم تشكَّ في الفعلِ وإنما شككتَ في الفاعلِ مَنْ هو" (١).

ج- وانفردت الهمزة أيضًا بأنها تدخل على المنفيِّ، نحو قوله- تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٢)، ولا تدخل (هل) على منفيِّ؛ أي: أنها تختصُّ بالإيجاب فلا نقول: هل لم يقم (٣)، يقول التبريزيُّ: "وقوله: (أليسوا) فيما وجب وحصل؛ لأنَّ ألف الاستفهام يُضارع النَّفي، ولمَّا دخل على (ليس) حصل بها الإيجاب؛ لأنَّ نفي النَّفي إيجاب" (٤).

ح- الهمزة ترد للإنكار، والتَّوبيخ، والتَّعجب، بخلاف (هل)، مثال ورود همزة الاستفهام لغرض الإنكار قول مَقَّاسِ العائِديِّ: (الطَّويل)

أَجِنْتُمْ إِلَيْنَا فِي بَقِيَّةِ مَالِنَا تَرْجُونَ مِنْ جَهْلِ إِلَيْنَا الْمَنَاقِرَا (٥)

جاء في (شرح اختيارات المفضل) تعليقًا على هذا البيت: "وهذا قاله على وجه الإنكار والتَّعجب" (٦). مثال ورود الهمزة لغرض التَّوبيخ والتَّعجب قول سَعْدَى بنتِ الشَّمرِذَلِ تَوْبِخَ بِهِرًا مِنْ بني سليم على فعلها الَّذِي قتلت فيه أباها (أسعد)، حيث جعلت جسده كالحلقة الَّتِي يُنْعَلُ عليها الطَّعن: (الكامل)

أَجَعَلْتَ أَسْعَدَ لِلرِّمَاحِ دَرِينَةً هِبَاتِكَ أُمُّكَ أَيَّ جِرْدٍ تَرْقِعُ (٧)

أمَّا عن التَّعجب باستخدام همزة الاستفهام فقد تمَّ الحديث عنه بإسهاب عند الحديث عن التَّعجب السَّماعيِّ (٨).

خ- (هل) للسُّؤال عن المستقبل، بخلاف الهمزة للسُّؤال عن الحاضر، نحو قولك: هل تسافر؟ بخلاف الهمزة، أظنُّه قائمًا؟ أي: الآن (٩).

د- (هل) قد يُراد بالاستفهام بها النَّفي، نحو قولك: هل يقدر على هذا غيري؟ أي: ما يقدر (١٠)

(١) دلائل الإعجاز: ١١١.

(٢) الشَّرح: ١/٩٤.

(٣) انظر: مغني اللبيب: ٣٢٦/٤.

(٤) شرح اختيارات المفضل للتبريزي: ٣٤٢/٣.

(٥) الأصمعيَّات: ص ٦٧، رقم ٨.

(٦) شرح اختيارات المفضل للتبريزي: ١٣١٧/٣.

(٧) الأصمعيَّات: ص ١١٦، رقم ١٩.

(٨) انظر الفصل الأوَّل من هذا البحث: ص ٥٣-٥٧.

(٩) انظر: مغني اللبيب: ٣٢٦/٤.

(١٠) انظر: الجنى الدَّاني: ٣٤٢.

ذ- أنَّ الهمزة تتقدّم على فاء العطف وواوه وثمّ، وهذا لا يحصل مع (هل). أفرد سيبويه بابًا للواو التي تدخل عليها ألف الاستفهام حيث يقول: "وذلك قولك: هل وجدت فلانًا عند فلان؟ فيقول: أو هو ممن يكون ثمّ؟ فأدخلت ألف الاستفهام، وهذه الواو لا تدخل على ألف الاستفهام، وتدخل عليها الألف، فإنّما هذا استفهامٌ مستقبَلٌ بالألف، ولا تدخل الواو على الألف، كما أنّ (هل) لا تدخل على الواو. فإنّما أرادوا أنّ لا يُجروا هذه الألف مجرى (هل)، إذ لم تكن مثلها، والواو تدخل على (هل)"^(١).

ر- الهمزة تدخل على (إنّ)، كقوله- تعالى: ﴿قَالُوا أَيْنَك لَأَنْتَ يَوسُفُ...﴾^(٢)، بخلاف (هل)^(٣).

ز- الهمزة لا تُعاد بعد (أمّ)، و(هل) يجوز أن تُعاد وألّا تُعاد^(٤)، وقد اجتمع الأمران في قوله- تعالى: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ...﴾^(٥).

س- تُستعمل الهمزة للتّقرير على سبيل الإنكار، ولا تستعمل (هل) هذا الاستخدام^(٦).

ش- وتنفرد الهمزة بأن تكون في التّسوية دون (هل) نحو: علمت أزيد عندك أم عمرو، وأجاز بعض النّحاة أن تكون (هل) للتّسوية كالهمزة^(٧).

ص- تأتي (هل) بمعنى (قد)، وذلك مع الفعل، ولا تأتي الهمزة كذلك^(٨).

ض- تسبق حروف العطف (هل)؛ لأنّها ليست من الألفاظ التي لها حقّ الصّدارة في الكلام، مثال ذلك قوله- تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾^(٩).

في (الأصمعيّات) سبقت (هل) بواو العطف في سبعة مواضع، ومنها قول صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرٍ: (الرّجز)

وَهَلْ أَكْبَبَ البَائِكُ الْمُحَقَّلَهُ

وَهَلْ عَلِمْتَ بَيْتَنَا إِلَّا وَلَهُ^(١٠)

ط- الهمزة يجوز حذفها كما مرّ، أمّا (هل) فلا يجوز حذفها من الكلام إطلاقًا؛ لعدم وجود دليل على حذفها في حالة افتراض جواز الحذف.

(١) الكتاب: ١٨٧/٣.

(٢) يوسف: ٩٠/١٢.

(٣) انظر: الجنى الدّاني: ٣٤٢.

(٤) نفسه: ٢٤٢.

(٥) الرّعد: ١٦/١٣.

(٦) شرح المفصّل: ١٥٤/٨.

(٧) ارتشاف الصّرب: ٢٣٦٦/٣.

(٨) انظر: مغني اللّبيب: ٣٣٥/٤.

(٩) الحاقّة: ٨/٦٩.

(١٠) الأصمعيّات: ص ٢٣٦، وص ٢٣٧، رقم ٣٢، ورقم ٤٢ (الرّيادات من الكتابين)، المحقّلة: النّاقة الممثلثة الضّرع باللّبن. جاء في (السّمط) ٩٣٠/٢: "البائك من الإبل: الفتية الحسنة، وقيل السّمينة العظيمة السنّام".

المبحث الثاني: أسماء الاستفهام

المطلب الأول: أسماء الاستفهام ذات الحرفين: (ما، مَنْ، كم)

أولاً: ما

هي من أدوات الاستفهام التي لا يمكن للمتحدث أن يستغني عنها في حديثه، وهي بمعنى: أي شيء، وهي تختلف عن (الهمزة) و(هل) في أنها من الأسماء، وهما حرفان، يقول سيبويه: "وليست: أي، ومن، وما، ومتى بمنزلة الألف، وإنما هي أسماء بمنزلة: هذا وذاك"^(١)، ويقول المبرد: "(ما) إنما هي لذات غير الأدميين وصفات الأدميين، ألا ترى أنك تقول: ما عندك؟ فنقول: فرس أو حمار، ولو قلت من عندك؟ لقال: زيد أو عمرو، والصفات للأدميين التي تقع عليها (ما)، فهي نحو قولك: عندي زيد، فأقول: وما زيد؟ فيكون جوابه: طويل أو قصير أو شريف أو ضيع"^(٢).
تحدثت النحاة عن حذف ألف (ما) الاستفهامية إذا سُبِقَتْ بحرف جرٍّ، ويضعون فتحة على الميم للدلالة على الألف المحذوفة، وذلك للتفريق بين (ما) الاستفهامية و(ما) الموصولة، يقول سيبويه: "وأما قولهم: علامه، وفيمه، ولمه، وبمه، وحتامه؟ فالهاء في هذه الحروف أجود إذا وقفت؛ لأنك حذفت الألف من (ما) فصار آخره كآخر ارمه واغزه"^(٣).

ورود هذا التركيب في القرآن الكريم، ومن الأمثلة على ذلك قوله - تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٤)، ومنه قوله - تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٥)، ومنه قوله - تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٦)، ومنه قوله - تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾^(٧). جاء في (لسان العرب): "وقوله - تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٨)، أصله (عن ما) يتساءلون، فأدغمت النون في الميم لقرب مخرجيهما وشددت، وحذفت الألف فرقاً بين الاستفهام والخبر"^(٩).

(١) الكتاب: ١٨٩/٣.

(٢) المقتضب: ١٨٥/٤.

(٣) الكتاب: ١٦٤/٤.

(٤) التل: ٣٥/٢٧.

(٥) الصف: ٢/٦١.

(٦) النبأ: ١/٧٨.

(٧) التازعات: ٤٣/٧٩.

(٨) النبأ: ١/٧٨.

(٩) لسان العرب: ٣١٣٤/٤.

ويمكن تسكين الميم بدلاً مِنْ فتحها، وعن سبب حذف ألف (ما) الاستفهامية يقول الزمخشري: " (لَمْ) هي لام الإضافة داخلية على (ما) الاستفهامية كما دخل عليها غيرها مِنْ حروف الجرِّ في قولك: بِمَ، وَفِيْمَ، وَمِمَّ، وَعَمَّ، وَالْإِمَّ، وَعَلَامَ، وَإِنَّمَا حُذِفَتِ الْأَلْفُ؛ لِأَنَّ (ما) والحرف كشيء واحد، ووقع استعمالهما كثيراً في كلام المستفهم؛ وقد جاء استعمال الأصل قليلاً، والوقف على زيادة هاء السكِّت أو الإسكان"^(١). أمَّا إذا رُكِّبَت (ما) مع (ذا) فإنَّ الألف لا تحذف. يقول ابن هشام: وإذا رُكِّبَت (ما) الاستفهامية مع (ذا) لم تحذف ألفها نحو: لماذا جنَّت؟ لأنَّ ألفها قد صارت حشواً^(٢). ويقول الرُّضِّيُّ عن سبب حذف ألف (ما) الاستفهامية إذا سبقها حرف جرٍّ: "وقد تحذف ألف (ما) الاستفهامية في الأغلب عند انجرارها بحرف جرٍّ أو مضاف؛ وذلك لأنَّ لها صدر الكلام لكونها استفهاماً، ولم يمكن تأخير الجارِّ عنها فقُدِّم عليها ورُكِّب معها حتَّى يصير المجموع ككلمة واحدة موضوعة للاستفهام"^(٣). هذا ووردت (ما) الاستفهامية في (الأصمعيَّات) محذوفة الألف، مسبوقة بلام الجرِّ، كما في قول خُفَّاف بن ندبة: (الكامل)

لِمَ تَأْخُذُونَ سَلَاحَهُ لِقِتَالِهِ وَلِذَا كُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ إِثَامٌ^(٤)

ووردت محذوفة الألف مسبقة بحرف الجرِّ (على)، ومِنْ أمثلتها قول عمرو بن معدٍ يكرب: (الطَّويل)

عَلَامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يَثْقُلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعَنْ إِذَا الْخَيْلُ وَلَّتِ^(٥)

جاء في (شرح أبيات المغني): "وقوله: علام تقول؟ (على) متعلِّقة بتقول)، و(ما) استفهامية؛ ولهذا حذف لامها"^(٦)، ولم ترد محذوفة الألف مسبقة بحروف الجرِّ: الباء، أو عن، أو في. ووردت (ما) الاستفهامية في (الأصمعيَّات) داخلية في تراكيب متنوّعة على النَّحو الآتي: أ- وردت داخلية على الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي أربع مرَّات، منها قول عبد الله بن عَمَّة: (الوافر)

لَأُمِّ الْأَرْضِ وَيَلُّ مَا أَجْنَبْتُ عَدَاةَ الْأَضْرَّ بِالْحُسْنِ السَّبِيلِ^(٧)

(١) الكشَّاف: ١٠٢/٦.

(٢) مغني اللبيب: ٢٧ / ٤.

(٣) شرح الرُّضِّيِّ على الكافية: ٥٠/٣.

(٤) الأصمعيَّات: ص ٣٦، رقم ١.

(٥) نفسه: ص ١٣٦، رقم ٥.

(٦) شرح أبيات مغني اللبيب: ٢٣٩/٣.

(٧) الأصمعيَّات: ص ٤٠، رقم ١، أجنَّت: سترت. الحَسَنَ قيل: اسم رمل، وقيل هو جبل قُتِلَ به بسطام بن قيس. السَّبِيل: الطَّرِيق.

فهذا استفهام ب(ما) غرضه التَّعَجُّبُ وَاظْهَارُ الدَّهْشَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: (السَّرِيح)

فُؤَلَا لِدُودَانَ عَبِيدِ الْعَصَا مَا عَرَّكُم بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ^(١)

(ما) استفهامية تعجبية والمقصود التَّعْظِيمُ.

ب- ودخلت على الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع ثلاث مرَّات، سُبِقَتْ فِي إِحْدَاهَا بِالْفَاءِ مَرَّةً وَاحِدَةً، هِيَ قَوْلُ الْأَسْعَرَ الْجُعْفِيِّ: (الكامل)

وَمُرَّاسٍ أَقْصَدْتُ وَسَطَ جُمُوعِهِ وَعِشَارَ رَاعٍ قَدْ أَخَذْتُ فَمَا تَرَى^(٢)

(ما) هنا استفهامية بدليل ورودها في بيت سابق بصورة مشابهة وهي قوله: ماذا ترى؟^(٣)،

ودخلت (ما) على الفعل المضارع مقرونة بالواو، مثالها مِنْ (الأصمعيَّات) قول ضابئ بن الحارث: (الطَّوِيل)

بَكَيْتَ وَمَا يُبْكِيكَ مِنْ رَسْمِ دِمْنَةٍ مُبْنًا حَمَامٍ بَيْنَهَا مُتَطَلَّلًا^(٤)

ت- ودخلت (ما) على الجملة الاسمية ست مرَّات، مِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ ذِي الْخِرْقِ الطُّهَوِيِّ: (البسيط)

مَا بِالْ أَمْ حَبِيثٌ لَا تُكَلِّمُنَا لَمَّا افْتَقَرْنَا وَقَدْ نُثْرِي فَنَتَفَقُّ^(٥)

البال هو الحال والشَّانُ، وَيَقَعُ خَبْرًا ل(مَا) الاستفهامية قبله، قَالَ الْأَلُوسِيُّ^(٦) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ-

تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾^(٧): "وأصل البال: الفكر يُقَالُ: خَطِرَ بِبَالِي كَذَا، ثُمَّ أُطْلِقَ

على الحال التي يعتني بها وهو المراد، وَلَا يُتَنَّى، وَلَا يُجْمَعُ إِلَّا شَذْوَدًا فِي قَوْلِهِمْ بِالْآتِ"^(٨). مِنْهُ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

(١) نفسه: ص ١٤٤، رقم ٣.

(٢) نفسه: ص ١٦١، رقم ٣٣، جاء في (هامش) الأصمعيَّات المصرية ص ١٤٣: "الرُّؤْسُ: الرَّئِيسُ. وَأَقْصَدْتُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْإِقْصَادُ: الْقَتْلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَالْعِشَارُ: جَمْعُ عِشْرَاءَ، وَهِيَ النَّاقَةُ مَضَى عَلَى لِقْحِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ."

(٣) البيت قوله: عَلِجْ إِذَا مَا بَزَّ عَنْهَا ثَوْبَهَا وَتَخَامَصَتْ قَالَتْ لَهُ: مَاذَا تَرَى

(٤) الأصمعيَّات: ص ١٩٧، رقم ٥ (الزيادات من الكتابين)، دمنة: آثار النَّاسِ وَمَا سَوَّدُوا. وَمُبْنًا: مَقِيمًا، حَالٌ مِنْ (دمنة).

(٥) نفسه: ص ١٣٩، رقم ١.

(٦) الألويسيُّ: هو محمود بن عبد الله الحسيني، شهاب الدين، أبو النَّسَاءِ: مفسرٌ، محدثٌ، أديبٌ، مِنْ الْمُجَدِّدِينَ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، مَوْلَدُهُ وَوَفَاتَهُ فِيهَا، كَانَ سَلْفِيَّ الْإِعْتِقَادِ، مُجْتَهِدًا، مِنْ كُتْبِهِ: (روح المعاني). تُوفِّيَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفَ لِلْهِجْرَةِ. انظر: الأعلام: ١/١٧٦.

(٧) طه: ٥١/٢٠.

(٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، (ت:

١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت)، ج ١٦، ص ٢٠٦.

أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبٌ^(١)

ث- ووردت (ما) داخلة على الجار والمجرور مرتين، وهما قول المُتَخَلِّ الشُّكْرِيِّ: (مُرْقَلُ الكَامِل)

فَدَبْتُ وَقَالَتْ يَا مَنْ خَلُّ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورٍ^(٢)

ومنه قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ العَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

تَقُولُ سُلَيْمَى مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابُ طَيِّبٌ^(٣)

الملاحظ على (ما) التي وردت في (الأصمعيّات) أنّها جاءت بمعنى (أيُّ شيء) في أكثر صورها، وجاءت بمعانٍ أخرى، منها: أنّها جاءت بمعنى (كيف)، من أمثلة ذلك قول امرئ القيس: (الوافر)

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَيْتِي أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٤)

أي: كيف كان العقاب؟

- (ما) بين الاستفهام والنفي:

تأتي (ما) أحياناً تحمل معنيين، هما الاستفهام والنفي، وأحد المعنيين لا يتنافى مع سياق الحال الذي ترد خلاله، وعثرتُ على بيت واحد فقط في (الأصمعيّات) مِنْ هذا القبيل، هو قول أسماء بنِ حَارِجَةَ: (الكامل)

مَا ضَرَّهَا أَنْ لَا تُذَكِّرَنِي عَيْشَ الْخِيَامِ لِيَالِي الْخَبِّ^(٥)

(ما) هنا تحتمل معنيين، أحدهما: الاستفهام، كأنّه قال: أيُّ شيء ضرّها؟ المعنى أنّ ذلك منها حصل لأمر عظيم، والآخر يحتمل أنّ تكون (ما) نافية، بمعنى: ما ضرّها شيء. هذا والله أعلى وأعلم.

(١) الأصمعيّات: ص ١١١، رقم ٢٤، الوَرَع: الجبان الضّعيف. والهَيُوب: الذي يهاب غيره.

(٢) نفسه: ص ٧١، رقم ١٧.

(٣) نفسه: ص ١٠٨، رقم ١، الشَّاحِب: الضَّامِر المتغيّر.

(٤) نفسه: ص ١٤٦، رقم ٢، الجَدُّ: الحظّ. والأشقيين: جمع أشقى، وهو الذي ساء حظّه ولا ذنب له.

(٥) نفسه: ص ٥٣، رقم ٦، الخَبّ: مكان.

ثانيًا: مَنْ

(مَنْ) اسم استفهام للسؤال عن العاقل، يقول سيبويه عنها: "وهي للمسألة عن الأناسي... و(ما) مثلها، إلاَّ أَنْ (ما) مبهمة تقع على كلِّ شيء" (١)، وهي عند ابن يعيش اسم مبهم، يقول: "اعلم أَنَّ (مَنْ) اسم مبهم يقع على ذوات ما يعقل" (٢)، ووردت (مَنْ) في (الأصمعيّات) ست مرّات على النحو الآتي:

أ- دخلت على الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع مرّتين، هما قول: سَهَمَ بِنِ حَنْظَلَةَ الْعَنَوِيّ: (البيسط)

وَمَنْ يُسَوِّي قَصِيرًا بَاعَهُ حَصِيرًا ضَيْقَ الْخَلِيقَةِ عَنَّا إِذَا رَكِبَا (٣)

وقول أبي النَّشَّاشِ النَّهْشَلِيِّ (اللُّصِّ): (الطَّوِيل)

وَسَائِلَةٌ أَيْنَ الرَّحِيلُ وَسَائِلٌ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّغْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ (٤)

يقول التبريزيُّ معلقًا على الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ: "تَمَّ قَالَهُ مُسْتَفْهِمًا عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ" (٥).

ب- ودخلت على الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي مرّة واحدة، يتمثّل ذلك في قول أُحِيحَةَ بِنِ الْجُلَّاحِ (٦): (الوافر)

أَعْلَمُكُمْ وَقَدْ أَرَدَيْتُ نَفْسِي فَمَنْ أَهْدَى سَبِيلَ الرُّشْدِ بَعْدِي (٧)

ت- وقعت (مَنْ) مبتدأً خبره شبه جملة مرّة واحدة، يتمثّل ذلك في قول الْمُتَخَلِّ بْنِ عَامِرِ الْيَشْكُرِيِّ: (مرقّل الكامل)

يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيْمٍ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ (٨)

(١) الكتاب: ٢٢٨/٤.

(٢) شرح المفصل: ١٠/٤.

(٣) الأصمعيّات: ص ٦٢، رقم ٤٣، يعبر بالباع عن الشرف والكرم. وضيق: ضيق.

(٤) نفسه: ص ١٣١، رقم ١.

(٥) شرح ديوان الحماسة: ١٦٧/١.

(٦) أُحِيحَةُ بِنِ الْجُلَّاحِ بِنِ الْحَرِيشِ الْأَوْسِيِّ، أَبُو عَمْرٍو: شاعر جاهليّ من دُهاة العرب وشجعانهم، قال البغداديُّ: "كان سيّد الأوس في الجاهلية، وكان مرابيًا كثير المال، أمّا شعره فالباقي منه قليل جيّد"، تُوفّي سنة ثلاثين

ومائة قيل الهجرة. انظر: شرح أبيات المغني: ٢٣٦/٣، وخزانة البغدادي: ٣٣٣/٣، والأعلام: ٢٧٧/١.

(٧) الأصمعيّات: ص ١٣٤، رقم ٤، أرديت: أهلكت.

(٨) نفسه: ص ٧٢، رقم ٢٥.

إن كان الباحث قد نقل آراء النحاة في جواز حذف ألف الاستفهام (الهمزة) التي اعتبروها أصلاً في باب الاستفهام، إلا أنه لُوْحِظَ جواز حذف (مَنْ) الاستفهامية، وخير مثال على ذلك الشَّطْرُ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الْمَذْكُورِ، وورد ذلك في (الأصمعيّات) مرة واحدة، فيه استفهام محذوف، والتَّقْدِيرُ: يَا هَذَا مَنْ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ؟ وَحُذِفَ الثَّانِي لِدَلَالَةِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ هُوَ قَوْلُهُ: "مَنْ لِمُنِيْمٍ؟".
ث- وقعت مبتدأ، خبره اسم فاعل مرّة واحدة، هي قول عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ: (الطَّوِيل)

فَمَنْ مُبْلَغٌ تَيْمًا عَلَى نَأْيِ دَارِهَا سَرَاتِهِمْ وَالْحَامِلِينَ الْعِظَامِ (١)

ج- سُبِقَتْ بِاللَّامِ الْجَارَةِ، لَتَشَكَّلَ مَعَهَا شِبْهَ جُمْلَةٍ تَقَعُ خَبْرًا مَقْدَمًا لِمَبْتَدَأٍ مُؤَخَّرٍ مَرَّةً وَاحِدَةً، يَتِمَّتُ ذَلِكَ فِي قَوْلِ سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ: (الطَّوِيل)

لِمَنْ طَلَّلَ مِثْلُ الْكِتَابِ الْمُنْمَقِ خَلَا عَهْدُهُ بَيْنَ الصُّلَيْبِ فَمُطْرَقِ (٢)

هذا وكما استُخْدِمَتْ (مَنْ) فِي مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيَّ الْأَصْلِيَّ، اسْتُخْدِمَتْ كَذَلِكَ فِي جُمَلٍ ذَاتِ أَغْرَاضٍ بِلَاغِيَّةٍ، أَذْكَرُ مِنْهَا-عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ - قَوْلُ صَخْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ (٣): (الطَّوِيل)

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً عَلَيْكَ وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ (٤)

فالغرض البلاغي من الاستفهام هنا التَّفْيُّ؛ أي: لا أحد يغترُّ بالحدثان.

ثالثاً: كَمْ

(كَمْ) اسم استفهام مبهم يحتاج إلى إيضاح، ولا يوضِّح إبهامه إلا التَّمْيِيزُ الَّذِي يَلِيهِ، وَيَكُونُ مَفْرَدًا مَنْصُوبًا، جَاءَ فِي (الْجَنَى الدَّانِي): "كَمْ" اسم لعدد مبهم الجنس والمقدار، وليست مركّبة، خِلافاً لِلْكَسَائِيِّ وَالْفَرَّاءِ، فَإِنَّهَا عِنْدَهُمَا مَرْكَبَةٌ مِنْ كَافِ التَّشْبِيهِ وَمَا اسْتَفْهَامِيَّةٌ مَحْذُوفَةٌ الْأَلْفِ، وَسُكِّنَتْ مِيمُهَا لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ، وَهِيَ قِسْمَانِ: اسْتَفْهَامِيَّةٌ، وَخَبْرِيَّةٌ، أَمَّا الِاسْتَفْهَامِيَّةُ فَلَا خِلَافَ فِي اسْمِيَّتِهَا" (٥).

ربما كان المرادى متأثراً بسببويه عندما قسم (كَمْ) إلى: استفهامية وخبرية، يقول: "اعلم أن

(١) نفسه: ص ١٨٧، رقم ٧ (الزيادات من الكتابين).

(٢) نفسه: ص ١٤٦، رقم ١، منمق: مؤسسى. والصليب، ومطرق: موضعان.

(٣) صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد: أخو الخنساء الشاعرة، كان من فرسان بني سليم وغزاتهم، ولأخته شعر كثير في رثائه، توفي سنة عشر قبل الهجرة. انظر: خزنة الأدب للبغدادي: ١/٤١٤، والأعلام: ٣/٢١٠.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٦٣، رقم ٢، جِنَازَةٌ بِكسر الجيم: اسم السَّرِيرِ الَّذِي يُحْمَلُ عَلَيْهِ الميِّتُ.

(٥) انظر: الجنى الداني: ٢٦١.

لـ(كَمْ) موضعين: فأحدهما الاستفهام، وهو الحرف المستفهم به، بمنزلة (كيف) و(أين)، والموضع الآخر: الخبر، ومعناها معنى (رُبَّ)"^(١). ووضع ابن هشام^(٢) خمسة فروق بين (كم) الاستفهامية و(كم) الخبرية، هي على النحو الآتي:

أحدها: أن الكلام مع الخبرية محتمل للتصديق والتكذيب بخلافه مع الاستفهامية.
الثاني: أن المتكلم بالخبرية لا يستدعي من مخاطبه جواباً؛ لأنه مُخبر والمتكلم بالاستفهامية يستدعيه؛ لأنه مُستخبر.

الثالث: أن الاسم المبدل من الخبرية لا يقترن بالهمزة، بخلاف المبدل من الاستفهامية، يُقال في الخبرية: (كم عبيد لي خمسون بل ستون)، وفي الاستفهامية، (كم مالك؟ أعشرون أم ثلاثون؟).

الرابع: أن تمييز (كَمْ) الخبرية مفرد أو مجموع، تقول: كم عبيد ملكت، وكم عبد ملكت... ولا يكون تمييز الاستفهامية إلا مفرداً خلافاً للكوفيين.

الخامس: أن تمييز الخبرية واجب الخفض، وتمييز الاستفهامية منصوب ولا يجوز جرّه مطلقاً. وردت (كَمْ) الاستفهامية في (الأصمعيّات) مرّة واحدة مقرونة بـ(مذ)^(٣)، هي قول عبد الله بن جريح النُكْرِيّ: (الكامل)

وَضَحِكُنْ مِنِّْي سَاعَةً وَسَأَلَنِي مُذْ كَمْ كَذَا سَنَةً أَخَذْتُ قَنَاتِي^(٤)

أراد أتهنّ يسألنه منذ متى وأنت تمسك بعصاك في المشي؟ وأراد الهرم والكبير.

المطلب الثاني: أسماء الاستفهام ذات الثلاثة أحرف: (أين، متى، كيف، أي)

أولاً: أين

يقول عنها المبرد: "(أين) لا تكون إلا للمكان"^(٥)، ووردت في (الأصمعيّات) مرّتين:

الأولى: تمتلّت في قول كعب بن سعد الغنويّ: (الطويل)

وَشَخْصٍ دَرَأْتُ الشَّمْسَ عَنْهُ بِرَاحَتِي لِأَنْظُرَ قَبْلَ اللَّيْلِ أَيْنَ تُزُولِي^(٦)

(١) الكتاب: ١٥٦/٢.

(٢) انظر: مغني اللبيب: ٤٤/٣ - ٤٦.

(٣) جاء في (الجنى الداني) ص ٣٤٠: "(مُذْ) لفظ مشترك؛ يكون حرفاً واسماً، هذا مذهب الجمهور، وذهب بعض التحوّيين إلى أنه اسم في كلّ موضع، وإذا انجز ما بعده فهو ظرف منصوب بالفعل قبله، وقد استدل على حرفيته بإيصاله الفعل إلى (كم) و(متى)، نحو: مذ كم سرت؟ كما ويعتبر الجمهور أن (مذ) محذوفة النون، وأصلها (منذ)".

(٤) (الأصمعيّات): ص ١٢٩، رقم ٢، القناة عند العرب: العصا.

(٥) المقتضب: ٥٣/٢.

(٦) (الأصمعيّات): ص ٨٩، رقم ١٣، دَرَأْتُ الشَّمْسَ: دفعت أشعتها بكفي.

والأخرى: تمتلّت في قول أبي النّشاشِ النّهشليّ اللّصّ: (الطّويل)

وَسَائِلَةٌ أَيَّنَ الرَّحِيلُ وَسَائِلٍ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّغْلُوكَ أَيَّنَ مَذَاهِبُهُ^(١)

ثانياً: متى

جعلها سيبويه للسؤال عن الزّمان، يقول: "ألا ترى أن لو أن إنساناً قال: ما معنى (متى)؟ قلت: في أيّ زمان؟ فسألك عن الواضح، شقّ عليك أن تجيء بما توضّح به الواضح"^(٢)، ويقول عنها المبرّد: "ولا تقع إلاّ للزّمان، نحو: متى تأتني آتك، ومتى خرج زيد؟ في الاستفهام"^(٣)، وقال عنها صاحب (الجنى): "المشهور فيها أنّها من الظروف، تكون شرطاً واستفهاماً"^(٤). أمّا كونها شرطاً فقد وردت في ديوان (الأصمعيّات) الذي يتناوله الباحث في الفصل الخامس^(٥) بحوله - تعالى - وأمّا كونها للاستفهام فلم أقف في (الأصمعيّات) على شيء من ذلك.

ثالثاً: كيف

هي للسؤال عن الحال، يقول ابن مالك عنها: "اسم استفهام عن الحال، ومعناها الاستفهام عن وصف منكور لموصوف بعده مذکور، وأنّ قولك: كيف زيد؟ في معنى: على أيّ حال زيد؟"^(٦)، وجاء في (الكتاب): "وسمنا بعض العرب الموثوق به، يُقال له: كيف أصبحت؟ فيقول: حمدُ الله وثناءً عليه، كأنّه يحمل على مضمر في نيّته هو المظهر، كأنّه يقول: أمري (وشأني) حمدُ الله وثناءً عليه"^(٧)، وذكر ابن هشام أنّ (كيف) تُستعمل على وجهين: أحدهما: شرطية، فنقتضي فعلين متّفقيّ اللَّفظ والمعنى، غير مجزومين نحو: كيف تصنعُ أصنع...والآخر: وهو الغالب فيها أنّ تكون استفهاماً، إمّا حقيقياً نحو: كيف زيد؟ أو غيره، نحو قوله - تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ...﴾^(٨) الآية، فإنّه أخرج مخرَج التّعجب^(٩).

(١) نفسه: ص ١٣١، رقم ١.

(٢) انظر: الكتاب: ٢٣٥/٤.

(٣) المقتضب: ٥٣/٢.

(٤) الجنى الدّاني: ٥٠٥.

(٥) انظر: ص ٣١١ - ٣١٢ من هذا البحث.

(٦) انظر: شرح التّسهيل: ١٠٥/٤.

(٧) الكتاب: ٣١٩/١ - ٣٢٠.

(٨) البقرة: ٢٨/٢.

(٩) انظر: مغني اللّبيب: ١٣٣/٣ - ١٣٥.

(كيف) عند ابن يعيش سؤال عن حال، وتتضمن همزة الاستفهام، فإذا قلت: كيف زيد؟ كأنك قلت: أصحيح زيد أم سقيم؟^(١)، أمّا بالنسبة لإعرابها فتقع خبراً، نحو قولك: كيف أنت؟ وحالاً، نحو: كيف جاء زيد؟ ومفعولاً به، نحو: كيف ظننت زيدا؟

جاء في (شرح التسهيل): "ولـ(كيف) صدر الكلام كغيرها من أدوات الاستفهام، ولا تخرج في الاستعمال عن أن تكون في موضع نصب على الحال، أو خبر مبتدأ في الحال أو الأصل إلا ما شدَّ"^(٢). ذكر الزركشي^(٣) مجيئها مصدرًا في قوله- تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾^(٤). وهي عند سيبويه ظرف يقول: "(كيف): على أي حال؟ وأين: أي مكان؟ ومتى: أي حين... وهذه الأسماء تكون ظرفًا"^(٥).

هذا ووردت (كيف) في (الأصمعيّات) أربع مرّات على النحو الآتي:
أ- دخلت على الجملة الفعلية مرتين: الأولى ذات الفعل المضارع، وهي قول سعدى بنت الشمردل:
(الكامل)

هَذَا الْيَقِينُ فَكَيْفَ أَنْسَى فَقْدَهُ إِنَّ رَبَّ دَهْرٍ أَوْ نَبَا بِي مَضَجُ^(٦)

هي هنا للتحسر والأسى، والأخرى ذات الفعل الماضي وهي قول عبد الله الفقعسي:
(الرجز)

كَيْفَ قَرَيْتَ ضَيْفَكَ الْأَزْبَا^(٧)

ب- وقعت خبراً مقدّمًا لمبتدأ مؤخر مرّة واحدة، يتمثل ذلك في قول مهلهل بن ربيعة: (الوافر)

بِیَوْمِ الشَّعْتَمِينِ لَقَرَّ عَيْنًا وَكَيْفَ لِقَاءٍ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ^(٨)

(كيف) هنا استفهام غرضه: الاستبعاد

ت- وقعت وكأن شيئاً بعدها محذوف، تجد ذلك في قول كعب بن سعد الغنوي: (الطويل)

(١) انظر: شرح المفصل: ١٠٩/٤، وشرح التسهيل: ١٠٤/٤.

(٢) انظر: شرح التسهيل: ١٠٥/٤.

(٣) البرهان: ٣٣٢/٤.

(٤) الفرقان: ٤٥/٢٥.

(٥) الكتاب: ٢٣٣/٤.

(٦) الأصمعيّات: ص ١١٧، رقم ٢٤، رَبَّ دَهْرٍ: أصاب بحوادثه ونوازله.

(٧) نفسه: ص ١٨١، رقم ١ (الزيادات من الكتابين).

(٨) نفسه: ص ١٧١، رقم ٤.

وَحَدَّثْتُمَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةً وَقَلْبِيْبُ^(١)

يقول: نُصِحْتُ أَنْ أُخْرَجَ بِأَخِي مِنَ الْأَمْصَارِ لِيَصْحَ، وَلَكِنَّ الْمَوْتَ أَدْرَكَهُ بَيْنَ الرِّيَاضِ
وَالكُتْبَانِ. وَالتَّقْدِيرُ: فَكَيْفَ تَدْعِيَانِ ذَلِكَ؟ وَهِيَ هُنَا تَحْمَلُ مَعْنَى التَّعْجُبِ.

رَابِعًا: أَيُّ

يقول سيبويه: "اعلم أن (أياً) مضافاً وغير مضاف بمنزلة (من)، ألا ترى أنك تقول: أيُّ
أفضل؟ وأيُّ القوم أفضل؟ فصار المضاف وغير المضاف يجريان مجرى (من)"^(٢). ويقول المبرد:
"اعلم أن (أياً) تقع على شيء هي بعضه لا تكون إلا على ذلك في الاستفهام، وذلك قولك: أيُّ
إخوتك زيد؟ فقد علمت أن زيدا أحدها ولم تدر أيُّهما هو"^(٣). ويقول السُّيوطيُّ عنها: "وإنما يُسألُ بها
عَمَّا يميِّزُ أحدَ المتشاركين في أمرٍ يعمُّهما، نحو قوله - تعالى: ﴿...أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا...﴾"^(٤)؛
أي: نحن أم أصحاب محمد؟"^(٥). ووردت (أي) الاستفهامية في (الأصمعيّات) ثلاث مرّات حيث
جاءت مضافة إلى اسم ظاهر نكرة؛ أي: أنّها دخلت على الأسماء فقط، منه قول علباء بن أرقم:
(الطويل)

وَأَيُّ مَلِيكَ مِنْ مَعَدٍّ عَلِمْتُمْ يُعَذِّبُ عَبْدًا ذِي جَلَالٍ وَذِي كَرَمٍ^(٦)

ومنه قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطويل)

وَأَبْلَغُ نُمَيْرًا إِنْ مَرَرْتَ بِدَارِهَا عَلَى نَائِيهَا فَأَيُّ مَوْلَى وَطَالِبٍ^(٧)

هذا ولم ترد (كيف) في (الأصمعيّات) مضافة إلى معرفة.

المطلب الثالث: أسماء الاستفهام ذات الأربعة أحرف (ماذا، من ذا، أني)

أولاً: ماذا

إذا رُكِبَتْ (ما) الاستفهامية مع (ذا) فإنّها تأتي في العربية على أوجه، كما يقول ابن
هشام^(٨): أحدها: أن تكون (ما) استفهامية و(ذا) إشارة، نحو: (ماذا التّواني؟) و(ماذا الوقوف؟)،

(١) نفسه: ص ١١٣، رقم ٤٣.

(٢) الكتاب: ٣٩٨/٢.

(٣) المقتضب: ٢٩٤/٢.

(٤) مريم: ٧٣/١٩.

(٥) الإتيقان: ١٠٩٦/٣.

(٦) الأصمعيّات: ص ١٧٥، رقم ٨.

(٧) نفسه: ص ١٢٦، رقم ٢، الثّاني: البعد.

(٨) انظر: مغني اللبيب: ٢٨/٤ - ٣٦.

والثاني: أن تكون (ما) استفهامية و(ذا) موصولة، والثالث: أن يكون (ماذا) كُله استفهاماً على التركيب، كقولك لماذا جئت؟ والرابع: أن يكون (ماذا) كُله اسم جنس، بمعنى شيء أو موصولاً بمعنى الذي، والخامس: أن تكون (ما) زائدة و(ذا) للإشارة، والسادس: أن تكون (ما) استفهاماً و(ذا) زائدة، أجازه جماعة منهم ابن مالك في نحو: ماذا صنعت؟ ووردت (ماذا) في (الأصمعيّات) في صور مختلفة على النحو الآتي:

١- دخلت على الجملة الفعلية:

أ- ذات الفعل المضارع أربع مرّات، ومنه قول سلامة بن جندل: (الطويل)

وماذا تُبكي من رسومٍ مُحيلةٍ خلاءٍ كسحقِ اليمنةِ المُتمزقِ^(١)

ومنه قول الأسعري الجعفي (الكامل)

عَلَجَ إِذَا مَا بَزَّ عَنْهَا ثوبها وَتَخَامَصَتْ قَالَتْ لَهُ: مَاذَا تَرَى^(٢)

ب- ذات الفعل الماضي، وذلك مرّة واحدة: وهو قول كعب بن سعد الغنوي: (الطويل)

هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ مِنْ الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَنْوِبُ^(٣)

٢- وقعت مبتدأ مرتين، مرّة دخلت على الجار والمجرور، وشبه الجملة في محل رفع خبر، وتمثّل ذلك في قول قيس بن الخطيم (المنسرح)

رَدَّ الْخَلِيْطُ الْجَمَالَ فَاَنْصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ اَنْهَمُ وَقَفُوا^(٤)

ودخلت على الاسم الصريح الذي يقع خبراً لها في قول أسماء بن خارجة: (الكامل)

إِنِّي لَسَأَلْتُ كُلَّ ذِي طَبِّ: مَاذَا دَوَاءُ صَبَابَةِ الصَّبِّ؟^(٥)

ثانياً: مَنْ ذَا

يجوز أن تأتي (مَنْ) ومعها (ذَا)، يقول الفرّاء: "والعرب تصل (مَنْ) في الاستفهام بـ(ذَا) حتّى تصير كالحرف الواحد"^(٦).

(١) الأصمعيّات: ص ١٤٨، رقم ٨، مُحيلة: غاب عنها أهلها حولاً. وخلاء: خالية. والسحق: الثوب البالي. الرّسوم:

جمع رسم، وهو ما لصق بالأرض من بقايا الدّيار.

(٢) نفسه: ص ١٥٧، رقم ٣، العَلَج: الرّجل الشّدِيد الغليظ. وبزّ الثوب: خلعه وانتزعه. وتخامصت: أدخلت يديه إلى بطنها لتريه أنّها خميص؛ أي: ضامرة.

(٣) نفسه: ص ١٠٩، رقم ٩.

(٤) نفسه: ص ٢١٥، رقم ١ (الزيادات من الكتابين).

(٥) نفسه: ص ٥٢، رقم ١.

(٦) معاني القرآن: ١٣٢/٣.

ورود هذا التّركيب في القرآن الكريم في أربعة مواضع^(١) - حسب ما أحصيتُ - مِنْ أمثلته قوله - تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾^(٢)، وللنُّحاة في (مَنْ ذَا) آراء^(٣) على النُّحو الآتي:

- أ- أَنْ تكون (مَنْ) مع (ذَا) كالحرف الواحد، منسوب للفرّاء.
 ب- أَنْ تكون (مَنْ) استفهاميّة و(ذَا) موصولة، منسوب لسيبويه، جاء في (الكتاب): "وليس يكون كالأذي إلا مع (ما) و(مَنْ) في الاستفهام".
 ت- أَنْ تكون (مَنْ) استفهاميّة و(ذَا) زائدة، منسوب للكوفيّين، جاء في (مغني اللّبيب): "ويجوز على قول الكوفيّين في زيادة الأسماء كون (ذَا) زائدة، و(مَنْ) مفعولاً".
 هذه الصُّورة لم أقف لها على تمثيل في (الأصمعيّات).

ثالثاً: أَنَّى

يقول سيبويه عنها: "وَأَنَّى تكون في معنى (كيف) و(أين)"^(٤)، وعنها يقول ابن يعيش: "وأماً (أَنَّى) فظرف مكان، يُستفهم بها ك(أين)، قال تعالى: ﴿...أَنَّى لَكَ هَذَا...﴾"^(٥)؛ أي: مِنْ أين لك هذا؟^(٦). ووردت (أَنَّى) في (الأصمعيّات) مرّتين: واحدة بمعنى (كيف) في قول أسماء بن خَارجة: (الكامل)

وَبِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا نَسَبٍ أَنَّى وَشَعْبُكَ لَيْسَ مِنْ شَعْبِي^(٧)

والأخرى بمعنى (أين) في قول خُفاف بن نُذبة: (الطويل)

أَلَا طَرَقَتْ أَسْمَاءُ فِي غَيْرِ مَطْرَقٍ وَأَنَّى إِذَا حَلَّتْ بَنَجْرَانَ نُلْتَقِي^(٨)

الَّذي يدلُّ على أَنَّها بمعنى (أين) ذكر (نجران) اسم لمكان، وكلمة (نلتقي) واللقاء يحتاج إلى مكان، وهذا يتفق مع كون أَنْ (أين) للسؤال عن المكان، سواء كان السؤال حقيقياً أم مجازياً، هذا إذا عُلِمَ أَنَّ أحد معنَيَيْ (أَنَّى) هو (أين) كما ذكر شيخ النُّحاة.

(١) المواضع هي: البقرة: ٢٤٥، ٢٥٥، والأحزاب: ١٧، والحديد: ١١.

(٢) البقرة: ٢٤٥/٢.

(٣) انظر: الكتاب: ٤١٦/٢، ومغني اللّبيب: ١٩٧/٤.

(٤) الكتاب: ٢٣٥/٣.

(٥) آل عمران: ٣٧/٣.

(٦) شرح المفصل: ١١٠/٤.

(٧) الأصمعيّات: ص ٥٥، رقم ٢٨.

(٨) نفسه: ص ٢٤، رقم ١.

المطلب الرَّابِع: اسم الاستفهام ذو الخمسة أحرف (أَيَّانَ)، ألفاظ أَلحقتها العرب بالاستفهام
أَوَّلًا: اسم الاستفهام ذو الخمسة أحرف (أَيَّانَ)

(أَيَّانَ) عند سيبويه بمعنى (متى)، يقول: أَلَا تَرَى أَنْ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا قَالَ: مَا مَعْنَى (أَيَّانَ)؟
فَقُلْتُ: مَتَى، كُنْتَ قَدْ أَوْضَحْتَ، فَسَأَلْتُكَ عَنِ الْوَاضِحِ، شَقَّ عَلَيْكَ أَنْ تَجِيءَ بِمَا تَوْضَحُ بِهِ
الوَاضِحَ^(١). و(أَيَّانَ) اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب ظرف زمان متعلق بالفعل الذي
يليه، ومثاله مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(٢)، وَيُعْرَبُ فِي مَحَلِّ
رَفْعٍ خَبْرٍ مَقْدَمٌ إِذَا تَلَاهُ اسْمٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^(٣).

جاء في (الكشاف): " (أَيَّانَ) بمعنى (متى)، وقرئ: أَيَّانَ بكسر الهمزة"^(٤). هذا ووردت
(أَيَّانَ) في القرآن في ستة مواضع فقط، ذكرنا منها اثنين، وأكثر ما تُستخدَمُ في القرآن الكريم في
التفخيم والتَّهْوِيلِ، ولم ترد (أَيَّانَ) في أيِّ بيتٍ مِنْ أشعار ديوان (الأصمعيَّات).

ثانيًا: ألفاظ أَلحقتها العرب بالاستفهام
١ - الاستفهام بـ(لعلَّ):

(لعلَّ) معناها التَّرقُّبُ والتَّوَقُّعُ، وهو شيء ممكن، فتوقَّع النَّصْرَ يسمَّى تَرْجِيًّا، نحو: لعلَّ
النَّصْرَ قَادِمًا، وتوقَّع المكروه يسمَّى إِشْفَاقًا، كقول الأَمِّ: لعلَّ صغيري يمرض، هذا هو المشهور بين
النُّحَاةِ للمعاني التي تحملها (لعلَّ) كما يقول المرادي، ولكن نُقل عن بعضهم أَنَّ مِنْ مَعَانِيهَا
الاستفهام، ولنتأمَّلْ مَعَ النُّصُوصِ الْآتِيَةِ.

نبدأ بالمرادي^(٥) الذي ذكر لـ(لعلَّ) ثمانية معانٍ، ومنها التَّرجي والإشفاق، والأوَّلُ في
المحبوب، وهو الأشهر والأكثر، والثَّاني في المكروه، ومن هذه المعاني: الاستفهام، ونسبه للكوفيَّين
وتبعهم ابن مالك^(٦). وجاء في (همع الهوامع): "و(لعلَّ) للتَّرجي في المحبوب وللإشفاق في
المكروه... ولا تُستعمل إِلَّا في الممكن... وزاد الكوفيُّون في معانيها الاستفهام... والبصريُّون رجَّعوا
هذه المعاني كُلِّهَا إِلَى التَّرجي والإشفاق"^(٧). ويقول الرِّضِيُّ: "وقيل: إِنَّ (لعلَّ)، تجيئ للاستفهام،

(١) انظر: الكتاب: ٢٣٥/٤.

(٢) التُّحُل: ٢١/١٦.

(٣) النَّازِعَات: ٤٢/٧٩.

(٤) الكشاف: ٤٦٧/٤.

(٥) انظر: الجني الدَّاني: ٥٧٩-٥٨١.

(٦) انظر رأي ابن مالك في (شرح التَّسهيل): ٨/١.

(٧) همع الهوامع: ٤٢٨/١-٤٢٩.

تقول: لعلَّ زيدًا قائمٌ؛ أي: هل هو كذلك؟^(١). وعدد ابن هشام^(٢) ثلاثة معانٍ لـ(لعلَّ)، أحدها: الاستفهام - وهو ما يهْمُ هنا - ونسبه للكوفيّين، ومثّل له بقوله - تعالى: ﴿... لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٣). وعلّق أبو حيّان على قوله - تعالى: ﴿... لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ...﴾^(٤) بقوله: "والكوفيّون يُجرون (لعلَّ) مجرى (هل)، فكما يقع التعلّيق عن (هل) كذلك عن (لعلَّ)، ولا أعلم أحدًا ذهب إلى أنّ (لعلَّ) من أدوات التعلّيق وإن كان ذلك ظاهرًا فيها"^(٥).

أمّا في (الأصمعيّات) فوردت (لعلَّ) في ثلاثة مواضع، يعتقد الباحث أنّها جاءت في موضع واحد منها فقط للاستفهام، مع افتقاره إلى دليل على صحّة اعتقاده سوى ما يسعفه من أنّه عند استبدال (لعلَّ) في البيت بـ(هل) فإنّه لا يحصل فساد لمعنى البيت ولا نشاز، وهو قول كعب بن سعد الغنويّ: (الطويل)

فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعْ الصَّوْتِ دَعْوَةً لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبٌ^(٦)

٢ - الاستفهام بـ(لولا)

ذكر الهروي أنّ من معانيها: الاستفهام، وأنّها بمعنى (هلّا) نحو: لولا سألتنا^(٧)، وذكر ابن هشام^(٨) أنّ لـ(لولا) أربعة معانٍ: حرف امتناع لوجود، وللتّحضيض والعرض، وللتّوبيخ والتّنديم، ورابعها: الاستفهام، نحو قوله - تعالى: ﴿... فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ...﴾^(٩)، وجاء في (همع الهوامع): "وترد (لولا) و(هلّا) استفهاميّة"^(١٠). هذا ولم ترد (لولا) في (الأصمعيّات) تحمل معنى الاستفهام.

(١) شرح الرّضيّ على الكافية: ٣٣٣/٤.

(٢) انظر: مغني اللّبيب: ٥٢٦/٣.

(٣) الطّلاق: ١/٦٥.

(٤) الأنبياء: ١١١/٢١.

(٥) تفسير البحر المحيط: ٣١٩/٦.

(٦) الأصمعيّات: ص ١١٢، رقم ٣٧، جاء في (خزانة الأدب للبغداديّ) ٤٦٤/١٠: "أبا المغوار: أخو الشّاعر المقصود بالرّثاء، وقوله (لعلَّ أبا المغوار): هذا التّرجي من شدّة ذهوله من عظم مصابه بأخيه".

(٧) انظر: الأزهيّة: ١٦٦.

(٨) انظر: مغني اللّبيب: ٤٤٣/٣، و٤٥٢، و٤٥٣، و٤٥٧.

(٩) المنافقون: ١٠/٦٣.

(١٠) انظر: همع الهوامع: ٤٧٧/٢.

الفصل الرَّابِع

ظاهرة النَّفي في ديوان (الأصمعيّات)

ويشتمل على المباحث الآتية:

- توطئة

- معنى النَّفي لغة واصطلاحًا

المبحث الأول: النَّفي الصَّريح، ويتضمَّن المطالب الآتية:

المطلب الأوَّل: أحرف النَّفي العاملة

المطلب الثَّاني: أحرف النَّفي غير العاملة

المطلب الثَّالث: الأفعال التي تستخدم في النَّفي الصَّريح

المطلب الرَّابع: الأسماء التي تستخدم في النَّفي الصَّريح

المبحث الثَّاني: النَّفي الضَّمَنِيّ

ويتضمَّن المطلبين الآتية:

المطلب الأوَّل: أساليب تحمل معنى النَّفي الضَّمَنِيّ

المطلب الثَّاني: ألفاظ متفرِّقة تتضمَّن معنى النَّفي الضَّمَنِيّ

توطئة

النَّفْي أحد الأساليب التي لا يمكن لأي لغة الاستغناء عنها، والغاية من استخدامه إنكار فكرة (ما) أو نقضها، وهو نقبض الإثبات.

وهو من الأساليب التي لها حضور واضح على الألسنة والأقلام، ومن خلال دراسة أسلوب النفي في اللغة العربية سيوضح أن النحاة لم يفرّدوا له باباً خاصاً، كما أفرّدوا لغيره من المباحث الكثيرة، والتي ربّما سار أغلبهم - قديماً وحديثاً - على نمط واحد من الترتيب عند معالجتها والتعرض لها، وإتّما جاءت المسائل المتعلقة بالنفي موزّعة بين الموضوعات النحويّة المختلفة، فالنحاة لم يخصصوا باباً للنفي كما فعلوا مع غيره، وإتّما تكلموا عنه حسبما تقتضي الحاجة، فتحدّثوا عن (لم) و(لما) - على سبيل المثال لا الحصر - عند حديثهم عن الجواز التي تجزم فعلاً واحداً، وتحدّثوا عن (ليس) عند تناولهم لـ(كان وأخواتها)، وتحدّثوا عن (لا) النافية للجنس بعد فراغهم من الحديث عن (إن) وأخواتها، وهكذا.

- معنى النفي

أولاً: النفي لغة

تحدّث عن معناه اللغويّ عدد من اللغويين ومنهم ابن فارس^(١)، يقول: "نَفَيْ (نَفَيْ) النُّون والفاء والحرف المعتلّ أُصِيلٌ يَدُلُّ على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه، ونَفَيْتُ الشَّيْءَ أَنفَيْهِ نَفْيًا"^(٢). وجاء في (لسان العرب): "نَفَى الشَّيْءَ يَنْفِي نَفْيًا: تَحَّى، وَنَفَيْتُهُ أَنَا نَفْيًا... وَانْتَفَى مِنْهُ تَبَرًّا، وَنَفَى الشَّيْءَ نَفْيًا جَحَدَهُ"^(٣).

وعرّفه الجرجاني^(٤) بقوله: "النفي: هو ما لا ينجزم بـ(لا)، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك

(١) ابن فارس هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب، كان نحوياً على طريقة الكوفيّين، له تصانيف كثيرة، منها: (مقاييس اللغة) و(الصاحبي)، تُوفّي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة هجرية. انظر: معجم الأدباء: ٥٣٣/١، ووفيات الأعيان: ١١٨/١، وبغية الوعاة: ٣٥٢/١، والأعلام: ١٩٣/١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د. ق)، (د. ط)، ١٣٩٩هـ، ج ٥، ص ٤٥٦.

(٣) لسان العرب: ٤٥١١/٦-٤٥١٢.

(٤) عليّ بن محمّد بن عليّ، المعروف بالشريف الجرجانيّ: فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنفًا، منها: التعريفات، تُوفّي سنة ست عشرة وثمانمائة هجرية. انظر: بغية الوعاة: ٢٩٦/٢-٢٩٧، والأعلام: ٧/٥.

الفعل^(١)، يقول عنه الزركشي: "النفي: هو شطر الكلام كله؛ لأنَّ الكلام إمَّا إثبات أو نفي"^(٢).
 عن الفرق بين النفي والجحد يقول ابن الشَّجَرِيّ^(٣): "إنَّ كان النَّافي صادقًا فيما قاله سُمِّي
 كلامه نفيًا، وإنَّ كان يعلم كذب ما نفاه كان جحدًا، فالنَّفي أعمُّ؛ لأنَّ كلَّ جحد نفي من غير
 عكس"^(٤)، وبالمثال يتَّضح المقال، فمثَّل على النَّفي بقوله-تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ
 رِجَالِكُمْ...﴾^(٥)، ومثَّل على الجحد بقوله-تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
 مُّبِينٌ﴾^(٦).

ثانيًا: النَّفي في الاصطلاح

لم يعرف النُّحاة النَّفي تعريفًا اصطلاحياً دقيقاً، وربما عرفوا شيئاً يتَّصل به كالجحد، جاء
 في (معجم التَّعريفات): "الجحد ما انجزم ب(لم) لنفي الماضي، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك
 الفعل في الماضي، فيكون النَّفي أعمُّ منه، وقيل الجحد عبارة عن الفعل المضارع المجزوم ب(لم)
 التي وُضعت لنفي الماضي في المعنى"^(٧).

-
- (١) التَّعريفات، علي بن محمَّد بن علي الجرجاني، (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي،
 بيروت، (د. ط)، ١٤٠٥هـ، ص ٣١٤.
- (٢) البرهان: ٣٧٥/٢.
- (٣) ابن الشَّجَرِيّ: هو هبة الله بن علي بن محمَّد الحسني، أبو السَّعادات: مِنْ أئمَّة العلم باللُّغة والأدب وأحوال
 العرب، من مؤلِّفاته: كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه)، و(شرح اللُّمع لابن جنِّي). توفي سنة اثنتان
 وأربعين وخمسائة للهجرة. انظر: وفيات الأعيان: ٤٥/٦، وبغية الوعاة: ٣٢٤/٢، والأعلام: ٧٣/٨.
- (٤) أمالي ابن الشَّجَرِيّ، هبة الله بن علي بن محمَّد الحسني العلوي، (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق ودراسة: محمود محمَّد
 الطَّنَّاحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط)، ١٤١٣هـ، ج ١، ص ٣٩١.
- (٥) الأحزاب: ٤٠/٣٣.
- (٦) التَّمَل: ١٣/٢٧.
- (٧) التَّعريفات: ١٠١.

المبحث الأول: النفي الصريح

يسمى بالنفي الظاهر: وهو النفي الذي تستخدم فيه إحدى أدوات النفي المتعارف عليها، والتي أكثرها حروف، مثل: لم، ولمّا، ولن الناصبة، و(ما، ولا، ولات، وإن) العاملة عمل (ليس)، ولا النافية للجنس، لا النافية للفعل، ومنها أسماء مثل: غير، ومنها أفعال مثل: ليس.

المطلب الأول: أحرف النفي العاملة

يمكن تصنيف أدوات النفي الصريح إلى ثلاث مجموعات: حروف، وأفعال، وأسماء؛ ليسهل التعامل معها بالدراسة دون تداخل ربّما يؤدي إلى إغفال جزء منها، وبدأت بمجموعة الحروف؛ لأنها الأكثر عددًا، وربّما كان لها حضور أكثر من غيرها في الكلام العربي.

أولاً: أحرف الجزم

١ - (لم):

اعتبر الزمخشري (لم) واحدًا من أحرف النفي التي عدّها وهي: ما، ولا، ولم، ولمّا، ولن، وإن^(١). وهو حرف نفي وجزم وقلب؛ أي: يقلب معنى زمن الفعل من المضارع إلى الماضي، يقول الزمخشري: " (لم) و (لما) لقلب معنى المضارع إلى الماضي ونفيه، إلا أنّ بينهما فرقًا: وهو أنّ (لم يفعل) نفي الفعل، و (لما يفعل) نفي قد فعل"^(٢). وعقد سيبويه بابًا سمّاه: باب نفي الفعل، يقول: "إذا قال: فَعَل، فإنّ نفيه: لم يفعل"^(٣). وجاء في (المقتضب): " (لم) وهي نفي للفعل الماضي ووقوعها على المستقبل من أجل أنّها عاملة، وعملها الجزم، ولا جزم إلا لمعرب وذلك قولك: قد فعل، فتقول: مكذبًا لم يفعل، فإنّما نفيت أنّ يكون فعل فيما مضى"^(٤). وهي عند المرادي^(٥): حرف نفي، له ثلاثة أقسام: الأول: أن يكون جازمًا، نحو: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٦)، وهذا القسم هو المشهور، والثاني: أن يكون ملغى، لا عمل له، فيرتفع الفعل المضارع بعده، والثالث: أن يكون ناصبًا للفعل، حكى اللحياني عن بعض العرب أنّه يُنصب ب(لم).

ما يُلاحظ على النفي ب(لم) في الآية الكريمة، أنّ النفي ما زال متصلاً غير منقطع؛ لأنّ الله- عزّ وجلّ - لم يلد في الماضي، ولا في الحال، ولن يلد في المستقبل، بعكس قولك: لم يقرأ

(١) انظر: المفصل: ٤٠٥/١.

(٢) نفسه: ٤٠٦/١.

(٣) الكتاب: ١١٧/٣.

(٤) المقتضب: ٤٦/١.

(٥) انظر: الجنى الداني: ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٦) الإخلاص: ٣/١١٢.

محمّد الدّرس أمس، وإنّما قرأه اليوم، فالنّفي هنا منقطع، حيث انتفى حدوث الفعل في زمن معيّن، ثمّ انقطع النّفي، ومن هنا يتبيّن لك أنّ النّفي بـ(لم) قسمان: متّصل، ومنقطع.

يقول ابن مالك في (شرح الكافية): "رغم بعض النّاس أنّ النّصب بـ(لم) لغة، اغتراراً بقراءة بعض السّدلف: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(١) بفتح الحاء، وهو عند العلماء محمول على أنّ الفعل مؤكّد بالنّون الخفيفة، ففُتِحَ لها ما قبلها، ثمّ حُذفت، وتُوبت فبقيت الفتحة"^(٢).

في ديوان (الأصمعيّات) لم أفد ولو على مثال واحد على النّوعين الثّاني والثّالث اللّذين ذكرهما ابن مالك والمرادّي، هما كون (لم) قد ترد ملغاة، فيُرفع الفعل المضارع بعدها، وكونها قد ترد ناصبة له، وقد وردت (لم) عاملة داخلية على الفعل المضارع، من القسم الأوّل المشهور في مائة وأربعة مواضع، واتّخذت صوراً وأشكالاً مختلفة على النّحو الآتي:

أ- وردت داخلية على الفعل المضارع الصّحيح الآخر المبنيّ للمعلوم أربع وأربعين مرّة، توزّعت على النّحو الآتي:

- الفاعل ضمير مستتر، مثاله قول مالك بن حريم الهمدانيّ: (الطّويل)

جَزَعْتَ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعًا	وقد فات ربيّ الشّبَابِ فودّعاً ^(٣)
ومنه قول سَهْمَ بنِ حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ: (البيسط)	
مَلْمُومَةٌ لَمْ تَدَارِكْ فِي سَوَامِهِمْ	حَتَّى أُبِيحُوا بِهَا وَالسَّبِيّ فَاثْتِهَابًا ^(٤)
ومنه قول كَعْبَ بنِ سَعْدِ العَنَوِيِّ: (الطّويل)	
لَيْبِكَ دَاعٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِيْنُهُ	وَطَاوِي الحَشَا نَائِي المَزَارِ غَرِيبًا ^(٥)

- الفاعل اسم ظاهر، ذلك يتملّ في قول ذي الإصْبَعِ العَدَوَانِيّ^(٦): (الهج)

(١) الشّرح: ١/٩٤.

(٢) انظر: شرح الكافية الشّافية: ١٥٧٥/٢-١٥٧٦.

(٣) الأصمعيّات: ص ٧٣، رقم ١.

(٤) نفسه: ص ٦٥، رقم ٦٨. ملمومة؛ أي: كتيبة ملمومة. والسّوام: المال الرّاعي. وأبيحوا بها؛ أي: بالمال الرّاعي. وانتهب: أخذ قهراً.

(٥) نفسه: ص ١١٤، رقم ٤٦.

(٦) هو حُرْثَان بن السّمَوْعَل، قاله الأصمعيّ وقال غيره: الحارث بن محرّث بن ثعلبة، ينتهي نسبه إلى مضر: شاعر حكيم شجاع جاهليّ له حروب ووقائع وأخبار. وأغلب شعره في الحكمة والعظة والفخر، توفيّ سنة اثنتين وعشرين هجريّة. انظر: الشّعْر والشّعراء: ٧٠٢/٢، والسّمط: ٢٨٩/١، وخزانة البغداديّ: ٢٧٨/٥-٢٨٢، والأعلام: ١٧٣/٢.

مِبَالِغَ لَمْ يَنْلُهَا النَّا سٌ فِي بَسْطٍ وَلَا قَبْضٍ^(١)
 ومنه قول دَوْسَرَ بْنِ دُهَيْلِ الْفُرَيْعِيِّ: (الطَّوِيل)
 إِذَا مَا امْرُؤٌ وُلِّيَ عَلَيَّ بِوُدِّهِ
 ومنه قول الْمُفَضَّلِ النُّكْرِيِّ: (الوافر)

وَقَدْ قَتَلُوا بِهِ مِنَّا غُلَامًا كَرِيمًا لَمْ تَأْتِئْبُهُ الْعُرُوقُ^(٢)
 - الفاعل ضمير متصل، مثاله قول مَالِكِ بْنِ حَرِيمِ الْهُمْدَانِيِّ: (الطَّوِيل)

فَأَصْبَحَنَ لَمْ يَتْرُكَنَّ وَتَرًا عَلِمَتْهُ لِهَمْدَانَ فِي سَعْدٍ وَأَصْبَحَنَ ظُلَعًا^(٤)
 إذا تُلِيَ الفعل المضارع الذي علامة جزمه السُّكُونُ بساكن يمكن التَّخْلُصُ مِنَ السَّاكِنِينَ بكسر الحرف الساكن الأول، هذا وقد وردت هذه الصُّورَةُ فِي (الأصمعيَّات) أربع مرَّات، مثاله قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ: (البسيط)

كَالسَّمْعِ لَمْ يَنْقُبِ الْبَيْطَارُ سُرَّتَهُ وَلَمْ يَدِجْهُ وَلَمْ يَضْرِبْ لَهُ عَصَبًا^(٥)
 هنا تَمَّ التَّخْلُصُ مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ بكسر الأول منهما، السَّاكِنُ الأول: حرف الباء، والفعل مجزوم بـ(لم)، والآخر: اللَّامُ مِنَ (أل) القمريَّة، منه قول عِلْبَاءِ بْنِ أَرْقَمِ بْنِ عَوْفٍ: (الكامل)
 وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلِهَا وَرَفَدْتُه نُصْحِي وَلَمْ تُصِبِ الْعَشِيرَةَ زَلَّتِي^(٦)
 ومنه قول الْمُتَمَسِّسِ يَعْتَابِ خَالِهِ الْيَشْكُرِيِّ: (الطَّوِيل)

(١) الأصمعيَّات: ص ٨٧، رقم ٩.
 (٢) نفسه: ص ١٦٨، رقم ٩، وُلِّيَ بِوُدِّهِ: أَعْرَضَ بِمَحَبَّتِهِ عَنِّي.
 (٣) نفسه: ص ٢٢٦، رقم ٣٤ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، جَاءَ (شَرْحُ أُبْيَاتِ الْمَغْنِيِّ) ٣٥٣/١: "لَمْ تَأْتِئْبُهُ الْعُرُوقُ: أَشْبَيْتُهُ تَأْتِئْبًا؛ أَي: خَالَطْتُهُ". يَرِيدُ أَنَّ أَصُولَهُ خَالِصَةٌ، لَيْسَ فِيهَا دَخِيلٌ.
 (٤) نفسه: ص ٧٧، رقم ٣٣، ظَلَعٌ: حَسْرَى مِنْ طَوْلِ الْغَزْوِ.
 (٥) نفسه: ص ٥٩، رقم ١٥، السَّمْعُ: وَلَدُ الدَّنْبِ مِنَ الضَّبْعِ. لَمْ يَدِجْهُ: لَمْ يَقْطَعْ وَدَجَّهُ، وَهُوَ عَرَقٌ فِي الْعَنْقِ، وَهُوَ مِنَ الدَّوَابِّ كَالْفَصْدِ مِنَ النَّاسِ، أَرَادَ أَنَّ فَرَسَهُ بَرِيءٌ مِنَ الْعَلْلِ، لَمْ يَحْتِجْ إِلَى بَيْطَارٍ.
 (٦) نفسه: ص ١٨٠، رقم ١٠، جَاءَ فِي (شَرْحِ الْحِمَاسَةِ لِلْمَرْزُوقِيِّ) ٥٥٢/١: "يُصِفُ نَفْسَهُ بِالْحَلْمِ مَعَهُمْ وَكُظْمِ الْغَيْظِ فِيهِمْ".

يَدَاهُ أَصَابَتْ هَذِهِ حَتْفَ هَذِهِ فَلَمْ تَجِدِ الْآخِرَىٰ عَلَيْهَا مُقَدِّمًا^(١)

وأما إذا كان الفعل المضارع مضعفاً فإنه يُتَخَلَّصُ مِنَ السَّاكِنِينَ بِالتَّشْدِيدِ الْمَحْرُكِ بِالْفَتْحِ، وقد وردت هذه الصُّورَةُ فِي (الأصمعيَّاتِ) مرَّةً واحدةً وهي قول ضابئي بن الحارث: (الطَّويل)

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ صَدِيقًا وَلَا أَخًا إِذْ لَمْ تَعُدَّ الشَّيْءَ وَهُوَ يَرِيبُ^(٢)

ب- ووردت داخلة على الفعل المضارع الناقص الصَّحيح الآخر المبني للمعلوم تسع مرات، ومنه قول الممزق العبدِيّ: (الطَّويل)

وَقَدْ ضَمَرْتُ حَتَّى التَّقَىٰ مِنْ نُسُوعِهَا عُرَىٰ ذِي ثَلَاثٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تُتَّقِي^(٣)

ت- ووردت داخلة على الفعل المضارع الصَّحيح الآخر المبني للمجهول إحدى عشرة مرَّةً، ومن أمثله قول عبد الله بن عَنَمَةَ يرثي بسطام بن قيس: (الوافر)

وَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءِ لَمْ يُوسَدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ^(٤)

ومنه قول المُنخَلِ بْنِ عامر اليشكُريّ: (مرقّل الكامل)

يَعْكُفْنَ مِثْلَ أَسَاوِدِ الْـ تَتُّومٍ لَمْ تُعْكَفْ لِزُورٍ^(٥)

ومنه قول الممزق العبدِيّ: (الطَّويل)

كَأَنَّ حَصَى الْمَعْرَاءِ عِنْدَ فُرُوجِهَا نَوَاوِي رِحَى رِضَاخَةٍ لَمْ تُدَقِّقْ^(٦)

(١) نفسه: ص ٢٤٦، رقم ١٣، الحتف: الموت.

(٢) نفسه: ص ٢٠٣، رقم ٧ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (شرح أبيات المغني) ٤٤/٧: "يقول: إذا لم تتعدَّ الشَّيْءَ المُرِيبَ، وتجاوزَه لِأَجْلِ الصَّدِيقِ...".

(٣) نفسه: ص ١٨٣، رقم ٧ (الزيادات من الكتابين)، ضمرت: هزلت. والنسوع: جمع نسع، وهو سير تُشدُّ به الرِّجَالُ.

(٤) نفسه: ص ٤٢، رقم ٨، جاء في (شرح الحماسة للأعلم) ٥٥٦/١: الألاء: شجرة مرَّة الطَّعم، كان بسطام خرَّ عليها حين طعن. ولم يُوسد؛ أي: قُتل. وأرد بالشَّطر الثَّاني من البيت: صفاء وجهه وإشراق لونه.

(٥) نفسه: ص ٧٠، رقم ١٢، يعكفن: يمشطن شعورهنَّ ويضفونهنَّ. والأساود: جمع الأسود من الحيات، شبَّه بها الصَّفائِرُ. والتُّوم: شجر. يريد أنهنَّ لا يتزيَّن لربيبة.

(٦) نفسه: ص ١٨٣، رقم ٥ (الزيادات من الكتابين)، المعزاء: المكان الغليظ الكثير الحصى. وفروجها: ما بين أرجلها. والنَّوادي جماعة الحصى المتطايرة. ورضاخة: من الرُّضخ؛ وهو الدَّق والكسر.

ومنه قول عَوْفَ بنِ عَطِيَّةَ: (الكامل)

بَصُرَتْ فِتْيَانٍ كَأَنَّ بَضِيْعَهُمْ جُرْذَانُ رَابِيَةٍ خَلَّتْ لَمْ تُصْطَدِ (١)

ومنه قول دُرَيْدِ بنِ الصَّمَّةِ: (الطَّويل)

أَخِي أَرْضَعْتَنِي أُمُّهُ بِلَبِنِهَا بَثْدِي صَفَاءٍ بَيْنَنَا لَمْ يُجَدِّدِ (٢)

ث- ووردت داخلة على الفعل المضارع المعتل الآخر سبعة وعشرين مرّة، كلّها مبنية للمعلوم عدا واحدة، منه قول مَالِكِ بنِ حَرِيمِ الهمداني: (الطَّويل)

مُنْعَمَةٌ لَمْ تَلْقَ فِي العَيْشِ تَرْحَةً وَلَمْ تَلْقَ بُوْسًا عِنْدَ ذَاكَ فَتَجَدَعَا (٣)

ومنه قوله في القصيدة نفسها:

أَهِيْمُ بِهَا لَمْ أَقْضِ مِنْهَا لُبَانَةً وَكُنْتُ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مُوزَعَا (٤)

ومنه قول ضَابِيِ بنِ الحَارِثِ: (الطَّويل)

يُؤَايِلُ مِنْ وَطْفَاءٍ لَمْ يَرَ لَيْلَةً أَشَدَّ أَدَى مِنْهَا عَلَيْهِ وَأَطْوَلَا (٥)

وقوله في القصيدة نفسها:

يَهْزُ سِلَاحًا لَمْ يَرَ النَّاسَ مِثْلَهُ سِلَاحُ أَخِي هَيَجَا أَدَقَّ وَأَعْدَلَا (٦)

ومنه قول طَرْفَةَ بنِ العَبْدِ: (الطَّويل)

رَأَيْتُ سُغُودًا مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ فَلَمْ أَرَ سَعْدًا مِثْلَ سَعْدِ بنِ مَالِكِ (٧)

ومنه قول سَهْمِ بنِ حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ: (البيسط)

مِنْ كُلِّ آنِسَةٍ لَمْ يَغْذُهَا عَدَمٌ وَلَا تَشْدُ لِشَيْءٍ صَوْتَهَا صَخْبَا (٨)

(١) نفسه: ص ١٨٩، رقم ٢ (الزيادات من الكتابين)، بَضِيْعَهُمْ: لحمهم.

(٢) نفسه: ص ١٢١، رقم ١٨.

(٣) نفسه: ص ٧٣، رقم ٧.

(٤) نفسه: ص ٧٣، رقم ٨.

(٥) نفسه: ص ٢٠٠، رقم ٢٦ (الزيادات من الكتابين)، يُؤَايِلُ: يطلب النجاة. والوطفاء: الديمة السح الحثيثة.

(٦) نفسه: ص ٢٠١، رقم ٣٤ (الزيادات من الكتابين)، أخو هيجا: صاحب حرب.

(٧) نفسه: ص ١٦٦، رقم ٨.

(٨) نفسه: ص ٥٨، رقم ٥.

ومنه قول الأجدع بن مالك الهمداني: (الكامل)

وَتَظَلُّ جَالِعَةً الْقِنَاعَ خَرِيدَةً لَمْ تَبْدُ يَوْمًا غَيْرَ ذَاتِ قِنَاعٍ^(١)

ج- واجتمع الفعل المضارع الصّحيح الآخر مع الفعل المضارع المعتل الآخر المجزومان بـ(لم) في بيت واحد مرتين، كما في قول أسماء بن خارجة: (الكامل)

أَوْلَمْ يُجْزَيْتِي الْعَوَائِلُ أَوْ لَمْ أَبْلُ مِنْ أَمْثَالِهَا حَسْبِي^(٢)

ومنه قول تأبط شراً^(٣): (الطويل)

تَبَطَّنْتُهُ بِالْقَوْمِ لَمْ يَهْدِنِي لَهُ دَلِيلٌ وَلَمْ يُثْبِتْ لِي الثُّغْتِ خَابِرٌ^(٤)

ح- وردت داخلة على الفعل المضارع من الأفعال الخمسة إحدى عشرة مرة، منه قول سهم بن حنظلة الغنوي: (البيسط)

سَائِلُ بِنَا حَيَّ عِلْبَاءَ فَقَدْ شَرِبُوا مِنَّا بِكَأْسٍ فَلَمْ يَسْتَمْرُوا الشُّرْبَا^(٥)

وقول مالك بن نويرة^(٦): (الطويل)

ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنْ سَنَامٍ كَانَهُمْ بَرِيدٌ وَلَمْ يَثُورُوا وَلَمْ يَتَزَوُّوا^(٧)

ومنه قول سهم بن حنظلة الغنوي: (البيسط)

لَمْ يَعْلَمُوا خَلَّتِي صِدْقٍ فَيَسْتَبِقَا إِلَّا إِنْتَمِينَا إِلَىٰ عَلَيْهِمَا سَبَابًا^(٨)

(١) نفسه: ص ٨٣، رقم ٢٧، الجالعة: السافرة عن وجهها. والخريفة: الجارية الخفرة التي لا تكاد تخرج.

(٢) نفسه: ص ٥٣، رقم ٥، حسبي: يكفيني ما أصابني من حبها.

(٣) تأبط شراً: هو ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، من مضر: شاعر عداء، من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة، شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بقصيدة له، توفي سنة ثمانين قبل الهجرة. انظر: الشعر والشعراء: ٣١٢/١، وسمط اللآلي: ١٥٨-١٥٩، وخرانة البغدادي: ١٤٧/١-١٤٨، والأعلام: ٩٧/٢.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٤٠، رقم ٣. جاء في (هامش) الأصمعيّات المصرية ص ١٢٥: "تَبَطَّنْتُهُ: دخلت في بطنه. والخابر: المختبر المجرب".

(٥) نفسه: ص ٦٥، رقم ٦٩.

(٦) مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي النميمي، أبو حنظلة: فارس شاعر، يُقال له: "فارس ذي الخمار" وذنو الخمار فرسه، وفي أمثالهم: "فتى ولا كما لك"، وكانت فيه خيلاء، وله لمة كبيرة، توفي سنة اثنتي عشرة للهجرة. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٢٠٥/١، والشعر والشعراء: ٣٣٧/١، والأعلام: ٢٦٦/٥-٢٦٧.

(٧) الأصمعيّات: ص ٢١٢، رقم ٨ (الزيادات من الكتابين)، سنام: اسم جبل. والبريد: الرسول. والثواء: الإقامة.

(٨) نفسه: ص ٦٥، رقم ٦٥، الخلة: الخصلة.

خ- وجاءت (لم) مقرونة بالفاء إحدى عشرة مرّة، كما في قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

وَعَوْرَاءَ قَدْ قِيلَتْ فَلَمْ أَسْتَمِعْ وَمَا الْكَلِمَةُ الْعَوْرَاءُ لِي بِقَبُولٍ^(١)

وقول عمرو بن معد يكرب: (الطَّوِيل)

فَلَمْ تُغْنِ جَرْمَ نَهْدَهَا إِذْ تَلَقَّتْنَا وَلَكِنَّ جَرْمًا فِي اللَّقَاءِ ابْدَعَرْتِ^(٢)

د- ووردت لم مقرونة بالواو العاطفة سبعاً وعشرين مرّة، منه قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطَّوِيل)

وَبَيَانَتْ وَلَمْ أَحْمَدُ إِلَيْكَ جَوَارَهَا وَلَمْ تَنْجُ فَيْتَا رِدَّةَ الْيَوْمِ أَوْ عَدِ^(٣)

ومنه قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطَّوِيل)

وَأَنِّي لَمْ أَهْلِكْ خُفَاتًا وَلَمْ أُمْتُ خُفَاتًا وَكُلًّا ظَنَنَهُ بِي عُودِي^(٤)

وقوله:

وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ: كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي^(٥)

النَّفْيِ بـ(لم) أوكد من النَّفْيِ بـ(ما)؛ ذلك لأنَّ (ما) تحتاج إلى قسم لتوكيد نفيها، وقول دَوْسَرَ

بن ذُهَيْلِ الْقُرَيْبِيِّ: (الطَّوِيل)

وَلَمْ أَتَعَذَّرْ مِنْ خِلَالٍ تَسْوُؤُهُ لِمَا كَانَ يَأْتِي مِثْلَهُنَّ عَلَى عَمْدٍ^(٦)

وقول مالك بن نويرة: (الطَّوِيل)

وَرَدَّ عَلَيْهِمْ سَرَحَهُمْ حَوْلَ دَارِهِمْ ضِنَّاكَ وَلَمْ يَسْتَأْنِفِ الْمُتَوَحِّدُ^(٧)

(١) نفسه: ص ٩٠، رقم ١٩، الكلمة العوراء: القبيحة.

(٢) نفسه: ص ١٣٧، رقم ٩، جاء في (حماسة المرزوقي) ١/١٦١: "وابدعرت: تفرقت، والمعنى: لم تنصر جرم نهذاً وقت الالتقاء، ولكن جرمًا انهزمت وهامت على وجهها فمضت واصطلت نهذاً بنار الحرب".

(٣) نفسه: ص ١١٩، رقم ٢.

(٤) نفسه: ص ١١٩، رقم ٥، الخفات: موت البعثة أو الضعف والتدلل. والعود: الذين يعودون المريض.

(٥) نفسه: ص ١٢٥، رقم ٣٨.

(٦) نفسه: ص ١٦٨، رقم ١٠، تعذّر: اعتذر وتتصل. والخلال: الشّمائل والصفات.

(٧) نفسه: ص ٢١٢، رقم ٥ (الزيادات من الكتابين)، السرح: الإبل السارحة في الرعي. والضنك: الشديدة الخلق الموثوقة. ولم يستأنف المتوحّد؛ أي: لم يبتدئ المنفرد رعيًا.

وقوله:

وَكَانَ لَهُمْ فِي أَهْلِهِمْ وَنِسَائِهِمْ مَبِيتٌ وَلَمْ يَذُرُوا بِمَا يُحَدِّثُ الْغَدُ^(١)

وقول صَحَيْرِ بنِ عُمَيْرٍ: (الرَّجَز)

وَلَمْ أُضِغْ مَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَهُ^(٢)

ذ- ودخلت (ما) المصدرية الظرفية على الفعل المضارع المنفي بـ(لم) مرة واحدة، هي قول كَعْبِ بنِ سَعْدِ العَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

وَلَنْ يَلْبَثَ الْجُهَّالُ أَنْ يَتَهَضَّمُوا أَخَا الْحِلْمِ مَا لَمْ يَسْتَعِنَ بِجُهُولِ^(٣)

جاء في (شرح ابن عقيل): "وأكثر ما توصل الظرفية المصدرية بالماضي أو بالمضارع المنفي بـ(لم) نحو: لا أصحابك ما لم تضرب زيداً، ويقال وصلها- أعني المصدرية- بالفعل المضارع الذي ليس منفيًا بـ(لم)"^(٤).

ر- ووردت (لم) مقرونة بالهمزة أربع مرّات، سبق التمثيل لها في الفصل الذي خصّص للاستفهام من هذه الرسالة^(٥).

ما يلاحظ على الأبيات الشعرية السابقة الذكر أنّ (لم) الجازمة دخلت على الفعل المضارع سواء الصّحيح الآخر أو المعتل الآخر أو الفعل المضارع من الأفعال الخمسة ونفته، وقلبت دلالاته إلى المضى بعد أن كان دالاً على الاستقبال.

ز- وتتفرد (لم) عن (لَمَّا) بمصاحبة أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة، نحو: إن لم تقم أقم^(٦)، ووردت (لم) مصاحبة لـ(إن) الشرطية في (الأصمعيّات) ثلاث مرّات، أذكر منها مثلاً واحداً، هو قول عِلْبَاءِ بنِ أَرْقَمِ بنِ عَوْفٍ: (الطَّوِيل)

وَيَوْمًا تُرِيدُ مَا لَنَا مَعَ مَالِهَا فَإِنْ لَمْ نُنَلِّهَا لَمْ تَثْمِنَا وَلَمْ تَنَمَّ^(٧)

(١) نفسه: ص ٢١٣، رقم ٩ (الزيادات من الكتابين).

(٢) نفسه: ص ٢٣٦، رقم ٣٠ (الزيادات من الكتابين).

(٣) نفسه: ص ٩٠، رقم ٢٢، تهضمه: إذا دفعه عن موضعه.

(٤) شرح ابن عقيل: ١٣٩/١.

(٥) انظر: ص ١٧٢ من الفصل الثالث.

(٦) انظر: ارتشاف الضرب: ١٨٥٩، وشرح التسهيل: ٦٤/٤.

(٧) الأصمعيّات: ص ١٧٥، رقم ٤.

ف فعل الشَّرْط وجوابه كلاهما جاء منفياً ب(لم)، ثم كرر (لم) وعطف بالواو على جملة جواب الشرط. منه قول الحَكَم الخُضْرِيّ^(١): (الطَّوِيل)

إِذَا غَضِبْتَ أَنْ يُزَجَرَ الْعَيْسُ خَلْفَهَا
كَسَتْ خَطْمَهَا مِنْ كُسُوءٍ لَمْ تُهْدَبِ^(٢)
ومنه قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَنْوِيِّ: (الطَّوِيل)

إِذَا حَلَّ لَمْ يُقْصِ الْمَحَلَّةَ بَيْتَهُ
وَلَكِنَّهُ الْأَدْنَى بِحَيْثُ تُثُوبُ^(٣)
ومنه قول عَوْفِ بْنِ عَطِيَّة: (الكامل)

فَإِذَا قَمَرْتُ اللَّحْمَ لَمْ أَنْظُرْ بِهِ
نَيْئًا كَمَا هُوَ مَأْوُهُ شَرِقَ الْغَدِ^(٤)
ومنه قول عَمْرُو بْنِ مَعْدِ يَكْرِب: (الوافر)

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ
وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ^(٥)

في الأمثلة السابقة الذكر سُبقت (لم) ب(إذا) الشرطيَّة غير الجازمة فهي حرف جزم ونفي فقط، ولا تقلب زمن الفعل إلى الماضي؛ لأنَّ (إذا) تدلُّ على المستقبل، جاء الشرط ب(إذا) بعدها كما في قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَنْوِيِّ: (الطَّوِيل)

كَعَالِيَةِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ يَكُنْ
إِذَا ابْتَدَرَ الْخَيْلَ الرَّجَالُ يَخِيبُ^(٦)

(١) هو الحكم بن معمر بن قنبر الخُضْرِيّ: شاعر إسلامي هجاء، خبيب اللسان، كان معاصراً لابن ميادة، وعدّه الأصمعيُّ من طبقاته، توفي سنة خمسين ومائة هجرية. انظر: شرح أبيات المغني: ٣/٣٥٢، والخزانة للبيغدادِيّ: ١/١٦٨، والأعلام: ٢/٢٦٧.

(٢) الأصمعيّات: ص ٣٦، رقم ٢، العيس: الإبل البيض مع شقرة يسيرة، ويُزجر العيس: تُثار لتسرع. وخطمها: مقدّمة أنفها وفمها. وأراد بالكسوة: الرِّيد الذي يعلو فمها. وهديبة الثُّوب: طرفه.

(٣) نفسه: ص ١١٢، رقم ٣٢، تنوب: تنزل.

(٤) نفسه: ص ١٨٩، رقم ٦، قمرت اللحم: رحته في الميسر، أراد: لا يبيت لحمه المقمور، بل يقسمه على طلابه.

(٥) نفسه: ص ١٩٤، رقم ٢٧ (الزيادات من الكتابين).

(٦) نفسه: ص ١١١، رقم ٢٨، العالية من الرُّمْح: أعلاه. والرُّدَيْنِيّ: نسبة إلى ردينة، امرأة سمهر، الذي تُنسب إليه الرِّمَاح السَّمهرِيَّة.

مِنَ الأَحْرَفِ الجَازِمَةِ الَّتِي تَجْزَمُ فِعْلاً واحِداً، وتَتكوَّنُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ، يَقولُ سيبويه: "و(ما) في (لَمَّا) مَغْيِرَةٌ لها عن حال (لم)، كما غَيَّرْتِ (لو) إِذَا قَلْتِ: لو ما ونحوها، أَلَا تَرى أَنَّكَ تقول: (لَمَّا) وَلَا تَتَّبِعُهَا شَيْئاً، وَلَا تقول ذلك في (لم)"^(١) ويقول في موضع آخر: "وَإِذَا قال: (قد فعل) فَإِنَّ نَفِيه: لَمَّا يَفْعَل"^(٢). ويقول ابن السَّرَاج: "وَأَمَّا (لَمَّا) فَهِيَ (لم) ضَمَّتْ إِلَيْهَا (ما) وَبُنِيَتْ مَعَهَا فغَيَّرَتْ حَالَهَا كما غَيَّرْتِ لو (ما) ونحوها"^(٣).

قَسَمَ المرادِي^(٤) (لَمَّا) إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الأَوَّلُ: الَّتِي تَجْزَمُ الفِعْلَ المَضَارِعَ، وَهِيَ حَرْفُ نَفِي تَدْخُلُ عَلَى المَضَارِعِ فَتَجْزِمُهُ وَتَصْرِفُ مَعْنَاهُ إِلَى المَضْيِ، وَالثَّانِي: الَّتِي بِمَعْنَى (إِلَّا)، نَحْوُ: نَشَدْتُكَ بِاللهِ لَمَّا فَعَلْتَ، وَالثَّلَاثُ: لَمَّا التَّعْلِيْقِيَّةُ؛ وَيَعْتَبَرُهَا ابن مالِكٍ مِنْ حُرُوفِ المَعَانِي، وَمِنْ أَقْسَامِهَا: أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً جَازِمَةً، تَقْلِبُ المَضَارِعَ إِلَى المَضْيِ^(٥).

قال عنها السُّبُوطِيُّ: "الأكثر هي مركبة من (لم) الجازمة و(ما) الزائدة، كما في (أَمَّا)، وقال بعضهم: هي بسيطة، ويجب اتصال نفيها بالحال، ويُعَبَّرُ عن ذلك بالاستغراق، فقولك: (لَمَّا) يَقُمُ دَلِيلٌ عَلَى انْتِفَاءِ القِيَامِ إِلَى زَمَنِ الإِخْبَارِ"^(٦). وهي إمَّا حَرْفٌ حَسَبَ رَأْيِ سيبويه أَوْ ظَرْفِيَّةٌ بِمَعْنَى (حِينَ) حَسَبَ أَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ^(٧)، وَجَمَعَ ابن مالِكٍ بَيْنَ المَذْهَبَيْنِ^(٨).

وَرَدَتْ (لَمَّا) فِي (الأصمعيَّاتِ) مِثْلَوةً بِالفِعْلِ المَاضِي، وَهَذَا لَيْسَ مَجَالاً لِدْرَاسَةِ البَاحِثِ هُنَا، وَسَيَتَمُّ مَنَاقَشَتُهُ فِي الفِصْلِ الآتِي - الشَّرْطُ -^(٩) مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ بِحَوْلِهِ - تَعَالَى.

ما يهَمُّ البَاحِثُ هُنَا دَخولُهَا عَلَى الفِعْلِ المَضَارِعِ، حَيْثُ جَاءَتْ دَاخِلَةً عَلَى الفِعْلِ المَضَارِعِ مَقْرُونَةٌ بِالْوَاوِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَلَمْ تَرُدْ دَاخِلَةً عَلَى الفِعْلِ المَضَارِعِ مَقْرُونَةٌ بِالفَاءِ أَوْ مَجْرَدَةٌ غَيْرُ مَقْرُونَةٌ بِشَيْءٍ، وَمِنْ الأَبْيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا دَاخِلَةً عَلَى المَضَارِعِ، مَقْرُونَةٌ بِالْوَاوِ قَوْلُ سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ: (البسيط)

(١) الكتاب: ٢٢٣/٤.

(٢) نفسه: ١١٧/٣.

(٣) الأصول في النحو: ١٥٧/٢.

(٤) انظر: الجنى الداني: ٥٩٢ - ٥٩٤، والظاهر أن المرادِي متأثر بابن مالك في هذه التقسيمات. انظر: شرح

التسهيل: ١٠١/٤ - ١٠٢.

(٥) انظر: شرح التسهيل: ١٠١/٤.

(٦) همع الهوامع: ٤٤٧/٢.

(٧) يُنظَرُ إِلَى رَأْيَيْهِمَا فِي (الجنى الداني): ٥٩٤.

(٨) انظر: شرح التسهيل: ١٠١/٤.

(٩) انظر: ص ٣٥٥ - ٣٥٩ مِنْ هَذَا البَاحِثِ.

إِنَّ انْتِيَابَكَ مَوْلَى السُّوءِ تَسْأَلُهُ مِثْلُ الْقُعُودِ وَلَمَّا تَتَّخِذْ نَشَبًا^(١)

ف(لَمَّا) هنا حرف نفي وجزم وقلب، ويمتدُّ النَّفْيُ به حَتَّى زمن التَّكَلُّمِ، وقد يُتَوَقَّع حصوله في المستقبل، منه قول عِلْبَاءَ بْنِ أَرْقَمَ بْنِ عَوْفٍ: (الطَّوِيل)

لَبِسْتُ ثِيَابَ الْمُقْتِ إِنْ أَبَ سَالِمًا وَلَمَّا أَفْتُهُ أَوْ أُجَرِّ إِلَى الرَّجْمِ^(٢)

يُلاحَظ هنا أَنَّ الفِعْلَ (أَجَرَّ) معطوف بحرف العطف (أو) على فعل مجزوم بـ(لَمَّا)، والفعل مضعَّف؛ لذلك فهو مجزوم بالسُّكُونِ المقَدَّر، حيثُ التقى ساكنان، الأَوَّلُ: الرَّاءُ السَّاكِنَةُ الأُولَى مِنَ الحرف المضعَّف، وأَمَّا حركة الرَّاءِ الثَّانِيَةِ فهي السُّكُونُ أيضًا؛ بسبب جزم الفعل بـ(لَمَّا)، فالتقى ساكنان، فتخلَّصنا منهما بوضع شدَّة محرَّكة بالفتح على آخر الفعل.

مِنْ خِلالِ تَأْمُلِ الأَمْثَلَةِ يَتَّضِحُ أَنَّ (لَم) و(لَمَّا) الجازمتين تشتركان في أمور منها: أَنَّ كليهما حرف نفي وجزم وقلب، ومنها: أَنَّ كليهما يختص بالفعل المضارع.

كما تتفرد عنها بجواز انقطاع نفي منفي (لَمْ) عن الحال، بخلاف (لَمَّا) فإنَّه يجب اتصال نفي منفيها بزمن النُّطْقِ^(٣). وتتفرد (لَمَّا) بجواز حذف مجزومها، إذا دلَّ على حذفه دليل، نحو: قاربت المدينة ولمَّا...، تريد: ولمَّا أدخلها^(٤)، وورد في (الجنى الدَّانِي) أَنَّ الفِعْلَ بعد (لَمَّا) يجوز حذفه اختياراً^(٥)، هذا ولم أقف في (الأصمعيَّات) لهذا التَّركيب على أيِّ تمثيل.

ثانِيًا: أَحرف النَّصْبِ النَّافِيَةِ

تشمل حرفًا واحدًا هو: لَنْ، وهي واحدة مِنْ أدوات النَّفْيِ الَّتِي اصطلح النَّحاة على أنَّها تنصب الفعل المضارع، يقول سيبويه: "وإذا قال: سوف يفعل فإنَّ نفيه: لَنْ يفعل"^(٦). يقول المرادي: "لَنْ) حرف نفي، ينصب الفعل المضارع، ويخلَّصه للاستقبال، ولا يلزم أَنْ يكون نفيها مؤبَّدًا، خلافًا لِلزَّمخشرِيِّ"^(٧). وجاء في (البرهان): "لَنْ) لتأكيد النَّفْيِ كـ(إِنَّ) في تأكيد الإثبات فنقول: لا أبرح، فإذا أردت تأكيد النَّفْيِ قلت: لَنْ أبرح"^(٨).

(١) الأصمعيَّات: ص ٦١، رقم ٣٢، انتيابك: قصدك وإتيانك مرَّة بعد مرَّة. والنَّشَبُ: المال الأصيل.

(٢) نفسه: ص ١٧٧، رقم ٢٠، أفتة: أهلكه. والرَّجْمُ: القبر. والمقت: البُغْضُ.

(٣) انظر: شرح التَّسهيل: ٦٤/٤.

(٤) ارتشاف الضَّرْبِ: ١٨٨٩/٤.

(٥) انظر: الجنى الدَّانِي: ٢٦٨.

(٦) الكتاب: ١١٧/٣.

(٧) الجنى الدَّانِي: ٢٧٠.

(٨) البرهان: ٤٢٠/٢.

ولا يوافق الأشموني^(١) صاحب (البرهان) في كون أن (لن) لتأكيد النفي، يقول الأشموني: 'فأما (لن) فحرف نفي تختص بالمضارع، وتخلصه للاستقبال، وتتصبه كما تنصب (لا) الاسم، نحو: لن أضرب، ولن أقوم، فتنفي ما أثبت بحرف التنفيس، ولا تفيد تأييد النفي ولا تأكيده"^(٢).

من خلال الاطلاع على أشهر الأحكام التي تخص (لن) يمكن تسجيل بعض الملاحظات منها:

أ- هذا الحرف ينصب الفعل المضارع بنفسه مباشرة، ويختص به دون غيره.
 ب- نفيه للفعل المضارع مقصور على الزمن المستقبل؛ لذلك فهو يخلص زمنه للمستقبل في الأغلب، هذا يفهم من قول المرادي السابق الذكر، لاحظ معي قول سعية بن العريض اليهودي^(٣):
 (الوافر)

أَلَا إِنِّي بَلِيْتُ وَقَدْ بَقِيْتُ وَإِنِّي لَنْ أَعُودَ كَمَا غَنَيْتُ^(٤)

ت- يجوز تقديم معمول مضارعه عليه، كقولك: زيذا لن أضرب^(٥)، وهذا جائز عند الجمهور^(٦)، وبه استدل سيبويه على بساطتها؛ لأنها لو كانت مركبة من (لا) و(أن) المصدرية لبقى لها حكم (أن) المصدرية، و(أن) المصدرية لا يتقدم معمول معمولها عليها.
 ث- لا يجوز الفصل بينه وبين مضارعه الذي يعمل فيه النصب، هذه الصيغة ليس لها تمثيل في الأصمعيات.

ج- قد يتضمن هذا الحرف معنى الدعاء إضافة إلى معنى النفي، هذا منقول عن الفراء عند تفسيره لقوله- تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(٧) يقول: " (فلن أكون) على هذا المعنى دعاء من موسى، اللهم لا أكون لهم ظهيرا"^(٨).

(١) الأشموني: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين: نحوي، من فقهاء الشافعية، توفي سنة تسعمائة هجرية. انظر: الأعلام: ١٠/٥.

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد الأشموني، (ت: ٩٠٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٣٧٥هـ، ج٣، ص٥٤٨. ويبدو لي أن الأشموني نقل ذلك عن ابن هشام: انظر: مغني اللبيب: ٥٠٤/٣.

(٣) سعية بن عريض بن عدياء الأزدي: شاعر يهودي جاهلي، هو أخو السموعل، له أخبار وأشعار أكثرها يتصل بالمال، وكان معاوية يتمثل ببعض شعره. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٢٨٢/١، والمؤتلف والمختلف: ٢١١.

(٤) الأصمعيات: ص٩٦، رقم ١.

(٥) انظر: مغني اللبيب: ٥٠٢/٣.

(٦) انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٥٤٨/٣.

(٧) الفصص: ١٧/٢٨.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٣٠٤/٢.

ووردت (لن) النَّافِيَةُ النَّاصِبَةَ لِلْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، تَكَرَّرَتْ مَرَّتَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، هُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَنَمَةَ: (الوافر)

أَجِدُّكَ لَنْ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخُبُّ بِهِ عَذَابِرَةَ ذُمُولُ^(١)

بهذا التَّركيبِ نَسْتَدِلُّ عَلَى جَوَازِ تَكَرُّارِ (لن) وَعَطْفِ الْجُمْلَةِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا عَلَى جُمْلَةٍ سَابِقَةٍ مَنفِيَّةٍ بِ(لن)، هَذَا الْبَيْتُ شَبِيهٌ بِقَوْلِكَ: الَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِيَاءً لَنْ يِنَالَ الْأَجْرَ، وَلَنْ يِنَالَ الثَّوَابَ. ولم ترد (لن) مقرونة بالفاء في (الأصمعيَّاتِ)، لكنَّها وردت مقرونة بالواو في موضع واحد فقط، واستُخدمت (لن) مقترنة ب(إلا) فيما يُعرف بأسلوب الحصر والقصر، منه قول المُتَلَمِّسِ يَعْتَابُ خَالَهُ الْيَشْكُرِيَّ: (الطَّوِيل)

تُعَيِّرُنِي أُمِّي رِجَالٌ وَلَنْ تَرَى أَخَا كَرِمٍ إِلَّا بَأْنَ يَتَكْرَمَا^(٢)

سُئِلْتُ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنِ اسْتِخْدَامِ (ما) وَاسْتِخْدَامِ (لن) فِي اسْلُوبِ الْحَصْرِ؟ أقول مستعيناً بالله العليِّ الكبير، مستنيراً بما ذكره نحاة العريبيَّة في مؤلَّفاتهم حول هذه المسألة: مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْقَصْرَ لَهُ طَرِقٌ وَأَسَالِيْبٌ وَأَدَوَاتٌ، مِنْهَا: النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ بِ(إلا)، وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَيْضًا أَنَّ (إلا) تَقِيدُ الْاِخْتِصَاصَ، فَإِذَا قَلَّتْ: (نَجَحَ الطُّلَّابُ إِلَّا طَالِبًا)، فَقَدْ أُثْبِتَ النَّجَاحَ لِجَمِيعِ الطُّلَّابِ، وَنَفَيْتَهُ عَنِ طَالِبٍ مَعِيْنٍ حَصْرًا، وَإِذَا قَلَّتْ: (مَا نَجَحَ الطُّلَّابُ إِلَّا خَالِدًا)، فَقَدْ نَفَيْتَ النَّجَاحَ عَنِ الْجَمِيعِ، وَأُثْبِتَهُ لِخَالِدٍ حَصْرًا، جَاءَ فِي (البرهان): "قال الرُّمَّانِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: مَعْنَى (إلا) اللَّازِمُ لَهَا: الْاِخْتِصَاصُ بِالشَّيْءِ دُونَ غَيْرِهِ، فَإِذَا قَلَّتْ: جَاءَنِي الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا، فَقَدْ اِخْتَصَصْتَ زَيْدًا بِأَنَّهُ لَمْ يَجِئْ، وَإِذَا قَلَّتْ: مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ، فَقَدْ اِخْتَصَصْتَهُ بِالْمَجِيءِ، وَإِذَا قَلَّتْ: مَا جَاءَنِي زَيْدٌ إِلَّا رَاكِبًا، فَقَدْ اِخْتَصَصْتَ هَذِهِ الْحَالِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْمَشِيِّ وَالْعَدُوِّ وَنَحْوِهِ"^(٣).

أما (ما) النَّافِيَةُ فَتَقِيدُ نَفْيَ الْفِعْلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهِ، وَتَقِيدُ قَرِبَ زَمَنِهِ مِنَ الْحَالِ، يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ: "فَأَمَّا (ما) فَإِنَّهَا تَنْفِي مَا فِي الْحَالِ، فَإِذَا قِيلَ: هُوَ يَفْعَلُ، وَتَرِيدُ الْحَالِ، فَجَوَابُهُ وَنَفْيُهُ: مَا يَفْعَلُ، وَكَذَلِكَ إِذَا قَرِبَهُ وَقَالَ: لَقَدْ فَعَلَ، فَجَوَابُهُ وَنَفْيُهُ: مَا فَعَلَ"^(٤). وَيَقُولُ عَنِ (لن): "وَاعْلَمْ أَنَّ (لن) مَعْنَاهَا النَّفْيُ، وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِنَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَهِيَ أْبْلَغُ فِي نَفْيِهِ مِنْ (لا)"^(٥).

(١) الْأَصْمَعِيَّاتِ: ص ٤١، رَقْم ٣. تَخُبُّ: تَسِيرُ الْخَيْبِ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ. وَالذَّمُولُ: الَّذِي تَسِيرُ الذَّمِيلِ؛ وَهُوَ سِيرٌ سَرِيعٌ مِنْ سِيرِ الْإِبِلِ.

(٢) نَفْسُهُ: ص ٢٤٤، رَقْم ١ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينِ)، النَّقْدِيرُ: تَعَيَّرَنِي بِأُمِّي رِجَالٌ؛ فَحَذَفَ الْبَاءَ.

(٣) الْبِرْهَانُ: ٢٤١/٤.

(٤) شَرْحُ ابْنِ يَعِيشَ: ١٠٧/٨.

(٥) نَفْسُهُ: ١١١/٨.

مِنَ النَّحَاةِ مَنْ اَعْتَبَرَ اَنْ النَّفْيَ بِـ(لن) اَوْكَدَ مِنْ النَّفْيِ بِـ(لا) الدَّاخِلَةَ عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ، وَ(لن) تَنْفِي الْمُسْتَقْبَلِ نَفِيًّا مُؤَكَّدًا مِنْ غَيْرِ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ، اَمَّا (لا) فَهِيَ تَنْفِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ وَلَا تَنْفِي اَحَدَهُمَا اِلَّا بِقَرِينَةٍ، وَلَكِنَّ ابْنَ عَصْفُورٍ يَرَى غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ صَاحِبُ (الْجَنِيِّ الدَّانِي) قَوْلَهُ: "قَدْ يَكُونُ النَّفْيُ بِـ(لا) اَكْدَ مِنْ النَّفْيِ بِـ(لن)، لِأَنَّ الْمَنْفِيَّ بِـ(لا) قَدْ يَكُونُ جَوَابًا لِلْقَسَمِ، وَالْمَنْفِيُّ بِـ(لن) لَا يَكُونُ جَوَابًا لَهُ، وَنَفْيُ الْفِعْلِ إِذَا أُقْسِمَ عَلَيْهِ اَكْدٌ"^(١).

بِهَذَا تَمَّ التَّعَرُّفُ عَلَى الْفَرْقِ فِي اَسْلُوبِ الْحَصْرِ بَيْنِ اسْتِخْدَامِ (ما) وَ(لن)، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْبَاحِثُ قَدْ اَجَابَ عَنِ السُّؤَالِ الَّذِي وَجَّهَهُ اِلَيْهِ مَشْرُفٌ هَذِهِ الرَّسَالَةَ عِنْدَ مَلَاخِظَتِهِ لِمَحْتَوِيَّاتِهَا.

ثالثًا: الأحرف العاملة عمل ليس

وهي أربعة حسب كلام النحاة: ما، ولا، ولات، وإن:

١- ما النافية العاملة عمل ليس:

ذَكَرَ صَاحِبُ الْأُزْهِيَّةِ أَنَّ لـ(ما) اثْنَيْ عَشَرَ وَجْهًا، الْخَامِسُ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ جَدًّا، كَقَوْلِكَ: مَا أَكَلْتُ الْخَبْزَ، وَمَا عَمِرُوا قَائِمًا، وَلَا مَوْضِعَ لَهَا هَا هُنَا؛ لِأَنَّهَا حَرْفُ جَدِّ^(٢).

(ما) النَّافِيَةُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ نَوْعَانِ: عَامِلَةٌ، وَغَيْرُ عَامِلَةٍ، النَّوْعُ الْأَوَّلُ: (ما) الْعَامِلَةُ، وَهِيَ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي تَعْمَلُ عَمَلِ (لَيْسَ) عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَالْآخِرُ: غَيْرُ عَامِلَةٍ عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ.

عَقَدَ لَهَا سَبِيحِيَّةً بَابًا بِعَنْوَانِ: "بَابُ مَا أُجْرِي مَجْرَى (لَيْسَ) بَلْغَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ"، وَذَلِكَ الْحَرْفُ (ما)، تَقُولُ: مَا عَبْدُ اللَّهِ أَخَاكَ، وَمَا زَيْدٌ مَنْطَلِقًا، وَأَمَّا بَنُو تَمِيمٍ فَيَجْرُونَهَا مَجْرَى (أَمَّا) وَ(هَلْ)؛ أَي: لَا يَعْلَمُونَهَا فِي شَيْءٍ وَهُوَ الْقِيَاسُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِفِعْلٍ وَلَيْسَ (ما) كـ(لَيْسَ)، وَلَا يَكُونُ فِيهَا إِضْمَارٌ^(٣).

تَحَدَّثَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي شَرْحِهِ عَنِ (ما) الْحِجَازِيَّةِ بِقَوْلِهِ^(٤): "وَلِغَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ إِعْمَالُهَا كَعَمَلِ (لَيْسَ)؛ لِشَبْهِهَا بِهَا فِي أَنَّهَا لِنَفْيِ الْحَالِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، نَحْوُ: مَا زَيْدٌ قَائِمًا، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى: ﴿...مَا هَذَا بَشَرًا...﴾"^(٥)، وَتَحَدَّثَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي شَرْحِهِ أَيْضًا عَنِ سَبَبِ عَدَمِ إِعْمَالِ (ما) عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ بِقَوْلِهِ: "أَمَّا (ما) فَلِغَةِ بَنِي تَمِيمٍ أَنَّهَا لَا تَعْمَلُ شَيْئًا، فَتَقُولُ: مَا زَيْدٌ قَائِمٌ، وَلَا عَمَلُ لـ(ما) فِي شَيْءٍ

(١) الجني الداني: ٢٧٠.

(٢) انظر: الأزهية في علم الحروف: ٧٨.

(٣) انظر: الكتاب: ٥٧/١، والمقتضب: ٢٦٤/٤، والأصول: ٩٢/١، وشرح الجمل لابن عصفور: ٥٩١/١، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٢٧٧/١.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل: ٣٠٢/١.

(٥) يوسف: ٣١/١٢.

منهما؛ أي: الاسمين بعدها؛ وذلك لأنَّ (ما) حرف لا يختص؛ لدخوله على الاسم، نحو: ما زيد قائم، وعلى الفعل، نحو: ما يقوم زيد، وما لا يختص فحَّه ألا يعمل^(١).

- شروط عمل (ما) الحجازية^(٢):

الأوَّل: ألا يُزاد بعدها (إن)، فإنَّ زِيدتُ بطل عملها، نحو: ما إنَّ زِيدُ قائمٌ. ولا يجوز نصبه وأجاز ذلك بعضهم.

الثَّاني: ألا ينتقض النَّفي بـ(إلا) نحو: ما زيدٌ إلا قائمٌ، فلا يجوز نصب (قائم) وكقوله- تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا...﴾^(٣) خلافاً لمنَّ أجازته، وورد هذا التَّركيب في (الأصمعيَّات) مرَّةً واحدة، يتمثل في قول دُرَيْد بن الصَّمَّة: (الطَّويل)

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشَدِ^(٤)

ف(ما) هنا غير عاملة؛ لأنَّ النَّفي انتقض بـ(إلا).

الثَّالث: ألاَّ يتقدَّم خبرها على اسمها، وهو غير ظرف ولا جار ومجرور فإنَّ تقدُّم وجب رفعه، نحو: ما قائمٌ زيدٌ، فلا تقول: ما قائمًا زيدٌ، وفي ذلك خلاف.

الرَّابع: ألاَّ يتقدَّم معمول الخبر على الاسم، وهو غير ظرف ولا جار ومجرور، فإنَّ تقدُّم بطل عملها نحو: ما طعامك زيدٌ آكلٌ، فلا يجوز نصب (آكل).

الخامس: ألاَّ تتكرَّر (ما) فإنَّ تكرر بطل عملها، نحو: ما ما زيدٌ قائمٌ، فالأولى: نافية، والأخرى: نفت النَّفي فبقي إثباتًا، فلا يجوز نصب (قائم) وأجازته بعضهم.

السادس: ألاَّ يبدل من خبرها موجب فإنَّ أبدل بطل عملها، نحو: ما زيد بشيء إلا شيء لا يعبا به، من الأمثلة التي وردت في (الأصمعيَّات) وتوفَّرت فيها شروط صحَّة العمل قول مشعَّث العامري: (الوافر)

فَظَلَّا يَنْبُشَانِ التُّرْبَ عَنِّي وَمَا أَنَا وَيَبَ غَيْرِكَ وَالسَّبَاعِ^(٥)

(١) انظر: شرح ابن عقيل: ٣٠٢/١.

(٢) انظر: ارتشاف الضرب: ١١٩٨/١-١٢٠، وشرح ابن عقيل: ٣٠٣/١-٣٠٧، وشرح قطر الندى وبل الصدى: ١٦٦، وهمع الهوامع: ٣٨٩/١-٣٩٤، ذكر منها ابن مالك أربعة شروط، وذكر ابن هشام ثلاثة، وزاد ابن عقيل عليها اثنين، وذكر السيوطي أربعة.

(٣) يس: ١٥/٣٦.

(٤) الأصمعيَّات: ص ١٢١، رقم ١٦، غزِيَّة: غزِيَّة بن جشم، أحد أجداد دريد.

(٥) نفسه: ص ١٦٥، رقم ٤، ويب غيرك: هلاكًا لغيرك.

- جاء خبر (ما) العاملة عمل (ليس) جملة فعلية مرة واحدة، هي قول ضابئ بن الحارث: (الطويل)

وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَتَى رَشَادًا وَلَا عَن رِيثْنٍ يَخِيبُ^(١)

- جاء خبر (ما) العاملة عمل (ليس) شبه جملة مرة واحدة، هي قول سوار بن المضرب: (الوافر)

أَحِبُّ عَمَانَ مِنْ حُبِّي سُلَيْمَى وَمَا طَبِّي بِحُبِّ قُرَى عَمَانَ^(٢)

- في المقابل خذ مثالاً على (ما) التَّمِيمِيَّة (غير العاملة) حيث جاء بعدها مبتدأ وخبر، منه قول سوار بن المضرب: (الوافر)

عَلَاقَةُ عَاشِقٍ وَهَوَى مُتَاحَا فَمَا أَنَا وَالْهَوَى مُتَدَانِيَانِ^(٣)

واضح أن ما بعدها مبتدأ واسم معطوف وخبر، ولو أعملها لقال: فَمَا أَنَا وَالْهَوَى مُتَدَانِيَيْنِ.

- زيادة الباء في خبر (ما):

ورد في (شرح ابن عقيل): "تُزَادُ الْبَاءُ كَثِيرًا فِي الْخَبَرِ بَعْدَ (لَيْسَ) وَ(مَا)، نَحْوَ قَوْلِهِ - تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ...﴾^(٤)، و﴿...وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٥) ولا تختص زيادة الباء بعد (ما) بكونها حجازية بل تُزَادُ بَعْدَهَا وَبَعْدَ التَّمِيمِيَّةِ، وَقَدْ نَقَلَ سَبِيوِيهِ وَالْفَرَّاءُ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى - زِيَادَةَ الْبَاءِ بَعْدَ (مَا) عَنِ بَنِي تَمِيمٍ، فَلَا التَّفَاتِ إِلَى مَنْ مَنَعَ ذَلِكَ وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي أَشْعَارِهِمْ"^(٦).

يقول السُّبُوطِيُّ عَنِ زِيَادَةِ الْبَاءِ فِي خَبَرِ (مَا): "وَلَا يَخْتَصُّ دَخُولُ الْبَاءِ بِخَبَرِ (مَا) الْحِجَازِيَّةَ، بَلْ تَدْخُلُ فِي خَبَرِ (مَا) التَّمِيمِيَّةِ خِلَافًا لِلْفَارِسِيِّ وَالزَّمَخْشَرِيِّ؛ لَوْجُودِ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِ بَنِي تَمِيمٍ وَنَثَرِهِمْ؛ وَلِأَنَّ الْبَاءَ إِنَّمَا دَخَلَتْ الْخَبَرَ لِكُونِهِ مَنْفِيًّا، لَا لِكُونِهِ مَنْصُوبًا، بِدَلِيلِ دَخُولِهَا فِي: لَمْ أَكُنْ بِقَائِمٍ، وَامْتِنَاعِهَا فِي كُنْتُ قَائِمًا"^(٧).

(١) نفسه: ص ٢٠٢، رقم ٣ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (شرح أبيات المغني) ٤٤/٧: قوله: "وَمَا عَاجِلَاتُ

الطَّيْرِ؛ أَي: الطَّيْرِ تَقْدَمُ الطَّيْرَانِ، وَيُعْرَفُ عِنْدَهُمْ بِالنُّطَّيْرِ. وَرِيثْنٌ: إِبْطَائُهُنَّ."

(٢) نفسه: ص ٢٣٨، رقم ٢ (الزيادات من الكتابين)، ما طَبِّي: لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَعَادَتِي.

(٣) نفسه: ص ٢٣٨، رقم ٣ (الزيادات من الكتابين).

(٤) الزُّمَرُ: ٣٦/٣٩.

(٥) آل عمران: ١٨٢/٣.

(٦) انظر: شرح ابن عقيل: ٣٠٩/١.

(٧) همع الهوامع: ٤٠٤/١.

لُوحظ في (الأصمعيّات) زيادة الباء في خبر (ما) الحجازيّة العاملة، وخبر المبتدأ الواقع بعد (ما) التّميميّة المهمله، وذلك في تسعة مواضع، منه قول كَعَبَ بنِ سَعْدِ الغَنَوِيِّ: (الطّويل)

لَقَدْ أَنْصَبْتَنِي أُمُّ قَيْسٍ تَلُومَنِي وَمَا لَوْمٌ مِثْلِي بَاطِلًا بِجَمِيلٍ^(١)

ومنه قوله في القصيدة ذاتها:

فَأَنَّكَ وَالْمَوْتَ الَّذِي تَرْهَبِيْتَهُ عَلَيَّ وَمَا عَدَالَةٌ بِعُقُولٍ^(٢)

ومنه قوله في القصيدة عينها:

وَمَا أَنَا لِلشَّيْءِ الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَيَغْضَبُ مِنْهُ صَاحِبِي بِقَوْلٍ^(٣)

وقوله أيضًا:

وَمَا أَنَا وَلَسْتُ بُمْبِدٍ لِلرِّجَالِ وَمَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِسَوُولٍ^(٤)

في مثل هذه الأمثلة وما على شاكلتها لا يظهر للإعمال أو الإهمال أثر مباشر، وإنّما يظهر الأثر فيما يجيء ما بعده تابعًا، كالعطف على الخبر مثلاً، فعند الإعمال يكون التابع منصوبًا كخبر (ما) المنصوب، وعند الإهمال يكون التابع مرفوعًا كخبر المبتدأ وهكذا.

٢- لا النافية العاملة عمل ليس:

تُعدُّ (لا) النافية مِنْ أقدام أدوات النفي العربيّة، وقد اشتُقَّتْ مِنْ (لا) أدوات أخرى لا توجد في سائر اللّغات السّاميّة إلاّ (ليس)^(٥)، ويقول عنها ابن السّراج: "ال(لا) في الكلام مواضع وجملتها النّفي، ومواضعها تختلف، فتقع على الأسماء، نحو قولك: ضربت زيدًا لا عمرًا، وجاءني زيدٌ لا أخوه، وتقع على الأفعال في القسَم وغيره، تقول: لا يخرج زيد، وأنت مُخْبِرٌ"^(٦).

والفرق بين (لا) و(ما) النّافيتين عند الهروي أنّ (لا) نفي للفعل المستقبل، و(ما) لنفي الحال والاستقبال جميعًا، فإذا قال القائل: "هو يفعل"، يعني في المستقبل، قلت: لا يفعل، وإذا قال:

(١) الأصمعيّات: ص ٨٨، رقم ١، جاء في الخزانة ٥٧٤/٤: وأنصبه: أوقعه في النّصب بفتحيتين؛ وهو النّعب.

(٢) نفسه: ص ٨٩، رقم ٩.

(٣) نفسه: ص ٩٠، رقم ٢٠.

(٤) نفسه: ص ٩٠، رقم ٢٤، السّريّة: كالسرّ، والجمع السّرائر.

(٥) انظر: النّطور النّحويّ للغة العربيّة: ١٦٨ - ١٦٩.

(٦) الأصول في النّحو: ٤٠٠/١.

"هو يفعل"؛ يعني أنه في حال الفعل، قلت: ما يفعل^(١). وقسم صاحب (الجنى الداني)^(٢) (لا) إلى ثلاثة أقسام: نافية - وهي مجال اهتمام الدراسة هنا-، ونافية، وزائدة، وقسم النافية إلى ثلاثة أقسام أيضاً وهي: النافية للجنس، والعاملة عمل (ليس)، والنافية غير العاملة، وهذه الأخيرة جعل لها ثلاثة أنواع: عاطفة، وجوابية، وغيرهما. أمّا ابن هشام فجعل (لا) النافية على خمسة أوجه، أولها: العاملة عمل إن، وثانيها: أن تكون عاملة عمل (ليس) ويسمّيها (التي لنفي الوحدة)، وثالثها: العاطفة، ورابعها: أن تكون جواباً مناقضاً لـ(نعم)، والخامسة: غير ذلك^(٣).

يفهم من كلام المرادّي أنّ (لا) النافية نوعان: عاملة وغير عاملة، ويتناول الباحث الآن

(لا) العاملة عمل (ليس)، ولإعمالها شروط ذكرها النحاة^(٤) هي:

أ- أن يتقدّم اسمها على خبرها؛ أي: مراعاة الترتيب.

ب- أن لا يقترن خبرها بـ(إلا)، فينتقض النفي.

ت- أن يكون معمولها (اسمها وخبرها) نكرتين، جاء في (الكتاب): "واعلم أنّ المعارف لا تجري مجرى النكرة في هذا الباب؛ لأنّ (لا) لا تعمل في معرفة أبداً^(٥)، ويقول المرادّي: "(لا) العاملة عمل ليس لا تعمل إلا في النكرة"^(٦).

إذا جاء اسمها وخبرها معرفتين ألغي عملها، وأعرب ما بعدها مبتدأً وخبراً، كما في قول الممرّق العبدّي: (الطويل)

فَلَا أَنَا مَوْلَاهُمْ وَلَا فِي صَحِيفَةٍ كَفَلْتُ عَلَيْهِمُ وَالْكَفَالَةُ تَعْتَقِي^(٧)

ذكر المرادّي أنّ ابن جنّي أجاز إعمال (لا) عمل (ليس) في المعرفة^(٨)، ووافقه ابن

مالك^(٩) وابن الشّجري^(١٠).

(١) الأزهية في علم الحروف: ١٥٠.

(٢) انظر: الجنى الداني: ٢٩٠ - ٢٩٩.

(٣) انظر: مغني اللبيب: ٢٨٣/٣ - ٣٠٥.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل: ٣١٣-٣١٦، وشرح التصريح: ٢٦٧/١، وهمع الهوامع: ٣٨٩/١.

(٥) الكتاب: ٢٩٦/٢.

(٦) الجنى الداني: ٢٩٢.

(٧) الأصمعيّات: ص ١٨٥، رقم ٢٠ (الزيادات من الكتابين)، تعنقي: تحتبس؛ يريد أنّ الكفالة تحبس صاحبها على الوفاء بما كفل.

(٨) الجنى الداني: ٢٩٣.

(٩) انظر رأي ابن مالك في (شرح ابن عقيل): ٣١٥/١.

(١٠) انظر: أمالي ابن الشّجري: ٤٣١/١.

ث- ألا يفصل بينها وبين مرفوعها، وألا يليها معمول الخبر.

ج- ألا يكون النفي لنفي الجنس.

ح- ذكر ابن هشام شرطاً غريباً لإعمالها، وهو أنها لا تعمل إلا في الشعر. يقول: "وأن يكون ذلك في الشعر لا في النثر"^(١).

وذكر ابن هشام في (المغني) أن (لا) العاملة عمل (ليس) تخالف (ليس) من ثلاث جهات: إحداهما: أن عملها قليل حتى ادعى أنه ليس بموجود، والثانية: أن ذكر خبرها قليل، حتى أن الزجاج لم يظفر به فادعى أنها تعمل في الاسم خاصة وأن خبرها مرفوع، والثالثة: أنها لا تعمل إلا في النكرات خلافاً لابن جني وابن السجري^(٢). وجاء في (شرح التصريح): "والغالب في (لا) أن يكون خبرها محذوفاً حتى قيل بلزوم ذلك...، والصدح جواز ذكره"^(٣).

بناءً على أقوال النحاة، فقد لوحظ ورود (لا) العاملة عمل (ليس) في (الأصمعيّات)، مع احتمال كونها عاملة، وغير عاملة في سنّة مواضع؛ ذلك لأن خبرها لم يأت منصوباً ولو في مثال واحد؛ حتى يمكن الحكم عليها بأنها عاملة دون ريب، لكن خبرها جاء إمّا جملة كما في قول الأجدع بن مالك الهمداني: (الكامل)

تلك الرزية لا ركائب أسلمت برحاليها مشدودة الأنساع^(٤)

أو شبه جملة، كما في قول ذي الخزرق الطهوي: (البيسط)

فيئني إليك فإننا معشر صبر في الجذب لا خفة فينا ولا نرق^(٥)

ومنه قول أعشى باهلة: (البيسط)

قد جاء من عل أنباء أنبؤها إلى لا عجب منها ولا سخر^(٦)

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن هشام، (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي

الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، ١٤١٨هـ، ص ١٦٨.

(٢) انظر: مغني اللبيب: ٢٩٢/٣ - ٢٩٤.

(٣) شرح التصريح على التوضيح: ٢٦٧/١ - ٢٦٨.

(٤) الأصمعيّات: ص ٧٩، رقم ٥، ورد في (الاختيارين) ص ٤٦٧: لفظ (القلائص) بدلاً من (ركائب)، والقلائص:

جمع قلوص؛ وهي الناقة الفتية. والأنساع: جمع نسع، وهو سير يُشدُّ به رحل الناقة الكريمة.

(٥) نفسه: ص ١٣٩، رقم ٥. فيئني إليك؛ أي: ارجعي إلى نفسك. والنرق: الخفة في كل أمر، وعجلة في جهل

وحمق.

(٦) نفسه: ص ١٠٠، رقم ١، والمعنى أن الناس يموتون ويقتلون، فلا عجب فيه ولا هزء منه؛ لأن ذلك ليس ببديع.

وجاء خبرها محذوفًا، بحيث يمكن تقديره بشبه جملة، منه قول أَعْتَى باهْلَةً: (البيسط)

طَاوِي الْمَصِيرِ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْصَلِتٌ بِالْقَوْمِ لَيْلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ^(١)

كما وردت (لا) في (الأصمعيّات) فتراوحت بين كونها عاملة وغير عاملة، فوردت غير عاملة؛ لأنَّ اسمها وخبرها معرفتان أو أنَّ أحدهما معرفة والآخر نكرة، منه قول خُفَاف بن نُذْبَةَ: (الكامل)

لَا دِينُكُمْ دِينِي وَلَا أَنَا كَافِرٌ حَتَّى يَرْزُولَ إِلَى صِرَاةٍ شَمَامٍ^(٢)

هنا عُطِفَت جملة اسمية منفية بـ(لا) على جملة اسمية أخرى منفية بـ(لا) أيضًا، و(لا) في كلا الموضعين غير عاملة؛ لأنَّ ما بعدها معرفة، فالنكرة أُضيفت إلى معرفة، وهي الضمير الذي هو مِنْ أَعْرِفَ المعارف كما يقول النُّحَاة، يقول ابن مالك عن المعارف: "وأعرفها ضمير المتكلم، ثمَّ ضمير المخاطب، ثمَّ العلم، ثمَّ ضمير الغائب السَّالم عن الإبهام"^(٣) منه قول الْحَارِثِ بْنِ عِبَادٍ^(٤): (الخفيف)

لَا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْ طُ كَلْبٍ تَرَاجَرُوا عَنْ ضَلَالٍ^(٥)

يُلاحظ كذلك أنَّ الواو-العاطفة أو غير العاطفة- المصاحبة لـ(لا) الداخلة على الجملة الاسمية قد وردت في تسعة وعشرين موضعًا، في حين لُوحِظ ورود الفاء المصاحبة لـ(لا) الداخلة على الجملة الاسمية كان في خمسة مواضع فقط.

ويُلاحظ كذلك أنَّ العطف بالواو في الجمل الاسمية المنفية بـ(لا) على جمل منفية أخرى، قد اتَّخَذَ شكلاً واحدًا مِنْ أشكال العطف وهو عطف الجملة على الجملة، مِنْ أمثله قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطَّوِيل)

وَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ^(٦)

أَي: وَلَا كَانَ طَائِشَ الْيَدِ.

(١) نفسه: ص ١٠٤، رقم ٢٠، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة: "المصير: الأمعاء، واحدها: مصران. والعزّاء: الشدّة والجهد. والمنصلت: الصلّت: الماضي في الحوائج".

(٢) نفسه: ص ٣٦، رقم ٢، صرّاء: نهر بالعراق. وشمام: جبل في نجد؛ أراد حتّى يُنْقَلَ هذا الجبل مِنْ موضعه.

(٣) انظر: شرح التّسهيل: ١١٥/١.

(٤) الْحَارِثِ بْنِ عِبَادِ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْبَكْرِيِّ، أَبُو مَنْذَرٍ: حَكِيمٌ جَاهِلِيٌّ، كَانَ شَجَاعًا، مِنْ السَّادَاتِ، شَاعِرًا، تَوَفِّيَ سَنَةَ خَمْسِينَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ. انظر: جمهرة أنساب العرب: ٣٢٠/٢، والأعلام: ١٥٦/٢.

(٥) الأصمعيّات: ص ٨٥، رقم ٦، ورد في (خزانة الأدب) ٤٥٠/١: "أغنى قتيلاً" وهي الأنسب، أراد أنَّ مقتل بجير لم يوقف الحرب، ولم يغن شيئاً.

(٦) نفسه: ص ١٢٢، رقم ٢٥، جاء في (شرح الحماسة للتبريزي) ١٥٨/٢: "خلّى مكانه: مضى لسبيله. ووقّاف: هيّابة يقف ولا يقدم. والطائش: الذي لا يصيب إذا رمى".

٣- (لات) النَّافِيَةُ الْعَامِلَةُ عَمَلٍ لَيْسَ:

مِنَ الْأَحْرَفِ الَّتِي ذَهَبَ النُّحَاةُ إِلَى أَنَّهَا تَعْمَلُ عَمَلَ لَيْسَ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ بَيْنِ أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ، تَعْمَلُ نَفْسَ الْعَمَلِ، أَفْرَدَ لَهَا الْإِمَامُ السُّيُوطِيُّ بَابًا بِعَنْوَانٍ: "مَا أُلْحِقَ بِلَيْسَ"^(١).
أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لـ(لَات) فَهِيَ مِنْ أَدْوَاتِ النَّفْيِ الْمَعْرُوفَةِ قَدِيمًا، وَهَذَا مَا أَكَّدهُ (بِرَجْشْتِرَاسِر) حَيْثُ يَقُولُ: "وَمِمَّا يُشْتَقُّ مِنْ (لَا): (لَات)، وَهِيَ نَادِرَةٌ لَا تَكَادُ تَوْجَدُ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَعْضِ الشُّعْرِ الْعَتِيقِ"^(٢).

- حَقِيقَتُهَا:

اختلف النُّحَاةُ فِي حَقِيقَةِ (لَات) عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ^(٣):

أ- أَنَّهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، فَعَلَ مَاضٍ، ثُمَّ اخْتَلَفَ هُوَلاءِ عَلَى قَوْلَيْنِ، الْأَوَّلُ: أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى: نَقَصَ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَتْ لِلنَّفْيِ، وَنُسِبَ إِلَى أَبِي ذَرِّ الْخَشْنِيِّ^(٤)، وَالْآخِرُ: أَنَّ أَصْلَهَا (لَيْسَ) بِكَسْرِ الْيَاءِ، فَقَلَبَتْ الْيَاءَ أَلْفًا؛ لِتَحْرُكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا وَأَبْدَلَتْ السِّينَ تَاءً، وَهَذَا نَسْبُهُ السُّيُوطِيُّ لِابْنِ أَبِي الرَّبِيعِ^(٥).

ب- أَنَّهَا كَلِمَتَانِ (لَا) النَّافِيَةُ، وَالتَّاءُ لِتَأْنِيثِ اللَّفْظَةِ كَمَا فِي: نَمَّتْ وَرُبَّتْ، وَنُسِبَ إِلَى الْجُمْهُورِ.

ت- أَنَّهَا كَلِمَةٌ وَبَعْضُ كَلِمَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا (لَا) النَّافِيَةُ وَ(التَّاءُ) زَائِدَةٌ فِي أَوَّلِ الْحِينِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَابْنُ الطَّرَاوَةِ^(٦).

- عَمَلُهَا:

كَمَا اخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي حَقِيقَةِ (لَات) اخْتَلَفُوا كَذَلِكَ فِي عَمَلِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ أَيْضًا عَلَى

النَّحْوِ الْآتِي^(٧):

(١) همع الهوامع: ٣٨٩/١.

(٢) التَّنْظِيرُ النَّحْوِيُّ: ١٦٩.

(٣) انظر: الجنى الدَّانِي: ٤٨٨، وارتشاف الضَّرْبِ: ١٢١٠/٣، ومغني اللَّيْبِ: ٣٥٦/٣-٣٥٨، وشرح ابن عقيل: ١٣٩/١، وهمع الهوامع: ٣٩٩/١-٤٠٠.

(٤) الخشنيُّ: هو مصعب بن محمَّد الأندلسيُّ، أبو ذرِّ: قاضٍ، مِنْ الْعُلَمَاءِ بِالْحَدِيثِ وَالسِّيَرِ وَالنَّحْوِ، لَهُ شِعْرٌ، تَوَفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتْمِائَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ. انظر: خزانة الأدب للبغدادِيِّ: ٧٤/٦، والأعلام: ٢٤٩/٧.

(٥) ابن أبي الرَّبِيعِ: هو عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله، القرشيُّ الأَشْبِيلِيُّ: إِمَامُ النَّحْوِ فِي زَمَانِهِ، تَوَفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَسِتْمِائَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ. انظر: بغية الوعاة: ١٢٥/٢، والأعلام: ١٩١/٤.

(٦) ابن الطَّرَاوَةِ: هو سليمان بن محمَّد بن عبد الله المالقيُّ، أبو الحسين: أديبٌ، مِنْ كُتَّابِ الرِّسَائِلِ، لَهُ شِعْرٌ، وَلَهُ آرَاءٌ فِي النَّحْوِ تَفَرَّدَ بِهَا، وَخَالَفَ فِيهَا جُمْهُورَ النُّحَاةِ، تَوَفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ. انظر: بغية الوعاة: ٦٠٢/١، والأعلام: ١٣٢/٣.

(٧) انظر: الجنى الدَّانِي: ٤٨٨، وارتشاف الضَّرْبِ: ١٢١١/٣، ومغني اللَّيْبِ: ٣٥٩/٣-٣٦١، وشرح ابن عقيل: ١٣٩/١، وهمع الهوامع: ٤٠٠/١-٤٠٣.

أ- أنها لا تعمل شيئاً، وتُسبب للأخفش.

ب- أنها تعمل عمل (إن)، هذا قول آخر للأخفش.

ت- أنها تعمل عمل (ليس)، هو قول الجمهور.

واختصت بأنها لا يُذكر معها الاسم والخبر معاً، بل يُذكر معها أحدهما، والأكثر في لسان

العرب حذف اسمها وبقاء خبرها ومنه قوله - تعالى: ﴿...فَنَادُوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(١).

خلاصة القول فيما يتعلّق بـ(لات) تجده عند المرادي، فهي تعمل عمل (ليس) وهي مشبّهة

بها، وزيدت عليها التاء، وتُسبب ذلك لسيبويه ومن وافقه^(٢). هذا كلام مقبول ويُعتقَد أنه أقرب إلى

الصدّواب، ولا يجوز تحميل (لات) أكثر ممّا تستحق. أمّا بالنسبة لورودها في (الأصمعيّات) فلم

أعثر على أمثلة لها هناك.

٤- (إن) النافية العاملة عمل (ليس):

حرف يتضمّن معنى النفي مثل أخواتها، وتعمل عمل (ليس) في لهجة أهل العالية^(٣)،

وسُمع عنهم: "إنّ ذلك نافعك ولا ضارك"، فكان القياس ألاّ تعمل؛ لأنّها من الحروف التي لا

تختص؛ فذلك منع أعمالها الفراء وأكثر البصريّة والمغاربة وعُزي إلى سيبويه، وأجاز أعمالها

الكسائي وأكثر الكوفيّين وابن السراج^(٤) والفارسيّ وابن مالك^(٥)؛ لمشاركتها لـ(ما) في النفي، ولكونها

لنفي الحال وللسّماع^(٦).

جاء في (شرح ابن عقيل): "وأما (إن) النافية فمذهب أكثر البصريّين والفراء أنّها لا تعمل شيئاً،

ومذهب الكوفيّين خلا الفراء أنّها تعمل عمل ليس"^(٧).

- شروط أعمالها^(٨):

أ- تعمل في نكرتين أو اسم معرفة وآخر نكرة، جاء في (شرح ابن عقيل): "ولا يُشترط في اسمها

وخبرها أن يكونا نكرتين، بل تعمل في النكرة والمعرفة، فنقول: إنّ رجل قائماً، وإنّ زيد القائم، وإنّ

زيد قائماً"^(٩).

(١) سورة: ص: ٣/٣٨.

(٢) انظر: الجنى الدّاني: ٤٨٨.

(٣) العالية: هي ما فوق نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكّة وما والاها انظر: شرح التّصريح: ٢٧١/١.

(٤) انظر رأي ابن السراج في (الأصول في النّحو): ٩٥/١.

(٥) انظر رأي ابن مالك في (شرح التّسهيل): ٣٧٥/١.

(٦) انظر: مغني اللّبيب: ١٣٣/١-١٣٤، وهمع الهوامع: ٣٩٤/١.

(٧) شرح ابن عقيل: ٣١٧/١.

(٨) انظر: مغني اللّبيب: ١٣٧/١، وشرح ابن عقيل: ٣١٧/١، وشرح التّصريح على التّوضيح: ٢٧٠/١.

(٩) شرح ابن عقيل: ٣١٩/١.

ب- ألاّ يقترن خبرها بـ(إلاّ).

ت- ألاّ يتقدّم معمول خبرها على اسمها إلاّ إذا كان شبه جملة، قياساً على أخواتها.
هذا ولم أقف على أمثلة لـ(إن) العامل عمل ليس في (الأصمعيّات).

رابعاً: لا النافية للجنس

هي حرف يدخل على الجملة الاسميّة، ويعمل فيها عمل (إنّ)^(١)، يقول عنها سيبويه:
"ونصبها لما بعدها كنصب إنّ لما بعدها"^(٢)، ولا فرق بين عملها مفردة ومكرّرة، يقول ابن عقيل:
"ولا فرق في هذا العمل بين المفردة، وهي التي لم تتكرّر نحو: لا غلام رجل قائم، وبين المكرّرة
نحو: لا حول ولا قوة إلاّ بالله"^(٣).

ذكر ابن هشام في (المغني) أنّ (لا) النافية للجنس تخالف (إنّ) من سبعة أوجه: أحدها: أنّها
لا تعمل إلاّ في النكرات، والثاني: أنّ اسمها إذا لم يكن عاملاً فإنّه يُبنى، والثالث: أنّ ارتفاع خبرها
عند إفراد اسمها، نحو: لا رجل قائم، بما كان مرفوعاً به قبل دخولها لا بها، وهذا القول لسيبويه
وخالفه الأخفش والأكثرين، والرابع: أنّ خبرها لا يتقدّم على اسمها، والخامس: أنّه يجوز مراعاة
محلّها مع اسمها قبل مضيّ الخبر وبعده فيجوز رفع التّعت والمعطوف عليه نحو: لا رجلَ ظريفٌ
فيها ولا رجل وامرأة فيها، والسادس: أنّه يجوز إلغاؤها إذا تكررت، والسابع: أنّه يكثر حذف خبرها
إذا علّم، نحو: قالوا لا ضير^(٤).

وسمّيت بـ(نافية للجنس)؛ لنفية الحكم عن جنس اسمها دون وجود احتمال لأكثر من
معنى، فعندما يقول القائل: لا مدافعين عن مقدّساتهم نادمون، فإنّ النّفي استغرق جنس المدافعين
دون استثناء، ويصفها ابن هشام بقوله: "العاملة عمل (إنّ) وذلك إنّ أريد بها نفي الجنس على
سبيل التّنصيص، وتسمى حينئذ: تبرئة"^(٥). نقل الشّمني^(٦) في (حاشيته) عن الأندلسيّ في (شرح
الجزوليّة) قوله عن سبب تسميتها بـ(لا التي للتبرئة): "إنّما سمّيت (لا) هذه بالتبرئة؛ لأنّها تنفي
الجنس، فكأنّها تدلّ على البراءة من ذلك الجنس"^(٧).

(١) انظر: الجنى الدّاني: ٢٩٠.

(٢) الكتاب: ٢٧٤/٢.

(٣) انظر: شرح ابن عقيل: ٥/٢.

(٤) انظر: نفسه: ٢٨٥/٢-٢٩١.

(٥) انظر: مغني اللّبيب: ٢٨٣/٣، وشرح ابن عقيل: ٥/٢.

(٦) هو تقيّ الدّين أحمد بن محمّد الشّمنيّ: محدّث مفسّر نحويّ، حنفيّ المذهب، توفّي سنة اثنتين وسبعين
وثمانمائة هجريّة. انظر: بغية الوعاة: ٣٧٥/١-٣٨٣، والأعلام: ٢٣٠/١.

(٧) حاشية الشّمنيّ، المسمّاة: المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، تقيّ الدّين أحمد بن محمّد الشّمنيّ، (ت:
٨٧٢هـ)، المطبعة البهيّة، مصر، (د. ط)، (د. ت)، ج ٢، ص ٤٤.

وَوَصَّفُ ابْنِ هِشَامٍ لَهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تُعْرَفُ عِنْدَ الْقَدَمَاءِ بِاسْمِ: (لَا الَّتِي لِلتَّبْرَةِ)؛ أَيُّ: تَبْرَى
اسْمَهَا مِنْ مَعْنَى خَبْرَهَا، وَمِنْ الَّذِينَ اسْتَعْدَمُوا هَذَا الْمَصْطَلِحَ فِي مَوْلاَتِهِمُ السُّيُوطِيَّ - عَلَى
سَبِيلِ الْمَثَالِ - حَيْثُ ذَكَرَهُ فِي (هَمْعِ الْهَوَامِعِ) لَيْسَ أَقَلَّ مِنْ ثَمَانِي مَرَّاتٍ^(١).

- الشُّرُوطُ الَّتِي يَجِبُ تَوَافُرُهَا لِإِعْمَالِ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ^(٢):

أ- أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً، وَأَنْ يَكُونَ الْمَنْفِيُّ بِهَا نَصًّا فِي الْجِنْسِ؛ أَيُّ: يَشْمَلُ جَمِيعَ أَفْرَادِ الْجِنْسِ، يَقُولُ
الْمَبْرَدُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنِ (لَا): "وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا النَّفْيُ إِلَّا عَامًّا"^(٣).

ب- أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهَا جَارٌ كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: غَضِبْتُ مِنْ لَأِ شَيْءٍ، فَإِنْ دَخَلَ الْجَارُ كَانَتْ (لَا) زَائِدَةً،
جَاءَ فِي (شَرْحِ النَّصْرِاحِ): "وَإِنْ وَقَعَتْ (لَا) بَيْنَ عَامِلٍ وَمَعْمُولٍ، كَمَا إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْخَافِضُ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَلُ شَيْئًا"^(٤).

ت- أَنْ يَكُونَ اسْمُهَا وَخَبْرُهَا نَكْرَتَيْنِ، فَإِنْ كَانَ اسْمُهَا مَعْرُوفَةً وَجِبَ إِهْمَالُهَا وَتَكَرُّرُهَا، نَحْوُ قَوْلِكَ: لَا
مَحَمَّدٌ فَاشِلٌ وَلَا زَيْدٌ، يَقُولُ سَيَبَوِيهٌ عَنِ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ: "فَ(لَا) لَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي نَكْرَةٍ، كَمَا أَنْ
(رُبَّ) لَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي نَكْرَةٍ"^(٥).

ث- أَلَّا يَفْصَلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اسْمِهَا فَاصِلٌ، حَتَّى لَوْ كَانَ الْفَاصِلُ خَبْرَهَا، فَإِنْ فُصِّلَ وَجِبَ الْإِهْمَالُ
والتَّكْرَارُ، مِثْلُ: لَا فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ وَلَا نِسَاءً. يَقُولُ سَيَبَوِيهٌ عَنِ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ: "وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا
تَفْصَلُ بَيْنَ (لَا) وَبَيْنَ الْمَنْفِيِّ... وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقُولَ: لَا فِيهَا رِجَالٌ... وَمَعَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ
جَعَلُوا (لَا) وَمَا بَعْدَهَا بِمَنْزِلَةِ خَمْسَةِ عَشَرَ، فَفُجِّحَ أَنْ يَفْصَلُوا بَيْنَهُمَا"^(٦).

ج- أَلَّا تُكْرَّرَ، فَإِنَّهَا إِنْ تَكَرَّرَتْ جَازَ إِعْمَالُهَا وَالْغَاوُهَا^(٧).

- صُورُ اسْمِ لَا النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ، وَأَحْكَامُ كُلِّ صُورَةٍ:

وَلِاسْمِهَا أَحْوَالٌ: مَفْرَدٌ، وَمُضَافٌ، وَشَبِيهٌ بِالْمُضَافِ^(٨).

١- إِنْ كَانَ اسْمُهَا مَفْرَدًا (أَيُّ: مَا لَيْسَ مُضَافًا وَلَا شَبِيهًا بِالْمُضَافِ) بُنِيَ عَلَى مَا يُنْصَبُ بِهِ؛ لِتَرْكِيبِهِ
مَعَ (لَا) تَرْكِيبَ خَمْسَةِ عَشَرَ.

(١) انظر: همع الهوامع: الصفحات: ٤٠٤/١، ٤٠٥، ١٧٠/٢، ١٧٢، ١٨٤، ١٨٧، ٢١٨، ٢٤٨.

(٢) انظر: الجنى الذاني: ٢٩٠-٢٩١، وشرح ابن عقيل: ٦/٢، وهمع الهوامع: ٤٦٣/١.

(٣) المقتضب: ٣٥٩/٤.

(٤) شرح النصريح: ٣٥٢/١.

(٥) الكتاب: ٢٧٤/٢.

(٦) انظر: نفسه: ٢٧٦/٢.

(٧) انظر: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ٢٧٥/٢، والمساعد: ٣٣٩/١.

(٨) انظر: همع الهوامع: ٤٦٦/١.

أمثلة: لا متعاون مع الاحتلال محبوب، لا متعاونين مع الاحتلال محبوبان، لا متعاونين مع الاحتلال محبوبون، لا متعاونات مع الاحتلال محبوبات.

٢- إن كان اسمها مضافاً أو شبيهاً بالمضاف وجب نصبه، وهذا فيه تفصيل على النحو الآتي:
أ- أن يكون اسم (لا) مضافاً، ويكون حكمه الإعرابي النَّصْب. ويمكن التمثيل له ب: لا طالب شهادة في سبيل الله جبان، وهنا لا بدّ من إضافة اسم (لا) إلى نكرة؛ لأنّه إذا أُضيف إلى معرفة أهملت (لا)، وعبر ابن هشام عن هذا المعنى بقوله: "وإنما يظهر نصب اسمها إذا كان خافضاً، نحو: لا صاحب جود ممقوت" (١).

ب- أن يكون اسمها شبيهاً بالمضاف، والشبيهة بالمضاف: هو الاسم الذي يليه كلمة تتمّ معناه. من خلال تتبّع الأمثلة في (الأصمعيّات) وُجد أنّ لِمَا بعد اسم (لا) ثلاثة أحوال:
أولها: أن يكون مرفوعاً به، مثل: لا مهذاراً لسأته محبوب، ومثاله الوحيد قول ذرّيد بن الصّمّة يرثي أخاه: (الطويل)

مِنَ الْخَفِرَاتِ لَا سَقُوطًا خِمَارَهَا إِذَا بَرَزَتْ وَلَا خَرُوجَ الْمُقَيَّدِ (٢)

في هذا البيت اجتمع اسم (لا) النافية للجنس المضاف مع اسمها الشبيهة بالمضاف، حيث عُطف اسمها المضاف بالواو على الاسم الشبيهة بالمضاف، فجاء اسمها معرباً في التركيبين وليس مبنياً.

ثانيها: أن يكون ما بعده منصوباً به، مثل: لا زارعاً أرضه نادماً، مثاله الوحيد من (الأصمعيّات) أيضاً، قول ضابئ بن الحارث: (الطويل)

وَقَفْتُ بِهَا لَا قَاضِيًا لِي حَاجَةٌ وَلَا أَنْ تَبِينَ الدَّارُ شَيْئًا فَأَسْأَلُ (٣)

ثالثها: أن يكون بعده جار ومجرور متعلّقاً به، مثل: لا مجدّاً في عمله مذموم، ومثاله الوحيد من (الأصمعيّات) قول ذرّيد بن الصّمّة يرثي أخاه: (الطويل)

أَعَاذِلَ إِنَّ الرُّزْءَ فِي مِثْلِ خَالِدٍ وَلَا رُزْءَ فِيمَا أَهْلَكَ المَرْءُ عَن يَدِ (٤)

(١) انظر: مغني اللبيب: ٢٨٣/٣.

(٢) (الأصمعيّات): ص ١١٩، رقم ٣، الخفريات: جمع خفرة، وهي الشديدة الحياء. المقيد: موضع الخلال من المرأة. وقوله: لا سقوطاً خمارها، كناية عن العفة.

(٣) نفسه: ص ١٩٧، رقم ٣ (الزيادات من الكتابين).

(٤) نفسه: ص ١١٩، رقم ٨، الرزء: المصيبة بفقد الأثرة، والجمع أرزاء. خالد: من أسماء عبد الله أخي ذرّيد. ما أهلك المرء عن يد: أي: ما أهلك من المال. انظر: لسان العرب: ١٦٣٤/٤.

- حكم حذف اسم (لا) النافية للجنس، وحكم حذف خبرها:

أولاً: جواز حذف اسمها وبقاء خبرها

قد يُحذف اسم (لا) وهذا قليل، ويبقى خبرها ليدلّ على المحذوف، مثال: لا عليك، والتقدير: لا بأس عليك^(١)، وهذا التركيب لم أفد له على أمثلة في (الأصمعيّات).

ثانياً: حذف خبرها

يكثر حذف خبر (لا) النافية للجنس، ويقدر بكلمة (موجود)، وذلك إذا فهم من السياق، وكان معلوماً، مثل: لا إله إلا الله، والتقدير: لا إله موجود....

يقول ابن مالك: "أهل الحجاز يُظهرون خبر (لا) فيقولون: لا رجل أفضل منك، ويحذفونه كثيراً، فيقولون: لا أهل، ولا مال، ولا بأس؛ أي: لك وعليك، وبنو تميم يثبتونه"^(٢). ونقل أبو حيان عن ابن عصفور المعنى نفسه بقوله: "فبنو تميم يلتزمون الحذف، وأهل الحجاز يجيزون الحذف والإثبات"^(٣)، وأكثر الأحيان يُحذف الخبر مع بعض ما يلي من التراكيب: (لا شك، ولا جدال، ولا إكراه، ولا ضير، ولا بأس، ولا محال، ولا خير، ولا فوت)، ومن أمثله في القرآن الكريم قوله - تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾^(٤). والتقدير: لا ضير علينا، وقوله - تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾^(٥)، وقوله - تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ...﴾^(٦)، ومنه قول القائل: هو صادق، لا شك، والتقدير: لا شك في ذلك، ومن أمثلة حذف خبر (لا) النافية للجنس في (الأصمعيّات) قول ضابئ بن الحارث: (الطويل)

فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَىٰ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَتُوبُ^(٧)

فخبر (لا) النافية للجنس محذوف تقديره: لا خير موجود...، ويلاحظ على هذا البيت أنّ (لا) النافية للجنس و(لا) النافية للفعل المضارع قد اجتمعتا في بيت واحد، ووردت هذه الصّورة في (الأصمعيّات) مرّة واحدة فقط، من الأمثلة التي حُذف فيها خبر (لا) النافية للجنس قول طرفة بن العبد: (الطويل)

(١) انظر: الكتاب: ٢٢٤/١، والمساعد: ٣٤١.

(٢) انظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٥٦/٢.

(٣) انظر: ارتشاف الضرب: ١٣٠٠.

(٤) الشعراء: ٥٠/٢٦.

(٥) البقرة: ٢٥٦/٢.

(٦) النساء: ١١٤/٤.

(٧) الأصمعيّات: ص ٢٠٢، رقم ٥ (الزيادات من الكتابين).

لَا عَرَوْا إِلَّا جَارَتِي وَسُؤَالَهَا
 وَمِنْهُ قَوْلُ حُفَّافِ بْنِ نُذْبَةَ: (الطَّوِيلُ)
 أَلَا هَلْ لَنَا أَهْلٌ سَأَلْتِ كَذَلِكَ^(١)
 وَخَيْلٍ تَعَادَى لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا
 وَمِنْهُ قَوْلُ صُحَيْرِ بْنِ عُمَيْرٍ: (الرَّجَزُ)

قَالَتْ أَرَاهُ مُمْلَقًا لَا شَيْءَ لَهُ^(٣)

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا اسْمُ (لَا) وَخَبَرَهَا، قَوْلُ عَلْبَاءِ بْنِ أَرْقَمٍ: (الطَّوِيلُ)

يُمَشِّي كَأَنَّ لَا حَيًّا بِالْجِرْعِ غَيْرُهُ
 وَوَرَدَتْ (لَا) النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ مَقْرُونَةً بِالْوَاوِ، كَمَا فِي قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: (الطَّوِيلُ)
 وَيَعْلُو جَرَائِمَ الْمَخَارِمِ وَالْأَكْمِ^(٤)

وَأَحْسَنَ عَهْدًا لِلْمُلِمِّ بَيْنِيهَا
 وَوَرَدَتْ (لَا) النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ مَقْرُونَةً بِالْفَاءِ، وَخَبَرَهَا مَحذُوفٌ، كَمَا فِي قَوْلِ الْمُتَمَلِّسِ يَعْتَابُ خَالَه
 الْيَشْكُويَّ: (الطَّوِيلُ)

إِذَا لَمْ يَزَلْ حَبْلُ الْقَرِينَيْنِ يَلْتَوِي
 مِنْ خِلَالِ مَا عُرِضَ مِنْ أَمْثَلَةٍ عَلَى (لَا) النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ، وَالَّتِي وَرَدَتْ فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) يَتَبَيَّنُ أَنَّهَا
 دُكِرَتْ فِي ثَلَاثَةِ عَشْرَ مَوْضِعًا^(٧)، وَاتَّخَذَتْ صُورًا مُخْتَلِفَةً عَلَى نَحْوِ مَا عُرِضَ.

(١) نفسه: ص ١٦٦، رقم ٤.
 (٢) نفسه: ص ٢٦، رقم ١٦، تعادى: من العدو. والمعاقم: المفاصل. المحنق: القليل الشحم، الضامر.
 (٣) نفسه: ص ٢٣٣، رقم ٢ (الزيادات من الكتابين). المملق: الفقير.
 (٤) نفسه: ص ١٧٥، رقم ١٠، الجرائيم: جمع جرثوم؛ وهو من كل شيء أصله ومجتمعه. والمخارم: جمع مخرم؛ وهو أنف الجبل.
 (٥) نفسه: ص ٢٢٨، رقم ٤ (الزيادات من الكتابين)، الملم: النازل، وألم بالمكان: نزل فيه.
 (٦) نفسه: ص ٢٤٦، رقم ١٦ (الزيادات من الكتابين)، القرينان: بعيران يقربان في حبل. ويلتوي: يفتل. والقوى: جمع قوة، وهي الواحدة من طاقات الحبل المقتول.
 (٧) انظر باقي المواضع في (الأصمعيَّات تحقيق: طريفي) ص ٥٣، رقم ١٣، ص ١٧٥، رقم ١٠، ص ١٨٢، رقم ١، ص ١٩٠، رقم ٨، ص ٢٣٣، رقم ٢.

المطلب الثاني: أحرف النفي غير العاملة

أولاً: (ما) النافية غير العاملة

مرّ في الصّدّفات السّابقة من هذا الفصل ذِكرُ (ما) النّافية الحجازيّة العاملة عمل (ليس) ما لها وما عليها، والآن جاء دور (ما) النّافية غير العاملة، ومن خلال الدّراسة يتبيّن أنّ هذا النّوع يشمل: (ما) الحجازيّة التي اختلّ شرط من شروط عملها، فلم تعمل فيما بعدها، وكذلك (ما) التّميميّة - وقد سبق التّمثيل على ذلك في موضعه - و(ما) الدّاخلّة على الجملة الفعلية ذات الفعلين المضارع والماضي على حدّ سواء، وهي تعمل على نفي معناهما دون التّأثير على إعرابهما.

وورد لهاتين الصّدورتين تمثيل واضح في القرآن الكريم، يكتفي الباحث بذكر مثال على كلّ، فمثال دخول (ما) النّافية على الفعل المضارع قوله - تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١)، ومثال دخولها على الفعل الماضي قوله - تعالى: ﴿...أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ...﴾^(٢). جاء في (الكتاب): "وإذا قال: لقد فعل، فإنّ نفيه: ما فعل"^(٣). وفي (الأصمعيّات) اتّخذت (ما) النّافية في دخولها على الجملة الفعلية صورتين:

الصّورة الأولى: الدّاخلّة على الفعل الماضي

أ- وردت (ما) داخلّة على الفعل الماضي التّام الصّحيح الآخر، والفاعل اسم ظاهر في أربعة مواضع، ومن أمثلة ذلك قول عمرو بن معد يكرب: (الطّويل)

عَقَرْتُ جَوَادَ ابْنِي دُرَيْدٍ كِلَيْهِمَا وَمَا أَخَذْتَنِي فِي الْخُنُونَةِ عِرَّتِي^(٤)

ومنه قول كعب بن سعد الغنوي: (الطّويل)

وَمَنْزِلَةٌ فِي دَارِ صِدْقٍ وَغِبْطَةٍ وَمَا أَقْتَالَ مِنْ حُكْمٍ عَلَى طَبِيبٍ^(٥)

ب- ووردت داخلّة على الفعل الماضي التّام الصّحيح الآخر، والفاعل ضمير مستتر في ثلاثة مواضع تقريباً، ومن أمثلة ذلك قول مالك بن حريم الهمداني: (الطّويل)

(١) النّساء: ١٢٠/٤.

(٢) المائدة: ١٩/٥.

(٣) الكتاب: ١١٧/٣.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٣٦، رقم ٦، جاء في (شرح الحماسة للأعلم) ص ١٥٧: "ابنا دريد: رجلان من بني الحارث بن كعب، وكانت بينه وبينهما ختونة. يقول: لم تمنعني ختونتي من الإيقاع بهما نصرّة لقومي".

(٥) نفسه: ص ١١٣، رقم ٤٥، الغبطة: النّعمة التي يُغبط عليها. واقتال: تحكّم؛ يريد أنّ أخاه لم يمرض فيحتاج إلى طبيب.

وَقَدْ وَعَدُوهُ عُقْبَةً فَمَشَى لَهَا فَمَا نَالَهَا حَتَّى رَأَى الصُّبْحَ أُدْرَعًا^(١)

وقوله:

فَقُلْتُ لَهَا بَيْتِي لَدَيْنَا وَعَرَّسِي وَمَا طَرَقْتُ بَعْدَ الرُّقَادِ لَتَنْفَعَا^(٢)

ت- ووردت داخلة على الفعل الماضي التَّم الصَّحِيح الآخر، والفاعل ضمير متَّصل في أربعة مواضع، مِنْ أمثلة ذلك قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ: (البيسط)

نَبَّئْتُ أَنْ شَبِيهَ الوَبْرِ أُوْعِدَنِي فَمَا قَضَيْتُ لِهَذَا المَوْعِدِي عَجْبًا^(٣)

ث- ووردت داخلة على الفعل الماضي المبني للمجهول مرَّتين، ومنه قول المُتَمَسِّس يعاتب خاله اليشكري: (الطويل)

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ لِخَلْفِكُمْ زَعِيمًا فَمَا أُحْرَزْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَا^(٤)

ج- ووردت داخلة على الفعل الماضي النَّاقِص سبع مرَّات، مِنْ أمثله قول أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ: (الكامل)

مَا أَصْبَحَتْ فِي شَرِّ أُخْبِيَةِ مَا بَيْنَ شَرْقِ الأَرْضِ وَالْعَرَبِ^(٥)

ومنه قول أَبِي دُوَادِ الإِيَادِي: (الخفيف)

فِي نِظَامٍ مَا كُنْتُ فِيهِ فَلَاحِخ زُنُكَ شَيْءٌ لِكُلِّ حَسَنَاءٍ دَامُ^(٦)

ما يُلاحظ على الأمثلة السَّالفة الذِّكْر أَنَّ الماضي المنفيّ بـ(ما) كان في الغالب لنفي الماضي القريب مِنَ الحال.

ح- ووردت (ما) نافية للفعل الماضي مقرونة بـ(إلا) فيما يعرف بأسلوب القصر في موضعين^(٧)، منهما قول العباس بن مرداس: (الطويل)

(١) نفسه: ص ٧٦، رقم ٢٨، العقبة: النوبة في الرُّكوب. وأدرع: أبيض الصدر.

(٢) نفسه: ص ٧٣، رقم ٦، عرسي: انزلي آخر الليل للاستراحة.

(٣) نفسه: ص ٦١، رقم ٣٠.

(٤) نفسه: ص ٢٤٦، رقم ١٧ (الزيادات مِنَ الكتابين)، الرَّعِيم: السَّيِّد. خلفكم: عقبكم. وما أُحْرَزْتُ: ما منعني أحد مِنَ الكلام.

(٥) نفسه: ص ٥٣، رقم ٧، الأخبية: الأبنية.

(٦) نفسه: ص ٢٠٦، رقم ١٢ (الزيادات مِنَ الكتابين)، دام: عيب.

(٧) انظر الموضوع الثَّانِي في المرجع نفسه: ص ٢٣٠، رقم ١٥.

فَكَانَ شُهُودِي مَعْبَدٌ وَمُخَارِقٌ وَيَشْرٌ وَمَا اسْتَشْهَدْتُ إِلَّا الْأَكَايسَا^(١)

الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: (مَا) النَّافِيَةُ الدَّاخِلَةَ عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ

أ- دخلت على الفعل المضارع المبني للمعلوم في سبعة مواضع، منه قول الأَسْعَرِ الْجُعْفِيِّ:
(الكامل)

نَهْدُ الْمَرَائِلِ مُدْمَجٌ أَرْسَاغُهُ عِبْلُ الْمَعَاقِمِ مَا يُبَالِي مَا أَتَى^(٢)

ومنه قول صَخْرُ بنِ عَمْرٍو بنِ الشَّرِيدِ: (الطَّوِيل)

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي^(٣)

وقول عَمْرٍو بنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ: (الوافر)

أَشَابَ الرَّأْسَ أَيَّامَ طِوَالٍ وَهَاسٌ مَا تَبَلَّغَهُ الضُّلُوعُ^(٤)

وقوله:

وَنَابٌ مَا يَعِيشُ لَهَا حُوَارٌ شَدِيدُ الطَّعْنِ مِثْكَالٌ جَزُوعٌ^(٥)

ومنه قول الْمُفَضَّلِ النُّكْرِيِّ: (الوافر)

فَأَبْكَيْتَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكَوَا نِسَاءً مَا يَسُوعُ لَهِنَّ رِيْقٌ^(٦)

ومنه قول سَهْمِ بنِ حَنْظَلَةَ الْعَنَوِيِّ: (البيسط)

وَمَا كَيْتُ عُقْبَ الْأَيَّامِ يَرْقُبُهَا وَمَا تَرُدُّ لَهُ الْأَيَّامُ وَالْعُقْبَا^(٧)

(١) نفسه: ص ٢٣٠، رقم ١٨ (الزيادات من الكتابين)، الأكاسيس: جمع الأكيس، والكيس: العقل.

(٢) نفسه: ص ١٥٨، رقم ٩، نهد المراكل؛ أي: فرس نهد المراكل، وهو الجسيم عظيم المراكل، ومراكل الفرس: حيث يركله الفارس برجليه إذا حرَّكه للركض. والعبل: الممتلئ. والمعاقم: المفاصل.

(٣) نفسه: ص ١٦٣، رقم ١.

(٤) نفسه: ص ١٩٣، رقم ٢١ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (خزانة الأدب) ١٨٨/٨: تبَّلَّغَهُ؛ أي: تسعه، فهو ينفى أن تتسع ضلوعه للهم الذي أشاب رأسه.

(٥) نفسه: ص ١٩٥، رقم ٣٤ (الزيادات من الكتابين)، النَّابُ: النَّاقَةُ الْمَسْنَةُ. وَالْحُورُ: وَلَدُ النَّاقَةِ. وَالْمِثْكَالُ: هِيَ الَّتِي فَقَدَتْ وَلَدَهَا. وَالْجَزُوعُ: شَدِيدَةُ الْجَزَعِ.

(٦) نفسه: ص ٢٢٦، رقم ٣٠ (الزيادات من الكتابين).

(٧) نفسه: ص ٦٢، رقم ٣٦، عقب الأيام: آخرها، الواحد: عقبة. والماكت: الواقف المنتظر.

ب- ووردت داخلة على المضارع المبني على السكون؛ لاتصاله بنون النسوة مرة واحدة، كما في قول سَهْمَ بنِ حَنْظَلَةَ الغَنَوِيِّ: (البيسط)

شَدَّ النَّسَاءُ سَمَاوَاتِ الْبُيُوتِ فَمَا يَنْقُضْنَ لِخَوْفٍ مِنْ أَطْنَابِهَا طُنْبًا^(١)

ت- ووردت داخلة على الفعل المضارع المبني للمجهول في أربعة مواضع، ومنه قول سَعِيَّةَ بنِ العُرَيْضِ اليَهُودِيِّ: (الوافر)

وَلَا أَحْيَى عَلَى الْحَدَثَانِ قَوْمِي عَلَى الْحَدَثَانِ مَا تُبْنَى الْبُيُوتُ^(٢)

ومنه قول أَبِي دُوَادٍ الإِيَادِيِّ: (الخفيف)

وَهِيَ كَالْبَيْضِ فِي الْأَدَاحِيِّ مَا يُوْهَبُ مِنْهَا لِمُسْتَتَمِّ عِصَامُ^(٣)

ث- واجتمع الفعلان المضارع والماضي المبنيان للمجهول المنفيان ب-(ما) في بيت واحد، وفي موضع واحد فقط، وهو قول المُتَلَمِّسِ يعاتب خاله اليَشْكِرِيِّ: (الطويل)

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفْرَعُ وَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْلَمَا^(٤)

ج- واجتمعت (ما) الداخلة على الفعل الماضي التام الصحيح الآخر، والفاعل ضمير متصل مع (ما) الداخلة على الفعل المضارع التام الصحيح الآخر أيضاً، والفاعل اسم ظاهر في بيت واحد، في موضع واحد، وهو قول عَبْدِ اللَّهِ بنِ جِنْحِ النُّكْرِيِّ: (الكامل)

مَا شَبْتُ مِنْ كَبِيرٍ وَلَكِنِّي امْرُؤٌ أَغْشَى الْحُرُوبَ وَمَا تَشِيْبُ لِدَاتِي^(٥)

(١) نفسه: ص ٦٤، رقم ٦٠، سماوات البيوت: سقوفها، الواحدة: سماوة. والأطناب جمع طناب وهو حبل السرداق.

(٢) نفسه: ص ٩٦، رقم ٤، لحاه: لامه. والحداث: نواب الدهر وحوادثه. هو ينفى أن تُبْنَى البيوت على حوادث الدهر ونوابه؛ لذلك فإنه لا يلوم قومه على المغامرات؛ لأنَّ فيها المجد والعزة.

(٣) نفسه: ص ٢٠٨، رقم ٣١ (الزيادات من الكتابين)، الأداحي: الأماكن التي يبيض فيها النعام. جاء في (لسان العرب) ٤٤٨/١ يشرح هذا البيت: "هذه الإبل كالبيض في الصيانة، وقيل: في الملاسة لا يوهب منها لمُستَتَمِّ؛ أي: لا يوجد فيها ما يوهب؛ لأنها قد سميت وألقت أوبارها، قال والمُستَتَمِّ: الذي يطلب الثمة، والعِصَامُ: خيط القرية".

(٤) نفسه: ص ٢٤٤، رقم ٧ (الزيادات من الكتابين)، ذو الحلم: هو عمرو بن حممة الدوسي، قضى بين العرب ثلاثمائة سنة - فيما زعموا - فكبر فألزمه السابح من ولده، فكان معه، فكان الشيخ إذا غفل كانت آية ما بينه وبينه أن يقرع له العصا حتى يعاوده عقله.

(٥) نفسه: ص ١٢٩، رقم ٣، اللدات: جمع؛ وهي تريك الذي ولد معك؛ وأراد أصحابه.

يُلاحظ على هذا المثال أن منفيَّ (ما) اقترن بـ(مِنْ) الاستغراقية^(١) المؤكدة، ولا يوجد غيرهما في (الأصمعيَّات).

ح- كما وردت (ما) النَّافية في (الأصمعيَّات) زائدة، كما في قول السَّمَوَعِلِ بن عادياء أَخِي سَعِيَّة: (الخفيف)

نُطْفَةٌ مَا مُنِيْتُ يَوْمَ مُنِيْتُ أَمِرْتُ أَمْرَهَا وَفِيهَا وَبَيْتٌ^(٢)

خ- ودخلت (ما) النَّافية على اسم الفاعل في (الأصمعيَّات) مرَّةً واحدة، هي قول: سَوَّارِ بنِ الْمُضَرَّبِ (الوافر)

وَمَا عَانِيكَ يَا ابْنَةَ آلِ قَيْسٍ بِمَفْحُوشٍ عَلَيْهِ وَلَا مُهَانَ^(٣)

فالشاعر هنا ينفى عن نفسه الفُحْش والإهانة أمام المحبوبة، ويحاول إقناعها بإعادة العلاقة بينهما إلى سابق عهدها، وألاً تكثرث بكونه كان أسيراً لدى الحجاج، وقد ذكرت كتب الأدب^(٤) أنه مَمَّنُ فَرَّ مِنَ الْحَجَّاجِ. والمعنى: وما أسيرك الذي هو أنا؛ أي: الشاعر مدَّعى عليه بالفحش ولا بالمهان.

- زيادة (إِنْ) بعد (ما) النَّافية:

كثيراً ما يُصادف زيادة (إِنْ) بعد (ما) النَّافية في قراءة النُّصوص الشعريَّة أو النَّثريَّة، يقول عباس حسن: "(إِنْ الزَّائِدَةُ) وتسمَّى: (الوصلية)؛ أي: الزَّائِدَةُ لوصل الكلام بعضه ببعض، وتقوية معناه، فلا تعمل شيئاً، ويمكن الاستغناء عنها، ويكثر هذا الوصل حين تتوسَّط بين (ما) النَّافية وما دخلت عليه من جملة فعلية أو اسمية"^(٥). ويقول ابن هشام عن (إِنْ) الزَّائِدَةُ: "وأكثر ما زيدت بعد (ما) النَّافية إذا دخلت على جملة فعلية أو اسمية"^(٦)، وفي موضع آخر ذكر ابن هشام رأيه حول زيادة (إِنْ)^(٧) بعد ذكره لرأي الأعلام الشنتمريِّ الذي يقول: "أكثر ما تُزاد (إِنْ) بعد (ما) لتأكيد النفي".

(١) جاء في (شرح الشمنيِّ على مغني اللبيب) ٤٢/٢: "لأنَّ (لا رجل) نصٌّ في نفي الجنس كما أن: (لا مِنْ رجل)، و(ما جاعني مِنْ رجل) نصٌّ فيه، بخلاف: (لا رجلٌ) بالرفع، وما جاعني رجلٌ".

(٢) (الأصمعيَّات): ص ٩٧، رقم ١، نطفة: أراد مُنيت نطفة. ومُنيت: قدَّرت. ووُبيت: أصلها (وُبئت)؛ أي: هُيئت. أراد أن ماء الرَّجُل الصَّافي يصير في الرَّحم - بأمر الله - بشراً سوياً.

(٣) نفسه: ص ٢٣٨، رقم ٨ (الزيادات من الكتابين)، العاني: الأسير. ووردت (ابنة) في المرجع باثبات الألف، والصَّواب حذفها لتُكتب هكذا: (يابنة) ؛ لدخول ياء النداء عليها، كما في قولك: "يا بن الإسلام اتَّقِ الله".

(٤) انظر: الكامل: ٧٧/٢.

(٥) انظر: النحو الوافي: ٣٣٣/٤.

(٦) مغني اللبيب: ١٤٧/١.

(٧) انظر: شرح أبيات المغني: ١١٣/١ - ١١٤.

ثم ذكر ابن هشام رأي الدماميني الذي يقول: "لا يتعيّن زيادة (إن) بل يُحتمل أن تكون شرطية، و(ما) زائدة على الجملة الفعلية". وتبنّى ابن هشام رأياً وسطاً بين الاثنين حيث يقول: "يجب أن يكون الزائد هو المتأخر؛ لأنه مُستغنى عنه دون المتقدم، فإن تأخرت (إن) عن (ما) حُكم بزيادتها وتأكيدها ل(ما)، وإن تأخرت (ما) عن (إن) حُكم بزيادتها وتأكيدها ل(إن)، فإن (إمّا) أصله: (إن ما) فأدغمت".

هذا وقد وردت (إن) زائدة بعد (ما) في (الأصمعيّات) واتّخذت صورتين: الأولى: بعد (ما) النافية غير العاملة عمل (ليس)، الداخلة على الجملة الاسميّة، وقد زيدت (إن) بعدها مرّة واحدة فقط، هي قول تأبطّ شراً: (الطويل)

بِهِ سَمَلَاتٌ مِنْ مِيَاهٍ قَدِيمَةٍ مَوَارِدُهَا مَا إِنْ لَهْنٌ مَصَادِرُ^(١)

ألا ترى أنّه لو قرئ هذا البيت دون ذكر (إن) لاستقام المعنى، ولما اختلّ اللفظ أو المعنى، فد(إن) زائدة لتأكيد النفي.

والأخرى: بعد (ما) النافية غير العاملة الداخلة على الجملة الفعلية حيث زيدت بعدها (إن) في أربعة مواضع^(٢)، منها قول أبي دُوَادٍ الإياديّ: (الخفيف)

وَتَرَاهَنَّ فِي الْهُوَادِجِ كَالْغُرِّ لِأَنَّ مَا إِنْ يَتَالَهُنَّ السَّهَامُ^(٣)

ومنه قوله في القصيدة ذاتها:

فَهِيَ مَا إِنْ تُبِينُ مِنْ سَلْفٍ أَرْ عَنَ طَوْدٍ لِسِرْبِهِ قُدَامُ^(٤)

وقوله في القصيدة ذاتها:

وَتَدَلَّتْ بِهَا الْمَغَارِضُ فَوْقَ الْ أَرْضِ مَا إِنْ تَقْلُهُنَّ الْعِظَامُ^(٥)

(١) الأصمعيّات: ص ١٤١، رقم ٤، سمّلات: جمع سمّلة، وهي بقيّة الماء في الحوض. والموارد: المناهل.

(٢) انظر الموضوع الرابع في (الأصمعيّات): ص ١٤٧، رقم ٥.

(٣) نفسه: ص ٢٠٥، رقم ٨ (الزيادات من الكتابين)، السهام: بالفتح الرّيح الحارّة. والهوادج: جمع هودج، وهو ما تركب فيه النساء.

(٤) نفسه: ص ٢٠٨، رقم ٣٣ (الزيادات من الكتابين)، السلف: المتقدّم. والأرعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدّما. والسرب: الطّريق؛ أراد أنّ ضخامة هذه الإبل تستر الجبل.

(٥) نفسه: ص ٢٠٧، رقم ٢٦ (الزيادات من الكتابين)، المغارض: جمع المغرض، وهو للبعير كالمحزم من الفرس، وهو جانب البطن من أسفل الأضلاع. وتقلهنّ: أي: تحملهنّ.

ثانياً: (لا) النافية غير العاملة، وهي لمجرد النفي:

من خلال الاطلاع على الأبيات الشعرية لديوان (الأصمعيّات) تبين أنّ (لا) النافية غير العاملة قد استُخدمت هناك، واتّخذت عدداً من الصُّور والأشكال المختلفة، فيلاحظ دخولها على الجملة الاسميّة، وهناك (لا) الدّاخلَة على الجملة الفعلية، والجوابية، والعاطفة، والرّائدة، والمعتزلة، ويتناول الباحث الآن كلّ واحدة منها مع التّمثيل كلّما وَجَدَ إلى ذلك سبيلاً على النحو الآتي:

١- (لا) النافية الدّاخلَة على الجملة الاسميّة:

وهي إمّا (لا) التّميميّة غير العاملة، أو الحجازيّة، ولكنّها لم تعمل؛ لأنّها فقدت شرطاً من شروط عملها، وتشمل:

أ- التي صدر جملتها معرفة، ومثال دخولها على المعرفة، ولم تعمل فيها من القرآن الكريم قوله- تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ...﴾^(١)، ومثالها من (الأصمعيّات) قول أبي دُوادٍ الإياديّ: (الخفيف)

سَمِنَتْ فَاسْتَحَشَّ أَكْرَعُهَا لَا أَلِ سَنِي نَيِّ وَلَا السَّنَامُ سَنَامٌ^(٢)

ب- الدّاخلَة على الجملة الاسميّة التي تقدّم فيها الخبر على المبتدأ، حيث فصل بينها وبين اسمها، ومثال دخولها على النكرة، ولم تعمل فيها قوله- تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا﴾^(٣)، وأمّا مثالها من (الأصمعيّات) فقول أعشى باهلة: (البسيط)

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يُكْدِرُهُ عَلَى الصِّدِّيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرٌ^(٤)

يُلاحظ هنا أنّ (ليس) جاءت عاملة، وإن تقدّم خبرها- الذي هو شبه الجملة- على اسمها لجواز ذلك، ثمّ عطفت جملة منفيّة بـ(لا) على جملة منفيّة سابقة بالواو، ولم تعمل هنا (لا) فيما بعدها؛ لأنّ الخبر تقدّم على الاسم، فأعربا خبراً مقدّماً ومبتدأً مؤخّراً.

جاء في (الكتاب): "واعلم أنّك إذا فصلت بين (لا) وبين الاسم بحشو لم يحسن"^(٥)، من صورها الدّاخلَة على الجملة الاسميّة والمتبدأ محذوف قول قيس بن الخطيم: (المنسرح)

(١) يس: ٤٠/٣٦.

(٢) الأصمعيّات: ص ٢٠٧، رقم ٢٧ (الزيادات من الكتابين)، استحش: استنق. والنّي: الشحم.

(٣) الصّافات: ٤٧/٣٧.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٠٣، رقم ١٥.

(٥) الكتاب: ٢٩٨/٢.

بَيْنَ شَكْوَلِ النَّسَاءِ خَلَقَتْهَا قَصْدٌ فَلَا جَبَلَةٌ وَلَا قُضْفٌ^(١)

التَّقْدِير: لا هي جَبَلَةٌ، ولا هي قُضْفٌ، اسمها جاء معرفة، وهو الضَّمِيرُ المَقْدَّرُ؛ لذلك لم تعمل، وأُعرِبَ ما بعدها مبتدأً وخبرًا.

٢- (لا) النَّافِيَةُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ:

أَصْنَفُهَا حَسَبَ وِرْوَدِهَا فِي (الأصْمَعِيَّاتِ) إِلَى قَسْمَيْنِ: الأُولَى: فَعَلَهَا مَضَارِعَ، وَالْأُخْرَى: فَعَلَهَا مَاضٍ، وَلُوحِظَ أَنَّهَا تَنْفِي الْفِعْلَ وَلَيْسَ لَهَا تَأْثِيرٌ عَلَى عِلَامَاتِهِ الْإِعْرَابِيَّةِ. يَقُولُ عَنْهَا الْمَبْرَدُ: "(لا) وَمَوْضِعُهَا مِنَ الْكَلَامِ النَّفْيِ، فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَى فِعْلٍ نَفَثَتْهُ مُسْتَقْبَلًا، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: لا يَقُومُ زَيْدٌ"^(٢).

جاء في (الجنى الدَّانِي): "وَأَمَّا النَّافِيَةُ غَيْرُ الْعَاطِفَةِ وَالْجَوَابِيَّةِ، فَإِنَّهَا تَدْخُلُ عَلَى الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْفِعْلِ فَالْغَالِبُ أَنْ يَكُونَ مَضَارِعًا، وَالزَّمْخَشَرِيُّ يَقُولُ: إِنَّهَا تَخْلُصُهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ، وَيَعْتَبِرُ أَنَّ ذَلِكَ ظَاهِرٌ مَذْهَبِ سَيَبَوِيهِ"^(٣).

وَإِذَا كَانَ دَخُولُ (لا) النَّافِيَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ هُوَ الْغَالِبُ، فَإِنَّهُ يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا تَدْخُلُ عَلَى الْمَاضِيِّ قَلِيلًا، فِي (الأصْمَعِيَّاتِ) لَمْ تَرُدْ (لا) النَّافِيَةُ دَاخِلَةً عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِيِّ الْمَبْنِيِّ الْمَعْلُومِ، وَلَكِنَّهَا وَرَدَتْ دَاخِلَةً عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِيِّ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ مَرَّةً وَاحِدَةً، هِيَ قَوْلُ صُحَيْرِ بْنِ عُمَيْرٍ: (الرَّجَزِ)

لا جُنُبَتْ تَبْرِيحِ الْوَلَةِ^(٤)

الظَّاهِرُ أَنَّهُ نَفْيٌ أُشْرِبَ مَعْنَى الدُّعَاءِ، فَهُوَ يَدْعُو عَلَيْهَا أَلَّا تُجُنَّبَ الْمَشَقَّةُ، وَأَمَّا دَخُولُهَا عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ فَكَانَ الْغَالِبُ، حَيْثُ دَخَلَتْ عَلَيْهِ تِسْعٌ وَتِسْعِينَ مَرَّةً، اتَّخَذَتْ صُورًا مُخْتَلِفَةً عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

أ- وَرَدَتْ دَاخِلَةً عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمَرْفُوعِ بِالضَّمَّةِ الظَّاهِرَةِ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً، لا أُنْكَرُهَا كَلَّمَا، وَلَكِنْ لا بَدًّا مِنْ ذِكْرِ الْأَمْثَلَةِ، الَّتِي مِنْهَا قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ: (الطَّوِيلِ)

(١) الأَصْمَعِيَّاتِ: ص ٢١٥، رَقْم ٤ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينِ)؛ أَي: لا هي دَقِيقَةٌ وَلا غَلِيظَةٌ، وَإِنَّمَا هِيَ قَصْدٌ بَيْنَ الْجَبَلَةِ وَالْقُضْفِ.

(٢) الْمُقْتَضَبُ: ٤٧/١.

(٣) الْجَنَى الدَّانِي: ٢٩٦.

(٤) الأَصْمَعِيَّاتِ: ص ٢٣٣، رَقْم ٥ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينِ)، جَاءَ فِي (سَمَطِ اللَّكَلِيِّ): ٩٣٠/٢: "التَّبْرِيحُ: الْإِبْلَاحُ فِي الْمَشَقَّةِ".

- سَيُفْرَعُ بَعْدَ الْيَأْسِ مَنْ لَا يَخَافُنَا
ومنه قول خُفَّافِ بْنِ نُدْبَةَ: (الكامل)
- أَدْعُ الدَّنَاءَةَ لَا الْأَبْسُ أَهْلَهَا
ومنه قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْعَنْوِيِّ: (البيسيط)
- لَا يَمْنَعُ النَّاسُ مِنِّي مَا أَرَدْتُ وَلَا
وَقَالَ السَّمْوَعُلُ بْنُ عَادِيَاءَ أَخُو سَعِيَةَ: (الخفيف)
- ضَيِّقُ الصَّدْرِ بِالْخِيَانَةِ لَا يَنْ
ومنه قول أَعْشَى بَاهِلَةَ: (البيسيط)
- لَا يَغْمِزُ السَّاقُ مِنْ أَيْنٍ وَمِنْ وَصَبٍ
وقوله:

وَيُدُلُّجُ اللَّيْلِ حَتَّى يَفْسَحَ الْبَصْرُ^(٦) وَيُعْجِلُ الْقَوْمَ أَنْ تَغْلِي مَرَاجِلُهُمْ

ومنه قول ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمي: (الطويل)

- (١) نفسه: ص ٥١، رقم ٢٣، جاء في (هامش) الأسمعيات المصرية ص ٤٦: "كواسع: خيل تطرد إبلًا تكسعها في آثاره. والسوام: الإبل السائمة. والمنقر: المذعور".
- (٢) نفسه: ص ٣٢، رقم ٥، الدنائة: النقيصة والعيب. وألبس: أخالط. والكيس: العقل والفعل الحسن، وكيس الزمان: خبرته ودرسته.
- (٣) نفسه: ص ٦٤، رقم ٦١، نقل صاحب (الخرانة) عن أبي العلاء ص ٤٣٦/٩ في معنى هذا البيت قوله: "كأنه ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ولا يعطيهم ويمنعهم، وهو الصواب؛ لأن ما قبله يدل عليه.
- (٤) نفسه: ص ٩٨، رقم ٦؛ أراد أنه إذا افتقر لم يترك للفقر سبيلاً لدفعه لخيانة أمانته، ولكنه يصبر على أداء الأمانة.
- (٥) نفسه: ص ١٠٣، رقم ١٨، جاء في (خرانة الأدب) ٢٠٠/١: "والشرسوف: طرف الضلع. والصفر: دويبة مثل الحية تكون في البطن تعتري من به شدة الجوع. وأراد الشاعر أنه لا صفر في جوفه فيعض، يصفه بشدة الخلق وصحة البنية".
- (٦) نفسه: ص ١٠٥، رقم ٢٧، جاء في (خرانة الأدب) ٢٠١/١: "يريد أنه رابط الجأش عند الفرع، وقوله: حتى يفسح البصر؛ أي: يجد متسعاً من الصبح، وقيل: معناه ليس هو شرها يتعجل بما يوكل. والمراجل: القدور، جمع مزجل".

- وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبٌ^(١)
- وَقَالَ أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِيَّ: (الْخَفِيفُ)
- لَا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنْ قَدْ رُزِنَتْهُ الْإِعْدَامُ^(٢)
- وَقَوْلُهُ:
- إِبِلِي الْإِبِلُ لَا يُحَوِّزُهَا الرَّأ عُونَ مَجُّ النَّدَى عَلَيْهَا الْمُدَامُ^(٣)
- وَقَوْلُ سَوَّارِ بْنِ الْمُضَرَّبِ: (الْوَافِرُ)
- بِكُلِّ تَتَوَفَّاةٍ لِلرَّيْحِ فِيهَا حَفِيفٌ لَا يَرُوعُ التُّرْبَ وَإِنْ^(٤)
- وَقَوْلُهُ:
- نَعَشْتُ بِهِ أَرْمَةً طَاوِيَاتٍ نَوَاجٍ لَا تَبِينُ عَلَى اِكْتِنَانِ^(٥)

يُلاحِظُ عَلَى الْأَمْثَلَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ (لَا) نَفَتْ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ، وَلَمْ تَغَيِّرْ مِنْ كَوْنِهِ مَرْفُوعًا بِالضَّمَّةِ الظَّاهِرَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُسَبِّقْ لَا بِنَاصِبٍ وَلَا بِجَازِمٍ.

ب- كَمَا دَخَلَتْ (لَا) النَّافِيَةَ عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمَرْفُوعِ بِعَلَامَةِ مَقْدَرَةٍ مَنَعَتْ مِنْ ظَهْوَرِهَا التَّعْذِرُ تَسْعَ مَرَّاتٍ، مِنْهُ قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: (الطَّوِيلُ)

لِيَالِي سَلْمَى لَا أَرَى مِثْلَ دَلَّهَا دَلَالًا وَأُنْسًا يُهْبِطُ الْعَصْمَ آنِسًا^(٦)

ت- وَدَخَلَتْ عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمَرْفُوعِ بِعَلَامَةِ مَقْدَرَةٍ مَنَعَتْ مِنْ ظَهْوَرِهَا النَّقْلُ فِي ثَمَانِيَةِ عَشْرَ مَوْضِعًا، مِنْهُ قَوْلُ أَبِي النَّشْتَأَشِ النَّهْشَلِيِّ: (الطَّوِيلُ)

- (١) نَفْسُهُ: ص ٢٠٢، رَقْمُ ٤ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، جَاءَ فِي (شَرْحِ أَيْبَاتِ الْمَغْنِيِّ) ٤٤/٧: "الضَّيْرُ: الضَّرُّ. وَالْمَخْشَاةُ: مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ، بِمَعْنَى الْخَشْيَةِ. الْوَجِيبُ: الْإِضْطِرَابُ.
- (٢) نَفْسُهُ: ص ٢٠٦، رَقْمُ ١٥ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، الْإِقْتَارُ: التَّضْيِيقُ وَالْفَقْرُ.
- (٣) نَفْسُهُ: ص ٢٠٧، رَقْمُ ٢٥ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، يُحَوِّزُهَا: يَجْمَعُهَا. مَجُّ النَّدَى: مَاؤُهُ؛ أَرَادَ لِكثْرَتِهَا بَقِيَ فِي الْبَرِّيَّةِ.
- (٤) نَفْسُهُ: ص ٢٤١، رَقْمُ ٢٦ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، التَّتَوَفُّةُ: الْمَفَازَةُ.
- (٥) نَفْسُهُ: ص ٢٤١، رَقْمُ ٣٢ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، جَاءَ فِي (الْإِخْتِيَارِينَ) ص ١١١: " (لَا يَبِينُ عَلَى)؛ أَيُّ: لَا يَبِينُ فِي سِتْرٍ. وَطَاوِيَاتٍ: نَوْقُ ضَوَامِرٍ". (لَا يَبِينُ) بَدَلًا مِنْ: (لَا يَبِينُ) فِي الْبَيْتِ الْمَذْكُورِ.
- (٦) نَفْسُهُ: ص ٢٢٨، رَقْمُ ٣ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، الْعَصْمُ: جَمْعُ أَعْصَمٍ، وَهُوَ الْوَعْلُ.

فَمَتَّ مُعَدِمًا أَوْ عَشَّ كَرِيمًا فَإِنِّي
أَرَى الْمَوْتَ لَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ هَارِبُهُ^(١)
وقول شِمْر بن عمرو الحنفي^(٢): (الكامل)

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى اللَّئِيمِ يَسْبُئِي
فَمَضَيْتُ نَمَّتْ قُلْتُ لَا يَغْنِينِي^(٣)
ومنه قول سَهْم بن حَنْظَلَةَ الغنوي: (البيسط)

تَحْمَى عَلَيَّ أَنْوَفٌ أَنْ أَدَلَّ وَلَا
يَحْمِي مَنَاوِئُهَا أَنْفًا وَلَا ذَنْبًا^(٤)
وقول مالك بن نُويرَةَ: (الطويل)

لَدُنْ غُدْوَةٌ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُمْ
وَلَا تَنْتَهِي عَنْ مَلْنِهَا مِنْهُمْ يَدُ^(٥)
ومنه قول عُقْبَةَ بن سَابِقِ^(٦) في وصف الخيل: (الهمزج)

مِـسْحٌ لَا يُـوَازِي العـ
يِرٌ مِنْهُ عَصْرُ اللّهُبِ^(٧)

ث- وقد يتقدّم المعمول على العامل في الفعل المضارع المنفي بـ(لا) كما في قول سَهْم بن حَنْظَلَةَ الغنوي: (البيسط)

يَأْيُهَا الرَّكَبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتُهُ
لَا نِعْمَةً تَبْتَغِي عِنْدِي وَلَا نَسَبًا^(٨)

و(لا) التّائنية ها هنا توكيد للجحد، وليس بحرف عطف، وإنّما حرف العطف الواو وحدها؛ لأنّه لا يُجمع بين حرفي عطف كما يقول النّحاة^(٩).

(١) نفسه: ص ١٣٣، رقم ٧.

(٢) هو شِمْر بن عمرو الحنفي أحد بني سحيم، وأحد شعراء بني حنيفة الجاهليين، ويُقال: إنّه قتل المنذر بن ماء السماء غيلة. انظر: (هامش) الأصمعيّات المصرية: ص ١٢٦.

(٣) الأصمعيّات: ص ١٤٢، رقم ٣.

(٤) نفسه: ص ٦٣، رقم ٥٤، المناوأة: المفاخرة والمعادة.

(٥) نفسه: ص ٢١٤، رقم ٢٢ (الزيادات من الكتابين).

(٦) لم أعتز له على ترجمة يحسن السكوت عليها، حيث اختلفت المصادر التي عدت إليها، ذكره الميرد في الكامل ٨٤/٣: باسم عقبة بن سابق العنبري، كما ودكرت له أشعار في (سمط اللّالي): ٨٧٩/٢.

(٧) الأصمعيّات: ص ٤٤، رقم ٩، فرس مسح: جواد سريع. والعير: حمار الوحش. والعَصْر: الملجأ، واللّهب: شقٌّ في الجبل.

(٨) نفسه: ص ٥٨، رقم ٨.

(٩) انظر: الأزهية: ١٥١.

ويمكن اعتبار (لا) هنا نافية للجنس، ومن السهل تعيين اسمها وخبرها، وجعلها تفيد نفي الحكم عن جنس اسمها (نعمة).

ج- ودخلت (لا) على الفعل المضارع من الأفعال الخمسة ثماني مرّات، ورد الفعل المضارع في أربعة منها مرفوعاً بثبوت النون ومنه-على سبيل المثال لا الحصر- قول سوار بن المضرب: (الوافر)

وَلَوْ أَنِّي أَطِيعُكُمْ بِسُلْمَى لَكُنْتُ كَبَعُضٍ مَنْ لَا تُرْشِدَانِ^(١)

ح- كما دخلت (لا) النافية على الفعل المضارع الناقص في ثمانية مواضع، وعلى الماضي الناقص في موضع واحد، ومنه قول أغشى بأهله: (البيسط)

لَا يَتَأْرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَفْتَنُرُ^(٢)

خ- ودخلت (لا) النافية على الفعل المضارع المبني على السكون؛ لالتصاله بنون النسوة في موضعين، وهما قول سهم بن حنظلة الغنوي: (البيسط)

الغَادِيَاتِ عَلَى لَوْمِ الْفَتَى سَفَهَا فِيمَا اسْتَفَادَ وَلَا يَرْجِعْنَ مَا ذَهَبَا^(٣)

وقول ضابئ بن الحارث البرجمي: (الطويل)

فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا يُحَاوِلُنْ غَيْرَهُ أَرَادَ لِيَلْفَأَهُنَّ بِالْبَشْرِ أَوْلَا^(٤)

د- كما دخلت على الفعل المضارع المبني للمجهول عشر مرّات، وعلى الفعل الماضي المبني للمجهول مرّة واحدة، ومثاله قول خفاف بن نذبة: (الطويل)

وَعَثُهُ جَوَادٌ لَا يُبَاعُ جَنِينُهَا بِمَنْسُوبَةٍ أَعْرَاقُهُ غَيْرِ مُحْمِقٍ^(٥)

ذ- ودخلت على الفعل الماضي ثلاث مرّات، وكان الغرض البلاغي منها جميعاً الدعاء على المخاطب، ومنه قول عوف بن عطية: (الطويل)

(١) الأصمعيّات: ص ٢٤٠، رقم ٢٢ (الزيادات من الكتابين).

(٢) نفسه: ص ١٠٤، رقم ١٩٩، جاء (في خزنة الأدب) ٢٠٠/١: "لا يتأرى: لا يتلثث...يمدحه بأن همته ليس في المطعم والمشرب، وإنما في طلب المعالي، فليس يرقب نضح ما في القدر إذا هم بأمر له شرف بل يتركها ويمضي".

(٣) نفسه: ص ٥٨، رقم ٧، السفة: الجهل والطيش.

(٤) نفسه: ص ٢٠٠، رقم ٣٠ (الزيادات من الكتابين).

(٥) نفسه: ص ٢٨، رقم ٢٣، وعثه: حفظته؛ أي: أمه. والجواد يقال: للدكر والأنثى من الخيل. والأعراق: جمع عرق، وهو الأصل. والمحمق: التي تلد الحمقى.

بُودَهُمْ لَا قَرَبَ اللَّهَ وَدَهُمْ وَلَا زَالَ مُعْطِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ حَارِمًا^(١)

٣- (لا) النافية المعترضة:

وهي لا تؤثر على عمل العوامل الأخرى، واتخذت في (الأصمعيّات) أشكالاً على النحو

الآتي:

أ- التي تفصل بين الناصب والمنصوب، ووقعت في أحد عشر موضعاً، واتخذت خمس صور:
الأولى: التي فصلت بين الفعل المضارع المبني للمعلوم، المنصوب بعلامة أصلية ظاهرة وبين
العامل (أن) المصدرية الناصبة للفعل المضارع بنفسها دون واسطة، من أمثلتها في (الأصمعيّات)
قول الممرق العبدّي: (الطويل)

وَوَظَّنِّي بِهِ أَنْ لَا يُكَدِّرَ نِعْمَةً وَلَا يَقْلِبَ الْأَعْدَاءَ مِنْهُ بِمَغْبِقٍ^(٢)

وقول أسماء بن خارجة: (الكامل)

مَا ضَرَّهَا أَنْ لَا تُذَكِّرَنِي عَيْشَ الْخِيَامِ لِيَالِي الْخَبِّ^(٣)

الثانية: التي فصلت بين الفعل المضارع المبني للمعلوم، المنصوب بعلامة أصلية ظاهرة، وبين
العامل (أن) المصدرية المضمرّة وجوباً بعد (حتى)، ذلك لمرة واحدة فقط، هي قول المتلمس يعاتب
خاله اليشكري: (الطويل)

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تَسَاطُ دِمَاؤُنَا تَرَائِلُنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمًا^(٤)

الثالثة: التي فصلت بين الفعل المضارع المبني للمجهول، المنصوب بعلامة أصلية ظاهرة، وبين
العامل (أن) المصدرية الناصبة للفعل المضارع بنفسها دون واسطة، من أمثلتها في (الأصمعيّات)
قول مالك بن حريم الهمداني: (الطويل)

وَوَالِثَةٌ: أَنْ لَا تُقَدِّعَ جَارَتِي إِذَا كَانَ جَارُ الْقَوْمِ فِيهِمْ مُقَدِّعًا^(٥)

(١) نفسه: ص ١٨٨، رقم ١١ (الزيادات من الكتابين).

(٢) نفسه: ص ١٨٥، رقم ٢١ (الزيادات من الكتابين).

(٣) نفسه: ص ٥٣، رقم ٦.

(٤) نفسه: ص ٢٤٤، رقم ٤ (الزيادات من الكتابين)، تساط: تخطط. والترايل: التباين.

(٥) نفسه: ص ٧٤، رقم ١٧، تُقَدِّعُ: تُرْمَى بالفحش وسوء القول.

وقوله:

وَرَابِعَةٌ: أَنْ لَا أَحْجَلَ قِدْرَنَا عَلَى لَحْمِهَا حِينَ الشِّتَاءِ لِنَشْبَعًا^(١)

الرَّابِعَةُ: الَّتِي فَصَلَتْ بَيْنَ (أَنْ) وَبَيْنَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمَنْصُوبِ بِعَلَامَةِ فَرْعِيَّةٍ، مِنْ أَمْتَلَتْهَا فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ)، قَوْلِ عِلْبَاءَ بْنِ أَرْقَمَ بْنِ عَوْفٍ: (الطَّوِيلُ)

بَصُرْتُ بِهِ يَوْمًا وَقَدْ كَادَ صُحْبِي مِّنَ الْجُوعِ أَنْ لَا يَبْلُغُوا الرَّجْمَ مَلُوحَمَ^(٢)

الخامسة: الَّتِي فَصَلَتْ بَيْنَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمَنْصُوبِ بِعَلَامَةِ أَصْلِيَّةٍ مَقْدَّرَةٍ، وَبَيْنَ عَامِلِ النَّصْبِ، مِثَالُهُ قَوْلُ أَبِي الطُّفَيْلِ الْكِنَانِيِّ^(٣) (الطَّوِيلُ)

مُحِبٌّ كَأَحْبَابِ السَّقِيمِ وَمَا بِهِ سِوَى أَسْفٍ أَنْ لَا يَرَى مَن يَتَأَوَّرُ^(٤)

ب- (لا) النَّافِيَةُ الْمُعْتَرِضَةُ بَيْنَ الْجَازِمِ وَالْمَجْزُومِ:

وردت في (الأصمعيّات) تسع مرّات، فصلت بين (إن) ومجزومها أربع مرّات، وبين (من) ومجزومها أربع مرّات أيضًا، وبين (مهما) ومجزومها مرّة واحدة، واتّخذت الصّورتين الآتيتين:
الأولى: أنّها نفت جواب الشرط مرّتين، والفعل المضارع مبني للمجهول، من أمثلة ذلك قول عبد الله بن جِنح النُّكْرِيِّ: (الكامل)

إِنْ يَطْلُبُوا بِجَرِيرَةٍ يَنَّاوْنَهَا أَوْ يَطْلُبُوا لَا يُدْرِكُوا بِتِرَاتٍ^(٥)

والثّانية: أنّها نفت فعل الشرط في سبعة مواضع، من أمثله قول الأَسَدِيِّ محبباً يزيد بن الصّدّعق: (الطَّوِيلُ)

أَعْبَتَ عَلَيْنَا أَنْ نَمَرَّنَ قِدْنَا وَمَنْ لَا يَمَرَّنُ قِدَّهُ يَتَقَطُّعُ^(٦)

(١) نفسه: ص ٧٤، رقم ١٨، لا أَحْجَلَ: لا أسترها وأجعلها في حجلة، وهي بيت للعروس.

(٢) نفسه: ص ١٧٦، رقم ١٢، مَلُوحَمَ: يريد من الوحم، والوحم: شدّة الشّهوة إلى الطّعام.

(٣) أبو الطُّفَيْلِ الْكِنَانِيُّ: هو عامر بن وائلة بن عبد الله، اللّيثيّ: شاعر كنانة، وأحد فرسانها، ومن ذوي السّيادة، روى عن النّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - تسعة أحاديث، وهو آخر من مات من الصّحابة سنة مائة، وقيل: سبع ومائة، وقيل: عشر ومائة من الهجرة. انظر: الإصابة: ٢٣٠/٧، والخزانة: ٣٩/٤، والأعلام: ٢٥٥/٣.

(٤) (الأصمعيّات): ص ٩٢، رقم ٧، جاء في (الاختيارين) ٥٠٣: "محبّ: ملق رأسه".

(٥) نفسه: ص ١٢٩، رقم ٧، الجريرة: الجناية. والتّرات: جمع ترة، وهي الجناية يجنيها الرّجل على غيره. وينّاونها؛ أراد يبعدون في طلبها حتّى يحصلوا عليها.

(٦) نفسه: ص ١٦٣، رقم ١.

وجاءت (لا) مقرونة بالواو داخلة على الفعل المضارع ستاً وعشرين مرّة، منها قول عبد الله بن عَمَّة: (الوافر)

لَقَدْ ضَمِنْتَ بَنُو بَدْرِ بْنِ عَمْرٍو وَلَا يُؤْفِي بِبِسْطَامٍ قَتِيلٌ^(١)
وقول مالك بن حريم الهمداني: (الطويل)
وَلَا يَسْأَلُ الضَّيْفُ الغَرِيبُ إِذَا شَتَا بِمَا زَحَرْتَ قَدْرِي لَهُ حِينَ وَدَّعَا^(٢)
وقول قيس بن الخطيم: (المنسرح)

وَلَا يَعْثُ الحَدِيثُ مَا نَطَقَتْ وَهُوَ بِفِيهَا ذُو لَذَّةٍ طَرِفٌ^(٣)
وجاءت (لا) مقرونة بالواو داخلة على الفعل المضارع المبني للمجهول: منه قول سحيم بن وثيل الرياحي: (الوافر)

بِذِي لِبْدٍ يَصُدُّ الرِّكْبُ عَنْهُ وَلَا تُؤْتِي فَرِيستَهُ لِحِينٌ^(٤)
وجاءت (لا) مقترنة بالفاء داخلة على الفعل المضارع، وردت في (الأصمعيّات) ثلاث مرات:
منها قول عروة بن الورد: (الطويل)

وَمُسْتَهْتَيْ زَيْدٌ أَبُوهُ فَلَا أَرَى لَهُ مَذْفَعًا فَأَقْنِي حَيَاءَكَ وَأَصْبِرِي^(٥)
وقول سوار بن المضرب: (الوافر)

فَلَا أَنْسَى لِيَالِي بِالكَأْنَدَى فَنَيْنٌ وَكُلُّ هَذَا الْعَيْشِ فَنَانٌ^(٦)
 واجتمعت (لا) و(ما) النّافيتان، حيث عطفت الجملة الفعلية المنفية بـ(ما) على الجملة الفعلية المنفية بـ(لا)، منه قول سهم بن حنظلة العنوي: (البسيط)

مِنَ الرِّجَالِ رِجَالٌ لَا أَعَاتِبُهُمْ وَمَا تَفَرَّعَ مِنْهُمْ هَامَتِي رُغْبَا^(٧)

(١) نفسه: ص ٤٢، رقم ٧.

(٢) نفسه: ص ٧٨، رقم ٣٨، زحرت القدر: جاشت.

(٣) نفسه: ص ٢١٧، رقم ١٠ (الزيادات من الكتابين)، يعث: يفسد.

(٤) نفسه: ص ٢١، رقم ٤، جاء في (شرح أبيات المغني) ١٠/٤: "ذو اللبد: الأسد. والقرينة: النفس".

(٥) نفسه ص ٤٩، رقم ١٢، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصرية ص ٤٥: "وَمُسْتَهْتَيْ: طالب العطاء. وقوله: فَأَقْنِي حَيَاءَكَ: احفظيه وأمسكه عليك".

(٦) نفسه: ص ٢٣٨، رقم ٥ (الزيادات من الكتابين).

(٧) نفسه: ص ٦٠، رقم ٢٥.

وقوله:

لَا يُبِيرُ الْقَطِرَانُ الْبَحْتَ نُفْبَتَهُ وَمَا تُبِينُ بِضَاحِي جِلْدِهِ جَرِيًا^(١)
واجتمعت لا النَّافِيَةُ للفعل المضارع مع (إِلَّا)، منه قول سَهْمَ بِنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البسيط)
وَلَا أَسْبُ إِمْرَعًا إِلَّا رَفَعْتُ لَهُ عَارًا يُسَبُّ بِهِ الْأَقْوَامُ أَوْ لَقَبًا^(٢)

يُلاحظ كذلك أَنَّ العطف بالواو في الجمل الفعلية المنفية بـ(لا) على جمل منفية أخرى، قد اتَّخذ شكلاً واحدًا مِنْ أشكال العطف وهو عطف الجمل، مِنْ أمثلته قول العباسِ بنِ مُرْدَاسٍ: (الطَّويل)

فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلَا مِثْلَنَا لَمَّا التَّقَيْنَا فَوَارِسًا^(٣)

أي: وَلَا أَرَى مِثْلَنَا، فهو مِنْ قِبَلِ عطف جملة منفية على جملة منفية بالواو العاطفة، ورمَّا وُجِدَتْ جملة اسمية معطوفة على جملة فعلية، كما في قول كَعْبِ بنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ: (الطَّويل)

كَدَاعِي هَدِيلٍ لَا يُجَابُ إِذَا دَعَا وَلَا هُوَ يَسْأَلُ عَنْ دُعَاءِ هَدِيلٍ^(٤)

يُلاحظ كذلك أَنَّ (أَلَا) الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنَ الهمزة و(لا) قد وردت في (الأصمعيَّات) ثلاث عشرة مرَّة، ووردت داخلة على الفعل المضارع مرَّتين، وعلى الفعل الماضي مرَّة واحدة، وعلى الأسماء خمس مرَّات، وعلى الحروف مثلها.

خلاصة ما يُلاحظ على الأبيات الشعريَّة السَّابِقة أَنَّ (لا) النَّافِيَةَ دخلت على الفعل المضارع، ونفت مدلوله، ولم تؤثر على علاماته الإعرابية.

٤ - (لا) الجوابية:

الجوابية: نقيضة (نعم)، كقولك: (لا) في جواب: هل قام زيد؟ وهي نائبة مناب الجملة^(٥)؛ أي: أَنَّها حرف جواب، هذا ولم يقف الباحث لها على أمثلة في (الأصمعيَّات) إِلَّا في موضع واحد، هو قول سَهْمَ بِنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البسيط)

لَا بَلَّ سَلِّ اللَّهُ مَا ضَنُّوا عَلَيْكَ بِهِ وَلَا يَمُنُّ عَلَيْكَ الْمَرْءُ مَا وَهَبًا^(٦)

(١) نفسه: ص ٦٣، رقم ٥٣.

(٢) نفسه: ص ٦٣، رقم ٥٢.

(٣) نفسه: ص ٢٣٠، رقم ١١ (الزيادات مِنَ الكتابين)، الحَيِّ المصْبِحُ: الَّذِي يصبح مِنْ أعدائه بالغارة.

(٤) نفسه: ص ٨٩، رقم ١٠، الهديل: فرخ صاده جرح مِنْ جوارح الطيور، قالوا: فليس مِنْ حمامة إِلَّا وتبكي عليه.

(٥) انظر: الجنى الدَّاني: ٢٩٦.

(٦) الأصمعيَّات: ص ٦٢، رقم ٣٩، ضَنُّوا: بخلوا.

ومجيء الحرف الذي يدلُّ على الإضراب (بل) بعدها إنَّما يدلُّ على أنَّ الشَّاعر نفى شيئاً وأضرب عنه، ويريد إثبات شيء جديد، وهناك جملة محذوفة بعدها كما يقول ابن هشام عند حديثه عن أوجه لا النَّافية الجوابية: "أنَّ تكون جواباً مناقضاً لـ(نعم) وهذه تُحْتَفُّ الجملُ بعدها كثيراً، يقال: (أجاءك زيد؟) فنقول: (لا)، والأصل: لا، لم يجئ"^(١)، ويقول في موضع آخر عند حديثه عن (بل): "وتزاد قبلها (لا)؛ لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب"^(٢).

يعتقد الباحث أنَّ ندرة ورود (لا) الجوابية في (الأصمعيَّات) ربَّما يعود إلى أنَّ الشعراء لم يستخدموا الاستفهام على وجه الحقيقة، فيحتاجون للإجابة عمَّا يستفسرون بـ(نعم) أو (لا)، وإنَّما استخدموا الاستفهام لأغراض بلاغية تمَّ التعرفُ على جزء منها عند دراسة الاستفهام^(٣).

٥ - (لا) النَّافية العاطفة:

جاء في (الجنى الدَّاني): "فالعاطفة: تُشْرِكُ في الإعراب دون المعنى، وتعطف بعد الإيجاب، نحو: يقوم زيد لا عمرو، وبعد الأمر: اضربُ زيداً لا عمرًا، وبعد النداء، نحو: يا زيد لا عمرو، نصَّ عليه سيبويه، وزعم ابن سعدان^(٤) أنَّ العطف بـ(لا) على المنادى ليس من كلام العرب، ولا يُعطف بها على نفي أو نهي"^(٥).

ويضع ابن هشام^(٦) ثلاثة شروط لـ(لا) العاطفة: أحدها: أنَّ يتقدَّمتها إثبات، ك: جاء زيد لا عمرو، أو أمر، ك: اضرب زيداً لا عمرًا، قال سيبويه: أو نداء نحو: يا بن أخي لا ابن عمِّي، ومن أمثلة تقدُّم الإثبات عليها في (الأصمعيَّات) قول الأجدع بن مالك الهمداني: (الكامل)

والخَيْلُ تَعْلَمُ أَنَّنِي جَارِيئُهَا بَأَجْسٍ، لَا تَلْبِبُ وَلَا مِظْلَاعٍ^(٧)

والثَّاني: ألا تقترن بعاطف، فإذا قيل: جاءني زيد لا بل عمرو، فالعاطف (بل) و(لا) ردُّ لِمَا قبلها وليست عاطفة، من أمثلة (لا) العاطفة قول الأَسْعَرِ الجُعْفِيِّ: (الكامل)

(١) مغني اللبيب: ٣/٣٠٤-٣٠٥.

(٢) نفسه: ١٨٩/٢.

(٣) انظر: ص ١٧٨-١٨١ من الفصل الثالث.

(٤) ابن سعدان: هو محمَّد بن سعدان الضَّرِير الكوفيُّ النَّحْوِيُّ المقرئ، أبو جعفر: كان ذا علم بالعربية، ثقة، وصنَّف كتاباً في النَّحو، وكتاباً في القراءات، ومات يوم عيد الأضحى سنة إحدى وثلاثين ومائتين للهجرة.

انظر: بغية الوعاة: ١/١١١، والأعلام: ٦/١٣٧.

(٥) انظر: الجنى الدَّاني: ٢٩٤.

(٦) انظر: مغني اللبيب: ٣/٣٠١-٣٠٣.

(٧) الأصمعيَّات: ص ٨٠، رقم ٨، التَّلْبِب: المعيب. والمِضْلَاع: من قولك: ظلع الفرس إذا غمز في مشيته وعرج.

وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَجَشُّمِي الرَّدَى أَنَّ الْخُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدْرُ الْقِرَى^(١)

والثالث: أن يتعاند^(٢) متعاطفاها، فلا يجوز: جاعني رجل لا زيد؛ لأنه يصدق على زيد اسم الرجل، هذا وقد وردت (لا) حرف عطف في (الأصمعيّات) ست مرّات، ومن أمثلة استخدام (لا) النافية كحرف عطف بعد الإيجاب في (الأصمعيّات) قول عقبة بن سباق في صفة الخيل: (الهبز)

أَسِيلٌ سَأَجَمُ الْمُقْبِرِ لَ لَا شَخْتٍ وَلَا جَابٍ^(٣)

ومنه قول أَعْشَى بَاهِلَةَ: (البسيط)

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلُوي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ دُونَنَا مُضْرٌ^(٤)

وأما ورود (لا) النافية حرف عطف بعد الأمر فلم أقف له على أمثلة في الأصمعيّات.

٦- (لا) الزائدة لتأكيد النفي:

يُفهم من هذه المسألة أن (لا) الزائدة ليس لها معنى خاص في الجملة، وإنما تدخل زائدة للتأكيد، وليس لها تأثير إعرابي، يقول ابن يعيش: "وقد تزداد (لا) مؤكدة ملغاة كما كانت (ما) كذلك؛ لأنها أختها في النفي"^(٥).

يعتبرها الهروي صلة زائدة، ومثل لها بعدد من آيات الذكر الحكيم، ومنها قوله- تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ... ﴾^(٦) معناه: ما منعك أن تسجد؟^(٧) ويعتبرها الزمخشري زائدة لتأكيد معنى الفعل الداخلة عليه وتحقيقه^(٨)، ويقول الزركشي: "واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد؛ لأنه وقع في تكرار التأسيس، وهو أبلغ من التأكيد فإن التأكيد يقرّر إرادة معنى الأول وعدم التجوّز"^(٩).

(١) نفسه: ص ١٥٨، رقم ٧.

(٢) يتعاند؛ أي: لا يصدق أحدهما على الآخر: مثل جاعني رجل لا امرأة.

(٣) الأصمعيّات: ص ٤٤، رقم ٨، الأسيل: الخدّ السهل اللين الدقيق المستوي، والسّلمج: الطويل من الخيل. والشّخت: الدقيق من الأصل، لا من الهزال. وجأب: غليظ. فهو ليس بالدقيق ولا بالغليظ.

(٤) نفسه: ص ١٠١، رقم ٤، جاء (في خزنة الأدب) ١/١٩٦: 'يلوي: مضارع لوى، بمعنى توقّف وعرج؛ أي: يمرّ هذا الرّكب على النّاس، ولم يعرّج على أحد حتّى أتاني؛ لأنّي كنت صديقه. ودون: بمعنى قدام'.

(٥) شرح ابن يعيش: ١٣٦/٨.

(٦) الأعراف: ١٢/٧.

(٧) انظر: الأزهيّة: ١٥١.

(٨) انظر: الكشاف: ٤٢٦/٢.

(٩) انظر: البرهان: ١١/٣.

وإن كان الشَّيخُ الشَّعْرَاوِيُّ - رحمه الله - يرفض بشدَّة أن يُطلق على أيِّ لفظة من ألفاظ القرآن الكريم اسم: (زائد)، ويعلِّل ذلك بقوله: "لا يوجد في القرآن الكريم ألفاظ زائدة، والأنسب اللَّائق لقدسيَّة القرآن أن يُطلق عليه اسم: حرف تأسيس"^(١). و(لا) الزَّائدة جعلها المراديُّ^(٢) ثلاثة أقسام: الأوَّل: زائدة من جهة اللَّفظ؛ لوصول عمل ما قبلها إلى ما بعدها، وليست زائدة من جهة المعنى؛ لأنَّها تفيد النَّفي، كقولهم: جئت بلا زاد.

الثَّاني: زائدة لتأكيد النَّفي، مثاله: ما يستوي زيد ولا عمرو.

الثَّالث: أن تكون زائدة دخولها كخروجها، وهذا ممَّا لا يُقاس عليه.

جاء في (المغني): "وكذلك (لا) المقترنة بالعاطف، في نحو: ما جاءني زيد ولا عمرو، ويسمونها زائدة، وليست بزائدة البتَّة، ألا ترى أنه إذا قيل: ما جاءني زيد وعمرو، احتمل أن المراد نفي مجيء كلِّ منهما على كلِّ حال، وأن يُراد نفي اجتماعهما في وقت المجيء فإذا جيء بـ(لا) صار الكلام نصًّا في المعنى الأوَّل، نعم هي في قوله - سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ...﴾^(٣) لمجرد التَّوكيد، وكذا إذا قيل: لا يستوي زيد ولا عمرو"^(٤)، منه قول سَوَّارَ بنِ الْمُضَرَّبِ: (الوافر)

وَمَا سَلَمَى بِسَيِّئَةِ الْمُحْيَا وَلَا عَسْرَاءَ عَاسِيَةِ الْبَنَانِ^(٥)

ما يُلاحظ على استعمالات (لا) المختلفة عندما تکررت وجوبًا، حيث أهملت وبطل عملها في المواضع الآتية:

أ- عندما تقدَّم الخبر على المبتدأ.

ب- عندما دخلت على جملة اسميَّة صدرها معرفة، ومثال ذلك قول حَجَلِ بنِ نَضَلَّة^(٦): (الكامل)

إِنْ تَلَقَّيْ لَا تَلَقَ نُهْرَةَ وَاحِدٍ لَا طَائِشَ رَعِشَ وَلَا أَنَا أَعَزَلُ^(٧)

(١) هذا ما سمعته منه في أحد الدُّروس التي كان يلقيها على مسامع الجمهور، ولم أفصح في تحديد تاريخ إلقاء هذا الدُّرس أو عنوانه، ولم أفصح عليه في تسجيلاته الصوتيَّة لتفسيره للقرآن الكريم.

(٢) انظر الجني الدَّاني: ٣٠٠ - ٣٠٢.

(٣) فاطر: ٢٢/٣٥.

(٤) انظر: مغني اللَّيْبِيب: ٣١٧/٣.

(٥) الأصمعيَّات: ص ٢٤٢، رقم ٣٧ (الزيادات من الكتابين)، العسراء: التي تعمل بيسارها. جاء في كتاب (الاختيارين) ص ١١٣: "أي: ليست بقبيحة الوجة، وعاسية: غليظة".

(٦) حَجَلُ بنِ نَضَلَّةِ الباهليِّ: شاعر جاهليِّ، قالوا في خبره: أَسَرَ (النُّوَّار) بنت عمرو بن كلثوم، وفرَّ بها في الفلاة خوفًا من أن يُلْحَقَ، وله في ذلك شعر، هذا ولم أفصح على تاريخ وفاته. انظر: الشُّعْر والشُّعْرَاء: ٩٥/١، وسمط اللَّكَلِي: ٣٠٤/١، والأعلام: ١٠٧/٢.

(٧) الأصمعيَّات: ص ١٥٥، رقم ٢، النُّهْرَةُ: الفرصة تجدها من صاحبك.

فالمبتدأ هنا محذوف دلّت عليه الجملة المعطوفة بالواو على ما قبلها، والتقدير: لا أنا طائش، ف جاء اسمها معرفة، فبطل عملها، كما وتعدّد الخبر.

ت- عندما دخلت على المفرد.

مِنَ المواضع الأخرى الَّتِي ذكرها ابن هشام^(١)، والَّتِي يجب فيها تكرار (لا) النَّافِيَةِ: عند دخولها على الفعل الماضي. ذكر الرّضِيُّ أَنَّ (لا) إِذَا كانت بمعنى (غير) لزم تكرارها، نحو: زيد لا راكب ولا ماشٍ^(٢)، هذا التّركيب لم أقف له على تمثيل في (الأصمعيّات).

ثالثاً: (إن) النَّافِيَةِ غير العاملة

سبق الحديث عن (إن) النَّافِيَةِ العاملة عمل (ليس) في لغة أهل العالية، وسبقت الإشارة إلى أنّ سيبويه - رحمه الله - لا يرى إعمالها، ويكفي التّأليل على صحّة ذلك بما قاله الهرويُّ عند حديثه عن (إن) النَّافِيَةِ ما خلاصته: كان سيبويه - رحمه الله - لا يرى إلاّ رفع الخبر؛ لأنّها حرف نفي داخل على ابتداء وخبر كما تدخل ألف الاستفهام فلا تغيّره... وغير سيبويه يجيز النّصب على التّشبه بـ(ليس)^(٣).

مِنْ هنا يتّضح أنّ (إن) النَّافِيَةِ غير العاملة تدخل على نوعين مِنْ الجمل: الاسميّة والفعليّة، فإذا دخلت على الجملة الاسميّة، وأُعرب ما بعدها مبتدأً وخبراً أُلغي عملها فكانت غير عاملة، وتكون غير عاملة أيضاً إذا دخلت على الجملة الفعليّة ذات الفعل الماضي أو المضارع على حدّ سواء، وهذا ما أكّده النّحاة، منهم ابن هشام^(٤) عند حديثه عن أوجه (إن) المكسورة الخفيفة، فذكر في الوجه الثّاني أنّها تكون نافية، وتدخل على الجملة الاسميّة، ومثّل لها بقوله - تعالى: ﴿...إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾^(٥)، كما تدخل على الجملة الفعليّة، ومثّل لدخولها على الفعل الماضي بقوله - تعالى: ﴿...وَلِيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى...﴾^(٦)، ومثّل لدخولها على الفعل المضارع بقوله - تعالى: ﴿...إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(٧).

هذا ولم يقف الباحث في (الأصمعيّات) على أمثلة لـ(إن) النَّافِيَةِ غير العاملة، سواء الدّاخلية على الجملة الاسميّة أو الفعليّة.

(١) انظر: مغني اللّبيب: ٣/٣٠٥ - ٣٠٦.

(٢) شرح الرّضِيّ على الكافية: ٢/١٦٥.

(٣) انظر: الأزهيّة: ٤٥.

(٤) انظر: مغني اللّبيب: ١/١٢٦-١٢٧.

(٥) الملك: ٦٧/٢٠.

(٦) التّوبة: ٩/١٠٧.

(٧) الكهف: ١٨/٥.

رابعًا: كلاً

من ألفاظ النَّفْيِ الصَّدْرِيحِ لفظ (كلاً)، جاء في (الصَّاحِبِيِّ): (كلاً) تكون رداً ورَدْعاً ونَفْيًا لدعوى مُدَّعٍ إذ قال: لَقِيتُ زَيْدًا قَلتَ: كلاً^(١)، يقول سيبويه: "وأما كلاً فردعٌ وزجرٌ"^(٢). هذا ولم أقف على أمثلة لها في الأصمعيَّات.

خامسًا: النَّفْيِ بلام الجحود

سبقت الإشارة في بداية هذا الفصل^(٣) أن هناك علاقة من نوع ما بين مصطلحي النَّفْيِ والجحد، فكلُّ جحد نفي، وبناءً عليه فإنَّ لام الجحود هي لام نفي، ومجال عملها هو الفعل المضارع، وهي لام مكسورة تفيد توكيد النَّفْيِ بشرط أن تكون مسبوقه بكون منفيٍّ مثل: (ما كان، لم يكن، لم أكن، ما كنت، لا أكون، لا كان).

ذكر ابن هشام للَّامِ الجارَّةِ اثنتين وعشرين معنًى منها: توكيد النَّفْيِ، وهي الدَّاخِلَةُ في اللَّفْظِ على الفعل مسبوقه بـ(ما كان) أو بـ(لم يكن) ناقصتين مسندتين لِمَا أُسْنَدَ إليه الفعل المقرون باللام، نحو قوله- تعالى: ﴿... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ...﴾^(٤)، ويسمِّيها أكثرهم (لام الجحود)؛ لِمَلازمتها للجحد؛ أي: النَّفْيِ، قال النَّحَّاسُ^(٥): "والصَّدَوَابُ تسميتها: لام النَّفْيِ؛ لأنَّ الجحد في اللُّغَةِ إنكار ما تعرفه لا مطلق الإنكار"^(٦)، وهي عند الكوفيِّين زائدة لتأكيد النَّفْيِ^(٧)، ولا يوافق البصريُّون الكوفيِّين على صحَّة ما ذهبوا إليه، جاء في (همع الهوامع): "ولام الجحود عند البصريِّين تسمَّى مؤكِّدة لصحَّة الكلام بدونها، إذ يُقال في: ما كان زيد ليفعل: ما كان زيد يفعل؛ لا لأنَّها زائدة، إذ لو كانت زائدة لَمَا كان لنصب الفعل بعدها وجه صحيح"^(٨). هذه اللَّام لم أقف لها على تمثيل في أيِّ بيت من أبيات (الأصمعيَّات).

(١) انظر: الصَّاحِبِيُّ: ١١٨.

(٢) الكتاب: ٢٣٥/٤.

(٣) انظر: ص ٢٠٤ من هذا الفصل.

(٤) آل عمران: ١٧٩/٣.

(٥) النَّحَّاسُ: أحمد بن محمَّد بن إسماعيل المراديِّ المصريِّ، أبو جعفر، مفسِّر، أديب، كان من نظراء نبطويه وابن الأنباريِّ، توفِّي سنة ثمانٍ وثلاثينٍ وثلاثمائة هجرية. انظر: بغية الوعاة: ٣٦٢/١، والأعلام: ٢٠٨/١.

(٦) انظر: مغني اللبيب: ١٦٤/٣ - ١٦٥.

(٧) انظر: الجنى الدَّاني: ١١٩.

(٨) همع الهوامع: ٢٩٨/٢.

المطلب الثالث: الأفعال التي تُستخدم في النَّفي الصَّريح

كنتُ قد فضَّلتُ- في مطلع هذا الفصل- التَّعامل مع أدوات النَّفي الصَّريح من خلال ثلاث مجموعات، وها هو الباحث قد انتهى من معالجة كلِّ ما يتعلَّق بالمجموعة الأولى، وهي الحروف النَّافية، العاملة وغير العاملة، وسيشرع الآن في الحديث عن المجموعة الثَّانية، وهي الأفعال، ومن الأفعال التي اعتُبرت من أدوات النَّفي: ليس، وأبى.

جاء في كتاب (المفردات): "أبى: الإباء: شدَّة الامتناع، فكلُّ إباء امتناع، وليس كلُّ امتناع إباء"^(١)، ويقول ابن الشَّجري في معرض حديثه عن أدوات النَّفي^(٢): "ومن الأفعال: (ليس وأبى)، ويدلُّك على أنَّ (أبى) نفي صريح، قولك: أبى زيد إلا أن يقوم، كقولك: لم يُرد زيد إلا أن يقوم، كما جاء في التَّنزيل: ﴿...وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ...﴾"^(٣)، والظَّاهر أنَّ صاحب تفسير (روح المعاني) لا يوافق ابن الشَّجريَّ عندما اعتبر الفعل (أبى) من أنواع النَّفي الصَّريح، وكأنَّه يريد أن يعتبرها من أفعال النَّفي الضَّمنيِّ، يقول: "(أبى) قريب من معنى النَّفي، فهو مؤول به"^(٤). وسيتمُّ مناقشة كلِّ ما يتعلَّق بالنَّفي الضَّمنيِّ في نهاية هذا الفصل- إن شاء الله تعالى.

وتتضمَّن المجموعة الثَّانية فعلين اثنين:

الأول: ليس

- أصلها ومعناها:

جاء في (مجمع الأمثال) تعليقًا على المثل العربيِّ القائل: (اطلُّبه من حيثَ وُلِّيَسَ): "و(ليس): أصله لا أَيْسَ، والأَيْسَ: اسم للموجود، فإذا قيل: (لا أَيْسَ) فمعناه لا موجود ولا وجود، ثمَّ كثر استعماله، فحُذفت الهمزة، فالتقى ساكنان أحدهما: أَلِف (لا)، والثَّاني: (ياء ليس) فحذفت الألف، فبقي (ليس)، وهي كلمة نفي لما في الحال، ويوضع موضع (لا)"^(٥).
جاء في (لسان العرب): "قال اللَّيْثُ: (أَيْسَ) كلمةٌ قد أُميتت إلا أنَّ الخليل ذكر أنَّ العرب تقول: (جيء به من حيثَ أَيْسَ)، و(ليس) لم تستعمل (أَيْسَ) إلا في هذه الكلمة، وإنَّما معناها كمعنى حيث هو في حال الكينونة والوجود وقال: إنَّ معنى (لا أَيْسَ)؛ أي: لا وُجِدَ"^(٦).

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّأغب الأصفهانيِّ، (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق:

مركز الدِّراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د. ق)، (د. ط)، (د. ت)، ج ١، ص ٧-٨.

(٢) أمالي ابن الشَّجريِّ: ٣٩١/١.

(٣) التَّوبة: ٣٢/٩.

(٤) انظر: روح المعاني للألوسي: ١٦٨/١٥.

(٥) مجمع الأمثال للميداني: ٤٣٦/١.

(٦) لسان العرب: ١٩٠/١.

وهي فعل ماضٍ ناسخ جامد من أخوات كان تدخل على الجملة الاسميّة وتتفي مضمونها، وهي عند ابن هشام كلمة دالّة على نفي الحال وتتفي غيره بالقرينة، نحو: ليس خَلَقَ اللهُ مثله^(١). وذكر ابن يعيش أنّ المبرّد أجاز نفي المستقبل بها^(٢)، ويقول ابن عقيل ما خلاصته: "ومعنى (ليس): النَّفي، وهي عند الإطلاق لنفي الحال... هذه الأفعال على قسمين: أحدهما: ما يتصرّف، والثاني: ما لا يتصرّف، وهو: ليس ودام"^(٣).
وكونها فعلاً لا يتصرّف، هذا مذهب الجمهور، ودليل فعليّتها: اتّصال الضمائر المرفوعة البارزة بها، واتّصال تاء التّأنيث^(٤).

اختلف النُّحاة في (ليس) أهي فعل أم حرف؟ ذهب سيبويه إلى أنّها فعل، يقول: "لأنّ (ليس) فعل"^(٥). وذهب ابن السّراج، والفارسيّ في أحد قوليه، وجماعة من أصحابه، إلى أنّها حرف^(٦)، وقال صاحب (رصف المباني): "(ليس) ليست محضة في الفعلية، ولا محضة في الحرفية، ولذلك وقع الخلاف بين سيبويه والفارسيّ"^(٧).
وأفضل ما يُقال في (ليس) أنّها إذا وُجد فيها شيء من خواصّ الأفعال كانت فعلاً، وإذا لم يوجد فيها خاصية من خواصّ الأفعال كانت حرفاً.

ولا تُستعمل (ليس) إلّا ناقصة؛ أي: لا تكتفي بمرفوعها بل تحتاج معه إلى منصوب^(٨). وجعل المرادي لـ(ليس) أربعة أقسام: الأوّل: أن تكون من أخوات كان، والثاني: أن تكون من أدوات الاستثناء، ويجب نصب المستثنى بها، نحو: قام القوم ليس زيداً، والثالث: أن تكون مهملة، لا عمل لها، وذلك في نحو: ليس الطيب إلّا المسك، عند بني تميم، فإنّ (إلّا) عندهم تبطل عمل (ليس)، كما تبطل عمل (ما) الحجازية، والرابع: أن تكون حرفاً عاطفاً على مذهب الكوفيّين، مثل: قام زيدٌ ليس عمرو^(٩).

(١) مغني اللبيب: ٣/٣٥٣، وهذا المثال من أمثلة سيبويه التي مثل بها على دلالة (ليس) على نفي الماضي، والقرينة في الدلالة على نفي الماضي يحددها سياق الكلام مدحاً أو ذمّاً. انظر: الكتاب: ٧٠/١.

(٢) انظر: شرح المفصل: ٧/١١١ - ١١٢.

(٣) انظر: شرح ابن عقيل: ١/٢٦٨.

(٤) الجنى الدّاني: ٣٩٣، وشرح ابن عقيل: ١/٢٦٢.

(٥) الكتاب: ٢/٣٧.

(٦) انظر: الجنى الدّاني: ٤٩٤.

(٧) انظر: رصف المباني: ٣٦٨.

(٨) انظر: شرح ابن عقيل: ١/٢٧٩.

(٩) انظر: الجنى الدّاني: ٤٩٥ - ٤٩٦.

فأمّا كونها مِنْ أدوات الاستثناء، فهذا ما سأعرض له في حينه -بإذنه تعالى- في الفصل الأخير مِنْ هذه الرّسالة^(١)، وأمّا كونها مهملة فلم أقف في (الأصمعيّات) على ما يؤكد صحّة ما نُسب لبني تميم ولو بمثال واحد، وأمّا كونها مِنْ أخوات كان ترفع الاسم، وتنصب الخبر، فقد وردت كلّها في (الأصمعيّات) على هذه الشّاكلة عدا موضع واحد كانت فيه حرفًا عند دخولها على الفعل المضارع، هذا وقد اتّخذت (ليس) صورًا شتّى على النّحو الآتي:

أ-ورد اسمها ضميرًا مستترًا جوازًا تقديره هو، ومنه قول أسماء بنِ خَارجةَ: (الكامل)

لَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ نَافِعُهُ جِدُّ تَهَاوَنَ صَادِقَ الْإِرْبِ^(٢)

ب- ورد اسمها أو خبرها مضمراً:

قبل التمثيل على هذه المسألة مِنْ (الأصمعيّات) حبذا لو تأملتَ معي ما يقوله ابن هشام بهذا الخصوص، يقول: "(غير) اسم ملازم للإضافة في المعنى، ويجوز أن يُقطع عنها لفظًا إن فهم المعنى، وتقدّمت عليها كلمة (ليس)... ويقال: قبضتُ عشرة ليس غيرها، برفع (غير) على حذف الخبر؛ أي: مقبوضًا، وبنصبها على إضمار الاسم؛ أي: ليس المقبوضُ غيرها، و(ليس غير) بالفتح مِنْ غير تنوين على إضمار الاسم أيضًا، وحذف المضاف إليه لفظًا ونيةً ثبوته^(٣)، ومثال ذلك مِنْ (الأصمعيّات) قول أسماء بنِ خَارجةَ: (الكامل)

إِذْ لَيْسَ غَيْرَ مَنَاصِلٍ نَعَصًا بِهَا وَرِحَالِنَا وَرَكَائِبَ الرِّكْبِ^(٤)

التّقدير: ليس حالنا غيرَ مناصل نعصا بها؛ أي: نضرب بها كما نضرب بالعصا، ويجوز رفع (غير) على أنّها اسم (ليس)، وجملة (نعصا) خبر لها.

ت- ورد اسمها مضمراً:

عقد سيبويه بابًا بعنوان: "باب الإضمار في (ليس، وكان) كالإضمار في (إنّ)"، يقول سيبويه: "فمن ذلك قول بعض العرب: ليس خَلَقَ اللهُ مثله، فلولا أنّ فيه إضمارًا لم يجز أن تذكر الفعل ولم تُعمله في اسم، ولكنّ فيه الإضمار مثلما في (إنّه)"^(٥)، فالإضمار يحصل بدخول (ليس) على الفعل.

(١) انظر: ص ٤٣٠ - ٤٠٤ من هذا البحث.

(٢) الأصمعيّات: ص ٥٦، رقم ٢٩، الأرب: الخديعة عند الحاجة.

(٣) مغني اللبيب: ٤٥٣/٢ - ٤٥٤.

(٤) الأصمعيّات: ص ٥٥، رقم ٢٥، مناصل؛ أي: سيوف مشحودة.

(٥) الكتاب: ٧٠/١.

ث- وردت (ليس) حرف نفي حين دخلت على جملة مبدوءة بالفعل المضارع المبني للمجهول، وأفادت نفي مضمونها، ولم تعمل فيما بعدها، يقول صاحب (رصف المباني): "والَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ فِيهَا، إِذَا وُجِدَتْ بِغَيْرِ خَاصِيَّةٍ مِنْ خَوَاصِّ الْأَفْعَالِ، وَذَلِكَ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ، أَنَّهَا حَرْفٌ لَا غَيْرَ، كَمَا (مَا) النَّافِيَةُ"^(١). وبذلك تجده يخالف رأي سيبويه في هذه المسألة. هذا ويمكن التمثيل على قول سيبويه، وقول صاحب (رصف المباني) بمثال واحد ووحيد ورد في (الأصمعيّات)، هو قول السَّمَوَعَلِ بْنِ عَادِيَاءَ: (الخفيف)

لَيْسَ يُعْطَى الْقَوِيُّ فَضْلًا مِنَ الرَّزِّ قِ وَلَا يُحْرَمُ الضَّعِيفُ الْخَتِيبُ^(٢)

إذا دخلت (ليس) على الجملة الفعلية فإنها تصبح غير عاملة، يقول ابن هشام عنها: "وتلازم رفع الاسم ونصب الخبر، وقيل: قد تخرج عن ذلك في مواضع: أحدها: أن تكون حرفاً ناصباً للمستثنى بمنزلة (إلا)، والثاني: أن يقترن الخبر بعدها بـ(إلا) نحو: ليس الطيب إلا المسك، والثالث: أن تدخل على الجملة الفعلية أو على المبتدأ والخبر مرفوعين، والرابع: أن تكون حرفاً عاطفاً، أثبت ذلك الكوفيون"^(٣).

ج- جاء خبرها شبه جملة مقدّماً على اسمها:

اختلف النحويون في جواز تقديم خبر (ليس) عليها فذهب الكوفيون والمبرد والرجاج وابن السراج وأكثر المتأخرين ومنهم ابن مالك إلى المنع، وذهب أبو عليّ الفارسيّ إلى الجواز^(٤). ويؤكد الاستعمال العربيّ في (الأصمعيّات) وغيرها رأي أبي عليّ الفارسيّ، حيث ورد خبرها شبه جملة مقدّم على اسمها في ستة مواضع، من ذلك قول الأسعريّ الجعفيّ: (الكامل)

وَمِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةٌ مَرْوُودَةٌ غَبْرَاءُ لَيْسَ لِمَنْ تَجَشَّمَهَا هُدَى^(٥)

وقوله في القصيدة نفسها:

كَأَفْتُ نَفْسِي حَدَّهَا وَمِرَاسَهَا وَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ غِنَى^(٦)

ومنه قول دؤسر بن دُهَيْلِ الْفُرَيْعِيِّ: (الطويل)

(١) رصف المباني: ٣٦٩.

(٢) الأصمعيّات: ص ٩٩، رقم ١٦، الفصل: الزيادة. وأخت الله حظه: أحسّه.

(٣) انظر: مغني اللبيب: ٥٥٦/٣ - ٥٦٥.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل: ٢٧٧/١ - ٢٧٨.

(٥) الأصمعيّات: ص ١٦١، رقم ٣١، لَيْلَةٌ مَرْوُودَةٌ: مفزعة. وتجشّمها: تكلف وتحمل مشقتها.

(٦) نفسه: ص ١٦١، رقم ٣٢، حَدَّهَا: شدتها وصعوبتها. وميراسها: شدة معالجتها.

وَأَرْمِي الَّذِي يَزْمُونُ عَنْ قَوْسٍ وَلَيْسَ عَلَى مَوْلَايَ حَدِّي وَلَا عَهْدِي ^(١)

ح- وكثيراً ما يدخل على خبرها حرف الجرّ الزائد (الباء):

ذكر المرادي ^(٢) ستة مواضع تُزاد فيها الباء: منها: أن تُزاد في الخبر، وزيادتها فيه ضربان: مقبسة، وغير مقبسة، فالمقبسة في خبر (ليس) و(ما) أختها نحو، قوله- تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ...﴾ ^(٣)، و﴿... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٤)، في (الأصمعات) أحصيتُ تسعة مواضع زيدت فيها الباء الزائدة في خبر (ليس) منها قول عديّ بن رَعْلَاءَ الغَسَّانِي ^(٥): (الخفيف)

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءِ ^(٦)

ومنه قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

كَمَلَقَى عِظَامٍ أَوْ كَمَهْلَكَ سَالِمٍ وَلَسْتَ لِمَيِّتٍ هَالِكٍ بِوَصِيلٍ ^(٧)

ومنه قول سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ: (الطَّوِيل)

فَعَزَّتْنَا لَيْسَتْ بِشِعْبٍ بِحَرَّةٍ وَلَكِنَّهَا بَحْرٌ بِصَحْرَاءَ فَيَهَقُ ^(٨)

ومنه قول عَلْبَاءِ بْنِ أَرْقَمِ بْنِ عَوْفٍ: (الطَّوِيل)

وَإِنَّ يَدَ النَّعْمَانِ لَيْسَتْ بِكَرَّةٍ وَلَكِنْ سَمَاءٌ تُمْطِرُ الْوَيْلَ وَالْدَيْمِ ^(٩)

(١) نفسه: ص ١٦٨، رقم ٨، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة: "يريد بالمولى: القريب أو الحليف. والحدّ:

الحدّة والغضب. يقول: إنّه ينصر قومه، ولا يريد منهم مناصرة على ما ينويه من الحقوق".

(٢) انظر: الجنى الدّاني: ٥٣ - ٥٤.

(٣) الرُّمَر: ٣٦/٣٩.

(٤) فُصِّلَتْ: ٤٦/٤١.

(٥) عديّ بن رَعْلَاءَ الغَسَّانِي: شاعر جاهليّ قديم، له شعر في يوم حلّيمة، ومنه هذا البيت، اشتهر بالانتساب إلى

أمّه رَعْلَاءَ؛ وهي في الأصل النّاقة التي تُقَطَّعُ مِنْ أُنْهَاهَا قِطْعَةٌ، كان قبل الإسلام بنحو ثلاثمائة سنة. انظر:

معجم الشعراء: ٢٥٢، وشرح الحماسة للشّننمريّ: ١/١٠٩، وشرح أبيات مغني اللّبيب: ٣/١٨٩.

(٦) الأصمعيّات: ص ١٦٩، رقم ٥.

(٧) نفسه: ص ٨٨، رقم ٣، ملقى، ومهلك: كلاهما مصدر ميميّ. عظام: اسم رجل. بوصيل: تدعو له، تقول: لا

أصابك ما أصابهما.

(٨) نفسه: ص ١٥٣، رقم ٣٠، الحرّة: الأرض ذات الحجارة السّود. وفهيق: واسعة.

(٩) نفسه: ص ١٧٧، رقم ١٩، كزّة: منقبضة. الويل: المطر الشّديد الوقع.

خ- ووردت الكاف الزائدة في خبر (ليس) مرة واحدة فقط، هي قول حَجَلِ بْنِ نَضَلَةَ: (الكامل)

أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ الْمُمَزَّقِ آيَةً عَنِّي فَلَسْتُ كَبَعْضِ مَا يَتَقَوَّلُ^(١)

يقول المرادي: "واعلم أَنَّ الكاف، التي هي حرف جر، قسمان: زائدة، وغير زائدة، وأما الكاف الزائدة فقد وردت في النَّثْرِ والنَّظْمِ، وزيادتها في كلام العرب غير قليلة، فمن النَّثْرِ قوله - تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، فالكاف هنا زائدة، عند أكثر العلماء"^(٣).
د- وردت هي واسمها وخبرها معترضة بين فعل الشَّرْطِ وجوابه كما في قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ: (البيسط)

إِنْ لَا يُفَيْقُوا وَلَيْسُوا فَاعِلِينَ أُدِقْ مِنْهُمْ سِنَانِي بِمَا لَمْ يُحْرِمُوا رَجَبًا^(٤)

الثَّانِي: أَبِي

سبقت الإشارة إلى أَنَّ ابن الشَّجَرِيِّ^(٥) عدَّ (أبي) من ألفاظ النَّفْيِ الصَّدْرِيحِ، وهي بمعنى: (لم يُرد)، ومثَّل لها من القرآن الكريم، وفي (الأصمعيَّات) ورد هذا اللَّفْظُ ست مرَّات، واتَّخَذَ صورتين: إحداهما: ورد فعلاً ماضياً ثلاث مرَّات، والأخرى ورد فعلاً مضارعاً مرَّتين، يتمثَّل ذلك في قول عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ: (الطَّوِيل)

أَبِي الْخَفْضِ مَنْ يَغْشَاكَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَوْدَاءِ الْمَعَاصِمِ تَعْتَرِي^(٦)

التَّقْدِير: لم يُرد خفض العيش والدَّعة مَنْ يطرقك مِنْ أَقْرَبَائِكَ، منه قول ضابئِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَرْطَاةِ الْبُرْجُمِيِّ: (الطَّوِيل)

عَشِيْتُ لِلْيَأَى رَسْمَ دَارٍ وَمَنْزِلًا أَبِي بِاللَّوَى فَالْتَّبَرِ أَنْ يَتَحَوَّلَا^(٧)

(١) الأصمعيَّات: ص ١٥٥، رقم ١.

(٢) الشُّورَى: ١١/٤٢.

(٣) الجنى الدَّانِي: ٨٣، ٨٧.

(٤) الأصمعيَّات: ص ٦٠، رقم ٢٣، لا يفيقوا؛ أي: ممَّا يفعلون معي مِنْ أفعال سيئة. ويحرموا رجباً؛ أي: رجب المحرَّم.

(٥) انظر: ص ٢٥٤ من هذا الفصل.

(٦) الأصمعيَّات: ص ٤٩، رقم ١١، والمعنى: أبي هذا الَّذِي تريد من خفض العيش والدَّعة مَنْ يغشاك مِنْ ذوي القربى أو الفقراء. وسوداء المعاصم تعترى؛ أي: أنَّها جهدت من الهزال والجهد.

(٧) نفسه: ص ١٩٧، رقم ١ (الزيادات من الكتابين)، رسم الدَّار: ما لصق بالأرض من آثارها. واللَّوى والتَّبَر: موضعان.

التقدير: لم يُرد رسم الدار أن يتحوّل، منه قول أعشى بأهله يرثي أخاه لأمه، واسمه: عامر بن الحارث: (البيسط)

أخو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيَسْأَلُهَا يَا بِي الظَّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفِلُ الزَّفْرُ^(١)

جاء (في اللسان): "وقوله: (منه) مؤكدة للكلام، والمعنى يَأبِي الظَّلَامَةَ؛ لَأَنَّهُ النَّوْفِلُ. الزَّفْرُ والزَّفِيرُ: الدَّاهِيَةُ"^(٢)، والتقدير: لم يُرد الظَّلَامَةَ؛ لَأَنَّهُ النَّوْفِلُ الزَّفْرُ، منه قول عبد الله بن جِنحِ النُّكْرِيِّ: (الكامل)

مِنْ مَعْشَرِ يَأْبَى الْهَوَانَ أَخُوهُمْ شَمُّ الْأَنْوْفِ جَحَاجِحِ سَادَاتِ^(٣)

المطلب الرابع: الأسماء التي تُستخدم في النَّفْيِ الصَّرِيحِ

أما (غير)، فسيتمُّ تناولها هنا بشيء من التفصيل على اعتبار أنها أداة من أدوات النَّفْيِ، وليس كأداة استثناء، فهي على عدة وجوه كما ذكر الرَّاعِبُ الأصفهاني^(٤): الأوَّل: أن تكون للنَّفْيِ المجرَّد من غير إثبات معنى به، نحو: مررت برجل غير قائم؛ أي: لا قائم، ومثَّل له بقوله - تعالى: ﴿... وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٥)، والثَّانِي: بمعنى (إِلَّا) فيسْتَنْتِي به، وتوصف به النَّكْرَةُ، كقولك: مررت بقوم غير زيد؛ أي: إِلَّا زَيْدًا، والثَّالِث: لنفي صورة من غير مادتها، نحو: الماء إذا كان حارًّا غيره إذا كان باردًا، وقوله - تعالى: ﴿... كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا...﴾^(٦)، والرَّابِع: أن يكون ذلك متناوِلًا لذات، ومثَّل له بقوله - تعالى: ﴿... فَالْيَوْمَ تُجْرَزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾^(٧)؛ أي: الباطل^(٨).

ما يهمُّ البحث هنا الوجه الأوَّل من وجوه (غير) وهي أن تكون للنَّفْيِ المجرَّد، ومن خلال الأمثلة التي مثَّل بها الرَّاعِبُ الأصفهاني على (غير) أداة من أدوات النَّفْيِ يتَّضح أن (غير) اسم

(١) نفسه: ص ١٠٣، رقم ١٧، النّوْفِل: العزير الذي يدفع عنه الضّيم. والرّافرة: أنصاره الذين ينصرونه. والرّغائب: العطايا الكثيرة.

(٢) لسان العرب: ١٨٤٢/٣ (زفر).

(٣) الأصمعيّات: ص ١٢٩، رقم ٥، شَمُّ الأنوف: كناية عن الرّفعة والعلوّ وشرف النّفس. والججاج: السيّد الكريم.

(٤) الرَّاعِبُ الأصفهانيّ: هو الحسين بن محمّد، أبو القاسم: أديب من الحكماء العلماء، من أئمّة السّنة، اشتهر حتّى كان يُقرن بالإمام الغزاليّ، له مؤلّفات كثيرة، ومنها: (المفردات في غريب القرآن)، اختلّف في تاريخ وفاته اختلافاً شديداً، وأقرب الروايات إلى الصّواب أنّه توفّي سنة اثنتين وخمسمائة من الهجرة. انظر: بغية الوعاة: ٢٩٧/٢، والأعلام: ٢٥٥/٢.

(٥) الرّخرف: ١٨/٤٣.

(٦) النّساء: ٥٦/٤.

(٧) الأحقاف: ٢٠/٤٦.

(٨) انظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٧٦/١.

يفيد نفي الاسم الواقع بعده، ويعرب حسب موقعه في الجملة، وهو مضاف وما بعده مضاف إليه مجرور دائماً.

مِنَ النُّحَاةِ الَّذِينَ تَحَدَّثُوا عَنْهَا كَأَدَاةٍ مِنْ أَدَوَاتِ النَّفِيِّ ابْنِ الشَّجَرِيِّ الَّذِي يَقُولُ: "وَمِنْ أَدَوَاتِ النَّفِيِّ (غَيْرِ)؛ لِأَنَّهَا لِلْمَخَالَفَةِ، فَهِيَ نَقِيضُ (مِثْلِ)، تَقُولُ: جَاءَنِي رَجُلٌ مِثْلَكَ؛ أَيْ: يَشَابِهُكَ، وَرَجُلٌ غَيْرُكَ؛ أَيْ: يَخَالَفُكَ"^(١)، وَيَقُولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: "فَجَرَّتْ؛ لِذَلِكَ مَجْرَى حَرْفِ النَّفِيِّ... حَيْثُ أَفَادَ قَوْلُكَ: غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَيْدٍ، مَا يَفِيدُهُ قَوْلُكَ: مَا يُؤَسِّفُ عَلَى زَيْدٍ"^(٢)، وَوَأَفَقَهُ ابْنُ هِشَامٍ بِقَوْلِهِ: "لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى النَّفِيِّ"^(٣)، وَاعْتَبَرَ ابْنَ مَالِكٍ أَنَّ مَعْنَى النَّفِيِّ الَّذِي تَحْمِلُهُ (غَيْرِ) فِي مَرْتَبَةِ دُونَ مَرْتَبَةِ النَّفِيِّ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ (مَا، وَلَا، وَلَيْسَ)، حَيْثُ قَسَمَ النَّفِيُّ إِلَى: نَفْيِ مُحَضٍّ؛ وَهُوَ مَا يُدَلُّ عَلَيْهِ بِمَا وُضِعَ لِمَجْرَدِ النَّفِيِّ، كَمَا فِي الْأَحْرَفِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَالنَّفْيِ الْمُؤَوَّلِ؛ وَهُوَ مِمَّا لَهُ مَسْمَى يَقْرَبُ مِنْ مَعْنَى النَّفِيِّ، فَيُقَامُ مَقَامَهُ نَحْوَ (غَيْرِ)^(٤).

فِي الدَّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْحَدِيثَةِ اعْتَبَرَ (بِرَجِشْتِرَاسِرِ)^(٥) (غَيْرِ) مِنْ الْأَدَوَاتِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي النَّفِيِّ، وَذَكَرَ^(٦) دَلِيلَيْنِ عَلَى ذَلِكَ، الْأَوَّلُ: أَنَّ (غَيْرِ) اسْمٌ مَعْنَاهُ مُخْتَلَفٌ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي أُضِيفَتْ إِلَيْهِ، فَالشَّيْءُ الْمَوْصُوفُ بِهَا لَيْسَ بِالشَّيْءِ الْمُضَافِ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى النَّفِيِّ، وَالثَّانِي: عَطْفُ (لَا) عَلَيْهَا بِالْوَاوِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى: ﴿...غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٧).

هَذَا وَوَرَدَتْ (غَيْرِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ تَفِيدُ مَعْنَى النَّفِيِّ، مِنْ أَمْتَلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾^(٨)، عَلَّقَ الزَّمَخْشَرِيُّ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: "لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ وَإِنْ بَالِغٍ فِي الطَّاعَةِ وَالْاجْتِهَادِ أَنْ يَأْمَنَهُ"^(٩). هَذَا وَوَرَدَتْ (غَيْرِ) فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) تَحْمِلُ مَعْنَى النَّفِيِّ تِسْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً، مِنْهَا قَوْلُ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ الْعَنَوِيِّ: (الطَّوِيلِ)

(١) أمالي ابن الشَّجَرِيِّ: ٣٩١/١.

(٢) نفسه: ٤٨/١.

(٣) انظر: مغني اللبيب: ٤٦٦/٢.

(٤) شرح التسهيل: ٣٢/٤.

(٥) برجشتراسر: مستشرق ألماني مشهور، نال درجة الدكتوراه من جامعة (ليبيج) برسالته عن (استعمال حروف النفي في القرآن الكريم)، درس اللهجات في الوطن العربي، وعمل في الجامعة المصرية، لقي حتفه عام اثنين وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية. انظر: مقدمة كتاب التطور النحوي للغة العربية: ٣-٤.

(٦) انظر: التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، (ت: ١٩٣٢م)، أخرجه وصممه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٤هـ، ص ١٧١.

(٧) الفاتحة: ٧/١.

(٨) المعارج: ٢٨/٧٠.

(٩) الكشاف: ٢٠٩/٦.

وَمَاءَ سَمَاءٍ كَانَ غَيْرَ مُخْمَرٍ بِبَرِّيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جُنُوبٌ^(١)

ورد في (هامش الأصمعيّات المصريّة): "مخمر: غير مغطّى، وذلك أنفى لفساده"^(٢)، وجاء في رواية كتاب (الاختيارين): "غير محمّة؛ أي: من شرب منه لم تصبه حمى"^(٣). فكل ذلك يدلُّ على أنّ (غير) نافية، ومنه قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطَّوِيل)

طِعَانَ امْرِئٍ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْلَدٍ^(٤)

وقوله في قصيدة أخرى على البحر نفسه:

تَكُرُّ عَلَيْهِمْ رِجْلَتِي وَفَوَارِسِي وَأُكْرَهُ فِيهِمْ صَعْدَتِي غَيْرَ نَاكِبٍ^(٥)

وقول سلامة بن جندل: (الطَّوِيل)

تَرْكْنَا بُجَيْرًا حَيْثُ مَا كَانَ جَدُّهُ وَفِينَا فِرَاسٌ عَائِيًا غَيْرَ مُطْلَقٍ^(٦)

وقول الممزرّق العبديّ: (الطَّوِيل)

وَنَاجِيَةٍ عَدِيَّتٍ مِنْ عِنْدِ مَاجِدٍ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ سُخْطٍ مُفَرَّقٍ^(٧)

(من غير سخط): بلا سخط، وعند حديثه عن: "جئت بلا زاد"، نسب صاحب (شرح التصريح) للكوفيّين أنّ (لا) هنا اسم بمعنى (غير)، وأنّ الخافض دخل عليها نفسها، وأنّ ما بعدها خفض بالإضافة^(٨)، جاءت (لا) بمعنى (غير) في (الأصمعيّات)، منه قول امرئ القيس: (السريع)

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ^(٩)

(١) الأصمعيّات: ص ١١٣، رقم ٤٤٤.

(٢) (هامش) الأصمعيّات المصريّة: ٩٧.

(٣) كتاب الاختيارين: ٧٥٨.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٢٢، رقم ٢٢.

(٥) نفسه: ص ١٢٦، رقم ٧، قوم رحلة؛ أي: رجّالة، جمع راجل، وهو الذي يحارب على رجليه. وأكرهه فيهم صعّدتي: أدخل فيهم رمحي بقوة. جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ١١٢: "غير ناكب؛ أي: صائبة لا تعدل عن أجسادهم، وقيل ليس عادلاً عنهم".

(٦) نفسه: ص ١٥٢، رقم ٢٧، بجير وفراس: ابنا أبي عبد الله بن سلمة. عانيا: أسيرًا.

(٧) نفسه: ص ١٨٣، رقم ٣، النّاجية: النّاقة السريعة. الماجد: الشريّف.

(٨) انظر: شرح التصريح على التّوضيح: ٣٥٢/١.

(٩) الأصمعيّات: ص ١٤٥، رقم ١٠، وفي (ديوانه) ص ١٤١: "المستحقب: الحامل للإثم. والواعل: الآثم.

كَأَنَّهُ قَالَ: غَيْرِ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَغَيْرِ وَاغِلٍ، وَجَاءَتْ (غَيْرِ) وَ(لَا) إِحْدَاهُمَا بِمَعْنَى الْأُخْرَى، وَعُطِفَتْ (لَا) بِالْوَاوِ عَلَى غَيْرِ، مِثَالَهُ قَوْلُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ: (الكَامِل)

وَيَغْيِرُ مَعْرِفَةً وَلَا نَسَبٍ أَنِّي وَشَعْبُكَ لَيْسَ مِنْ شَعْبِي^(١)

التَّقْدِيرُ: بِلَا مَعْرِفَةٍ، هُنَا عُطِفَ الْمَنْفِيُّ عَلَى الْمَنْفِيِّ بِحَرْفِ الْعُطْفِ الْوَاوِ، مِنْهُ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ: (الْمَنْسَرِح)

إِنِّي لِأَهْوَاكَ غَيْرَ كَاذِبَةٍ قَدْ شُفَّ مَنِّي الْأَحْشَاءُ وَالشَّعْفُ^(٢)

وَمِنْهُ قَوْلُ سَوَّارِ بْنِ الْمُضَرَّبِ: (الْوَاوِ)

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمِي وَبِالْغَرْبِ اغْتَرَابٌ غَيْرُ دَانَ^(٣)

وَمِنْهُ قَوْلُ حُفَّافِ بْنِ نُذْبَةَ: (الطَّوِيلِ)

طَوِيلِ عِظَامٍ غَيْرِ خَافٍ نَمَى بِهِ سَلِيمُ الشَّظَا فِي مُكْرَبَاتِ الْمُطَبَّقِ^(٤)

– أَلْفَاظٌ مَنْفِيَّةٌ اسْتُعْمِلَتْ فِي الدُّعَاءِ:

اسْتُعْمِلَتْ أَلْفَاظٌ مَنْفِيَّةٌ بـ(لَا) وَسُمِعَتْ عَنِ الْعَرَبِ، مِنْهَا: فَلَا يَبْعُدُ، وَلَا عَاشٌ، وَلَا أَنَا مَوْلَاهُمْ، وَلَا خَيْرٌ، وَلَا أَنْسَى... جَاءَ فِي (اللِّسَانِ): "اللَّهُ أَبْعَدَهُ: دُعَاءٌ عَلَيْهِ"^(٥)، مِنْ أُمَّتِهِ فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) قَوْلُ الْأَسَدِيِّ يَجِيبُ يَزِيدُ بْنُ الصَّدِّعِ: (الطَّوِيلِ)

فَلَا يَبْعُدُ اللَّهُ الْيَمِينَ الَّتِي بِهَا بِرَأْسِكَ سَيْمًا الدَّهْرُ مَا لَمْ تَقْنَعِ^(٦)

وَمِنْهُ قَوْلُ صَخْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ: (الطَّوِيلِ)

فَأَيُّ امْرِيٍّ سَاوَى بِأُمِّ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانِ^(٧)

(١) نفسه: ص ٥٥، رقم ٢٨.

(٢) نفسه: ص ٢١٨، رقم ١٦ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكِتَابِينَ)، أَرَادَ غَيْرَ ذِي كَذِبٍ. وَالشَّعْفُ: غِلَافُ الْقَلْبِ.

(٣) نفسه: ص ٢٤٢، رقم ٤٠ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكِتَابِينَ).

(٤) نفسه: ص ٢٦، رقم ١٧، غَيْرِ خَافٍ: غَيْرِ مُتَبَاعِدٍ؛ يَرِيدُ أَنَّ هَذَا الْفَرَسَ يَنْتَمِي إِلَى أَبِي كَرِيمٍ؛ أَيُّ: أَنَّهُ ظَاهِرٌ بَيْنَ الْخَيْلِ.

(٥) لِسَانُ الْعَرَبِ: ١/١٦٨ (أَوْب).

(٦) الْأَصْمَعِيَّاتُ: ص ١٦٣، رقم ٢، الْيَمِينُ: الْيَدُ الْيَمْنَى. وَالسَّيْمَا: الْعَلَامَةُ. تَقْنَعُ: تَغْشَى بِثَوْبٍ أَوْ بِسِلَاحٍ؛ يَرِيدُ: تَرَكْتَ تِلْكَ الْيَدَ أَثْرًا لَا يَخْفِيهِ إِلَّا النَّقْنَعُ.

(٧) نفسه: ص ١٦٤، رقم ٣، الْحَلِيلَةُ: الزَّوْجَةُ. وَالشَّقَا: الشَّقَاءُ. وَالْهَوَانُ: الْخِزْيُ.

ومنه قول المُرَّقِ العَبْدِيِّ: (الطَّوِيل)

فَلَا أَنَا مَوْلَاهُمْ وَلَا فِي صَحِيفَةٍ كَفَلْتُ عَلَيْهِمُ وَالْكَفَالَةَ تَعْتَقِي^(١)

أراد: فلا جعلني الله مولى لهم، فهو دعاء باستخدام أسلوب النفي، منه قول ضابئ بن الحارث: (الطَّوِيل)

فَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تُثُوبُ^(٢)

ومنه قول سَوَّارِ بنِ الْمُضَرَّبِ: (الوافر)

فَلَا أَنَسَى لِيَالِي بِالْكَئِنْدَى فَنِينٌ وَكَلُّ هَذَا الْعَيْشِ فَنَانُ^(٣)

هذا مِنْ قَبِيلِ الدُّعَاءِ؛ أَي: لَا أَنَسَانِي اللهُ تِلْكَ اللَّيَالِي.

(١) نفسه: ص ١٨٥، رقم ٢٠ (الزِّيَادَاتِ مِنَ الْكُتَابِينَ)، تَعْتَقِي: تَحْتَبِسُ؛ يَرِيدُ أَنَّ الْكِفَالََةَ تَحْبِسُ صَاحِبَهَا عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا كَفَلَ.

(٢) نفسه: ص ٢٠٢، رقم ٥ (الزِّيَادَاتِ مِنَ الْكُتَابِينَ)، نَائِبَاتِ الدَّهْرِ: حَوَادِثُهُ وَنَوَازِلُهُ.

(٣) نفسه: ص ٢٣٨، رقم ٥ (الزِّيَادَاتِ مِنَ الْكُتَابِينَ). الْكُئِنْدَى: اسْمُ مَوْضِعٍ.

المبحث الثاني: النفي الضمني

من أقسام النفي: النفي الضمني، أو ما يُعرف لدى النحاة: بالنفي غير الصريح، وهو ضرب من ضروب النفي، وغالبًا ما يكون بغير أدوات النفي المعروفة التي سبق التعرف عليها في الصفحات السالفة، ويحدث هذا النوع من النفي بأحد الأساليب التي يُشتمُّ فيها رائحة النفي كالاستفهام، والاستثناء، والشرط، وكلُّ أسلوب له أدواته التي قد تدلُّ على النفي وتعطي معناه.

عن الفرق بين النفي الصريح وغير الصريح يقول السامرائي: "فإنَّ النفي الصريح إقرار من المخبر، فإذا قال - تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^(١)، هذا إخبار من المتكلم، وأمَّا إذا قال ذلك بطريق الاستفهام فإنَّ المقصود اشتراك المخاطب في الأمر، فهو يريد الجواب منه، كأن يقول: لا، ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، فالنفي ابتداءً يفيد أنَّ المتكلم يقول الأمر من نفسه، وأمَّا في الاستفهام فإنَّه يدع ذلك للمخاطب ليقوله"^(٢).

يشمل هذا المبحث مطلبين: الأول: أساليب تحمل معنى النفي، والآخر: ألفاظ تحمل معنى النفي أيضًا.

المطلب الأول: الأساليب التي تتضمن معنى النفي

من الأساليب التي تحمل معنى النفي:

١ - أسلوب الاستفهام:

أسلوب لا يُراد به طلب الفهم وإنما يخرج عن معناه الأصلي ليفيد معنى فرعيًا هو: النفي، ويُعرف بالقرائن، ومن سياق الحال الذي تدلُّ عليه جملة (ما)، يقول الزركشي: "قد يخرج الاستفهام عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام"^(٣).

من أمثلة الاستفهام الذي يحمل معنى النفي - وما أكثره - في القرآن الكريم قوله - تعالى: ﴿... وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾^(٤)، المعنى: لا يغفر الذنوب إلا الله.

علّق الزركشي على (من) الاستفهامية بقوله: "وهي التي أُشربت معنى النفي"^(٥)، وقوله - تعالى: ﴿... أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ...﴾^(٦)، علّق الزمخشوي: "الاستفهام في (أنؤمن) في معنى

(١) الرّحمن: ٦٠/٥٥.

(٢) انظر: معاني النحو: ٢٠٩/٤.

(٣) البرهان: ٣٢٨/٢.

(٤) آل عمران: ١٣٥/٣.

(٥) البرهان: ٤١١/٤.

(٦) البقرة: ١٣/٢.

الإنكار" (١)، وقوله - تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٢)، علّق الزركشي: "هذا نفي" (٣)، المعنى: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وعلّق أبو حيان الأندلسي على قوله - تعالى: ﴿...فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ...﴾ (٤) بقوله؛ أي: لا أحد يهدي من أضله الله" (٥).

يقسم الزركشي الاستفهام إلى قسمين: الأول: بمعنى الخبر، والآخر: بمعنى الإنشاء، والذي بمعنى الخبر ضربان: أحدهما: نفي، والآخر: إثبات، والوارد للنفي يسمّى: استفهام إنكار، والوارد للإثبات يسمّى: استفهام تقرير؛ لأنه يُطلب بالأوّل إنكار المخاطب وبالتالي إقراره به (٦).

هنا يكتفي الباحث بذكر مثال واحد على الاستفهام الذي غرضه النفي؛ لأنه كان قد تناول هذه الجزئية بشيء من التفصيل عند التعرّض للاستفهام في الفصل الثالث (٧)، من أمثله في (الأصمعيّات) قول عروة بن الرّود: (الطويل)

فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ جَزُوعًا وَهَلْ عَنَ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخَّرٍ (٨)

الجواب: ما عن ذلك من متأخر، فالغرض البلاغي من الاستفهام هو النفي.

٢ - أسلوب الاستثناء:

الاستثناء من الأساليب التي تُستخدم في جميع اللغات الإنسانيّة، وفي لغتنا العربيّة على وجه الخصوص؛ لأنه ما من قاعدة إلا ولها استثناءات.

تحدّث اللغويون والبلاغيون والنحاة عن الاستثناء، وفصلوا القول فيه، ورد في (معجم الكليات): "والاستثناء من النفي إثبات، كقولك: (ليس له على شيء إلا عشرة) فيلزمه عشرة، وبالعكس كقولك: (له على عشرة إلا خمسة) فيلزمه خمسة" (٩).

وليس من الضروري استباق الأمور، فقد خصّص الباحث فصلاً كاملاً لمناقشة كل ما يتعلّق بالاستثناء وذلك في الفصل الأخير (١٠) من هذه الرسالة بحوله - تعالى.

(١) الكشاف: ١/١٨٢.

(٢) الرّحمن: ٥٥/٦٠.

(٣) البرهان: ٢/٣٤٨.

(٤) الرّوم: ٣٠/٢٩.

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط: ٧/١٦٧.

(٦) البرهان: ٢/٣٢٨.

(٧) انظر: ص ١٨٢ من الفصل الثالث.

(٨) الأصمعيّات: ص ٤٧، رقم ٦.

(٩) الكليات؛ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق:

عدنان درويش، ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٤١هـ. ص ٩١.

(١٠) انظر: ص ٣٩٠ - ٤١٣ من البحث.

من الأدوات التي يُعتقد أنها تفيد النفي الضمني، خاصة إذا وردت في سياق الجملة الاستفهامية: (إلا، سوى، وغير)، فعندما نقول: نجح الطالب إلا طالباً، فإنك تثبت النجاح للطلاب كافة وتنفيه عن طالب واحد فقط، هو (المستثنى) من المجموعة الناجحة، ومن البديهيّات المعروفة، التي تحدت عنها النحاة أن (غير) و(سوى) تعاملان معاملة ما بعد إلا من حيث الإعراب، من هنا يتضح معنى النفي الضمني الذي يوحي به استخدام الألفاظ المذكورة في الاستثناء.

- خلا وعدا وحشا:

من الألفاظ التي يُشتمُّ فيها رائحة النفي الضمني: (خلا، وعدا، وحاشا)، ومما يؤكد صحة اعتقاد الباحث، ما ذكره ابن يعيش، حيث يقول عن (حاشا)، وهي أحد الحروف التي تحمل معنى الاستثناء: "يدخل في باب الاستثناء لمضارعة (إلا) بما فيه من معنى النفي، إذ كان معناه التنزيه والبراءة، ألا ترى أنك إذا قلت: قام القوم حاشا زيد، فالمراد أن زيدا لم يقم، فأدخل حرف الجرّ هنا في باب الاستثناء، إذ كان معناه النفي، كما أدخل (ليس) و(لا يكون) و(خلا) و(عدا) لما فيها من معنى النفي"^(١).

هذا ولم أقف في (الأصمعيّات) على أمثلة لهذه الأحرف الثلاثة سوى بيت شعريّ واحد ذُكرت فيه (خلا) واستُخدمت فعلاً ماضياً من الخلو^(٢)، وليس حرف استثناء، هو قول سلامة بن جندل: (الطويل)

لِمَنْ طَلَّلَ مِثْلُ الْكِتَابِ الْمُنْمَقِ خَلَا عَهْدُهُ بَيْنَ الصُّلَيْبِ فَمُطْرَقِ^(٣)

وسيتناول الباحث هذه الأحرف الثلاثة في موضعها عند الحديث عن الاستثناء في الفصل الأخير^(٤)، من هذه الرسالة بشيء من التفصيل بحول الله - تعالى.

٣- أسلوب الشرط المتضمن معنى النفي.

أسلوب الشرط سيتمّ تناوله بشيء من التفصيل بإذنه - تعالى - في الفصل القادم^(٥)، لكن لا بأس من الإشارة هنا إلى الجزئية التي طُرحت بشيء من الإيجاز ليكون ذلك بمثابة التمهيد الذي سيفتح به الباحث ظاهرة الجزاء من حيث كونها ظاهرة نحوية لها وزنها عند النحاة العرب.

(١) شرح المفصل: ٤٧/٨.

(٢) جاء في (لسان العرب) ١٢٥٦/٢: "يقال: هو خلو من هذا الأمر؛ أي: خال".

(٣) الأصمعيّات: ص ١٤٦، رقم ١، منمق: موشى محسن. والصليب: جبل. ومطرق: موضع. والطلل: ما شخص من آثار الديار.

(٤) انظر: ص ٤٠٢-٤٠٣ من البحث.

(٥) انظر: ص ٢٧٨ من هذا البحث وما بعدها.

من الأدوات المستخدمة فيه: (لولا، ولو)، ومن البديهي المتعارف عليه أنها تُستعمل غالباً كأدوات شرط غير جازمة، ولكي تتضح العلاقة بين (لا) كأداة نفي وبين أداتي الشرط (لو) و(لولا) لنأمل معاً شيئاً ممّا قاله النحاة بصددّها.

أ- لولا:

جعل صاحب (الأزهيّة) ل(لولا) أربعة مواضع: الأوّل: استفهاماً، بمعنى هلاً، كقولك: هلاً سألتنا، والثاني: جزاء، بمعنى امتناع شيء لأجل شيء أو وقوع شيء لأجل شيء، كقولك: لولا زيد لجنتك، والثالث: تكون للتّحضيض، كقولك: لولا فعلت كذا وكذا، والرابع: تكون (لولا) جحداً بمعنى (لم)، كقوله- تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ...﴾^(١)، معناه: لم تكن قرية آمنت عند نزول العذاب فنفعها إيمانها إلا قوم يونس^(٢).

أمّا كونها جحداً بمعنى (لم) فلم أقف على شيء من ذلك في (الأصمعيّات).

ب- لو:

يقول الهروي: "وأما (لا) فلتغيير الشيء عن حاله، فقولك: لو جنتي لأكرمتك، فيكون معناها: إنّ الإكرام انتفى لانتفاء المجيء فإن زدت عليها (لا)، فقلت: لولا زيد لأكرمتك، تغيّر المعنى الأوّل، فصار معناها أنّ الإكرام انتفى لحضور زيد"^(٣).

المطلب الثاني: ألفاظ متفرقة تتضمن معنى النفي

من الألفاظ التي تدلّ على معنى النفي غير الصّريح:

١- زال^(٤)، وبرح^(٥)، وانفك^(٦)، وفتى^(٧)، ومشتقاتها:

يسمّيها الزّمخشريُّ ب(المسبوقة بالنفي)، يقول عنها: "والتي أوائلها الحرف النّافي في معنى واحد وهو استمرار الفعل بفاعله في زمانه؛ ولدخول النّفي فيها على النّفي جرت مجرى (كان) في كونها للإيجاب"^(٨).

(١) يونس: ٩٨/١٠.

(٢) الأزهيّة في علم الحروف: ١٦٦-١٦٩.

(٣) نفسه: ١٦٢.

(٤) زال الشيء يزول زوالاً: فارق طريقته جانحاً عنه. انظر: المفردات: ١٨٧/١.

(٥) بَرِحَ بَرِحًا وَبُرُوحًا: زال، والبراح: مصدر قولك: بَرِحَ مكانه؛ أي: زال عنه، وصار في البراح. انظر: لسان العرب: ٢٤٥/١.

(٦) الفكك: التّفريج، وفكّ الرّهن: تخليصه، وفكّ الرّقبة: عتقها. انظر: المفردات: ٤٩٦/٢.

(٧) يقال: ما فتنّتُ أفعلاً كذا، وما فتنّتُ، كقولك: ما زلت. انظر: المفردات: ٤٨٢/٢.

(٨) المفصل: ٣٥٣/١.

يعلق ابن يعيش على كلام الزمخشري بقوله: "هذه الأفعال معناها النَّفْي، كُلُّهَا معناها خلاف النَّبَات، أَلَا تَرَى أَنَّ مَعْنَى (زَال): بَرِح، فَإِذَا دَخَلَ حَرْفُ النَّفْيِ نَفَى الْبِرَاح، فَعَادَ إِلَى النَّبَات"^(١). ويقسم ابن عقيل (كان وأخواتها) إلى قسمين: أحدهما يُشْتَرَطُ فِي عَمَلِهِ أَنْ يَسْبِقَهُ نَفْيٌ لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا أَوْ شَبَهَ نَفْيٍ وَهُوَ أَرْبَعَةٌ: زَال، وَبَرِح، وَفَتَىء، وَانْفَكَ^(٢).

يضع ابن عقيل شروطاً ثلاثة لجواز حذف حرف النَّفْيِ مِنَ الْأَفْعَالِ الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ، يَقُولُ: "وَاعْلَمْ أَنَّ شُرُوطَ جَوَازِ حَذْفِ حَرْفِ النَّفْيِ مُطْلَقًا ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَرْفُ (لَا)، وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَنْفِيُّ بِهِ مُضَارِعًا، وَالثَّلَاثُ: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي الْقِسْمِ"^(٣).

هذه الأفعال الأربعة عند اقترانها بنافٍ قبلها فإنها تفيد الإثبات؛ لأنَّ نَفْيَ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ، كَمَا وَرَدَ فِي مَعْجَمِ (المفردات): "(برح) و(زال) اقتضيا معنى النَّفْيِ، وَ(لَا) لِلنَّفْيِ، وَالنَّفْيَانِ يَحْصُلُ مِنْ اجْتِمَاعِهِمَا إِثْبَاتٌ"^(٤).

هذا ووردت (زال) في (الأصمعيّات) بمفردها دون أن تُسبَقَ بِنَافٍ، حَيْثُ وَرَدَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً، هِيَ قَوْلُ ضَابِئِ بْنِ الْحَارِثِ: (الطَّوِيل)

وَتَنْجُوا إِذَا زَالَ النَّهَارُ كَمَا نَجَا هَجَفَ أَبُو رَأْسَيْنِ رِيحَ فَأَجْفَلَا^(٥)

جاء في (لسان العرب) عن (زال): "وَقَلَّمَا يُتَكَلَّمُ بِهِ إِلَّا بِحَرْفِ النَّفْيِ"^(٦)، الْآنَ أَضْرِبُ أَمْتَلَةً عَلَى الْأَفْعَالِ الْأَرْبَعَةِ وَقَدْ سُبِقَتْ بِنَفْيٍ: أ- زَال: وَرَدَتْ (زال) أَوْ مَا اشْتَقَّ مِنْهَا مَسْبُوقَةٌ بِ(لَا) النَّافِيَةِ فِي (الأصمعيّات) سِتْ مَرَّاتٍ، مِنْهُ قَوْلُ دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطَّوِيل)

رَيْسُ حُرُوبٍ لَا يَزَالُ رَيْبِيَّةً مُشِيحًا عَلَى مُحَقِّقِ الصُّلْبِ مُلْبِدٍ^(٧)

وقول حَجَلِ بْنِ نَضَلَةَ: (الكامل)

(١) شرح المفصل: ١٠٦/٧.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل: ٢٦٣/١.

(٣) نفسه: ٢٦٥/١.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٥٣/١.

(٥) الأصمعيّات: ص ١٩٩، رقم ٢١ (الزيادات من الكتابين)، تتجو: تُسْرَع. وزال النَّهَارُ: ارْتَفَعَ. وَهَجَفَ مِنَ النَّعَامِ: الْجَافِيَ النَّقِيلِ الْكَثِيرِ الرَّيْشِ. وَالرَّأُلُ: وَلَدُ النَّعَامِ. وَرِيحٌ: دَخَلَ الْخَوْفَ.

(٦) لسان العرب: ١٩٠١/٣.

(٧) الأصمعيّات: ص ١٢٤، رقم ٣٢، الرَّيْبِيَّةُ: طَلِيْعَةُ الْجَيْشِ. جَاءَ فِي (الاختيارين) ص ٤١٣ - ٤١٤: "المحقوق: المحدودب. والمُشِيح: المحادر في لغة، والجادّ في لغة. والمُلبِد: الذي يضرب بدنّبه بوله وبعره على فخذة حتّى يصير عليه لبدة.

وَكَأَنَّ مَثْنِيَهُ حَصِيرٌ مُزْمَلٌ^(١) إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى طَرِيقِ لَاحِبٍ
وقول سَهْمَ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البيسط)

لَا يَتَّقِي وَهُوَ مِنِّي وَاقِفٌ كَتَبَا^(٢) مَنْ لَا يَزَلُ غَرَضًا أَرْمِي مَقَاتِلَهُ
وقول سَوَّارِ بْنِ الْمُضَرَّبِ: (الوافر)

وَإِنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حِفَاظٍ إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مُجَنِّ جَانٍ^(٣)
ووردت مسبوقة بـ(لم) مرّة واحدة، منه قول الْمُتَلَمَّسِ يَعَاتِبُ خَالَهُ الْيَشْكُرِيُّ: (الطويل)

إِذَا لَمْ يَزَلْ حَبْلُ الْقَرِينَيْنِ يَلْتَوِي فَلَا بُدَّ يَوْمًا لِلْقُصْوَى أَنْ تُجَذَّمَا^(٤)
في البيت شاهد آخر، يتمثل في ورود (لا) النافية للجنس حيث حُذِفَ خبرها، ووردت مسبوقة بـ(ما) مرّة واحدة، هي قول سَهْمَ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البيسط)

مَازِلْتُ أَحْبَسُ يَوْمَ الْبَيْنِ رَاحِلَتِي حَتَّى اسْتَمَرَّ وَأَذْرَتْ دَمْعَهَا سَرِيَا^(٥)
ب- برج: مثلها قول مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ: (الطويل)

فَمَا بَرِحُوا حَتَّى عَلَتْهُمْ كِتَابٌ إِذَا لَقَيْتُ أَقْرَانَهَا لَا تُعْرَدُ^(٦)
ت- انفك: مثلها الوحيد مِنْ (الأصمعيّات)، قول سَهْمَ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البيسط)

عَارِي النَّوَاهِقِ لَا يَنْفِكُ مُفْتَعِدًا فِي الْمُطْنِبَاتِ كَأَسْرَابِ الْقَطَا عُصَبَا^(٧)
ث- فتى: وردت مرّتين، هما قول مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ: (الطويل)

فَمَا فَتِنُوا حَتَّى رَأَوْنَا كَأَنَّا مَعَ الصُّبْحِ آدِيٍّ مِنَ الْبَحْرِ مُزِيدُ^(٨)

(١) نفسه: ص ١٥٦، رقم ٦، الطَّرِيقِ اللَّاحِبِ: الواضح الواسع. والمُرْمَلُ: المنسوج.

(٢) نفسه: ص ٦١، رقم ٢٦، الْغَرَضُ: الهدف الَّذِي يرمى إليه. وكثب الشّيء كَثْبًا: اجتمع.

(٣) نفسه: ص ٢٤٣، رقم ٤٤ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكِتَابَيْنِ)، الْمَجَنَّ: النَّرْسُ.

(٤) نفسه: ص ٢٤٦، رقم ١٦.

(٥) نفسه: ص ٥٧، رقم ٢، يَوْمَ الْبَيْنِ: يَوْمَ الْفِرَاقِ. وَأَذْرَفَتِ الدَّمْعُ: أرسلته. ودمع سَرَبٌ: سائل جارٍ.

(٦) نفسه: ص ٢١٣، رقم ١٤ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكِتَابَيْنِ)، لَا تُعْرَدُ: لا تُفْرَدُ.

(٧) نفسه: ص ٥٩، رقم ١٦، النَّاهِقَانِ: عَظْمَانِ شَاخِصَانِ فِي وَجْهِ ذِي الْحَافِرِ أَسْفَلَ مِنْ عَيْنَيْهِ. وَمُقْتَعِدًا: مَرْكُوبًا.

المطنّبات: اللواتي يتبع بعضها بعضًا في السّير. والقطا: ضرب من الطيور؛ أراد أنّ خيلهم كأسراب القطا في السرعة.

(٨) نفسه: ص ٢١٣، رقم ١٢ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكِتَابَيْنِ)، الْآدِي: الموج.

وقول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطَّوِيل)

فَمَا فَتَتُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغِيرَةً كَرِجِلِ الدَّبِيِّ فِي كُلِّ رَبْعٍ وَفَدَفَدٍ^(١)

٢ - لفظ (قليل):

مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَحْمِلُ مَعْنَى النَّفْيِ الضَّمْنِيَّ كَلِمَةٌ: (قليل)، جاء في معجم (المفردات) عند تفسير هذه الكلمة مِنْ قَوْلِهِ - تعالى: ﴿... قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ...﴾^(٢): "وَقَلِيلٌ يُعْبَّرُ بِهِ عَنِ النَّفْيِ، نَحْوُ: قَلَّمَا يَفْعَلُ فُلَانٌ كَذَا؛ وَلِهَذَا يَصِحُّ أَنْ يُسْتَنْتَى مِنْهُ عَلَى حَدِّ مَا يُسْتَنْتَى مِنَ النَّفْيِ، فَيُقَالُ: قَلَّمَا يَفْعَلُ كَذَا إِلَّا قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا، وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ"^(٣). وَيَقُولُ الْمَرْزُوقِيُّ: "وَاسْتُعْمِلَ لَفْظُ (الْقَلِيلِ) وَالْقَصْدُ إِلَى نَفْيِ الْكُلِّ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ قَلِيلٌ الْإِكْتِرَاتِ بَوْعِيدِ فُلَانٍ، وَالْمَعْنَى: لَا يَكْتَرُثُ... وَالْمَعْنَى مَعْنَى النَّفْيِ، وَلَيْسَ يُرَادُ بِهِ إِثْبَاتٌ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ"^(٤).

جاء في (مجمع الأمثال): "عند فلان كذب قليل؛ أي: هو الصدوق الذي لا يكذب، وإذا قالوا: (عنده صدق)، فهو الكذوب"^(٥)، ويقول التبريزي: "قلما يفيد النفي، و(ما) تكون كافة ل(قل) عن طلب الفاعل، وناقلة عن الاسم إلى الفعل، فإذا قلت: قلما يقوم زيد، فكأنك قلت: ما يقوم زيد"^(٦).

كلمة (قليل) ظاهرها الإثبات، واستعمل لفظها في النفي، ومما يدلُّ على أنها تحمل معنى النفي، ما قاله المرزوقي في (شرح الحماسة) معلقًا، حيث يقول كلامًا منطقيًا مقنعًا: "فإن قيل: من أين ساغ أن يستعمل لفظ (القليل) وهو للإثبات في النفي؟ قلت: إنَّ القليل من الشيء في الأكثر يكون في حكم ما لا يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا يُعْرَجُ عَلَيْهِ؛ لدخوله بخفة قدره في ملكة الفناء والدُّروس والامحاء؛ فلمَّا كان كذلك استعمل لفظه في النفي على ما في ظاهره من الإثبات محترزين من الردِّ، ومجملين في القول، وليكون كالتعريض الذي أثره أبلغ وأنكى من التصريح"^(٧). كما تحدت النُوحشريُّ عن القلة التي تفيد معنى النفي عند تفسيره لقوله - تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾^(٨)، يقول: "الغرض نفي

(١) نفسه: ص ١٢٠، رقم ١١، رجل الدبي: القطعة العظيمة من الجراد. والدفدة: الفلاة.

(٢) النساء: ٧٧/٤.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٣٠/٢.

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٩٥/١.

(٥) مجمع الأمثال: ٣٩/٢.

(٦) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٦٨/١.

(٧) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٩٥/١.

(٨) الأعلى: ٧/٨٧.

نفي النَّسيان رأسًا كما يقول الرَّجُل: لصاحبه أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله، ولا يقصد استثناء شيء، وهو من استعمال القلة في معنى النفي^(١).

ورد لفظ (قليل) في (الأصمعيّات) ثمانِي مرّات، ومنه قول عمرو بن معد يكرب: (الوافر)

فَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلْمَى قَلِيلِ الْإِنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيْعٌ^(٢)
وقول الحَكَمِ الخُضْرِيِّ: (الطَّوِيل)

فَجَاءَتْ مَعَ الْإِشْرَاقِ كَدْرَاءَ رَادَةً فَحَامَتْ قَلِيلًا فِي مَعَانٍ وَمَشْرَبٍ^(٣)
وقول السَّمْوَعِلِ بنِ عادياء: (الخفيف)

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ الْقَلِيلُ مِنَ الرَّزِّ قِ وَلَا يَنْفَعُ الْكَثِيرُ الْخَبِيثُ^(٤)

٣- رُبٌّ:

نقل الرّضِيُّ عن ابن الحاجب قوله: "و(رُبٌّ) للتقليل، ولها صدر الكلام، مختصةً بنكرة موصوفة على الأصحّ، وفعلها ماضٍ محذوف غالبًا"^(٥)، ونُسِبَ إلى أبي عمرو بن العلاء قوله: "رُبٌّ) لا عامل لها؛ لأنّها ضارعتُ النَّفْيَ، والنَّفْيَ لا يعمل فيه عامل، ولتضمُّنُها معنى النَّفْيِ، كان القياس ألا يجيء وصف مجرورها إلا فعلية، كما في: "أقلُّ رجل"، المتضمّن معنى النَّفْيِ"^(٦).

اختلف النُّحاة في (رُبٌّ) أهي اسم أم حرف؟ فذهب جمهور البصريّين إلى أنّها حرف، وذهب الكوفيّون والأخفش في أحد قوليه وابن الطّراوة إلى أنّها اسم^(٧)، وممّا يدلُّ على أنّ (رُبٌّ) من الألفاظ التي تحمل معنى النَّفْيِ ما قاله السّيرافيُّ بهذا الخصوص حيث يقول: "(رُبٌّ) تدخل للتقليل، وما كان مقللاً فهو كالمنفيّ، حتّى أنّهم يستعملون (قلٌّ) في معنى (ليس)...، ولمّا أُشبهت (رُبٌّ) بالتقليل الذي فيها المنفيّ أدخلوا النُّونَ على الفعل الذي بعدها"^(٨).

(١) الكشّاف: ٣٥٨/٦.

(٢) الأصمعيّات: ص ١٩٤، رقم ٢٩ (الزيادات من الكتابين)، الغائط: المُطمئن الواسع من الأرض، والغائط هو الخلاء. وكتيع: أحد، والكتيع المنفرد من النَّاسِ، ويُعتَقَد أنّ منه أجمعون وأكتعون. انظر: الاختيارين: ٣٧٠ ولسان العرب: ١٥٢٢/٣ (ذهب)، و ٣٨٢٠/٥ (كتع).

(٣) نفسه: ص ٣٧، رقم ٦، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ٣٣: "الكدراء: ما في لونها كدر، وهي الغبرة. الرّادة: كثيرة الطّواف. حامت: من الحوم. المعان: المباءة والمنزل.

(٤) نفسه: ص ٩٨، رقم ١٤. قلب الشّاعر النَّاء تاءً في (الخبيت)؛ بسبب حرف الرّويّ.

(٥) شرح الرّضِيِّ على الكافية: ٢٨٦/٤.

(٦) نفسه: ٢٩١/٤.

(٧) انظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢٨٤/٢.

(٨) شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السّيرافيّ، (ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: رمضان عبد التّوّاب، مركز تحقيق التّراث، مصر، (د. ط)، ١٤١١هـ، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١.

وورد هذا اللَّفْظُ (رُبَّ) في (الأصمعيّات) في خمسة مواضع غير مقرون بشيء، وورد مقروناً بالواو في موضعين آخرين، يكتفي الباحث بذكر مثال واحد فقط لكلّ نوع منهما؛ ذلك لأنّ باقي الأمثلة تمّ أو سيتمّ التمثيل بها في مواضع أخرى، ولا داعي للتكرار، قال السّمّوعِلُ أخو سَعِيَةَ: (الخفيف)

رُبَّ شَنْمٍ سَمِعْتُهُ فَتَصَامَمْتُ سِتُّ وَعَْيِي تَرَكَتُهُ فَكُفَيْتُ^(١)

وقال عمرو بن معد يكرب: (الوافر)

وَرُبَّ مُحْرَشٍ فِي جَنْبِ سَلْمَى يُعَلُّ بِعَيْبِهَا عِنْدِي شَفِيعُ^(٢)

٤- لكن :

جاء في (الصّاحبيّ)^(٣) عند الحديث عن (لكن): "هي كلمة استدرّك، تتضمّن ثلاثة معانٍ: منها (لا) وهي نفي، والكاف بعدها مخاطبة، والنون بعد الكاف بمنزلة (إن) الخفيفة أو الثّقيلة، إلّا أنّ الهمزة حُدفتُ منها استنقالاتاً لاجتماع ثلاثة معانٍ في كلمة واحدة فـ(لا) تنفي خبراً منقّداً، و(إن) تُثبت خبراً متأخراً؛ ولذلك لا تكاد تجيء إلّا بعد نفي وجحد، مثل قوله-جلّ ثناؤه: ﴿...وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...﴾"^(٤).

جاء في (الكتاب): "وأما: (لكن) خفيفة وثقيلة فتوجب بها بعد نفي^(٥)، هذا ولم ترد (لكن) الثّقيلة في (الأصمعيّات)، ولم أف لها على أمثلة، في حين وردت المخفّفة مرّة واحدة، هي قول الأسعر الجعفيّ: (الكامل)

لَكِنْ قَعِيدَةٌ بَيْنَنَا مَجْفُوءَةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا وَلَهَا غَنَى^(٦)

٥- إنّما:

لكي تتّضح علاقة هذه اللفظة بالنّفي الضّمّني تأمل معي ما نسبه ابن فارس للفرّاء من قول: "إذا قلت: (إنّما قلت) فقد نفيت عن نفسك كلّ فعل إلّا القيام، وإذا قلت: (إنّما قام أنا) فإنّك نفيت القيام عن كلّ أحد وأثبتته لنفسك"^(٧).

(١) الأصمعيّات: ص ٩٨، رقم ٧.

(٢) نفسه: ص ١٩١، رقم ٤ (الزيادات من الكتابين)، المحرّش: الذي يغيري بينهما ويفسد، جاء في (الاختيارين)

ص ٣٦٥: "أي: كأنّه إذا وقع، فيها عنده يشفع لها؛ لأنّه يحبّها إليه، ويُعلُّ: يعييبها مرّة بعد مرّة".

(٣) انظر: الصّاحبيّ: ١٢٤-١٢٥.

(٤) الأنفال: ١٧/٨.

(٥) الكتاب: ٢٣٢/٤.

(٦) الأصمعيّات: ص ١٥٧، رقم ٤، قعيدة الرّجل: امرأته. والجناجن: عظام الصّدر؛ يريد أنّه قد ذهب لحم صدرها،

وما ذاك من عوز وفقر، ولكنّها مشغولة بالقيام على الخيل.

(٧) الصّاحبيّ: ٩٣.

جاء في كتاب (المفردات) معلقًا على (إنما) في قوله - تعالى: ﴿... إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...﴾^(١)، وإذا أُدخل عليه؛ أي: على (إِنَّ) أو (أَنَّ) ما يبطل عمله؛ أي: (ما) ويقتضي إثبات الحكم للمذكور وصرفه عمًا عداه، تنبيهًا على أَنَّ النَّجَاسَةَ التَّامَّةَ هي حاصلة للمختص بالشرك^(٢). يقول ابن السَّجَرِيُّ: "واعلم أَنَّ (إنما) لها معنى تتفرد به، وذلك أَنَّها تفيده معنى الإيجاب بعد النَّفي، كقولك: إِنَّمَا خرج أخوك؛ تريد: ما خرج إِلَّا أخوك؛ فلذلك جاز أَنْ تقول: إِنَّمَا خاصم القوم أنا؛ تريد ما خاصم القوم إِلَّا أنا"^(٣)، وجاء في (فتح الباري) معلقًا على قول النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ"^(٤): وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ كَلِمَةَ (إنما) تُفِيدُ الْحَصْرَ، وَإِلَّا لَمَا لَزِمَ مِنْ إِثْبَاتِ الْوَلَاءِ لِلْمُعْتَقِ نَفْيَهُ عَنْ غَيْرِهِ وَهُوَ الَّذِي أُرِيدَ مِنَ الْخَبَرِ، وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّهُ لَا وِلَاءَ لِلْإِنْسَانِ عَلَى أَحَدٍ بغيرِ الْعِتْقِ^(٥). يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَجْرٍ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِ(إنما) أَثَبَتَ الْحُكْمَ لِلْمَذْكُورِ وَنَفَاهُ عَمَّا سِوَاهُ.

جاء في (الجنى الدَّاني): "واستدلَّ الإمام فخر الدِّين، على أَنَّها للحصر بأنَّ (إِنَّ) للإثبات، و(ما) للنَّفي، ف(إِنَّ) لإثبات المذكور، و(ما) لنفي ما عداه، ورُدَّ بأنَّه قول مَنْ لا وقوف له على علم النَّحو، وهو ظاهر الفساد؛ لوجوه منها: أَنَّ فيه إخراج (ما) النَّافِيَةَ عمَّا تستحقه مِنْ وقوعها صدرًا، ومنها: أَنَّ فيه الجمع بين حرف نفي وحرف إثبات بلا فاصل، ومنها: أَنَّهُ لو كانت نافية لجاز أَنْ تعمل فيقال: إِنَّمَا زيد قائمًا"^(٦).

ذكر ابن هشام أَنَّ جماعةً مِنَ الْأَصُولِيِّينَ وَالْبَيَانِيِّينَ زَعَمُوا أَنَّ (ما) الكافية الَّتِي مع (إِنَّ) نافية؛ وأنَّ ذلك سبب إفادتها للحصر، قالوا: لأنَّ (إِنَّ) للإثبات وما للنَّفي فلا يجوز أَنْ يتوجَّهَ معًا إلى شيء واحد؛ لأنَّه تناقض، ولا أَنْ يحكم بتوجُّه النَّفي للمذكور بعدها؛ لأنَّه خلاف الواقع باتفاق، فتعيَّن صرْفُه لغير المذكور، وصرْفُ الإثبات للمذكور فجاء الحصر. ويرفض ابن هشام ما ذهبوا إليه بقوله: "وهذا البحث مبنيٌّ على مقدِّمتين باطلتين بإجماع النَّحْوِيِّينَ، إذ ليست (إِنَّ) للإثبات، وإنَّما هي لتوكيد الكلام إثباتًا (كان)، مثل: إِنَّ زيدا قائمًا، أو نفيًا مثل: إِنَّ زيدا ليس بقائم، وليست (ما) للنَّفي بل هي بمنزلتها في أخواتها (ليتما) و(لعلمًا) و(لكئما) و(كأئما)..."^(٧).

(١) التَّوْبَةُ: ٢٨/٩.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٤/١.

(٣) أمالي ابن السَّجَرِيِّ: ٥٦٤/٢.

(٤) صحيح البخاري، باب نكر البيع والشراء على المنبر، ٧١/٣، (٢١٥٦)، ط١، دار طوق النَّجاة.

(٥) فتح الباري: ١٩٢/٥.

(٦) الجنى الدَّاني: ٣٩٧-٣٩٨.

(٧) انظر: مغني اللَّيْبِيب: ٨٠/٤.

جاء في (همع الهوامع): "وزعم أبو عليّ الفارسيّ: أنّها نافية، واستدلّ بأنّها أفادت معها الحصر، نحو: ﴿...إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾^(١)، كإفادة النّفي والإثبات بإلّا"^(٢)، ويرفض أبو حيّان كما رفض المراديّ أنّ تكون (ما) هنا نافية بقوله: "إنّ هذا المذهب هو قول مَنْ لم يقرأ النّحو"^(٣). ووردت (إنّما) في (الأصمعيّات) ثلاث مرّات، في حين وردت (أنّما) مرّتين، منه قول عديّ ابن رعلاء الغسانيّ: (الخفيف)

إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ ذَلِيلًا سَيِّئًا بِأَلِهَ قَلِيلَ الرَّجَاءِ^(٤)

وقول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطّويل)

وَجَدِي أَنْمَا هُوَ فَارِطٌ أَمَامِي وَأَنِّي وَارِدُ الْيَوْمِ أَوْ عَدِي^(٥)

٦ - بَلْ:

منّ أحرف النّفي الضّمنيّ التي ذكرها النّحاة (بل)، يقول سيبويه في وصفها: "وأما بل: فلتترك شيء من الكلام وأخذ في غيره"^(٦)، يُقال: نجح زيدٌ بل خالد. جاء في (الأزهيّة): "بل) لها ثلاثة مواضع: تكون نسقاً، فتقع بعد النّفي والإيجاب، تقول في النّفي: ما خرج زيد بل عمرو، وفي الإيجاب: قام زيد بل عمرو، وتكون بمعنى (رُبّ) فتخفّض ما بعدها، وتكون لتترك كلام وأخذ في غيره"^(٧). ورد في (هامش الأزهيّة): "أنّ (بل) حرف استدراك، ولها معنيان: نفي الخبر الماضي، وإيجاب الخبر المستقبل"، ونفي الماضي هو ما يهّم هنا، ووردت (بل) في (الأصمعيّات) أربع مرّات، من أمثلتها قول أسماء بن خارجة: (الكامل)

بَلْ رُبَّ خَرْقٍ لَا أُنَيْسَ بِهِ نَابِي الصُّوَى مُتَمَاحِلٍ سَهْبٍ^(٨)

(١) النّساء: ١٧١/٤.

(٢) همع الهوامع: ٤٦٠/١.

(٣) انظر: ارتشاف الضّرب: ١٢٨٥.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٦٩، رقم ٦. البال: الحال.

(٥) نفسه: ص ١٢٢، رقم ٢٣.

(٦) الكتاب: ٢٢٣/٤.

(٧) انظر: الأزهيّة: ٢١٩ - ٢٢٠.

(٨) الأصمعيّات: ص ٥٣، رقم ١٣. الخرق: الفلاة. والصّوى: أعلام من حجارة في الصّحراء، ونابي: مرتفع. ومتماحل: بعيد ما بين الطرفين. والسّهب: ما بعد من الأرض واستوى.

يَتَّضِحُ مِنْ كَلَامِ الْهَرَوِيِّ أَنَّ (بَل) تَأْتِي بِمَعْنَى (رَبِّ)، لَكِنَّهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ جَاءَتْ مَقْرُونَةً
بِـ(رَبِّ) لَفْظًا وَلَيْسَتْ بِمَعْنَاهَا، مِنْهُ قَوْلُ السَّمَّوَعِيِّ أَخِي سَعِيَّةَ: (الْخَفِيفُ)

بَلْ لِكُلِّ مِنْ رِزْقِهِ مَا قَضَى اللَّهُ لَهُ وَإِنْ حَكَ أَنْفَهُ الْمُسْتَمِيتُ^(١)

وقول قيس بن الخطيم: (المنسرح)

بَلْ لَيْتَ أَهْلِي وَأَهْلَ أَثْلَةٍ فِي دَارٍ قَرِيبٍ مِنْ حَيْثُ يُخْتَلَفُ^(٢)

٧- النَّفْيُ بِـ(هَلْ):

كان الباحث قد أشار^(٣) عند تعرضه للفرق بين (الهمزة) و(هل) حرفين من أحرف الاستفهام: أَنَّ مِنَ الْمَعْنَى الَّتِي تَقِيدُهَا (هَلْ): النَّفْيُ، وَهَذَا مَا لَا تَتَّصِفُ بِهِ الْهَمْزَةُ، فَكُونَ أَنَّ (هَلْ) تَتَضَمَّنُ مَعْنَى النَّفْيِ فِي بَعْضِ مَعَانِيهَا فَإِنَّ هَذَا أَحَدَ مَا يُمَيِّزُهَا عَنْ غَيْرِهَا مِنْ حُرُوفِ الْاسْتِفْهَامِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى تَحَدَّثَ الْبَاحِثُ عَنِ الْمَعْنَى^(٤) الَّتِي قَدْ يَخْرُجُ إِلَيْهَا الْاسْتِفْهَامُ بِـ(هَلْ) عَنْ مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ: النَّفْيِ، وَضَرَبَ أَمْثَلَةً عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمِنْ دِيْوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ)، وَاتَّضَحَ أَنَّ (هَلْ) أَشْرَبَتْ مَعْنَى النَّفْيِ الَّذِي شَابَهُ التَّعْجِبُ، وَرَبَّمَا الْاسْتِنْكَارَ.

وردت (هل) في القرآن الكريم بمعنى (ما) النافية، منها- على سبيل المثال- قول الله - تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ...﴾^(٥)، وقوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً...﴾^(٦)، هذا ما أيده السامرائي عند حديثه عن النفي بـ(هل) حيث يقول: "والذي يبدو راجحاً أَنَّ النَّفْيَ بِـ(هَلْ) لَيْسَ نَفْيًا مُحْضًا بَلْ هُوَ اسْتِفْهَامٌ أَشْرَبٌ مَعْنَى النَّفْيِ، فَقَدْ يَكُونُ مَعَ النَّفْيِ تَعْجِبٌ أَوْ اسْتِنْكَارٌ"^(٧)، ويدلُّ على صحة ما يقول بذكر عدد من الآيات، ومنها قول الله- تعالى: ﴿...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٨)، ويعلِّق على الآية الكريمة بقوله: فأنت

(١) نفسه: ص ٩٩، رقم ١٧. المستميت: الذي لا يبالي بالموت إذا حارب.

(٢) نفسه: ص ٢١٨، رقم ١٧ (الزيادات من الكتابين). أثلة: موضع قرب المدينة، وقيل: اسم امرأة. ونختلف: يتردد بعضنا على بعض.

(٣) انظر: ص ١٨٦-١٨٨ من الفصل الثالث.

(٤) انظر: ص ١٨٢-١٨٤ من الفصل الثالث.

(٥) التوبة: ٥٢/٩.

(٦) محمد: ١٨/٤٧.

(٧) انظر: معاني النحو: ٢٠٩/٤.

(٨) الإسراء: ٩٣/١٧.

ترى أنّ المعنى مختلف عن النَّفي المحض، وأنّه لو جاء بالنَّفي فقال: "ما كنت إلّا بشرًا رسوليًا" ما أدّاه الاستفهام من استتكار قولهم^(١).

بناءً على هذه المعطيات يمكن اعتبار حرف الاستفهام (هل) من الأدوات التي تحمل معنى النَّفي الضمنيّ، وقد سبقت الإشارة في الفصل الذي خُصّص للاستفهام إلى المواضع التي وردت فيها (هل) بمعنى (ما) النَّافية، أو كون الاستفهام بـ(هل) يفيد النَّفي، ولا داعي لتكرار ذلك مرّة أخرى.

أخيرًا يتضح أنّ الطَّبِيعَةَ البشريَّةَ كما حُبِّب إليها الطَّيِّبُ مِنَ القول أو الفعل، فإنّها تنفر في نفس الوقت من الكثير من الأفعال والأقوال، ومن هنا يأتي استخدام النَّفي في الكلام بشكل يسترعي الانتباه.

(١) انظر: معاني النَّحو: ٢٠٩/٤.

الفصل الخامس

ظاهرة الجزاء في ديوان (الأصمعيّات)

ويشتمل على ما يأتي:

- توطئة

- الشرط لغة واصطلاحًا

المبحث الأول: أدوات الشرط الجازمة، ويتضمّن:

المطلب الأول: مسائل مشتركة بين الشرط الجازم وغير الجازم.

المطلب الثاني: أدوات الشرط الجازمة غير الظرفية.

المطلب الثالث: أدوات الشرط الجازمة الظرفية.

المطلب الرابع: أداة جازمة مشتركة بين الظرفية وغير الظرفية (أي).

المطلب الخامس: أنواعًا أخرى من الجزاء ينجزم فيها الفعل بغير الأدوات المتعارف عليها.

المبحث الثاني: أدوات الشرط غير الجازمة، ويتضمّن:

المطلب الأول: أدوات الشرط الامتناعية.

المطلب الثاني: أدوات الشرط غير الامتناعية.

توطئة

يُعدُّ أسلوب الشرط أحد الأساليب الرفيعة التي لها حضورٌ واضح في اللغة العربية شعرها وبنثرها، حيثُ يكثر وقوعه في آيات الذكر الحكيم، وهو ينتشر بشكل ملحوظ في السنة النبوية الشريفة المطهّرة على اختلاف أنواعها: القولية والفعلية و التقريرية، ولا تجد قصيدة شعرية تخلو منه، كما أنّ العربيّ يعتمد عليه بشكل ملحوظ في حديثه عن أيّ أمرٍ من أمور دنياه وآخرته، والغاية والهدف من استخدامه للشرط في الكلام هو التأكيد على مطالبه، ومحاولة إقناع المخاطب بالفكرة التي يتحدّث عنها. والشرط- كما هو معروف: ترتيب أمر على أمر آخر باستخدام أداة مخصوصة، والشرط في الأصل أسلوب لغويّ قائم على ثلاثة أركان هي: أداة الشرط يليها فعل الشرط، ثمّ جواب الشرط وجزاؤه.

- الشرط لغة:

جاء في (الصّاح): "والشرط بالتحريك: العلامة"^(١)، وجاء في (أساس البلاغة): "شرط عليه كذا واشترط وشارطه على كذا، وتشارطا عليه، وهذا شرطي وشرطتي"^(٢)، جاء في (لسان العرب): "والشرط إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه، والجمع شروط وشرائط"^(٣).

- الشرط اصطلاحاً:

عرّفه المبرّد بقوله: "الشرط وقوع الشيء لوقوع غيره"^(٤)، وعرّف ابن مالك أدوات الشرط بقوله: "كلمات وُضعت لتدلّ على التعليق بين جملتين، والحكم بسببية أَوْلَاهما ومسببية الثانية"^(٥). يقول أبو حيّان: "وأدوات الشرط كَلِم وُضعت لتعليق جملة بجملة، وتكون الأولى سبباً، والثانية متسبباً؛ ولذلك عند جمهور أصحابنا لا تكون إلا في المستقبل"^(٦). عرّفها ابن عقيل بقوله: "هي كلم وُضعت للدلالة على تعليق بين جملتين، من غير وقوع الثانية منهما متسببة عن الأولى عند الوقوع"^(٧). كأن ابن عقيل يقصد من تعريفه الحديث عمّا يجزم من أدوات الشرط فقط، وكأنّه استثنى من التعريف أدوات الشرط غير الجازمة نحو: لو، ولولا، ولمّا؛ لوجود علاقة السبب والمسبب بين جملي الشرط والجواب على نحو ما سيُعرّف.

(١) الصّاح: ٢٧٣/٤.

(٢) أساس البلاغة: ٥٠٢/١.

(٣) لسان العرب: ٢٢٣٥/٤ (شرط).

(٤) المقتضب: ٤٦/٢.

(٥) شرح التسهيل: ٦٦/٤.

(٦) ارتشاف الضرب: ١٨٦٢/٤.

(٧) المساعد على تسهيل الفوائد: ١٣٢/٣.

المبحث الأول: أدوات الشرط الجازمة

المطلب الأول: مسائل مشتركة بين الشرط الجازم وغير الجازم

من المسائل التي يشترك في حكمها الشرط الجازم والشرط غير الجزم:

١- أصل التسمية لهذا النوع من الأساليب^(١):

عُرف الشرط عند النحاة بمسميات مختلفة، فأطلق عليه سيبويه - على سبيل المثال - الجزاء، وعُرف عند الخليل والمبرد، وابن السراج باسم: المجازاة، وأطلق الرّمخشريُّ على الفعل الأول اسم: الشرط، وعلى الفعل الثاني الجزاء، أطلق ابن مالك والسيوطيُّ على الأول شرطاً، وعلى الفعل الآخر جزاء وجواباً، وأطلق ابن عقيل اسم (الشرط) على الجملة الأولى من الجملتين المذكورتين بذلك؛ لأنّها علامة على ترتب الثانية عليها.

٢- أدوات الشرط لها حق الصدارة:

فلا يتقدّم عليها ما بعدها، ولا يعمل فيها ما قبلها، جاء في (شرح التسهيل): "لأداة الشرط صدر الكلام، فإنّ تقدّم عليها شبيهه بالجواب معنًى فهو دليل عليه وليس إيّاه، خلافاً للكوفيّين والمبرد وأبي زيد"^(٢).

٣- شروط فعل الشرط:

ذكرها الشيخ خالد الأزهري^(٣)، ولا بدّ من التّويه بها؛ حتّى يمكن الحكم على أفعال الشرط التي يمرُّ بها البحث دون لبس أو غموض. أحدها: أن يكون فعلاً غير ماضي المعنى فلا يجوز: إن قام زيد أمسٍ قمت، والثاني: أن لا يكون طلباً، والثالث: أن لا يكون جامداً، والرابع: أن لا يكون مقروناً بحرف تنفيس، والخامس: أن لا يكون مقروناً ب(قد)، والسادس: أن لا يكون مقروناً بحرف نفي غير (لم) و(لا).

٤- شروط جواب الشرط:

الأول: تجده عند الشيخ خالد الأزهري، ويمكن اعتباره قاعدة عامّة لما يصلح من الكلام أن يكون جواباً للشرط، يقول: "أن يكون الجواب ممّا يصلح أن يكون شرطاً"^(٤)، هذا إذا علم أنّه قد

(١) انظر: الكتاب: ٥٦/٣، والمقتضب: ٤٦/٢، والأصول في النحو: ١٨٧/٢، والمفصل: ٤٣٩/١، وشرح

التسهيل: ٧٣/٤، والمساعد: ١٤٣/٣، وهمع الهوامع: ٤٥٣/٢.

(٢) شرح التسهيل: ٨٦/٤.

(٣) انظر: شرح التصريح: ٢٤٠/٢.

(٤) نفسه: ٢٤٠/٢.

سبق التّعريف على شروط فعل الشرط، والثّاني: الإفادة، ذكرها السّيوطي بقوله: "وشرط الجواب: الإفادة، فلا يكون بما لا يفيد، كخبر المبتدأ، فلا يجوز: إنْ يَقم زيد يَقم، كما لا يجوز في الابتداء زيد، زيد" (١). وجاء في (شرح المفصل) لابن يعيش: "الشرط والجزاء لا يصحّان إلا بالأفعال، أمّا الشرط فلائّه علّة وسبب لوجود الثّاني، والأسباب لا تكون بالجوامد...، وأمّا الجزاء فأصله أن يكون بالفعل أيضاً؛ لأنّه شيء موقوف دخوله في الوجود على دخول شرطه، والأفعال هي التي تحدث وتنقضي ويتوقّف وجود بعضها على بعض" (٢).

٥- الصّور التي يكون عليها فعل الشرط وجوابه:

يقول الشيخ خالد الأزهرى: "ولا يُشترط في الشرط والجزاء أن يكونا من نوع واحد، بل تارة يكونان مضارعين، نحو: ﴿...وإنْ تَعُودُوا نَعُدُّ...﴾ (٣)، وتارة يكونان ماضيين، نحو: ﴿...وإنْ عُدْتُمْ عُدْنَا...﴾ (٤)، وتارة يكونان مختلفين، ماضياً فمضارعاً، نحو: ﴿...مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ...﴾ (٥)، وتارة يكونان عكسه، مضارعاً فمضائياً، وهو قليل حتى خصّه الجمهور بالشعر" (٦).

٦- حذف جملة الشرط:

يقول ابن هشام عند كلامه على هذه المسألة: "هو مطرد بعد الطلب، نحو: ﴿...فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ (٧)؛ أي: فإنْ تَتَّبِعُونِي يحببكم الله" (٨). يأخذ الباحث من (الأصمعيّات) مثلاً واحداً لتوضيح هذه المسألة- التي سوف يتناولها بشيء من التفصيل بعد قليل عند تعرّضه لمسألة جزم الفعل المضارع بسبب وقوعه جواباً للطلب- هو قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطويل)

ذُرَيْبِي أَطَوَّفَ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي
أَلْقِي بِأَثَرِ ثَلَاثَةٍ مِنْ مُحَارِبٍ (٩)

(١) همع الهوامع: ٤٥٧/٢.

(٢) شرح المفصل: ٢/٩.

(٣) الأنفال: ١٩/٨.

(٤) الإسراء: ٨/١٧.

(٥) الشورى: ٢٠/٤٢.

(٦) انظر: شرح التّصريح على التّوضيح: ٤٠١/٢.

(٧) آل عمران: ٣١/٣.

(٨) مغني اللّبيب: ٥١٩/٦.

(٩) الأصمعيّات: ص ١٢٨، رقم ١٧، الثّلة: الجماعة من النّاس.

يُلاحظ هنا على الفعل المجزوم (أَطَوَّفُ) الواقع في جواب الطلب (ذَرِينِي) إمَّا أَنْ يكون مجزومًا لوقوعه في جواب الطلب، ويترتَّب على ذلك عدم وجود الشرط أو الحذف، وإمَّا أَنْ يكون مجزومًا بشرط مقدَّر، ويترتَّب على ذلك وقوع الحذف لفعل الشرط على رأي مَنْ قال بذلك، والتَّقدير: فَإِنْ تَذَرِينِي أُطَوَّفُ....

٧- حذف جملة جواب الشرط:

تحدَّث النُّحاة عمَّا يُعرف بحذف جواب الشرط، وقسموه إلى قسمين: حذف جائز وحذف واجب.

أولًا: الحذف الجائز

أمَّا حذف جواب الشرط جوازًا فقد وقع في القرآن الكريم ومنه قوله - تعالى: ﴿...حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُصِحَتْ أَبْوَابُهَا...﴾^(١)، يقول السيوطي تعليقًا على هذه الآية: "فحذف الجواب إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا ينتهي فجعل الحذف دليلًا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتُرِكَت النفوس تقدَّر ما شاءته ولا تبلغ مع ذلك كُنْه ما هنالك"^(٢). يقول الزمخشريُّ عن المحذوف في الآية الكريمة: "(حَتَّى) هي التي تُحكى بعدها الجمل، والجملة المحكيَّة بعدها هي الشرطيَّة، إلَّا أَنْ جزاءها محذوف، وإنَّمَا حُذِفَ؛ لأنَّه صفة ثواب أهل الجنَّة، فدلَّ بحذفه على أنَّه شيء لا يحيط به الوصف"^(٣).

ثانيًا: الحذف الواجب

جاء في (مغني اللبيب) عند الحديث عن حذف جواب الشرط: "وذلك واجب إن تقدم عليه أو اكتنفه ما يدلُّ على الجواب، فالأوَّل نحو: هو ظالم إن فعل، والثَّاني نحو: هو إن فعل ظالم"^(٤). والكوفيُّون يعتبرون المتقدِّم على الأداة هو جواب الشرط، وردَّ البصريُّون ذلك بأن قالوا: لو كان الجواب هو المتقدِّم لجُزم إذا كان فعلًا، وللزمته الفاء إذا كان جملة اسميَّة^(٥). جاء في كتاب (أصول النحو): "فأمَّا قولهم: أجيئك إن جئتني، فالَّذي عندنا، أنَّ هذا الجواب محذوف، كفى عنه الفعل المقدم، وإنَّمَا يُستعمل هذا على وجهين: إمَّا أَنْ يضطرَّ إليه الشَّاعر، فيقدِّم الجزاء للضرورة وحقُّه التَّأخير، وإمَّا أَنْ تذكر الجزاء بغير شرط، ولا نيَّة فيه، فتقول:

(١) الرُّم: ٧٣/٣٩.
(٢) الإتيان: ١٦٠١/٥.
(٣) الكشَّاف: ٣٢٥/٥.
(٤) مغني اللبيب: ٥٢٣/٦.
(٥) انظر: شرح المفصل: ٧/٩.

أجبتك، فَعِدُّكَ بِذَلِكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، ثُمَّ يَبْدُو لَهُ أَلَّا يَجِئُكَ بِسَبَبٍ، فَتَقُولُ: إِنَّ جِئْتَنِي، وَيَسْتَعْنِي عَنِ الْجَوَابِ بِمَا قُدِّمَ^(١).

مِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْعَامَّةِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا جَوَابُ الشَّرْطِ الْجَازِمِ وَغَيْرِ الْجَازِمِ: أَنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى الْأَدَاةِ وَلَا عَلَى فِعْلِ الشَّرْطِ كَمَا يَقُولُ النُّحَاةُ، وَيُحْذَفُ كَثِيرًا وَيَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ السَّابِقِ عَلَى أَسْلُوبِ الشَّرْطِ، وَيَضْرِبُ الْبَاحِثُ مِثَالَيْنِ مِنَ (الْأَصْمَعِيَّاتِ)، الْأَوَّلُ: عَلَى الشَّرْطِ الْجَازِمِ وَهُوَ قَوْلُ: عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ الْخَرِجِ التَّمِيمِيِّ: (الطَّوِيلُ)

هُمَا إِبْلَانِ فِيهِمَا مَا عَلِمْتُمْ فَأَدُوهُمَا إِنَّ شِئْنُكُمْ أَنْ نُسَالِمًا^(٢)

الجواب محذوف تدلُّ عليه جملة الأمر السابقة على الشرط، التقدير: إِنَّ شِئْنُكُمْ أَنْ نُسَالِمَ فَأَدُوا مَا فِي الْإِبْلِ - إِبْلُ بَنِي الْأَعَشَى وَإِبْلَكُمْ - مِنْ حَقُوقٍ إِلَى أَصْحَابِهَا، وَالْآخِرُ: عَلَى الشَّرْطِ غَيْرِ الْجَازِمِ وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَقْعَسِيِّ: (الرَّجَزُ)

لَمَّا آتَاكَ بِائِسًا قَرِيبًا^(٣)

الجواب محذوف تدلُّ عليه جملة الاستفهام المتقدمة، وهي قوله: (كيف قرئت ضيفك؟) التقدير: لَمَّا آتَاكَ بِائِسًا قَرِيبَةً، فَكَيْفَ قَرِيبَتَهُ؟

٨- تقديم الاسم على فعل الشرط:

اختلفت آراء النُّحَاةِ^(٤) فِي هَذَا الْأَسْمِ، خَاصَّةً الْأَسْمَ الْوَاقِعَ بَعْدَ (إِذَا) وَ(إِنَّ) عَلَى ثَلَاثَةِ اتِّجَاهَاتٍ، يُمْكِنُ إِجْمَالُهَا فِيْمَا يَأْتِي:
أ- يَرَى الْبَصْرِيُّونَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي تَرْكِيبِ الشَّرْطِ أَنْ يَقَعَ بَعْدَ الْأَدَاةِ فِعْلًا، وَوُجُودَ اسْمٍ ظَاهِرٍ أَوْ مَضْمَرٍ مَكَانَهُ يُعْتَبَرُ مَخَالِفًا لِلْأَصْلِ، وَهَذَا لَا بُدَّ مِنَ التَّأْوِيلِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَعْتَبِرَهُ مَبْتَدَأً؛ لِأَنَّ فِعْلَ الشَّرْطِ جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ، وَلَا يَجُوزُ اعْتِبَارُهُ فَاعِلًا تَقَدَّمَ عَلَى فِعْلِهِ؛ لِأَنَّ الْفَاعِلَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَاجِبٌ التَّأخِيرِ، وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ يَجِبُ اعْتِبَارُهُ فَاعِلًا لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ يَفْسِّرُهُ الْمَذْكُورُ.
يَقُولُ الرَّضِيُّ: "فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْأَسْمَ مَرْفُوعًا فَهُوَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ مَرْفُوعٌ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ يَفْسِّرُهُ ذَلِكَ الْفِعْلُ الظَّاهِرُ"^(٥).

(١) أصول النحو: ١٨٧/٢.

(٢) الأصمعيّات: ص ١٨٦، رقم ١.

(٣) نفسه: ص ١٨١، رقم ٢.

(٤) انظر: المقتضب: ٧٦/١، ٢٧٣، وشرح الرضي على الكافية: ٩٤/٤، وشرح ابن عقيل: ٨٦/٢.

(٥) شرح الرضي على الكافية: ٩٤/٤.

والأمثلة التي تدل على صحة ما ذهب إليه الرضي كثيرة، أذكر منها واحداً-على سبيل التمثيل لا الحصر- ليكن قول المُنخَل بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري: (مرقّل الكامل)

وَإِذَا الرِّيحُ تَكَمَّشَتْ بِجَوَانِبِ البَيْتِ الكَبِيرِ^(١)

التقدير: وَإِذَا تَكَمَّشَتْ الرِّيحُ...ألفيتي...، الجواب في البيت التالي. يقول المرزوقي:
"وقوله: (ألفيتي) جواب إذا"^(٢).

ب- يرى الكوفيون أنه يجب أن يكون الشرط جملة فعلية، ولا يجوز اعتبار الاسم الواقع بعد أداة الشرط مبتدأ، وإن صحَّ اعتباره فاعلاً؛ فلأنه لا مانع من تقديم الفاعل على الفعل.

ت- يرى أبو الحسن الأخفش والفرّاء أنه لا مانع من اعتبار الاسم الواقع بعد الأداة مبتدأ وخبره ما بعده؛ أي أن الأخفش يجيز أن يكون فعل الشرط جملة اسمية، وهذا فيه مخالفة لرأي الجمهور.

ويرى السامرائي صيغة أفضل للتعبير عن حالة الاسم الواقع بعد أداة الشرط، فهو يقترح على النحاة صيغة يصفها الباحث بالاعتدال لإرضاء جميع الأطراف بدلاً من هذا الاختلاف الذي لا يجدي نفعاً، يقول: "كان ينبغي للنحاة أن يقولوا: إنّه قد يلي الفعل أداة الشرط في كلام العرب، نحو: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...﴾"^(٣)، وقد يليها الاسم ثم فعل الشرط، نحو: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾"^(٤)، والفرق بين التعبيرين في المعنى كذا وكذا، وهذا أمثل في التقدير الذي يفسد المعنى ويضيعه ويذهب بجمال الكلام وفصاحته"^(٥).

٩- توالي شرطين:

جاء في (شرح الكافية): "إذا توالى شرطان دون عطف، فالثاني مفيد للأول كَنَفِيْدِهِ بحال واقعة موقعه، والجواب المذكور أو المدلول عليه للأول، والثاني مُسْتَعْنَى عن جوابه لقيامه مقام ما لا جواب له وهو الحال"^(٦)، مثاله قول عمرو بن معد يكرب: (الطويل)

عَلَامٌ تَقُولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الخَيْلُ وَلَّتْ^(٧)

(١) الأصمعيّات: ص ٦٩، رقم ٣، تَكَمَّشَتْ: أسرع، جاء في (شرح الحماسة للمرزوقي)؛ يشرح البيت المذكور ٥٢٦/١-٥٢٧: "وإذا تقابلت الرياح أوان الشتاء ووقت الجذب والإمحال، حتى زعزعت جوانب البيت العظيم الكسور والأركان، ألفيتي هكذا".

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي: ٥٢٧/١.

(٣) المنافقون: ١/٦٣.

(٤) الانفطار: ١/٨٢.

(٥) معاني النحو للسامرائي: ٨٨/٤.

(٦) انظر: شرح الكافية لابن مالك: ٣/١٦١٤.

(٧) الأصمعيّات: ص ١٣٦، رقم ٥.

بناءً على كلام ابن مالك، فالشَّرطُ الأوَّل هو صاحب الجواب، والثَّاني يفيد ما يفيدُه الحال من التَّقْيِيد، فإن توالى شرطان بعطف فالجواب لهما معاً، ك: "إِنْ تَوَّماً وَتَلَمَّماً تُكْرَمَا" (١).

١٠ - جواب الشَّرط ومواضع اقترانه بالفاء:

جاء في (الكتاب): "واعلم أنَّه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء... ولا يكون الجواب في هذا الموضع بالواو ولا بـ(ثم)" (٢)، ويقول ابن مالك: "أصل جواب الشَّرط أن يكون فعلاً صالحاً لجعله شرطاً، فإذا جاء على الأصل لم يحتج إلى (فاء) يقترن بها" (٣).

ذكر ابن هشام أموراً اشتهرت بين المعربين والصدّواب خلافها، ومنها: قولهم: "الفاء جواب الشَّرط"، والصدّواب أن يُقال: "رابطة لجواب الشَّرط وإنَّما جواب الشَّرط الجملة" (٤)، وجاء في (شرح التَّصريح): "كلُّ جواب يصلح جعله شرطاً فالأكثر خلوه من الفاء، ويجوز اقترانه بها، وكلُّ جواب يُمتنع جعله شرطاً لخلوه عمّا شُرِّط، فإنَّ الفاء تجب فيه لتربطه بشرط... وخُصِّتْ الفاء بذلك؛ لِمَا فيها من معنى السَّبَبِيَّة؛ ولمناسبتها للجزاء معنًى" (٥).

عندما سأل سيويهِ الخليل عن (إذا) الفجائيَّة في قوله - تعالى: ﴿... وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (٦) قال: "هذا كلام معلق بالكلام الأوَّل كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأوَّل" (٧). وجاء في (همع الهوامع): "وينوب عنها في الأصحَّ (إذا) الفجائيَّة في جملة اسميَّة غير طلبية ولا منفيَّة" (٨).

وأحصى النُّحاة (٩) المواضع التي يجب فيها اقتران الجواب بالفاء حتَّى يتمَّ الرِّبط بين فعل الشَّرط وجواب الشَّرط، هي:

(١) انظر: شرح الكافية الشَّافية: ١٦١٥/٣.

(٢) الكتاب: ٦٣/٣.

(٣) شرح الكافية الشَّافية: ١٥٩٤/٣.

(٤) انظر: مغني اللبيب: ٥٤٩/٦.

(٥) شرح التَّصريح: ٤٠٥/٢.

(٦) الرُّوم: ٣٦/٣٠.

(٧) انظر: الكتاب: ٦٣/٣.

(٨) همع الهوامع: ٤٥٩/٢.

(٩) انظر: المقتضب: ٥٠/٢، والمفصل: ٤٤٠/١، وشرح الكافية الشَّافية لابن مالك: ١٥٩٥/٣ وما بعدها، وشرح الرُّضِّي على الكافية: ١٠٩/٤ - ١١٥، وحاشية الصَّبان: ٢٩/٤، وارتشاف الضَّرْب: ١٨٧٣/٤ - ١٨٧٤، والهمع: ٤٥٠/٢ وما بعدها، والنَّحو الوافي: ٤٥٩/٤ - ٤٦٢.

أ- أن يكون الجواب جملة اسمية: مثاله من القرآن الكريم قوله- تعالى: ﴿...وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِيْخِرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

فالجواب إن وقع جملة اسمية فلا بد له من الفاء؛ لتربطه بجملة الشرط، ولا يجوز ترك الفاء إلا أن يضطرَّ شاعر، وحذف الفاء من جواب الشرط ضرورة أجازها الخليل في الشعر، تأمل معي إجابته عندما سأله سيبويه عنها، يقول: "وسألته عن قوله: إن تأتي أنا كريم، فقال: لا يكون هذا إلا أن يضطرَّ شاعر"^(٢).

يقول أبو حيَّان: "وجملة الجزاء إن صُدِّرت بجملة اسمية لزمته الفاء أو (إذا) الفجائية، نحو: إن زارنا زيد فنحن نزوره"^(٣).

في (الأصمعيَّات) ورد جواب الشرط جملة اسمية مقرونة بالفاء في عدد من الأبيات على نحو ما سيُعرف في سياق الحديث عن أدوات الشرط الجازمة، أضرب مثلاً واحداً، هو قول مالك بن حريم الهمداني: (الطويل)

فَإِنْ يَكُ غَثًّا أَوْ سَمِينًا فَإِنِّي سَأَجْعُلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْتَعًا^(٤)

جواب الشرط: (فإنني سأجعل). كما ورد جواب الشرط جملة اسمية غير مقرونة بالفاء في عدد آخر من الأبيات، نضرب مثلاً واحداً، هو قول شمر بن عمرو الحنفي: (الكامل)

يَا رَبُّ نَكْسٍ إِنْ أَتَتْهُ مَنِيَّتِي فَرِحَ وَخِرِقٍ إِنْ هَلَكْتُ حَزِينٍ^(٥)

هنا حُذفت الفاء من الجواب للضرورة، وقد وقع جملة اسمية، فالكلمتان: (فَرِحَ) و(حَزِينُ) ليستا جواباً، بل هما خبر، والجواب مقدر، والتقدير في الأولى: إِنْ أَتَتْهُ مَنِيَّتِي فهو فَرِحَ، وفي الأخرى: إِنْ هَلَكْتُ فهو حَزِينُ، فالجملة الاسمية صدرها محذوف، والمبرد يجعله على إرادة الفاء؛ أي: فهو فَرِحَ، فهو حَزِينُ، يقول المبرد: "وهو عندي على إرادة الفاء"^(٦).

ب- أن يكون الجواب فعلاً طلبياً، والطلب يشمل: الأمر، والنهي، والتحضيض، والعرض، والدعاء، والاستفهام.

(١) الأنعام: ١٧/٦.

(٢) الكتاب: ٦٤/٣.

(٣) ارتشاف الضرب: ١٨٧١/٤.

(٤) الأصمعيَّات: ص ٧٨، رقم ٣٩، جاء في (الاختيارين) ص ٢٤٠: "يقول إذا قالت له نفسه: إنهم قد علموا شيئاً، غير ما بعثوا به إليك أتيت به بالقدْر، فجعلت عينيه تقنعان نفسه.

(٥) الأصمعيَّات: ص ١٤٢، رقم ٥، النكس: الضعيف المقصر. والخرق: الكريم المتخرق في الكرم أو الظريف في نجدة وسماحة.

(٦) انظر: المقتضب: ٧٢/٢.

نقل أبو حيان^(١) عن الفراء قوله: "وأجابوا الشرط بالفاء، واستغني عن الفاء إن كان ماضياً، وإن لم يصلح لزمته الفاء، وموضع ذلك أن يكون الفعل طلباً، كقوله - تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾"^(٢)، أو جامداً، كقوله - تعالى: ﴿... إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا، فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا...﴾"^(٣).

من أمثلة الأمر في (الأصمعيّات) قول المُثَخَّل بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري:
(مرقّل الكامل)

إِنْ كُنْتُ عَاذِلْتِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحْوِرِي^(٤)

هنا وقعت الفاء في جواب الشرط، وهو جملة طلبية ونوعها أمر، وعُطف عليها بجملة طلبية أخرى (نهى)، لكنّها جاءت غير مقترنة بالفاء، ومثال النهي الذي وقع مقترناً بالفاء واقعاً في جواب الشرط - حيث وردت هذه الصّورة مرّتين - قول مَقَّاسِ الْعَائِذِيِّ: (الطّويل)

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ نُجِّيتَ مِنْ عَمْرَاتِهَا فَلَا تَأْتِينَا بَعْدَهَا الْيَوْمَ سَادِرًا^(٥)

الملاحظ أنّ الفعل الواقع بعد (لا) النّاهية مبنيّ على الفتح؛ لاتصاله بنون التّوكيد النّقيّة، فهو مبنيّ في محلّ جزم، ومثال الاستفهام الواقع جواباً للشرط، والذي يجب أن يكون مقروناً بالفاء، ولكنّه جاء غير مقرون بها، قول المُتَمَسِّس: (الطّويل)

وَهَلْ لِي أُمَّ غَيْرَهَا إِنْ تَرَكْتُهَا أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنَمَا^(٦)

النّقدير: إِنْ تَرَكْتُهَا فَهَلْ لِي أُمَّ غَيْرَهَا؟ ولكنّ النّحاة أوجدوا لذلك مخرجاً، يقول أبو حيان: "فإن جاء من هذه محذوف الفاء، فبابه على الضّرورة"^(٧). أمّا التّحضيض والعرض والدّعاء فلم أقف لها على أمثلة في الأصمعيّات.

(١) ارتشاف الضّرب: ١٨٧٣/٤.

(٢) آل عمران: ٣١/٣.

(٣) الكهف: ٣٨/١٨، ٣٩.

(٤) الأصمعيّات: ص ٦٨، رقم ١، جاء في (شرح الحماسة للمرزوقي) ٢٤٥/١: "يقول: إن كان دأبك إيمان عدلي والاستمرار في توبيخي، ففارقيني وخذي طريق العراق، لا ردك الله، وقوله لا تحوري: دعاء عليها".

(٥) نفسه: ص ٦٧، رقم ٢. جاء في (شرح اختيارات المفضل) ١٣١٥/٣: "يريد إن كنت وقيت شرّها فيما تقدّم من الحال، فلا تجرّب معاودتها. والسّادر: الرّكاب".

(٦) نفسه: ص ٢٤٤، رقم ٣ (الزيادات من الكتابين).

(٧) انظر: ارتشاف الضّرب: ١٨٧٤/٤.

ت- أن يكون الجواب فعلاً جامداً:

مثال الفعل الجامد- وهو الوحيد في (الأصمعيّات)- قول الأجدع بن مالك الهمداني: (الكامل)

نَفَقُوا الْجِيَادَ مِنَ الْبُيُوتِ وَمَنْ يَبِغِ فَرَسًا فَلَيْسَ جَوَانِدًا بِمُبَاعٍ^(١)

هنا وردت (ليس) مقرونة بالفاء الواقعة في جواب الشرط؛ لأنّها فعل جامد، ودخل على خبرها

حرف الجرّ الزائد (الباء).

ث- أن يكون ماضياً مقروناً بـ(قد) لفظاً أو تقديرًا، كقول القائل: إن تَسَلَّمَ عليّ فقد أسَلَّمَ عليك،

ومثال الأوّل قوله- تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ...﴾^(٢)، مثال الآخر قوله- تعالى:

﴿... إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ...﴾^(٣)؛ أي: فقد صدقت^(٤).

وردت هذه الصّورة في (الأصمعيّات) ثلاث مرّات، منها قول الأسعر الجعفي: (الكامل)

إِخْوَانُ صِدْقٍ مَا رَأَوْكَ بِغِبْطَةٍ فَإِنْ افْتَقَرْتَ فَقَدْ هَوَى بِكَ مَا هَوَى^(٥)

وورد الجواب مقترناً بـ(قد) دون اقترانه بالفاء، منه قوله في القصيدة نفسها:

وَلَقَدْ ثَارَتْ دِمَاعِنَا مِنْ وَاتِرٍ فَالْيَوْمَ إِنْ زَارَ الْمُنُونُ قَدْ اكْتَفَى^(٦)

ج- أن يقترن بـ(سوف): كقوله- تعالى: ﴿... وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾^(٧)، وفي

(الأصمعيّات) لم ترد (سوف) مقرونة بالفاء واقعة في جواب الشرط، أو في جواب الطلب.

ح- أن يقترن بـ(ما) النافية^(٨): كقوله- تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ...﴾^(٩)، مثاله من

(الأصمعيّات) قول عوف بن عطية: (الكامل)

شَرِقًا بِهِ مَاءُ السَّدِيفِ فَإِنْ يَكُنْ لَا شَحْمَ فِيهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا نَحْشُدُ^(١٠)

(١) الأصمعيّات: ص ٨٠، رقم ١١، ورد في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ٦٩: "نَفَقُوا: نَتَّبَعُ؛ يريد نختار. ومبايع:

أبايع الشيء: عرضه للبيع".

(٢) يوسف: ٧٧/١٢.

(٣) يوسف: ٢٦/١٢.

(٤) انظر: ارتشاف الضرب: ١٨٧٤/٤.

(٥) الأصمعيّات: ص ١٥٩، رقم ١٧، الغبطة: حسن الحال. وما رأوك، أي: إذا رأوك مغتبطاً.

(٦) نفسه: ص ١٦١، رقم ٣٥، الواتر: الظالم.

(٧) التّوبة: ٢٨/٩.

(٨) انظر: ارتشاف الضرب: ١٨٧٤/٤.

(٩) يونس: ٧٢/١٠.

(١٠) الأصمعيّات: ص ١٩٠، رقم ٨ (الزيادات من الكتابين)، السديف: شحم السنام. وشرق به: غصّ؛ أراد أن اللحم

شرق بماء السديف.

هنا يُلاحظ أنّ (لا) النَّافِيَةَ للجنس ومعموليهما قد اعترضتْ بين فعل الشرط وجوابه، الذي جاء جملة فعلية مصدرية بـ(ما) النَّافِيَةَ؛ لذلك اقترن الجواب بالفاء.

خ- أن يقترن بـ(السين)، كقوله- تعالى: ﴿...وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(١)، هذه ليس لها تمثيل في (الأصمعيّات).

د- أن يقترن بـ(الن)، كقوله- تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ...﴾^(٢)، هذا التركيب لم أقف له على تمثيل في (الأصمعيّات) أيضًا.

ذ- أن يُصدّر بـ(كأنما)، كقوله- تعالى: ﴿...مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا...﴾^(٣).

جاء جواب الشرط مصدرًا بـ(كأنما) مرتين في (الأصمعيّات)، لكن دون أن يقترن بالفاء، منه قول سلامة بن جندل: (الطويل)

إِذَا مَا عَلَوْنَا ظَهَرَ نَعْلٍ كَأَنَّمَا عَلَى الْهَامِ مِنَّا قَيْضٌ بَيْضٌ مُفْلَقٌ^(٤)

ر- أن يُصدّر بـ(أداة شرط): كقوله- تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ...﴾^(٥)، منه قولك: مَنْ يقدّم لك النصيحة فإن كان صادقًا فأجره على الله.

ز- أن يُصدّر بـ(رُبّ)، كقول القائل: إن توجه لي دعوة فربّما أحضر، منه قول دوسر بن دهلج (القرعي): (الطويل)

وَإِنْ يَكُ شَيْبٌ قَدْ عَلَانِي فَرَبِّمَا أَرَانِي فِي رَيْعِ الشَّبَابِ مَعَ الْمُرْدِ^(٦)

فإن كان الجواب صالحًا لأن يكون شرطًا فلا حاجة إلى ربطه بالفاء؛ لأنّ بينهما مناسبة لفظية تُغني عن ربطه بها، وأمّا إن كان مضارعًا مثبتًا أو منفيًا بـ(لا) فيجوز أن يُربط بها أو لا يُربط، والتّرك أكثر استعمالًا، ومثال ترك الرّبط قوله- تعالى: ﴿...وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ...﴾^(٧)، ومثال

(١) النساء: ١٧٢/٤.

(٢) آل عمران: ١١٥/٣.

(٣) المائدة: ٣٢/٥.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٤٩، رقم ١٣، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ١٣٤: "النعل: القطعة من الأرض الصلبة الغليظة. والهام: الرّؤوس. وقبيض البيض: قشره".

(٥) الأنعام: ٣٥/٦.

(٦) الأصمعيّات: ص ١٦٧، رقم ٣، ريع الشّبَاب؛ أي: ريعانه؛ والمرد أوله. والمرد جمع الأمرد، وهو الشّبَاب الذي بلغ خروج لحيته وطرّ شاربه.

(٧) الأنفال: ١٩/٨.

الرَّيْبُ فِي الْمَضَارِعِ الْمُنْفِيِّ قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿...فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾^(١)، مثاله في المضارع المثبت قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿...وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾^{(٢)(٣)}.

- فِي جَوَازِ حَذْفِ الْفَاءِ أَقْوَالٌ^(٤):

أحدها: يجوز حذفها في حال السَّعة، نقله أبو حيان عن بعض النحويين^(٥).
ثانيها: المنع في الحاليين، قال أبو حيان: "في محفوطي قديماً أن المبرّد منع من حذف الفاء في الضرورة"^(٦).

ثالثها: وهو الأصحّ يجوز ضرورةً ويُمتنع في السَّعة، هذا مذهب سيوييه، يقول: "وسألته عن قوله: إن تأنّتي أنا كريم، فقال: لا يكون هذا إلا أن يضطرّ شاعر، من قبيل أن (أنا كريم) يكون كلاماً مبتدأ، و (الفاء وإذا) لا يكونان إلا معلّقتين بما قبلهما فكرهوا أن يكون هذا جواباً حيث لم يشبه الفاء"^(٧).

- الْحَالَاتُ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا دُخُولُ الْفَاءِ عَلَى جَوَابِ الشَّرْطِ^(٨):

إذا كان جواب الشرط فعلاً ماضياً، ونشتم فيه رائحة الوعد أو الوعيد، فإن اقترانه بالفاء يدلّ على أنّه نزل منزلة ماضي المعنى مبالغةً في تحقيق وقوعه إذا كان هذا الفعل مضارعاً مجرداً أو منفياً بـ(لا) وقيل بـ(لم) أيضاً، يقول خالد الأزهرى: "كلّ جواب يصلح جعله شرطاً بأن يكون ماضي اللفظ دون المعنى، مجرداً من (قد) وغيرها، أو مضارعاً مجرداً، أو منفياً بـ(لم) أو (لا)، فالأكثر خلوه من الفاء، ويجوز اقترانه بها"^(٩). من أمثلة وقوع الفعل المضارع مجرداً مقرونًا بالفاء جوازاً قول الأَسْعَرِ الْجَعْفِيِّ: (الكامل)

وَإِذَا هُوَ اسْتَدْبَرْتَهُ فَتَسْوِقُهُ رَجُلٌ قَمُوصُ الْوَقْعِ عَارِيَةُ النَّسَاءِ^(١٠)

(١) الجنّ: ١٣/٧٢.

(٢) المائدة: ٩٥/٥.

(٣) انظر: شرح التصريح: ٤٠٤/٢-٤٠٧.

(٤) انظر: همع الهوامع: ٤٥٨/٢.

(٥) انظر: ارتشاف الضرب: ١٨٧٤/٤.

(٦) نفسه: ١٨٧٢/٤.

(٧) الكتاب: ٦٤/٣.

(٨) انظر: شرح الأشموني: ٥٨٨/٢، وحاشية الصّبان: ٢٦-٢٧/٤، وشرح التصريح: ٤٠٤/٢.

(٩) شرح التصريح: ٤٠٢/٢.

(١٠) الأصمعيّات: ص ١٥٩، رقم ١١، القموص من الخيل: الوثابة، يُقال: قمص الفرس إذا استنّ؛ وهو أن يرفع يديه ويطحرحهما معاً، ويعجن برجليه.

وقوله:

وَإِذَا هُوَ اسْتَعْرَضْتُهُ مُتَمَطِّرًا فَتَقُولُ هَذَا مِثْلُ سِرْحَانَ الْعُضَا^(١)

من أمثلة وقوع الفعل المضارع المنفي بـ(لم) جواباً للشرط مقرونًا بالفاء جوازًا، قول سَعِيَّةَ بْنِ الْعُرَيْضِ الْيَهُودِيِّ: (الوافر)

فَإِنْ أَوْدَى الشَّبَابُ فَلَمْ أُضِعْهُ وَلَمْ أَتَكِلْ عَلَى أَنِّي غُذِيْتُ^(٢)

يُلاحظ هنا اجتماع (لم) المقرونة بالفاء الواقعة في جواب الشرط مع (لم) المقرونة بواو العطف.

- أدوات الشرط الجازمة:

ذكر النحاة إحدى عشرة أداة هي: إن، وإذ ما، ومن، وما، ومهما، وأي، ومتى، وأيان، وأين، وأنى، وحيثما، ذكرها صاحب (الكتاب) عدا (مهما) و(أيان)، يقول: "فما يُجازى به من الأسماء غير الظروف: من، وما، وأيهم، وما يُجازى به من الظروف: أي حين، ومتى، وأين، وأنى، وحيثما. ومن غيرهما: إن، وإذ ما"^(٣)، سيتناول الباحث آراء النحاة فيها، ثم يرى مدى استعمالها في ديوان (الأصمعيّات).

جاء في (شرح التصريح): "والنوع الثاني جازم فعلين: وهو إحدى عشرة كلمة، وهي بالنظر إلى الخلاف في حقيقتها وعدمه، أربعة أنواع: حرف باتفاق، هو (إن)، وهي أمُّ الباب، وحرف على الأصح وهو (إذ ما)، فقال سيبويه: إنَّها حرف بمنزلة (إن) الشرطيَّة فإذا قلت: إذ ما تقم أقم، فمعناه: إن تقم أقم، وقال المبرِّد، وابن السراج، والفارسي: إنَّها ظرف زمان، وإنَّ المعنى في المثال: متى تقم أقم، واسم باتفاق هي: (من، وما، ومتى، وأي، وأين، وأيان، وأنى، وحيثما)، واسم على الأصح هي: (مهما)، فقال الجمهور: إنَّها اسم بدليل عود الضمير عليها، وزعم السهيلي، وابن يسعون^(٤) أنَّها حرف"^(٥).

ذكر خالد الأزهري أنَّ لهذه الأنواع الأربعة ستة أقسام: أحدها: ما وُضع لمجرد تعليق الجواب على الشرط، وهو: (إن، وإذ ما)، الثاني: ما وُضع للدلالة على من يعقل، ثمَّ ضمَّن معنى

(١) نفسه: ص ١٥٩، رقم ١٢، متمطرًا: مسرعًا، تمطرت الخيل: ذهبت مسرعة. والسرحان: الذئب. والغضا: شجر، وذئب الغضا أخبث الذئاب؛ لأنَّه لا يباشر النَّاس إلا إذا أراد أن يُغير.

(٢) نفسه: ص ٩٦، رقم ٢، أودى الشَّباب: ولَّى وذهبت بهجته ونضارته، ولم أضعه؛ أي: تمتعتُ به ولهوتُ فيه. (٣) الكتاب: ٥٦/٣.

(٤) يوسف بن يقي بن يوسف بن يسعون، أبو الحجَّاج الأندلسي: لغوي، له: "المصباح في شرح أبيات الايضاح"، توفِّي سنة اثنتين وربعين وخمسائة هجرية. انظر: بغية الوعاة: ٣٦٣/٢، والأعلام: ٢٥٦/٨.

(٥) انظر: شرح التصريح: ٣٩٨/٢.

الشَّرْط، هو: (مَنْ)، الثالث: ما وضع للدلالة على ما لا يعقل، ثم ضُمَّن معنى الشرط، وهو: (ما، ومهما)، الرابع: ما وُضع للدلالة على الزَّمان، ثمَّ ضُمَّن معنى الشرط، وهو: (متى، وأيان)، الخامس: ما وُضع للدلالة على المكان ثمَّ ضُمَّن معنى الشرط، وهو: (أين، وأنى، وحيثما)، السادس: ما هو متردّد بين أنواع الاسم الأربعة وهو: (أي)، فإنَّها بحسب ما تضاف إليه^(١).

– العلة مِنْ وراء جزم حروف المجازاة لفعل الشرط وجوابه:

بدايةً لننأمل معاً قول سيبويه: "واعلم أنّ حروف الجزاء تجزم الأفعال، وينجزم الجواب بما قبله"^(٢)، ويقول المبرد: "أصل الجزاء أنّ تكون أفعاله مضارعة؛ لأنَّه يعربها، ولا يُعرب إلا المضارع، فإذا قلت: إنّ تَأْتِي أَتْكَ، فـ(تَأْتِي) مجزومة بـ(إنّ)، و(أتك) مجزومة بـ(إنّ وتَأْتِي)، ونظير ذلك مِنْ الأسماء قولك: زيدٌ منطلقٌ... ولا تكون المجازاة إلا بفعل؛ لأنَّ الجزاء إنّما يقع بالفعل أو بالفاء؛ لأنَّ معنى الفعل فيها"^(٣). جاء في (حاشية الصَّبان) عن سبب تسميتها بالجواز: "فلأنَّ الجزم في اللُّغة: القطع، وهي تقطع مِنْ الفعل حركة أو حرفاً"^(٤).

يقول السِّيرافيُّ عن سبب جزم حروف المجازاة والشرط لِمَا بعدها: "لأنَّها محتاجة إلى أجوبة مِنْ أفعال وجمل، فاستطالوا الكلام فأعطوه الجزم تخفيفاً له؛ مِنْ أجل طوله، وذلك أنّك إذا قلت: (إنّ تَكْرُمْنِي) لم يكن كلاماً تامّاً حتّى تجيء له بجواب؛ فلذلك آثروا الجزم"^(٥).

– الأقوال في العامل في فعل الشرط وجوابه:

يقول السِّيرافيُّ: "أمّا فعل الشرط فلا اختلاف بين أصحابنا – أعلمه – في أنّه مجزوم بـ(إنّ)، وأمّا الجواب فاختلف النُّحاة"^(٦) في العامل الذي يجزمه على ثلاثة أنحاء: أ – منسوب لأبي العباس محمّد بن يزيد (المبرد) يقول: إنّهُ مجزوم بـ(إنّ) والفعل الذي بعدها جميعاً، بمنزلة الخبر والابتداء، فالابتداء والمبتدأ عاملان في الخبر، وحجّته أنّ جواب الشرط لا يتقدّم على الأداة وفعل الشرط، فلا يجوز أنّ نجعل أحدهما عاملاً دون الآخر؛ لذلك أعملوا الاثنين في الجواب.

ب – أنّ (إنّ) هي العامل في الشرط والجواب جميعاً، كما يعمل الفعل في الفاعل والمفعول به جميعاً.

(١) نفسه: ٣٩٩/٢.

(٢) الكتاب: ٦٢/٣.

(٣) المقتضب: ٤٩/٢.

(٤) انظر: حاشية الصَّبان: ٣/٤.

(٥) شرح كتاب سيبويه للسِّيرافيّ: ٨٨/١.

(٦) نفسه: ٨٨/١-٨٩.

ت- يُحكى عن أبي عثمان المازني أنه قال: "الشَّرط والجواب غير مجزوم، وإنما هو مسكَّن على حكم الأفعال في أصلها مِنَ التَّسكين"، ويعتبر السِّيرافيُّ هذا القول فاسدًا بيِّن الفساد".
والآن سأتناول أدوات الشَّرط الجازمة واحدة تلو الأخرى ما لها وما عليها، ولنتأمَّل معًا أقوال النُّحاة فيها.

المطلب الثاني: أدوات الشَّرط غير الظَّرْفِيَّة

أولًا: إن

هي أمُّ هذا الباب، وتقع على رأس أخواتها، يقول عنها سيبويه: "لأنَّها أمُّ الجزاء، ولا تزول عنه"^(١)، وعن سبب اعتبار (إن) أمَّ حروف الجزاء، يقول الخليل بعد أن سأله سيبويه عن ذلك: "مِنْ قِيلِ أَنِّي أَرَى حُرُوفَ الْجَزَاءِ قَدْ يَتَصَرَّفْنَ فَيَكُنَّ اسْتِفْهَامًا، وَمِنْهَا مَا يَفَارِقُهُ (مَا) فَلَا يَكُونُ فِيهِ الْجَزَاءُ، وَهَذِهِ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا لَا تَفَارِقُ الْمَجَازَةَ"^(٢)، ومن أمثلة المجازة بـ(إن) الشَّرطية في القرآن الكريم قوله- تعالى: ﴿...وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ...﴾^(٣).

هذا ووردت (إن) الشَّرطية في (الأصمعيَّات)، وآثرتُ أن أمثُل على الأنماط لفعل الشَّرط وجوابه الخاصَّة بهذه الأداة دون ذكر أرقام؛ أي: عدد المرات التي ورد فيها كلُّ نمطٍ إلا ما استطعت ضبطه؛ وذلك حفاظًا على المصادقيَّة؛ ذلك لأنَّ الأنماط التي وردت عليها (إن) الشَّرطية في (الأصمعيَّات) متداخلة، ولا يمكن ضبط الأرقام بدقة كما حصل في أدوات الشَّرط الأخرى، هذا واتَّخذت (إن) الشَّرطية أنماطًا وصورًا مختلفة على النحو الآتي:

أ- فعل الشَّرط وجوابه ماضيان، مِنْ أَمَثَلْتَهُ قَوْلِ عُرْوَةَ بِنِ الْوَرْدِ: (الطَّوِيل)

وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَنِ مَقَاعِدِ لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ الْبُيُوتِ وَمَنْظَرٍ^(٤)

ومنه قول حرثان بن السَّمُوْعِلِ "ذُو الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِيَّ": (الهِزَج)

وَهُمْ إِنْ وَالِدُوا أَشْبَبُوا بِسِرِّ الْحَسَبِ الْمَخْضِ^(٥)

ب- وجاء فعل الشرط ماضيًا، والجواب مقدر بالماضي، ومنه قول عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ: (الطَّوِيل)

(١) الكتاب: ١/١٣٤.

(٢) انظر: نفسه: ٦٣/٣.

(٣) محمَّد: ٣٨/٤٧.

(٤) (الأصمعيَّات): ص ٤٨، رقم ٧، فوز السَّهم: خروجه أولًا، وسبب ذكره لأدبار البيوت: أن الضَّيف كان إذا نزل يقوم نزل بأدبار البيوت حتَّى يتهيأ له مكانه.

(٥) نفسه: ص ٨٧، رقم ٧، أشبُّوا مِنْ قولهم: أشبى الرَّجُلُ إِذَا وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ ذَكَىَّ نَجِيبٌ.

وَتَشْرَبُ أَسَارَ الْحِيَاضِ تَسُوْفُهَا وَإِنْ وَرَدَتْ مَاءَ الْمُرَيْرَةِ آجِمًا^(١)

التقدير: وَإِنْ وَرَدَتْ مَاءَ الْمُرَيْرَةِ كَرِهْتَهُ وَمَلَّئْتَهُ مِنَ الْمُدَاوِمَةِ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي الْقَصِيدَةِ نَفْسَهَا:

فَإِنْ شِئْتُمْ أَلْفَحْتُمْ وَنَتَجْتُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ عَيْنًا بَعِينٍ كَمَا هُمَا^(٢)

ففي الشطر الأول جاء فعل الشرط ماضيًا، وكذلك الجواب، وفي الشطر الثاني جاء فعل الشرط ماضيًا، والجواب محذوفًا، والتقدير: وَإِنْ شِئْتُمْ فَرُدُّوْهَا كَمَا هُمَا، جَاءَ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ نَقْلًا عَنِ السُّكْرِيِّ^(٣): "يقول: إِنْ شِئْتُمْ فَرُدُّوْهَا أَوْ تَلْقَحُونَهَا وَتَنْتَجُونَهَا وَتَرُدُّونَهَا بِأَوْلَادِهَا، وَعَيْنٌ بَعِينٌ؛ أَي: رُدُّوْهَا بِأَعْيَانِهَا"^(٤).

ت- فعل الشرط وجوابه كلاهما مضارع تام، ومنه قول الممرق العبدِي: (الطويل)

وَإِنْ يَجْبُنُوا تَشْجَعُ وَإِنْ يَبْخَلُوا تَجْدُ وَإِنْ يَخْرِقُوا بِالْأَمْرِ تَفْصِلُ وَتَفْرُقُ^(٥)

ومنه قول الحكيم الخضري: (الطويل)

إِلَى ابْنِ بِلَالٍ جَوْبِي الْبَيْدِ وَالْدَجْبِي بَرِيَّافَةً إِنْ تَسْمَعِ الرَّجَرَ تَغْضَبُ^(٦)

وقول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطويل)

لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا وَإِنْ يَلْقَى مَثْنَى الْقَوْمِ يَفْرَحُ وَيَزِدُّ^(٧)

وقوله في القصيدة نفسها:

وَإِنْ تُعْقِبِ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ تَعْلَمُوا بَنِي قَارِبٍ أَنَا غَضَابٌ بِمَعْبَدٍ^(٨)

(١) نفسه: ص ١٨٧، رقم ٦، جاء في (هامش) الأَصْمَعِيَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ ص ١٦٨: "تَسُوْفُهَا: تَشْمُهَا. وَالْمُرَيْرَةُ، بِالْمُرَيْرَةِ، بِالتَّصْغِيرِ: مَاءٌ

لِبْنِي عَمْرٍو بْنِ كِلَابٍ. وَأَسَارٌ: جَمْعُ سَوْرٍ؛ وَهُوَ مَا تَبَقَّى مِنَ الْمَاءِ فِي الْحَوْضِ. جَاءَ فِي (اللِّسَانِ) ١/٣٣: "أَجَمَ الطَّعَامُ وَاللَّبَنَ وَغَيْرَهُمَا يَأْجِمُهُ أَجْمًا وَأَجَمَهُ كَرِهَهُ وَمَلَّأَهُ مِنَ الْمُدَاوِمَةِ عَلَيْهِ وَقَدْ أَجَمَهُ".

(٢) نفسه: ص ١٨٧، رقم ٢. جاء في (خزانة الأدب) ٧/٥٣٥: "ويقال: أَلْقَحَ الْفَحْلَ النَّاقَةَ إِذَا قَاها: أَحْبَلَهَا. وَالنَّتَاجُ: اسْمٌ يَشْمَلُ وَضْعَ الْبَهَائِمِ مِنَ الْغَنَمِ وَغَيْرِهَا، وَيُقَالُ: فَرَسٌ نَتَوَّجٌ؛ أَي: فِي بَطْنِهَا وَلَدٌ".

(٣) أَبُو سَعِيدِ السُّكْرِيِّ: هُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَتَكِيِّ: عَالِمٌ بِالْأَدَبِ، رَاوِيَةٌ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، جَمَعَ أَشْعَارًا كَثِيرَةً، تُؤَفِّي سَنَةً خَمْسَ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ هَجْرِيَّةً. انظر: بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ: ١/٥٠٢، وَالْأَعْلَامُ: ٢/١٨٨.

(٤) خزانة الأدب: ٧/٥٣٥.

(٥) الأَصْمَعِيَّاتِ: ص ١٨٥، رقم ١٥، يَخْرِقُوا بِالْأَمْرِ: يَجْهَلُوا النَّصْرَفَ فِيهِ. وَتَفْرُقُ: تَحْكُمُ وَتَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ.

(٦) نفسه: ص ٣٦، رقم ١. الْبَيْدُ: جَمْعُ بَيْدَاءٍ، وَهِيَ الْفَلَاةُ. وَالْجَوْبُ: الْقَطْعُ. وَالرِّيَّافَةُ: النَّاقَةُ الَّتِي تَزِيْفُ فِي مَشْيِهَا. وَزَجْرَتْ النَّاقَةُ: أَثْرَتْهَا وَهَيَّجَتْهَا.

(٧) نفسه: ص ١٢٥، رقم ٣٧، أَرَادَ أَنَّهُ يُقَارِعُ قِرْنَهُ مِنَ الْقَوْمِ، وَإِنْ لَقَاهُ قِرْنَانِ فَإِنَّهُ يَفْرَحُ؛ أَرَادَ أَنَّهُ شَجَاعٌ.

(٨) نفسه: ص ١٢٥، رقم ٣٩، جاء في (الاختيارين) ص ٤١٦: "تُعْقِبُ الْأَيَّامُ: تَكُونُ لَنَا عَقْبِي؛ أَي: دَائِرَةٌ تَدُورُ عَلَيْهِمْ. وَمَعْبَدٌ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ أَخُوهُ".

وقوله في قصيدة أخرى: (الطويل)

فَإِنْ تُدْبِرُوا يَاخُذْنَكُمْ فِي ظُهُورِكُمْ وَإِنْ تُقْبَلُوا يَاخُذْنَكُمْ فِي التَّرَائِبِ^(١)

وقوله في القصيدة نفسها:

وَإِنْ تُسْهَلُوا لِلْخَيْلِ تُسْهَلْ عَلَيْكُمْ بَطْعِنِ كَبَائِزِغِ الْمَخَاضِ الضَّوَارِبِ^(٢)

ث- فعل الشَّرَط فعل مضارع ناقص، والجواب فعل مضارع مبني للمجهول، اقترن بـ(قد) والفاء، ومنه قول مُهَلْهَل بن ربيعة: (الوافر)

فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ يُبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ^(٣)

ج- فعل الشَّرَط فعل مضارع ناقص، والجواب فعل ماضٍ اقترن بـ(قد) والفاء، منه قول كَعْب بن سَعْدِ الغَنَوِيِّ: (الطويل)

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهْنٌ ذُنُوبُ^(٤)

ح- فعل الشَّرَط وجوابه كلاهما مضارع منفي بـ(لم)، وعطفٌ بالواو على الجواب، منه قول عَلْبَاءِ ابْنِ أَرْقَمَ بن عوف: (الطويل)

وَيَوْمًا تُرِيدُ مَا نَا مَعَهَا فَإِنْ لَمْ نُنَلِّهَا لَمْ تُنَمْنَا وَلَمْ تَنَمْ^(٥)

خ- فعل الشَّرَط وجوابه كلاهما مضارع، وفعل الشَّرَط مِنَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ منفي بـ(لا)، ومعطوف عليه بالواو، وجواب الشَّرَط مجزوم بالسكون، منه قول سَهْمَ بنِ حَنْظَلَةَ الغَنَوِيِّ: (البيسط)

إِنْ لَا يُفِيقُوا وَلَيْسُوا فَاعِلِينَ أُذِقْ مِنْهُمْ سِنَانِي بِمَا لَمْ يُحْرِمُوا رَجَبًا^(٦)

د- فعل الشَّرَط وجوابه كلاهما مضارع، وفعل الشَّرَط مِنَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ، وجواب الشَّرَط مجزوم بالسكون في كلا الشَّطْرَيْنِ، مثاله كما في قول المُمَزَّقِ العَبْدِيِّ: (الطويل)

(١) نفسه: ص ١٢٦، رقم ٨، تُدْبِرُوا؛ أي: تفرَّقوا. وقوله يأخذنكم؛ أي: الرِّمَاحُ في أيدي الفرسان. والتَّرَائِبِ: موضع القلادة مِنَ الصَّدْرِ؛ وأراد: النُّحُور.

(٢) نفسه: ص ١٢٦، رقم ٩، المخاض: الحوامل مِنَ الثَّوْقِ. والضَّوَارِبِ: اللُّوَأَحِ التي ضربها الفحل، جاء في (لسان العرب) ٤/٨٤٣: "وَأُورِغَتِ النَّاقَةُ ببولها؛ أي: رَمَتْ به رَمِيًّا وَقَطَّعَتْه، قال الأصمعيُّ: ولا يكون ذلك إِلَّا إِذَا ضَرَبَهَا الفحل".

(٣) نفسه: ص ١٧١، رقم ٢، جاء في (أمالِي الفالِيّ) ١٣١/٢: "يقول: إِنَّ كَانَ طَال لَيْلِي بِهَذَا المَوْضِعِ لَقَتَلَ أَخِي، فَقَدْ كُنْتُ أَسْتَقْصِرُ اللَّيْلَ وَهُوَ حَيٌّ".

(٤) نفسه: ص ١١٠، رقم ١٨.

(٥) نفسه: ص ١٧٥، رقم ٤.

(٦) نفسه: ص ٦٠، رقم ٢٣، لا يفيقوا؛ أي: ممَّا يفعلون معي مِنْ أفعالٍ سيِّئَةٍ. وَيُحْرِمُوا رَجَبًا؛ أي: رَجَبَ المَحْرَمِ.

فَإِنْ يُتَّهَمُوا أَنْجِدْ خِلَافًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ يُعْمِنُوا مُسْتَحْقِبِي الْحَرْبِ أُعْرِقُ^(١)

ذ- فعل الشَّرَط وجوابه كلاهما مضارع، وفعل الشَّرَط مجزوم بحذف حرف العلة، وجواب الشَّرَط مجزوم بالسكون، منه قول سَعْدَى بنتِ الشَّمْرَدَلِ الجُهَيْتِيَّة: (الكامل)

إِنْ تَأْتِهِ بَعْدَ الْهُدُوِّ لِحَاجَةٍ تَدْعُو يُجِبُّكَ لَهَا نَجِيبٌ أَرْوَعُ^(٢)

ر- فعل الشَّرَط وجوابه كلاهما مضارع مجزوم بالسكون، وكُسِر الجوابُ لأجل حركة الرَّوِيِّ، منه قول سَلَامَةَ بنِ جَنْدَلٍ: (الطَّوِيل)

لَهُ بِقَرَارِ الصُّلْبِ بَقْلٌ يُلْسُهُ وَإِنْ يَتَّقَدِّمُ بِالدَّكَادِكِ يَأْتُقُ^(٣)

ز- الجواب محذوف، وربما تقدَّم على أداة الشَّرَط، منه قول عَمْرُو بنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ: (الوافر)

فِدَى لَهُمْ مَعَا عَمِّي وَخَالِي وَشَنُخُ شَبَابِهِمْ إِنْ لَمْ يُضِيعُوا^(٤)

ومنه قول الأَسْعَرِ الجُعْفِيِّ: (الكامل)

وَخَصَاصَةُ الْجُعْفِيِّ مَا صَاحَبَتْهُ لَا تَنْقُضِي أَبَدًا وَإِنْ قِيلَ انْقُضِي^(٥)

ومنه قول سَهْمَ بنِ حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ: (البيسط)

شَهُمُ الْفَوَادِ قَبِيضُ الشَّدِّ مُنْجَرِدٍ قَوْتُ النَّوَاطِرِ مَطْلُوبًا وَإِنْ طَلَبَا^(٦)

الجواب محذوف، التَّقْدِير: وَإِنْ طَلَبَ فَهُوَ مَطْلُوبٌ.

س- وجاء جواب الشَّرَط جملة اسمية مقرونة بالفاء في سِتَّة مواضع، منه قول مَالِكِ بنِ حَرِيمِ الهمْدَانِيِّ: (الطَّوِيل)

(١) نفسه: ص ١٨٥، رقم ١٩. جاء في (شرح أبيات المغني) ١٤٨/٥: "وأعمن: إذا أتى عُمان... وأعرق: إذا أتى العراق. واستحقبه: أخره لوقت الحاجة".

(٢) نفسه: ص ١١٧، رقم ٢٥، الهدو: الطائفة من الليل، والنَّجِيب: الكريم الفاضل. والأروع: الذي يروعك جماله.

(٣) نفسه: ص ١٤٧، رقم ٤. جاء في (هامش) الأَصْمَعِيَّاتِ المِصْرِيَّةِ ص ١٣٣: "الصلب: موضع، والقرار: مستقر الماء في الرِّوَضَةِ. ويلسُّه: يأكله أو تتناوله بألسنتها. والدَّكَادِكُ: جمع "دَكَدَكَ" بفتح الدالين وكسرهما، وهو من الرَّمْلِ ما التَّبَدَّ بعضه على بعض بالأرض ولم يرتفع كثيرًا. ويأتق: يكسب الأتق أجمع، والأتق: النَّبَاتِ الحِسن المعجِب".

(٤) نفسه: ص ١٩٣، رقم ٢٤ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (الاختيارين) ص ٣٦٩: "الشَّرخ: أول السنِّ، وتُجمع على شروخ؛ أي: إن لم يضيعوا أمرهم".

(٥) نفسه: ص ١٥٩، رقم ١٦، الخصاصة: الفقر والحاجة.

(٦) نفسه: ص ٥٩، رقم ١٣، فرس شَهْم: قويٌّ سريع. والقبيض: السَّريع نقل القوائم. والمنجرد: الفرس القصير الشَّعر.

- فَإِنْ يَكُ شَابَ الرَّأْسُ مِنِّي فَإِنِّي أَبَيْتُ عَلَى نَفْسِي مَنَاقِبَ أَرْبَعَا^(١)
- وقول علباء بن أرقم: (الطويل)
- فَقُلْتُ لَهَا إِنْ لَا تَنَاهَى فَإِنِّي أَخُو النُّكْرِ حَتَّى تَقْرَعِي السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ^(٢)
- ومنه قول دوسر بن ذهيل القرعبي: (الطويل)
- فَإِنْ تَكُ أَثْوَابِي تَمَزَّقَنَّ لِلْبَلَى فَإِنِّي كَنَصْلِ السَّيْفِ فِي خَلْقِ الغِمْدِ^(٣)
- وقول العباس بن مرداس: (الطويل)
- فَإِنْ يَفْتُلُوا مِنَّا كَرِيمًا فَإِنَّا أَبَانَا بِهِ قَتَلَى تَذِلُ المَعَاظِيسَا^(٤)
- ومنه قول المتلمس: (الطويل)
- فَإِنَّ نِصَابِي إِنْ سَأَلْتَ وَمَنْصِبِي مِنْ النَّاسِ قَوْمٌ يَقْتَتُونَ المَزْنَمَا^(٥)

هنا جواب الشرط محذوف يدلُّ عليه ما تقدّم على أسلوب الشرط، التقدير: إِنْ سَأَلْتَ فَإِنَّ نِصَابِي مِنَ النَّاسِ...

ش- وجاء جواب الشرط جملة اسمية غير مقرونة بالفاء، منه قول سوار بن المضرب: (الوافر)

- وَإِنْ غَوَّزَنَ هَاجِرَةً بِفَيْفٍ كَأَنَّ سَرَابَهَا قَطَعُ الدُّخَانِ^(٦)
- ص- وجاء جواب الشرط جملة فعلية مقرونة ب(قد) والفاء، منه قول خفاف بن نذبة: (السريع)
- إِنْ أَمْسَ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا فَقَدْ أَمْلِكُ أَمْرَ المَنْسِرِ الحَارِدِ^(٧)

(١) نفسه: ص ٧٤، رقم ١٤.

(٢) نفسه: ص ١٧٥، رقم ٦، النكر: الدهاء.

(٣) نفسه: ص ١٦٧، رقم ٢. أراد هو كنصل السيف الحادّ في غمد ممزّق بال.

(٤) نفسه: ص ٢٣١، رقم ٢٤ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (الاختيارين) ص ٧٣٨-٧٣٩: "أبانا: من البواء، وهو من الجزاء، وقتل رجل برجل. والمعاطس: جمع معطس؛ وهو الأنف".

(٥) نفسه: ص ٢٤٥، رقم ٨ (الزيادات من الكتابين)، النصاب: الأصل، ويقتونه: يتخذونه قنية. جاء في (لسان العرب) ١٨٧٤/٣: "المزّم من الإبل: الكريم الذي جعل له زئمة، علامة لكرمه".

(٦) نفسه: ص ٢٤١، رقم ٢٩ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (الاختيارين) ص ١١١: "التغوير: النزول في الفائزة؛ وهي الهاجرة أو القائلة، ويقال: غوروا بنا. والفيف: المستوي من الأرض البعيد".

(٧) نفسه: ص ٣٤، رقم ٢، المنسر: ما بين العشرين إلى الثلاثين. والحارد: الغضبان.

ض- الجواب جملة طلبية، نوعها أمر، والجواب مقرون بالفاء، ورد جواب (إن) مقرونًا بالفاء في (الأصمعيّات) في خمسة مواضع، منه قول عَوْف بن عَطِيَّة: (الطَّوِيل)

وَإِنْ كَانَ عَقْلًا فَاغْلُوا لِأَخِيكُمْ بَنَاتِ الْمَخَاضِ وَالْبِكَارِ الْمَقَاحِمَا^(١)

ط- وتقدّم الدليل على جواب الشرط على الأداة وفعل الشرط معًا، والجواب جملة طلبية مقرونة بالفاء، كما في قول المُفَضَّل النُّكْرِي: (الوافر)

فَوَدَّعَهَا وَإِنْ كَانَتْ أَنَاةً مُبْتَلَاةً لَهَا خَلْقٌ أُنِيَقُ^(٢)

ظ- وجاء فعل الشرط في الشرط الأوّل ماضيًا ناقصًا، والجواب جملة طلبية، فعلها أمر ناقص مقرون بالفاء، مثاله من (الأصمعيّات) قول المُمَرِّقِ العَبْدِيِّ: (الطَّوِيل)

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَقُ^(٣)

يُلاحظ هنا أنّ فعل الشرط في الشرط الثّاني محذوف، والتقدير: وإن لم تكن آكلي فأدركني. يقول الرّضِي: " (إن) الشرطيّة كثيرة الاستعمال مع (كان) الناقصة، فإن حُذِف شرطها جوازًا، لم يُغَيَّر حرف الشرط عن صورته، نحو: إن سيقًا فسيف"^(٤)، فالشرط الأوّل من كلام الرّضِي لمسته بوضوح في (الأصمعيّات)؛ وهو كون (إن) الشرطيّة كثيرة الاستعمال مع (كان) الناقصة، أمّا حذف شرطها جوازًا فهذه الصّورة ليس لها ما يمثلها في (الأصمعيّات).

(١) نفسه: ص ١٨٧، رقم ٣، جاء في (خزانة الأدب) ٥٣٧/٧ نقلًا عن السُّكْرِيِّ: "يقول: إن صار الأمر إلى عقل أخيكم الذي أخذت إبله فاعقلوا بنات المخاض والبكار المقاحم؛ أي: اجمعوا له الرذالة فأدوها إليه، وهذا هزء بهم".

(٢) نفسه: ص ٢٢١، رقم ٤ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (شرح أبيات المغني) ٣٤٨/١: "الأناة من النساء: التي فيها فتور عند القيام وتأن، وهو مدح فيها. والمبتلّة: الجميلة التي لم يركب بعض لحمها بعضًا، وفي أعضائها استرخاء، ولا يوصف به الرّجل".

(٣) نفسه: ص ١٨٥، رقم ١٨ (الزيادات من الكتابين)، فأدركني؛ أي: وإن لم تكن آكلي. وأدركني: أمر من أدركه: إذا طلبه فلحقه.

(٤) انظر: شرح الرّضِي على الكافية: ١٥١/٢.

- مسائل لا بدّ من ذكرها تتعلّق بـ(إن) الشرطيّة:

المسألة الأولى: رفع جواب الشرط الواقع جواباً لجازم

من المتعارف عليه بين النحاة أنّ كلاً من فعل الشرط وجوابه الواقعين بعد أداة من أدوات الجزم يكونان مجزومين في الأغلب، بعد الاطّلاع على ديوان (الأصمعيّات) استرعى انتباهي أنّ عدداً من أفعال جواب الشرط جاءت مرفوعة بدلاً من أن تكون مجزومة؛ أي: أنّ حقّها الجزم، وبعد العودة إلى أقوال علماء العربيّة الأفاضل فيما يتعلّق بهذه الظاهرة تبين أنّ ذلك جائز في الشعر، وإن كان قبيحاً في غيره، كما أشار إلى ذلك شيخ النحاة، يقول: "وقبّح في الكلام أن تعمل (إن) أو شيء من حروف الجزاء في الأفعال حتّى تجزّمه في اللفظ، ثمّ لا يكون لها جواب ينجزم بما قبله، ألا ترى أنّك تقول: أتيتك إن أتيتني، ولا تقول: أتيتك إن تأتيتني، إلا في شعر؛ لأنّك أخرت (إن) وما عملت فيه ولم تجعل لـ(إن) جواباً ينجزم بما قبله"^(١).

جاء في (المقتضب) ما يشير إلى كيفية التّعامل مع جواب الشرط المرفوع إذا وقع بعد أداة شرط جازمة، إمّا لإرادة الفاء، وإمّا تقديمه على الأداة، يقول: "والبصريّون يقولون: هو على إرادة الفاء، ويصلح أن يكون على التّقديم"^(٢)، من أمثله في (الأصمعيّات) قول عروة بن الرّوذ: (الطّويل)

وإنّ بعُدُوا لا يَأْمُنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوَّفَ أَهْلُ الْغَائِبِ الْمُتَنظِّرِ^(٣)

قوله (يَأْمُنُونَ) جاءت مرفوعة بثبوت النّون، وهي جواب لـ(إن) الشرطيّة، والأصل أن تكون مجزومة، ولكن ذلك جائز في الشعر؛ لأنّه من الضّرورات على نحو ما ذهب إليه سيبويه، فالرفع إمّا على نيّة التّقديم، أو على نيّة تقدير الفاء، منه قول عمرو بن معدّ يكرب: (الوافر)

فَإِنْ تَنَبَّ النَّوَائِبُ آلَ عَصِمٍ تُرَى حَكَمَاتُهُمْ فِيهَا رُفُوعٌ^(٤)

بناءً على ما ورد في (المقتضب)، فإنّ التّمثيل فيه رفع (ترى) على نيّة التّقديم، واعتبار (إن) غير عاملة في اللفظ مع تضمّنها معنى الجواب، وتقديره: تُرَى حَكَمَاتُهُمْ فِيهَا رُفُوعٌ إِنْ تَنَبَّ النَّوَائِبُ...، أو تقديره على حذف الفاء على رأي المبرّد. كما أنّه يجوز في الشعر رفع جواب الشرط الجازم، فإنّه يجوز كذلك جزم فعل الشرط غير الجازم وجوابه، يقول سيبويه: "وإن اضطرّ شاعر

(١) الكتاب: ٦٦/٣.

(٢) انظر: المقتضب: ٧٢/٢.

(٣) الأصمعيّات: ص ٥٠، رقم ٢٠.

(٤) نفسه: ص ١٩٤، رقم ٢٦.

فأجرى (إذا) مجرى (إن) فجازى بها قال: أزيد إذا ترَ تضرب، إن جعل تضرب جواباً^(١)، هذه الصورة لم أقف على أمثلة لها في (الأصمعيّات).

المسألة الثانية: جواز رفع ما بين الجزمين وجزم ما بينهما

عقد سيبويه باباً يحمل هذا العنوان، وضرب الأمثلة على هذه المسألة، يقول: "فأما ما يرتفع بينهما فقولك: إن تأتي -تسألني - أعطك؛ وذلك لأنك أردت أن تقول: إن تأتي -سائلاً- يكن ذلك...وأما ما ينجزم بين المجزومين فقولك: إن تأتي ثم تسألني أعطك، وإن تأتي فتسألني أعطك، وإن تأتي وتسألني أعطك؛ وذلك لأن هذه الحروف يُشركن الآخر فيما دخل فيه الأول، ولا يجوز في ذا الفعل الرفع"^(٢)، مثال النوع الأول من (الأصمعيّات) قول عبد الله بن جنيح النكريّ: (الكامل)

إِنْ يَطْلُبُوا بِجَرِيرَةٍ يَنَؤُنْهَا أَوْ يَطْلُبُوا لَا يُدْرِكُوا بِتِرَاتٍ^(٣)

هنا رُفِعَ الفعل (يَنَؤُنْ) بثبوت النون، وهو يقع جملة في محل نصب حال من واو الجماعة في (يَطْلُبُوا)، وقد اعترض بين فعل الشرط والجزاء وهو ليس بجزاء، وإنما الجزاء قوله: (لَا يُدْرِكُوا)، وهناك مسألة أخرى تتمثل في أنه جزم الفعل (يَطْلُبُوا) بحذف النون مع أنه عطف بـ(أو) على (يَنَؤُنْها)، ولو رفع الفعل بثبوت النون لجاز ذلك، لأنه ليس فعل شرط ولا جواباً له، والمعطوف على المرفوع مرفوع، كما هو بدهي.

المسألة الثالثة: جواز تقديم معمول فعل الشرط عليه وحده، وجواز تقديم معمول جواب الشرط عليه وحده أيضاً

ذهب ابن مالك إلى أنه يجوز في الشرط بـ(إن) تقديم معموله عليه وحده، وكذلك تقديم معمول الجواب عليه وحده باتفاق، نحو: إن طعامنا تأكل نكرمك، وإن تكرمنا طعامك نأكل^(٤)، وأما الفراء فقد أجاز تقديم معمول فعل الشرط، ولم يجز تقديم معمول جواب الشرط، تقول: إن عبد الله يقيم أبوه، ولا يجوز أبوه يقيم^(٥).

في (الأصمعيّات) ورد تقديم معمول فعل الشرط عليه وحده مرّة واحدة فقط - فيما وجدت - هي قول مالك بن حريم الهمدانيّ: (الطويل)

(١) الكتاب: ١/١٣٤.

(٢) نفسه: ٣/٨٥، ٧٨-٨٨.

(٣) الأصمعيّات: ص ١٢٩، رقم ٧، الجريرة: الجناية. والتّرات: جمع ترة، وهي الجناية يجنبها الرّجل على غيره. وينأونها؛ أراد يُبْعِدون في طلبها حتّى يحصلوا عليها.

(٤) انظر: شرح التّسهيل: ٤/٨٤.

(٥) انظر: معاني القرآن: ١/٤٢٢.

إِذَا مَا بَعِيرٌ قَامَ عَلَّقَ رَحْلَهُ وَإِنْ هُوَ أَبْقَى أَلْحَمُوهُ مُقَطَّعًا^(١)

في الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ الضَّمِيرِ (هُوَ) مَعْمُولًا لِفِعْلِ الشَّرْطِ (أَبْقَى) مُقَدِّمًا عَلَيْهِ، وَهَذَا جَائِزٌ بِاتِّفَاقِ جَمْهُورِ النُّحَاةِ، جَاءَ فِي (هَمْعِ الْهَوَامِعِ): "وَيَتَعَيَّنُ انْفِصَالُ الضَّمِيرِ فِي صُورِ إِحْدَاهَا: أَنْ يُضْمَرَ عَامِلُهُ"^(٢). وَتَعَيَّنَ فِي الْبَيْتِ الْمَذْكُورِ انْفِصَالُ الضَّمِيرِ، وَهُوَ مَرْفُوعٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ يَفْسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ، وَقِيلَ: هُوَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأً، وَيَصِحُّ اعْتِبَارُ هَذَا الضَّمِيرِ ضَمِيرَ فَصْلِ يُمْكِنُ الِاسْتِغْنَاءُ عَنْهُ، بِدَلِيلِ أَنَّهَ لَوْ حَذَفْنَا لَمَّا اخْتَلَّ مَعْنَى الْبَيْتِ، وَإِنْ اخْتَلَّ الْوِزْنُ وَالشَّكْلُ الْمَوْسِيقِيُّ، وَتَحَدَّثَ النُّحَاةُ عَنِ ضَمِيرِ الْفَصْلِ وَمَوَاضِعِهِ، فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ ضَمَائِرِ الرَّفْعِ الْمُنْفَصِلَةِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَ رُكْنِي الْجُمْلَةِ، وَهَذَا مَا يُلَاحِظُ بِالْفِعْلِ عَلَى الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَوْضِعُ الدِّرَاسَةِ. هُنَاكَ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى فِي الْبَيْتِ تَتِمَّنُّ فِي اجْتِمَاعِ شَرْطَيْنِ: الْأَوَّلُ: بِ(إِذَا)، وَالْآخِرُ بِ(إِنْ)، وَ(مَا) زَائِدَةٌ، وَ(إِذَا) جَاءَ بَعْدَهَا اسْمًا، وَ(إِنْ) جَاءَ بَعْدَهَا ضَمِيرًا، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ حَذْفٍ، هَذَا الْحَذْفُ يُسَاعِدُ عَلَى تَقْدِيرِهِ مَا وَرَدَ فِي (الِاخْتِيَارَيْنِ) مِنْ شَرْحِ الْبَيْتِ الْمَذْكُورِ: "يَقُولُ: إِذَا قَامَ بَعِيرٌ - وَقَفَ عَنِ السَّيْرِ - عَلَّقُوا رَحْلَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ سَمِينًا قَطَّعُوهُ فَفَرَّقُوهُ"^(٣)، فِي الشَّرْطِ الْأَوَّلِ فِعْلُ الشَّرْطِ مُقَدَّرٌ، وَالْجَوَابُ مَاضٍ، وَالتَّقْدِيرُ: إِذَا مَا قَامَ بَعِيرٌ قَامَ عَلَّقَ رَحْلَهُ. أَمَّا تَقْدِيمُ مَعْمُولِ جَوَابِ الشَّرْطِ عَلَيْهِ فَلَمْ أَفْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِي آيَاتِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ).

المسألة الرابعة: وقوع الاسم بعد أداة الشرط (إن)^(٤).

أَوْجِبَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي (إِنْ) وَ(لَوْ) أَنْ يَلِيَهُمَا الْفِعْلُ، أَمَّا إِذَا كَانَ اسْمًا جَامِدًا فَلَا بَدَّ مِنْ إِضْمَارِ فِعْلِ يَفْسِّرُهُ هَذَا الظَّاهِرُ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَجِزْ: لَوْ زَيْدٌ ذَاهِبٌ، وَلَا إِنْ عَمْرُو خَارِجٌ^(٥). هَذَا وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ الْاسْمِ بَعْدَ أَدَاةِ الشَّرْطِ (إِنْ) فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ، مِنْ ذَلِكَ - عَلَى سَبِيلِ التَّمَثِيلِ لَا الْحَصْرِ - قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ...﴾^(٦). يَقُولُ الْفَرَّاءُ مُعَلِّقًا عَلَى الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ: "وَقَوْلُهُ: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ...) فِي مَوْضِعِ جِزْمٍ، وَإِنْ فُرِّقَ بَيْنَ الْجَائِزِ وَالْمَجْزُومِ بِ(أَحَدٍ)، وَذَلِكَ سَهْلٌ فِي (إِنْ) خَاصَّةً دُونَ حُرُوفِ الْجِزْمِ؛ لِأَنَّهَا شَرْطٌ

(١) الْأَصْمَعِيَّاتِ: ص ٧٥، رَقْم ٢٣، أَلْحَمُوهُ: قَطَّعُوهُ، وَأَطْعَمُوا النَّاسَ لَحْمَهُ. جَاءَ فِي (اللِّسَانِ) ٣٧٨١/٥: قَامَتِ الدَّابَّةُ إِذَا وَقَفَتْ عَنِ السَّيْرِ".

(٢) هَمْعُ الْهَوَامِعِ: ٢١٠/١.

(٣) الْإِخْتِيَارَيْنِ: ٢٣٥.

(٤) انظُرْ: الْإِتِّصَافُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ ٤٩٠-٤٩٣، وَشَرْحُ الرُّضِيِّ عَلَى الْكَافِيَةِ: ٤٧٠/١، وَمَغْنِي اللَّيْبِيِّ: ٣٩٠/١.

(٥) انظُرْ: الْمَفْصَلُ: ٤٤٣/١.

(٦) التَّوْبَةُ: ٦/٩.

وليست باسم^(١). ويعلّق السُّبُوطِيُّ: "التَّقْدِيرُ: إِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ، فَاسْتَجَارَكَ) المتأخر فسرت الأولى المضمره وارتفع (أحد) على الفاعلية بها"^(٢).
ورود الاسم بعد (إِنْ) الشرطية في (الأصمعيّات) ليس له ما يمثّله، يُلاحظ أنّ جميع ما جاء بعدها تقريباً الأفعال فقط، كما سبق التمثيل لذلك.

المسألة الخامسة: اجتماع الشرطين

وردت (إِنْ) الشرطية مع أساليب شرطية أخرى في بيت واحد في (الأصمعيّات)، منها الشرط بـ(إِذَا) مرتين، مِنْ أمثلة اجتماع الشرط بـ(إِنْ) مع الشرط بـ(إِذَا) قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ: (البيسط)

إِذَا افْتَقَرْتَ نَأَى وَاشْتَدَّ جَانِبُهُ وَإِنْ رَأَى غَنِيًّا لَانَ وَاقْتَرَبَا^(٣)

هنا اجتمع شرطان، وكلُّ أسلوب منهما توفّر له فعل الشرط وجوابه بمفرده دون أن يُنازع أحد منهما الآخر.

- ملحقات (إِنْ) الشرطية:

لها صور وتراكيب، منها:

أ- إِمَّا:

تحدّث النحاة عن زيادة (ما) بعد (إِنْ) الشرطية، يقول الجوهري^(٤): "إِذَا زَادَتْ عَلَى (إِنْ) (ما) زِيدَتْ عَلَى فَعْلِ الشَّرْطِ نَوْنُ التَّأَكِيدِ، قَالَ اللهُ - تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا تَنْفَعْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلْفَهُمْ...﴾"^(٥)، ويقول الزمخشري: "وتجيء (إِنْ) مع زيادة (ما) في آخرها للتأكيد"^(٦).
جاء في (الأزهيّة): "تكون (إِمَّا) جزءاً بمعنى (إِنْ)، وتكون (ما) زائدة للتوكيد، وتدخل معها نون التوكيد، كقولك: إِمَّا تَقُومَنَّ أَقْمُ"^(٧).

في (الأصمعيّات) وردت (إِنْ) الشرطية الجازمة مزيدة معها (ما) خمس مرّات، لم يكن فعل الشرط في واحدة منها مقروناً بنون التوكيد، وهذا جائز في الشعر كما يقول الهروي: "وقد جاء في

(١) معاني القرآن: ٤٢٢/١.

(٢) همع الهوامع: ٤٥٥/٢.

(٣) الأصمعيّات: ص ٦١، رقم ٣٣.

(٤) الصّحاح: ٦١/٧.

(٥) الأنفال: ٥٧/٨.

(٦) انظر: المفصل: ٤٤١/١، وشرحه لابن يعيش: ٥/٩.

(٧) الأزهيّة: ١٤٢.

الشعر الجزاء ب(إمّا) بغير نون التوكيد^(١)، المواضع المذكورة هي: قول خُفّاف بن نُذْبَةَ: (الطويل)

فإمّا تَرِنِي أَقْصَرَ الْيَوْمَ بَاطِلِي وَلاَحَ بِيَاضِ الشَّيْبِ فِي كُلِّ مَفْرَقٍ^(٢)

وقول عَوْفَ بنِ عَطِيَّة: (الكامل)

إمّا تَرِنِي قَدْ كَبُرْتُ وَشَفَنِي وَجَعٌ يُقَرِّبُ فِي الْمَجَالِسِ عَوْدِي^(٣)

وقول صُحَيْبِ بنِ عَمِير: (الرجز)

إمّا تَرِنِي لِلْوَاقِرِ وَالْعَلَّةِ^(٤)

جواب الشرط في الأبيات الثلاثة السابقة الذكر محذوف، والتقدير: إمّا تَرِنِي... فذاك أمر بين، وذلك قياساً على قوله - تعالى: ﴿...فإمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوْفِينَاكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾^(٥)، يقول الزمخشري معلقاً على جواب الشرط الأول المحذوف في الآية الكريمة: "وجزاء (نُرِيَنَّكَ) محذوف تقديره: فإمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك"^(٦).

وجاء فعل الشرط وجوابه مضارعين مجزومين بالسكون، كما في قول عِلْبَاءِ بنِ أَرْقَم: (الكامل)

زَعَمْتُ تُمَاضِرُ أَنْتِي إمّا أُمْتُ يَسُدُّدُ أُبْيُئُوها الْأَصَاغِرُ خَلْتِي^(٧)

جاء في (هامش شرح المفصل): "أنشد الشارح العلامة هذا البيت على أنه يجوز ألا تأتي

بنون التوكيد في فعل الشرط مع (إن) الشرطية المقرونة ب(ما)"^(٨).

جاء فعل الشرط فعلاً ماضياً ناقصاً، والجواب جملة اسمية؛ لذلك اقترنت بالفاء، منه قول عمرو ابن معد يكرب: (الوافر)

(١) نفسه: ١٤٣.

(٢) الأصمعيّات: ص ٢٥ رقم ٩، أقصر: كف. والباطل: الصبا واللّهو. والمفرق: وسط الرأس؛ أراد في كل مفروق من مفارق رأسه.

(٣) نفسه: ص ١٨٩، رقم ٣، شقني: أهزلني وأضمري. وعودي: زوّاري.

(٤) نفسه: ص ٢٣٤، رقم ١٦. العلة: الجزع.

(٥) غافر: ٧٧/٤٠.

(٦) الكشاف: ٣٦٠/٥.

(٧) الأصمعيّات: ص ١٧٨، رقم ٣، جاء في (شرح الحماسة للمرزوقي) ٥٤٨/١: "يقول: ظننت هذه المرأة أنه إن نزل بي حادث... سدّ مكاني بزوالي أبناؤها الأصاغر.

(٨) انظر: هامش شرح المفصل: ٦/٩.

فَأَمَّا كُنْتَ سَائِلَةً بِمُهْرِي فَمُهْرِي إِنْ سَأَلْتِ بِهِ الرَّفِيعَ^(١)

هنا نوالى شرطان: الأول جوابه جملة اسمية خبرها محذوف، والتقدير: (فمُهْرِي رفِيعُ الشَّانِ)، والآخر: جوابه جملة اسمية أيضاً صدرها محذوف، والتقدير: (هو الرَّفِيعُ)، وهناك إمكانية لاعتبار جواب الشرط الأول هو الجواب المذكور، وأنَّ الشرط الثاني معترض بين ركني جواب الشرط الأول-المبتدأ والخبر- وجواب الشرط الأول يغني عنه جواب الشرط الثاني، فالشرطان يحملان المعنى نفسه الذي أراد الشاعر إيصاله للمخاطب، والهدف من التكرار هو تأكيد الفكرة لا غير. أمَّا قول أبي ذؤاد الإيادي يصف فرساً: (المتقارب)

وَعَادَى ثَلَاثًا فَخَرَّ السَّنَا نُ إِمَّا نُصُولًا وَإِمَّا انْكِسَارًا^(٢)

فليس منه، ويمكن اعتبار (إمَّا) هنا حرف تفصيل، وهذا التركيب شبيه بالتركيب الوارد في قوله- تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٣)، جاء في (التيبان): "(إمَّا) هَاهُنَا لِتَفْصِيلِ الْأَحْوَالِ"^(٤)، وجاء في (أمالي ابن الشجري) تعليقاً على الآية المذكورة: ذهب البصريون إلى أنَّ (إمَّا) للتخيير، وأجاز الكوفيون أنَّ تكون (إمَّا) هاهنا هي الشرطية^(٥)، وأمَّا الفرءاء فيقول عنها: "و(إمَّا) هاهنا تكون جزاء؛ أي: إِنْ شَكَرَ، وَإِنْ كَفَرَ"^(٦).

يمكن قياس ما ورد في بيت الشعر السابق على ما ورد في الآية الكريمة، ف(إمَّا) يمكن أن تكون للتفصيل أو للتخيير أو للجزاء، هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

ب- إِلَّا:

لم يُغْفَلِ النُّحَاةُ الْحَدِيثُ عَنْ مَجِيءِ (لَا) النَّافِيَةِ بَعْدَ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ، قَدْ تَزَادَ بَعْدَهَا، جَاءَ فِي (الكتاب): "وتقول: إِنْ لَا يَقُلْ أَقْلُ، فَلَا لَعُو"^(٧)، ويقول ابن هشام^(٨) في معرض حديثه عن (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ: "وقد تقتنر ب(لَا) النَّافِيَةِ فَيَظَنَّ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ أَنَّهَا (إِلَّا) الْاِسْتِثْنَائِيَّةُ، نَحْوُ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ

(١) الأصمعيّات: ص ١٩٥، رقم ٣٧.

(٢) نفسه: ص ٢١١، رقم ١٤.

(٣) الإنسان: ٣/٧٦.

(٤) التّيبان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د. د. ق)، (د. د. ط)، (د. د. ت)، ج ٢، ص ٨٣٦.

(٥) انظر: أمالي ابن الشجري: ٣/١٢٨.

(٦) معاني القرآن: ٣/٢١٤.

(٧) الكتاب: ٣/٧٧.

(٨) مغني اللبيب: ١/١٢٥.

فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ...»^(١)، أوجب الدَّمَامِينِيُّ قلب نون (إن) لامًا وإدغامها في (لام) النَّافِي الَّذِي بعدها، فيصير مجموعهما في اللَّفْظ كَالِاسْتِثْنَائِيَّةِ^(٢). ووردت (إن) الشَّرْطِيَّةَ الْجَازِمَةَ مَقْرُونَةً بِ(لَا) النَّافِيَةِ فِي (الأصمعيَّات) فِي مَوْضِعَيْنِ، هُمَا قَوْل مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ: (الطَّوِيل)

إِلَّا أَكُنْ لَأَقِيْتُ يَوْمَ مَخْطَطٍ فَقَدْ خَبَرَ الرُّكْبَانُ مَا أَتَوَدَّدُ^(٣)

هنا جاء الشَّاعِرُ بِالْفَاءِ بِسَبَبِ اقْتِرَانِ الْجَوَابِ بِ(قَدْ) وَهَذَا وَاجِبٌ، قَوْل المُمَزَّقِ العَبْدِيِّ:

(الطَّوِيل)

أَكَلَفْتَنِي أَدْوَاءَ قَوْمٍ تَرَكْتُهُمْ وَإِلَّا تَدَارَكْنِي مِنَ الْبَحْرِ أَغْرَقُ^(٤)

يُلاحِظُ هُنَا أَنَّ فِعْلَ الشَّرْطِ وَجَوَابَهُ كِلَيْهِمَا مَجْرُومٌ بِالسُّكُونِ، إِلَّا أَنَّ الْجَوَابَ حُرِّكَ بِالْكَسْرِ

لِتَسْتَقِيمَ الْقَافِيَةُ.

ثَانِيًا: إِذْ مَا

مَكُونَةٌ مِنْ (إِذْ): وَهِيَ ظَرْفٌ لِلزَّمَنِ الْمَاضِي وَ(مَا) غَيْرُ الزَّائِدَةِ الَّتِي انضَمَّتْ إِلَيْهَا فَتَنْجُ عَنْهَا أَدَاةُ شَرْطٍ جَازِمَةٌ، مِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ: إِذْ مَا تَأْتَنِي آتَكَ، جَاءَ فِي (الْكِتَابِ): "وَلَا يَكُونُ الْجَزَاءُ فِي (حَيْثُ) وَلَا فِي (إِذْ) حَتَّى يُضْمَّ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا (مَا) فَتَصِيرُ (إِذْ) مَعَ (مَا) بِمَنْزِلَةِ (إِنَّمَا) وَ(كَأَنَّمَا)، وَليست (مَا) فِيهِمَا بَلِغُوا، وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعَ (مَا) بِمَنْزِلَةِ حَرْفٍ وَاحِدٍ"^(٥). يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ سَيَبُويهِ الْمَذْكُورِ أَنَّ (إِذْ مَا) حَرْفٌ بِمَنْزِلَةِ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ، فَإِذَا قُلْتَ: إِذْ مَا تَقِمُ أَقْمُ، فَمَعْنَاهُ: إِنَّ تَقِمُ أَقْمُ، وَقَالَ المِبرِّدُ، وَابْنُ السَّرَّاجِ، وَالفَارِسِيُّ: إِنَّهَا ظَرْفٌ زَمَانٌ، وَإِنَّ الْمَعْنَى فِي الْمِثَالِ: مَتَى تَقِمُ أَقْمُ^(٦)، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّهَا قَبْلَ دُخُولِ (مَا) كَانَتْ اسْمًا، وَالْأَصْلُ عَدَمُ التَّغْيِيرِ، وَأَجِيبُ بِأَنَّ التَّغْيِيرَ قَدْ تَحَقَّقَ بِدَلِيلِ أَنَّهَا كَانَتْ لِلْمَاضِي فَصَارَتْ لِلْمُسْتَقْبَلِ^(٧). (إِذْ مَا) لَيْسَ لَهَا تَمَثِيلٌ فِي (الأصمعيَّات).

(١) التَّوْبَةُ: ٤٠/٩.

(٢) انظر: حاشية الدَّمَامِينِيَّ، المسمَّاه: المَنصَفُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى مَغْنِي ابْنِ هِشَامٍ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَمْرِو الدَّمَامِينِيَّ (ت: ٨٢٧هـ)، المَطْبَعَةُ الْبَهِيَّةُ، مِصْرَ، (د. ط)، (د. ت)، ج ١، ص ٤٧.

(٣) الأَصمعيَّات: ص ٢١٢، رَقْمٌ ١، جَاءَ فِي (هَامِش) الأَصمعيَّاتِ المِصْرِيَّةِ ص ١٩٢: "مَخْطَطٌ: اسْمُ مَوْضِعٍ كَانَ بِهِ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِهِمْ؛ يَرِيدُ أَنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَلِاقَ أَعْدَائَهُ ذَاكَ الْيَوْمِ فَقَدْ أَتَتْهُ عَنْهُمْ الْأَنْبَاءُ بِمَا يَحِبُّ".

(٤) نَفْسُهُ: ص ١٨٥، رَقْمٌ ١٨، جَاءَ فِي (شَرْحِ أَبِيَّاتِ المَغْنِي) ١٤٨/٥: "وَأَدْوَاءٌ: جَمْعُ دَاءٍ. وَإِلَّا تَدَارَكْنِي: إِنْ لَمْ تَغْتَنِي".

(٥) الْكِتَابُ: ٥٦/٣-٥٧.

(٦) انظر: ارْتِشَافُ الضَّرْبِ: ١٨٦٢/٤.

(٧) انظر: شَرْحُ النَّصْرِیحِ: ٣٩٨/٢.

ثالثاً: مَنْ

(مَنْ) اسم شرط للعاقل، يقول سيبويه عنها: "ويكون بها الجزاء للأناسي، ويكون بمنزلة الذي للأناسي"^(١)، ويقول المبرد: "تقول في (مَنْ): مَنْ يَأْتِي آتِهِ، فلا يكون ذلك إلا لما يعقل، فإن أردت بها غير ذلك لم يكن"^(٢)، جاء في المساعد: "وهي لتعميم أولي العلم؛ فتقع على الملك والإنسان والشيطان"^(٣).

مثال المجازاة بـ(مَنْ) في القرآن الكريم قوله- تعالى: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٤). وعقد سيبويه باباً سمّاه: الأسماء التي يُجازى بها وتكون بمنزلة الذي، وتلك الأسماء: مَنْ، وَمَا، وَأَيْهِمْ، فإذا جعلتها بمنزلة الذي قلت: ما تقول أقول...، فكأنك قلت: الذي تقول أقول، وكذلك: مَنْ يَأْتِي آتِيهِ وَأَيْهَا تَشَاءُ أُعْطِيكَ^(٥)، مِنْ أُمَّتِهِ ذَلِكَ فِي (الأصمعيّات) قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

وَمَنْ لَا يَزَلْ يُرْجَى بِغَيْبِ إِيَابِهِ يَجُوبُ وَيَغْشَى هَوْلَ كُلِّ سَبِيلٍ^(٦)

فقد حُمِلَتْ (مَنْ) الشرطية هنا على الموصولة؛ فلذلك لم تعمل في جواب الشرط (يَجُوبُ) حيث جاء مرفوعاً، مثله قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البسيط)

مَنْ لَا يَزَلْ عَرَضًا أَرْمِي مَقَاتِلَهُ لَا يَتَّقِي وَهُوَ مِنِّي وَاقِفٌ كَتْبًا^(٧)

يمكن أن تُعَدَّ (مَنْ) في هذين البيتين شرطية جازمة بدليل أنّ فعل الشرط جاء مجزوماً بالسكون، ولم تعمل في جواب الشرط فجاء مرفوعاً على غير القاعدة، وربما جاز ذلك في الشعر للضرورة الشعرية، ولم يجز في النثر، وذلك قياساً على أخواتها مِنْ أدوات الشرط الأخرى، حيث يُستخدم أحياناً الجازم في غير موضعه، والعكس فقد يستخدم غير الجازم جازماً على نحو ما سيُعرض في سياق الحديث عن باقي أدوات الشرط- بحوله تعالى- ف(إذا) مثلاً شرطية غير جازمة، ولكنها وردت في الشعر وقد عملت الجزم في فعل شرطها أو في الجواب أو في الاثنين معاً، فكل قاعدة شواذ.

(١) الكتاب: ٢٢٨/٤.

(٢) المقتضب: ٥٠/٢.

(٣) المساعد: ١٣٣/٣.

(٤) الطلاق: ٢/٦٥.

(٥) الكتاب: ٦٩/٣.

(٦) الأصمعيّات: ص ٨٨، رقم ٥.

(٧) نفسه: ص ٦١، رقم ٢٦.

هذا وقد وردت (مَنْ) في (الأصمعيّات) اسم شرط جازماً في زهاء ثلاثة عشر موضعاً،
واتخذت الصُّور الآتية:

أ- فعل الشرط وجوابه كلاهما مضارع مثبت، كما في قول خُفَّافِ بْنِ نُدْبَةَ: (الطَّوِيل)

بِوَجٍّ وَمَا بَالِي بِوَجٍّ وَبَالِهَا وَمَنْ يَلْقَى يَوْمًا جِدَّةَ الْحَبِّ يُخْلِقُ^(١)

ب- فعل الشرط مضارع منفي، وجوابه مضارع مثبت، منه قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

وَمَنْ لَا يَنْتَلِ حَتَّى يَسُدَّ خِلَالَهُ يَجِدُ شَهَوَاتِ النَّفْسِ غَيْرَ قَلِيلٍ^(٢)

ت - وعطف بالواو جملة شرطية على جملة شرطية أخرى، وأداة الشرط (مَنْ)، مثاله قول سلامة
بِنِ جَنْدَلٍ: (الطَّوِيل)

فَمَنْ يَكُ ذَا ثَوْبٍ تَنَلَّهُ رِمَاخُنَا وَمَنْ يَكُ غَرْيَانَا يُوَأْنِلُ فَيَسْبِقُ^(٣)

هنا جاء فعل الشرط في كلا الشطرين مضارعاً لـ(يَكُ) الناقصة مجزوماً بالسكون المقدر
على الثَّوْنِ المحذوفة جوازاً للتخفيف، منه قوله في القصيدة نفسها:

وَمَنْ يَدْعُوا شَيْئًا يُعَالِجُ بَيْئِسِهِ وَمَنْ لَا يُغَالُوا بِالرَّهَائِنِ يَنْفُقُ^(٤)

هنا جاء فعل الشرط من الأفعال الخمسة، مثبتاً في الأولى ومنفياً في الأخرى.

ث- وجاء جواب شرط (مَنْ) مسبوفاً بـ(لا بدّ) وهي للتأكيد فقط، بحيث يمكن الاستغناء عنها دون
الإخلال بالمعنى، وربما جاء بها الشاعر ليستقيم الوزن، وربما للتأكيد على فكرته، مثاله قول
المُمَزَّقِ العَبْدِيِّ: (الطَّوِيل)

أَرَقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بَعَيْنِي وَسَنَّةٌ وَمَنْ يَلْقَى مَا لَاقَيْتُ لَا بَدَّ يَأْرَقُ^(٥)

ج- وجاء جواب (مَنْ) مقروناً بالفاء في موضعين: الأول؛ بسبب وقوع الجواب جملة اسمية، كما
في قول ضَابِي بْنِ الْحَارِثِ: (الطَّوِيل)

(١) نفسه: ص ٢٥، رقم ٧، يُخْلِقُ: يبلى، مِنْ أَخْلَقَ الشَّيْءُ إِذَا بَلِيَ، وَأَرَادَ كُلَّ جَدِيدٍ إِلَى بَلَى. وَج: اسم وادٍ بالطائف.
انظر: لسان العرب ٤٧٦٨/٦ (وجج).

(٢) نفسه: ص ٩٠، رقم ١٨. الخِلَالُ: جمع (خَلَّة)، وهي الحاجة والفقير.

(٣) نفسه: ص ١٥١، رقم ٢٤، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصرية ص ١٣٥: "ذا ثوب: ذا سلاح. ويوائل:
يطلب النجاة؛ أي: مَنْ كَانَ ذَا سِلَاحٍ نَالَتْهُ رِمَاخُنَا، وَمَنْ طَرَحَ سِلَاحَهُ نَجَا".

(٤) نفسه: ص ١٥١، رقم ٢٥ (الزيادات من الكتابين)، البئيس: البؤس. وينفق: يهلك.

(٥) نفسه: ص ١٨٢، رقم ١ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (لسان العرب) ١١١٢/٢ (خدع) معلقاً على البيت
المذكور: "أي: لم تدخل بعيني نعسة؛ وأراد وَمَنْ يَلْقَى مَا لَاقَيْتُ يَأْرَقُ لَا بَدَّ؛ أي: لا بدّ له من الأرق".

مَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَيَأِي وَقِيَارٌ بِهَا نَعْرِبُ^(١)

والآخر؛ بسبب اقتران الجواب بـ(قد) كما في قول أبي دُوَادٍ الإيادي: (الخفيف)

مَنْ يَنْمُ لَيْلُهُ فَقَدْ أَعْمَلَ اللَّيْلَ لَ وَذُو الْبَيْتِ سَاهِرٌ مُسْتَهَامُ^(٢)

ح- وجاء الجواب جملة فعلية فعلها ماضٍ ناقص لفظاً ومعنى، هنا يجب أن يقترن الجواب بـ(قد) المقدرّة إن لم تكن ظاهرة، مثاله قول المتلمّس يعاتب خاله اليشكري: (الطويل)

وَمَنْ يَكُ ذَا عَرِضٍ كَرِيمٍ فَلَمْ يَصُنْ لَهُ حَسَبًا كَانَ اللَّئِيمُ الْمُذَمَّمَا^(٣)

أجاز ابن مالك نصب المعطوف على الشرط المجزوم بالواو أو بالفاء بإضمار (أن) النَّاصِبَةِ، كقولك: إن تأتني فتحدّثني أكرمك، يقول: "وقد تُضَمَّر (أن) النَّاصِبَةَ بعد الواو والفاء الواقعتين بين مجزومي أداة شرط"، كما ذكر ابن مالك أن الكوفيّين يجوزون نصب المعطوف على الشرط بـ(ثمّ)^(٤).

في (الأصمعيّات) ورد نصب المعطوف على المجزوم باستخدام الحرف (أو) كقول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البسيط)

إِنِّي أَمْرٌ مَنْ يَكْلَفُ أَوْ يُجَارِينِي مِنْ الْمَيْنِ يُجَشِّمُ نَفْسَهُ تَعْبًا^(٥)

هنا وقع الفعل (يُجَارِينِي) بين فعل الشرط وجوابه، ونُصِبَ بـ(أن) النَّاصِبَةَ، وعُطِفَ بـ(أو) على فعل الشرط المجزوم، وورد أيضاً العطف بـ(أو) حيث عطف فعلاً مجزوماً على فعل الشرط المتقدّم المجزوم بـ(مَنْ) وذلك في موضعين، مثاله قول مالك بن حريم الهمداني: (الطويل)

فَمَنْ يَأْتِنَا أَوْ يَعْتَرِضُ بِسَبِيلِنَا يَجِدُ أَثْرًا دَعْسًا وَسَخْلًا مُؤْضَعًا^(٦)

(١) نفسه: ص ٢٠٢، رقم ١ (الزيادات من الكتابين)، قِيَارٌ: اسم فرسه، وقيل: اسم جملة.

(٢) نفسه: ص ٢٠٤، رقم ٢ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصرية ص ١٨٥: "أعمل الليل: أحت المطي وأسوقها في الليل. والبيت: الحزن الشديد. ومستهام: ذاهب اللب".

(٣) نفسه: ص ٢٤٤، رقم ٢ (الزيادات من الكتابين).

(٤) انظر: شرح التسهيل: ٤٤/٤ - ٤٥.

(٥) الأصمعيّات: ص ٦١، رقم ٢٩، كلفه أمراً: أوجبه عليه. ويجاريني؛ أي: يجري معي. والمئون: من الإبل، ولعلّه أراد كرمه وشهامته. وجشّم نفسه: كلفها على مشقة.

(٦) نفسه: ص ٧٥، رقم ٢١، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصرية ص ٦٤: "دعساً: الطريق الذي دعسته القوائم. والسخل: جمع سخله؛ يريد أولاد الإبل والخيل. والموضّع: المتفرّق. فذكر هذا المعنى؛ ليُعلم أنّ قومه يُعدون الغزاة، فيطول سيرهم، وتتعب رواحلهم، فتضع ما في بطونها من شدة الكلال".

إذا عمل عامل في الاسم الذي يُجازى به، فإنّه يبطل الجزاء، كما في قول القائل: إنَّ مَنْ يَأْتِينِي آتِيهِ، وكان مَنْ يَأْتِينِي آتِيهِ؛ ويذكر سببويه السَّبَب في ذلك بقوله: وإنَّما أذهبت الجزاء مِنْ هاهنا لأنَّك أعملت (كان) و (إنَّ)، ولم يسغ لك أن تدع (كان) وأشباهه معلّقة لا تُعملُها في شيء فلَمَّا أعملتَه ذهب الجزاء "(١). هاتان الصُّورتان ليس لهما تمثيل في (الأصمعيّات).

رابعًا: ما

تحدّث النُّحاة عن (ما) الشرطيّة، منهم سببويه الذي يقول عنها: "و(ما) مثلها، إلا أن (ما) مبهمة تقع على كلِّ شيء" (٢)؛ أي: أنّها مثل (مَنْ) اسم شرط ويكون بها الجزاء. والمبرد الذي قال عنها: "و(ما) تكون لغير الأدميين، نحو: ما تركب أركب، وما تصنع أصنع، فإن قلت: ما يأتي آتته؛ تريد النَّاس، لم يصلح" (٣).

وهي نوعان عند ابن هشام، الأولى: غير زمنيّة (٤)، نحو قوله - تعالى: ﴿... وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ...﴾ (٥)، والأخرى: زمنيّة، أثبت ذلك الفارسيّ وابن بريّ وابن مالك وآخرون، وهو ظاهر في قوله - تعالى: ﴿... فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ...﴾ (٦)؛ أي: استقيموا لهم مدّة استقامتهم لكم (٧).

ووردت (ما) في (الأصمعيّات) اسم شرط جازمًا في موضعين هما: قول سلامة بن جندل: (الطويل)

عَجَلْتُمْ عَلَيْنَا حِجَّتَيْنِ عَلَيْكُمْ وَمَا يَشَأُ الرَّحْمَنُ يَعْقِدُ وَيُطْلِقُ (٨)

وقوله في القصيدة نفسها:

هُوَ الْجَابِرُ الْعَظْمُ الْكَسِيرَ وَمَا يَشَأُ مِنَ الْأَمْرِ يَجْمَعُ بَيْنَهُ وَيَفْرِقُ (٩)

(١) الكتاب: ٧١/٣.

(٢) نفسه: ٢٢٨/٤.

(٣) المقتضب: ٥٢/٢.

(٤) غير زمنيّة؛ أي: غير مقيّدة بزمان محدّد.

(٥) البقرة: ١٩٧/٢.

(٦) التّوبة: ٧/٩.

(٧) انظر: مغني اللبيب: ٤٠-٣٧/٤.

(٨) الأصمعيّات: ص ١٥٤، رقم ٣٦.

(٩) نفسه: ص ١٥٤، رقم ٣٧.

وردت (ما) في البيتين المذكورين اسم شرط جازماً؛ والدليل عليها أن فعلي الشرط وجوابه جاء مجزومين، وجُزم فعل الشرط في الموضع الأوّل بالسكون المقدر، حيث تمّ التّخلص من النّقاء الساكنين بكسر الأوّل منهما.

خامساً: مهما

- طبيعتها:

سأل الخليل سيبويه عنها فقال: هي (ما) أدخلت معها (ما) لغوا... ولكنهم استقبحوا أن يكرّروا لفظاً واحداً فيقولوا: "ما ما"، فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى، وقد يجوز أن يكون (مه) ك(إذ) ضمّ إليها (ما)^(١).

اختلف النّحاة حولها، فمنهم من عدّها اسماً، والمشهور أنّها اسم من أسماء الشرط، مجردة عن الظرفيّة، مثل (من)^(٢)، ومنهم من عدّها حرفاً^(٣)، وهو السّهيلي^(٤)، ومنهم من عدّها ظرفاً، يقول ابن مالك: "وإنما قلت: و(ما) و(مهما) في الأشهر؛ لأنّ جميع النّحويين يجعلون (ما) و(مهما) مثل (من) في لزوم التّجرّد عن الظرفيّة مع أنّ استعمالهما ظرفين ثابت في أشعار الفصحاء من العرب^(٥)"، ونقل ابن هشام عن النّحاة أنّ لها ثلاثة معان^(٦): أحدها: ما لا يعقل غير الزّمان مع تضمّن معنى الشرط، والثّاني: الزّمان والشرط فتكون ظرفاً لفعل الشرط، ذكره ابن مالك، والثّالث: الاستفهام ذكره جماعة منهم ابن مالك أيضاً.

بناءً على ما ذكر من أقوال النّحاة فإنّ (مهما) قد وردت في (الأصمعيّات) اسماً من أسماء الشرط، مجردة عن الظرفيّة في بيت واحد مرّتين، هو قول الممزّق العبديّ: (الطويل)

وَأَنْتَ عَمُودُ الدِّينِ مَهْمَا تَقُلُّ يُقَلُّ وَمَهْمَا تَضَعُ مِنْ بَاطِلٍ لَا يُلْحَقُ^(٧)

(١) انظر: الكتاب: ٥٩/٣.

(٢) انظر: الجنى الدّاني: ٦٠٩، وارتشاف الضّرب: ١٨٦٣ - ١٨٦٤.

(٣) انظر: مغني اللّبيب: ٢١٥/٤، والمساعد: ١٣٦/٣.

(٤) السّهيليّ: هو عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعميّ: حافظ، عالم باللّغة والسّير، ضرير. وهو صاحب

الآبيات على الكامل التي مطلعها: يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمُعْدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

تُوفِّي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة هجرية. انظر: وفيّات الأعيان: ١٤٣/٣، و بغية الوعاة: ٨١/٢،

والأعلام: ٣١٢/٣ - ٣١٣.

(٥) شرح الكافية الشّافية لابن مالك: ١٦٢٥/٣.

(٦) انظر: مغني اللّبيب: ٢٥٠/٤.

(٧) الأصمعيّات: ص ١٨٤، رقم ١٤ (الزيادات من الكتابين)، الدّين: المُلْك والسُّلْطَان.

المطلب الثالث: أدوات الشرط الجازمة الظرفية

أولاً: متى

جاء في (ارتشاف الضرب): "وأما (متى) فلتعميم الأزمنة، ولا تفارق الظرفية فتكون شرطاً، نحو: متى تقم أقم...^(١)، واعتبرها السبوطي ظرف زمان للعموم، نحو: متى تقم أقم^(٢). وبضدها تتميز الأشياء، فقد فرق ابن يعيش بين (إذا) و(متى) بقوله: " (إذا) للزمان المعين، وهو الآتي، و(متى) لزمان مبهم"^(٣)، ونقل السبوطي عن الخوارزمي^(٤) أن الفرق بين (متى) الشرطية و(إذا) من وجهين: الأول: أن (إذا) تقع شرطاً في الأشياء المحققة الوقوع، والشرط ب(متى) يحتمل الوجود والعدم، والآخر: أن العامل في (متى): شرطها على مذهب الجمهور؛ لكونها غير مضافة إليه، بخلاف (إذا)؛ لإضافتها إليه^(٥).

وردت (متى) في (الأصمعيّات) اسم شرط جازماً يجزم فعلين هما: فعل الشرط وجواب الشرط وجزاءه في أربعة مواضع فقط، جاء فيها كلٌّ من فعل الشرط وجوابه فعلاً مضارعاً في جميع الحالات، مجزوماً بالسكون عدا حالة واحدة جاء فيها جواب الشرط مجزوماً بحذف النون، وهي قول سحيم بن وثيل الرياحي، أحد بني حميري: (الوافر)

أنا ابن جلا وطلّاع الثّيايا متى أضع العمامة تعرفوني^(٦)

يلقّ ابن يعيش على (متى) في هذا البيت؛ ذاكراً سبب المجازاة ب(متى) و(أين) بقوله: "فلماً كانت (متى) و(أين) تشتملان على كل اسم من أسماء الزمان والمكان، ويقع الجواب عنهما معرفة ونكرة، ولم يكونا مضافتين إلى ما بعدهما ك(إذ) و(إذا) جازت المجازاة بهما"^(٧). كما زيدت (ما) بعد (متى) في موضع واحد، وهو قول سلامة بن جندل: (الطويل)

(١) ارتشاف الضرب: ١٨٦٤/٤.

(٢) انظر: همع الهوامع: ٤٤٩/٢.

(٣) المفصل: ١٠٦/٤.

(٤) القاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمي النحوي: عالم بالعربية، برع في علم الأدب، وفاق في نظم الشعر ونثر الخطب، من فقهاء الحنفية، له كتب، منها: (شرح المفصل) للرمخشري. توفي سنة سبع عشرة وستمائة هجرية. انظر: بغية الوعاة: ٢٥٢/٢، والأعلام: ١٧٥/٥.

(٥) الأشباه والنظائر في النحو: ٢٧٩/١.

(٦) الأصمعيّات: ص ٢٠، رقم ١، ابن جلا: يعني ابن الواضح المكشوف. والثّيايا: جمع (ثنية)، وهي الطريق في الجبل.

(٧) شرح المفصل: ١٠٥/٤.

يُقَمَّصُ بِالْبُوصِيِّ فِيهِ غَوَارِبٌ مَتَى مَا يَخُضُّهَا مَاهِرُ اللَّجِّ يَغْرَقُ^(١)

يقول أبو حيَّان: "ولا تجيء بعد (متى) (ما) إلا في الشرط، فيجوز: متى ما تقمَّ أقم^(٢). وعن العلاقة بين (متى) و(متى ما) يقول صاحب (الكليات): "و(متى ما) أعمُّ من ذلك وأشمل - يقصد من (متى) - وربما يجري في (متى) من التخصيص ما لا يجري في (متى ما)"^(٣). ويقول ابن مالك عن زيادة (ما): "وزيادتها مع (من) و(أنى) و(مهما) ممنوعة، ومع (إن) و(أي) و(أيان) و(أين) و(متى) جائزة"^(٤). هذا ولم ترد (ما) زائدة في (الأصمعيَّات) مع ما ذكره ابن مالك إلا مع (إن) و(متى).

من أمثلة (متى) الشرطيَّة الجازمة أيضًا قول الحَكَم الخُضْرِيِّ: (الطَّوِيل)

مُحَنَّبَةِ الرَّجْلَيْنِ حَرْفٍ كَأَنَّهَا قِطَاةٌ مَتَى يُتَمَّمُ لَهَا الْخَمْسُ تَقْرَبُ^(٥)
ومنه أيضًا قول خفاف بن ندبة: (الطَّوِيل)

وَأَبْدَى شُهُورِ الْحَجِّ مِنْهَا مَحَاسِنًا وَوَجْهًا مَتَى يَحِلُّ لَهُ الطَّيْبُ يُشْرِقُ^(٦)

يُلاحظ كذلك على الأبيات الأربعة السَّالفة أنَّ جواب الشرط جاء غير مقرون بالفاء، فلا حاجة لذلك؛ لأنَّ الجواب جاء صالحًا لأنَّ يكون مرتبطًا بفعل الشرط، وهناك رابط لفظي يربط بين فعل الشرط وجوابه يعني عن الفاء الرَّابطة.

- إهمال متى:

قد تُهْمَل (متى) فيُرفع الفعل بعدها حملاً على (إذا)، ويعتبره بعض النُّحاة شذوذاً، يقول ابن مالك^(٧): "وشدَّ إهمال (متى) حملاً على (إذا)"، ومثَّل لها بقول عائشة لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ أبا بكر رجل أسيف، إِنَّهُ متى يقوم مقامك رَقَّ"^(٨). هذا ولم أقف في (الأصمعيَّات) على أمثلة لهذا التَّركيب.

(١) (الأصمعيَّات): ص ١٥٣، رقم ٣١، يُقَمَّص: قَمَّص البحر بالسَّفينَة؛ أي: حرَّكها بالموج. والبُوصِيّ: ضرب من السُّفن.

والغَوَارِب: أعالي الماء؛ يعني الموج. والماهر: الحاذق؛ ويقصد السَّابح المُجيد. واللُّج: الماء الكثير.

(٢) ارتشاف الضَّرْب: ١٨٦٤/٤.

(٣) الكليات: ٣٨٩/١.

(٤) شرح الكافية الشَّافِيَة لابن مالك: ١٦٢١/٣.

(٥) (الأصمعيَّات): ص ٣٧، رقم ٤، المُحَنَّبَة: التي في يديها ورجليها انحناء. والحرف: الضَّامرة. والقطا: ضرب من الطيور، والواحدة: قِطَاة. والخمس: أن تشرب الإبل يوماً، ثم ترعى ثلاثة أيام، وترد الماء في اليوم الرَّابِع. وتقرَّب: تعجيل ليلة الوُرد، شبَّه ناقته بهذه القِطَاة تسرع إلى الماء.

(٦) نفسه: ص ٢٥، رقم ٨.

(٧) انظر: شرح الكافية الشَّافِيَة: ١٥٩١/٣.

(٨) صحيح البخاري، ١٤٩/٤ (٣٣٨٤)، ط ١، دار طوق النَّجاة.

ثانياً: أيان

جاء في (ارتشاف الضرب): "و(أيان) لتعميم الأوقات ك(متى)، وقيل تُستعمل في الأزمنة التي تقع فيها الأمور العظام، والجزم بها محفوظ، ولم يحفظ سيويوه الجزم بها، لكن حفظه أصحابه"^(١)، واعتبرها السبوي ظرف زمان للعموم، نحو: أيان تقم أقم، وكسر همزة (إيان) لغة لسليم، وقال: أنكر قوم جزمها؛ لقلته، وكثرة وروده استفهاماً^(٢). هذا ولم أقف في (الأصمعيّات) على أمثلة لها أداة من أدوات الشرط، وهذا تصديق لما ذهب إليه قوم من أنهم أنكروا جزمها؛ لقلّة ورودها جازمة.

ثالثاً: حيثما

يقول عنها ابن مالك: "لا يُجزم ب(إذ) و(حيث) إلا مقرونتين ب(ما)؛ لأنّهما إذا تجرّدتا لزمتهما الإضافة إلى ما يليهما، والإضافة من خصائص الأسماء، فكانت منافية للجزم، فلما قصد جعل هاتين الكلمتين جازمتين رُكبتا مع (ما) لتكفّهما عن الإضافة وتهيئهما لما لم يكن لهما من معنى وعمل، فصارت (ما) ملازمة لهما ما دامت المجازاة مقصودة بهما"^(٣). يقول السبوي: "(حيثما، وأين، وأنى) والثلاثة ظروف للمكان عموماً وقد تخرج (أين) عن الشرطيّة فتقع استفهاماً بخلاف (حيثما) وتقع (أنى) استفهاماً بمعنى (متى) وبمعنى (من أين)"^(٤). هذا ولم أقف في (الأصمعيّات) على أمثلة لها أداة من أدوات الجزم.

رابعاً: أين

يقول أبو حيّان: "(أين) و(حيثما) لتعميم الأمكنة، ولا يخرجان عن الظرفية، وتكون (أين) شرطاً واستفهاماً، ولا تكون (حيثما) إلا شرطاً"^(٥). من أمثلة الجزم ب(أين) في القرآن الكريم قوله - تعالى: ﴿...أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا...﴾^(٦). هذا ولم ترد (أين) في (الأصمعيّات) جازمة بمفردها، إنّما وردت جازمة وهي مقرونة ب(ما) الزائدة في موضع واحد فقط، هو قول المُتمسّس: (الطويل)

(١) ارتشاف الضرب: ١٨٦٥/٤.

(٢) انظر: همع الهوامع: ٤٤٩/٢.

(٣) شرح الكافية الشافية: ١٢٦١/٣.

(٤) همع الهوامع: ٤٥٠/٢.

(٥) ارتشاف الضرب: ١٨٦٦/٤.

(٦) البقرة: ١٤٨/٢.

أَمْتَفَلًا مِنْ آلِ بُهْتَةَ خَلْتَنِي أَلَا إِنِّي مِنْهُمْ وَإِنْ كُنْتُ أَيْنَمَا^(١)

يُلاحظ هنا أَنَّ فعل الشرط وجوابه جاء محذوفين، لكن يمكن تقديرهما بـ(أينما حللت، أو صرت، أو ذهبت) يقول ابن السَّجَرِيّ شارحًا هذا البيت: "يريد؛ أنا منهم وإن كنتُ أينما كنتُ، فاقتصر على معرفة ذلك، وترك اللفظ به"^(٢).
هذا ولم أقف في (الأصمعيّات) على أمثلة لها كأداة من أدوات الجزم.

خامسًا: أنى

اعتبرها صاحب (شرح النَّصْرِيح) مَمَّا وُضِعَ للدلالة على المكان، ثمَّ ضُمَّنْتَ معنى الشرط، إضافةً إلى (أين) و(حيثما)^(٣)، وجاء في (همع الهوامع)^(٤): "والثلاثة ظروف للمكان عمومًا وتقع (أنى) استفهامًا بمعنى (متى)، نحو: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ...﴾"^(٥)، واختار أبو حيان في هذه الآية أنها شرطية أُقيمت فيها الأحوال مقام الظروف المكانية، والجواب محذوف، يقول: "وإنما لِحُظِّ فيها معنى الشرط، وارتباط الجملة بالأخرى، وجواب الجملة محذوف، ويدلُّ عليه ما قبله تقديره: أنى شئتم فأتوه"^(٦).

جاء في (الكتاب)^(٧): "ومما جاء من الجزاء بـ(أنى) قول لبيد^(٨): (الطويل)

فَأَصْبَحْتُ أَنَّى تَأْتِيهَا تَلْتَبِسُ بِهَا كِلَا مَرْكَبَيْهَا تَحْتَ رِجْلِكَ شَاجِرُ^(٩)

(١) الأصمعيّات: ص ٢٤٤، رقم ٥ (الزيادات من الكتابين)، يُقال: انتقلَ مِنْ ذلك الأمر وانتفى منه. ويقال للرجل يُرْمَى بشيءٍ: انقلُ ذلك عن نفسك؛ يريد أنا منهم وإن كنتُ أينما كنتُ.

(٢) مختارات شعراء العرب: ١١٩.

(٣) انظر: شرح النَّصْرِيح: ٣٩٩/٢.

(٤) انظر: همع الهوامع: ٤٥٠/٢.

(٥) البقرة: ٢٢٣/٢.

(٦) تفسير البحر المحيط: ١٨٢/٢.

(٧) انظر: الكتاب: ٥٨/٣.

(٨) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامريّ: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهليّة، وهو أحد أصحاب المعلّقات، أدرك الإسلام، وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا، وهو على الكامل، قيل هو:

ما عاتَبَ المَرْءَ الكَرِيمَ كَنَفْسِهِ والمَرْءُ يَصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

توفي سنة إحدى وأربعين هجرية. انظر: الأعلام: ١٤٠/٥.

(٩) البيت في ديوانه، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ، ص ٤٣. وهو من شواهد سيبويه، والمفصّل، وفي شرح المفصّل لابن يعيش: ١٠٩/٤، ١١٠، ٤٥/٧، والخزانة: ٨٣/٧، ٨٥، ٥١/١٠. والشّاجر: الذي قد دخل بعضه في بعض وتغيّر نظامه.

يُلاحظ هنا أنَّ الشَّاعر جازي بـ(أَنَّى)، نقل البغداديُّ عن أحد شُرَّاح (ديوان لبيد) قوله: "قال الأَصمعيُّ: لم أسمع أحدًا يُجازي بـ(أَنَّى)، وأظنُّه أراد: أيًّا تأتَّها؛ يريد: أيَّ جانبي هذه النَّاقَة أتيتَه وجدت مركبه تحت رجلك شاجرًا؛ أيُّ: ينحِيك ويدفعك لا يطمئنُّ تحت رجلك"^(١). هذا ولم ترد المجازاة بـ(أَنَّى) في (الأصمعيَّات)، وهذا تصديقٌ لقول الأَصمعيِّ: "لم أسمع أحدًا يُجازي بـ(أَنَّى)".

سادسًا: المجازاة بـ(كيفما)

سأل سيبيويه الخليلَ عن قوله: "كيف تصنعُ أصنع"، فقال: هي مستكرهة، وليست مِنْ حروف الجزاء، ومخرجها على الجزاء؛ لأنَّ معناها: على أيِّ حال تكن أكن^(٢). ونفهم مِنْ كلام الخليل أنَّه يُجازى بها معنًى لا عملاً، ويجب أن يكون فعلاها متفقي اللَّفظ والمعنى، جاء في (مغني اللَّبيب): "تكون شرطًا فنقتضي فعلين متفقي اللَّفظ والمعنى غير مجزومين، نحو: كيف تصنعُ أصنع، ولا يجوز: كيف تجلسُ أذهب، باتفاق"^(٣).

جاء في (همع الهوامع): "ولا يُجازى بـ(كيف)... ولا يُجزم بها... وقال الكوفيُّون وفُطْرُب^(٤): نعم مطلقًا^(٥)، وقوم إنَّ اقترنت بـ(ما)، نحو: كيفما تكن أكن^(٦). وجاء في (الصَّحاح): "وإذا ضممت إليه (ما) صحَّ أن يُجازى به، تقول: كيفما تفعلُ أفعل"^(٧). ويقول ابن الأنباريُّ: "ذهب الكوفيُّون إلى أنَّ (كيف) يُجازى بها كما يُجازى بـ(متى، وأينما) وما أشبهها مِنْ كلمات المجازاة، وذهب البصريُّون إلى أنَّه لا يجوز المجازاة بها"^(٨). ولم ترد (كيف) في (الأصمعيَّات) شرطيةً لا عاملة، ولا غير عاملة، لا بمفردها ولا مقرونة بـ(ما).

(١) انظر: خزانة الأدب: ٨٣/٧.

(٢) انظر: الكتاب: ٦٠/٣، وارتشاف الضرب: ١٨٦٨.

(٣) مغني اللَّبيب: ١٣٣/٣.

(٤) قطرب: محمَّد بن المستنير بن أحمد، أبو علي: نحوي، عالم بالأدب واللُّغة، كان يرى رأي المعتزلة النَّظامية، وهو أوَّل مَنْ وضع (المثلث) في اللُّغة، و(قطرب): لقب دعاه به أستاذه (سيبيويه) فلزمه، تُوفِّي سنة ست ومائتين هجرية. انظر: وفيات الأعيان: ٣١٢/٤، وبيغية الوعاة: ٢٤٢/١، والأعلام: ٩٥/٧.

(٥) أيُّ: أنَّها تجزم على كلِّ حال، سواء اقترنت بـ(ما) أم لا .

(٦) همع الهوامع: ٤٥٣/٢.

(٧) الصَّحاح: ١١١/٥.

(٨) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٥١١.

المطلب الرابع: أداة جازمة مشتركة بين الظرفية وغير الظرفية (أي)

- أي

يقول صاحب (الأزهيّة) عنها: تكون جزاءً، كقولك: أيهم يكرمني أكرمه^(١)، و(أي) عند ابن هشام بفتح الهمزة وتشديد الياء: اسم يأتي شرطاً، نحو: ﴿...أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾^(٢)، ويُعلّق الدماميني على الآية بقوله: "جاءت (أي) شرطاً بدليل: جزم (تَدْعُوا)، وإدخال الفاء الرابطة على الجملة الاسمية، وهي الجواب"^(٣)، واعتبر الفراء (ما) صلة من صلوات الجزاء مع (أي)^(٤)، و(أي) شرطية أضيفت إليها (ما) فزادتها إبهاماً، يقول سيوييه: "إِلَّا أَنْ (ما) مبهمة تقع على كل شيء"^(٥)، ويعلّق العكبري: وَ (تَدْعُوا) مَجْرُومٌ بِ(أَيَا)، وَهِيَ شَرْطٌ فَأَمَّا (مَا) فَرَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ، وَقِيلَ: هِيَ شَرْطِيَّةٌ، كُرِّرَتْ لَمَّا اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ^(٦).

جاء في (شرح الكافية): "تُسَبَّ (أي) إلى الأسماء المجردة عن الظرفية إن أضيفت إلى شيء منها، وإلى أسماء الزمان أو المكان إن أضيفت إلى شيء منها؛ لأنها بعض ما تُضاف إليه"^(٧).

وردت (أي) اسماً جازماً في (الأصمعيّات) مرّة واحدة، حيث أُضيفت (أي) إلى اسم ظاهر ووقع الجواب جملة اسمية مقرونة بالفاء، هو قول صخر بن عمرو بن الشريد: (الطويل)

فَأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بِأُمَّ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانِ^(٨)

يُلاحظ عليها أنها جاءت في صدر الكلام، ولم يعمل فيها ما قبلها، والدليل على أن (أي) جاءت شرطية إدخال الفاء الرابطة على الجملة الاسمية، وهي الجواب.

(١) الأزهيّة: ١٠٦.

(٢) الإسراء: ١١٠/١٧.

(٣) انظر: حاشية الدماميني: ٦٦/١، وتفسير البحر المحيط: ٨٧/٦.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٣٠٥/٢.

(٥) الكتاب: ٢٢٨/٤.

(٦) التبيان في إعراب القرآن: ٨٣٦/٢.

(٧) شرح الكافية الشافية لابن مالك: ١٦٢٥/٣.

(٨) الأصمعيّات: ص ١٦٤، رقم ٣، الحليّة: الزوجة. والشقا: الشقاء. والهوان: الخزي.

المطلب الخامس: أنواع أخرى من الجزاء ينجزم فيها الفعل بغير الأدوات المتعارف عليها
المقصود جزم المضارع الواقع في جواب الطلب، جاء في (الكتاب): "وزعم الخليل أنك إذا قلت: إن تأتني أنك، ف(أتك) انجزمت ب(إن تأتني)، كما تنجزم إذا كانت جواباً للأمر حين قلت: انتني أنك"^(١).

يقول ابن مالك: "واعلم أن الأمر إنما يجزم بعده المضارع إذا كان جواباً لما يدل عليه دلالة ظاهرة، ويستلزمه لزوماً بيّناً، وهو شرط الفعل المأمور به، وعلامة ذلك صحة تقدير: (إن تفعل) مكان الأمر، تقول انتني أنك؛ لأنك لما أمرت بالإتيان دل على أنه سبب وشرط لشيء هو عندك الإتيان كأنك قلت: إن تأتني أنك"^(٢).

والنهي كالأمر، وهو شرط ترك الفعل للنهي عنه، وعلامة ذلك صحة تقدير (إن لا تفعل) مكان النهي، تقول: لا تعص الله تتل رضاه، كأنك قلت: إن لا تعص الله تتل رضاه، يقول ابن مالك: والجزم بعد النهي إنما يجوز في فعل يصح كونه جواباً لشرط مقدر دل عليه النهي"^(٣).
وعقد سيبويه باباً سماه: باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل إذا كان جواباً للأمر أو نهي أو استفهام أو تمن أو عرض، وضرب الأمثلة على كل نوع، فمثل للأمر ب: انتني أنك، وللنهي ب: لا تفعل يكن خيراً لك، وللاستفهام ب: ألا تأتيني أحدثك؟ وللتمني ب: ليته عندنا يحدثنا، وللعرض ب: ألا تنزل تُصب خيراً، ثم يذكر سيبويه سبب صحة هذا الإجراء بقوله: "وإنما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب (إن تأتني)، ب(إن تأتني)؛ لأنهم جعلوه معلقاً بالأول غير مستغن عنه إذا أرادوا الجزاء، كما أن (إن تأتني) غير مستغنية عن (أتك)"^(٤).

في (الأصمعيّات) يُلاحظ أن الفعل المضارع المجزوم بسبب وقوعه جواباً للطلب اتخذ صورتين اثنتين، هما:

أ- وقع جواباً للأمر: وورد هذا التركيب مرة واحدة فقط، هو قول الأسعر الجعفي: (الكامل)

مَنْ كَانَ كَارِهِ عَيْشِهِ فَلْيَأْتِنَا يَلْقَ الْمَنِيَّةَ أَوْ يُوَوِّبَ لَهُ غَنَى^(٥)

ب- وقع جواباً للطلب بعد أداة العرض مرتين، منه قول عروة بن الزرد: (الطويل)

ذَرِينِي أَطَوِّفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أُخَلِّيكِ أَوْ أُغْنِيكِ عَنِ سُوءِ مَحْضَرِ^(٦)

(١) الكتاب: ٥٩/٣.

(٢) شرح التسهيل: ٤٢/٤.

(٣) نفسه: ٤٣/٤.

(٤) انظر: الكتاب: ٩٣-٩٤.

(٥) الأصمعيّات: ص ١٥٨، رقم ٦.

(٦) نفسه: ص ٤٧، رقم ٥، ذريني أطوف في البلاد لعلني أصيب حاجتي. وأغنيك عن سوء محضري؛ أي: أغنيك عن المسألة. وأخلك؛ أي: أقتل عنك فأفارقك، فتخلي للأزواج. والتخلي: الطلاق.

فأداة العرض هنا محذوفة، والتقدير: ألا تَذَرِينِي أُطَوِّفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أُخَلِّيكِ أَوْ أُغْنِيكِ.
أمَّا عن الفعل المضارع المجزوم بسبب وقوعه جوابًا للنهي أو الاستفهام أو التمني فلم أقف على شيء من ذلك في (الأصمعيّات).

من هنا يتضح أنّ هذا التركيب تربطه بالشرط علاقة من نوع (ما)، فجواب الطلب يترتب على ما قبله من طلب، ويرتبط به تمامًا كما يرتبط جواب الشرط بفعل الشرط وبالأداة المخصوصة التي تربط بينهما، فقولك: ذاكر تتجح، معناه: إنّ نجاحك متعلّق بالمذاكرة، كأنّك تقول: إنّ تذاكر تتجح، فالتركيبان كلاهما يتوفّر فيه علاقة السبب بالمسبّب، ولا بدّ من اجتماع أمرين في جواب الطلب - كما فهم من كلام النحاة: الشرط والتعلّيق، وهذا ما يلاحظ على أسلوب الشرط أيضًا.

المبحث الثاني: أدوات الشرط غير الجازمة

المطلب الأول: أدوات الشرط الامتناعية

فهي أدوات يحصل بها التعليق بين فعل الشرط وجوابه بسبب وجود علاقة بينهما، ربّما تكون هذه العلاقة قائمة على امتناع الجواب لوجود الشرط كما في (لولا، ولوما)، وربّما امتناع الجواب لامتناع الشرط كما في (لو)، مِنْ هنا يتّضح أنّ هذا النوع يشمل ثلاث أدوات، هي: (لولا، ولو ما، ولو).

أوّلاً: لولا

سأعرض طائفة من أقوال أهل الاختصاص وآرائهم التي خصّصوها للحديث عن أحد أحرف الشرط البارزة (لولا)، ومن الذين ذكروها صاحب (الأزهيّة)، يقول: "وتكون خبراً بمعنى امتناع شيء لأجل شيء، أو وقوع شيء لأجل شيء، كقولك: لولا زيد لجنتك؛ أي: امتناعي عن المجيء إليك من أجل زيد، فزيد رفع بالابتداء، وخبره محذوف؛ لعلم السامع به، وتقديره: لولا زيد حاضر أو عندك... لجنتك، و(لجنتك) جواب (لولا) التي لا بدّ لها من جواب^(١).

أمّا ابن مالك فقد اعتبر (لولا) و(لوما) من حروف التّحضيض، ولهما معنى آخر تجده في قوله: "وتدلّ (لولا) و(لوما) أيضاً على امتناع الشيء لوجود غيره، فيخصّصان بالأسماء، ويقنضيان جواباً كجواب (لو) فيكون فعلاً مجزوماً بـ(لم) أو ماضياً منفياً أو مثبتاً مقروناً في الغالب بلام مفتوحة"^(٢).

وذكر ابن هشام^(٣) أنّ لـ(لولا) أربعة معانٍ: أحدها: أنّ تدخل على جملتين اسمية فعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى، نحو: لولا زيد لأكرمتك؛ أي: لولا زيد موجود، وورد في (همع الهوامع): أنّ (لولا ولوما) حرفا امتناع لوجود، نحو: لولا زيد لأكرمتك، فامتنع الإكرام لوجود زيد^(٤).

- الاسم بعد (لولا):

اختلف فيه النّحاة^(٥) على أربعة مذاهب:
أ- قال البصريون: إنّهُ مرفوع بالابتداء.

(١) انظر: الأزهيّة: ١٦٦.

(٢) شرح التّسهيل: ١١٤/٤.

(٣) انظر: مغني اللّبيب: ٤٤٣/٣.

(٤) انظر: همع الهوامع: ٤٧٥/٢.

(٥) انظر: الإنصاف: ٦٦، ووصف المباني: ٣٩٢، حاشية الشّمني: ٦٤/٢، وارتشاف الضّرب: ١٩٠٤/٣،

والجنى الدّاني: ٦٠١-٦٠٢.

- ب- ذهب الكسائيُّ إلى أنَّه فاعل مرفوع بفعل تقديره: لولا وُجد زيد.
ت- ذهب بعض الكوفيِّين إلى أنَّه مرفوع بـ(لولا) لنيابتها مناب: (لو لم يوجد).
ث- ذهب الفراء أنَّه مرفوع بـ(لولا) نفسها.

- خبر المبتدأ الواقع بعد لولا:

يوجب الجمهور في خبر (لولا) أن يكون كونًا مطلقًا محذوفًا، جاء في (مغني اللبيب): "ثم قال أكثرهم: يجب كون الخبر كونًا مطلقًا محذوفًا، فإذا أُريد الكون المقيد لم يجز أن تقول: لولا زيد قائم، ولا أن تحذفه بل تجعل مصدره هو المبتدأ فنقول: لولا قيام زيد لأنتيتك"^(١).

ذهب الرُّمانيُّ وابن السَّجريِّ والشُّلوبيين وابن مالك إلى أنَّه يكون كونًا مطلقًا كالوجود والحصول فيجب حذفه وكونًا مقيدًا كالقيام والقعود فيجب ذكره إن لم يُعلم^(٢).

وردت (لولا) في (الأصمعيَّات) أربع مرَّات، جاءت مصاحبة لفاء مرَّة واحدة، ومصاحبة للواو ثلاث مرَّات، ولم يأت جوابها مقرونًا باللام في أيِّ من المواضع الأربعة، وهي من قبيل أنَّها حرف امتناع لوجود كما هو متعارف بين النُّحاة، لاحظ معي قول مُهلَه بن رَبِيعَةَ: (الوافر)

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حَجْرٍ صَلِيلَ البَيْضِ يُفْدَعُ بِالذُّكُورِ^(٣)

التَّقدير: فلولا صفير الرِّيح لسمع أهلُ حَجْر صوت السُّيوف، وجاء جوابها فعلاً مضارعاً منفياً بـ(لم) هو قول خُفَّاف بن نُذْبَةَ: (الطَّويل)

فَبَاتَتْ سَلِيْبًا مِنْ أَنَاسٍ تُحِبُّهُمْ كَنِيْبًا وَلَوْلَا طَعْنَتِي لَمْ تُطَلَّقِ^(٤)

وجاء جوابها فعلاً ماضياً مثبتاً، هو قول دُرَيْد بن الصَّمَّة: (الطَّويل)

وَلَوْلَا جَنَانُ اللَّيْلِ أَدْرَكَ رَكْضُنَا بِذِي الرَّمْثِ وَالْأَرْضَى عِيَاضَ بَنِ نَاشِبِ^(٥)

وجاء جوابها فعلاً ماضياً منفياً بـ(ما) في قول سَلَامَةَ بنِ جَنْدَلٍ: (الطَّويل)

وَلَوْلَا جَنَانُ اللَّيْلِ مَا آبَ عَامِرٌ إِلَى جَعْفَرٍ سِرْبَالَهُ لَمْ يُخَرِّقِ^(٦)

(١) انظر: مغني اللبيب: ٣/٤٤٤-٤٤٥، والجنى الداني: ٥٩٩.

(٢) انظر: الجنى الداني: ٦٠٠-٦٠١.

(٣) الأصمعيَّات: ص ١٧٢، رقم ١٢، الذُّكور: السُّيوف. ويُفدع: يضرب، والصليل: الصَّوت. والبييض: جمع بيضة، وهي ما تلبس في الرُّأس. جاء في (هامش) الأصمعيَّات المصريَّة ص ١٥٥: "وقد أفرط في المبالغة، إذ جعل صلِيل السُّيوف يُسمَع من (حجر) باليمامة لولا الرِّيح".

(٤) نفسه: ص ٢٦، رقم ١٥.

(٥) نفسه: ص ١٢٧، رقم ١٤.

(٦) نفسه: ص ١٥٢، رقم ٢٨، سرياله: قميصه.

ثانياً: لوما

هناك حرف كلّمًا ذُكرت (لولا) خطر على المخيلة؛ لاقتترانه بها ألا وهو (لوما)، فقد ذكر صاحب (الجنى الدّاني) أنّ (لوما) حرف، له قسمان: أحدهما: أن يكون حرف امتناع لوجوب، فيختصُّ بالأسماء، ويرتفع الاسم بعده بالابتداء، نحو: لو ما زيدٌ لأكرمتك، والثّاني: أن يكون حرف تحضيض، فلا يليه إلاّ فعل، أو معمول فعل^(١). ويقول المالقي: "اعلم أنّ (لوما) لم تجئ في كلام العرب، إلاّ لمعنى التّحضيض"^(٢). وأمّا ابن هشام فقد وافق رأيهُ الرأي المراديّ، حيث اعتبرها بمنزلة (لولا) وحكمه، في الحاليّن، حكم لولا^(٣). هذا الحرف ليس له ما يُمثّل به من (الأصمعيّات)؛ لعدم وروده هناك.

ثالثاً: لو

- المعاني التي تفيدها:

يقول سيبويه عن المعنى الذي تؤدّيه: "وأما (لو) فلما كان سيقع لوقوع غيره"^(٤)، وفسّر ابن مالك قول سيبويه قال: يعني أنّك إذا قلت: لو قام زيد لقام عمرو، فمقتضاه: أنّ القيام من عمرو كان متوقّفاً لحصول قيام من زيد على تقدير حصوله. و(لو) عند ابن مالك من حروف المعاني، وهي نوعان: موصولة وشرطيّة، والموصولة: التي يصلح في موضعها (أن)، وأكثر ما تقع بعد (ودّ) أو ما في معناها، وأمّا الشرطيّة- وهي ما تهّم البحث هنا- فهي لتعليق ما امتنع لامتناع شرطه، فتقتضي جملتين ماضيتين، الأولى منهما مستلزمة للثانية؛ لأنّها شرط والثانية جوابه، ويضيف ابن مالك أنّ أكثر التحوّيين يعدّون (لو) حرفاً يدلُّ على امتناع الشيء لامتناع غيره^(٥). ويقول ابن يعيش: "و(لو) إذا وقع بعدها المستقبل أحوالت معناه إلى الماضي"، ويدلُّ على ذلك بقوله- تعالى: ﴿...لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ...﴾^(٦)؛ أي: لو أطاعكم^(٧).

جعل المراديّ (لو) على أربعة أقسام: الأوّل: الامتناعيّة وهي مثل (إن) الشرطيّة في الاختصاص بالفعل، فلا يليها إلاّ فعل أو معمول فعل مضمر، يفسره ظاهر بعده، الثّاني: (لو) الشرطيّة التي بمعنى (إن)، فهذه مثل (إن) الشرطيّة، يليها المستقبل، وتصرف الماضي إلى

(١) انظر: الجنى الدّاني: ٦٠٩.

(٢) رصف المباني: ٣٦٥.

(٣) انظر: مغني اللّبيب: ٤٦٥.

(٤) الكتاب: ٢٢٤/٤.

(٥) انظر: شرح التّسهيل: ٩٤/٤ - ٩٥، وشرح الكافية الشّافية: ١٦٢٩/٤.

(٦) الحجرات: ٧/٤٩.

(٧) انظر: شرح المفصّل: ١٥٦/٨.

الاستقبال، كقوله- تعالى: ﴿...وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(١)، الثالث: لو المصدرية، وعلامتها أن يصلح في موضعها (أن)، كقوله- تعالى: ﴿...يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ...﴾^(٢)، ولا تحتاج إلى جواب، الرابع: (لو) التي للتمني، نحو: لو تأتينا فتحدثنا^(٣).

- اختلاف النُّحَاةِ فِي اعْتِبَارِ (لَوْ) مِنْ حُرُوفِ الشَّرْطِ:

يقول ابن مالك في (شرح التسهيل): "(لو) حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه"^(٤)، ويقول الزمخشري: "حرفا الشرط: وهما (إن) و(لو) يدخلان على جملتين فيجعلان الأولى شرطاً، والثانية جزاء، كقولك: إن تضررتني أضرتك، ولو جنتني لأكرمتك"^(٥). ويقول المرادي: "أبى قوم تسميتها حرف شرط؛ لأن حقيقة الشرط إنما تكون في الاستقبال، ولو إنما هي للتعليق في الماضي، فليست من أدوات الشرط"^(٦).

ليس هذا فحسب بل هناك من النُّحَاةِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ (أَمْ، وَلَمْ، لَوْ، وَلَوْلا) ليست من أدوات الشرط، وهو أبو حيان، يقول: "باب في أدوات يحصل بها التعليق، وليست من أدوات الشرط، وهي: (أَمْ، وَلَمْ، لَوْ، وَلَوْلا)"^(٧). وأعتقد أنه من المفيد للبحث في هذه الجزئية ذكر أنواع (لو)؛ حتى يتسنى التعرف على أمثلة (لو) الامتناعية و(لو) الشرطية دون لبس أو غموض، فابن مالك ذكر نوعين: الموصولة والشرطية، وذكر (لو) التي تفيد التحضيض وذكر المرادي أربعة: الامتناعية، والشرطية، والمصدرية، والتي للتمني، وذكر الأشموني خمسة أقسام: التي للعرض، و(لو) التي تفيد التقليل المجرد، ولا تحتاج لجواب، نحو قول القائل: "أكثر من ضروب البر والإحسان ولو بالكلمة الطيبة"، والتي للتمني، والمصدرية، والشرطية^(٨).

عند الماقي ل(لو) أربعة مواضع في الكلام هي: حرف امتناع لامتناع، وربما حذف جوابها للعلم به، وحرف شرط بمنزلة (إن) إلا أنها لا تجزم، ولا يكون جوابها بعدها إلا محذوفاً لدلالة الكلام عليه، وللتمني، وللتقليل بمعنى (رُبَّ) مثل: صلّ ولو الفريضة^(٩).

(١) يوسف: ١٧/١٢.

(٢) البقرة: ٩٦/٢.

(٣) انظر: الجني الداني: ٢٧٢ - ٢٨٧.

(٤) شرح التسهيل: ٩٣/٤.

(٥) المفصل: ٤٣٩.

(٦) الجني الداني: ٢٨٣.

(٧) انظر: ارتشاف الضرب: ١٨٩٣/٤.

(٨) انظر: شرح الأشموني: ٥٩٦/٣.

(٩) انظر: رصف المباني: ٣٥٨ - ٣٦١.

ذكر عباس حسن الأنواع التي ذكرها النحاة، وقسم (لو) الشرطية إلى: امتناعية وغير امتناعية، يقول: "(لو) الشرطية نوعان: شرطية امتناعية، وشرطية غير امتناعية، وكلا النوعين حرف، واستعماله قياسي، فأما (لو) الشرطية الامتناعية؛ فمعناها أمران مجتمعان هما: إفادة الشرطية، التي لم تتحقق في الماضي؛ فقد امتنع وقوعها فيه، وهذه الإفادة الشرطية تقتضي تعليق شيء على آخر، وهذا التعليق يستلزم -حتمًا- أن يقع بعدها جملتان، بينهما نوع من الترابط والاتصال المعنوي، يغلب أن يكون (السببية) في الجملة الأولى، و(المسببية) في الجملة الثانية"^(١).

كما تحدث عن (لو) الشرطية غير الامتناعية، يقول: "وأما الشرطية غير الامتناعية فمعناها: الدلالة على الشرطية الحقيقية؛ وهي التي تقتضي تعليق أمر على آخر -وجودًا أو عدمًا- في المستقبل، ولا بد لها من جملتين؛ ترتبط الثانية منهما بالأولى ارتباط المسبب بالسبب -غالبًا- بحيث لا يتحقق في المستقبل معنى الثانية ولا يحصل إلا بعد تحقق معنى الأولى، غير أن معنى الثانية مترتب على معنى الأولى الذي لا يمتنع هنا"^(٢).

هذا وبعد العرض الموجز لأقوال النحاة سأركز الحديث على نوعين من أنواع (لو) هما: الامتناعية والشرطية، أما باقي أنواع (لو) فسأكتفي بذكر مثال واحد لكل نوع يوضحها على النحو الآتي:

أ- (لو) المصدرية:

هي التي تصلح لتشكّل مصدرًا مؤولًا مع الجملة الفعلية بعدها، مثالها قولك: وددت لو سمعتُ خبرَ تفوقك، ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله - تعالى: ﴿...يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ...﴾^(٣)، يعلّق أبو حيّان على هذه الآية بقوله: "لو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وجوابه محذوف تقديره: لسرّوا بذلك؛ وحذف لدلالة (يودُّ) عليه، ومن أجاز في (لو) أن تكون مصدرية مثل (أن) جوز ذلك هنا، وكانت إذ ذاك لا جواب لها، بل تكون في موضع مفعول يودُّ"^(٤). وردت (لو) المصدرية في (الأصمعيّات) مرّة واحدة، هي قول سَعْدَى بنتِ الشَّمَزْدَلِ الجُهَنِيَّة: (الكامل)

فَوَدَدْتُ لَوْ قُبِلْتُ بِأَسْعَدِ فِدْيَةٍ مِمَّا يَضِنُّ بِهِ الْمُصَابُ الْمُوجَعُ^(٥)

التقدير: فَوَدَدْتُ قَبُولَ فِدْيَةٍ بِأَسْعَدِ.

(١) انظر: النحو الوافي: ٤/٤٩١-٤٩٣.

(٢) انظر: نفسه: ٤/٤٩٤-٤٩٥.

(٣) النساء: ٤/٤٢.

(٤) تفسير البحر المحيط: ٣/٦٣٢.

(٥) الأصمعيّات: ص ١١٧، رقم ٢٩.

ب - (لو) التَّمَنَى:

مِنْ أَمْتَلَتْهَا فِي (الأصمعيّات) - حيث وردت في موضع واحد فقط - قول مُهْلَهْل بن ربيعة:

(الوافر)

فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ فَيُخْبِرُ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زَيْرٍ^(١)
بِیَوْمِ الشَّعْثَمِينِ لَقَرَّ عَيْنًا وَكَيْفَ لِقَاءٍ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ^(٢)

نقل ابن هشام عن بعضهم معلقًا على (لو) في هذا البيت والذي يليه: "إنها الامتاعيّة، أشربت معنى التَّمَنَى؛ لأنها قد جاء جوابها باللام، بعد جوابها بالفاء"^(٣).

واختلفوا حولها: منهم مَنْ قال: إنّها قسم برأسه لا تحتاج إلى جواب كجواب الشرط، ومنهم مَنْ قال: إنّها الامتاعيّة، أشربت معنى التَّمَنَى، وقال ابن مالك: إنّها المصدرية أغنت عن التَّمَنَى، ويؤيد المراديُّ الرَّأْيَ التَّانِي بقوله: وهو الصَّحِيح^(٤)، ومنه قول المُفَضَّلِ النُّكْرِيِّ: (الوافر)

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ عَدَاةَ جِنًّا بَبْطُنِ أَثَالِ صَاحِبَةِ نَسُوقٍ^(٥)

ت - (لو) الرَّائِدَةُ:

(لو) الرَّائِدَةُ أو (الوصلية)، لا تحتاج لجواب - في المشهور - فهي كـ(إن) الوصلية؛ بحيث يمكن وضع (لو) مكان (إن) فلا يفسد المعنى ولا الأسلوب، نحو: الدَّيُّ لَوْ كَثُرَ مَالُهُ بِخَيْلٍ، وهذا أقلُّ الأنواع استعمالًا في فصيح الكلام^(٦). مِنْ أَمْتَلَتْهَا فِي (الأصمعيّات) قول صَخْر بن عمرو بن الشَّريِد: (الطويل)

أَهُمْ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ^(٧)

هذا ولم أقف في (الأصمعيّات) على أمثلة لـ(لو) التي للتقليل، أو التي للتّحضيض أو التي للعرض.

(١) نفسه: ص ١٧١، رقم ٣.

(٢) نفسه: ص ١٧١، رقم ٤، الشَّعْثَمَانِ قِيلَ: هُمَا ابْنَا مَعَاوِيَةَ بْنِ عَامِرٍ: شَعْتَمٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ، وَفِي (أَمَالِي الْقَالِي) ١٣١/٢:

"الشَّعْثَمَانِ: مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ."

(٣) انظر: مغني اللبيب: ٤١٢/٣.

(٤) انظر: الجني الداني: ٢٧٩.

(٥) الأصمعيّات: ص ٢٢١، رقم ٦، بَطْنُ أَثَالٍ: مَوْضِعٌ. وَصَاحِبَةُ أَيُّ: عَلَانِيَةٌ وَجَهَازٌ.

(٦) النَّحْوُ الْوَافِي: ٥٠٢/٤.

(٧) الأصمعيّات: ص ١٦٤، رقم ٤، الْعَيْرُ: حِمَارُ الْوَحْشِ. وَنَزْوَانُ الْعَيْرِ: وَثُوْبُهُ عَلَى أَنْثَاهُ. جَاءَ فِي (مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ

لِلْمِيدَانِيِّ) ٩٦/٢: "قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ": أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ صَخْرُ بْنُ عَمْرٍو أَخُو الْخَنَسَاءِ" فَجَرَى هَذَا الْقَوْلُ مَثَلًا.

سبقَت الإشارة أَنَّهُ مِنْ أَقْسَامِ (لَوْ): (لَوْ)الامْتِنَاعِيَّة، و(لَوْ) الشَّرْطِيَّة- وهذه الأَخيرة أُطْلِقَ عَلَيْهَا البعضُ غَيْرِ الامْتِنَاعِيَّة- وسِينَاوَلِ البَحْثِ كُلِّ وَاحِدَةٍ عَلَى حِدَةٍ كَمَا سَيَأْتِي.

أَوَّلًا: (لَوْ) الامْتِنَاعِيَّة

يُعْتَقَدُ أَنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ جَاءَتْ مِنْ الْعِبَارَةِ الْمَشْهُورَةِ بَيْنَ النُّحَاةِ، وَالَّتِي تَنَاقَلَتْهَا أَلْسِنَتُهُمْ، وَمَفَادُهَا: (لَوْ) حَرْفُ امْتِنَاعٍ لَامْتِنَاعٍ، وَمِنْ النُّحَاةِ مَنْ حَاوَلَ إِثْبَاتَ عَدَمِ صَحَّتِهَا^(١)، يَقُولُ الْمُرَادِيُّ: "وَعِبَارَةٌ أَكْثَرُهُمْ: (لَوْ) حَرْفُ امْتِنَاعٍ لَامْتِنَاعٍ؛ أَيُّ: تَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ الثَّانِي لَامْتِنَاعِ الْأَوَّلِ، وَهَذِهِ عِبَارَةٌ ظَاهِرٌ أَنَّهَا غَيْرُ صَحِيحَةٍ؛ لِأَنَّهَا تَقْتَضِي كَوْنَ جَوَابِ (لَوْ) مَمْتِنَعًا غَيْرَ ثَابِتٍ دَائِمًا، وَذَلِكَ غَيْرُ لَازِمٍ؛ لِأَنَّ جَوَابَهَا قَدْ يَكُونُ ثَابِتًا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، وَيَضْرِبُ الْمُرَادِيُّ أَمْتِلَةً عَلَى صَحَّةِ مَا يَقُولُ، أَخَذَ وَاحِدًا مِنْهَا هُوَ قَوْلُهُمْ: لَوْ تَرَكَ الْعَبْدَ سُؤَالَ رَبِّهِ لِأَعْطَاهُ، فَتَرَكَ السُّؤَالَ مَحْكُومًا بَعْدَ حَصُولِهِ، وَالْعَطَاءُ مَحْكُومٌ بِحَصُولِهِ، عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ عَطَاءَهُ حَاصِلٌ، مَعَ تَرَكَ السُّؤَالَ، فَكَيْفَ مَعَ السُّؤَالَ؟! وَلَكِنَّهُ فِي نَهَايَةِ مَنَاقَشَتِهِ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَتَوَصَّلُ إِلَى أَنَّ قَوْلَ النُّحَاةِ: "(لَوْ) حَرْفُ امْتِنَاعٍ لَامْتِنَاعٍ" سَلِيمٌ وَلَا تَعَارُضَ فِيهِ، يَقُولُ: "فَلنَرْجِعُ إِلَى بَيَانِ صَحَّتِهِ فَنَقُولُ: قَوْلُهُمْ: لَوْ: حَرْفٌ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ الثَّانِي لَامْتِنَاعِ الْأَوَّلِ يَسْتَقِيمُ"^(٢).

- اِخْتِلَافُ النُّحَاةِ فِي إِفَادَةِ (لَوْ) لِلَامْتِنَاعِ^(٣):

اِخْتَلَفُوا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهَا لَا تَقِيدُهُ بِوَجْهِهِ، وَهُوَ قَوْلُ الشُّلُوبِيِّنِ^(٤)، يَقُولُ: "إِنَّهَا لَا تَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ الشَّرْطِ وَلَا عَلَى امْتِنَاعِ الْجَوَابِ بَلْ عَلَى التَّعْلِيْقِ فِي الْمَاضِي، كَمَا دَلَّتْ (إِنْ) عَلَى التَّعْلِيْقِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ"، وَتَبِعَهُ ابْنُ هِشَامٍ الْخَضْرَاوِيُّ^(٥)، ثَانِيهَا: أَنَّهَا تَقِيدُ امْتِنَاعَ الشَّرْطِ وَامْتِنَاعَ الْجَوَابِ جَمِيعًا وَهَذَا هُوَ الْجَارِي عَلَى أَلْسِنَةِ الْمَعْرَبِينَ، وَنَصَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النُّحَوِيِّينَ، ثَالِثُهَا: أَنَّهَا تَقِيدُ امْتِنَاعَ الشَّرْطِ خَاصَّةً، وَلَا دَلَالَةَ لَهَا عَلَى امْتِنَاعِ الْجَوَابِ وَلَا عَلَى ثُبُوتِهِ.

(١) انظر: شرح التسهيل: ٩٥/٤.

(٢) انظر: الجنى الداني: ٢٧٣-٢٧٦.

(٣) انظر: مغني اللبيب: ٣٧٤-٣٦٨/٣.

(٤) الشُّلُوبِيُّنِيَّ أَوْ الشُّلُوبِيِّنَ هُوَ عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِ الْأَزْدِيُّ، أَبُو عَلِيٍّ: مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ بِالنُّحُوِّ وَاللُّغَةِ، تُوفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتْمِائَةَ هِجْرِيَّةً. انظر: وفيات الأعيان: ٤٥١/٣، وبغية الوعاة: ٢٢٤/٢، والأعلام: ٦٢/٥.

(٥) مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ هِشَامِ الْخَضْرَاوِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبِرْدَعِيِّ: عَالِمٌ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلَهُ نِظْمٌ وَنَثْرٌ وَتَصَرُّفٌ فِي الْأَدَبِ، تُوفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَسِتْمِائَةَ هِجْرِيَّةً. انظر: بغية الوعاة: ٢٦٧/١، والأعلام: ١٣٨/٧.

ووردت (لو) الامتناعيّة في (الأصمعيّات) واتّخذت ثلاث صور، هي:

الصُّورة الأولى: جاء وصفها في (الجنى الدّاني): "إنّها مثل (إن) الشرطيّة، في الاختصاص بالفعل. فلا يليها إلاّ فعل، أو معمول فعل مضمر، يفسّره ظاهر بعده، ولا يكون جوابها إلاّ فعلاً ماضياً، مثبتاً، أو منفيّاً بـ(ما)، أو مضارعاً مجزوماً بـ(لم)، والأكثر في الماضي المثبت اقترانه باللّام وقد تُحذف" (١).

يُفهم من هذا الاقتباس أنّ (لو) الامتناعيّة تتخذ عدداً من التراكيب يمكن تطبيقها على مجال الدّراسة كما يأتي:

أ- فعل الشرط ماضٍ، والجواب ماضٍ غير منفيّ، وغير مقترن باللّام، من أمثله قول امرئ القيس:
(الوافر)

وَأَفْلَهَنَّهُنَّ عِلْبَاءَ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَاهُ صَفِرَ الوِطَابِ (٢)
ومنه قول كعب بن سعد الغنويّ: (الطويل)
وَأُعْرِضْ عَن مَوْلَايَ لَوْ شِئْتَ سَبْبِي وَمَا كُلُّ يَوْمٍ حِلْمُهُ بِأَصِيلِ (٣)
ومنه قول المُفضّل النُّكريّ: (الوافر)

فَأَبْقَيْتَنَا وَلَوْ شِئْنَا تَرَكَنَا لُجَيْمًا لَا تَقُودُ وَلَا تَسُوقُ (٤)
ب- فعل الشرط ماضٍ ناقص، والجواب ماضٍ مثبت مقرون باللّام، من أمثلتها قول أسماء بن
خارجة: (الكامل)

لَوْ كُنْتَ ذَا لُبٍّ تَعِيشُ بِهِ لَفَعَلْتَ فِعْلَ الْمَرْءِ ذِي اللُّبِّ (٥)
ومنه قول كعب بن سعد الغنويّ: (الطويل)
فَلَوْ كَانَ مَيْتٌ يُفْتَدَى لَفَدَيْتُهُ بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النُّفُوسُ تَطِيبُ (٦)

(١) انظر: الجنى الدّاني: ٢٨٧.

(٢) الأصمعيّات: ص ١٤٦، رقم ٣، جاء في ديوان امرئ القيس ص ٨٣ (الهامش): علباء: قاتل أبيه. وأفلتهنّ؛ يعني الخيل. والجريض: الذي يغصُّ بريقه عند الموت. وصفير الوطاب؛ أي: هلك فحلا جسمه من روحه.

(٣) نفسه: ص ٩٠، رقم ٢١.

(٤) نفسه: ص ٢٢٧، رقم ٣٩ (الرّيادات من الكتابين).

(٥) نفسه: ص ٥٥، رقم ٢٢.

(٦) نفسه: ص ١١٠، رقم ١٦.

ت- فعل الشَّرْطِ ماضٍ ناقص، والجواب ماضٍ تام مثبت غير مقرون باللام، مِنْ أُمَّتْهَا قَوْلُ أَبِي دُوَادٍ الْإِيَادِيِّ: (الخفيف)

وَسَبَبْتِي بَنَاتٌ نَخْلَةٌ لَوْ كُنْتُ قَرِيبًا أَلَمَّ بِي الْإِمَامُ^(١)

ث- فعل الشَّرْطِ ماضٍ تام، والجواب ماضٍ ناقص مثبت مقرون باللام، مِنْهُ قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: (الطَّوِيل)

وَلَوْ مَاتَ مِنْهُمْ مَنْ جَرَحْنَا لِأَصْبَحَتْ ضِبَاعٌ بِأَكْنَافِ الْأَرَاكِ عَرَائِسًا^(٢)

ج- جاء فعل الشَّرْطِ ماضياً ناقصاً، والجواب فعلاً جامداً، مثاله مِنْ (الأصمعيّات) قَوْلُ شِمْرَ بْنِ عَمْرٍو الْحَنْفِيِّ: (الكامل)

لَوْ كُنْتُ فِي رِيْمَانَ لَسْتُ بِبَارِحٍ أَبَدًا وَسُدَّ خَصَاصُهُ بِالطَّيْنِ^(٣)

ح- ورد كُلُّ مِنْ فعل الشَّرْطِ وجوابه فعلاً ماضياً ناقصاً، والجواب مقروناً باللام في موضع واحد فقط، هو قول أبي النَّشَّاشِ النَّهْشَلِيِّ: (الطَّوِيل)

وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ نَاجِيًا مِنْ مَنِيَّةٍ لَكَانَ أَثِيرٌ يَوْمَ جَاءَتْ كِتَابِيَّةٌ^(٤)

خ- فعل الشَّرْطِ مضارع معرب، والجواب ماضٍ مثبت مقرون باللام، مِنْ أُمَّتْهَا قَوْلُ الْمُتَمَلِّسِ يِعَاتِبُ خَالَهُ الْيَشْكِرِيُّ: (الطَّوِيل)

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَائِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا^(٥)

الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: ما يلي (لو) جملة اسمية مكونة مِنْ (أَنَّ) ومعموليهما، وَمِنْ أنواع (لو) الامتناعية تلك التي يمكن لها مباشرة (أَنَّ)، يقول المرادي: "وانفردت (لو) - يقصد الامتناعية - بمباشرة (أَنَّ)،

(١) نفسه: ص ٢٠٤، رقم ٥، بَنَاتٌ نَخْلَةٌ: أراد بها النساء، ولا يُعلم أراد بذلك طولهنَّ أو نسبهنَّ إلى القبيلة. ونخلة:

موضع. وألَمَّ بي الإمام؛ يعني: أتتني منهنَّ زائر. وسببتني: أسرتني، وذهبت بعقلي.

(٢) نفسه: ص ٢٣١، رقم ٢٢، جاء في (مجمع الأمثال للميداني) ٢٣٩/١، معلقاً على قول العبَّاس بن مرداس: "يزعمون أنَّ

الضَّبْعُ إذا وجدت قتيلاً قد انتفخ جردانه ألقته على قفاه ثمَّ ركبته؛ لتستعمله أبداً حتَّى يلين".

(٣) نفسه: ص ١٤١، رقم ١، رِيْمَانَ: قصر باليمن. والخصائص: شبه كوة في قبة. وخصائص البيت: خَلَّه، واحدته: خصاصة.

(٤) نفسه: ص ١٣٣، رقم ٨، جاء في (شرح الحماسة للنَّبْرِيّ) ١٨٦/٢: "أَيُّ: لو نجا حيٌّ مِنَ الْحِمَامِ، لكان هذا

الصُّعْلُوكُ الَّذِي يطلب المجد، وترى به في اللَّيْلِ الرُّكَّابِ أَثِيرًا بِذَلِكَ؛ أَيُّ: خليقاً به".

(٥) نفسه: ص ٢٤٦، رقم ١٤، جاء في (مختارات ابن الشَّجْرِيّ) ص ١٢٥: "الإطراق: أصله السُّكُونُ. والشُّجَاعُ: حيَّة

لطيف أقرع الرأس. مسَاغًا؛ أَيُّ: مضياً. وصَمَّمَا: مضى على أمره وجدَّ فيه".

كقوله - تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا...﴾^(١)، وهو كثير^(٢). ومنع الزمخشري أن يكون خبر (أن) الواقع بعد (لو) اسماً مشتقاً، ولم يتعرض لغير المشتق، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على جواز أن يكون اسمها جامداً، يقول في (المفصل): "ولو قلت: لو أن زيدا حاضر لأكرمته، لم يجز"^(٣).

هذا وورد في (الأصمعيّات) خبر (أن) الواقع بعد (لو) اسماً مشتقاً في ثلاثة مواضع، أمثل بواحد منها، هو قول صخر بن عمرو بن الشريد: (الطويل)

فَلَوْ أَنَّ حَيًّا فَاتَتْ الْمَوْتَ فَاتَهُ أَخُو الْحَرْبِ فَوْقَ الْقَارِحِ الْعَدَوَانِ^(٤)

إن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن كلام الزمخشري السابق فيه نظر؛ لأن ما منعه شائع في لغة العرب كما يقول ابن مالك معلقاً على ما ذهب إليه الزمخشري، يقول: "وما منعه شائع، ذائع في كلام العرب"^(٥). ووردت (لو) الامتناعية وهي مباشرة لـ(أن) في (الأصمعيّات) في ستة مواضع، واتخذت الصدور والتراكيب الآتية:

أ- (لو) يليها (أن) واسمها ضمير متصل، والجواب ماضٍ مقرون باللام، من أمثلتها قول الأجدع ابن مالك الهمداني: (الكامل)

فَلَوْ أَنَّنِي فُؤِدِيئُهُ لَفُدِيئُهُ بَأْنَامِلِي وَأَجْنَاهُ أَضْلَاعِي^(٦)

ب- (لو) يليها (أن) وخبرها جملة فعلية، والجواب ماضٍ غير مقرون باللام، منه قول عمرو بن معد يكرب: (الطويل)

لَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجْرَتِ^(٧)

ت- (لو) يليها (أن) وخبرها اسم جامد، والجواب محذوف، منه قول كعب بن سعد الغنوي: (الطويل)

(١) الحجرات: ٥/٤٩.

(٢) الجني الداني: ٢٧٩.

(٣) انظر: المفصل: ٣٤٣.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٦٤، رقم ٨، القارح من الخيل: ما تمت أسنانه؛ وذلك في الخامسة من عمره. والعدوان: الشدّيد العدو.

(٥) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك: ١٦٣٧/٣، وشرح التسهيل: ٩٩/٤.

(٦) الأصمعيّات: ص ٧٩، رقم ٣، فُؤِدِيئُهُ: قبل منّي فداؤه. وجنّه: ستره.

(٧) نفسه: ص ١٣٧، رقم ١٠، جاء في (خزانة البغدادي) ٣٩١/٢: "وقوله: (فلو أن قومي) يقول: لو صبروا وطعنوا برماحهم أعداءهم لأمكنني مدحهم، ولكن فرارهم صيرني كالمشقوق اللسان؛ لأنني إن مدحتهم بما لم يفعلوا كذبت ورد علي".

مَعَ الْقَدْرِ الْمَوْقُوفِ حَتَّى يُصِيبَنِي حِمَامِي لَوْ أَنَّ النَّفْسَ غَيْرُ عَجُولٍ^(١)

الصُّورَةُ الثَّلَاثَةُ: الَّتِي يَلِيهَا مَعْمُولُ فِعْلِ مَضْمَرٍ، يَفْسِّرُهُ ظَاهِرُ بَعْدِهِ^(٢)، هَذِهِ الصُّورَةُ تَجْعَلُكَ تَتَسَاءَلُ، هَلْ يُمْكِنُ وَقُوعُ الْإِسْمِ بَعْدَ (لَوْ) الْإِمْتِنَاعِيَّةِ؟

صَرَّحَ ابْنُ مَالِكٍ بِأَنَّهُ قَدْ يَأْتِي بَعْدَ (لَوْ) جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ بِقَوْلِهِ: "عَلَى أَنَّهُ قَدْ وُلِيَ (لَوْ) اسْمٌ صَرِيحٌ مَرْفُوعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ"^(٣)، وَذَكَرَ أَبُو حَيَّانَ أَنَّ (لَوْ) عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ لَا يَلِيهَا إِلَّا الْفِعْلُ^(٤). فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) وَرَدَتْ (لَوْ) مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ وَقَدْ وُلِيَهَا الْإِسْمُ، هِيَ قَوْلُ الْمُتَلَمَّسِ يُعَاتِبُ خَالَهَ الْيَشْكُرِيَّ: (الطَّوِيلُ)

فَلَوْ غَيْرُ أَحْوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مَيْسَمًا^(٥)

التَّقْدِيرُ: فَلَوْ أَرَادَ غَيْرُ أَحْوَالِي نَقِصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ مَيْسَمًا. مِنْ هُنَا يَتَّضِحُ أَنَّ (لَوْ) خَاصَّةٌ بِالْفِعْلِ، وَقَدْ يَلِيهَا اسْمٌ مَرْفُوعٌ مَعْمُولٌ لِمَحذُوفٍ يَفْسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ كَمَا فِي الْبَيْتِ، وَكَقَوْلِهِمْ فِي الْمَثَلِ: "لَوْ ذَاتُ سَوَارٍ لَطَمْتِي"، التَّقْدِيرُ: لَوْ لَطَمْتِي ذَاتُ سَوَارٍ^(٦).

ثَانِيًا: (لَوْ) الشَّرْطِيَّةُ الَّتِي بِمَعْنَى (إِنْ)

يَقُولُ الْمُبَرِّدُ: "(لَوْ) أَصْلُهَا فِي الْكَلَامِ أَنْ تَدَلَّ عَلَى وَقُوعِ الشَّيْءِ لَوْقُوعٍ غَيْرِهِ، تَقُولُ: لَوْ جَنَنْتِي لِأَعْطَيْكَ، وَلَوْ كَانَ زَيْدٌ هُنَاكَ لَضَرَبْتَهُ، ثُمَّ يَتَّسَعُ فَتَصِيرُ فِي مَعْنَى (إِنْ) الْوَاقِعَةُ لِلْجِزَاءِ تَقُولُ: أَنْتَ لَا تَكْرَمْنِي وَلَوْ أَكْرَمْتِكَ، تَرِيدُ (وَإِنْ)"^(٧)، فَالْمُبَرِّدُ أَشَارَ إِلَى نَوْعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ (لَوْ) هُمَا: الْإِمْتِنَاعِيَّةُ ثُمَّ الشَّرْطِيَّةُ. وَيَقُولُ الْمُرَادِيُّ عَنْهَا: "(لَوْ) الشَّرْطِيَّةُ الَّتِي بِمَعْنَى (إِنْ) فَهَذِهِ مِثْلُ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ، يَلِيهَا الْمُسْتَقْبَلُ، وَتَصْرَفُ الْمَاضِي إِلَى الْإِسْتِقْبَالِ"^(٨). وَجَاءَ فِي (مَغْنِي اللَّيْبِيبِ): "مِنْ

(١) نفسه: ص ٨٨، رقم ٨. موقوف: محبوس.

(٢) انظر: الجنى الداني: ٢٧٨.

(٣) شرح الكافية الشافية لابن مالك: ١٦٣٦/٣.

(٤) انظر: ارتشاف الضرب: ١٨٩٩/٤.

(٥) الأصمعيّات: ص ٢٤٥، رقم ١٠ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصرية ص ٢٤٥: "العرنين: أوّل الأنف. والميسم: اسم للآلة التي يؤسم بها، واسم لأثر الوسم أيضًا؛ أي: أهجوهم هجاء يبقى أثره في وجوههم".

(٦) جاء في مجمع (الأمثال للميداني) ١٧٢/٢: "(لَوْ ذَاتُ سَوَارٍ لَطَمْتِي)؛ أي: لَوْ لَطَمْتِي ذَاتُ سَوَارٍ؛ لِأَنَّ (لَوْ) طَالِبَةٌ لِلْفِعْلِ دَاخِلَةٌ عَلَيْهِ وَالْمَعْنَى: لَوْ ظَلَمْنِي مَنْ كَانَ كَفَوًّا لِي لَهَا عَلِيٌّ، وَلَكِنْ ظَلَمْنِي مَنْ هُوَ دُونِي، وَقِيلَ: أَرَادَ لَوْ لَطَمْتِي حَرَّةً، فَجَعَلَ السَّوَارَ عَلَامَةً لِلْحَرِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَلَّمَا تُلَبِّسُ الْإِمَاءَ السَّوَارَ فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَتْ اللَّاطِمَةُ حَرَّةً لَكَانَ أَحْفَ عَلِيٌّ".

(٧) الكامل: ٢٢١/١.

(٨) الجنى الداني: ٢٧٩.

أقسام (لو) أن تكون حرف شرط في المستقبل، إلا أنها لا تجزم^(١). وجاء في موضع آخر^(٢):
"وكون (لو) بمعنى (إن) قاله كثير من النحويين^(٣)، في نحو: ﴿...وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا
صَادِقِينَ﴾^(٤)."

هذا ووردت (لو) الشرطية في (الأصمعيّات)، واتخذ أنماطاً مختلفة منها:

أ- فعل الشرط مضارع معرب، والجواب مضارع مبني، ومن أمثلتها قول المتلمّس: (الطويل)

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تَسَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَالُنْ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمَ دَمَا^(٥)

ب- وجاء فعل الشرط جملة فعلية، فعلها منفيّ بـ(لم) في موضع واحد فقط، والجواب ماضٍ، هو
قول أَعشى باهلة، عامر بن الحارث: (البيسط)

لَوْ لَمْ تَخْنُهُ نُفَيْلٌ وَهِيَ خَائِنَةٌ أَلَمَّ بِالْقَوْمِ وَرَدَّ مِنْهُ أَوْ صَدَرَ^(٦)

ت- وورد جواب (لو) الشرطية محذوفاً في (الأصمعيّات)، ويمكن تقديره، يقول المالقي عن (لو)
الشرطية: "ولا يكون جوابها بعدها إلا محذوفاً غالباً لدلالة الكلام عليه"^(٧)، من أمثلتها قول سَعْدَى
بنتِ الشّمزْدَلِ الجُهنيّة: (الكامل)

أَنَّ الْحَوَادِثَ وَالْمُنُونَ كِلَيْهِمَا لَا يُعْتَبَانِ وَلَوْ بَكَى مَنْ يَجْزَعُ^(٨)

ومما يدلُّ على أنَّ (لو) هنا غير امتناعية أنَّ فعل الشرط، وجوابه المحذوف-الذي يدلُّ
عليه سياق الكلام- كليهما يدلّان على معانٍ يمكن حدوثها في المستقبل، وإن كان فعل الشرط
ماضياً إلا أنَّ تحقيقه يتعلّق بالمستقبل، وارتبط الجواب بالشرط ارتباط السبب بالمسبب، يُلاحظ أنَّ

(١) مغني اللبيب: ٣/٣٨٧.

(٢) نفسه: ٣/٣٩٨.

(٣) انظر: شرح الكافية: ٣/١٨٦، ورفص المباني: ٧٠٢، والجنى الداني: ٢٨٢، وشرح ابن عقيل: ٤/٤٧.

(٤) يوسف: ١٢/١٧.

(٥) الأصمعيّات: ص ٢٤٤، رقم ٤ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (مختارات ابن الشجري) ص ١١٩: تُسَاطُ:

تُخَلَطُ. والتزاييل: التباين؛ أي: يُعرف هذا من هذا، أي: أنَّ دماء الملوك خلاف دماء غيرهم كما قيل: أنا
معروف في حياتي وفي موتي."

(٦) نفسه: ص ١٠٦، رقم ٣٣.

(٧) رفص المباني: ٣٦٠.

(٨) الأصمعيّات: ص ١١٥، رقم ٥، الحوادث: حوادث الدهر ومصائبه. والمنون: الموت. وأعتبني فلان: رجع عن
إساعته إليّ إلى ما يرضيني.

معنى الجملة الثانية لا يتحقق إلا بحصول الأولى، فكلاهما لم يتحقق معناه إلا في المستقبل، والتقدير: وَلَوْ بَكَى مَنْ يَجْزَعُ فَإِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْمُنُونَ كِلَيْهِمَا لَا يُعْتَبَانِ.

ث- فعل الشرط ماضٍ، والجواب جملة اسمية غير مقرونة بالفاء، منه قول قيس بن الخطيم: (المنسرح)

إِنَّا وَلَوْ قَدَّمُوا الَّذِي عَلِمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُّ^(١)

ومنه قوله:

لَوْ وَقَفُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثَ يُضْحِي جَمَالَهُ السَّلْفِ^(٢)

الجواب محذوف يدلُّ عليه سياق الكلام، والتقدير: لَوْ وَقَفُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ ماذا عليهم؟

أمَّا عن أحكام (لو) الشرطية التي تناولها النحاة، ويحاول الباحث تطبيق ما ورد منها على مجال الدراسة فيمكن عرضها كما يأتي:

أ- جواز حذف جواب (لو):

هذا كثير، ومن أمثله في القرآن الكريم قوله- تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(٣)، (ولو ترى) جوابه محذوف، والتقدير: وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا وَحَالًا هَائِلَةً^(٤). ولوحظ في (الأصمعيات) على عدد غير قليل من الأبيات التي اشتملت على أسلوب الشرط أنها وردت دون أن يكون لها جواب، ولو حاولت تقدير جواب لها مستخدمًا الكلام المتقدم عليها لصحَّ المعنى ولما حصل خللٌ أو اضطراب، فهل يجوز اعتبار ما قبل أداة الشرط جوابًا لها؟!؛

أبدأ بشيخ النحاة الذي يفهم من كلامه أنه أجاز تقدُّم جواب الشرط على (إن) فقط من بين أدوات الجزاء دون غيرها، يقول: "و(لو) جزموه هاهنا لحسن أن تقول: آتيتك إن تأتيني"^(٥).

أمَّا ابن مالك فيقول: "ولو تقدَّم على الأداة جملة هي الجواب في المعنى، فليست هي نفس الجواب بل دليلاً عليه، وذهب الكوفيون والمبرد وأبو زيد الأنصاري إلى أن المتقدم على الشرط نفس الجواب، واحتجَّ أبو زيد على أن المتقدم هو نفس الجواب بمجيئه مقرونًا بالفاء"^(٦).

(١) نفسه: ص ٢١٩، رقم ٢١، يقول: وإن كانوا قدَّموا ما قدَّموا ممَّا نُنكر، فإنَّ نشفق عليهم من وراء غيبهم.

(٢) نفسه: ص ٢١٥، رقم ٢ (الزيادات من الكتابين)، راث: أبطأ، والرَّيث: الإبطاء. ويضحِّي جماله؛ أي: يظعن بها ضحَّى. والسلف: القوم الذين يتقدَّمون الطَّعن.

(٣) سبأ: ٥١/٣٤.

(٤) انظر: الكشَّاف: ١٣٣/٥.

(٥) انظر: الكتاب: ٧٠/٣.

(٦) انظر: شرح التَّسهيل: ٨٦/٤، والمقتضب: ٦٨/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٤٩٦، المسألة رقم ٩٠.

أما ابن يعيش فله رأي يتمثل في قوله: "ولا يتقدّم الجزاء على أدواته، ولم يكن ما تقدّم جواباً، وإنما هو كلام مستقل عُقِبَ بالشرط"^(١).

ويؤيد خالد الأزهري ابن يعيش فيما ذهب إليه مدللاً على صحّة اعتاده بقوله: "والذي يدلّ على أنّ المتقدّم ليس جواباً أنّ المتكلّم أخبر جازماً، ثمّ بدا له التعلّيق، فهو كالنّخصيص بعد التّعميم، بخلاف من بنى كلامه من أوّل الأمر على الشرط، فإنّ الجواب المغويّ يتأخّر في كلامه، فيكون جواباً في الصّناعة والمعنى"^(٢).

هنا يفصلّ الباحث الأخذ برأي الكوفيّين ومن قال بقولهم في هذه المسألة، لما فيه من التيسير وعدم التّعقيد، وعدم إعطاء المسألة أكثر ممّا تستحق؛ حتّى يتيسّر تحديد جواب الشرط في أساليب الشرط الجازمة وغير الجازمة في حالة عدم المقدرة على تحديد الجواب بسهولة خاصة عندما يكون محذوفاً، والذي يؤيد صحّة هذا الاعتقاد أنّ الكثير من الأبيات الشعريّة الواردة في ديوان (الأصمعيّات) وغيرها من المجموعات الشعريّة، والتي تشتمل أبيات منها على أسلوب الشرط، والذي يهياً للمطلّع عليها أنّ جواب الشرط فيها محذوف، ولكنّه في الحقيقة متقدّم على أداة الشرط، وإذا قام بتقدير هذا الجواب فإنّه نعتمد على ما ذكر قبل أداة الشرط من كلام، ولا يستطيع تقدير جواب الشرط دون الاعتماد على ما تقدم على أداة الشرط فلا يمكن الاستغناء عنه.

بعد استعراض آراء النّحاة حول هذه المسألة تعالوا لتأمل معاً عدداً من أبيات (الأصمعيّات) من هذا القبيل، نبدأ بقول السّمّوعل بن عدياء: (الخفيف)

كَنَهَا اللهُ فِي مَكَانٍ خَفِيٍّ وَخَفِيٍّ مَكَانَهَا لَوْ خُفِيَتْ^(٣)

جواب لو المحذوف يدلّ عليه ما ورد قبلها، والتّقدير: لو خُفِيَتْ فمكانها خفيٌّ. ومنه قول أعشى باهله، عامر بن الحارث: (البسيط)

فَظَلْتُ مُرْتَفِقًا لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ حَرَّانَ مُكْتَبًا لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرَ^(٤)

جواب لو محذوف، التّقدير: لو ينفَعُ الحذر كنت أحرّره، وممّا يؤيد صحّة هذا التّقدير أنّ هناك روايات أخرى للبيت نصّت على هذا التّركيب^(٥)، ومنه قول مالك بن نويرة: (الطويل)

وَقَدْ كَانَ لِابْنِ الْحَوْفَرَانِ لَوْ انْتَهَى سُؤْيِدٌ وَبِسْطَامٍ عَنِ الشَّرِّ مَقْعَدُ^(٦)

(١) شرح المفصل: ٧/٩.

(٢) شرح التّصريح: ٤١٢/٢.

(٣) الأصمعيّات: ص ٩٧، رقم ٢، كنها: سترها.

(٤) نفسه: ص ١٠٠، رقم ٢، الحرّان: الحزين؛ يريد أنّه لا يستطيع دفع ما يأتي به القدر.

(٥) ونأخذ مثلاً واحداً، وليكن من (الخرزانه): ١٩٦/١، وهو قوله:

فَظَلْتُ مُكْتَبًا حَرَّانَ أُنْدَبُهُ وَكُنْتُ أَحْدَرَهُ لَوْ

(٦) الأصمعيّات: ص ٢١٤، رقم ٢٦.

التَّقْدِير: لَوْ انْتَهَى سُؤْيِدٌ وَبِسْطَامٌ عَنِ الشَّرِّ لَكَانَ لِابْنِ الْحَوْفَرَانِ مَفْعَدٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُمَرِّقِ الْعَبْدِيِّ: (الطَّوِيل)

تُنَاخُ طَلِيحًا مَا تُرَاعُ مِنَ الشَّدَا وَلَوْ ظَلَّ فِي أَوْصَالِهَا الْعَلُّ يَرْتَقِي^(١)

تقدير الجواب: لَوْ ظَلَّ فِي أَوْصَالِهَا الْعَلُّ يَرْتَقِي مَا تُرَاعُ مِنَ الشَّدَا، وَمِنْهُ قَوْلُ عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ: (الطَّوِيل)

مَهَارِيسٌ لَا تَشْكُو الْوُجُومَ وَلَوْ رَعَتْ جَمَادَ خُفَافٍ أَوْ رَعَتْ ذَا جَمَاجِمَا^(٢)

تقدير الجواب: وَلَوْ رَعَتْ لَا تَشْكُو الْوُجُومَ.

ب- جواز حذف الناسخ مع اسمه بعد (لو):

قال النُّحَاةُ^(٣) بجواز حذف (كان) مع اسمها بعد (لو) الشَّرْطِيَّةَ، نحو: ازرع ولو شجرة، والتَّقْدِير: ازرع ولو كان المزروع شجرة، وفي الحديث الشَّرِيف: "الْتَمَسَ وَلَوْ خَاتِمًا مِنْ حَدِيدٍ"^(٤)؛ أَي: ولو كان المُلْتَمَسُ (المهر) خَاتِمًا، ومثَّل لها سيبويه بقوله: "أَلَّا طَعَامَ وَلَوْ تَمْرًا، كَأَنَّكَ قَلْتَ: ولو كان تَمْرًا"^(٥).

هذا التَّرْكِيبُ لم يرد له تمثيل في (الأصمعيَّات).

ت- الجزم بـ(لو):

يقول ابن الشَّجَرِيِّ عندما أراد أن يدلِّل على جواز الجزم بـ(لو) في الشَّعر: "جاء الجزم بـ(لو) في مقطوعة لامرأة من بني الحارث بن كعب"^(٦). هذا ولم يرد لـ(لو) أمثلة في (الأصمعيَّات) تدلُّ على أنَّها جازمة.

(١) نفسه: ص ١٨٤، رقم ١٠، أنيخت: أبركرت. والشَّدَا: وجع من قَرُصِ الدُّبَابِ. والشَّدَا: ذباب أزرق يقع على الدَّوَابِ فيؤذيها. والظَّلِيح: النَّاقَةُ الَّتِي أَعْيَاهَا السَّقَرُ وَأَجْهَدَهَا.

(٢) نفسه: ص ١٨٧، رقم ٥ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، جاء في (سمط اللَّكْلِيِّ) ٧٢٤/٢: "المهارييس: الشَّدِيدَةُ الْأَكْلُ". وفي (هامش) الْأَصْمَعِيَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ: "الْوَجُومُ: السُّكُوتُ عَلَى غِيظٍ. وَالْجَمَادُ: الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ. وَذُو جَمَاجِمَ: مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ".

(٣) انظر: شرح الكافية الشَّافِيَّة لابن مالك: ٤١٧/١.

(٤) صحيح البخاري، باب النُّكاح، ١٧/٧ (٥١٣٥)، ط ١، دار طوق النُّجَاة. وكنز العمال، كتاب الصَّدَاق، ٣٢١/١٣ (٤٤٧١٣)، (د: ط)، دار الكتب العلميَّة.

(٥) الكتاب: ٢٦٩/١.

(٦) انظر: أمالي ابن الشَّجَرِيِّ: ٢٨٨/١، الجنى الدَّانِي: ٢٨٦-٢٨٧.

ث - وجوب تقدّم الشرط:

يقول الزمخشري: "والشرط كالاستفهام في أنّ شيئاً ممّا في حيّزه لا يتقدّمه، نحو قولك: آتيك إن تأتني، وقد سألتك لو أعطيتني، ليس ما تقدّم فيه جزءاً مقدّماً، ولكنّ كلاماً وارداً على سبيل الإخبار، والجزاء محذوف، وحذف جواب (لو) كثير في القرآن والشعر"^(١).

ج - ظاهرة اقتران جواب (لو) بـ(اللّام):

تسمّى بـ(لام الجواب)، يقول ابن جني: "ولا تدخل اللّام في جواب (لو) و(لولا) إلاّ على الماضي دون المستقبل، وأمّا اللّام الداخلة على المستقبل، فتلزمها النون للتوكيد؛ ولإعلام السّامع أنّ هذا فعل مستقبل وليس للحال"^(٢).

في (الأصمعيّات) ورد جواب (لو) فعلاً ماضياً، حيث دخلت عليه اللّام في خمسة مواضع كنتُ أشرت إلى اثنين منها في سياق التمثيل على المسائل التي تحُصّص (لو)^(٣)، ولا داعي لذكرها مرّة أخرى، وأمثلة هنا بمثال آخر، هو قول سوار بن المضرب: (الوافر)

وَلَوْ سَأَلْتُ سِرّاً الْحَيِّ عَنِّي عَلَى أَنِّي تَلَوْنَ بِي زَمَانِي^(٤)

جاء جواب (لو) هنا فعلاً ماضياً مقروناً باللّام، وهو قوله: "لَنَبَّأَهَا" في البيت التّالي^(٥).

ح - ظاهرة اقتران جواب (لو) بـ(إذا):

يقول ابن هشام عن (إذا): "والأكثر أنّ تكون جواباً لـ(إن) أو (لو) ظاهرتين أو مقدرتين"^(٦)، والمقصود أنّ تصاحب الجواب، ولكنّها ليست جواباً ولا رابطة له، جاء في (حاشية الأمير): "أي أنّها مقترنة بالجواب، لا رابطة له"^(٧).

هذا ولم أقف على أمثلة في (الأصمعيّات) لـ(إذا) واقعة جواباً، لا لـ(إن)، ولا لـ(لو)، لا ظاهرتين ولا مقدرتين.

(١) المفصل: ٤٤١/١.

(٢) سرُّ صناعة الإعراب: ٣٩٥/١.

(٣) انظر: ص ٣٢٧ من هذا الفصل.

(٤) الأصمعيّات: ص ٢٤٢، رقم ٤١، جاء في (شرح الحماسة للمرزوقي) ١/١٣١: "سراة النّاس: خيارهم. وتلّون الزّمان يشير إلى تصاريفه بالخير والشرّ والنّفع والضّرّ. وقوله: (لَنَبَّأَهَا) جواب (لو)".

(٥) البيت التّالي قوله:

لَنَبَّأَهَا دُؤُو أَحْسَابِ قَوْمِي وَأَعْدَائِي فُكُلٌ قَدْ بَلَانِي

(٦) مغني اللّبيب: ١١٢/١.

(٧) حاشية محمّد الأمير على مغني اللّبيب، المكتبة التّجارية بمصر، ١٣٧٢هـ، ج ١، ص ١٩.

خ- اجتماع شرطين:

منه قول المُتَلَمِّسِ يعاتب خاله اليشكويّ: (الطويل)

إِذَا مَا أَدِيمُ الْقَوْمِ أَنْهَجَهُ الْبَلَى تَفَرَّى وَلَوْ كَتَبْتَهُ وَتَحَرَّمَا^(١)

علق الصّدّابان على عبارة الأشمونيّ التي يقول فيها: "فالجواب لأولهما" بقوله: هو الأصحّ، وجواب ما بعده محذوف لدلالة الأوّل وجوابه عليه^(٢). هذا الكلام ينطبق تمامًا على البيت المذكور، حيث توالى شرطان، بـ(إذا) وبـ(لو)، وجواب (إذا) جملة: (تفرّى)، وجواب (لو) محذوف لدلالة (إذا) وجوابها عليه.

المطلب الثاني: أدوات الشرط غير الامتناعية

هذا النوع الثاني من أدوات الشرط غير الجازمة، وهي أدوات الشرط غير الامتناعية، وهي أدوات تعليلية تربط بين فعل الشرط وجوابه، تمامًا كما تربط أدوات الشرط الجازمة، ولكنّ الفرق بين النوعين الجازمة وغير الجازمة أنّ الأولى يُجازى بها، والثانية لا يُجازى بها، وتحدّث النحاة عنها في كتبهم، كلّ حسب ترتيبه الذي ارتضاه لنفسه، وتشمل أربع أدوات أيضًا، هي: (إذا، وأمّا، ولمّا، وكلّمّا).

أولاً: إذا

أول من تحدّث عن طبيعتها من النحويّين القدماء سيبويه، حيث جاء في (الكتاب): "وأما (إذا) فلمّا يُستقبل من الدهر، وفيها مجازاة، وهي ظرف، وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها، وذلك قولك: مررت فإذا زيد قائم"^(٣). وجاء في (ارتشاف الضرب): "(إذا) ظرف زمان فيه معنى الشرط غالبًا، قيل: واتّفقوا على أنّه للاستقبال، وزعم بعضهم أنّه يكون للحال"^(٤).

سأل سيبويه الخليل عنها، "ما منعهم أن يُجازوا بها؟ فقال: الفعل في (إذا) بمنزله في (إذا)، إذا قلت: أتذكر إذ تقول، فـ(إذا) فيما تستقبل بمنزلة (إذ) فيما مضى، وبيّن هذا أنّ (إذا) تجيء وقتًا معلومًا؛ ألا ترى أنّك لو قلت: أتيتك إذا احمرّ البُسْرُ كان حسنًا، ولو قلت: أتيتك إن احمرّ البُسْرُ، كان قبيحًا، فـ(إن) أبدًا مبهمًا، وكذلك حروف الجزاء، و(إذا) تُوصّل بالفعل، فالفعل في (إذا) بمنزله في (حين) كأنك قلت: الحين الذي تأتيني فيه أتيتك فيه"^(٥).

(١) الأصمعيّات: ص ٢٤٦، رقم ١٥.

(٢) انظر: حاشية الصّبّان: ٤٥/٤.

(٣) الكتاب: ٢٣٢/٤.

(٤) ارتشاف الضرب: ١٨٦٥/٤.

(٥) الكتاب: ٦٠/٣.

- الفرق بين (إذا) و(إن) عند النُّحاة، (السَّبب في عدم المجازاة بـ"إذا"):

يقول المبرد عن سبب عدم المجازاة بـ(إذا): "وإنما منع (إذا) مِنْ أَنْ يُجَازِي بِهَا؛ لِأَنَّهَا مَوْقُوتَةٌ، وَحُرُوفُ الْجَزَاءِ مَبْهَمَةٌ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: (إِنْ تَأْتِي أَتَكَ) فَأَنْتَ لَا تَدْرِي أَيْقَعُ مِنْهُ إِيْتَانًا، أَمْ لَا؟ وَكَذَلِكَ (مَنْ أَتَانِي أَتَيْتَهُ) إِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِنْ يَأْتِي وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ آتَهُ، فَإِذَا قُلْتَ: (إِذَا أَتَيْتِي...)) وَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْإِيْتَانُ مَعْلُومًا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(١)... أَنْ هَذَا وَاقِعٌ لَا مُحَالَةٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ هَذَا (إِنْ)؛ لِأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَعْلَمُ، وَ(إِنْ) إِنَّمَا مَخْرَجُهَا الظَّنُّ وَالتَّوَقُّعُ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ الْمَخْبِرُ، وَلَيْسَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِ - تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ...﴾^(٢)؛ لِأَنَّ هَذَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ"^(٣).

مِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ الْفَرْقُ بَيْنَ (إِذَا) وَ(إِنْ): أَنَّ (إِذَا) تُسْتَعْمَلُ فِي الْأُمُورِ الْمَقْطُوعِ بِوُجُودِهَا، وَأَنَّ (إِنْ) تُسْتَعْمَلُ فِي الْأُمُورِ الْمَشْكُوكِ فِيهَا. يَقُولُ السُّيُوطِيُّ: "تَخْتَصُّ (إِذَا) بِدُخُولِهَا عَلَى الْمُتَيَقِّنِ وَالْمُظَنِّينَ وَالكَثِيرِ الْوَقُوعِ، بِخِلَافِ (إِنْ) فَإِنَّهَا تُسْتَعْمَلُ فِي الْمَشْكُوكِ وَالْمَوْهُومِ النَّادِرِ"^(٤).

(إِذَا) عِنْدَ النُّحَاةِ^(٥) عَلَى ضَرْبَيْنِ: ظَرْفٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ مُتَضَمِّنَةٌ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَحَرْفٌ مَفْاجِئَةٌ^(٦)، فَالَّتِي هِيَ حَرْفٌ مَفْاجِئَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِالْجَمَلِ الْأَسْمِيَّةِ وَلَا عَمَلٌ لَهَا، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَيَّ جَوَابٍ وَلَا تَقَعُ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَمَعْنَاهَا الْحَالُ لَا الْإِسْتِقْبَالَ، نَحْوُ: خَرَجْتُ إِذَا الْأَسَدُ بِالْبَابِ، وَالْإِسْتِقْبَالِيَّةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْجَمَلِ الْفِعْلِيَّةِ، وَتَأْتِي عَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ خَالِيَةً مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ، نَحْوُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾^(٧)، وَالْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ مُتَضَمِّنَةٌ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَهُوَ الْغَالِبُ فِيهَا، نَحْوُ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا...﴾^(٨). وَهَذِهِ الْأَخِيرَةُ يَكُونُ الْفِعْلُ بَعْدَهَا مَاضِيًا كَثِيرًا وَمُضَارِعًا دُونَ ذَلِكَ، يَقُولُ الْمُرَادِيُّ: "وَكَثُرَ مَجِيءُ الْمَاضِي بَعْدَهَا، مُرَادًا بِهِ الْإِسْتِقْبَالَ"^(٩). وَادَّعَى الْفَرَّاءُ أَنَّهُ لَا يَأْتِي بَعْدَهَا إِلَّا

(١) الانفطار: ١/٨٢.

(٢) الأنفال: ٣٨/٨.

(٣) المقتضب: ٥٦-٥٥/٢.

(٤) الإيتقان: ١٠٢٢/٣.

(٥) انظر: شرح التسهيل: ٨١/٤، والجنى الداني: ٣٦٧، ومغني اللبيب: ٤٨/٢، وهمع الهوامع: ١٣١/٢.

(٦) المفاجأة؛ أي: المباغثة، وذلك بأن يفاجأ الإنسان بأمر غير متوقع، نحو: خرجت فإذا صديقي.

(٧) الليل: ١/٩٢.

(٨) البقرة: ١٤/٢.

(٩) الجنى الداني: ٣٦٧.

الماضي، جاء في (همع الهوامع): "وزعم الفراء أنّ (إذا) إذا كان فيها معنى الشرط لا يكون بعدها إلا الماضي"^(١).

جعل المرادي (إذا) قسمين، يقول: "لفظ مشترك؛ يكون اسماً وحرفاً، فإذا كانت اسماً فلها أقسام: الأول: أن تكون ظرفاً لما يُستقبل من الزمان، متضمنة معنى الشرط، الثاني: أن تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان، مجردة من معنى الشرط، الثالث: أن تكون ظرفاً لما مضى من الزمان، واقعة موقع (إذا)، الرابع: أن تخرج عن الظرفية، فتكون اسماً، مجرورة بـ(حتى) وهو في القرآن كثير، ف(إذا) في ذلك فيها وجهان: أحدهما أن تكون مجرورة بـ(حتى)، واختاره ابن مالك، والثاني: أن تكون (حتى) ابتدائية، وأما (إذا) الحرفية فقسم واحد، وهي الفجائية"^(٢).

يجوز أن تقع (إذا) دون الفاء عوضاً عن الفاء الواقعة جواباً للشرط، ويمثل له بقول القائل: وإن يتفوق الطالب بما قدموه من مثابة إذا هم يفرحون، ويوضح لنا سببويه هذه المسألة بقوله: "وزعم الخليل أن إدخال الفاء على (إذا) قبيح، ولو كان إدخال الفاء على (إذا) حسناً لكان الكلام بغير الفاء قبيحاً؛ فهذا قد استغنى عن الفاء كما استغنت الفاء عن غيرها، فصارت (إذا) هاهنا جواباً كما صارت الفاء جواباً"^(٣).

- العامل في (إذا):

ناصب (إذا) فيه مذهبان: أحدهما: أنه فعل الشرط وهو قول المحققين فتكون بمنزلة (متى) و(حيثما) و(أيان) وهو قول أبي البقاء العكبري واختاره أبو حيان، والثاني أنه ما في جوابها من فعل أو شبهة وهو قول الأكثرين^(٤).

- جر (إذا) بـ(حتى):

جاء في (المغني): "زعم أبو الحسن في قوله - تعالى: ﴿... حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا...﴾"^(٥) أن (إذا) جرّ بـ(حتى)^(٦)، ووافق أبا الحسن الأخفش الزمخشري وابن مالك^(٧). وردت (إذا) في (الأصمعيّات) اسماً مجروراً بـ(حتى)، خارجة عن الظرفية في ثلاثة مواضع، من أمثلتها قول خفاف بن نُدبة: (السريع)

(١) همع الهوامع: ١٣٣/٢.

(٢) انظر: الجنى الذاني: ٣٦٧-٣٧٣.

(٣) الكتاب: ٦٤/٣.

(٤) انظر: الجنى الذاني: ٣٦٩، ومغني اللبيب: ٨٧/٢-٨٨، وهمع الهوامع: ١٣٣/٢-١٣٤.

(٥) الزمر: ٧١/٣٩.

(٦) مغني اللبيب: ٧٦/٢.

(٧) انظر: حاشية الأمير: ٨٦/١.

- يَطْعَنُ فِي الْمِسْحَلِ حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ الْفَارِسُ بِالسَّاعِدِ^(١)
 وقول ضَابِي بن الْحَارِث: (الطَّوِيل)
- فَمَارَسَهَا حَتَّى إِذَا أَحْمَرَ رَوْفُهُ وَقَدَّ عَلَّ مِنْ أَجْوَاهِنَ وَأُنْهَلَ^(٢)
 وقول سَوَّار بن الْمُضَرَّب: (الوافر)
- سَرَى مِنْ لَيْلِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَدَلَّى النَّجْمُ كَالأُدْمِ الْهَجَانَ^(٣)

- الجزم بـ(إذا):

يقول سيبويه عن الجزم بها: "وقد جازوا بها في الشَّعر مضطربين، شبهوها بـ(إن)، حيث رأوها لما يستقبل، وأنها لا بد لها من جواب"^(٤)، ويقول ابن مالك: "وأما في الشَّعر فشاع الجزم بها حملاً على(متى)"^(٥).

جاء في (الجنى الدَّاني): "ومع تضمُّنها معنى الشَّرط لم يُجزم بها، إلا في الشَّعر"^(٦)، وفي (مغني اللَّيْب): "ولا تعمل (إذا) الجزم إلا في ضرورة"^(٧).
 هذا ولم ترد (إذا) في (الأصمعيَّات) جازمة، لا لفعل الشَّرط ولا لجوابه.

- الاسم الواقع بعد (إذا) كأداة من أدوات الشَّرط غير الجازمة^(٨)

انقسم النُّحاة في موقفهم من هذا الاسم إلى فريقين:
 أ- منهم مَنْ يرى أَنَّ هذا الاسم مرفوع على الفاعليَّة بفعل محذوف يفسره المذكور بعده، ولا يمكن الجمع بين المفسِّر والمفسَّر، وهذا مذهب سيبويه.
 ب- ويرى آخرون أَنَّ الاسم الواقع بعد (إذا) الشَّرطيَّة مرفوع بالابتداء، وهذا رأي الأخفش والكوفيَّين.

(١) الأصمعيَّات: ص ٣٥، رقم ٦، جاء في (الاختيارين) ص ٥٠٨: "المِسْحَل: حَدُّ اللَّجَام، يمدُّ عنقه؛ أي: الفرس؛ لنشاطه حتَّى يدنو فارسه".

(٢) نفسه: ص ٢٠١، رقم ٣٥، الرُّوق: القرن. والعُلُّ: الشُّرب الثَّاني. والنَّهْل: الشُّرب الأوَّل؛ أراد: كأنه شرب مرَّة بعد أخرى.

(٣) نفسه: ص ٢٣٩، رقم ١٠، الأُدْم: جمع أدماء؛ وهي النَّاقَة البيضاء، خالط بياضها سوادها. والهَجَان: الكرام.

(٤) الكتاب: ٦١/٣.

(٥) شرح التَّسهيل: ٨٢/٤.

(٦) الجنى الدَّاني: ٣٦٧.

(٧) مغني اللَّيْب: ٧٥/٢.

(٨) انظر: الجنى الدَّاني: ٣٦٨، وهمع الهموامع: ١٣٣/٢.

وورد ذكر الاسم بعد أداة الشرط (إذا) في القرآن الكريم بصورة ملحوظة، ومن الأمثلة على ذلك قوله - تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(١).

- التراكيب التي وردت (إذا) أحد مكوناتها في (الأصمعيّات):

هذا وقد وردت (إذا) في (الأصمعيّات) في مائة وأربعة وثلاثين موضعاً - فيما علمت - اتخذت صوراً وأشكالاً مختلفة، توزّعت على النحو الآتي:

١- ورد فعل شرطها ماضياً دون أن تسبقه (ما) الزائدة ، والجواب كذلك:

أ- ورد فعل الشرط تاماً، مبنياً للمعلوم، والجواب مثله، منه قول خُفّاف بن نُدْبَةَ: (الطَّوِيل)

إِذَا قُلْتَ تَرْهَاهُ الرِّيحُ دَنَا لَهُ رَبَابٌ لَهُ مِثْلُ النَّعَامِ المَوْسَقِ^(٢)

ومنه قول الحَكَمِ الخُضْرِيِّ: (الطَّوِيل)

إِذَا غَضِبْتَ أَنْ يُزَجَرَ العَيْسُ خَلْفَهَا كَسَتْ خَطْمَهَا مِنْ كُسْوَةٍ لَمْ تُهْدَبِ^(٣)

وقوله:

إِذَا اسْتَوْدَعْتَ فَرَخِينَ بِيَدَاءٍ قَلَّصَتْ سَمَاوِيَّةَ المُمْسَى نَجَاةَ التَّقَلُّبِ^(٤)

وقوله:

إِذَا اسْتَقْبَلْتَهَا الرِّيحُ صَدَّتْ بِخَطْمِهَا قَلِيلًا وَحَثَّتْ مِنْ نَجَاءٍ مُنْحَبِ^(٥)

ومنه قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ العَنَوِيِّ: (الْبَسِيط)

إِذَا أَلَحَّ حَسِبْتَ الفَاسَ شَاجِيَةً فَاهُ وَشَجَرَ صَبِيٍّ لَحِيهِ قَتَبَا^(٦)

(١) الانفطار: ١/٨٢.

(٢) الأصمعيّات: ص ٢٩، رقم ٣٣، تَرْهَاهُ: تحرّكه وترفعه. والمَوْسَقُ: مفعول مِنَ الوَسْقِ، وهو التَّحْمِيلُ أو الطَّرْدُ أو السُّوقُ.

(٣) نفسه: ص ٣٦، رقم ٢، العَيْسُ: الإبل البيض مع شقرة يسيرة، ويُزجر العيس: تُثار لتسرع. وخطمها: مقدّمة أنفها وفمها. وأراد بالكُسوة: الرِّيد الذي يعلو فمها. وهدية النُّوب: طرفه.

(٤) نفسه: ص ٣٧، رقم ٥.

(٥) نفسه: ص ٣٨، رقم ٩، خَطْمُهَا: مقدم أنفها أو فمها. والنَّجَاءُ: السُّرْعَةُ. وسير مُنْحَبٍ: سريع، والنَّحْبُ: السَّير السَّريع.

(٦) نفسه: ص ٦٠، رقم ١٧، فأس اللِّجَامِ: الحديدية القائمة في وسط الشَّكِيمَةِ مِنَ اللِّجَامِ. وشاجية فاه؛ أي: معترضة في فمه. والشَّجَرُ: جوف الفم بين سقف الحنك واللِّسان. وقَتَبَ: بمعنى جمع ههنا.

وقوله:

تُبْدِي الْمَحَارِفُ مِنْهُ عَظْمَ مُوضِحَةٍ إِذَا أَسَاهَا طَيِّبٌ زَادَهَا ذَرَبًا^(١)

وقوله:

بِذِي مَخَارِجٍ وَضَّاحٍ إِذَا نُدِبُوا فِي النَّاسِ يَوْمًا إِلَى الْمَخَشِيَّةِ انْتَدَبًا^(٢)

وقوله:

لَا تَكُ ضَبًّا إِذَا اسْتَعْنَى أَضَرَ وَلَمْ يَحْفَلْ قَرَابَةً ذِي قُرْبَى وَلَا نَسَبًا^(٣)

وقوله:

وَلَا أَكُونُ كَوَوْبِرٍ بَيْنَ أَخْبِيَّةٍ إِذَا رَأَى عَفْلَةً مِنْ جَارِهِ وَثَبًا^(٤)

وقوله:

بِكُلِّ عَضْبٍ رَقِيقِ الْحَدِّ ذِي شُطْبٍ إِذَا تَوَارَى بِقَحْفِي هَامَةً رَسَبًا^(٥)

وقول مالك بن حريم الهمداني: (الطويل)

وَتَهْدِي بِي الْخَيْلَ الْمُغِيرَةَ نَهْدَةً إِذَا ضُرِبَتْ صَابَتْ قَوَائِمُهَا مَعًا^(٦)

وقوله:

إِذَا وَقَعَتْ إِحْدَى يَدَيْهَا بِثَبْرَةٍ تَجَاوَبَ أَثْنَاءُ الثَّلَاثِ بِدَعْدَعًا^(٧)

(١) نفسه: ص ٦١، رقم ٢٧، المَحَارِفُ: جمع محراف، وهو المسبار الذي يُقاس به الجرح. والمُوضِحَةُ: الشَّجَّةُ،

توضح عظم الرأس. وأساهها: أصلحها. والذَّربُ: داء يعرض للمعدة فيفسدها؛ وأراد زادها فسادًا وألمًا.

(٢) نفسه: ص ٦٢، رقم ٤٤، قوله بذِي مَخَارِجٍ؛ يريد أنه نجيب ذو عقل. ورجل وضَّاح: حسن الوجه بسَّام. ونُدبوا؛

أي: دُعوا إلى الأمر العظيم. والمَخَشِيَّةُ: الأمر الجليل يُخشى منه.

(٣) نفسه: ص ٦٣، رقم ٤٥، جاء في (مجمع الأمثال) ٤٧/٢: "الضَّبُّ: دويبة من الحشرات يُضرب به المثل في

العقوق، فيقال: (أعقُ من ضَبِّ)".

(٤) نفسه: ص ٦٣، رقم ٤٨، الوَوْبِرُ: دويبة من دواب الصَّحراء، حسنة العينين شديدة الحياء.

(٥) نفسه: ص ٦٦، رقم ٧١، العَضْبُ: السِّيفُ القاطع. وشُطْبُ السِّيفِ: الخطوط فيه. وقحف الهامة: ما انفلق من

الجمجمة فبان. ورَسَبَ السِّيفُ: ثبت. والرَّسوبُ: السِّيفُ الماضي، يغيب في الضَّرْبَةِ.

(٦) نفسه: ص ٧٧، رقم ٣١، جاء في (الاختيارين) ص ٢٣٧: "تهْدُ: غليظة شديدة. وقوله: صابت قوائِمها مَعًا،

يقول: كلُّهن قاصدة، لا تتأخَّرُ منهنَّ واحدة فتنثني. وتهدي الخيل: تتقدَّمها. وضُربت: جمعت قوائِمها ووثبت.

(٧) نفسه: ص ٧٧، رقم ٣٢، جاء في (الاختيارين) ص ٢٣٧: "بِثَبْرَةٍ؛ أي: بهوَّة في الأرض. ودع دع: لا بأس

عليك، يقول إذا وقعت يدها في هوَّة أجابتها الثَّلَاث. جاء في (مجمع الأمثال) ٢٣٦/٢: "(لا بأس عليك):

معنى للمثل: (لا بيِّ عليك ولا هي)".

ومنه قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ يَرْتِي أَخَاهُ: (الطَّوِيل)

إِذَا هَبَطَ الْأَرْضَ الْفَضَاءَ تَزَيَّيْتُ لِرُؤْيَيْهِ كَالْمَأْتَمِ الْمُتَبَدِّدِ^(١)

وقول عَمْرُو بْنِ حُنَيِّ النَّعْلَبِيِّ يُجِيبُ طَرِيفًا الْعَبْرِيَّ: (الكامل)

فَإِذَا دَعَا بِأَبِي رَيْعَةَ أَقْبَلُوا بِكَتَائِبِ دُونَ النَّسَاءِ تَلَمَّمُوا^(٢)

ومنه قول عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ: (الطَّوِيل)

صَبَحْتُهُمْ بَيْضَاءَ يَبْرِقُ بَيْضُهَا إِذَا نَظَرْتُ فِيهَا الْعُيُونَ أَزْمَهَرَتْ^(٣)

ب- ورد فعل الشَّرْطِ تامًّا، والجواب ناقصًا، منه قول خُفَّافِ بْنِ نُدْبَةَ: (الطَّوِيل)

إِذَا حَلَّ قَوْمِي كُنْتُ أَوْسَطَ دَارِهِمْ وَلَا أَبْتَغِي عِنْدَ الثَّيْبَةِ مَطْلَعًا^(٤)

٢- ورد فعل الشَّرْطِ ماضيًّا مسبقًا بـ(ما) الزَّائِدَةُ للتَّكْيِيدِ، والجواب ماضيًّا أيضًا، حيث كَثُرَ وقوع

(ما) الزَّائِدَةُ بعد (إذا) في (الأصمعيَّاتِ)، فوَقَعَتْ في أربعة وثلاثين موضعًا:

أ- ورد فعل الشَّرْطِ ماضيًّا تامًّا، والجواب مثله، منه قول خُفَّافِ بْنِ نُدْبَةَ: (الطَّوِيل)

إِذَا مَا اسْتَحَمْتُ أَرْضُهُ مِنْ سَمَائِهِ جَرَى وَهُوَ مَوْدُوعٌ وَوَاعِدُ مَصْنُوقِ^(٥)

وقول ضَابِيٍّ بْنِ الْحَارِثِ: (الطَّوِيل)

وَأَبٌ عَزِيزٌ النَّفْسِ مَانِعٌ لَحْمِهِ إِذَا مَا أَرَادَ الْبُعْدَ مِنْهَا تَمَهَّلًا^(٦)

وقول أَبِي دُوَادِ الْإِيَادِيِّ: (الخفيف)

وَإِذَا مَا فَجِنْتَهَا بَطْنٌ غَيْبٍ قُلْتُ نَخْلٌ قَدْ حَانَ مِنْهَا صِرَامٌ^(٧)

(١) نفسه: ص ١٢٣، رقم ٣١، الفضاء: المكان الواسع مِنَ الْأَرْضِ. والمَأْتَمُ: جماعة النَّسَاءِ في الفرح؛ أَرَادَ الْأَرْضَ تَتَرَيَّنَ لِأَخِيهِ إِذَا هَبَطَهَا كَجَمَاعَةِ نِسَاءٍ تَتَرَيَّنَ فِي الْفَرَحِ.

(٢) نفسه: ص ١٣٠، رقم ٣، تَلَمَّمُوا: تَجَمَّعُوا.

(٣) نفسه: ص ١٣٥، رقم ٢، صَبَحْتُهُمْ أَي: أَغْرَتُ عَلَيْهِمْ صَبَاحًا. وكتيبة بِيضَاءَ: عليها بِيضُ الْحَدِيدِ. وَيَبْرِقُ: يَلْمَعُ. وَيَبِضُّهَا: قَلَانِسُ الْحَدِيدِ عَلَى رُؤُوسِ الْفَرَسَانِ، وَاحْدَتُهَا بِيضَةٌ.

(٤) نفسه: ص ٧٨، رقم ٤٠، الثَّيْبَةُ: الطَّرِيقُ فِي الْجِبَلِ. وَالْمَطْلَعُ: مَوْضِعُ الطُّلُوعِ.

(٥) نفسه: ص ٢٧، رقم ٢٠. جَاءَ فِي (هَامِشِ) الْأَصْمَعِيَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ ص ٢٤: "مَوْدُوعٌ: مِنَ الدَّعَةِ وَالسُّكُوتِ. وَالْمَصْنُوقُ: الصَّدُوقُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، يَقُولُ: إِذَا ابْتَلَّتْ حَوَافِرُهُ مِنْ عَرَقِ أَعَالِيهِ جَرَى فِي دَعَةٍ، لَا يُضْرَبُ وَلَا يُزْجَرُ، وَيَصْنَدُقُكُ فِيمَا يَعِدُكَ الْبَلُوغُ إِلَى الْغَايَةِ.

(٦) نفسه: ص ٢٠١، رقم ٣٩ (الرِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ).

(٧) نفسه: ص ٢٠٧، رقم ٣٠ (الرِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، فَجِنْتَهَا بِيْطْنٌ غَيْبٌ أَي: أَنْزَلْتُهَا فَجَاءَ بَطْنٌ غَيْبٌ، وَالْغَيْبُ مَا غَابَ مِنَ الْأَرْضِ وَتَطَامَنَ. وَالصِّرَامُ: صِرَامُ النَّخْلِ؛ أَي: قَاطِعُ ثَمَرِهَا.

وقول علباء بن أرقم بن عوف: (الطويل)

لَهُ إِلِيَّةٌ كَأَنَّهَا شَطٌّ نَاقَةٌ
أَبْحُ إِذَا مَا مُسَّ أَبْهَرَهُ نَحْمٌ^(١)

وقول العباس بن مرداس: (الطويل)

إِذَا مَا شَدَدْنَا شَدَّةً نَصَبُوا لَهَا
صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحِ الْمَدَاعِسَا^(٢)

ومن أمثله قول مالك بن نويرة: (الطويل)

يُهْلُونَ عُمَارًا إِذَا مَا تَغَوَّرُوا
وَأَلَقُوا قُرَيْشًا خَبْرُوهَا فَأَنْجَدُوا^(٣)

ب- ورد فعل الشرط تامًا، والجواب ناقصًا، منه قول مالك بن نويرة: (الطويل)

إِذَا مَا اسْتَبَالُوا الْخَيْلَ كَانَتْ أَكْفُهُمْ
وَقَائِعَ لِلْأَبْوَالِ وَالْمَاءِ أَبْرَدُ^(٤)

٣- ورد فعل الشرط ماضيًا دون أن تتقدم عليه (ما) الزائدة، والجواب مضارعًا، ذلك في ستة مواضع، منها قول خفاف بن نذبة: (الطويل)

أَلَا طَرَقَتْ أَسْمَاءُ فِي غَيْرِ مَطَرِقٍ
وَأَيْ إِذَا حَلَّتْ بِبَنْجَرَانَ نَنْتَقِي^(٥)

وقول عمرو بن حنبل التغلبي يُجيب طريقًا العنبري: (الكامل)

فَأَقْبَيْتَ فِيهِمْ هَانِنًا وَسِلَاحَهُ
بَطْلًا إِذَا هَابَ الْفَوَارِسُ يُقْدِمُ^(٦)

وقول أبي دؤاد الإيادي: (الخفيف)

فَإِذَا أَقْبَلْتَ تَقُولُ إِكَامٌ
مُشْرِفَاتٌ فَوْقَ الْإِكَامِ إِكَامٌ^(٧)

(١) نفسه: ص ١٧٧، رقم ٢٢، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ١٦٠: "الشَّطُّ: شطر السنّام. ونَحْمٌ: صوت. والأبهر: عِرْقٌ إِذَا انقطع مات صاحبه. والنَّحِيم: صوت يخرج من الجوف".

(٢) نفسه: ص ٢٣٠، رقم ١٤ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (الاختيارين) ص ٧٣٦: "المذاكي: الخيل المسان، واحدها مُذَكٌّ. والمداعس: التي يُدعس بها؛ أي: يُطعن بها".

(٣) نفسه: ص ٢١٢، رقم ٣ (الزيادات من الكتابين)، يهلون: يلبون في الحجّ. والعُمار: المعتمرون. وتغوروا: نزلوا الغور. وأنجدوا: أتوا نجدًا.

(٤) نفسه: ص ٢١٤، رقم ٢٤ (الزيادات من الكتابين)، الوقائع: جمع وقية، وهي نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء. جاء في (لسان العرب) ١/٣٨٩-٣٩٠: "يقول: كانت أكفهم وقائع حين بالت فيها الخيل. والوقائع: نُقْرٌ".

(٥) نفسه: ص ٢٤، رقم ١.

(٦) نفسه: ص ١٣٠، رقم ٤.

(٧) نفسه: ص ٢٠٧، رقم ٢٨ (الزيادات من الكتابين)، الإكام: جمع أكم؛ وهو ما ارتفع من الأرض، على تشبيه النوق بالإكام.

وقوله:

وَإِذَا أَعْرَضَتْ تَقُولُ فُصُورٌ مِنْ سَمَاهِيحٍ فَوْقَهَا آطَامٌ^(١)

٤- ورد فعل الشَّرَطِ مضارعًا مسبوقًا بـ(ما) الزَّائِدَةُ ، والجواب ماضيًا، مثاله قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ
الغَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

إِذَا مَا تَرَاءَاهُ الرَّجَالُ تَحَفَّظُوا فَلَمَّ تُنْطِقُ الْعَوْرَاءُ وَهُوَ قَرِيبٌ^(٢)

٥- ورد فعل الشَّرَطِ ماضيًا، والجواب مضارعًا منفيًا:

أ- بـ(لا)، وقع ذلك في ثلاثة مواضع، منه قول مالك بن نُؤَيْرَةَ: (الطَّوِيل)

تَرَى كُلَّ صَدَقٍ زَاعِبِي سِنَانُهُ إِذَا بَلَّهَ الْأَنْدَاءُ لَا يَتَأَوَّدُ^(٣)

ب- بـ(لم)، ورد في موضعين، هما: قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الغَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

تَرَى عَرَصَاتِ الْحَيِّ تُمْسِي كَأَنَّهَا إِذَا غَابَ لَمْ يَخُلْ بِهِنَّ عَرِيبٌ^(٤)

وقوله:

إِذَا حَلَّ لَمْ يَقْصِ الْمَحَلَّةَ بَيْتَهُ وَلَكِنَّهُ الْأَدْنَى بِحَيْثُ تَتُوبُ^(٥)

٦- ورد فعل الشَّرَطِ ماضيًا، والجواب يدلُّ عليه الكلام المتقدم على (إذا) ، كما في قول خُفَّافِ بْنِ
نُدْبَةَ: (الكامل)

نَمِلُ إِذَا ضَفَرَ اللَّجَامَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ يُنَوِّهُ بِالْيَدَيْنِ سَلِيبٌ^(٦)

التَّقْدِيرُ: إِذَا أُدْخِلْتَ اللَّجَامَ فِي فِيهِ؛ أَيِ (الْفَرَسِ) أَصْبَحَ نَمَلًا، لَا يَسْتَقِرُّ مِنْ فَرْطِ نَشَاطِهِ،
يَتَأَهَّبُ لِلْإِنْتِطَاقِ. وقوله:

(١) نفسه: ص ٢٠٧، رقم ٢٩ (الزيادات من الكتابين)، أَعْرَضَتْ: أشرفت في سيرها. وسَمَاهِيحٌ: جزيرة في وسط

البحر بين عُمان والبحرين. والآطام: جمع أطم، وهو الحصن المبنى من الحجارة.

(٢) نفسه: ص ١١٠، رقم ٢٣.

(٣) نفسه: ص ٢١٣، رقم ١٧ (الزيادات من الكتابين)، الصَّدَقُ: الرُّمَحُ في غاية الجودة. والزَّاعِبِيُّ: منسوب إلى

رجل يعمل الأسنَّة. ولا يَتَأَوَّدُ: لا يَنْتَشِي ولا يُعْجِجُ.

(٤) نفسه: ص ١١٢، رقم ٣١، يُقَالُ: ما بالدَّارِ عَرِيبٌ؛ أَي: ما بها أحد.

(٥) نفسه: ص ١١٢، رقم ٣٢، تَتُوبُ: تنزل؛ أَي: النَّوَائِبُ.

(٦) نفسه: ص ٣٣، رقم ١١، نَمِلُ: لا يَسْتَقِرُّ مِنْ فَرْطِ نَشَاطِهِ. والضَّفَرُ: التَّقْطِيقُ. وينوُّهُ: يشير. والسَّلِيبُ:

المسلوب العقل والمال.

رَبِذُ الْخِلَافِ إِذَا اتَّلَبَ وَرَجُلُهُ فِي وَقْعِهَا وَلِحَاقِهَا تَخْنِيبٌ^(١)

التَّقْدِيرُ: إِذَا اتَّلَبَ فَهُوَ رَبِذُ الْخِلَافِ، وَمِنْهُ قَوْلُ سَوَّارِ بْنِ الْمُضَرَّبِ: (الوافر)

سَبُوتَا الرَّجْعِ مَائِرَتَا الْأَعَالِي إِذَا كَلَّ الْمَطِيَّ سَفِيهَتَانِ^(٢)

وَمِنْهُ قَوْلُ أَعْشَى بَاهِلَةَ، عَامِرِ بْنِ الْحَارِثِ: (البيسط)

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عَسْرٌ^(٣)

التَّقْدِيرُ: إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ فَلَيْسَ فِيهِ عَجَلٌ، وَإِذَا يَأْسَرْتَهُ فَلَيْسَ فِيهِ عَسْرٌ، وَقَوْلُ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ

الْعَنَوِيِّ: (الطَّوِيلُ)

جَمُوعُ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا جَاءَ جِيَاءٌ بِيَهِنٍ ذُهُوبٌ^(٤)

التَّقْدِيرُ: إِذَا ذَهَبَتِ الشَّدَائِدُ وَالْمَكَارِهِ بِخِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ نَفُوسِ النَّاسِ، فَهُوَ جَمَاعٌ لَهَا مِنْ كُلِّ

نَاحِيَةٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْعَنَوِيِّ: (البيسط)

وَالْغَانِيَاتُ يَقْتُلْنَ الرَّجَالَ إِذَا ضَرَجْنَ بِالزَّعْفَرَانِ الرَّيْطِ وَالنَّقْبَا^(٥)

التَّقْدِيرُ: إِذَا ضَرَجَ الْغَانِيَاتُ بِالزَّعْفَرَانِ الرَّيْطِ وَالنَّقْبَا فَإِنَّهُنَّ يَقْتُلْنَ الرَّجَالَ، وَقَوْلُهُ:

مِثْلِي يَرُدُّ عَلَيَّ الْعَادِي عِدَاوَتَهُ وَيُعْتَبُ الْمَرْءُ ذَا الْقُرْبَى إِذَا عَتَبَا^(٦)

التَّقْدِيرُ: إِذَا عَتَبَ ذُو الْقُرْبَى أَعْتَبَهُ. وَمِنْهُ قَوْلُ عُقْبَةَ بْنِ سَابِقٍ فِي وَصْفِ الْخَيْلِ: (الهج)

تَرَى فَاَهُ إِذَا أَقْبَلَ... تَرَى... وَمِنْهُ قَوْلُ سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْعَنَوِيِّ: (البيسط)

التَّقْدِيرُ: إِذَا أَقْبَلَ... تَرَى... وَمِنْهُ قَوْلُ سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْعَنَوِيِّ: (البيسط)

(١) نفسه: ص ٣٣، رقم ١٥، جاء في (هامش) الأَصْمَعِيَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ ص ٢٨: "والرَّيْذُ: الْخَفِيفُ الْقَوَائِمُ فِي مَشِيَّتِهِ.

وَالْخِلَافُ: الْمَشْيُ عَلَى شِقِّ. وَالْمُخَالَفُ: هُوَ الْعَسِيرُ الَّذِي كَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَى أَحَدِ شِقِّيهِ. وَاتَّلَبَ: أَقَامَ صَدْرَهُ وَرَأْسَهُ. وَالتَّخْنِيبُ: الْإِحْدِيدَابُ فِي سَاقِ الْفَرَسِ."

(٢) نفسه: ص ٢٤٠، رقم ١٩ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، سَبُوتَا الرَّجْعِ: سَرِيعَتَا الرَّجْعِ فِي السَّيْرِ. وَالسَّقْبِيَّةُ: الْخَفِيفَةُ.

(٣) نفسه: ص ١٠٣، رقم ١٣.

(٤) نفسه: ص ١٠٩، رقم ١٠، جِيَاءٌ: فَعَّالٌ مِنْ جَاءَ يَجِيءُ.

(٥) نفسه: ص ٥٨، رقم ٤، الْغَانِيَاتُ: جَمْعُ غَانِيَةٍ؛ وَهِيَ الَّتِي غَنِيَتْ بِجَمَالِهَا عَنِ الزَّيْنَةِ. وَالنَّقْبُ: جَمْعُ نَقْبَةٍ: ثُوبٌ

كَالْإِزَارِ. وَدَرَجَنَ: لَطَخَنَ. وَالزَّعْفَرَانُ: الصَّبْغُ. وَالرَّيْطُ: جَمْعُ رَيْطَةٍ، وَهِيَ الْمَلَاءَةُ.

(٦) نفسه: ص ٦٣، رقم ٤٧.

(٧) نفسه: ص ٤٥، رقم ١٣، السَّلْقُ: الْقَاعُ الْمَطْمُنُّ الْمَسْتَوِي الَّذِي لَا شَجَرَ فِيهِ.

لَا تُخْفِضُ الْحَرْبُ لِلدُّنْيَا إِذَا اسْتَعْرَتْ وَلَا تَبُوحُ إِذَا كُنَّا لَهَا شُهَبًا^(١)

التَّقْدِيرُ هُنَا: إِذَا اسْتَعْرَتْ الْحَرْبُ فَلَا تُخْفِضُ، وَإِذَا كُنَّا لَهَا شُهَبًا فَلَا تَبُوحُ. وَمِنْهُ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ الْهَمْدَانِيِّ: (الطَّوِيل)

وَتَانِيَةً: أَنْ لَا أَصَمَّتْ كَلْبًا إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ حِرْصًا لِنُودَعَا^(٢)

التَّقْدِيرُ: إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ... لَا أَصَمَّتْ كَلْبًا، وَقَوْلُ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

كَأَنَّ أَبَا الْمَغْوَارِ لَمْ يُوفِ مَرْقَبًا إِذَا رَبَّأَ الْقَوْمَ الْعُرَاةَ رَقِيبًا^(٣)

وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ: (الْمَنْسَرَح)

يَتَّبِعُ آثَارَهَا إِذَا اخْتَلَجَتْ سُوخُنُ عَبِيطٍ عُرُوقَهُ تَكْفًا^(٤)

التَّقْدِيرُ: إِذَا نَزَعَتْ الْجِرَاحَاتُ فَإِنَّهُ يَتَّبِعُ آثَارَهَا، وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: (الطَّوِيل)

فِي بُدْنِهِ حَظْوَانٌ لَحْمُهُ زَيْمٌ وَذِي بَقِيَّةٍ أَلْوَاحٍ إِذَا شَسِبَا^(٥)

التَّقْدِيرُ: إِذَا شَسِبَ (نَحِفَ فَرَسَهُ) فِي بُدْنِهِ لَحْمٌ كَثِيرٌ. وَقَوْلُ حَجَلِ بْنِ نَضَلَةَ: (الْكَامِل)

وَمُهَنْدٌ فِي مَتْنِهِ حَرْجِيَّةٌ عَاصِبٌ إِذَا مَسَّ الضَّرْبِيَّةَ مِفْصَلًا^(٦)

التَّقْدِيرُ: إِذَا مَسَّ الضَّرْبِيَّةَ مِفْصَلًا فَهُوَ مُهَنْدٌ...، وَمِنْهُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جِنْحِ النُّكْرِيِّ:

(الْكَامِل)

أَحْمِي أَنَسِي أَنْ يُبَاحَ حَرِيمُهُمْ وَهُمْ كَذَلِكَ إِذَا غُنِيَتْ حُمَاتِي^(٧)

(١) نفسه: ص ٦٥، رقم ٦٢، تبوح: تسكن وتقترب؛ أراد لا تفرض الحرب نفسها عليهم.

(٢) نفسه: ص ٧٤، رقم ١٦. لنودع: لنترك.

(٣) نفسه: ص ١١٣، رقم ٣٩، لم يوف: لم يشرف. والمرقب: المكان العالي يقف عليه المرتقب. وربأ: أي: رقب.

(٤) نفسه: ص ٢١٩، رقم ٢٧ (الزيادات من الكتابين)، وفي (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ١٩٨: "اختلجت: جذبت. والسُّخُنُ العبيط: الدَّمُ الحار الطَّري. ويُقال: وَكَفَّ دَمُهُ، وَدَمُهُ يَكْفُ وَكَيْفًا.

(٥) نفسه: ص ٥٩، رقم ١٢، في بُدْنِهِ: أي: الفرس. وَالْحَظْوَانُ: الكثير اللحم. ولحم زيم: متفرق. وألواح: ضلوعه. وشَسِبَ: نحف وضمر وبس.

(٦) نفسه: ص ١٥٦، رقم ٥، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ١٣٩ نقلًا عن الشَّنْقِيَّةِ: "مِفْصَلٌ: صِيغَةٌ مبالغَةٌ مِنَ الفِصْلِ، وَلَا بِأَسْ بوصف السِّيفِ بها، والمألوف (مفصل) بالقاف"، وجاء في (سمط اللآلئ) ٣٠٥/١: "حَرْجِيَّةٌ: آثار دقاق جدًا".

(٧) نفسه: ص ١٢٩، رقم ٤.

التَّقْدِير: إِذَا عُنِيْتُ فَهَمُّ حُمَاتِي، وَمِنْهُ قَوْلُ عَلْبَاءَ بْنِ أَرْقَمَ بْنِ عَوْفٍ: (الطَّوِيل)

وَقَدِرٌ يُّهَاهِي بِالْكَلابِ قَتَارُهَا إِذَا خَفَّ أَيَسَارُ الْمَسَامِيحِ وَاللَّحْمِ^(١)

جاء في (الاختيارين): "يقول: إِذَا قَلَّ مَنْ يَأْخُذُ مِنْهُمْ كَانَ ذَلِكَ فِعْلَهُ"^(٢). وَمِنْهُ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

وَلَمْ يَدْعُ فِتْيَانًا كِرَامًا لِمَيْسِرٍ إِذَا اشْتَدَّ مِنْ رِيحِ الشَّتَاءِ هُبُوبُ^(٣)

ومنه قول سعدى بنتِ الشَّمرِذَلِ الجُهَيْتِيَّةِ: (الكامل)

يَرِدُ الْمِيَاهَ حَضِيرَةً وَنَفِيضَةً وَرَدَ الْقَطَاةَ إِذَا اسْمَأَلَّ التَّبَّعُ^(٤)

وقولها:

وَيُكَبِّرُ الْقِدْحَ الْعُنُودَ وَيَعْتَلِي بِأَلَى الصَّحَابِ إِذَا أَصَاتَ الْوَعُوعُ^(٥)

٧- ورد فعل الشَّرْطِ ماضياً مسبوفاً ب(ما) الزَّائِدَة، والجواب يدلُّ عليه الكلامُ المتقدِّمُ على (إذا)، منه قولُ أَعْشَى بَاهِلَةَ، عامر بن الحارث: (البيسط)

لَا تَأْمَنُ الْبَازِلُ الْكَوْمَاءَ ضَرِيَّتَهُ بِالْمَشْرِفِيِّ إِذَا مَا أَخْرَوْتَ السَّفْرُ^(٦)

التَّقْدِير: إِذَا مَا أَخْرَوْتَ السَّفْرُ لَا تَأْمَنُ الْبَازِلُ...، وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ: (المنسرح)

تَخْرُؤُهُ وَهُوَ مُشْتَهَى حَسَنٌ وَهُوَ إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ أُتْفُ^(٧)

(١) نفسه: ص ١٧٦، رقم ١٦، خفَّ القوم: قَلُّوا. والميسر: أصحاب الميسر. واللحم: جمع لحمه. جاء في (الاختيارين)

ص ٢٠٨: "يهاهي: يدعو. وقنارها: ريحها. والمساميح: السمحاء. ويقال: صار لحمه للأسد؛ أي: مأكلة له".

(٢) الاختيارين: ٢٠٨.

(٣) الأصمعيّات: ص ١١٣، رقم ٤٠.

(٤) نفسه: ص ١١٥، رقم ١٤، الحَضِيرَة: الجماعة. والنَّفَائِضُ: الإبل التي تنفض الأرض؛ أي: تقطعها. والتَّبَّعُ:

الظَّلُّ. واسمأَلَّ: عقل وذهب، وقيل: حَصَرَ.

(٥) نفسه: ص ١١٦، رقم ١٦، القِدْحُ: الواحد من قِدَاحِ الخمر. وقِدْحُ عَنُودٍ: وهو الذي يخرج فانراً على غير جهة

سائر القِدَاحِ. ويعتلي: يرتفع. وأولى الصَّحَابِ: أوائلهم. وأصَاتَ: صَوَّتَ ونادى. والوَعُوعُ: الحبان.

(٦) نفسه: ص ١٠٢، رقم ١٠، جاء في (خزانة الأدب) ١/١٩٨: البازل: البعير الذي فطر نأبه بدخوله في السنة

التَّاسِعَة. والكَوْمَاءُ: النَّاقَة العظيمة السنَّام. وأخروط: امتدَّ وطال.

(٧) نفسه: ص ٢١٧، رقم ١١ (الزيادات من الكتابين).

جاء في (الاختيارين) في تقدير هذا البيت: "يقول: كأنها كلما تكلمت مستأنفة؛ لحلاوة منطقتها، وهي تُعجب مَنْ تحاوره"^(١)، بناء على شرح الأخفش، فالتقدير: إِذَا مَا تَكَلَّمْتُ فَهُوَ أَنْفٌ. وقول السَّمَوَعِلِ بن عادياء أَخِي سَعِيَّةَ: (الخفيف)

وَأَتَتْني الْأَنْبَاءُ أَنِّي إِذَا مَا مِتُّ أَوْ رَمَّ أَعْظَمِي مَبْعُوثٌ^(٢)

التقدير: إِذَا مَا مِتُّ... فَأَنَا مَبْعُوثٌ. ومنه قول سَهْمِ بن حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البيضاوي)

مِلءِ الْحِرَامِ إِذَا مَا اشْتَدَّ مَحْزَمُهُ ذِي كَاهِلٍ وَلَبَّانٍ يَمْلَأُ اللَّبَّابَا^(٣)

التقدير: إِذَا مَا اشْتَدَّ مَحْزَمُهُ فَهُوَ مِلءُ الْحِرَامِ، وقوله:

وَدُو الْقَرَابَةِ عِنْدَ النَّيْلِ يَطْلُبُهُ وَهُوَ الْبَعِيدُ إِذَا مَا جِئْتَ مُطْلَبَا^(٤)

التقدير: إِذَا مَا جِئْتَ مُطْلَبًا فَهُوَ الْبَعِيدُ، وقول ضَابِي بن الْحَارِثِ: (الطَّوِيل)

تَدَافَعُ فِي ثَنِي الْجَدِيلِ وَتَتَنَحِي إِذَا مَا عَدَّتْ دَفْوَءَ فِي الْمَشْيِ عَيْهَلَا^(٥)

وقول أَبِي دُوَادِ الْإِيَادِي يَصِفُ فَرَسًا: (المتقارب)

ضُرُوحَ الْحَمَاتَيْنِ سَامِي التَّلِيلِ وَثُوبًا إِذَا مَا انْتَحَاهُ الْخَبَارَا^(٦)

وقول أَبِي مَهْدِيَّةِ الْكِلَابِيِّ^(٧) يَصِفُ حَيَّةَ: (الكامل)

(١) انظر: الاختيارين: ٤٩٤ .

(٢) الأصمعيّات: ص ٩٨، رقم ١١، رمت أعظمه؛ أي: صارت رميماً؛ أي: بالية. ومبعوث؛ أي: مبعوث، جعلها بالناء بسبب حرف الروي.

(٣) نفسه: ص ٥٩، رقم ١١، الكاهل: مقدم أعلى الظهر ممّا يلي العنق. واللّبان: الصّدر. واللّبب: ما يُشدُّ في صدر الدّابة ليمنع استرخاء السّرج.

(٤) نفسه: ص ٦١، رقم ٣٥؛ أي: يُدلي بقرابته منك عند نيله مطلبه، وبعد نيله ما يريد يبتعد عنك.

(٥) نفسه: ص ١٩٩، رقم ١٧ (الزيادات من الكتابين)، تدافع؛ أي: تتدافع في ثني الجديل. والجديل: زمام من الجلد مضفور. وتتنحي: تميل وتقصد. والدّفْوَءُ: النّاقة التي تمشي في جانبها؛ وذلك أحسن لها وأسرع. والعَيْهَلُ: النّاقة السّريعة.

(٦) نفسه: ص ٢١١، رقم ١٠ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ١٩١: "الضّرُوح: الفرس النّفوح برجليه. والحمانان: اللّحمان اللّتان في عرض السّاق كالعصبتين. سامي التّليل: مرتفع العنق. والخبار: ما لان من الأرض وارتخى. والتّقدير: يريد؛ إذا قصده فأثب يثب في الخبار.

(٧) هو محمّد بن سعد بن ضمضم بن الصّلت: شاعر فصيح أعرابيّ، صاحب غريب يروي عنه البصريّون، وروى عنه الأصمعيّ في كتاب الإبل، وكان يهيج به المبرد في كلّ سنة مديدة، ولا مصنّف له. توفّي سنة ثمانين ومائتين هجرية. انظر: معجم الشعراء للمرزبانيّ: ٤٥٨، والفهرست: ٦٩/١، والأعلام: ١٣٧/٦،

وَكَاَنَّ شِدْقِيهِ إِذَا مَا أَقْبَلَا شِدْقًا عَجُوزٍ مَضَمَّتْ لِطُهُورٍ^(١)

٨- ورد فعل الشَّرْطِ مضارعًا ناقصًا منفيًا بـ(لم)، والجواب مقدرٌ يدلُّ عليه الكلام المتقدِّم على (إذا)، منه قول كَعَبَ بنِ سَعْدِ الغنويِّ: (الطَّوِيل)

يَبِيْتُ النَّدَى يَا أُمَّ عَمْرٍو ضَجِيعُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَاتِ حَلُوبُ^(٢)

التَّقدير: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَاتِ حَلُوبُ يَبِيْتُ النَّدَى ضَجِيعُهُ.

٩- ورد فعل الشَّرْطِ مضارعًا مبنياً، والجواب مضارعًا معرباً، منه قول عَمْرٍو بنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ: (الوافر)

إِذَا يَضْحَكُنْ أَوْ يَبْسِمُنْ يَوْمًا تَرَى بَرْدًا أَلْحَ بِهِ الصَّقِيعُ^(٣)

١٠- ورد فعل الشَّرْطِ مضارعًا مبنياً للمجهول، والجواب مقدرًا في عشرة مواضع، منه قول أَبِي دُوَادٍ الإياديِّ: (الخفيف)

فَهُمْ لِلْمَلَائِمِينَ أَنَاةٌ وَعُغْرَامٌ إِذَا يُرَادُ الْعُغْرَامُ^(٤)

التَّقدير: إِذَا يُرَادُ الشَّدَّةُ والقسوة والقوَّة فهم كذلك.

١١- ورد فعل الشَّرْطِ ماضيًا، والجواب مضارعًا ناقصًا، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ: (المنسرح)

تَتَامُ عَنْ كُبْرٍ شَأْنَهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْعَرِفُ^(٥)

١٢- ورد فعل الشَّرْطِ ماضيًا، والجواب مضارعًا مثبتًا، منه قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطَّوِيل)

إِذَا أَحْزَنُوا تَغَشَى الْجِبَالَ رِجَالَنَا كَمَا اسْتَوْفَزَتْ فُذُرُ الْوُغُولِ الْقَرَاهِبِ^(٦)

(١) الأصمعيّات: ص ١٣٨، رقم ٤.

(٢) نفسه: ص ١١٢، رقم ٣٤، المنقبيات: النُّوق المهازيل.

(٣) نفسه: ص ١٩١، رقم ٨ (الزيادات مِنَ الكتابين).

(٤) نفسه: ص ٢٠٦، رقم ١٧ (الزيادات مِنَ الكتابين)، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصريّة ص ١٨٧: "الملائمون: الموافقون. وأناه: تأنٍ ورفق. والعُرام: الشَّدَّة والقسوة والشَّراسة".

(٥) نفسه: ص ٢١٦، رقم ٧ (الزيادات مِنَ الكتابين)، قوله: تتام عن كُبْرٍ شَأْنَهَا؛ أي: لا تنهض لحاجتها، هي مخدومة، وفي (الاختيارين) ص ٤٩٣: "تَنْعَرِفُ: تَنْقَطِعُ، يُقَالُ: عَرَفَ ناصيته: إِذَا جَزَّهَا. وكُبْرُ الشَّانِ: معظمه".

(٦) نفسه: ص ١٢٧، رقم ١٠، أحزنوا: صعّدوا الحزن. وتغشَى الجبال؛ أي: تنزلها وتغطّيها. والفُذُرُ: جمع فادر، وهو الوعل. والقَرَاهِبُ: جمع القرهب، وهو المُسِنُّ الضَّخْمُ مِنَ الوعول، جاء في (لسان العرب) ٤٨٨٦/٦ (وفز): "اللَّيْثُ: الوَفْرَةُ أَنْ تَرَى الْإِنْسَانَ مُسْتَوْفَزًا قَدْ اسْتَقَلَّ عَلَى رِجْلَيْهِ وَلَمَّا يَسْتَوِ قَائِمًا، وَقَدْ تَهَيَّأَ لِلْأَفْزِ وَالْوُثُوبِ وَالْمُضْيِ".

١٣- جاء فعل الشَّرْط ماضياً، والجواب مضارعاً، وعطف عليه فعلين مضارعين آخرين بحرف العطف (أو)، كما في قول أُحَيْحَةَ بنِ الجُلَّاح: (الوافر)

إِذَا مَا جِئْتُهَا قَدْ بَغْتُ عَذْقًا تُعَانِقُ أَوْ تُقَبِّلُ أَوْ تُفَدِّي (١)

١٤- ورد الاسم بعد (إذا) مسبوفاً بـ(ما) الزائدة، وفعل الشَّرْط مقدراً، والجواب محذوفاً يمكن تقديره، منه قول مالك بن حريم الهمداني: (الطويل)

فَوَاحِدَةٌ: أَنْ لَا أَيْبِتَ بِغِرَّةٍ إِذَا مَا سَوَّامَ الْحَيِّ حَوْلِي تَضَوَّعًا (٢)

التقدير: إذا ما تَضَوَّعَ سَوَّامُ الْحَيِّ... فَأَيْبِتِي لَا أَيْبِتَ بِغِرَّةٍ، وقول كعب بن سعد الغنوي: (الطويل)

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيْبٌ (٣)

التقدير: إذا ما زَيْنَ الْحِلْمُ أَهْلُهُ فهو حَلِيمٌ، وقول سعدى بنتِ الشَّمْرَدَلِ الجُهَنِيَّة: (الكامل)

سَمَّحٌ إِذَا مَا الشَّوْلُ حَارَدَ رِسْلُهَا وَاسْتَرْوَحَ الْمَرْقَ النَّسَاءُ الْجُوعُ (٤)

التقدير: إذا ما حَارَدَ الشَّوْلُ فهو سَمَّحٌ. وَمِنْ أَمَثَلْتِهِ قول عبد الله بن عَمَّة: (الوافر)

بِمِطْعَامٍ إِذَا الْأَشْوَالُ رَاحَتْ إِلَيَّ الْحُجْرَاتِ لَيْسَ لَهَا فَصِيلٌ (٥)

التقدير: إذا رَاحَتْ الْأَشْوَالُ... فهو مِطْعَامٌ، وقوله:

وَمِقْدَامٍ إِذَا الْأَبْطَالُ خَامَتْ وَعَرَدَ عَنِ حَايَاتِهِ الْحَايِلُ (٦)

فالجواب هنا محذوف يدلُّ عليه سياق الكلام المتقدم، التقدير: إذا جَبُنَتْ الْأَبْطَالُ ونكصت، فهو مِقْدَامٌ، ومنه قول دُرَيْدِ بن الصَّمَّة: (الطويل)

(١) نفسه: ص ١٣٤، رقم ١، العَدْقُ: النَّخْلَةُ عند أهل الحجاز، والعَدْقُ: القنو من النَّخْلِ، والعنقود من العنب.

(٢) نفسه: ص ٧٤، رقم ١٥، الغِرَّةُ: الغفلة. والسَّوَامُ: الإبل السائمة. وتضَوَّعَ: تفرَّقَ.

(٣) نفسه: ص ١١٠، رقم ٢٢.

(٤) نفسه: ص ١١٧، رقم ٢٧، السَّمْحُ: الجواد الكريم. والشَّوْلُ: جمع الشائلة، وهي النَّاقَةُ الَّتِي مضى على نتائجها سبعة أشهر أو ثمانية، وارتفع لبنها. وحَارَدَتْ: انقطع لبنها. واستَرْوَحَ: تشمَّ الرائحة؛ أراد ذمَّه وقت الجذب.

(٥) نفسه: ص ٤٢، رقم ١٠، جاء (في الاختيارين) ص ٣٩٤: "الأشوال: جمع شَوْل، والشَّوْلُ جمع شائلة، وهي الَّتِي حَفَّتْ بطونها، وارتفعت ألبنها. وليس بها فصيل: يعني أن القوم إذا خافوا السَّنة ذبحوا الفِصَال، لأنَّ يخلو باللبن". والفصيل: ولد النَّاقَةِ.

(٦) نفسه: ص ٤٢، رقم ١١، جاء في (هامش) الأصمعيَّاتِ المصريَّة ص ٣٨: "خامت: جبُنَتْ ونكصت. وعَرَدَ: أحجم وفرَّ".

وَلَا بَرَمًا إِذَا الرِّيحُ تَنَاقَحَتْ بِرُطْبِ العِضَاهِ وَالضَّرِيعِ المَعْضَدِ^(١)

التَّقْدِير: إِذَا تَنَاقَحَتِ الرِّيحُ فَهُوَ يَشْتَرِكُ مَعَ القَوْمِ فِي المِيسِرِ، وَقَوْلُ ضَابِيِ بْنِ الحَارِثِ:
(الطَّوِيل)

تَقَطَّعَ جُؤْنِي القَطَا دُونَ مَائِهَا إِذَا الآلُ بِالْبَيْدِ البَسَابِسِ هَزُولًا^(٢)

وقوله:

قَطَعْتُ إِلَيَّ مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِهَا إِذَا البَيْدُ هَمَّتْ بِالضُّحَى أَنْ تَغُولًا^(٣)

١٥- ورد الاسم بعد (إذا) مسبقاً بـ(ما) الزائدة، والجواب فعلاً مضارعاً مذكوراً، كما في قول
العَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: (الطَّوِيل)

وَكُنَّا إِذَا مَا الحَرْبُ شُبَّتْ نَشْبُهَا وَنَضْرِبُ فِيهَا الأَبْلَحَ المُتَقَاعِسَا^(٤)

التَّقْدِير: إِذَا مَا شُبَّتِ الحَرْبُ شُبَّتْ نَشْبُهَا.

١٦- ورد الاسم بعد (إذا) مسبقاً بـ(ما) الزائدة، وفعل الشرط مقدر، والجواب محذوف يمكن تقديره
بجملة فعلية، ومنه قول خُفَّافِ بْنِ نُذْبَةَ: (الطَّوِيل)

مُعْرَسُ رَكْبٍ قَافِلِينَ بِصِرَّةٍ صِرَادٍ إِذَا مَا نَارُهُمْ لَمْ تُحْرِقِ^(٥)

التَّقْدِير: إِذَا لَمْ تُحْرِقْ نَارُهُمْ أَصَابَهُم البُرْدُ.

١٧- ورد فعل الشرط وجوابه مقدرين، ومنه قول أَعْشَى بَاهِلَةَ: (الْبَسِيط)

نَعَيْتَ مَنْ لَا تُغِبُّ الحَيَّ جَفْنَتَهُ إِذَا الكَوَاكِبُ أَخْطَأَ نَوْعَهَا المَطْرُ^(٦)

(١) نفسه: ص ١٢٢، رقم ٢٦، الضريع: نبت بالحجاز له شوك. جاء في (الاختيارين) ص ٤١٢: "البَرَمُ: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. وتناوحت: تقابلت. والعضاه: كل شجر يعظم له شوك. والمُعْضَدُ: المقطع؛ يريد أن أخاه جواد زمن الشتاء، حين يقلُّ القوت.

(٢) نفسه: ص ١٩٨، رقم ١٣ (الزيادات من الكتابين)، القَطَا ضربان: الجُونِيّ والكُدْرِيّ. الجُونِيّ: سود البطون والأجنحة، وهي أكبر من الكُدْرِيّ. والكُدْرِيّ: أندر الطَّهْر، أسود باطن الجناح، مصفرُّ الحلق، قصير الرِّجْلين. والآل: سراب الضُّحَى. والبَسَابِس: القفار.

(٣) نفسه: ص ١٩٨، رقم ١٥ (الزيادات من الكتابين)، مُنْكَرَاتِهَا؛ أي: المجهول منها، والحديث عن الفلاة. وتغول؛ أي: تتغول؛ أي: تتلون وتتكرر.

(٤) نفسه: ص ٢٣١، رقم ٢٦ (الزيادات من الكتابين)، الأَبْلَحُ: المشرق الوجه. وفي (الاختيارين) ٧٣٩: "المُتَقَاعِسُ: البطيء البراح في الحرب، كأنه يتراجع إلى الخلف".

(٥) نفسه: ص ٢٩، رقم ٢٩، المُعْرَسُ: موضع التعريس، وهو نزول القوم في السَّفَرِ آخِرَ اللَّيْلِ. وصِرَادٍ: أصابهم الصرد، وهو شدَّة البرد.

(٦) نفسه: ص ١٠١، رقم ٦، جاء في خزانة الأدب (١/١٩٦٧: "النَّعْيُ: خبر الموت. ولا يغبُّ؛ أي: يأتيها عطاؤه كل يوم. والجفنة: القصة. وأخطأه: تجاوزه؛ يريد أن جفانه لا تتقطع في القحط والشدَّة".

التقدير: إِذَا أَحْطَأَ نَوَّءَ الْكَوَاكِبِ الْمَطْرُ نَعَيْتَ...

١٨- وليها اسم، وفعل الشَّرَطُ مقدَّر، والجواب ماضٍ مذكور، مِنْ ذَلِكَ قول عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ:
(الكامل)

وَإِذَا هَوَازِنُ جَمَعُوا فَتَنَاشَدُوا جَنَبَاتِهِمُ الْفَيْتِي لَمْ أُنْشِدِ^(١)

التقدير: وَإِذَا جَمَعَ هَوَازِنُ جَمَعُوا الْفَيْتِي...، وقول الْمُتَلَمَّسِ: (الطَّوِيل)

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مِيلِهِ فَتَقَوَّمَا^(٢)

١٩- بعدها اسم، وفعل الشَّرَطُ مقدَّر، والجواب مضارع مذكور:

أ- الاسم مسبوق بـ(ما) الزَّائِدَة، منه قول سَوَّارِ بْنِ الْمُضَرَّبِ: (الوافر)

إِذَا مَا الْمُسْتَنْفَاتُ عَلَوْنَ مِنْهَا رَقَاقًا أَوْ سَمَاوَةً صَخَّصَحَانَ^(٣)

التقدير: إِذَا مَا عَلَتْ الْمُسْتَنْفَاتُ يَخْدُنُ^(٤)؛ أَي: يسرعن في السير.

ب- الاسم غير مسبوق بـ(ما) الزَّائِدَة، منه قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البيسط)

إِذَا قُتَيْبَةُ مَدَنْتِي حَوَالِبُهَا بِالذُّهْمِ تَسْمَعُ فِي حَافَاتِهَا لَجَبَا^(٥)

التقدير: إِذَا مَدَنْتِي حَوَالِبُ قُتَيْبَةَ بِالذُّهْمِ تَسْمَعُ...، ومنه قول سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ: (الطَّوِيل)

إِذَا الْهِنْدُوانِيَّاتُ كُنَّ عُصِيْنَا بِهَا نَتَائِيَا كُلِّ سَاقٍ وَمَفْرَقِ^(٦)

(١) نفسه: ص ١٩٠، رقم ٩ (الزيادات من الكتابين)، جنباتهم: سقطاتهم. لم أنشد: لم أذكر بقيح.

(٢) نفسه: ص ٢٤٥، رقم ٩، صَعَرَ خَدَّهُ: أماله في جانب من الكبر.

(٣) نفسه: ص ٢٤١، رقم ٢٧ (الزيادات من الكتابين)، المُسْتَنْفَاتُ: المتقدِّمات في سيرها. والرَّقَاقُ: الأرض السهلة المنبسطة. والصَّخَّصَحَانَ: الأرض المستوية الواسعة. وسماوته: أعلاه. يَخْدُنُ: الوخد ضرب من السير؛ أَي: يسرعن في السير.

(٤) الجواب في البيت التالي وهو قوله:

يَخْدُنُ كَأَنَّهِنَّ بِكُلِّ خَرْقٍ وَإِغْسَاءِ الظَّلَامِ عَلَى رِهَانٍ

(٥) الأصمعيَّاتُ: ص ٦٤، رقم ٥٦، قُتَيْبَةُ: هو قتيبة بن معن بن أعصر. وحوالب الوادي: روافده التي تصب فيهِ. والذُّهْمُ: الخيل الدَّهْمُ، وهي السُّود. واللَّجَبُ: الجلبة والكثرة.

(٦) نفسه: ص ١٥٣، رقم ٣٣، جاء في (هامش) الأصمعيَّاتِ المِصرِيَّةِ ص ١٣٦: "الهُنْدُوانِيَّاتُ: بضم الهاء أو كسرهما السُّيوفُ المنسوبة إلى الهند. ومفْرَقُ: موضع افتراق الشَّعر من الرَّأس. نَتَائِيَا: نتعمد ونقصد. والعِصِي: بضم العين وكسرهما جمع عصا.

٢٠- بعدها اسم، وفعل الشَّرط مقَدَّر، والجواب مضارع مبني على السُّكُون، منفي بـ(ما) المقرون بالفاء، ومثاله قول العَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: (الطَّوِيل)

إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نُكْرَهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسًا^(١)

٢١- وردت (إِذَا) وقد فُصل بضمير الفصل بينها وبين فعل الشَّرط، في خمسة مواضع، كما في قول عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ: (الطَّوِيل)

أَحَادِيثُ تَبَقَى وَالْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً تَحْتَ صُبْرٍ^(٢)

التَّقْدِير: إِذَا أَمْسَى الْفَتَى هَامَةً... فَهُوَ أَحَادِيثُ تَبَقَى، ومنه قول ضَايِبِ بْنِ الْحَارِثِ: (الطَّوِيل)

تَدَافِعُ غَسَانِيَّةٍ وَسَطِ لُجَّةٍ إِذَا هِيَ هَمَّتْ يَوْمَ رِيحٍ لَثْرَسَلًا^(٣)

٢٢- فعل الشَّرط ماضٍ، والجواب جملة اسمية مقرونة بالفاء، ومن ذلك قول طَرِيفِ الْعَنْبَرِيِّ: (الكامل)

حَوْلِي فَوَارِسُ مِنْ أَسِيدٍ شِجْعَةٌ وَإِذَا غَضِبْتُ فَحَوْلَ بَيْتِي خَضَمٌ^(٤)

٢٣- جاء بعدها اسم، والجواب جملة اسمية مقرونة بالفاء، منه قول أَبِي النَّشْنَشِ النَّهْشَلِيِّ: (الطَّوِيل)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرُخْ سَوَامًا وَلَمْ يُرِحْ سَوَامًا وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ

فَلَلَمَّوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ قَعُودِهِ فَقِيرًا وَمِنْ مَوْلَى تَدَبُّ عَقَارِبُهُ^(٥)

يقول البَرِّزِيُّ: "قوله (فَلَلَمَّوْتُ) جواب (إِذَا) في البيت الأول؛ لتضمُّنه معنى الجزاء، يقول:

إِذَا الرَّجُلُ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا وَصَفْتُ، فَوَرُودَ الْمَوْتِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَعُودِهِ رَاضِيًا بِفَقْرِهِ^(٦).

(١) نفسه: ص ٢٢٠، رقم ١٥ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، العوَابِسُ: الكوَالِحُ؛ وأراد الجهد والتعب.

(٢) نفسه: ص ٤٧، رقم ٣، كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتصيح عند قبره، تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت. والصَّبْرُ: القبر.

(٣) نفسه: ص ١٩٩، رقم ١٨ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابِينَ)، تَدَافِعُ غَسَانِيَّةٍ؛ أي: تتدافع تدافع سفينة غسانية. ولجَّة البحر: معظم البحر، وقيل: حيث لا يرى طرفاه؛ أراد تدافع سفينة غسانية في لجَّة بحر أرسلت يوم ريح.

(٤) نفسه: ص ١٤٣، رقم ٤، جاء في (هامش) الأَصْمَعِيَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ ص ١٢٨: "خَضَمٌ: لقب بني العنبر بن عمرو بن تميم".

(٥) نفسه: ص ١٣٢، رقم ٤- رقم ٥. جاء في (شرح الحماسة للأعلم): "يُقَالُ: بَرَحْتُ الْمَاشِيَةَ وَسَرَّحْتُهَا إِذَا رَعَيْتَهَا. وَالسَّوَامُ: الْمَالُ الرَّاعِي، وَسَوْمُهُ: انْتِشَارُهُ لِلرَّعْيِ".

(٦) شرح ديوان الحماسة: ١/١٦٧.

٢٤- الجواب جملة طلبية مقرونة بالفاء (أمر)، ومن ذلك قول السَّمَوِّعِ بن عادياء أَخِي سَعِيَّة:
(الخفيف)

إِنَّ حِلْمِي إِذَا تَغَيَّبَ عَنِّي فَاعْلَمِي أَنِّي كَيْبَرٌ رُزِيْتُ^(١)

٢٥- الجواب جملة طلبية مقرونة بالفاء (فعل مضارع مقرون بلام الأمر)، من ذلك قول الأَسْعَرِ
الجُعْفِيِّ: (الكامل)

وَإِذَا رَأَيْتَ مُحَارِبًا وَمُسَالِمًا فَلْيُبَغِّبِي عِنْدَ الْمُحَارِبِ مَنْ بَغَى^(٢)

٢٦- الجواب جملة طلبية مقرونة بالفاء (نهى)، من ذلك قول مُهْلَهَلِ بنِ رَبِيعَةَ: (الوافر)

أَلَيْتَنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تُحَوِّرِي^(٣)

- اجتماع شرطين:

ورد في (الأصمعيّات) اجتماع شرطين، وسيُعرض كلُّ نوع في حينه، وما يهمُّ البحث هنا
اجتماع (إذا) الشرطيّة مع غيرها من أدوات الشرط، وقد اتَّخَذَ هذا التَّرْكِيبَ عددًا من الصُّوَرِ على
النَّحْوِ الآتِي:

أ- اجتمعت (إذا) الشرطيّة مع (إذا) شرطيّة أخرى، منها قول مالك بن حريم الهَمْدَانِيّ: (الطَّوِيل)

وَأَخُذْ لِلْمَوْلَى إِذَا ضَيِّمَ حَقَّهُ مِنْ الْأَعْيَطِ الْآبِي إِذَا مَا تَمَنَّعَا^(٤)

التَّقْدِير: إِذَا ضَيِّمَ الْمَوْلَى فَإِنِّي أَخُذُ حَقَّهُ...

ب- اجتمعت (إذا) الشرطيّة مع (إن) الشرطيّة في بيت واحد، منه قول أَعْشَى باهَلَةَ: (الْبَسِيط)

عَلَيْهِ أَوْلُ زَادِ الْقَوْمِ إِنْ نَزَلُوا ثُمَّ الْمَطِيّ إِذَا مَا أَرْمَلُوا جَزَرُوا^(٥)

التَّقْدِير: إِنْ نَزَلَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَإِنَّهُ يَرْتَبُّ عَلَى نَفْسِهِ زَادَهُمْ، وَإِذَا فَنِيَ الزَّادُ نَحَرَ لَهُمْ، مِنْهُ قَوْلُ

عَلْبَاءِ بنِ أَرْقَمِ بنِ عَوْفٍ: (الكامل)

يَوْمًا إِذَا مَا النَّائِبَاتُ طَرَفْنَا أَكْفَى بِمُعْضَلَةٍ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ^(٦)

(١) الأصمعيّات: ص ٩٧، رقم ٤.

(٢) نفسه: ص ١٥٩، رقم ١٥.

(٣) نفسه: ص ١٧١، رقم ١، تحويري: ترجعي.

(٤) نفسه: ص ٧٤، رقم ١٣، الأَعْيَطُ: الآبِي المَتَمَّنِّعُ، أو المَشْرَفُ المَرْتَفِعُ.

(٥) نفسه: ص ١٠٢، رقم ٩، جاء في (خزانة الأدب) ١/١٨٩: "يعني أَنَّهُ يَرْتَبُّ عَلَى نَفْسِهِ زَادَ أَصْحَابُهُ أَوْلًا، وَإِذَا فَنِيَ

الزَّادُ نَحَرَ لَهُمْ. وَأَرْمَلَ الرَّجُلُ: نَفَدَ زَادَهُ. وَالْمَطِيّ: جَمْعُ مَطِيَّةٍ؛ وَهِيَ النَّاقَةُ. وَالْجُزْرُ: بَضْمَتَيْنِ جَمَعَ جُزُورًا، وَهِيَ

النَّاقَةُ الَّتِي تُنَحَّرُ."

(٦) نفسه: ص ١٧٩، رقم ٥، الْمُعْضَلَةُ: الدَّاهِيَةُ الشَّدِيدَةُ.

ثانيًا: أمَّا

جاء في (الكتاب): "وأما (أمَّا) ففيها معنى الجزاء، كأنه يقول: عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق، ألا ترى أن الفاء لازمة لها أبدًا"^(١).

علق ابن عقيل على كلام سيبويه: "(أمَّا) حرف تفصيل، وهي قائمة مقام أداة الشرط وفعل الشرط؛ ولهذا فسرها سيبويه بـ(مهما يك من شيء)، والمذكور بعدها جواب الشرط؛ فلذلك لزمته الفاء، نحو: أمَّا زيد فمنطلق، والأصل: مهما يك من شيء فزيد منطلق، فأنيبت (أمَّا) مناب (مهما يك من شيء) فصار: أمَّا فزيد منطلق، ثمَّ أحرقت (الفاء) إلى الخبر فصار: أمَّا زيد فمنطلق"^(٢).

جاء في (شرح الأشموني): "(أمَّا) - بالفتح والتشديد - حرف بسيط فيه معنى الشرط والتفصيل والتوكيد: أمَّا الشرط فبدليل لزوم الفاء بعدها، وأمَّا التفصيل فهو غالب أحوالها، وأمَّا التوكيد فقلَّ مَنْ ذَكَرَهُ"^(٣)، قوله: "غالب أحوالها"؛ أي: ورودًا في القرآن الكريم، وقوله: "قلَّ مَنْ ذَكَرَهُ"؛ أي: من النحاة، ومنهم الزمخشريُّ يقول: "و (أمَّا) حرف فيه معنى الشرط؛ ولذلك يُجاب بالفاء، وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد، تقول: زيد ذاهب، فإذا قصدت توكيد ذلك، وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، قلت: أمَّا زيدٌ فذاهب"^(٤). وقال الرضويُّ: "اعلم أن الفاء تدخل على خبر المبتدأ الواقع بعد (أمَّا) وجوبًا، نحو: أمَّا زيدٌ فقائمٌ، ولا تُحذف إلا لضرورة"^(٥).

وردت هذه الصِّدُورَةُ في (الأصمعيَّات) مرَّةً واحدة، هي قول عَوْف بن عَطِيَّة: (الطَّوِيل)

فَأَمَّا الدَّقَاقُ الأَسْوَقُ الضُّلْعُ مِنْهُمُ فَلَسْتُ بِهَاجِبِهِمْ وَإِنْ كُنْتُ لَأَنِمًا^(٦)

يُلاحظ على هذا البيت وجود مسألة أخرى تستحق الدراسة، هي: توالي شرطين، الأوَّل منهما: بـ(أمَّا)، والآخر بـ(إن)، مع وجود العطف، وهنا يُطرح سؤال، مَنْ منهما يستحقُّ جواب الشرط (فلستُ بهاجِبِهِمْ)؟

الإجابة تجدها عند ابن مالك الذي يقول: "تقدَّم أنَّ الجواب لأوَّل الشرطين المتواليين... فإذا كان أوَّل الشرطين (أمَّا) كانت أحقَّ بذلك مِنْ وجهين: أحدهما: أنَّ جوابها إذا انفرد لا يُحذف أصلاً، وجواب غيرها إذا انفرد يُحذف كثيرًا لدليل، وحذف ما عُهد حذفه أولى مِنْ حذف ما لم يُعهد

(١) الكتاب: ٢٣٥/٤.

(٢) شرح ابن عقيل: ٥٢/٤.

(٣) انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٦٠٥/٣-٦٠٦.

(٤) الكشاف: ٢٤٣/١.

(٥) شرح الرضوي على الكافية: ٢٥٧/١.

(٦) الأصمعيَّات: ص ١٨٨، رقم ١٠، الضُّلْع: جمع أضلع، وهو الشَّدِيد الغليظ. والأسْوَق: جمع ساق.

حذفه، والآخر: أَنْ (أما) قد التزم معها حذف فعل الشرط، وقامت هي مقامه، فلو حذف جوابها كان ذلك إجحافاً، و(إن) ليست كذلك^(١).

يُلاحظ على الشرطين في البيت المذكور أنه فصل بينهما بجواب الشرط (فلستُ بهاجيهُم) الذي لا يصح أن يكون للشرط الثاني وإنما للأول؛ لأنَّ الجواب لا يتقدّم على الأداة؛ وبناءً على ذلك وعلى قول ابن مالك المذكور أعلاه فإنَّ الجواب للأول وليس للثاني، هذا والله - تعالى - أعلم.

ثالثاً: لَمَّا

جعلها ابن مالك على ثلاثة أقسام: حرف نفي، وحرف استثناء، وحرف يقتضي فيما مضى وجوباً لوجوب، نحو: لَمَّا قام زيد قام عمرو^(٢).

ما يهّمُّ البحث هنا النوع الثالث ممّا ذكره ابن مالك، فـ(لَمَّا) إذا وليها فعل ماضٍ لفظاً ومعنى، فهي ظرف بمعنى (إذ) فيه معنى الشرط، أو حرف يقتضي فيما مضى وجوباً لوجوب، بعكس (لو) فهي حرف امتناع لامتناع، ويأتي جواب (لَمَّا) فعلاً ماضياً لفظاً ومعنى أو جملة اسمية مع (إذا) المفاجئة أو الفاء، وربما كان ماضياً مقروناً بالفاء، وقد يكون مضارعاً^(٣).

ويُطلق المرادى على هذا النوع من أنواع (لَمَّا): لَمَّا التعلّيقية، وهي عنده حرف وجوب لوجوب، وبعضهم يقول: حرف وجود لوجود، بالدال، والمعنى قريب، كما يقول^(٤).

- التراكيب التي وردت (لَمَّا) أحد مكوّنتها في (الأصمعيّات):

في (الأصمعيّات) وردت (لَمَّا) حرفاً أو ظرفاً بمعنى (إذ) فيه معنى الشرط في اثنين وعشرين موضعاً، جاء كلٌّ من فعل الشرط وجوابه ماضياً في اثني عشر موضعاً منها، واتّخذت مجموعة من الأنماط، هي:

أ- جوابها فعل ماضٍ لفظاً ومعنى مبنيٌّ للمعلوم، من الأمثلة على ذلك: قول أسماء بن خارجة: (الكامل)

لَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ نَافِعُهُ جِدُّ تَهَانٍ صَادِقِ الإِزْبِ^(٥)

ومنه قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطويل)

(١) شرح الكافية الشافية لابن مالك: ١٦٤٧/٣.

(٢) انظر: شرح التسهيل: ٦٣-٦٤.

(٣) انظر: شرح التسهيل: ١٠١/٤، وشرح الكافية الشافية: ١٦٤٣/٣.

(٤) انظر: الجنى الداني: ٥٩٢-٥٩٤. ولظاهر أن المرادى كان متأثراً بابن مالك في هذه التقسيمة. انظر: شرح

التسهيل: ١٠١/٤-١٠٢.

(٥) الأصمعيّات: ص ٥٦، رقم ٢٩.

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ قُبُلًا كَأَنَّهَا جَرَادٌ تَبَارَى وَجْهَةَ الرِّيحِ مُغْتَدِي^(١)

جواب الشرط قوله: (أمرتهم) في البيت الذي يليه^(٢)، وقوله في القصيدة نفسها:

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ: ابْغُدِ^(٣)

ومنه قول ذي الخزرق الطهوي: (البسيط)

لَمَّا رَأَتْ إِبْلِي جَاءَتْ حُلُوبُهَا هَزَلَى عَجَافًا عَلَيْهَا الرِّيشُ وَالْوَرَقُ^(٤)

جواب الشرط قوله: (قالت) في البيت الذي يليه^(٥)، ومنه قول ضابي بن الحارث: (الطويل)

فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا يَحَاوِلُنْ غَيْرَهُ أَرَادَ لَيْلَةً هَاهُنَّ بِالْبَشْرِ أَوْلَا^(٦)

ومنه قول أبي دؤاد الإيادي: (المتقارب)

فَلَمَّا وَضَعْنَا بِهَا بَيْنَنَا نَتَجْنَا حُورًا وَصِدْنَا حَمَارًا^(٧)

وقوله في القصيدة نفسها:

فَلَمَّا أَضَاعَتْ لَنَا سُذْفَةً وَوَلَّاحَ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنْارًا^(٨)

جواب الشرط قوله: (غدونا) في البيت الذي يليه^(٩)، وقوله في القصيدة نفسها:

فَلَمَّا عَلَا مَتْنَيْهِ الْغُلَامُ وَسَكَنَ مِنْ آلِهِ أَنْ يُطَارًا^(١٠)

(١) نفسه: ص ١٢٠، رقم ١٣، المغتدي: الغادي؛ أراد: لَمَّا رَأَى الخيل مقبلة نحوهم كأنها جراد.

(٢) البيت الذي يليه قوله:

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرَّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْعَدِ

(٣) الأصمعيّات: ص ١٢٣، رقم ٣٠.

(٤) نفسه: ص ١٣٩، رقم ٣، الحلوية: النّاقة التي تحلب. والعجاريّف: المهازيل، مفردها أعجف وعجفاء.

(٥) البيت الذي يليه قوله:

قَالَتْ: أَلَا تَبْتَغِي مَا لَا تَعِيشُ بِهِ مِمَّا تُلَاقِي وَشَرُّ الْعَيْشَةِ الرَّمَقُ

(٦) الأصمعيّات: ص ٢٠٠، رقم ٣٠.

(٧) نفسه: ص ٢١٠، رقم ٢، وفي (هامش) الأصمعيّات المصريّة: نَتَجْنَا: ولدنا، وولينا نتاج النّاقة.

(٨) نفسه: ص ٢١٠، رقم ٧، السّدفة: الصّوء، ونُقَالُ للظلمة. والخيط: أراد الخيط الأبيض من الفجر.

(٩) البيت الذي يليه قوله:

غَدُونًا بِهِ كَسِوَارِ الْهَلُو كِ مُضْطَمِّرًا حَالِيَاهُ اضْطَمَارًا

(١٠) الأصمعيّات: ص ٢١١، رقم ١١، المتنتان: مكتنفا الصّلب عن يمين وشمال من عصب ولحم. وآل كلّ شيء:

شخصه.

جواب الشَّرط قوله: (أجدَّ النَّفَارا) في البيت الذي يليه^(١)، ومنه قول قَيْسِ بْنِ خَطِيمٍ: (المنسرح)

لَمَّا بَدَتْ غُدُوَّةٌ وَجُوهُهُمْ حَنَّتْ إِلَيْنَا الْأَزْحَامُ وَالصُّحُفُ^(٢)
وقول مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ: (الطَّوِيل)

فَلَمَّا رَأَوْا أَدْنَى السَّهَامِ مُعْرَبًا نَهَاهُمْ فَلَمْ يَلُؤُوا عَلَى النَّهْيِ أَسْوَدُ^(٣)
وقول بِشْرِ بْنِ سَوَادَةَ: (الكامل)

لَمَّا سَمِعْتُ نِدَاءَ مَرَّةٍ قَدْ عَلَا وَابْتَيْ رَبِيعَةَ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ^(٤)
جواب الشَّرط قوله: (قذفوا) في سياق القصيدة بعد خمسة أبيات من هذا البيت^(٥).

ب- جاء جواب الشرط فعلاً ماضياً لفظاً ومعنى، مبنياً للمجهول في موضع واحد، هو قول
المُفَضَّلِ النُّكْرِيِّ: (الوافر)

فَلَمَّا اسْتَيْقَنُوا بِالصَّبْرِ مِنَّا تُذَكِّرَتِ الْعَشَائِرُ وَالْحَزِيْقُ^(٦)
ت- جاء الجواب جملة فعلية فعلها ناقص في موضع واحد أيضاً، هو قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ:
(الطَّوِيل)

فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْتِي غَيْرُ مُهْتَدٍ^(٧)
ت- جاء فعلاً مضارعاً منفياً بـ(لم) في موضعين، هما: قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطَّوِيل)

دَعَانِي أَخِي وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُدٍ^(٨)
وقول المُتَلَمِّسِ يَعْتَابُ خَالَهُ الْيَشْكِرِيَّ: (الطَّوِيل)

فَلَمَّا اسْتَقَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْ لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ تَبِينَا فَأَحْجَمَا^(٩)

(١) البيت الذي يليه قوله:

وَسُرِّحَ كَالْأَجْدَلِ الْفَارِسِ يَّ فِي إِثْرِ سِرْبِ أَجْدَّ النَّفَارَا

(٢) الأصمعيّات: ص ٢١٩، رقم ٢٣، وفي (الاختيارين) ص ٤٩٦: "وَالصُّحُفُ؛ أَي: العهود التي في الصحف".

(٣) نفسه: ص ٢١٣، رقم ١٠، المُعْرَبُ: المبعد. وأسود: اسم رجل.

(٤) نفسه: ص ٩٤، رقم ٦.

(٥) البيت قوله: قَذَفُوا الرِّمَاحَ وَيَاشَرُوا بِنُحُورِهِمْ عِنْدَ الضَّرَابِ بِكُلِّ لَيْثٍ ضَيْغَمٍ

(٦) الأصمعيّات: ص ٢٢٧، رقم ٣٨، الحزيق: جماعة من الناس.

(٧) نفسه: ص ١٢١، رقم ١٥، جاء في (ديوان المعاني) ١/١٢٢: "أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنّها غيٌّ وترك

مخالفته مع معرفته أنّها رشد؛ كراهة الخروج من هواه".

(٨) نفسه: ص ١٢١، رقم ١٧، القعدد: الجبان اللئيم، القاعد عن الحرب والمكارم.

(٩) نفسه: ص ٢٤٥، رقم ١٢، الإحجام: الرجوع. وتبين: تفارق.

ج- جاء الجواب محذوفاً يدلُّ عليه سياق الكلام في سبعة مواضع، منها: قول خُفَّاف بن نُذْبَةَ:
(الكامل)

عَدَلَ النَّهَاقُ لِسَانَهُ فَكَانَهُ لَمَّا تَخَمَّطَ لِلشُّحَاجِ نَقِيبٌ^(١)

وقول أَعْشَى باهَلَةَ: (البسيط)

وَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَتْلِيثٍ مُعْتَمِرٌ^(٢)

الجواب محذوف تقديره: لَمَّا جَاءَ الَّذِينَ شَهِدُوا مَقْتَلَهُ ارْتَاعَتِ النَّفُوسُ واضطربت، ومنه قول
عَمْرُو بْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ: (الوافر)

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ رَهْوًا كَانَهَا جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُزْسِلَتْ فَاسْبَطَرَتْ^(٣)

يعتبر البغداديُّ أنَّ جواب (لَمَّا) قوله: (فجاشت) في البيت التَّالِي لِهَذَا الْبَيْتِ^(٤)، والفاء زائدة، أو هي عاطفة، والجواب محذوف، قوله: (هتفت) في بيت تالٍ محذوف تعسُّفاً مِنْ أَبِي تَمَّامٍ اختصاراً كعادته، كما يقول شَرَّاحُ الْحَمَّاسَةِ، وكان مِنْ اللَّازِمِ لَشُرَّاحِهَا مَرَاجِعَةُ الْأَصْلِ^(٥).
وقول الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: (الطَّوِيل)

فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبِّحًا وَلَا مِثْلَنَا لَمَّا التَّقِينَا فُؤَارِسًا^(٦)

الجواب هنا محذوف تقديره: لَمَّا التَّقِينَا فُؤَارِسًا لم أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا وَلَا مِثْلَنَا، وقول مَالِكِ بْنِ
ثُوَيْرَةَ: (الطَّوِيل)

(١) نفسه: ص ٣٣، رقم ٩، جاء في (هامش) الأَصْمَعِيَّاتِ الْمِصْرِيَّةِ ص ٢٨: "عدل لسانه: أماله. وتخمط: هدر في حدة وغضب. والشُّحَاج: رفع الصَّوْتِ، وهي صفة للحمار الوحشي. والنَّقِيب: العريف المقدم على القوم، وقيل: الرَّئِيسُ الْأَكْبَرُ".

(٢) نفسه: ص ١٠٠، رقم ٣، جاشت النَّفْسُ: ارتاعت واضطربت. وتتلث: موضع قرب مَكَّةَ. وجمعهم: الَّذِينَ شَهِدُوا مَقْتَلَهُ. وفي (لسان العرب) ٣١٠٢/٤: "قال الأَصْمَعِيُّ: مُعْتَمِرٌ: زائر: وقال أبو عبيدة: هو مُتَعَمِّمٌ بِالْعِمَامَةِ".

(٣) نفسه: ص ١٣٥، رقم ٣، جاء في (خزانة) البغداديِّ ٣٨٦/٢: "يقول: لَمَّا رَأَيْتُ الْفَرَسَانَ مَنْحَرَفِينَ لِلطَّعْنِ وَقَدْ خَلُّوا أَعْتَةً دَوَابِهِمْ وَأَرْسَلُوها عَلَيْنَا، كَأَنَّها أَنْهَارُ زَرْعٍ، أَرْسَلَتْ مِياهاها فَاسْبَطَرَتْ؛ أَي: اامتدَّتْ".

(٤) والبيت التَّالِي هو قوله:

وَجَاشَتِ إِلَى النَّفْسِ أَوْلَ وَهَلَةَ وَرَدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِها فَاسْتَفْرَّتِ

(٥) انظر: شرح أبيات المغني: ٢٣٩/٣، والبيت المحذوف قوله:

هَتَفْتُ فَجَاعَتْ مِنْ رُبَيْدٍ عِصَابَةً إِذَا طَرَدَتْ فَأَعَتْ قَرِيبًا فَكُرَّتِ

(٦) الأَصْمَعِيَّاتِ: ص ٢٣٠، رقم ١١.

حُلُولٌ بِفِرْدَوْسِ الْإِيَادِ وَأَقْبَلَتْ سَرَازُ بَنِي الْبَرِشَاءِ لَمَّا تَأَوَّدُوا^(١)

الجواب محذوف يدلُّ عليه سياق الكلام السَّابِق لـ(لَمَّا)، والتَّقْدِير: لَمَّا تَأَوَّدُوا أَقْبَلَتْ سَرَازُهُمْ. في نهاية الحديث عن(لَمَّا) الظَّرْفِيَّة، وَمِنْ خِلالِ الاطِّلاعِ على الأمثلة التي تخصُّها في (الأصمعيَّات)، يَبْضَحُ حَقِيقَتَانِ، الْأوَّلَى: تَتَمَثَّلُ فِي أَنَّ جِوَابَ (لَمَّا) لَمْ يَأْتِ مَقْرُونًا بِالْفَاءِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يَأْتِ مَقْرُونًا بِ(إِذَا) الْمَفْاجَأَةِ، وَالْأُخْرَى: تَتَمَثَّلُ فِي أَنَّ (لَمَّا) كَمَا وَرَدَتْ فِي (الأصمعيَّات) ظَرْفِيَّةٌ بِمَعْنَى (إِذ) فِيهَا مَعْنَى الشَّرْطِ، فَإِنَّ (إِذ) وَرَدَتْ كَذَلِكَ بِمَعْنَى (لَمَّا)، وَيُمْكِنُ تَقْدِيرُ فِعْلِ شَرْطِهَا وَجِوَابِهِ، سَأَكْتَفِي بِذِكْرِ مِثَالَيْنِ، الْأَوَّلُ: قَوْلُ سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرِّيَّاحِيِّ: (الوافر)

عَدَرْتُ الْبُزْلَ إِذْ هِيَ خَاطَرْتَنِي فَمَا بَالِي وَبَالُ ابْنِي لَبُونِ^(٢)

التَّقْدِير: لَمَّا خَاطَرْتَنِي الْبُزْلَ عَدَرْتُهَا، وَالْآخِرُ: قَوْلُ سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البيسط)

هَاجَ لَكَ الشُّوقُ مِنْ رِيحَانَةِ الطَّرْبَا إِذْ فَارَقْتُكَ وَأَمْسَتْ دَارُهَا غَرَبًا^(٣)

التَّقْدِير: لَمَّا فَارَقْتُكَ هَاجَ لَكَ الشُّوقُ.

ح- وقع الفعل المضارع المجزوم بـ(لم) جوابًا لـ(لَمَّا) الشَّرْطِيَّة، الَّتِي يَسْمِيهَا الْمُرَادِيُّ: "لَمَّا التَّعْلِيْقِيَّة"، وَهِيَ حَرْفٌ وَجُوبٌ لَوْجُوبٌ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: حَرْفٌ وَجُودٌ لَوْجُودٌ، بِالذَّالِ، وَالْمَعْنَى قَرِيبٌ، وَفِيهَا مَذْهَبَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا حَرْفٌ، وَهُوَ مَذْهَبُ سَبِيوِيَه. وَالْآخِرُ: ظَرْفٌ بِمَعْنَى (حِينَ)، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ^(٤). وَرَدَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي (الأصمعيَّات) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، مِنْهَا قَوْلُ مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ: (الطَّوِيل)

فَلَمَّا رَأَوْا أَدْنَى السَّهَامِ مُعْرَبًا نَهَاهُمْ فَلَمْ يَلُؤُوا عَلَى النَّهْيِ أَسْوَدًا^(٥)

(١) نفسه: ص ٢١٢، رقم ٦، جاء في (هامش) الأصمعيَّات المصريَّة ص ١٩٣: فِرْدَوْسِ الْإِيَادِ: رَوْضَةُ لَبْنِي يَرْبُوع.

وَبَنِي الْبَرِشَاءِ: أَبْنَاءُ ثَعْلَبَةَ: ذَهْلٌ وَقَيْسٌ وَشَيْبَانٌ. وَالْبَرِشَاءُ: لِقَبِ أُمَّهُمُ لِبَرِصِ أَصَابِهَا. وَتَأَوَّدُوا: تَنَتَّوَأُوا.

(٢) نفسه: ص ٢١، رقم ٥.

(٣) نفسه: ص ٥٧، رقم ١، هَاجَ لَكَ الشُّوقُ: هَيَّجَهُ وَأَثَارَهُ. وَرِيحَانَةُ: اسْمُ امْرَأَةٍ. وَفَارَقْتُكَ: نَأَتْ عَنكَ، وَأَرَادَ هَجْرَتَكَ. وَغَرَبَ الدَّارُ: بَعْدَهَا.

(٤) انظر: الجني الدَّانِي: ٥٩٤.

(٥) الأصمعيَّات: ص ٢١٣، رقم ١٠ (الزِّيَادَاتُ مِنَ الْكُتَابَيْنِ)، جَاءَ فِي (الِاخْتِيَارَيْنِ) ص ٤٥٣: "مَعْرَبًا: بَعِيدًا.

وَأَسْوَدُ: رَجُلٌ".

رابعًا: كَلَّمَا

يقول أبو حيان: "المستقرُّ مِنْ لسان العرب أَنَّ (كَلَّمَا) لا يليها إلا فعل ماضي اللَّفْظ، والفاعل فيها متأخَّر فعل ماضٍ أيضًا"^(١). يقول السُّيوطيُّ: "(كَلَّمَا) ظرف يقتضي التَّكرار، مركَّب مِنْ (كَلَّ) و(ما) المصدرية أو النَّكرة الَّتِي بمعنى (وقت)، وَمِنْ هنا جاءتِها الظَّرْفِيَّة، وناصبه الفعل الَّذِي هو جوابه في المعنى"^(٢)، ومثَّل له بقوله - تعالى: ﴿...كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ...﴾^(٣).

هذا وودرت (كَلَّمَا) في (الأصمعيَّات) مرَّتين، هما قول طَرِيف العنْبَرِيِّ: (الكامل)

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عَكَازَ قَبِيلَةَ بَعَثُوا إِلَيَّ رَسُولَهُمْ يَتَوَسَّأَمُ^(٤)

وقول عمرو بن معد يكرب: (الطَّويل)

لَحَا اللَّهُ جَزْمًا كَلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ وَجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازْبَأَرَتْ^(٥)

يُلاحظ هنا أَنَّ (كَلَّمَا) ظرف يقتضي التَّكرار، فَكَلَّمَا تَكَرَّرَ فعل الشَّرْطِ تَكَرَّرَ الجواب.

(١) ارتشاف الضَّرْب: ١٨٩٠/٤.

(٢) همع الهوامع: ٤٩٩/٢.

(٣) البقرة: ٢٥/٢.

(٤) الأصمعيَّات: ص ١٤٣، رقم ١. عكاظ: نخل في وادٍ بينه وبين الطَّائف ليلة.

(٥) نفسه: ص ١٣٦، رقم ٧، جاء في (شرح أبيات المغني) ٢٤٠/٣: "وقوله: لحي الله: أصل اللَّحْي نزع قشر العود. دعا عليهم بالهلاك، وذَرَّت الشَّمْس: طلعت، وشارق: الشَّمْس. والهراش: المهارشة بالكلاب. وازبأرت: انتفشَتْ حتَّى ظهر أصول شعرها وتجمَّعت للوثب"، فهو يتعجَّب مِنْ وجوههم الَّتِي تشبه وجوه الكلاب في حالة استعدادها للوثب على مَنْ تهاجمه.

الفصل السّادس

ظاهرة القَسَم في ديوان (الأصمعيّات)

ويشتمل على ما يأتي:

- توطئة

- القسم لغة واصطلاحًا

المبحث الأوّل: أغراضه القسم وأنواعه، وفيه:

- الغرض من القسم.

- أنواع القَسَم.

- أحرف القسم.

- حذف أحرف القسم.

المبحث الثاني: ألفاظ القسم

- أقسام وإيمان سُمعت عن العرب

المبحث الثالث: أحكام القسم، وفيه:

- جواب القسم.

- الصُّور التي يكون عليها جواب القسم.

- جواز حذف أداة القسم والمقسم به.

- اجتماع الشرط مع القسم.

- اللّام الموطّئة للقسم.

- رأي النحويّين في لام (لقد).

توطئة

القَسَم أحد أساليب التوكيد التي عُرِفَتْ عند أقوام يتكلمون بلغات ولهجات مختلفة، فاستخدمه الخلق منذُ قديم الزَّمان، والقرآن الكريم يحدثنا عن أقسام نُسبت لربِّ العزَّة، وأخرى سُمعتْ على السنة الأدميِّين، وأخرى استخدمتها الملائكة والجنُّ والشياطين، ومِنْ ذلك - على سبيل المثال - ما نُقل على لسان إبليس - عليه مِنَ الله ما يستحقُّ - ﴿قَالَ فِعْرِيكَ أَغْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١)، كما عُرِفَ القَسَم عند العرب سواء في الجاهليَّة أو في الإسلام، ولا يبالغ الباحث إذا اعتقد أنَّ ما يميِّز كلام العربيِّ عن غيره كثرة القسم، فهو كثير الحلف؛ محاولاً إقناع مَنْ يخاطبهم أو توثيق وتأكيد أمرٍ مِنْ أمور حياته بعدة وسائل ومنها القسم، والدليل على صحَّة هذا الاعتقاد أنَّك عندما تتبادل أطراف الحديث مع شخص (ما) مِنْ أبناء جلدتنا، فإنَّك تلاحظ على طبيعة كلامه كثرة الحلف، بعكس الأجناس الأخرى فإنَّهم قلَّما يستخدمون الحلف في كلامهم، وهذا الأمر ملموس في حياتنا اليوميَّة، فلا يمكن إنكاره أبداً.

يعدُّ القسم مِنْ أساليب التوكيد المعتبرة، جاء في (الكتاب): "اعلم أنَّ القسم توكيدٌ لكلامك"^(٢). كما واستخدمت لهذا النوع مِنْ أنواع التوكيد مصطلحات كثيرة منها ما هو مقبول في عقيدة المسلم الصَّحيحة، ومنها ما تمجَّه هذه العقيدة، سيتمُّ التَّعرُّف على أكثر هذه المصطلحات عند تناول المسائل التي تخصَّ القسم.

تناول معظم النُّحاة موضوع القسم، وتعرَّضوا له في كتبهم، كلُّ حسب طريقتة، فمنهم مَنْ خصَّص له باباً مستقلاً، ومنهم مَنْ جاءت مسائله متناثرة في كتبهم، ومنها: (الكتاب) لسيبويه، و(الجنى الدَّاني)، و(مغني اللبيب)، وسواء هؤلاء أو أولئك فقد استكملوا البحث في مسائله، ولم يتركوا تقريباً مجالاً لإضافة الشَّيء الجديد، وسيتمُّ عرض أبرز أقوالهم في مسائل هذه الظَّاهرة النَّحويَّة، مع ملاحظة مدى تمثُّل هذه الأقوال على ما ورد في ديوان (الأصمعيَّات) مِنْ أشعار.

للقسم ثلاثة أركانٍ أساسية هي: الأداة، والمقسم به، والمقسم عليه. وأسلوب القسم يشتمل على جملتين هما: جملة القسم: وهي مِنْ الإنشاء غير الطَّلبيِّ - كما هو معروف عند البلاغيِّين - وجملة جواب القسم: وهي مِنْ الجمل الخبريَّة والتي تتدرج تحت مسمَّها كما هو واضح للعيان، يقول ابن سيِّدة: "وهو جملة يؤكِّد بها جملة أخرى، فالجملة المؤكِّدة هي المُقسَم عليه، والجملة المؤكِّدة هي القسم، والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو المُقسَم به"^(٣).

(١) سورة: ص: ٨٢/٣٨.

(٢) الكتاب: ١٠٤/٣.

(٣) المخصَّص: ٧١/٤.

والآن سأستعرض المسائل التي تخصّ ظاهرة القسم، الظاهرة النحويّة التي لها حضورها الواضح على المستويين النظريّ والعملّيّ التطبيقيّ.

- القسم لغة:

جاء في (الصّاح): "وأقسمتُ: حلفتُ، وأصله من القسامة، وهي الأيمان تقسم على الأولياء في الدّم"^(١)، وجاء في (لسان العرب)^(٢): "والقسَمُ بالنَّحْرِيكِ: اليمين، وكذلك المُقسَمُ وهو المصدر مثل: المُخْرَجِ، والجمع أقسام، وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه: حلف له، وتقاسم القوم: تحالفوا وفي التَّنْزِيلِ: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ...﴾"^(٣)، وجاء في موضع آخر من (المعجم) نفسه: "والحِلفُ والحِلفُ: القَسَمُ لغتان، حَلَفَ؛ أَي: أَقْسَمَ يَحْلِفُ حَلْفًا وحَلْفًا ومَحْلُوفًا، وهو أحد ما جاء من المصادر على مَفْعُولٍ"^(٤).

- القسم اصطلاحًا:

أولاً: عند النحويين

عرّفه ابن جنيّ بقوله: "اعلم أنّ القسم ضرب من الخبر يُذكَرُ ليؤكّد به خبر آخر"^(٥)، وعرّفه ابن سيّدة بقوله: "اعلم أنّ القَسَمَ هو يمين يُقسَمُ بها الحالف ليؤكّد بها شيئاً يُخبر عنه من إيجاب أو جحد"^(٦)، مثال ذلك قولك: أحلف بالله إنّ النصر قادم، فعبارة: "إنّ النصر قادم" جواب القسم، وقولك: "أحلف بالله" قسم أكّدت به قدوم النصر، والمقسم به اسم الله-جلّ وعلا. وعرّفه الزمخشريّ بقوله: "هو جملة فعلية أو اسمية تؤكّد بها جملة موجبة أو منفية"^(٧). وعرّفه أبو عليّ الشلّوبينيّ بقوله: "القسم جملة تؤكّد بها جملة أخرى، كلتاها خبرية المعنى، ما لم تصحب القسم سؤال، ويرتبطان ارتباط الشرط"^(٨).

(١) الصّاح: ٢٨٨/٦.

(٢) لسان العرب: ٣٦٣٠/٥.

(٣) النمل: ٤٩/٢٧.

(٤) لسان العرب: ٩٦٣/٢.

(٥) اللّمع في العريّة، أبو الفتح عثمان بن جنيّ الموصليّ النحويّ، (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثّقافيّة، الكويت، د. ط، ١٣٩٢هـ، ص ١٨٣.

(٦) المخصّص: ٧١/٤.

(٧) المفصل: ٤٨٢/١.

(٨) التّوطئة، أبو عليّ الشلّوبينيّ، (ت: ٦٤٥هـ)، تحقيق: يوسف أحمد المطوّع، جامعة الكويت، (د. ط)، ١٤٠١هـ، ص ٢٥٥.

ثانيًا: عند البلاغيين

عرّفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "جملة يُؤكّد بها الخبر"^(١)، وعرّفه السُّبُوطِيّ كمصطلح بلاغيّ بقوله: القسم: هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء، فيحلف بما يكون فيه فخر له أو تعظيم لشأنه أو تنويه لقدره أو ذمّ لغيره أو جاريًا مجرى الغزل والترقيق أو خارجًا مخرج الموعظة والزهد، كقوله - تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾^(٢)، أقسم - سبحانه وتعالى - بقسم يوجب الفخر؛ لتضمّنه التّمُدّح بأعظم قدرة وأجلّ عظمة^(٣).

مهما يكن من أمر، فالمتممّل في هذه التعريفات يجد أنّها جميعًا تصبّ في بوتقة واحدة، وإنّ اختلافت الألفاظ أو تمّ التلاعب بها، فهي تحمل المعنى ذاته وتؤدّي المهمة نفسها. فالقسم أحد أساليب التّوكيد في اللّغة العربيّة، ويتكوّن من جملتين: الأولى: جملة القسم، وهي نوعان: فعليّة واسميّة، والأخرى: جملة جواب القسم، وهي نوعان أيضًا: فعليّة واسميّة، ولا محلّ لها من الإعراب، وللقسم أحرف مخصوصة، وربما اجتمع شرط وقسم، على نحو ما سيُعرف.

(١) المقتصد في شرح الإيضاح: ٨٦٢.

(٢) الدّاريات: ٢٣/٥١.

(٣) انظر: الإتقان: ١٧٦٨/٥.

المبحث الأول: أغراضه القسم وأنواعه

- الغرض من القسم:

رُبَّ سائل يسأل: ما الذي يبيغيه الحالف من وراء القسم؟ وبمعنى آخر ما هو غرض الحالف من استخدامه للقسم؟

القسم أحد الأساليب التي يستخدمها المتحدث في كلامه لتأكيد ولتوثيق خبر (ما)، جاء في (الكتاب): "اعلم أن القسم توكيدٌ لكلامك، فإذا حلفت على فعلٍ غير منفي لم يقع لزمته اللام، ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة، وذلك قولك: والله لأفعلن"^(١).

يقول ابن يعيش: "اعلم أن الغرض من القسم توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات، كقولك: والله لأقومن، والله لا أقومن"^(٢).

جاء في (البرهان): "القسم إنما جيء به لتوكيد المقسم عليه، فتارة يزيدون فيه للمبالغة في التوكيد، وتارة يحذفون منه؛ للاختصار، وللعلم بالمحذوف"^(٣).

ذكر الزركشي أن الله - تعالى - أقسم بنفسه في القرآن الكريم في سبعة مواضع، والباقي كله أقسم بمخلوقاته^(٤).

وذكر السيوطي كلامًا جميلًا عن الحكمة البالغة من استخدام رب العزة للقسم في كتابه العزيز بقوله: "وقد قيل: ما معنى القسم منه - تعالى؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد! وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عاداتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمرًا"^(٥). وذكر السيوطي رأيًا لأبي القاسم القشيري^(٦) في هذه المسألة، يتمثل في أن الله ذكر القسم لكمال الحجّة وتأكيدها؛ وذلك أن الحكم يفصل باثنين: إمّا بالشهادة، وإمّا بالقسم^(٧).

(١) الكتاب: ١٠٤/٣.

(٢) شرح المفصل: ٩٠/٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٤٤/٣.

(٤) انظر: نفسه: ٤٠/٣.

(٥) انظر: الإتقان: ١٩٤٥/٥.

(٦) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، كان زاهدًا وعالمًا بالدين، كانت إقامته بـ(نيسابور)، توفي بها سنة خمس وستين وأربعمائة هجرية. من كتبه: (الرسالة القشيرية). انظر: طبقات الشافعية الكبرى: ١٥٣/٥، والأعلام: ٥٧/٤.

(٧) انظر: الإتقان: ١٩٤٥/٥.

– أنواع القسم:

القسم قسمان: صريح وغير صريح، فالصريح: هو ما يُعلم لمجرد اللفظ كون الشخص مقسمًا، وغير الصريح ليس كذلك، وكلاهما جملة فعلية أو اسمية، فالفعلية غير الصريحة في الخبر (علمت) و(واتقت) متضمنة معناه^(١).

السبب الذي دفع النحاة نحو الاعتقاد بأن (علمت) تجري مجرى القسم هو: التشابه بين اللفظين في كون إفادتهما للتقرير، يقول عبد القاهر الجرجاني: "ويجري (علمت) وما أشبهه مجرى القسم تقول: علمت ليخرجن زيد، وعلمت ما يخرج زيد، كأنه قال: أقسمت...، والذي أوجب ذلك مضارعة (علمت) للقسم في إفادة التحقيق والتقرير، وإلا فليس لباب (علمت) أصل في القسم"^(٢).
من أمثلة الصدورة الأولى: (علمت) في القرآن الكريم قوله - تعالى: ﴿...وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾^(٣)، ووردت الصدورة الأولى في (الأصمعيّات)، في ثلاثة مواضع، أمثل لها بمثال واحد، هو قول سعدى بنت الشمرذل الجهتيّة: (الكامل)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ كُلَّ مُؤَخَّرٍ يَوْمًا سَبِيلَ الْأَوَّلِينَ سَيَتَّبِعُ^(٤)

في حين لم أقف للصدورة الأخرى (واتقت) على أي تمثيل في (الأصمعيّات).

قسّمه ابن مالك وابن عقيل إلى صريح وغير صريح، فأما الصريح فهو ما يُعلم بمجرد نطقك به كونك مقسمًا، نحو: حلفت بالله، وأنا حالف، ولعمر الله، وإيمان الله، وأما غير الصريح: فهو ما ليس كذلك، نحو: علم الله، وعاهدت الله، وواتقت الله، وعليّ عهد الله، وفي ذمتي ميثاق، فإنما يُعلم كونه قسمًا بقرينة كذكر الجواب^(٥).

هناك تقسيمة أخرى، هي: قسم الإخبار: يُؤكّد به الكلام، وقسم السؤال: يُستعطف به، يقول الرّضي: "واعلم أنّ القسم على ضربين: إمّا قسم السؤال، وهو: نشدتك الله، وعمرتك الله، وعمرتك الله، وقعدك الله، وبالله، لتفعلن، وقد يستعمل (لعمرك) في قسم السؤال، فجواب قسم السؤال: أمر أو نهى، أو استفهام...وربما قيل في قسم الطلب أيضًا: لتفعلن، ولنفعلن، فيكون خبرًا بمعنى الأمر^(٦)، ويظهر أن الرّضي ذكر ضربين للقسم، وتحدّث عن واحد منهما، ونسي الحديث عن الآخر، أمّا

(١) انظر: شفاء العليل في إيضاح التسهيل: ٦٨٣/٢.

(٢) انظر: المقتصد: ٨٦٩.

(٣) البقرة: ١٠٢/٢.

(٤) الأصمعيّات: ص ١١٥، رقم ٦، سبيل الأولين: أراد سبيل الموت الذي لا بدّ منه.

(٥) انظر: شرح التسهيل: ١٩٤/٣، والمساعد: ٣٠٢/٢.

(٦) انظر: شرح الرّضي على الكافية: ٣٠٨/٤.

الآخر، أمّا ابن جني فقد كان واضحاً في حديثه الذي نقله عنه الشمني في (حاشيته) عندما قال: القسم جملة إنشائية مؤكّدة بها جملة أخرى، فإن كانت خبرية فهو القسم لغير الاستعطاف، وإن كانت طلبية فهو الاستعطاف^(١).

– أحرف القسم:

الأحرف التي يصل بها القسم إلى المُقسم به ثلاثة وهي: الباء والواو والتاء، جاء في (الكتاب): "وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجرّ، وأكثرها الواو، ثمّ الباء، يدخلان على كلّ محلوف به، ثمّ التاء، ولا تدخل إلّا في واحد، وذلك قولك: والله لأفعلنّ: وبالله لأفعلنّ، وقال الخليل: "إنما تجيء بهذه الحروف؛ لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف به كما تضيف مررت به بالباء، إلّا أنّ الفعل يجيء مضمراً في هذا الباب، والحلف توكيد"^(٢).

أحرف القسم عند الزجاج أربعة، يقول: "اعلم أنّ حروف القسم أربعة وهي: الباء والتاء والواو واللام، هذه الحروف تخفض المقسم به، وهي صلات فعل مقدّر، كقولك: والله لأخرجنّ، وبالله، وتالله، والله لأنطلقنّ، والتقدير: أقسم بالله... فأما الواو والباء فتدخلان على كلّ محلوف به ولا تدخل التاء إلّا على الله وحده، ولا اللام إلّا عليه في حال التّعجب"^(٣).

جعلها ابن السراج خمسة، يقول: "أدوات القسم والمقسم به خمس: الواو والباء والتاء واللام ومن"^(٤)، ويقول الرضي: "اعلم أنّ حروف الجرّ لا تُحذف مع بقاء عملها قياساً إلّا في: (الله) قسمًا عند البصريين، وأجاز الكوفيّة قياس سائر ألفاظ المقسم به، على (الله) نحو: المصحف لأفعلنّ، وذلك غير جائز عند البصريّة؛ لاختصاص لفظة (الله) بخصائص ليست لغيرها"^(٥).

أولاً: الباء

خُصّت بجواز ذكر الفعل معها، نحو: أقسم بالله لتفعلنّ، ودخولها على الضمير، وذكر ابن هشام لحرف الجرّ (الباء) المفردة أربعة عشر معنًى، منها: القسم، وهو كما يقول: "أصل أحرفه وذلك، نحو: بك لأفعلنّ، واستعمالها في القسم الاستعطافيّ، نحو: بالله هل قام زيد؛ أي: أسألك بالله مستحلفاً"^(٦).

(١) انظر: حاشية الشمني: ٢٢٢/١، ولم يتسنّ لي العثور على هذا القول في كتب ابن جني التي رجعت إليها.

(٢) الكتاب: ٤٩٦/٣-٤٩٧.

(٣) اللّامات: ٨١.

(٤) أصول النحو: ٤٣٠/١.

(٥) شرح الرضي على الكافية: ٢٩٧/٤.

(٦) انظر: مغني اللبيب: ١٤٤/٢-١٤٥.

فسر ابن يعيش سبب اعتبار الباء أصلاً لأحرف القسم بقوله: "وإنما قلنا ذلك؛ لأنها حرف للجرّ الذي يُضاف به فعل الحلف إلى المحلوف، لكنّه لمّا كان الفعل غير متعدٍ وصلوه بالباء المعدية، فصار اللفظ: أحلف بالله، أو أقسم بالله"^(١).
هذا ولم يرد في (الأصمعيّات) القسم باستخدام الباء.

ثانياً: الواو

لاستعمالها شروط، يقول الرّضي: "اعلم أنّ واو القسم لها ثلاثة شروط: أحدها: حذف فعل القسم معها، فلا يُقال: أقسم والله؛ وذلك لكثرة استعمالها في القسم، فهي أكثر استعمالاً من أصلها؛ أي: الباء، والثاني: ألاّ تُستعمل في قسم السّؤال، فلا يُقال: والله أخبرني، كما يُقال: بالله أخبرني، والثالث: أنّها لا تدخل على الضمير فلا يُقال: وك، كما يُقال: بك"^(٢)، من أمثلة استعمال الواو في القسم في (الأصمعيّات) قول قيس بن الخطيم: (المنسرح)

والله ذي المسجد الحرام وما جُلّ من يئنة لها خُنف^(٣)

جواب القسم جاء ذكره في البيت التالي، وهو قوله:

إني لأهواك غير كاذبة قد شفّ مني الأخصاء والشغف^(٤)

ثالثاً: التاء

يقول ابن السّراج عند ذكره لأحرف القسم: "ثمّ التاء، وذلك قولك: تالله لأفعلن، ولا تُقال مع غير الله، وقد تقول: تالله، وفيها معنى التّعجب"^(٥)، يقول السيوطي: "التاء حرف جرّ، معناه القسم يختصُّ بالتّعجب وباسم الله - تعالى - نحو: ﴿قَالُوا تَاللّهِ تَعْتَأُ تَدُكُرُ يُوسُفَ...﴾"^(٦)، فلا تجرّ غيره لا ظاهراً ولا مضمراً؛ لفرعيّتها، وشدّت في: الرّحمن، وربّ الكعبة، وربّي، وحياتك، سُمع: تالرّحمن، وتربّ الكعبة، وتربّي، وحياتك"^(٧)، وروى الأَخفش: تربّ الكعبة^(٨).
هذا ولم يرد هذا التّركيب في (الأصمعيّات).

(١) انظر: شرح المفصّل: ٣٢/٨ .

(٢) شرح الرّضي على الكافية: ٣٠٠/٤ .

(٣) الأصمعيّات: ص ٢١٨، رقم ١٥ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (الهامش) نقلاً عن ديوان الشّاعر: ص ١١١: "خُنف) أراد أنّ له جوانب حواشٍ، قال: والخنف، والواحد خنيف: ثياب من كتّان كان يُقدّم بها عليهم".

(٤) نفسه: ص ٢١٨، رقم ١٦ (الزيادات من الكتابين).

(٥) أصول النّحو: ٤٣٠/١ .

(٦) يوسف: ٨٥/١٢ .

(٧) انظر: همع الهوامع: ٣٩٣/٢، والإتقان في علوم القرآن: ١٠٩٠/٣ .

(٨) انظر: المفصّل: ٣٨٣/١ .

رابعًا: اللام

جاء في (الكتاب): "وقد يقول بعض العرب: لله لأفعلن، كما تقول: تالله لأفعلن"^(١).

خامسًا: مُن

جاء في (الكتاب) أيضًا: "واعلم أنّ من العرب من يقول: مُن ربي لأفعلن ذلك، ومُن ربي إنك لأشتر، يجعلها في هذا الموضع بمنزلة الواو والباء، في قوله: والله لأفعلن، ولا يدخلونها في غير (ربي)، كما لا يدخلون التاء في غير الله، ولكن الواو لازمة لكل اسم يُقسم به والباء... ولا تدخل الضمة في (مُن) إلا ههنا"^(٢).

هذا ولم يرد هذا التركيب في (الأصمعيّات).

سادسًا: أيمن

ذكر ابن مالك له اثنتي عشرة لغة^(٣)، وأحصى له السبوطي عشرين لغة، جاء في (همع الهوامع): "من حروف القسم (أيمن) بفتح الهمزة وضم الميم، ويُقال فيه: (أيمن) بالكسرة فالضم، و(أيمن) بفتحهما، و(إيمن) بالكسر فالفتح و(إيم) بالكسر والضم لغة لسليم و(أيم) بالفتح والضم لغة لتميم، و(إيم) بكسرتين و(هيمن) بفتح الهاء مبدلة من الهمزة والضم و(أم) بفتححتين، و(أم) بالفتح والضم، و(أم) بالفتح والكسر، و(إم) بالكسر والضم لغة أهل اليمامة، و(إم) بالكسر والفتح، و(مُن) مثلث الحرفين؛ أي: الميم والنون؛ أي: بفتحهما وكسرهما وضمهما، و(م) مثلثًا بالفتح والكسر والضم، فهذه عشرون لغة، وذكر السبوطي أنّ السبب في كثرة تصرفهم فيها كثرة الاستعمال، وذكر أنّ الرُّمانيّ والرَّجَّاج اعتبراً أنّ (أيمن) حرف جرّ، وذكر أنّ الأصحّ اعتباره اسمًا"^(٤).

هذه الحرف ليس لها تمثيل في ديوان (الأصمعيّات).

– حذف أحرف القسم^(٥):

أ– حذف أحرف القسم مع التعويض عن المحذوف:

فالباء هي الأصل، والواو بدل منها والتاء بدل من الواو، وحروف القسم والعوض عنها عند أبي عليّ الشلوبيّين تجدها في قوله: "والاسم المقسم إمّا مجرور به فقط، وهو ما لفظ معه بأحد حروف القسم، نحو: بالله، ووالله، وتالله، ومُن ربي إنك لكذا، أو العوض من حروف القسم، وهو إمّا

(١) الكتاب: ٤٩٩/٣.

(٢) نفسه: ٤٩٩/٣.

(٣) انظر: شرح الكافية: ٨٧٨/٢.

(٤) همع الهوامع: ٣٩٤/٢-٣٩٥.

(٥) انظر: الأصول في النحو: ٤٣١/١-٤٣٣.

(ها) التَّثْبِيهِ، نحو: أَيُّ هَا اللهُ ذَا، وَلَا هَا اللهُ ذَا، وَإِمَّا أَلْفُ الْإِسْتِفْهَامِ، نحو: اللهُ لِتَفْعَلَنَّ، وَإِمَّا قَطَعَ هَمْزَةَ الْوَصْلِ، نحو: فَأَلَّهِ^(١).

مِنْ تَقْسِيمَاتِ أَبِي عَلِيٍّ يَنْتُجُ هُنَا ثَلَاثَةُ أَلْفَاظٍ يُمْكِنُ التَّعْوِيضُ بِهَا عَنْ حَرْفِ الْقِسْمِ الْوَائِي، أُولَاهَا: (هَا)، الَّتِي يَقُولُ سَيَبُويهِ عَنْهَا: "وَذَلِكَ قَوْلُكَ: إِي: هَا اللهُ ذَا، نَثَبْتَ أَلْفَ (هَا)؛ لِأَنَّ الَّذِي بَعْدَهَا مَدْعَمٌ، وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: إِي هَلْ لَهْ ذَا، فَيُحَذِفُ الْأَلْفَ الَّتِي بَعْدَ الْهَاءِ، وَلَا يَكُونُ فِي الْمَقْسَمِ هَهُنَا إِلَّا الْجَرُّ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ: (هَا) صَارَ عَوْضًا مِنَ الْإِلْفِ بِالْوَاوِ، فَحُذِفَتْ تَخْفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ، أَلَّا تَرَى أَنَّ الْوَائِي لَا تَظْهَرُ هَهُنَا كَمَا تَظْهَرُ فِي قَوْلِكَ: وَاللهِ، فَتَرَكُهُمُ الْوَائِي هَهُنَا الْبَيِّنَةُ يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهَا ذَهَبَتْ مِنْ هُنَا تَخْفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ، وَعَوَّضَتْ مِنْهَا (هَا)، وَلَوْ كَانَتْ تَذْهَبُ مِنْ (هُنَا) كَمَا كَانَتْ تَذْهَبُ مِنْ قَوْلِهِمْ: اللهُ لِأَفْعَلَنَّ، إِذْ نَ لَأَدْخَلْتَ الْوَائِي"^(٢).

ذَكَرَ الْمُرَادِيُّ أَنَّ مِنْ مَعَانِي هَمْزَةِ الْإِسْتِفْهَامِ: مَعَايِبَةُ حَرْفِ الْقِسْمِ، كَقَوْلِكَ: اللهُ لَقَدْ كَانَ كَذَا، فَالْهَمْزَةُ فِي هَذَا عَوْضٌ مِنْ حَرْفِ الْقِسْمِ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَوْضًا مِنَ الْبَاءِ دُونَ غَيْرِهَا؛ لِأَصَالَةِ الْبَاءِ فِي الْقِسْمِ^(٣).

جَاءَ فِي (الْهَمْعِ): "كُونَ الْبَاءِ الْأَصْلُ اخْتَصَّ بِهَا الطَّلَبُ وَالِاسْتِعْطَافُ، فَلَا يُقْسَمُ فِيهِمَا بِغَيْرِهَا، نحو: بِاللَّهِ أَخْبِرْنِي، وَبِاللَّهِ هَلْ قَامَ زَيْدٌ؟ أَيُّ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ مُسْتَحْلَفًا"^(٤).

ب- حَذْفُ حَرْفِ الْجَرِّ (الْبَاءِ) دُونَ تَعْوِيضٍ:

أَمَّا حَذْفُ حَرْفِ الْجَرِّ الَّذِي هُوَ (الْبَاءُ) فِي (بِاللَّهِ) فَعَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يُحَذَفَ وَيُوصَلُ الْفِعْلُ إِلَى الْإِسْمِ فَيُنْصَبُ، فَيَقَالُ: اللهُ لِأَفْعَلَنَّ، كَأَنَّهُ: حَلَفْتُ اللهُ لِأَفْعَلَنَّ...، وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يُضْمَرَ، وَيَبْقَى الْجَرُّ، فَيَقَالُ: اللهُ لِأَفْعَلَنَّ^(٥).

(١) التَّوْطُنَةُ: ٢٥٦.

(٢) الْكِتَابُ: ٤٩٩/٣.

(٣) الْجَنَى الدَّانِي: ٣٣.

(٤) هَمْعُ الْهُوَاعِمِ: ٣٩١/٢.

(٥) انْظُرْ: الْمَقْتَصِدُ: ٨٦٨.

المبحث الثاني: ألفاظ القسم

- أقسام وإيمان سُمعت عن العرب

وردت ألفاظ كثيرة عن العرب فاضت بها أشعارهم وخطبهم وأمثالهم وكل ما نُقل عنهم من أقوال يمكن ملاحظتها بوضوح، وسواء كانت هذه الألفاظ تدلُّ على القسم صراحةً أو أنها متضمنة معناه فقد نهى الدين الإسلامي الحنيف عن استخدام بعضها عند الرغبة في توكيد عبارة (ما) من الكلام بقسم من أقسام العرب في جاهليتهم، الباحث هنا ليس بصدد تصنيف هذه الألفاظ إلى ألفاظ يجوز الحلف بها وأخرى لا يجوز الحلف بها، لكن القاعدة العامة تقول: لا يجوز الحلف بغير الله، وإن كنت حالفًا فلا تحلف بغير الله - عزَّ وجلَّ - سأذكر هذه الألفاظ سواء الجائزة أو غير الجائزة، وسأمثل لها من (الأصمعيّات) كلما وجدتُ إلى ذلك سبيلًا.

المطلَّع على آيات القرآن الكريم يجد أن الله - عزَّ وجلَّ - قد نهى عن الحلف بغير الله، وألَّا يُجعل عُرضة للإيمان دون أن يبرَّ الحالف يمينه ويتَّقَى الله فيها، لكنَّه - عزَّ وجلَّ - قد حلف بأشياء كان قد نهانا عن الحلف بها، فما الحكمة البالغة من وراء ذلك؟ تجد الجواب عند الزركشي، فقد أورد كلامًا جميلًا حيث يقول: "فإن قيل كيف أقسم بمخلوقاته وقد ورد النهي علينا ألا نقسم بمخلوق؟ قيل فيه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه حذف مضاف؛ أي: وربَّ الفجر، وربَّ النَّين، الثاني: أن العرب كانت تُعظِّم هذه الأشياء وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفون، الثالث: أن الأقسام إنما تجب بأن يقسم الرَّجل بما يعظِّمه أو بمن يُجلُّه، وهو فوقه، والله - عزَّ وجلَّ - ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته؛ لأنَّها تدلُّ على باريِّ وصانع" (١).

- ألفاظ القسم وأساليبه

ذكر صاحب (المفصل) عددًا من الألفاظ التي تحمل معنى القسم، منها: ما يشترك فيه الاسم والفعل، وهو جملة فعلية أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية، نحو قولك: بالله، وأقسمت، وآليت، وعلم الله، ويعلم الله، ولعمرك، ولعمر أبيك، ولعمر الله، وبيمين الله، وأيمن الله، وأيم الله، وأمانة الله، وعليَّ عهد الله لأفعلنَّ أو لا أفعلنَّ" (٢).

١ - أجدك:

نقل ابن منظور عن الليث قوله: "من قال أجدك بكسر الجيم فإنَّه يستحلفه بجده وحقيقته، وإذا فتح الجيم استحلفه بجده وهو بخته" (٣)، في (الأصمعيّات) ورد هذا التركيب مرَّة واحدة فقط، هو قول عبد الله بن عَمَّة: (الوافر)

(١) البرهان في علوم القرآن: ٤٢/٣.

(٢) المفصل: ٤٨٢/١.

(٣) لسان العرب: ٥٤٦/١.

أَجِدُّكَ لَنْ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخُبُّ بِهِ عُدَاوَةَ دُمُولٍ^(١)

٢- بَوْدُكَ:

جاء في (لسان العرب): "الْوَدُّ بِالْفَتْحِ: الصَّدَنُّ... قوله: (أراد بَوْدَكَ ... إلخ) كذا بالأصل فمن رواه بَوْدَكَ؛ أراد بحقِّ صنمكِ عليكِ، وَمَنْ ضَمَّ؛ أراد بِالْمَوَدَّةِ بَيْنِي وَبَيْنِكَ"^(٢)، في (الأصمعيّات) ورد هذا التّركيب مرّة واحدة فقط هو قول عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ: (الطَّوِيل)

بَوْدُهُمْ لَا قَرَبَ اللَّهُ وَدَّهُمْ وَلَا زَالَ مُعْطِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ حَارِمًا^(٣)

٣- كَلِمَةُ إِصْرٍ:

جاء في (لسان العرب): "يُقَالُ إِنَّ الْإِصْرَ أَنْ يَخْلِفَ بِطَلَقٍ أَوْ عِتَاقٍ أَوْ نَذْرٍ، وَأَصْلُ الْإِصْرِ: النَّقْلُ وَالشَّدُّ؛ لِأَنَّهَا أَنْقَلُ الْأَيْمَانَ وَأَضْيَقُهَا مَخْرَجًا؛ يَعْنِي أَنَّهُ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهَا وَلَا يُتَعَوَّضُ عَنْهَا بِالْكَفَارَةِ وَالْعَهْدُ، وَالْإِصْرُ الْعَهْدُ الثَّقِيلُ، وَمَا كَانَ عَنْ يَمِينٍ وَعَهْدٌ فَهُوَ إِصْرٌ"^(٤). وفي التّنزيل: ﴿... وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي...﴾^(٥)، فالإِصْرُ: الْعَهْدُ الْمُؤَكَّدُ الْمُغْلَظُ، وفي حديث ابن عمر: "مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فِيهَا إِصْرٌ فَلَا كَفَارَةَ لَهَا"^(٦)^(٧). جاء في (الكشّاف): "إِصْرِي: عَهْدِي، وَسُمِّيَ إِصْرًا؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يُؤْصَرُ؛ أَيُّ: يَشُدُّ وَيُعْقَدُ، وَمِنْهُ الْإِصْرَارُ الَّذِي يُعْقَدُ بِهِ"^(٨). هذا القسم ليس له ما أمثل به من (الأصمعيّات).

٤- لَعَمْرُكَ:

جاء في (لسان العرب): "الْعَمْرُ وَالْعُمْرُ وَالْعُمُرُ: الْحَيَاةُ، يُقَالُ: قَدِ طَالَ عَمْرُهُ وَعُمْرُهُ لَعَتَانِ فَصِيحَتَانِ، فَإِذَا أَقْسَمُوا فَقَالُوا: لَعَمْرُكَ فَتَحَوُا لِغَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ أَعْمَارٌ، وَسُمِّيَ الرَّجُلُ عَمْرًا تَفَاؤُلًا أَنْ

(١) الأصمعيّات: ص ٤١، رقم ٣. تخبُّ: تسير الخبب، وهو ضرب من العدو. والدُمُول: التي تسير الدّميل، وهو

سير سريع من سير الإبل.

(٢) لسان العرب: ٤٧٩٤/٦.

(٣) الأصمعيّات: ص ١٨٨، رقم ١١ (الزيادات من الكتابين).

(٤) لسان العرب: ٧٨/١.

(٥) آل عمران: ٨١/٣.

(٦) غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١، ١٣٩٧هـ، ج ٢، ٣١٦.

(٧) انظر: الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الرّمخشري، (ت: ٢٣٨هـ): تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط ٢، (د. ت)، ج ١، ص ٤٥.

(٨) الكشّاف: ٥٧٦/١.

يبقى، والعرب تقول في القسم: لَعَمْرِي، وَلَعَمْرُكَ يرفعونه بالابتداء ويضمرون الخبر كأنه قال: لَعَمْرُكَ قَسَمِي أو يميني أو ما أَلْخِفُ بِهِ"^(١).

جاء في (الكشاف): "والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأختاف فيه؛ وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم؛ ولذلك حذفوا الخبر، وتقديره لعمرِكَ ممَّا أقسم به"^(٢).
جاء في (شرح المفصل): "ومعنى لعمر الله: الحلف ببقاء الله - تعالى - ودوامه، فإذا قلت: عَمْرُكَ اللهُ، فكأنك قلت: بتعميرِكَ اللهُ؛ أي: بإقرارِكَ له بالبقاء"^(٣).

جاء في (رصف المباني): "وقد لزمت اللام في (عمر الله) دلالة على القسم، ولزوم الابتداء فيه إذ لا يخرج عنها، فإن أزيل عنها حذفَت اللام وفُتحت عينه وضُمَّت؛ ولشدة اتصالها بها جعلها بعضهم جزءاً منها"^(٤). وورد الحلف بهذا اللفظ في (الأصمعيّات) في أربعة مواضع، منها قول سُعدَى بنتِ الشَّمْرَدَلِ الجُهَيْتِيَّةِ: (الكامل)

غَادَرْتَهُ يَوْمَ الرِّصَافِ مُجَدَّلًا خَبَرَ لَعَمْرُكَ يَوْمَ ذَلِكَ أَشْنَعُ^(٥)

٥ - عَمْرُكَ اللهُ:

جاء في (لسان العرب): "عمرِكَ اللهُ: أحلف ببقاء الله ودوامه، فإن لم يرد بهما القسم فالمعنى: سألتُ اللهُ أن يطيلَ عمرِكَ"^(٦). لم أقف على أمثلة لهذا التّركيب في (الأصمعيّات). هذا التّركيب في القسم - دون اللام - لم أقف له على أمثلة في (الأصمعيّات).

٦ - علم الله:

ذكر سيبويه عددًا من الألفاظ التي تحمل معنى القسم، منها: (علم الله)، جاء في (الكتاب): "ومثل ذلك يعلم الله لأفعلن، وعلم الله لأفعلن، والمعنى: والله لأفعلن"^(٧)، منه قول الحارث بن عباد - المثال الوحيد في (الأصمعيّات): (الخفيف)

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلِمَ اللَّهِ هُ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالٍ^(٨)

(١) لسان العرب: ٣٠٩٩/٤.

(٢) الكشاف: ٤١٤/٣.

(٣) انظر: شرح المفصل: ٩١/٩.

(٤) انظر: رصف المباني: ٣١٤.

(٥) الأصمعيّات: ص ١١٧، رقم ٣٠، الرّصاف: اسم موضع. ومُجَدَّلًا: ملقى على الأرض صريعًا.

(٦) لسان العرب: ٤٩٩/٢.

(٧) الكتاب: ٥٠٢/٣ - ٥٠٤.

(٨) الأصمعيّات: ص ٨٥، رقم ٥، صال: من قولهم: صلي نار الحرب: قاسى حرّها، وكذلك الأمر الشّدِيد.

٧- أقسم:

جاء في (الكتاب): "واعلم أنّ من الأفعال أشياء فيها معنى اليمين، يجري الفعل بعدها مجراه بعد قولك واللّه، وذلك قولك: أقسم لأفعلن، وأشهد لأفعلن، وأقسمت باللّه عليك لتفعلن"^(١).
منه قول سَهْم بن حَنْظَلَةَ الغَنَوِيِّ: (البسيط)

أَقْسَمْتُ أَطْلُبُ دَخْلًا كُنْتُ أَطْلُبُهُ ما مَسَحَ الزَّائِرُونَ الكَعْبَةَ الحُجْبَا^(٢)

يُلاحظ هنا على صيغة القسم أنّ الشّاعر قد استغنى بذكر القسم عن ذكر المقسم به، والتّقدير: أَقْسَمْتُ بما يُقْسَمُ به، كأنْ يقول: أَقْسَمْتُ باللّه مثلاً.

٨- التّألي:

جاء في (لسان العرب): "والألتُ القَسَمُ يقال إذا لم يُعْطِكَ حَقَّكَ فَقَيْدُهُ بِالْأَلْتِ"^(٣)، ومن أمثله في (الأصمعيّات) - المثال الوحيد - قول عِلْبَاءَ بنِ أَرْقَمَ بنِ عوف: (الطّويل)
نَبِيتُ كَأَنَا فِي خُصُومِ عَرَامَةٍ وَتَسْمَعُ جَارَاتِي التّألي وَالْقَسَمِ^(٤)

٩- قضى الله:

نقل السّلسليّ عن ثعلب في (مجالسه) أنّ من العرب من ينصب (قضاء الله) ويجعله قسمًا^(٥)، منه قول قَيْسِ بنِ الخَطِيمِ: (المنسرح)

قَضَى لَهَا اللهُ حِينَ صَوَّرَهَا الـ خَالِقُ أَنْ لَا يُكْنَهَا سَدَفًا^(٦)

١٠- وربك:

ورد القسم بلفظ (ربّ) في القرآن الكريم، حيث أقسم الله - تعالى - بنفسه حين قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾^(٧)، ذكر الزّركشي أنّ الله أقسم بنفسه في القرآن في سبعة مواضع، والباقي كلّهُ أقسم بمخلوقاته، والقسم بنفسه حصل بالألفاظ الآتية:

(١) الكتاب: ١٠٤/٣.

(٢) الأصمعيّات: ص ٦٣، رقم ٥٠، الدّخل: التّأر، يقسم أنّه سيبقى يطلب ثأراً له ما دام النّاس يحجّون بيته الحرام.

(٣) لسان العرب: ١٠٧/١.

(٤) الأصمعيّات: ص ١٧٥، رقم ٥. التّألي: القَسَم. والعَرَامَةُ: الشّدّة والضيق، جاء في (خزانة الأدب) ٤٤٤/١٠:

العَرَامَةُ: مصدر وهي المآلي، والمآلي: جمع مثلاة، قال صاحب (الصّحاح) ١٢١/٧: "والمثلاة: الخِرقة الّتي تمسكها المرأة عند النّوح وتشير بها والجمع المآلي".

(٥) انظر: شفاء العليل في إيضاح التّسهيل: ٦٨٥/٢.

(٦) الأصمعيّات: ص ٢١٦، رقم ٦ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (الاختيارين) ص ٤٩٢: "أَنْ لَا يُكْنَهَا سَدَفًا؛

أي: إذا كانت في ظلمة أبصرت، ولم تسترها الظلمة.

(٧) النّساء: ٦٥/٤.

(فَوْرَبِّ)، و(وَرَبِّكَ)، و(بِرَبِّ) كلُّ واحدة وردت في موضع واحد، (وَرَبِّي)، و(فَوْرَبِّكَ) كلُّ واحدة في موضعين^(١)، والظاهر أنَّ القسم في الآية المذكورة معناه: (فوربك)، (ولا) مزيدة لتأكيد معنى القسم، وقوله: (لا يؤمنون) جواب القسم، في (الأصمعيّات) ورد القسم بهذا اللفظ مرّتين، هما قول شِمْر بن عَمْرٍو الحنفيّ: (الكامل)

عُضْبَانُ مُمْتَلِنًا عَلَيَّ إِهَابُهُ إِنِّي وَرَبِّكَ سُخْطُهُ يُرْضِيْنِي^(٢)

يُلاحظ هنا أنَّ الشّاعر قد استوفى أركان جملة القسم إلّا فعل القسم، فجاء بحرف القسم: (الواو)، وبالمقسم به: (ربك) وبالمقسم عليه (الجواب): جملة (سُخْطُهُ يُرْضِيْنِي). وورد هذا البيت بثلاث روايات: الأولى ما ورد في (الأصمعيّات) (وَرَبِّكَ)، كما هو واضح في البيت الذي ذكر، ووردت الرواية الثّانية في (حماسة البحتريّ)^(٣): (إِنِّي وَجَدَكَ)^(٤)، وفي الخزّانة^(٥): (إِنِّي وَحَقَّكَ).

فهذه صور ثلاث للقسم وردت عن العرب، وأعتقد أنَّ أفضلها الرواية التي وردت في (الأصمعيّات)؛ لأنّه لا يجوز الحلف بغير الله - عزّ وجلّ - هي قول مُهَلِّهْل بن ربيعة: (الكامل)

قَتَلُوا كُلِّيًّا ثُمَّ قَالُوا: ارْبَعُوا كَذَبُوا وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ^(٦)

١١ - لا جرم:

حكاه الفرّاء عن بعض العرب، يقول: "كلمة كانت في الأصل بمنزلة (لا بدّ أنّك قائم) وكثر استعمالهم إيّاها حتّى صارت بمنزلة (حقاً)، ألا ترى أنَّ العرب تقول: لا جرم لآتيئك، ولا جرم قد أحسنت"^(٧)، هذه الصّيغة ليس لها تمثيل في ديوان (الأصمعيّات).

(١) انظر: البرهان: ٤٠/٣.

(٢) (الأصمعيّات): ص ١٤٢، رقم ٤. جاء في (خزّانة الأدب) ٣٤٨/١: "و(عضبان) بالنّصب حال من اللّثيم أو بالرّفْع خبر مبتدأ محذوف، و(ممتلناً) حال سببيّة من ضمير غضبان، و(إهابه) فاعل ممتلناً وهو في الأصل الجلد الذي لم يُدبغ، وقد استُغير هنا لجلد الإنسان. والسُّخْطُ بالضّم: اسم مصدر، والمصدر بفتحّين بمعنى الغضب".

(٣) الوليد بن عبيد بن يحيى الطّائيّ، أبو عبادة البحتريّ: شاعر كبير، يُقال لشعره (سلاسل الذهب)، كان فاضلاً، أدبياً، فصيحاً بليغاً، شاعراً مجيداً، قيل لأبي العلاء المعريّ: أيُّ الثّلاثة أشعر؟ فقال: المتنبّي وأبو تمام حكيمان، وإنّما الشّاعر البحتريّ، توفّي سنة أربع وثمانين ومائتين هجريّة. انظر: معجم الأدباء: ٥٧٠/٥، ووفيات الأعيان: ٢١/٦-٣٠، والأعلام: ١٢١/٨.

(٤) انظر: الحماسة، لأبي عبادة الوليد بن البحتريّ، (ت: ٢٨٤هـ)، تحقيق محمّد إبراهيم حور، وأحمد محمّد عبيد، المجمع النّفّاعيّ، أبو ظبي، د.ط، ١٤٢٨هـ، ص ٣٥٠.

(٥) انظر: خزّانة الأدب: ٣٤٨/١.

(٦) (الأصمعيّات): ص ١٧٣، رقم ٣، ربّع في المكان: اطمأنّ وأقام. وربّع الإبل: سرّحها في المرعى؛ فأكلت كيف شاءت وشريت.

(٧) معاني القرآن: ٨/٢.

١٢- حَقًّا، وَيَقِينًا، وَقَطْعًا

جاء في (شرح الكافية)^(١) للرّضويّ: "وقد يقوم مقام القسم: حَقًّا، وَيَقِينًا، وَقَطْعًا، وما أشبهها، نحو: حَقًّا لأفعلن، وكذا (كَلًّا)، إذا لم يكن ردعًا، نحو: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ...﴾^(٢)، ومثاله في (الأصمعيّات) قول أبي دُوَادٍ الإياديّ: (الخفيف)

وَكَذَاكُمْ مَصِيرُ كُلِّ أَنْاسٍ سَوْفَ حَقًّا تُبْلِيهِمُ الْأَيَّامُ^(٣)

ومنه قول أسماء بن خَارِجَةَ: (الكامل)

وَرَأَيْتُ حَقًّا أَنْ أُضَيِّفَهُ إِذْ رَامَ سِلْمِي وَاتَّقَى حَرْبِي^(٤)

أما (يقينًا)، و (قطعًا) و (كَلًّا) فليس لها تمثيل في (الأصمعيّات) حسبما علمت.

١٣- عَلِيَّ عَهْد:

والجمع عُهْدٌ، وقد عَهَدَ إِلَيْهِ عَهْدًا، والعَهْدُ: المَوْثِقُ واليمين يحلف بها الرَّجُلُ، والجمع كالجمع تقول: عَلِيَّ عَهْدُ اللَّهِ وميثاقه، وأخذتُ عليه عهدَ اللَّهِ وميثاقه، وتقول: عَلِيَّ عَهْدُ اللَّهِ لأفعلن كذا^(٥)، هذا التّركيب ليس له تمثيل في الأصمعيّات.

١٤- أَيَمَنُ اللَّهُ:

جاء في (لسان العرب): "يَمَنَ وَيَمَّنَ جاء عن يمين، واليَمِينُ: الحَلْفُ، والقَسَمُ أنثى، والجمع أَيَمْنٌ وأَيْمَانٌ"^(٦)، ويقول الجوهريّ: "وأيمنُ الله اسم وُضِعَ للقسم هكذا بضمّ الميم والنون، وألفه ألف وصل عند أكثر النحويّين، ولم يجئ في الأسماء ألف وصل مفتوحة غيرها قال: وقد تدخل عليه اللام لتأكيد الابتداء تقول: لَيَمُنُ اللهُ، فتذهب الألف في الوصل"^(٧). وهذه الصّيغة ليس لها تمثيل في ديوان (الأصمعيّات) كما سبقت الإشارة.

١٥- أَحْلَفَ بِاللَّهِ:

ذكر عبد القاهر الجرجانيّ أنّه لا يجوز لك أن تقول: أحلف بالله، حتّى تقول: لأفعلن، كما لم يَجُزْ أن تقول: زيد، قاصدًا الإخبار، حتّى تقول: منطلق^(٨). وإن دلّ هذا الكلام على شيء فأبّه يدلُّ على افتقار جملتي القسم والجواب كلُّ إلى الأخرى كافتقار ركني الجملة الاسميّة أحدهما إلى

(١) شرح الرّضويّ على الكافية: ٣١٩/٤.

(٢) الهمزة: ٤/١٠٤.

(٣) الأصمعيّات: ص ٢٠٧، رقم ٢٣ (الزيادات من الكتابين).

(٤) نفسه: ص ٥٦، رقم ٣٣.

(٥) لسان العرب: ٣١٤٨/٤.

(٦) نفسه: ٤٩٦٩/٦.

(٧) الصّحاح: ٧١/٧.

(٨) انظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ٨٦٢.

الآخر، حتَّى يتمَّ المعنى باجتماع الجملتين لفظاً أو تقديرًا، وافتقار القسم إلى الجواب والعكس إنَّما يُذكَرُ الدَّارس بافتقار جملة الشرط إلى الجواب والعكس.

فالجرجانيُّ يوجب الإتيان بالمقسم عليه، فنقول: أحلف بالله لأفعلن؛ لأنَّك لم تقصد الإخبار بالحلف فقط، وإنَّما قصدت أن تخبر بأمر، نحو: لأفعلن. وهذه الصيغة ليس لها تمثيل في ديوان (الأصمعيَّات) أيضًا.

١٦ - جِير:

جاء في (شرح الكافية): "يُقال: (جير لأفعلن) بالكسر والفتح، فيُستغنى عن ذكر المقسم به بـ(جير) وبـ(لا جرم)، و(جير): حرف بمعنى (نعم)، لا اسم بمعنى (حقًّا)؛ لأنَّ كلَّ موضع وقعت فيه (جير) يصلح أن يُوقَّع فيه (نعم)، وليس كلُّ موضع وقعت فيه (جير) يصلح أن يُوقَّع فيه (حقًّا)، فالحاقها بـ(نعم) أولى، وأيضًا فإنَّها أشبه بـ(نعم) لفظًا واستعمالًا؛ ولذلك بُنيت، ولو وافقت (حقًّا) في الاسمِيَّة لأعربت، ولجاز أن يصحبها الألف واللام كما أن (حقًّا) كذلك"^(١)، ومثَّل لها ابن مالك بقول الشَّاعر:

قالوا فُهِرَتْ فَقُلْتُ جَيْرٍ لِيَعْلَمَنْ عَمَّا قَلِيلٍ أَيُّهَا الْمَقْهُورُ^(٢)

وذكر السيوطيُّ أنَّها تُغني عن القسم، وهي مكسورة الرَّاء؛ لالتقاء الساكنين، ويفتح تخفيفًا^(٣).

هذا ولم أقف على تمثيل لها في (الأصمعيَّات) كذلك.

(١) انظر: شرح الكافية الشافية: ٨٨٢/٢-٨٨٣.

(٢) البيت من الكامل، وهو بلا نسبة في شرح الكافية الشافية: ٨٨٢/٢، وهمع الهوامع: ٤٠٦/٢، لم أقف على قائله.

(٣) انظر: همع الهوامع: ٤٠٦/٢.

المبحث الثالث: أحكام القسم

- جواب القسم:

لننأمل معاً قول الرّضي: "واعلم أنّ الجملتين، أعني القسم والجواب، كالشّروط والجزاء، صارتا بقرينة القسم كجملة واحدة"^(١).

والقسم لا بدّ له من جواب، جاء في كتاب (اللّامات)^(٢): "ولا بدّ للقسم من جواب، وجوابه في النّفي (ما) و(لا) وفي الإيجاب (إنّ) واللّام، وأمّا الجواب بـ(ما) و(لا) فقولنا: والله لا يقوم زيد، والله ما يقوم زيد، وأمّا الجواب في الإيجاب، فنحو قول الله - تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾"^(٣)، وقوله - تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ...﴾"^(٤).

يعلّل الرّجائي ذلك بقوله: "ولا بدّ للقسم من جواب؛ لأنّه به تقع الفائدة ويتمّ الكلام؛ ولأنّه هو المحلوف عليه، ومحال ذكر حلف بغير محلوف عليه"^(٥).

جاء في (شرح الكافية): "اعلم أنّ جواب القسم: إمّا اسميّة أو فعليّة، والاسميّة إمّا مثبتة، أو منفيّة، فالمثبتة تُصدّر بـ(إنّ) مشدّدة، أو مخفّفة، أو باللّام، وهذه اللّام (لام) الابتداء المفيدة للتأكيد، لا فرق بينها وبين (إنّ)، إلّا من حيث العمل، وإنّما أُجيب القسم بهما لأنّهما مفيدان للتأكيد الذي لأجله جاء القسم، واللّام الدّاخلية بعد (إنّ) المكسورة، في الأصل لام الابتداء، أيضاً، كما يجيء في باب (إنّ)، فلا تدخل هذه اللّام، أعني (لام) جواب القسم إلّا على ما تدخل عليه اللّام الواقعة بعد (إنّ)، ومذهب الكوفيّين أنّ اللّام في مثل، لزيد قائم، جواب القسم أيضاً، والقسم قبله مقدّر"^(٦).

- الصّور التي يكون عليها جواب القسم^(٧):

جواب القسم أو ما يُعرف بالمقسم عليه هو جملة مؤكّدة بالقسم، يمكن أن تأتي على مجموعة من الصّور أو التراكيب، منها:

(١) شرح الرّضي على الكافية: ٣٠٨/٤.

(٢) انظر: اللّامات: ٨١.

(٣) العصر: ٢/١٠٣.

(٤) الأنبياء: ٥٧/٢١.

(٥) اللّامات: ٨٥.

(٦) شرح الرّضي: ٣٠٨/٤-٣٠٩.

(٧) انظر: شرح التّسهيل: ٢٠٣/٣-٢١٢، والمساعد: ٣١٣/٢-٣٢٢، وشفاء العليل في إيضاح التّسهيل:

١٩٥-٦٨٩/٢.

أ- تُصَدَّرُ فِي الْإِثْبَاتِ بِلَامٍ مَفْتُوحَةٍ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ جُمْلَةً اسْمِيَّةً، كَقَوْلِهِ - تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾^(١).

يقول السيوطي: "وهذه اللام تسمى: الموطئة؛ لأنها وطأت الجواب للقسم المذكور قبلها؛ أي: مهدته له، والمؤذنة؛ لأنها آذنت بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط؛ أي: أعلمت بذلك، ويجوز حذفها ما دام لم يحذف القسم"^(٢)، ومنه قوله - تعالى: ﴿وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾^(٣)، ومنه في (الأصمعيّات) قول أبي النّشاشيّ النّهشليّ: (الطّويل)

فَلَمُوتٍ خَيْرٌ لِلْفَتَىٰ مِنْ قَعُودِهِ فَقَيْرًا وَمِنْ مَوْلَىٰ تَدْبُ عَقَابِرُهُ^(٤)

جاء في (شرح المفضليّات للتبريزي): "الفاء للاستئناف، واللام جواب يمين مضمرة"^(٥)، ومنه قول صخر بن عمرو بن الشريد: (الطّويل)

وَلَمُوتٍ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَانَتْهَا مُعْرَسٌ يَعْسُوبُ بِرَأْسِ سِنَانٍ^(٦)

ب- تُصَدَّرُ فِي الشَّرْطِ الْاِمْتِنَاعِيِّ بـ(لو، أو لولا)، وورد ذلك في بيت واحد هو قول مقاس العائديّ: (الطّويل)

فَوَاللّٰهِ لَوْ أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ لَمْ يَكُنْ بِفِلْجٍ عَلَىٰ أَنْ يَسْبِقَ الْخَيْلَ قَادِرًا^(٧)

يمكن أن يتصدر جواب القسم بـ(لولا) ولكن هذه الصّورة ليس له تمثيل في (الأصمعيّات).
ت- تصدّر الجواب بـ(إنّ) المتقلّة أو المخفّفة، ومثال ما صدرّ فيه جواب القسم بـ(إنّ) من القرآن الكريم قوله - تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٨)، فقالت الملائكة للوط - عليه السلام: وَحَيَاتِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ إِنَّ قَوْمَكَ لَفِي ضَلَالَتِهِمْ، وقيل: الخطاب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنه أقسم بحياته، وما أقسم بحياة أحد قطّ كرامة له^(٩).

(١) مريم: ٧٠/١٩.

(٢) انظر: همع الهوامع: ٤٥٠/٢.

(٣) الضحى: ٤/٩٣.

(٤) (الأصمعيّات): ص ١٣٢، رقم ٥، جاء في (شرح الحماسة للأعلم) ٦٣٢/٢: "يقول: إذا لم يكن للمرء مال ولا حميم يصله ويغنيه، فالموت خير له".

(٥) شرح المفضليّات: ١٠٤٥/٣.

(٦) (الأصمعيّات): ص ١٦٤، رقم ٦.

(٧) نفسه: ص ٦٧، رقم ٤. فلج: اسم موضع.

(٨) الحجر: ٧٢/١٥.

(٩) انظر: الكشاف: ٤١٤/٣.

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ تَصَدَّرُ جَوَابَ الشَّرْطِ بِـ(إِنَّ) المَثْقَلَةَ فِي (الأصمعيّات) قول شِمْرَ بنِ عَمْرٍو الحَنَفِيِّ:
(الكامل)

غَضْبَانُ مُمْتَلِنًا عَلَيَّ إِهَابُهُ إِنِّي وَرَبِّكَ سُخْطُهُ يُرْضِيْنِي^(١)

يُلاحَظُ هُنَا أَنَّ القِسْمَ تَوَسَّطَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ هُمَا: اسْمُ (إِنَّ) وَخَبْرُهَا، حَيْثُ وَقَعَ جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا التَّرْكِيبَ جَائِزٌ؛ أَيُّ: الفِصْلُ بِالقِسْمِ؛ لِأَنَّهُ زَائِدٌ مُؤَكِّدٌ فَلَمْ يُنْمَعِ الفِصْلُ بِهِ، وَأَمَّا تَصَدُّرُهُ بِـ(إِنَّ) المَخْفَفَةَ فَلَيْسَ لَهُ تَمَثِيلٌ فِي (الأصمعيّات).

ث- وَقَدْ يَتَصَدَّرُ جَوَابَ القِسْمِ بِالنَّفْيِ، وَمِنْ أَدْوَاتِ النَّفْيِ الَّتِي يُصَدَّرُ بِهَا: (مَا)، أَوْ (إِنَّ)، أَوْ (لَا)، كَقَوْلِكَ: وَاللَّهِ مَا زَيْدٌ قَائِمٌ، وَاللَّهِ إِنْ زَيْدٌ قَائِمٌ، وَاللَّهِ لَا زَيْدٌ قَائِمٌ وَلَا عَمْرٍو.

ج- وَجَاءَ الجَوَابُ مُصَدَّرًا بِ(مَا) النَّافِيَّةِ، وَذَلِكَ فِي مَوَاضِعٍ، مَرَّةً فِي القِسْمِ الصَّدْرِيحِ، وَأُخْرَى فِي القِسْمِ غَيْرِ الصَّدْرِيحِ، وَمِثَالُ الأَوَّلِ: قول عَلْبَاءَ بنِ أَرْقَمَ بنِ عوفٍ: (الطَّوِيلُ)

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ أَمِنْ خَمَرٍ يَأْتِي الضَّلَالُ أَمْ اتَّخَمُ^(٢)

ومِثَالُ الأُخْرَى: قول عَمْرٍو بنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ: (الوَافِرُ)

لَعَمْرُكَ مَا ثَلَاثُ حَائِمَاتٍ عَلَيَّ رُبْعٌ يَرِغَنُ وَمَا يَرِيعُ^(٣)

بِنِظَرَةٍ تَأْمُلِيَّةٍ فِي المِثَالَيْنِ السَّابِقَيْنِ يُلاحَظُ أَنَّ جَوَابَ القِسْمِ جَاءَ مُصَدَّرًا بِ(مَا) النَّافِيَّةِ، فِي حِينٍ لَمْ يَرِدْ- وَلَوْ مِثَالٌ وَاحِدٌ- فِي (الأصمعيّات) كَوْنِ جَوَابِ القِسْمِ وَقَعَ مُصَدَّرًا بِ(لَمْ)، وَإِنْ دَلَّ هَذَا عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ (مَا) آكَدٌ مِنْ (لَمْ)؛ لِأَنَّ القِسْمَ وَجَوَابَهُ تَوَكِيدٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ الفُرُوقِ الَّتِي سَجَّلَهَا بَعْضُ النُّحَاةِ بَيْنَ (مَا) وَ(لَمْ).

ح- وَيَتَصَدَّرُ فِي الطَّلَبِ بِفَعْلِ الطَّلَبِ، أَوْ بِأَدَاةِ الطَّلَبِ، أَوْ بِـ(إِلَّا)، أَوْ (لَمَّا) بِمَعْنَى (إِلَّا).

خ- وَإِنْ كَانَ الجَوَابُ مُضَارِعًا مُثَبِّتًا غَيْرَ مَنْفِيٍّ يَدُلُّ عَلَى الاستِقْبَالِ، غَيْرِ مَقْرُونٍ بِالسَّيْنِ أَوْ سَوْفَ، لَزِمَتْه اللَّامُ وَنَوْنُ التَّوَكِيدِ غَالِبًا التَّقْبِيلَةَ أَوْ الخَفِيفَةَ، كَقَوْلِ القَائِلِ: وَاللَّهِ لَيَقُومَنَّ زَيْدٌ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ النُّونِ التَّقْبِيلَةِ فِي (الأصمعيّات) قول الأَجْدَعِ بنِ مَالِكِ الهَمْدَانِيِّ: (الكامل)

وَلَقَدْ قَتَلْنَا مِنْ بَنِيكَ ثَلَاثَةً فَلَتَنُزَعَنَّ وَأَنْتَ غَيْرُ مُطَاعٍ^(٤)

(١) الأصمعيّات: ص ١٤٢، رقم ٤.

(٢) نفسه: ص ١٧٦، رقم ١١، ذكر محقق (الأصمعيّات) أَنَّ الرُّوَايَةَ الأوروْبِيَّةَ: "يَأْتِي الضَّلَالُ" وَهِيَ أَصْحُ، وَالرُّوَايَةُ فِي (الأصمعيّات) العَرَبِيَّةَ: الطَّلَالُ، وَلَيْسَ لَهَا مَعْنَى مُنَاسِبَةٌ فِي السِّيَاقِ.

(٣) نفسه: ص ١٩٥، رقم ٣٣ (الرِّيَادَاتُ مِنَ الكِتَابَيْنِ)، الثَّلَاثُ: نَوْقٌ ثَلَاثٌ. وَيَرِيعُ: يَعُودُ.

(٤) نفسه: ص ٨٠، رقم ٧، تَنْزَعُ: تَنْزَعُ عَنِ الحَرْبِ؛ يَرِيدُ أَنَّهُ لَنْ يَبْثُرَ لِأَوْلَادِهِ.

ومِنْ أَمْثَلَةِ النَّوْنِ الْخَفِيفَةِ قَوْلُهُ فِي نَفْسِ الْقَصِيدَةِ:

فَتَبْلُغُنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَمَذْحَجًا وَعُكَاظَ شَدَّتْنَا لَدَى الْإِفْلَاحِ^(١)

يقول الرّضي: "وَيُسْتَعْنَى كَثِيرًا عَنِ الْقِسْمِ بِجَوَابِهِ إِنَّ أُكِّدَ بِالنُّونِ، نَحْوُ: لِأَضْرِبَنَّكَ"^(٢)، هُنَا حُذِفَ أَرْكَانُ جُمْلَةِ الْقِسْمِ، وَأَبْقِيَ الْجَوَابَ مَقْتَرِنًا بِاللَّامِ، وَمُؤَكِّدًا بِالنُّونِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَقْسَمَ بِاللَّهِ لِتَبْلُغُنْ.

- جَوَازُ حُذْفِ أَدَاةِ الْقِسْمِ وَالْمَقْسَمِ بِهِ:

جَاءَ فِي (الْكِتَابِ): "وَسَأَلْتَهُ عَنِ قَوْلِهِ (لَتَفْعَلَنَّ) إِذَا جَاءَتْ مَبْتَدَأٌ لَيْسَ قَبْلَهَا مَا يُحْلَفُ بِهِ، فَقَالَ: إِنَّمَا جَاءَتْ عَلَى نِيَّةِ الْيَمِينِ وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِالْمَحْلُوفِ بِهِ"^(٣).

ويقول ابن جنّي: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ اللَّامُ إِذَا وَلِيَتْ الْمُسْتَقْبَلَ فَلِحَقَّتْهُ النَّوْنُ لَمْ تَأْتِ إِلَّا عَلَى نِيَّةِ الْقِسْمِ، قَالَ سَبْيُوهُ: "سَأَلْتُ الْخَلِيلَ عَنِ (لِيَفْعَلَنَّ) إِذَا جَاءَتْ مَبْتَدَأً"، فَقَالَ: "هِيَ عَلَى نِيَّةِ الْقِسْمِ فَكَأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ عَلَى هَذَا: "لَأَضْرِبَنَّكَ"، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: وَاللَّهِ لِأَضْرِبَنَّكَ، وَإِذَا قُلْتَ: لِيَنْطَلِقَنَّ زَيْدٌ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: وَاللَّهِ لِيَنْطَلِقَنَّ زَيْدٌ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾^(٤)؛ أَي: وَاللَّهِ لَتَعْلَمَنَّ"^(٥).

- اجْتِمَاعُ الشَّرْطِ مَعَ الْقِسْمِ:

جَاءَ فِي (شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ) يَتَحَدَّثُ عَنِ اجْتِمَاعِ الشَّرْطِ مَعَ الْقِسْمِ: "فَإِذَا اجْتَمَعَ شَرْطٌ وَقِسْمٌ حُذِفَ جَوَابُ الْمَتَأَخَّرِ مِنْهُمَا لِذِلَالَةِ جَوَابِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ؛ فَتَقُولُ: إِنَّ قَامَ زَيْدٌ وَاللَّهِ يَقُمُ عَمْرُو، فَتَحْذِفُ جَوَابَ الْقِسْمِ لِذِلَالَةِ جَوَابِ الشَّرْطِ عَلَيْهِ، وَتَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّ يَقُمُ زَيْدٌ لِيَقُومَنَّ عَمْرُو، فَتَحْذِفُ جَوَابَ الشَّرْطِ لِذِلَالَةِ جَوَابِ الْقِسْمِ عَلَيْهِ"^(٦).

يقول الزُّرْكَشِيُّ: "الْقِسْمُ وَالشَّرْطُ يَدْخُلُ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخِرِ، فَإِنْ تَقَدَّمَ الْقِسْمُ وَدَخَلَ الشَّرْطُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَوَابِ كَانَ الْجَوَابُ لِلْقِسْمِ، وَأَغْنَى عَنِ جَوَابِ الشَّرْطِ، وَإِنْ عَكَسَ فَبِالْعَكْسِ وَأَيُّهُمَا تَصَدَّرَ كَانَ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَالْجَوَابُ لَهُ، وَمِنْ تَقَدُّمِ الْقِسْمِ قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿...لَيْسَ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ...﴾^(٧)، تَقْدِيرُهُ: وَاللَّهِ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ، فَاللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الشَّرْطِ لَيْسَتْ بِلَامِ الْقِسْمِ وَلَكِنَّهَا زَائِدَةٌ وَتَسْمَى الْمَوْطِئَةَ لِلْقِسْمِ، وَيَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّهَا مُؤَدِّنَةٌ بِأَنَّ جَوَابَ الْقِسْمِ مُنْتَظَرٌ؛ أَي: الشَّرْطُ لَا يَصِلِحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا؛ لِأَنَّ

(١) نفسه: ص ٨٢، رقم ٢١، مَذْحَج: اسم موقع. وعكاظ: اسم موضع تُقام فيه سوق مشهورة.

(٢) شرح الرّضي على الكافية: ٣١٨/٤.

(٣) الكتاب: ١٠٦/٣.

(٤) سورة: ص: ٨٨/٣٨.

(٥) سرُّ صناعة الإعراب: ٣٩٦/١.

(٦) شرح ابن عقيل: ٤٤/٤.

(٧) مريم: ٤٦/١٩.

الجواب لا يكون إلا خبراً، وفي بيت الشعر المذكور يُلاحظ أنّ القسم مقدّر وتقديره: والله لقد فُجِعُوا...

في (الأصمعيّات) اجتمع الشرط بـ(إن) مع القسم في عدد من الأبيات، وأكتفي هنا بذكر مثال واحد فقط، وهو قول عبد الله بن عَمَمَةَ: (الوافر)

فَإِنْ تَجَزَعِ عَلَيْهِ بَنُو أَبِيهِ لَقَدْ فُجِعُوا وَفَاتَهُمْ خَلِيلٌ^(١)

قوله: (فجعوا وفاتهم خليل) جواب للشرط المتقدم على القسم، وجواب القسم محذوف لدلالة جواب الشرط عليه.

- اجتماع الشرط بـ(لو) مع القسم:

اتَّخَذَ هذا التَّرْكِيبَ في (الأصمعيّات) صورتين: الأولى: تقدّم القسم على الشرط، ولم يفت سيبويه الحديث عن هذه المسألة، حيثُ عقد باباً بعنوان: باب الجزاء إذا كان القسم في أوله^(٢)، لكنّ الكلام الفصل تجده عند ابن مالك عند حديثه عن اجتماع القسم والشرط، يقول: "وإذا اجتمع شرط وقسم استُعْنِيَ بجواب ما سبق منهما عن جواب الآخر"^(٣)، مِنْ أَمَثَلَتِهِ في (الأصمعيّات) قول مَقَّاسِ العَائِدِيِّ: (الطَّوِيل)

فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ امْرَأَ القَيْسِ لَمْ يَكُنْ بِفُلْجٍ عَلَى أَنْ يَسْبِقَ الخَيْلَ قَادِرًا^(٤)

الجواب جاء في البيت التّالي، وهو قوله: "لَقَاطُ أَسِيرًا أَوْ لِعَالِجِ طَعْنَةً"^(٥)، وجاء جملة فعلية مقرونة باللّام، فعلها ماضٍ، وذكر ابن جنّي أنّ (لَقَمْتُ) من قولك: "والله لو قمت لَقَمْتُ" جواب للقسم، وقد تحذف هذه اللّام مِنْ بعد (لو) إذا لم يكن القسم ظاهراً^(٦)، وَمِنْ أَمَثَلَتِهِ تقدّم القسم على الشرط قول سَعْدَى بنتِ الشَّمْرَدِيلِ الجُهَيْتِيَّةِ: (الكامل)

وَلَقَدْ بَدَأَ لِي قَبْلُ فِيمَا قَدْ مَضَى وَعَلِمْتُ ذَاكَ لَوْ أَنَّ عِلْمًا يَنْفَعُ^(٧)

(١) الأصمعيّات: ص ٤٢، رقم ٩.

(٢) انظر: الكتاب: ٨٤/٣.

(٣) شرح الكافية الشّافية لابن مالك: ١٦١٥/٣.

(٤) الأصمعيّات: ص ٦٧، رقم ٤. فُلْجٌ: اسم موضع.

(٥) هذا صدر بيت لمقّاس العائدي وعجزه:

يَرَى خَلْفَهُ مِنْهَا رَشَاشًا وَقَاطِرًا

(٦) سرُّ صناعة الإعراب: ٣٩٣-٣٩٤.

(٧) الأصمعيّات: ص ١١٥، رقم ٤.

(لو) هنا امتناعية؛ لأنها باشرت (أن)، ويُلاحظ هنا مسألة أخرى: تتمثل في أن جواب (لو) محذوف، التقدير: لو أن علماً ينفع لعلمته.

الصورة الأخرى: تقدّم الشرط على القسم، ورد ذلك في بيت واحد أيضاً، هو قول سَهْم بن حَنْظَلَةَ الغنوي: (البسيط)

يَصَلُونَ نَارِي وَأَحْمِيهَا لِغَيْرِهِمْ وَلَوْ أَشَاءُ لَقَدْ كَانُوا لَهَا حَطْبًا^(١)

هنا سبق الشرط القسم، جاء في (رصف المباني) معلقاً على الموضع الثالث من مواضع اللام المفردة غير الزائدة وغير العاملة: "يجوز حذف جملة جواب القسم، وتبقى جملة الجواب باللام لتدلّ على ذلك... وإذا دخلت هذه اللام على الماضي المتصرف، فلا تكون إلا جواب قسم"^(٢). وبناءً على ذلك يمكن تقدير جملة القسم ب: والله لقد كانوا لها حطباً. فاللام لتأكيد وتمكين المعنى في النفس.

يُلاحظ وجود مسألة أخرى في البيت المذكور تتمثل في أن (لو) جاءت غير امتناعية، حيث جاء فعل الشرط مضارعاً متعلقاً بالمستقبل، وجاءت جملة الجواب مشفوعة بالقسم.

- اللام الموطئة للقسم:

جاء في (الجنى الداني): اللام الموطئة: وهي الداخلة على أداة الشرط، في نحو: والله لئن أكرمتني لأكرمئك، فإن كان القسم مذكوراً لم تلزم، وإن كان محذوفاً لزم غالباً، نحو: ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم...﴾^(٣)، وإنما سميت هذه اللام موطئة؛ لأنها وطأت للجواب، وتسمى أيضاً: المؤذنة، وقولهم: إنها موطئة للقسم، فيه تجوُّز، وإنما هي موطئة لجواب القسم، وأكثر ما تكون مع (إن) الشرطية^(٤)، وجاء في (مغني اللبيب) في وصفها: "اللام الداخلة على أداة شرط للإيدان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط، ومن ثم تسمى اللام المؤذنة وتسمى الموطئة أيضاً؛ لأنها وطأت الجواب للقسم؛ أي: مهّدته له، وأكثر ما تدخل على (إن)"^(٥)، ومثال مجيء اللام الموطئة لجواب القسم مع القسم المذكور قول كَعْب بن سَعْدٍ: (الطويل)

لِعُمري لئن كانت أصابت مُصيبةً أخي والمنايا للرجال شُغوب^(٦)

(١) نفسه: ص ٦٠، رقم ٢٢.

(٢) انظر: رصف المباني: ١١٢-١١٣.

(٣) الحشر: ١٢/٥٩.

(٤) انظر: الجنى الداني: ١٣٦.

(٥) مغني اللبيب: ٢٧٣/٣.

(٦) الأصمعيّات: ص ١٠٨، رقم ٥. شُغوب: الشعوب: المفارقة؛ أراد أن الموت يفرق بين الرجال.

يعلّق ابن جنيّ على (اللّام) في قوله- تعالى: ﴿وَلَسْنَا لَنُذْهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾^(١) بقوله: "ليست اللّام في (لئن) بجواب القسم إنّما الجواب (لنذهبن)، وعليه وقع الحلف، واللّام في (لئن) إنّما هي زائدة مؤكّدة، يدلّك على أنّ اللّام الأولى زائدة وأنّ اللّام الثّانية هي الّتي تلقّت القسم"^(٢)، مثال مجيء اللّام الموطّئة لجواب القسم مع حذف القسم قول خُفاف بن نُذبة: (الكامل)

فَلئن صرمتِ الحبلِ يا ابنةَ مالكٍ والرأيُ فيه مخطيءٌ ومُصيبٌ^(٣)

جاء في (الكتاب): "ألا ترى أنّك تقول: لئن أتيتني لا أفعل ذاك؛ لأنّها لام قسم، ولا يحسن في الكلام: لئن تأتيتي لا أفعل؛ لأنّ الآخر لا يكون جزءاً"^(٤)، ويقول خالد الأزهريّ: "اللّام في (لئن) موطّئة للقسم، وفي (لقد) جواب القسم؛ هذا هو المعتمد؛ ولا التقات لغيره"^(٥). في البيت يُلاحظ -بناءً على كلام الأزهريّ- أنّ (لام) (لئن) موطّئة لقسم محذوف، والتقدير: والله لئن، و(إن) شرط وجوابه (فتعلّمي) في البيت التّالي^(٦)، وليس للقسم جواب بل حذف؛ لدلالة جواب الشرط عليه. وإذا كان للمقسم عليه جواب شرط مستقبل مسبوق بقسم ملفوظ أو مقدّر فُرنت الأداة الشرطيّة (إن) أو غيرها بـ(لام) مفتوحة، نحو قوله- تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون...﴾^(٧)، وهذه اللّام تسمّى: الموطّئة؛ لأنّها وطّأت الجواب للقسم المذكور قبلها؛ أي: مهّدته له، والمؤنّدة؛ لأنّها أدنت بأنّ الجواب بعدها مبنيّ على قسم قبلها لا على الشرط؛ أي: أعلمت بذلك ويجوز حذفها ما دام لم يحذف القسم^(٨)، منه قوله- تعالى: ﴿وللآخر خيرٌ لك من الأولى﴾^(٩)، مثاله من (الأصمعيّات) قول الأسعر الجعفيّ: (الكامل)

ولقد علّمتُ على تجشّمي الرديّ أن الحصون الخيلُ لا مدّرُ القرى^(١٠)

(١) الإسراء: ٨٦/١٧.

(٢) سرُّ صناعة الإعراب: ٣٩٦/١.

(٣) الأصمعيّات: ص ٣٢، رقم ٣.

(٤) الكتاب: ٨٤/٣.

(٥) شرح النصريح: ١١١/١.

(٦) البيت التّاليّ قوله: فتعلّمي أنّي امرؤٌ ذو مرّةٍ فيما ألمّ من الخطوب صليب

(٧) الأحزاب: ٦٠/٣٣.

(٨) انظر: همع الهوامع: ٤٥٠/٢.

(٩) الضحى: ٤/٩٣.

(١٠) الأصمعيّات: ص ١٥٨، رقم ٧.

ذهب سيبويه - رحمه الله - وتبعه المحقق الرضوي، وجمهرة النحاة، إلى أن (علم) في هذه الشواهد كلها قد خرجت عن معناها الأصلي، ونزلت منزلة القسم، وما بعدها جملة لا محل لها من الإعراب جواب القسم الذي هو (علمت)، حينئذ تخرج عما البحث بصدده، فلا تقتضي معمولاً، ولا تتصف بالغاء ولا تعليق ولا إعمال، علق سيبويه على بيت لبيد على: (الكامل)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ تَأْتِيَنَّ مَنِّيَّ إِنَّ الْمَنَائِيَا لَا تَطْيِشُ سِهَامُهَا^(١)

بقوله: "كأنه قال: والله لتأتين مني، كما قال: لقد علمت لعبد الله خير منك"^(٢)، وقال الرضوي: "فإنما أجرى (لقد علمت) مجرى القسم؛ لتأكيد الكلام؛ لأن فيه اللام المفيدة للتأكيد مع (قد) المؤكدة، وفي علمت معنى التحقيق"^(٣).

منه قول سعدى بنت الشمرذل الجهنية: (الكامل)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عَلِمًا نَافِعٌ أَنْ كُلُّ حَيٍّ ذَاهِبٌ فَمُودَعٌ^(٤)

مما يؤكد أن (لقد) لها علاقة بألفاظ القسم، ورودها في الاستعمال اللغوي مقرونة بأحد ألفاظ القسم، منها (لعمري) كما في قول صخر بن عمرو بن الشريد: (الطويل)

لَعَمْرِي لَقَدْ أَيَقُظْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ^(٥)

- رأي النحويين في لام (لقد):

اختلفوا على رأيين: الأول للبصريين، يقولون: هذه لام الابتداء، والآخر للكوفيين، حيث يعتبرونها جواباً للقسم، جاء في (شرح الرضوي على الكافية): "مذهب الكوفيين أن اللام في مثل، لزيد قائم، جواب القسم أيضاً، والقسم قبله مقدر، فعلى هذا ليس في الوجود عندهم لام الابتداء... ورد عليهم بقوله: "إن الأولى كون اللام في: لزيد قائم: لام الابتداء مفيدة للتأكيد، ولا نقدر القسم كما فعله الكوفيّة؛ لأن الأصل عدم التقدير، والتأكيد المطلوب من القسم: حاصل من اللام"^(٦).

(١) البيت للبيد في ديوانه: ص ١١١، الشطر الثاني موافق لما في الديوان، وأما الشطر الأول فهكذا:

صَادِقْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصْبَنَهَا

(٢) انظر: الكتاب: ١١٠/٣.

(٣) انظر: شرح الرضوي على الكافية: ٣٠٩/٤.

(٤) الأصمعيّات: ص ١١٥، رقم ٧.

(٥) نفسه: ص ١٦٤، رقم ٥.

(٦) شرح الرضوي على الكافية: ٣٠٩/٤.

أمّا نحو: لقد سمع الله، ولزيد قائم، فلم يقد دليل على كونهما جوابي القسم، خلافاً للكوفيّين، وقد يقوم مقام القسم: حقاً، وبيّناً، وقطعاً، وما أشبهها، نحو: حقّاً لأفعلن^(١).

يطلق ابن جنّي على اللّام التي في (لقد) لام القسم، يقول: "وأما اللّام غير العاملة، فلام القسم وتدخل من الأفعال في موضعين: أحدهما الماضي، والآخر المستقبل، فأما الماضي، فقولك: والله لقد قمت، وقوله - تعالى: ﴿قَالُوا تَاللّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا...﴾^(٢)، وربما حذفت اللّام، قال الله - تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٣)؛ أي: لقد أفلح من زكّاه^(٤).

جاء في (رصف المباني)^(٥): "ويجوز حذف جملة القسم، وتبقى جملة الجواب باللّام لتدلّ على ذلك، ومثّل له بقول القائل: "ولقد قلتُ للنُّعمانِ لَمَّا لقيتهُ"^(٦)، جاء في موضع آخر^(٧): "وإذا دخلت هذه اللّام على الماضي المتصرّف، فلا تكون إلا جواب قسم؛ لأنّه لا يشبه الاسم من جهة شبه الفعل للاسم، فلا تكون إلا لام ابتداء"، وجاء في موضع ثالث^(٨): "ألا ترى أنّ هذه اللّام جاءت في القسم تارة وحذفت أخرى". جاء في (الجنى): "وأما المقرون بـ(قد) نحو: لقد قام زيد، فالذي ذكره المعربون أنّها لام جواب القسم، وأجاز بعضهم أنّ تكون لام الابتداء، قلت: وقد نصّوا على دخولها على الماضي المقرون بـ(قد) بعد (إنّ)، وخالف في ذلك خطّاب الماردي^(٩)، فقال: إنّ اللّام في نحو: إنّ زيدا لقد قام، جواب قسم محذوف^(١٠).

بناءً على رأي الكوفيّين يمكن التّدايل على حذف فعل القسم والمقسم به وحرف القسم مع بقاء الجواب مقروناً بـ(لقد)؛ ليكون دليلاً على باقي أركان القسم المحذوفة، حيث وردت هذه الصّورة في (الأصمعيّات) بشكل واضح ملموس، اتّخذت صوراً منها:

(١) انظر: نفسه: ٣١٩/٤.

(٢) يوسف: ٩١/١٢.

(٣) الشّمس: ٩/٩١.

(٤) سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جنّي، (ت: ٣٩٢هـ) تحقيق: حسن هندويّ، دار القلم، دمشق، (د. ط)، ١٤٠٥هـ، ج ١، ص ٣٩٢-٣٩٤.

(٥) انظر: رصف المباني: ٣١٢-٣١٣.

(٦) هذا صدر بيت للتّابغة الدّيبانيّ على الطّويل، في ديوانه، تحقيق: شكري فيصل، بيروت، ١٣٨٧هـ، وعجزه:

يُرِيدُ بَنِي جُنِّ بِبُرْقَةٍ صَادِرٍ

(٧) انظر: رصف المباني: ٣١٣.

(٨) نفسه: ٣١٤.

(٩) المارديّ: خطّاب بن يوسف بن هلال القرطبيّ أبو بكر: كان من جلة النّحاة ومحقّقيهم والمتقدّمين في المعرفة بعلوم اللّسان على الإطلاق، وله حظٌّ من قرض الشّعْر، وهو صاحب كتاب (التّرشيح)، مات بعد الخمسين والأربعمئة. انظر: بغية الوعاة: ٥٥٣/١.

(١٠) انظر: الجنى الدّاني: ١٢٥-١٢٦.

أ- جاءت (لقد) متصدرة دون عاطف في خمسة مواضع، منها قول كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ: (الطَّوِيل)

لَقَدْ كَانَ أَمَا جِلْمُهُ فَمُرُوحٌ عَلَيْنَا وَأَمَا جَهْلُهُ فَعَزِيبُ^(١)

وقوله:

لَقَدْ عَجَمْتُ مِنِّي الْمُصِيبَةَ مَا جِدًّا عَرُوفًا لِرَيْبِ الدَّهْرِ حِينَ يَرِيبُ^(٢)

وقوله:

لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى عَلَى يَوْمِهِ عِلْقُ إِلَيَّ حَبِيبُ^(٣)

ب- جاءت (لقد) متوسطة دون عاطف مرتين، منه قول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّةَ: (الوافر)

فَإِنْ تَجَزَعُ عَلَيْهِ بَنُو أَبِيهِ لَقَدْ فَجِعُوا وَفَاتَهُمْ خَلِيلُ^(٤)

ت- وجاءت (لقد) متصدرة مقرونة بالواو ست عشرة مرة، أذكر منها قول خُفَّافِ بْنِ نُذْبَةَ: (الكامل)

وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْغَيْثَ يَدْفَعُ مَنَكِبِي طِرْفًا كَسَافِلَةَ الْقَنَاةِ ذُنُوبُ^(٥)

ومنه قول الْمُنَخَّلِ بْنِ عَامِرِ الْيَشْكُرِيِّ: (مرقل الكامل)

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْقَنَاةِ الْخِذْرَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ^(٦)

ومنه قوله:

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَا مَةَ بِالْقَلِيلِ وَبِالكَثِيرِ^(٧)

ومنه قول بَشْرِ بْنِ سَوَادَةَ فِي يَوْمِ ذِي قَارِ: (الكامل)

وَلَقَدْ أَمَرْتُ أَخَاكَ عَمْرًا أَمْرَةً فَعَصَى وَضَيَّعَهُ بِذَاتِ الْعُجْرُمِ^(٨)

(١) الأصمعيّات: ص ١٠٨، رقم ٦.

(٢) نفسه: ص ١٠٩، رقم ٨، يُقال: عجمتُ العود أعجمه عجمًا، إذا عضضته لتسبُر صلابته من رخاوته...وعروفاً: صبوراً.

(٣) نفسه: ص ١١٠، رقم ٢١، العلق: النَّفِيس؛ يعني أخاه، صيره كالعلق النَّفِيس في البضاعة.

(٤) نفسه: ص ٤٢، رقم ٩.

(٥) نفسه: ص ٣٣، رقم ١٠، الغيث: النَّبَات الَّذِي يَنْبِتُهُ الْمَطْر. وَالطَّرْف: الفرس الكريم. وسافلة القناة: القسم الأسفل من الرَّمح. والذُّنُوب: شعر الذَّنْب الوافر.

(٦) نفسه: ص ٧٠، رقم ١٣، جاء في (شرح الحماسة للأعلم) ٥٢٧/١: "الخذر: هنا البيت، وأصله اليهودج... والمطير: ذو المطر. وألذ أيام اللّهُو أيام الدجن والمطر".

(٧) نفسه: ص ٧٢، رقم ٢٣، جاء في (شرح الحماسة للأعلم) ٢٢١/١: "المُدامة: الخمر القديمة؛ لأنّها أديمت في ذاتها؛ وأراد بالصَّغِير وبالكبير قليل الماء وكثيره".

(٨) نفسه: ص ٩٣، رقم ١، جاء في (الاختيارين) ص ١٨٤: "أَي: أمرته بما ينبغي... وذات العُجْرُم: أرض تتببت العجْرُم؛ وإنّما أراد أن يبيّن لها أين كان الضّياع.

ومنه قول مُهْلَهْل بن ربيعة: (الكامل)

وَلَقَدْ وَطِئْتَنَ بِيُوتَ يَشْكُرَ وَطَاءَةً
أَخْوَانِنَا وَهُمْ بَنُو الْأَعْمَامِ^(١)

ومنه قول عَلْبَاءِ بْنِ أَرْقَمَ بْنِ عَوْفٍ: (الكامل)

وَلَقَدْ رَأَيْتُ ثَأْيَ الْعَشِيرَةِ بَيْنَهَا
وَكَفَيْتُ جَانِبَهَا اللَّتْيَا وَالَّتْيَا^(٢)

ومنه قول أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ: (الكامل)

وَلَقَدْ أَلَمَّ بِنَا لِنَفْرِيهِ
بَادِي الشَّقَاءِ مُحَارِفُ الْكَسْبِ^(٣)

ومنه قول الْأَجْدَعِ بْنِ مَالِكِ الْهَمْدَانِيِّ: (الكامل)

وَلَقَدْ بَلَ جُعَلُ الْمَخَازِي بِأَسْنَا
وَمُحَالِنَا فِي كَبَّةِ الْوَعْوَاعِ^(٤)

ث- وجاءت (لقد) متوسطة مقرونة بالواو مرتين، ومنه قول الْأَجْدَعِ بْنِ مَالِكِ الْهَمْدَانِيِّ: (الكامل)

وَلَقَدْ شَدَدْتُمْ شَدَّةً مَذْكُورَةً
وَلَقَدْ رَفَعْتُمْ ذِكْرَكُمْ بِيَفَاعِ^(٥)

ومنه قول سَعْدَى بْنِ الشَّمْرَدَلِ الْجُهَيْنِيِّ: (الكامل)

جَادَ ابْنُ مَجْدَعَةَ الْكَمِيِّ بِنَفْسِهِ
وَلَقَدْ يَرَى أَنَّ الْمَكْرَ لِأَشْنَعِ^(٦)

ج- وجاءت (لقد) متوسطة مقرونة بالفاء مرتين، منه قول أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ: (الكامل)

وَأَظْنُهُ شَغْبًا تُدِلُّ بِهِ
فَلَقَدْ مُنِيتُ بِغَايَةِ الشَّغْبِ^(٧)

(١) نفسه: ص ١٧٤، رقم ٨.

(٢) نفسه: ص ١٨٠، رقم ٩، جاء في (هامش) الأَصْمَعِيَّاتِ الْمَصْرِيَّةِ ص ١٦٢: رُأِبْتُ: أَصْلَحْتُ. وَالثَّأْيُ: الْفَسَادُ.

وَاللَّتْيَا: تَصْغِيرُ النَّتْيِ، جَعَلَهُمَا اسْمَيْنِ لِلْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ مِنَ الدَّوَاهِي، وَلِهَذَا اسْتَعْنِيَ عَنِ الصَّلَةِ. قَالَه النَّبْرِيّ.

(٣) نفسه: ص ٥٤، رقم ١٨، ذكر ذنباً طرقه ليلاً.. وقوله: مُحَارِفُ الْكَسْبِ، مثل ضربه؛ أَي: لَا يَبْقَى لَهُ نَشَبٌ إِلَّا شَيْءٌ يَكْتَسِبُهُ.

(٤) نفسه: ص ٨٣، رقم ٣١. الْجُعَلُ: حَيَوَانٌ كَالْخُنْفَسَاءِ يَكْثُرُ فِي الْمَوَاضِعِ النَّدِيَّةِ، وَالْجُعَلُ أَيْضًا الْأَسْوَدُ الدَّمِيمُ.

وَالْمَخَازِي جَمْعُ مَخْرَازَةٍ، وَهِيَ الدُّلُّ وَالْهَوَانُ. وَبِالْبَاسِ الشَّدِيدِ فِي الْحَرْبِ. وَالْكَبَّةُ: التَّقَاءُ الْخَيْلِ فِي الْحَرْبِ.

وَالْوَعْوَاعُ: الصَّوْتُ وَالْجَلْبِيَّةُ فِي الْحَرْبِ، وَالْوَعْوَاعُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ.

(٥) نفسه: ص ٨٢، رقم ٢٠، الْيِفَاعُ: الْجَبَلُ الْعَالِي.

(٦) نفسه: ص ١١٥، رقم ١٢، ابْنُ مَجْدَعَةَ: أَخُوهَا لِأُمِّهَا، وَهِيَ جُهَيْنَةٌ، وَهُوَ هَذَا. وَالْكَمِيُّ: الشَّدِيدُ الَّذِي يَكْمِي

عَدُوَّهُ؛ أَي: يَقْمَعُهُ. وَالْمَكْرُ: مَوْضِعُ الْكُرِّ، وَهُوَ الْمَعْرَكَةُ. وَالْأَشْنَعُ: الشَّنِيعُ.

(٧) نفسه: ص ٥٥، رقم ٢٤، وَالْمَعْنَى: إِنْ كَانَ تَعْرُضُكَ شَغْبًا عَلَيْنَا فَقَدْ مُنِيتُ بِغَايَةِ الشَّغْبِ؛ أَي: أَنَّنَا نُنَافِرُكَ

وَنَقَاتُكَ وَلَيْسَ هَاهُنَا مَا تَغَيَّرَ عَلَيْهِ.

- وقوع لا النافية في أسلوب القسم:

القارئ لكتاب الله - عزَّ وجلَّ - يلاحظ ذلك بوضوح في كثير من الآيات، من ذلك قوله - تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(١)، وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ...﴾^(٢). من النحاة من اعتبر أن (لا) زائدة للتأكيد، يقول الزمخشري: "إدخال (لا) على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم... وفائدتها توكيد القسم"^(٣).
هذه الصورة لم أقف لها على تمثيل في (الأصمعيّات).

(١) البلد: ١/٩٠.

(٢) النساء: ٦٥/٤.

(٣) انظر: الكشّاف: ٢٦٥/٦-٢٦٦.

الفصل السّابع

ظاهرة المستثنى في ديوان (الأصمعيّات)

ويشتمل على ما يأتي:

- توطئة

- الاستثناء لغة واصطلاحًا

المبحث الأوّل: الاستثناء وأدواته، وفيه:

- حقيقة الاستثناء

- مكونات جملة الاستثناء

- أدوات الاستثناء:

أوّلاً: الاستثناء بـ(إلا)

ثانيًا: الاستثناء بـ(سوى)

ثالثًا: الاستثناء بـ(غير)

رابعًا: الاستثناء بـ(عدا، خلا، حاشا)

خامسًا: الاستثناء بـ(ليس، ولا يكون)

المبحث الثّاني: مسائل متفرّقة، وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: مسائل متفرّقة لها علاقة بالاستثناء

المطلب الثّاني: ألفاظ أُحقت بالاستثناء

توطئة

الاستثناء ظاهرة لغوية لها حضورها في اللغة العربية بشكل لا يماثلها فيه كثير من اللغات، تأمل معي ما يقوله (برجشتراسر) عند حديثه عن الاستثناء: "وقد وضعت العربية القواعد الدقيقة للاستثناء، وأكثرت من حروفه، وفرقت بينها في بعض الأحوال، فصار الاستثناء فيها باباً مستقلاً بنفسه، لا يماثلها فيه إحدى سائر اللغات السامية"^(١).

يُعتقد أنّ مسألة من مسائل الاستثناء كانت سبباً ودافعاً من الدوافع التي دفعت شيخ النحاة (سيبويه) لطلب علم النحو والاهتمام به، وتناقل النحاة من الروايات التي ربما تؤكد صحة هذا الاعتقاد، يقول ابن هشام: "وهذه المسألة كانت سبب قراءة سيبويه النحو، وذلك أنه جاء إلى حماد ابن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قوله - صلى الله عليه وسلم -^(٢): "ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء"، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فصاح به حماد: لحنْتَ يا سيبويه، إنّما هذا استثناء، فقال سيبويه: والله لأطلينّ علماً لا يلحنني معه أحد، ثم مضى ولزم الخليل وغيره"^(٣).

من النحاة من خصّص باباً للاستثناء كسيبويه، ومنهم من لم يخصّص له باباً، كما فعل المرادي في (الجنى الداني)، وابن هشام في (مغني اللبيب)؛ لأنّهما كتاباً حروف، حيث جاءت مسأله متفرقة في ثنايا مؤلفاتهم.

أطلق سيبويه على هذا الباب اسم (الاستثناء)^(٤)، وأطلق ابن مالك عليه اسم (المستثنى)، ووافق السبويّ ابن مالك في هذه التسمية، وآثرت أن أطلق على هذا الفصل الأخير من فصول هذا البحث ما اختاره ابن مالك والسبويّ وابن عقيل في (المساعد)؛ ذلك لأنّ تفسير السبويّ لهذه التسمية منطقيّ، حيث يقول: "عبّرتُ بالمستثنى كابن مالك في (النسهيل) خلاف تعبير النحاة بالاستثناء؛ لأنّ الباب للمنصوبات، والمستثنى أحدها، لا الاستثناء، كما ترجم في بقية الأبواب بالمفعول والحال دون المفعوليّة والحاليّة"^(٥).

(١) التطور النحويّ للغة العربية: ١٧٦.

(٢) لم يتسنّ لي الوقوف على هذا القول في مصنفات الحديث الشريف.

(٣) انظر: مغني اللبيب: ٣/٥٥٧ - ٥٥٨، ويغية الوعاة: ١/٥٤٨.

(٤) انظر: الكتاب: ٢/٣٠٩.

(٥) انظر: همع الهوامع: ٢/١٨٥.

- الاستثناء لغة:

جاء في (شرح المفصل): "اعلم أنّ الاستثناء استفعال من ثناه عن الأمر يثنيه إذا صرفه عنه، فالاستثناء: صرف اللفظ عن عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول"^(١). وجاء في كتاب (الكليات): "الاستثناء في اللغة: المنع والصدرف... ولفظ الاستثناء يُطلق على فعل المتكلم وعلى المستثنى وعلى نفس الصيغة"^(٢).

- الاستثناء اصطلاحًا:

عرّفه أبو عليّ الشلوبيّ بقوله: "الاستثناء في الأصل: إخراج بعض من كلّ بأداة من الأدوات المذكورة في هذا الباب"^(٣). وعرّفه النيليّ بقوله: "هو إخراج شيء من الحكم على أكثر منه بـ(إلا) أو ما في معناها من الأسماء والأفعال والحروف"^(٤).
عرّفه أبو حيان بقوله: "المستثنى: هو المنسوب إليه خلاف المسند للاسم الذي قبله بواسطة(إلا) أو ما في معناها"^(٥). وعرّفه المراديّ بقوله: "هو إخراج بـ(إلا) أو إحدى أخواتها، تحقيقًا أو تقديرًا... والمراد بالمُخرَج تحقيقًا: المتصل، وبالمُخرَج تقديرًا: المنقطع"^(٦). وعرّفه ابن عقيل بقوله: "هو المُخرَج تحقيقًا أو تقديرًا من مذكور أو متروك بـ(إلا) أو ما بمعناها بشرط الفائدة"^(٧).
من هنا يتّضح ومن خلال التعريفات السابقة أنّ الاستثناء يعني: إخراج ما بعد أداة الاستثناء من حكم ما قبلها، أو هو إخراج الاسم الواقع بعد أداة الاستثناء من الحكم أو المعنى المستفاد ممّا قبل أداة الاستثناء، ويستخلص الباحث تعريفًا من هذه التعريفات يعتقد أنّه يحمل معظم مضامينها، وهو: إخراج ما بعد (إلا) أو إحدى أخواتها من حكم ما قبلها.

(١) انظر: شرح المفصل: ٧٥/٢-٧٦، والصفوة الصّفية في شرح الدّرة الألفيّة: ٥٢٧/٢.

(٢) الكليات: ٩١/١.

(٣) التّوطئة: ٣٠٨.

(٤) الصفوة الصّفية في شرح الدّرة الألفيّة: ٥٢٧/٢.

(٥) انظر: ارتشاف الضّرب: ١٤٩٧/٣.

(٦) الجنى الدّاني: ٥١١.

(٧) المساعد: ٥٤٨/١.

المبحث الأول: الاستثناء وأدواته

- حقيقة الاستثناء:

يقول ابن يعيش: "وحقيقته، تخصيص صفة عامّة، فكلُّ استثناء تخصيص، وليس كلُّ تخصيص استثناء، فإذا قلت: قام القوم إلا زيداً، تبين بقولك: (إلا زيداً) أنّه لم يكن داخلاً تحت الصّدْر... وهذا معنى قول النّحويين: الاستثناء إخراج بعض من كلِّ، أو إخرجه ممّا يتناوله الصّدْر"^(١)، وجاء في كتاب (الكليات): "والمراد من قولهم: إنّ الاستثناء حقيقة في المتّصل، مجاز في المنقطع صيغ الاستثناء، وأمّا لفظ الاستثناء فحقيقة اصطلاحية في القسمين بلا نزاع"^(٢).

- مكونات جملة الاستثناء:

تتكوّن جملة الاستثناء من ثلاثة أركان رئيسة، هي:

- أ- المستثنى منه: هو ما وقع إثبات الحكم له أو نفيه عنه.
- ب- الأداة: هي التي تُخرج عنصراً أو أكثر من الحكم الذي وقع على المستثنى منه.
- ج- المستثنى: هو العنصر الذي وقع إخرجه من الحكم العام.

- أدوات الاستثناء^(٣):

قسّمها النّحاة إلى حروف وأفعال وأسماء، هذا ما سيّضح من خلال استعراض أقوال النّحاة ومناقشتها على النّحو الآتي:

أولاً: الاستثناء بـ(إلا)

(إلا) حرف استثناء، هذا هو المشهور^(٤)، يقول ابن يعيش: و(إلا) أمّ حروف الاستثناء، وهي المستولية على هذا الباب، فد(إلا) تخرج الثّاني ممّا دخل في الأوّل، فهي شبه حرف النّفي، فقولنا: قام القوم إلا زيداً، بمنزلة قام القوم لا زيد"^(٥).
والاستثناء بـ(إلا) قسمان: التّام، والمفرّغ.

١- التّام: هو ما كان فيه المستثنى منه موجوداً، نحو قولك: تفتّحت الأزهار إلا زهرةً، وينقسم إلى قسمين أيضاً: التّام المتّصل، والتّام المنقطع^(٦).

(١) شرح المفصّل: ٧٥/٢-٧٦.

(٢) الكليات: ٩١/١.

(٣) انظر: التّوطئة: ٣٠٨.

(٤) انظر: الجنى الدّاني: ٥١٠.

(٥) شرح المفصّل: ٧٦/٢-٧٧.

(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٣٨/٤.

أ- التَّامُّ المتَّصل: هو ما كان المستثنى جزءاً من المستثنى منه، نحو: نجح الطلاب إلا طالباً.
ب- التَّامُّ المنقطع: هو ما كان المستثنى ليس جزءاً من المستثنى منه، نحو: دخل الضيوف القاعة إلا سيَّاراتهم. يقول ابن عقيل: "فإن وقع بعد تمام الكلام الذي ليس بموجب وهو المشتمل على النفي أو شبهه، والمراد بشبهه النفي: النهي والاستفهام، فإما أن يكون الاستثناء متصلاً أو منقطعاً، والمراد بالمتَّصل: أن يكون المستثنى بعضاً ممَّا قبله، وبالمنقطع: ألا يكون بعضاً ممَّا قبله" (١). ومن النُّحاة (٢) من قسَّم التَّامُّ إلى: التَّامُّ الموجب، والتَّامُّ المنفي.

أ- التَّامُّ الموجب: ما كان فيه المستثنى منه موجوداً، وجملة الاستثناء مثبتة، نحو: أثمرت الأشجار إلا شجرة.

ب- التَّامُّ المنفي: ما كان فيه المستثنى منه موجوداً، وجملة الاستثناء غير مثبتة؛ أي: مسبوقه بنفي أو شبهه، نحو: ما أثمرت الأشجار إلا شجرة.

- حكم الاستثناء التَّامُّ:

جاء في (شرح ابن عقيل): "وحكم المستثنى ب(إلا) النَّصب إن وقع بعد تمام الكلام الموجب سواء كان متصلاً أو منقطعاً" (٣). وجاء في موضع آخر من (الكتاب) نفسه: فإن كان متصلاً جاز نصبه على الاستثناء وجاز إتباعه لما قبله في الإعراب وهو المختار، والمشهور أنه بدل من متبوعه (٤). وعقد سيبويه باباً سمَّاه: "ما يكون المستثنى فيه بدلاً ممَّا نفي عنه ما أدخل فيه، وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ إلا زيدٌ، وما مررتُ بأحدٍ إلا زيدٌ، وما رأيتُ أحدًا إلا زيدًا، جعلت المستثنى بدلاً من الأول، فكأنك قلت: ما مررتُ إلا بزيدٍ، وما أتاني إلا زيدٌ، وما لقيتُ إلا زيدًا، كما أنك إذا قلت: مررتُ برجلٍ زيدٍ، فكأنك قلت: مررتُ بزيدٍ، فهذا وجه الكلام أن تجعل المستثنى بدلاً من الذي قبله؛ لأنك تدخله فيما أخرجت منه الأول" (٥).

من أمثلة الاستثناء التَّامُّ المنفي المتَّصل قول العباس بن مرداس: (الطَّويل)

وَلَكِنَّهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ فَلَا تَرَى مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا فِي الْمَضَاعِفِ لَابِسًا (٦)

فجملة الاستثناء منفيّة، والمستثنى منه موجود؛ لأنَّ اللابس واحد من (القوم) الذي وقع مستثنى منه، منه قول ضابئ بن الحارث البُرْجُمي: (الطَّويل)

(١) شرح ابن عقيل: ٢/٢١٢.

(٢) انظر: الصَّفوة الصَّفيّة: ٢/٥٣٢.

(٣) انظر: شرح ابن عقيل: ٢/٢٠٩-٢١٠.

(٤) نفسه: ٢/٢١٢.

(٥) انظر: الكتاب: ٢/٣١١.

(٦) الأصمعيّات: ص ٢٣١، رقم ٢٣ (الزيادات من الكتابين)، في (الاختيارين) ص ٧٣٨: "الفارسي: السَّلاح؛ أراد الدُّروع".

مُخَفَّفَةٌ لَا يَهْتَدِي لِفَلَاتِهَا مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا مَنْ مَضَى وَتَوَكَّلَا^(١)

فجملة الاستثناء منفية، والمستثنى منه موجود؛ لأنَّ (مَنْ) يشير إلى أحد (القوم) الذي وقع مستثنى منه؛ وفي مثل هذه الأمثلة يجوز لنا النَّصْب على الاستثناء، أو الإتيان على البذل. إذا سُبقت أداة الاستثناء بكلمة (أحد) فالاستثناء تامٌّ، كما هو معلوم من استعمالات العرب للاستثناء في كلامهم، مثال ذلك مِنْ (الأصمعيّات) قول أَعْشَى بَاهِلَةَ عامر بن الحَارِث: (البيسط) لَمْ تَرِ أَرْضٌ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا بِهَا مِنْ نَوَادِي وَقَعِهِ أَثْرُ^(٢)

٢ - الاستثناء المفرغ:

هو ما لم يُذكر فيه المستثنى منه، نحو: ما حضر إِلَّا ضيفٌ، ولا تلعب إِلَّا مع عليٍّ، يُلاحظ هنا أَنَّ الاستثناء المفرغ لا يكون إِلَّا في غير الموجب؛ أي: المسبوق بنفي أو شبهه. من المعاني التي يفيدها الاستثناء المفرغ: القصر، يقول المبرد: "وإنما احتجت إلى النَّفي والاستثناء؛ لأنَّك إذا قلت: جاءني زيد، فقد يجوز أن يكون معه غيره، فإذا قلت: ما جاءني إِلَّا زيد، نفيت المجيء كَلَّهُ إِلَّا مجيئه"^(٣).

من هنا يتضح أَنَّ الاستثناء المفرغ تكون فيه جملة الاستثناء فاقدة لأحد مكوناتها - المستثنى منه محذوف - وتكون مسبوقه بالنفي أو شبهه، في هذه الحالة يُعرب الاسم الواقع بعد (إِلَّا) حسب موقعه في الجملة، وكأنَّ (إِلَّا) لم تكن موجودة.

أما بالنسبة للتسمية فسُمِّيَ مفرغًا؛ لأنَّ جملة الاستثناء خالية من المستثنى منه، وما قبل الأداة تفرغ للعمل فيما بعدها، يقول ابن عقيل: "إذا تفرغ سابق إِلَّا لِمَا بعدها؛ أي: لم يشغل بما يطلبه كان الاسم الواقع بعد إِلَّا معربًا بإعراب ما يقتضيه ما قبل إِلَّا قبل دخولها، وذلك نحو: ما قام إِلَّا زيدٌ، وما ضربت إِلَّا زيدًا، وما مررت إِلَّا بزيد، ف(زيد) فاعل مرفوع ب(قام)، وزيدًا منصوب ب(ضربت)، و(بزيد) متعلق ب(مررت) كما لو لم تذكر (إِلَّا)"^(٤).

في (الأصمعيّات) ورد الاستثناء المفرغ في اثني عشر موضعًا، واعتمد على ألفاظ النَّفي الصَّريح في عشرة مواضع منها، في حين ورد معتمدًا على ألفاظ النَّفي الضَّمْنِيّ مرتين، من أمثلة الاستثناء المفرغ بالنفي الصَّريح قول سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرَّيَّاحِي: (الوافر)

(١) نفسه: ص ١٩٨، رقم ١٠ (الزيادات من الكتابين)، يخفق فيها السراب؛ أي: يضطرب.

(٢) نفسه: ص ١٠٣، رقم ١٢، بوادي كل شيء: ظواهره، ورد في (خزانة البغدادي) ١/١٩٨: "نوادي كل شيء بالثون: أوائله وما ندر منه، واحده: نادية. والوقع: الثَّرول".

(٣) المقتضب: ٤/٣٨٩.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل: ٢/٢١٨.

وَأَيُّ لَا يَعُودُ إِلَيَّ قَرْنِي غَدَاةَ الْغَيْبِ إِلَّا فِي قَرِينِ^(١)

(في) هنا بمعنى (مع)؛ أي: (مع قَرِينِ) التي يمكن تأويلها بمشتق؛ أي: إلا قريناً، لتصبح حالاً مِنْ (قَرْنِي) الأولى، منه قول خُفَّافِ بْنِ نُدْبَةَ: (الطَّوِيل)

وَلَمْ أَرْهَأْ إِلَّا تَعْلَةَ سَاعَةٍ عَلَى سَاجِرٍ أَوْ نَظْرَةً بِالْمُشْرِقِ^(٢)

ومنه قول دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ: (الطَّوِيل)

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ^(٣)

هذا استثناء مفرغ؛ لأنَّ الجملة منفيّة، والمستثنى منه غير موجود، وإذا أردت أن تتحقّق مِنْ أنَّ الاستثناء مفرغ، قم بحذف أداة النفي الموجودة في الجملة وأداة الاستثناء، فستجد معنى الجملة مستقيماً، والمعنى في البيت السابق: يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ ضَحَى الْغَدِ، منه قول العَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: (الطَّوِيل)

إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحِ نُكْرُهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسًا^(٤)

وقول المُتَمِّسِ يَعَاتِبُ خَالَهُ الْيَشْكِرِي: (الطَّوِيل)

تُعَيِّرُنِي أُمِّي رِجَالٌ وَلَنْ تَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكْرَمًا^(٥)

ومنه قوله:

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَهْ أُخْرَى فَأَصْبِحَ أَجْذَمًا^(٦)

كما اعتمد الاستثناء المفرغ على ألفاظ النفي الصريح، فقد اعتمد على النفي الضمني مُسْتَحْدِمًا ألفاظاً تحمل معنى النفي، منها: بَسَلٌ، وقليل، جاء في (الاختيارين): "بسَلٌ: حرام؛ أي: كأنه محرّم عليهم ألا يوجد منهم، إلا هكذا"^(٧). مِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَيْهِ قَوْلِ الْمُفَضَّلِ النُّكْرِيِّ: (الوافر)

(١) الأصمعيّات: ص ٢١، رقم ٣، جاء في (خزانة الأدب للبغدادي) ٢٥٩/١: "القرن: الكفاء في الشجاعة".

(٢) نفسه: ص ٢٤، رقم ٥، التعلّة: ما يتعلّل به ويثلهي. والساجر: الماء. والمشرق: سوق بالطائف.

(٣) نفسه: ص ١٢٠، رقم ١٤، المنعرج: المنعطف. واللوى: موضع المعركة.

(٤) نفسه: ص ٢٣٠، رقم ١٥ (الزيادات من الكتابين)، العوايس: الكوالج؛ وأراد الجهد والتعب.

(٥) نفسه: ص ٢٤٤، رقم ١ (الزيادات من الكتابين).

(٦) نفسه: ص ٢٤٥، رقم ١١ (الزيادات من الكتابين)، الأجدم: المقطوع إحدى يديه. يقول: "لو هجوت قومي كنت كمن قطع يده بيده الأخرى".

(٧) انظر: الاختيارين ص ٢٤٩، ولسان العرب: ٢٨٥/١.

وَبَسَلٌ أَنْ تَرَى فِيهِمْ كَمِيًّا كَبَا لِيَدَيْهِ إِلَّا فِيهِ فُوقٌ^(١)

هنا اعتمد سياق الكلام على النفي. جاء في كتاب (الكليات): "الاستثناء المفرغ لا يكون في الموجب وإنما يكون مع النفي أو النهي أو المؤول بهما، فإن جاء ما ظاهره خلاف ذلك يؤول"^(٢)، من أمثلة النفي المؤول قول عروّة بن الزرد: (الطويل)

قَلِيلَ التَّمَّاسِ الْمَالِ إِلَّا لِنَفْسِهِ إِذَا هُوَ أَضْحَى كَالْعَرِيشِ الْمَجُورِ^(٣)

يُلاحظ على هذا البيت وجود احتمالين: الأول: أن تكون (إلا) بمعنى (غير)، والمعنى: إن التماس المال لغير نفسه قليل، هذا إذا كانت (غير) غير استثناء، وما يؤيد صحة هذا الاحتمال أن سيبويه عقد باباً سماه: "باب ما يكون فيه (إلا) وما بعده وصفاً بمنزلة (مثل)، و(غير)"^(٤)، والاحتمال الآخر: أن (قليل) تحمل معنى النفي، والمعنى: ما التماس المال إلا لنفسه. يقول الرضي: "يجوز في (إلا) أن تكون للاستثناء، وما بعدها بدل مما قبلها؛ لأن في (قليل) معنى النفي"^(٥).

من خلال الأمثلة يتضح أنه إذا جاء بعد أداة الاستثناء شبه جملة أو جملة اسمية أو فعلية يكون الاستثناء مفرغاً.

- ورود (يأبى) مع (إلا):

يعتبر الفراء أن دخول (يأبى) على (إلا) في قوله - تعالى: ﴿... وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ...﴾^(٦) من الاستثناء المفرغ؛ لأنه يرى أن في (يأبى) شيئاً من النفي، ولولا النفي لما جاز دخول (إلا)، ويعلق الفراء على الآية الكريمة بقوله: "دخلت (إلا)؛ لأن في (أبيت) طرفاً من الجحد؛ ألا ترى أن (أبيت) كقولك: لم أفعل، فإنه بمنزلة قولك: ما ذهب إلا زيد، ولولا الجحد إذ ظهر أو أتى الفعل محتملاً لضميره لم يجز دخول (إلا)؛ كما أنك تقول: ضربت إلا أخاك، ولا ذهب إلا أخوك"^(٧)، من أمثلة هذا التركيب في (الأصمعيّات) قول المتلمّس: (الطويل)

(١) الأصمعيّات: ص ٢٢٣، رقم ١٦ (الزيادات من الكتابين)، الفوق: محز رأس السهم حيث يوضع الوتر، وأراد السهم نفسه. جاء في (لسان العرب) ٣٦٣٤/٥: "قيل للشجاع: كمي؛ لأنه استتر بالدرع".

(٢) الكليات: ١٠٣٢/١.

(٣) الأصمعيّات: ص ٤٩، رقم ١٥، جاء في (هامش) الأصمعيّات المصرية ص ٤٥: "العريش: خيمة من جريد. والمجور: الساقط. يقول: "إذا شبع فملاً بطنه ألقى نفسه؛ كأنه عريش منهار".

(٤) انظر: الكتاب: ٣٣١/٢.

(٥) انظر: شرح الرضي على الكافية: ١٢٩/٢.

(٦) التوبة: ٣٢/٩.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٤٣٣/١.

وَهَلْ لِي أُمَّ غَيْرَهَا إِنْ تَرَكْتُهَا أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنَمَا^(١)

- الاستثناء بـ(إِلَّا) والوصف بها:

(إِلَّا) و(غير) تتبادلان الأدوار، جاء في (الصفوة الصدفية): "واعلم أن (غيراً) أصل الصفة، و(إِلَّا) أصل الاستثناء، ثمَّ يُسْتَنْثَى بـ(غير) حملاً على (إِلَّا)، ويُوصَف بـ(إِلَّا) حملاً على (غير)، فتقول: لو كان معنا رجلٌ إِلَّا زَيْدٌ لِنَفَعْنَا، وباب استعمال (إِلَّا) وصفاً غالباً أن يكون بعد جمع مُنْكَرٍ غير منحصر"^(٢).

ذكر النحاة أن (إِلَّا) قد تأتي صفة بمعنى (غير)، كما أن (غيراً) تأتي بمعنى (إِلَّا)، جاء في (شرح المفصل) لابن يعيش: "وقد حملوا (إِلَّا) على (غير) في الوصفية، فوصفوا بها وجعلوها وما بعدها تحلية للمذكور بالمغايرة، وأنه ليس إِيَّاهُ أو مِنْ صِفَتِهِ كصِفَتِهِ، ولا يراد بها إخراج الثاني ممَّا دخل في الأول، فتقول: جاءني القوم إِلَّا زَيْدًا، فيجوز نصبه على الاستثناء، ورفع على الصفة للقوم، وإذا قلت: ما أتاني أحدٌ إِلَّا زَيْدًا، جاز أن يكون (إِلَّا) وما بعدها بدلاً مِنْ أَحَدٍ، وجاز أن يكون صفة بمعنى (غير)"^(٣)، بناءً على ذلك يتبين أن (إِلَّا) لم تقع في (الأصمعيّات) بعد جمع مُنْكَرٍ غير منحصر، فلم تُسْتخدَم استخدام (غير).

ثانياً: الاستثناء بـ(سوى)

(سوى) فيها لغتان مع القصر: بكسر السّين وضمّها كما نصّ صاحب (التّوطئة)، يقول: "ومِنَ الأَسْمَاءِ: غير، وسوى، وسوى"^(٤). تماماً مثل رَضَى وَهُدَى. وقع الاستثناء في (الأصمعيّات) بالأولى؛ أي: بكسر السّين، أمّا اللّغة التّانية فليس لها تمثيل، ولم يرد ذكرها هناك.

تحدّث النحاة عن لغتين لها بالمدّ، ورد في (الصفوة الصّفيّة): المُشَبَّه بـ(إِلَّا) مِنَ الأَسْمَاءِ: (غير)، و(سواء) بالمدّ وفتح السّين، وكسر السّين مع المدّ قليل^(٥). في (الأصمعيّات) لم ترد (سواء) مكسورة السّين، بينما وقفت عليها مفتوحة السّين في موضعين^(٦) فقط، ليس فيهما معنى الاستثناء، وإنّما وردتا بمعنى: وسط الشّيء.

(١) الأصمعيّات: ص ٢٤٤، رقم ٣ (الزيادات من الكتابين).

(٢) الصفوة الصّفيّة في شرح الدرّة الألفيّة: ٥٣٠/٢، وهمع الهوامع: ٢٠٢/٢.

(٣) انظر: شرح المفصل: ٨٩/٢.

(٤) التّوطئة: ٣٠٨.

(٥) الصفوة الصّفيّة: ٥٣٧.

(٦) انظر: الأصمعيّات: ص ٢٣٧، رقم ٣٩، وص ٨٩، رقم ١٦.

- الاستثناء بـ(سوى) ثلاثة أقسام:

١- التام الموجب:

مثاله من (الأصمعيّات) قول أعشى بأهله، اسمه عامر بن الحارث: (البسيط)

لَا يُصْعِبُ الْأَمْرَ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتَمُرُ^(١)

هنا اجتمع مستثنيان: الأول: بـ(الآ)، وهو مفرغ؛ ذلك لأنّ جملة الاستثناء منفيّة، والمستثنى منه غير موجود، والآخر: استثناء بـ(سوى)، وهو تام موجب؛ لأنّ المستثنى منه موجود، وهو قوله: (كُلُّ أَمْرٍ)، والفحشاء واحدة من (كُلِّ أَمْرٍ)، ثمّ هو استثناء مثبت غير منفيّ، منه قول طرفة بن العبد: (الطويل)

تُعَيِّرُنِي طَوْفِي الْبِلَادِ وَرِحْلَتِي أَلَا رَبُّ دَارٍ لِي سِوَى حُرِّ دَارِكِ^(٢)

جملة الاستثناء مثبتة، والمستثنى منه موجود، هو قوله: (دار)؛ وهي تصدق على كلّ دار، وحُرُّ دارها؛ أي: وسطها جزء منها، والاستثناء وقع بـ(سوى)، منه قول ذرير بن الصّمّة: (الطويل)

وَكُلُّ تَبَارِيحِ الْمُحِبِّ لَقِيْتَهُ سِوَى أَنَّنِي لَمْ أَلِقَ حَتْفِي بِمَرْصَدِ^(٣)

كونه يلقي حتفه هذا جزء من تَبَارِيحِ الْمُحِبِّ؛ لأنّ الحبّ العاطفيّ ربّما يقتل صاحبه أحيانًا.

٢- التام المنفي:

منه قول ضابئ بن الحارث: (الطويل)

سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ: يَا لَيْتَ أَهْلَهَا بِهَا وَالْمُنَى كَانَتْ أَضَلَّ وَأَجْهَلًا^(٤)

يُلاحظ هنا أنّ البيت يحمل معنى الاستثناء التام بـ(سوى)، ووقع المستثنى منه في بيت سابق لهذا البيت، هو قوله:

(١) نفسه: ص ١٠٤، رقم ٢٢، أصعب الأمر: وجده صعبًا. جاء في (خزانة الأدب) ١/٢٠٠: "(كُلُّ): مفعول مقدّم لـ(يأتَمُر)؛ أي: يفعل كلّ خير ولا يدينو من الفاحشة".

(٢) نفسه: ص ١٦٦، رقم ٥، جاء في (الاختيارين): ١١٥: "حُرُّ الدَّار: أكرمها وأوسطها".

(٣) نفسه: ص ١١٩، رقم ٤، تباريح الشوق: توهجه. التَّبَارِيح: الشّدائد، مفردها: تَبْرِيح. والحتف: الموت. والمرصد: الطَّرِيق.

(٤) (الأصمعيّات): ص ١٩٧، رقم ٤ (الزيادات من الكتابين).

وَقَفْتُ بِهَا لَا قَاضِيًا لِي حَاجَةً وَلَا أَنْ تَبِينَ الدَّارُ شَيْئًا فَأَسْأَلُ^(١)

فَمِنَ المَلاحِظ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ قَبْلَ أَدَاةِ الِاسْتِثْنَاءِ كَلِمَةٌ: (شَيْءٌ، أَوْ حَاجَةٌ، أَوْ أَحَدٌ) يَكُونُ نَوْعَ الِاسْتِثْنَاءِ تَامًّا، وَحُكْمَ المِسْتَثْنَى بِـ(سَوَى) هُنَا جَوَازَ النِّصْبِ أَوْ الإِتْبَاعِ عَلَى البَدَلِيَّةِ؛ لِأَنَّ الجُمْلَةَ مَنفِيَّةً، مِنْهُ قَوْلُ عِلْبَاءَ بِنِ أَرْقَمَ بِنِ عَوْفٍ: (الطَّوِيلُ)

أَبُونَا وَلَمْ أَظْلِمَ بِشَيْءٍ عَمَلْتُهُ سَوَى مَا تَرَيْنَ فِي القَدَالِ مِنَ القَدَمِ^(٢)

ف(مَا) اسْمٌ مَوْصُولٌ بِمَعْنَى الَّذِي، وَهِيَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَالمِسْتَثْنَى مِنْهُ مَوْجُودٌ، هُوَ كَلِمَةٌ: (شَيْءٌ)، وَ(مَا) جِزْءٌ مِنَ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ قَوْلُ ضَابِيٍّ بِنِ الحَارِثِ: (الطَّوِيلُ)

إِذَا حَانَ فِيهَا وَقَعَةُ الرِّكْبِ لَمْ تَجِدْ بِهَا العِيسَ إِلاَّ جِلْدَهَا مُتَعَلِّلا^(٣)

فالعِيسُ مِسْتَثْنَى مِنْهُ، وَهُنَا لِكَ الخِيَارِ فِي أَنْ تَجْعَلَ مَا بَعْدَ (إِلاَّ) مَنصُوبًا عَلَى البَدَلِ أَوْ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ؛ لِأَنَّ جِلْدَهَا جِزْءٌ مِنْهَا.

٣- الِاسْتِثْنَاءُ المَفْرَعُ بِـ(سَوَى):

مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ المَفْرَعُ بِـ(سَوَى) قَوْلُ أَبِي الطُّفَيْلِ الكِنَانِيِّ (الطَّوِيلُ)

مُحِبٌّ كَأَحْبَابِ السَّقِيمِ وَمَا بِهِ سِوَى أَسْفِ أَنْ لَا يَرَى مَنْ يُشَاوِرُ^(٤)

ثَالِثًا: الِاسْتِثْنَاءُ بِـ(غَيْرِ)

جَاءَ فِي (الكِتَابِ): "وَكُلُّ مَوْضِعٍ جَازَ فِيهِ الِاسْتِثْنَاءُ بِـ(إِلاَّ) جَازَ بِـ(غَيْرِ)، وَجَرَى مَجْرَى الاسْمِ الَّذِي بَعْدَ إِلاَّ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ بِمَنْزِلَتِهِ، وَفِيهِ مَعْنَى (إِلاَّ)"^(٥)، وَأَجَازَ الفَرَاءُ أَنْ تَكُونَ (غَيْرِ) مَنصُوبَةً دَائِمًا إِذَا كَانَتْ فِي مَعْنَى (إِلاَّ) يَقُولُ: "وَبَعْضُ بَنِي أُسْدٍ وَقُضَاعَةٌ إِذَا كَانَتْ (غَيْرِ) فِي مَعْنَى (إِلاَّ) نَصَبُوهَا، تَمَّ الكَلَامُ قَبْلُهَا أَوْ لَمْ يَتَمَّ، فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنِي غَيْرُكَ، وَمَا أَتَانِي أَحَدٌ غَيْرُكَ"^(٦). وَبِالفِعْلِ فَإِنَّ (غَيْرِ) وَرَدَتْ مَنصُوبَةً فِي مَعْظَمِ الأَبْيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي (الأَصْمَعِيَّاتِ)، وَمِنْهَا وَرُودُ الِاسْتِثْنَاءِ بِهَا تَامًّا غَيْرِ مَوْجِبٍ، مِنْهُ قَوْلُ كَعْبِ بِنِ سَعْدِ العَنَوِيِّ: (الطَّوِيلُ)

(١) نَفْسُهُ: ص ١٩٧، رَقْمُ ٣ (الرِّيَادَاتُ مِنَ الكِتَابِينَ).

(٢) نَفْسُهُ: ص ١٧٥، رَقْمُ ٢، القَدَالُ: جَمَاعٌ مَوْخِرُ الرِّأْسِ.

(٣) نَفْسُهُ: ص ١٩٨، رَقْمُ ١٤ (الرِّيَادَاتُ مِنَ الكِتَابِينَ)، الوُقُوعَةُ: النُّومَةُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ. وَالعِيسُ: الإِبِلُ البَيْضَاءُ تَخَالَطُهَا شَقْرَةٌ يَسِيرَةٌ، الذَّكَرُ: أَعِيسٌ، وَالأُنْثَى: عِيسَاءٌ. وَمتَعَلَّلٌ مِنَ العِلَّةِ، وَهِيَ المَرَضُ.

(٤) (الأَصْمَعِيَّاتُ): ص ٩٢، رَقْمُ ٧، جَاءَ فِي (الاخْتِيَارِينَ) ٥٠٣: "مُحِبٌّ: مَلَقَ رَأْسَهُ".

(٥) انظُرْ: الكِتَابُ: ٣٤٣/٢.

(٦) مَعَانِي القُرْآنِ: ٣٨٢/١.

فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ طَالَ نَوْمُكَ فَارْتَحِلْ وَمَا ذَاقَ طَعْمَ النَّوْمِ غَيْرَ قَلِيلٍ^(١)

(غير) هنا بمعنى (إلا)، وهو استثناء متّصل، حيثُ استثنى القليل من طعم النوم الكثير، ولك فيها الخيار إمّا النّصب على الاستثناء، أو النّصب على البدل، ومنه قول أبي ذؤاد الإيادي: (الخفيف)

وَلَقَدْ رَأَيْتُ ابْنَ عَمِّي كَعْبٌ أَنَّهُ قَدْ يَرُومُ مَا لَا يُرَامُ^(٢)
غَيْرَ ذَنْبٍ بَنِي كِنَانَةَ إِنِّي إِنْ أَفَارِقُ فَإِنِّي مَجْذَامُ^(٣)

المستثنى منه هنا قوله (ما)، وهي نكرة بمعنى (شيء)، وأداة الاستثناء (غير)، وهي تعرب إعراب ما بعد إلا؛ أي: أنّها تحتل هنا وجهًا واحدًا، هو النّصب على الاستثناء؛ ذلك لأنّ جملة الاستثناء موجبة، والمستثنى منه موجود، وقوله:

وَهِيَ كَالْبَيْضِ فِي الْأَدَاحِيِّ مَا يُؤُ هَبُ مِنْهَا لِمُسْتَتَمِّ عِصَامُ^(٤)
غَيْرَ مَا طَيَّرَتْ بِأُوبَارِهَا الْفَقُّ رَرَةٌ فِي حَيْثُ يَسْتَهْلُ الْغَمَامُ^(٥)

ومنه قول الأسعر الجعفي: (الكامل)

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ غَيْرَ تَعْمُغِمِ حَكَ الْجَمَالِ جُنُوبَهُنَّ مِنَ الشَّدَى^(٦)

التمثيل فيه: نصب (غير) على الاستثناء المنقطع؛ لأنّ المستثنى (شكوى الموت) ليس جزءًا من المستثنى منه (التعميم)، ومنه قول ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمي: (الطويل)

وَكَرَّ وَمَا أَدْرَكَهُ غَيْرَ أَنَّهُ كَرِيمٌ عَلَيْهِ كِبْرِيَاءُ فَأَقْبَلَا^(٧)

(١) الأصمعيّات: ص ٨٩، رقم ١٥.

(٢) نفسه: ص ٢٠٦، رقم ١٣ (الزيادات من الكتابين).

(٣) نفسه: ص ٢٠٦، رقم ١٤ (الزيادات من الكتابين)، مجذام: قاطع ماضٍ.

(٤) نفسه: ص ٢٠٨، رقم ٣١ (الزيادات من الكتابين)، جاء في (لسان العرب) (تمم) ٤٤٨/١: "والمُسْتَتَمُّ في شعر أبي ذؤاد هو الذي يطلب الصّوف والوبر ليبيّن به نسج كسائه، والمؤهوب ثمة... والجمع يتمّ بالكسر: وهو الجزء من الصّوف أو الشعر أو الوبر... وكالبيّض؛ أي: هذه الإبل كالبيّض في الصيانة وقيل في الملاسة لا يوهب منها لمُسْتَتَمِّ؛ أي: لا يوجد فيها ما يوهب؛ لأنّها قد سمّنت وألقت أوبارها. والعصام: خيط الفزّة.

(٥) نفسه: ص ٢٠٨، رقم ٣٢ (الزيادات من الكتابين)، الفقرة: نبت. والغمام: المطر؛ أراد رعث الفقرة، فطارت أوبارها.

(٦) نفسه: ص ١٦٠، رقم ٢٠، التعميم: أصوات الفرسان في المعركة. والشّدأ: الذباب الأزرق يقع على الدّواب فيؤذيها، والواحدة: شذاة. جاء في (هامش) الأصمعيّات المصرية ص ١٤٢ نقلًا عن النسخة الشنقيطيّة في

معنى هذا البيت: "يستشفون بالموت كما تستشفي الإبل بالحقّ ممّا يؤذيها".

(٧) نفسه: ص ٢٠١، رقم ٣٣ (الزيادات من الكتابين).

ف(غير) هنا نُصِبَت على الاستثناء، فهو مِنَ المنفِي التَّام، مِنْ هنا يَتَّضِح أَنَّ (غيراً، وسوى) اسمان يفيدان الاستثناء، ويقومان مقام (إلا) وما بعدها، وهما مضافان وما بعدهما مضاف إليهما؛ أي: يأخذان إعراب الاسم الواقع بعد (إلا).

رابعاً: الاستثناء بـ(عدا، خلا، حاشا)

جاء في (المقتضب): "وأما (عدا) و(خلا) فهما فعلان ينتصب ما بعدهما، وذلك قولك: جاءني القوم عدا زيداً؛ لأنه لما قال: جاء القوم، وقع عند السامع أَنَّ بعضهم (زيداً)، فقال: عدا زيداً؛ أي: جاوز بعضهم زيداً، فهذه تقديره، إلا أَنَّ (عدا) فيها معنى الاستثناء وكذلك (خلا) مِنْ قولهم: خلا يخلو، وقد تكون (خلا) حرف خفض، فنقول: جاءني القوم خلا زيدٍ مثل سوى زيدٍ"^(١).

١ - عدا:

خلاصة كلام المبرد وردت في (الجنى الداني)، يقول المرادي: "(عدا) لفظ مشترك، يكون حرفاً، وفعلاً، وهو في الحالين مِنْ أدوات الاستثناء، فإذا كان حرفاً جرَّ المستثنى، وإذا كان فعلاً نصبه، فنقول: قام القوم عدا زيداً، بالنَّصْب والجرِّ، وتتعيَّن فعليته بعد ما المصدرية"^(٢)، والتزم سيبويه فعلية (عدا)، ولم يذكر أَنَّها تكون حرفاً؛ لأنَّ حرفيته قليلة، جاء في (الكتاب): "وأما (عدا) و(خلا) فلا يكونان صفة، ولكنَّ فيهما إضمار كما كان في (ليس) و(لا يكون)، وهو إضمارٌ قصَّته فيهما قصَّته في (لا يكون) و(ليس)، وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ خلا زيداً، وأتاني القومُ عدا عمراً، كأنَّك قلت: جاوز بعضهم زيداً، إلا أنَّ (خلا) و(عدا) فيهما معنى الاستثناء"^(٣).

٢ - خلا:

لفظ مشترك، يكون حرفاً مِنْ حروف الجرِّ، وفعلاً متعدِّياً، وهي في الحالين مِنْ أدوات الاستثناء، فإذا كانت حرفاً جرَّت الاسم المستثنى بها، نحو: قام القوم خلا زيدٍ، وإذا كانت فعلاً نصبت الاسم المستثنى بها، نحو: قام القوم خلا زيداً، وكلا الوجهين - أعني - الجرِّ والنَّصْب، ثابت بالثقل الصَّحيح عن العرب، وتتعيَّن فعليتها بعد (ما) المصدرية، نحو: قام القوم ما خلا زيداً"^(٤).

(١) انظر: المقتضب: ٤/٤٢٦.

(٢) انظر: الجنى الداني: ٤٦١.

(٣) انظر: الكتاب: ٢/٣٤٨.

(٤) انظر: الجنى الداني: ٤٣٦.

٣- حاشا:

جاء في كتاب (الكليات): "هي كلمة استعملت للاستثناء فيما يُزَرَّه عن المستثنى منه، كقولك: ضربت القوم حاشا زيدًا؛ ولذلك لم يحسن: (صلى الناس حاشا زيدًا) لفوات معنى التنزيه"^(١). وهي حرف جرّ عند سيبويه، يقول: "وأما (حاشا) فليس باسم، ولكنّه حرفٌ يجرُّ ما بعده كما تجرُّ (حتّى) ما بعدها، وفيه معنى الاستثناء، وبعضُ العرب يقول: ما أتاني القومُ خلا عبدِ الله، فيجعل (خلا) بمنزلة (حاشا)، فإذا قلت (ما خلا) فليس فيه إلاّ النصب؛ لأنّ (ما) اسمٌ ولا تكون صلّتها إلاّ الفعل هاهنا وفيه معنى الاستثناء"^(٢).

ويجعلها المبرّد تارة فعلاً وتارة أخرى حرفاً؛ لأنّه قد سُمع الجرُّ بها، وأمّا دليله على كونها فعلاً، دخول الحذف عليها، كما في: حاش لله، جاء في (المقتضب): "وما كان حرفاً سوى (إلاّ) فحاشا، وخلا، وما كان فعلاً فحاشا، وخلا وإنّ وافقاً لفظ الحروف"^(٣)، جاء في (الكشاف): "(حاشا) كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القوم حاشا زيدًا، وهي حرفٌ من حروف الجرِّ، فوضعتُ موضعَ التنزيه والبراءة"^(٤).

هذه الألفاظ الثلاثة (عدا، وخلا، وحاشا) لم أفد على تمثيل لها في (الأصمعيّات)، سواء مقرونة بـ(ما) المصدرية أو مجردة منها.

خامساً: الاستثناء بـ(ليس، ولا يكون)

من الأفعال المشبه بـ(إلاّ): (ليس) و(لا يكون)، كقولك: قام القوم إلاّ زيدًا، والتقدير: قام القوم ليس بعضهم زيدًا، جاء في (الكتاب): "إذا جاءتا وفيهما معنى الاستثناء فإنّ فيهما إضماراً، على هذا وقع فيهما معنى الاستثناء... وذلك قولك: ما أتاني القومُ ليس زيدًا، وأتوني لا يكون زيدًا، وما أتاني أحدٌ لا يكون زيدًا... فهذه حالهما في حال الاستثناء"^(٥).

يقول عنهما السيوطي: "من أدوات الاستثناء (ليس)، (ولا يكون)، وهي الناقصة، لا أخرى، ارتجلت للاستثناء، وينصبان المستثنى على أنّه خبر لهما، والاسم ضمير لازم الاستتار، نحو: قام القول ليس زيدًا، وخرج الناس لا يكون عمراً"^(٦).
الاستثناء بـ(ليس) و(ما يكون) ليس لهما تمثيل في (الأصمعيّات).

(١) انظر: كتاب الكليات: ٤٠٣/١.

(٢) انظر: الكتاب: ٣٥٠-٣٤٩/٢.

(٣) انظر: المقتضب: ٣٩١/١.

(٤) انظر: الكشاف: ٢٧٩/٣.

(٥) انظر: الكتاب: ٣٤٧/٢.

(٦) انظر: همع الهوامع: ٢١٥/٢.

المبحث الثاني

المطلب الأول: مسائل متفرقة لها علاقة بالاستثناء، ويشمل:

١ - العامل في المستثنى^(١):

اختلف النحاة في هذه المسألة على أقوال، منها:

أ- الفعل المتقدم، أو معنى الفعل بواسطة (إلا)، (نقله ابن يعيش عن سيوييه)، ولم أقف عليه في كتابه، ويتساءل ابن يعيش، فإن قيل الفعل المتقدم لازم غير متعدّد، فكيف يجوز أن يعمل في المستثنى النصب؟ قيل: لمّا دخلت عليه (إلا) قوّته، وذلك أنّها أحدثت فيه معنى الاستثناء.

ب- النّاصب للمستثنى (إلا) نيابة عن (استثنى)، فإذا قال: أتاني القوم إلاّ زيداً، فكأنّه قال: أتاني القوم استثنى زيداً، (منسوب إلى أبي العباس المبرد، وأبي اسحق الرّجاء، والجرجاني وطائفة من الكوفيّين، واختاره ابن مالك)، وهذا الرّأي ضعّفه ابن يعيش، وحجّته: لأنّك تقول: أتاني القوم غير زيد، فتتصب (غيراً)، ولا يجوز أن تقدّر (أستثنى غير زيد)؛ لأنّه يفسد المعنى.

ت- إلاّ مركّبة من حرفين: (إنّ) التي تنصب الأسماء، وترفع الأخبار، و(لا) التي للعطف، فصار (إنّ لا)، فخفّفت النّون، وأدغمت في اللّام، فأعملوها فيما بعدها عملين، فنصبوا بها في الإيجاب اعتباراً بـ(إنّ)، وعطفوا بها في النّفي اعتباراً بـ(لا)، (منسوب للفرّاء، وهو المشهور من مذهب الكوفيّين)، واعتبره ابن يعيش قولاً فاسداً؛ لأنّنا نقول: ما أتاني إلاّ زيد، فترفع (زيداً) وليس قبله مرفوع يُعطف عليه، وجاء في (شرح ابن عقيل): "والصّحيح من مذاهب النّحويّين أنّ النّاصب له ما قبله بواسطة إلاّ"^(٢).

٢ - ما يُحذف المستثنى فيه استخفافاً:

جاء في (الكتاب): "وذلك قولك: ليس غيرُ، وليس إلاّ، كأنّه قال: ليس إلاّ ذاك وليس غير ذاك، ولكنّهم حذفوا (ذلك) تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب وما يعني"^(٣).

ووردت (ليس غيرُ) في (الأصمعيّات) مرّة واحدة، وهي قول أسماء بن خارجة: (الكامل)

إِذْ لَيْسَ غَيْرَ مَنَاصِلٍ نَعَصَا بِهَا وَرِحَالِنَا وَرِكَائِبِ الرِّكَبِ^(٤)

التّقدير: إذ لَيْسَ غير ذاك مناصل، وأمّا (ليس إلاّ) فلم يرد لها تمثيل هناك.

(١) انظر: الجنى الدّاني: ص ٥١٦-٥١٧، وشرح المفصل: ٧٦/٢، والإيضاح في شرح المفصل: ٣٦١/١، والإنصاف في مسائل الخلاف ص ٢٢٥.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢١١/٢.

(٣) انظر: الكتاب: ٣٤٤/٢-٣٤٥.

(٤) الأصمعيّات: ص ٥٥، رقم ٢٥.

٢- تكرار المستثنى:

عقد له سيويوه باباً سمّاه: "باب تنثية"^(١) المستثنى، يقول فيه: "وذلك قولك: ما أتاني إلا زيدٌ إلا عمرًا، ولا يجوز الرّفْعُ في عمرو، مِنْ قِبَلِ أَنَّ المستثنى لا يكون بدلًا مِنَ المستثنى، وذلك أنّك لا تريد أن تُخرج الأوّل مِنْ شيء تُدخِل فيه الآخر، وإن شئت قلت: ما أتاني إلا زيدًا إلا عمرو، فأنت في ذا بالخيار إن شئت نصبت الأوّل ورفعت الآخر، وإن شئت نصبت الآخر ورفعت الأوّل"^(٢).

هذا التّركيب لم أعثر على شيء منه في (الأصمعيّات)، لكنني عثرت على تركيب مشابه، حيث اجتمع مستثنيان في بيت واحد، هو قول العباس بن مرداس: (الطويل)

فَجَنَّبِي عَسِيبٍ لَا أَرَى غَيْرَ مَائِلٍ خَلَاءَ مِنَ الْآثَارِ إِلَّا الرَّوَامِسَا^(٣)

هنا نصب الشّاعر المستثنين (غَيْرَ) و(الرّوَامِسَا)، فالأوّل انتصب على أنّه مفعول به ل(أرى)، وانتصب الآخر على الاستثناء، والذي سوّغ قبول مثل هذا التّركيب -مع العلم أنّ سيويوه نصّ على عدم صحّة هذا التّركيب مِنْ قِبَلِ أَنَّ المستثنى لا يكون بدلًا مِنَ المستثنى - أنّه يمكن جعل (غير) بمنزلة (مثل) فجاز أن نجعل الاثنين منصوبين، والتّقدير: لَا أَرَى خَلَاءَ مِثْلَ مَائِلٍ مِنَ الْآثَارِ إِلَّا الرَّوَامِسَا، هذا إذا فهم مِنْ كلام سيويوه أنّه يجوز اتفاق المستثنين في العلامة الإعرابيّة إذا كان الاستثناء الأوّل لفظ (غير) الذي بمعنى (مثل)^(٤)، وأمّا إذا جعلت (غير) بمنزلة الاستثناء فلم يكن بدّ مِنْ أن تنصب الأوّل (غير) وترفع الآخر (الرّوَامِسَا)، والذي يظهر لي أنّ القافية هي التي اضطرّت الشّاعر لجعل ما بعد (إلا) منصوبًا، هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

٤ - حكم تقدّم المستثنى على المستثنى منه:

هذا الوجه الثّاني مِنَ الوجوه الثلاثة التي لا يكون المستثنى فيها إلا منصوبًا عند ابن يعيش، وذلك المستثنى إذا تقدّم على المستثنى منه، نحو قولك: ما جاءني إلا زيدًا أحدًا، وما رأيت إلا زيدًا أحدًا، وما مررت إلا زيدًا بأحد، وهذا ما يسميه بعض النّحاة أحسن القبيحين^(٥). يقول ابن عقيل: "إذا تقدّم المستثنى على المستثنى منه فإمّا أن يكون الكلام موجبًا أو غير موجب، فإن كان

(١) المراد ب(تنثية المستثنى)؛ أي: تكراره.

(٢) انظر: الكتاب: ٣٣٨/٢.

(٣) الأصمعيّات: ص ٢٢٨، رقم ٢ (الزيادات مِنَ الكتابين)، عسيب: اسم موضع. جاء في (الاختيارين) ص ٧٣٣:

"الرّوامس والرّامسات واحد، وهي الرّياح الدّوافن التي تدفن الدّيار".

(٤) انظر: الكتاب: ٣٤١/٢.

(٥) انظر: شرح المفصل: ٧٩/٢.

موجباً وجب نصب المستثنى، نحو: قام إلا زيداً القوم، وإن كان غير موجب، فالمختار نصبه، فتقول: ما قام إلا زيداً القوم^(١).

في (الأصمعيّات) لم أقف على أمثلة تقدّم فيها المستثنى على المستثنى منه.

٥- تقدّم المستثنى على صفة المستثنى منه:

فيه مذهبان: أحدهما: ألا تكثرث بالصفة، بل يكون البديل مختاراً، كما يكون إذا لم تذكر الصفة، وذلك قولك: "ما فيها رجل إلا أباك صالح"؛ كأنك لم تذكر (صالحاً) وهذا رأي سيبويه، يقول: "فإن قلت: ما أتاني أحد إلا أبوك خير من زيد، وما مررت بأحد إلا عمرو خير من زيد، وما مررت بأحد إلا عمرو خير من زيد، كان الرقع والجر جائزين، وحسن البديل؛ لأنك قد شغلت الرفع والجار، ثم أبدلته من المرفوع والمجرور، ثم وصفت بعد ذلك"^(٢).

والمذهب الآخر: ألا يكثرث بتقديم الموصوف، بل يُقدّر المستثنى متقدّماً بالكلية على المستثنى منه، وهو اختيار المبرد، وعنه نقله ابن مالك^(٣)، وكذلك السُّيوطي الذي يقول: "ونقل ابن مالك في شرح الكافية عن المبرد اختيار النصب، ثم قال: وعندي أن النصب والبديل مستويان؛ لأن لكل واحد منهما مرجحاً فتكافأ"^(٤).

٦- الاستثناء من العدد:

للنحاة فيه ثلاثة مذاهب^(٥):

أ- أنه يجوز مطلقاً، وهو اختيار أبي الحسن ابن الضائع (شيخ أبي حيّان)، والأخفش. تقول: مرّ بي عشرة إلا واحداً، ولو قلت: مرّ بي رجال إلا واحداً لم يجز.

ب- المنع مطلقاً، وهو اختيار ابن عصفور.

ت- التفصيل بين أن يكون المستثنى عقداً، فلا يجوز، نحو قوله: عندي عشرون إلا عشرة، أو غير عقد فيجوز، نحو: له عندي عشرة دراهم إلا اثنين.

هذا ولم أقف في (الأصمعيّات) على أمثلة تدلّ على الاستثناء من العدد.

(١) انظر: شرح ابن عقيل: ٢١٦/٢.

(٢) انظر: الكتاب: ٣٣٦/٢.

(٣) انظر: شرح الكافية: ٧٠٦/٢.

(٤) انظر: همع الهوامع: ١٩٢/٢.

(٥) انظر: ارتشاف الضرب: ١٤٩٩.

٧- هل يُستثنى مِنَ الضَّمِير؟

بمعنى آخر، هل يمكن وقوع المستثنى منه ضميراً، ويؤيده مِنْ كتاب الله قوله- تعالى: ﴿... فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً...﴾^(١)، قال صاحب (الكشاف): "فلَمَّا كان معنى: (فَشَرِبُوا مِنْهُ) في معنى: فلم يطيعوه، حُمِلَ عليه، كَأَنَّهُ قيل: فلم يطيعوه إِلَّا قَلِيلاً منهم"^(٢).
في (الأصمعيّات) ورد بيت شعريٌّ شبيهه تركيب الآية المذكورة، هو قول سَلَامَةَ ابنِ جَنْدَلٍ: (الطَّوِيل)

لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى آتَى اللَّيْلُ دُونَهُمْ وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا كُلُّ جَرْدَاءٍ خَيْفَقٍ^(٣)

المعنى: لقد أنقذهم اللَّيْلُ بظلامه، فلم ينجُ مِنَ الموت أو الأسر أحدٌ إِلَّا مَنْ كان يمتطي فرساً سريعة، وبناءً على هذا المعنى، وما ذكره الرَّمَحْشَرِيُّ في معنى الآية - لاسيَّما وأَنَّهُ نسب إلى بعضهم رواية رفع ما بعد (إِلَّا) في الآية- فَإِنَّ الاستثناء فيهما تام غير موجب، أمَّا إذا أخذنا البيت على ظاهره دون تقدير محذوف، فَإِنَّ الاستثناء يُعتبر مَفْرَعًا.

المطلب الثاني: أَلْفَاظُ أَحَقَّتْ بِالِاسْتِثْنَاءِ

ألفاظٌ مِنْ معانيها الاستثناء وهي ليست مشهورة على أَنَّهَا أَلْفَاظُ اسْتِثْنَاءٍ، منها:

١- (حَتَّى) النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ:

ذكر المرادي^(٤) أَنَّ لها معنيين في المشهور، أحدهما: الغاية، وهي الَّتِي يحسن في موضعها (إلى أن)، والثاني: التَّعْلِيلُ، وعلامة كونها للتَّعْلِيلِ أَنَّ يحسن في موضعها (كي)، وذكر أيضًا أَنَّ ابن مالك زاد معنى ثالثاً، وهو أَنَّ تكون بمعنى (إِلَّا أَنْ)، فتكون بمعنى الاستثناء المنقطع، كقولنا: ليس الغنيُّ باذلاً حَتَّى يوجد ممَّا أعطاه الله، يقول ابن مالك^(٥): "وزاد الشَّيْخُ - رحمه الله - كونها بمعنى (إِلَّا أَنْ)"، ويعلِّق المرادي: "هو معنى غريب"، وقول سيويوه^(٦): "وأما قولهم: والله لا أفعلُ إِلَّا أَنْ تفعل، ف(أَنْ تفعل) في موضع نصب، والمعنى (حَتَّى تفعل)".

(١) البقرة: ٢٤٩/٢.

(٢) الكشاف: ٤٧٥/١. البقرة: ٢٤٩/٢.

(٣) الأصمعيّات: ص ١٥١، رقم ٢٠، الأجرّد: الفرس القصير الشَّعر، وهو مِنْ علامات العِتْق والكرم في الخيل. والخَيْفَق: السريعة.

(٤) انظر: الجنى الدَّاني: ٥٥٤.

(٥) انظر: شرح النَّسهيل: ٢٤/٤.

(٦) الكتاب: ٣٤٢/٢.

في (الأصمعيّات) وردت (حتّى) النَّاصبة للفعل المضارع في أحد عشر موضعاً، وهي للغاية في معظمها تقريباً؛ أي: بمعنى (إلى أن)، ومنه قول ذي الخزرج الطُّهويّ: (البسيط)

إِنَّا إِذَا حَطْمَةٌ حَتَّتْ لَنَا وَرَقًا نُمَارِسُ الْعُودَ حَتَّى يَنْبُتَ الْوَرَقُ^(١)

ومن أمثلة ورود (حتّى) بمعنى (إلا أن) في (الأصمعيّات)، قول علباء بن أرقم: (الطويل)

فَقُلْتُ لَهَا إِنْ لَا تَنَاهَيْ فَاِنِّي أَخُو النَّكْرِ حَتَّى تَقْرَعِي السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ^(٢)

أعتقد أنّ (حتّى) في هذا البيت بمعنى: (إلا أن)؛ لأنّ ما بعدها ليس غاية لما قبلها ولا مسبباً، ولكن ابن مالك يرى أنّك لو جعلت (إلى أن) مكان (حتّى) لم يكن المعنى فاسداً، ومن هنا يتّضح أنّه يصعب التفريق بين (حتّى) التي بمعنى: (إلى أن)، و(حتّى) التي بمعنى: (إلا أن)، فالمعنيان متداخلان، ولا يُفَرَّقُ بينها إلا من خلال سياق الكلام.

٢ - (لَمَّا) الحرفيّة الظرفيّة:

جعلها ابن مالك على ثلاثة أقسام: حرف نفي، وحرف استثناء بمعنى (إلا)، ويختصّ بالفعل المؤول بالمصدر، كقولك: عزمت عليك لمّا فعلت، والمعنى: لا أسألك إلاّ فعلك، وحرف يقتضي فيما مضى وجوباً لوجوب^(٣).

من أحاجي الزمخشري التي ذكرها السيوطي: "أخبرني عن حرف من حروف الاستثناء لم يستثن شيئاً قط من الأسماء، وجواب الأحجية: (لَمَّا) بمعنى (إلا) لا يستثنى به الأسماء كما يستثنى بـ(إلا) وأخواتها، وإتّما يُقال: نشدتك الله لمّا فعلت، وأقسمت عليك لمّا فعلت"^(٤). هذا ولم أقف في (الأصمعيّات) على أمثلة لـ(لَمَّا) بمعنى (إلا).

٣ - (بِئِد) وعلاقتها بالاستثناء:

تُستعمل (بِئِد) استعمال (غير)، فقد نقل ابن سلام الهروي^(٥) عن الكسائي أنّ معنى (بِئِد)

(١) الأصمعيّات: ص ١٣٩، رقم ٦، الحطمة: السنة الشديدة تحطم كل شيء. وحتّ الورق: قشره. والممارسة: شدة المعالجة للشيء.

(٢) نفسه: ص ١٧٥، رقم ٦، النكر: الذهاء.

(٣) انظر: شرح التسهيل: ٦٣/٤-٦٤.

(٤) انظر: الأشباه والنظائر في النحو: ١٤/٢.

(٥) القاسم بن سلام الهروي البغدادي، أبو عبيد: الإمام الجليل من كبار العلماء، الأديب الفقيه المحدث، صاحب التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر، قرأ القرآن على الكسائي، وكان مؤدباً، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين هجرية. انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٥٣/٢، والأعلام: ١٧٥/٥-١٧٦.

معنى (غير) بعينها^(١)، وفيها لغة أخرى هي: (مَيْد)، جاء في (غريب الحديث): وفيه لغة أخرى (مَيْد) بالميم، والعرب تفعل هذا، تُدخِل الميم على الباء، والباء على الميم، كقولك: أَغْمَطْتُ عليه الحمى وَأَغْبَطْتُ^(٢)، وتُسْتعمل (بَيْد) استعمال (غير)، واعتبرها ابن هشام اسمًا ملازمًا للإضافة بشرطين هما: أن تكون مضافة إلى مصدر مؤوّل يتكوّن مِنْ (أَنْ) ومعموليها - اسمها وخبرها - وأن يكون الاستثناء منقطعًا^(٣)، ومثال ذلك قولك: زيدٌ غنيٌّ بَيْدَ أَنَّهُ بخيل.

رفض الدماميني كونها اسمًا بقوله: "أمّا أنّه اسم فدعوى لم يقم عليها دليل، ولو قيل: بأنّه حرف استثناء كـ(إلّا) لم يبعد، ونقل الدماميني عن ابن مالك قوله: "والمختار عندي في (بَيْد) أن تُجْعَلَ حرف استثناء"^(٤).

(بيد) لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، ولكن ورد ذكرها في الحديث الشريف، قال أبو عبيد: وأخبرني بعض الشاميين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "أنا أفصح العرب مَيْدَ أَنِّي مِنْ قريش"^(٥)، هذا ولم يرد لهذه اللفظة أمثلة في (الأصمعيّات).

٤ - بله:

جاء في (الجنى الداني): "وعدها الكوفيون والبغداديون من أدوات الاستثناء، وأجازوا النصب بعدها على الاستثناء، نحو: أكرمتُ العبيدَ بله الأحرارَ، رأوا ما بعدها خارجًا ممّا قبلها في الوصف، فجلوه استثناء، إذ المعنى: أن إكرامك الأحرار يزيد على إكرامك العبيد"^(٦).
ذهب جمهور البصريين إلى أنّها لا يُستثنى بها، وأنّه لا يجوز فيما بعدها إلّا الخفض، ويرفض المراديّ هذا الرأى بقوله: "وليس بصحيح، بل النصب مسموع من كلام العرب، وذهب بعض الكوفيّين إلى أنّ (بله) بمعنى (غير)، فمعنى: (بله الأكَف): غير الأكَف"^(٧).
هذا اللفظ ليس له تمثيل في (الأصمعيّات) أيضًا.

(١) انظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، (ت: ٢٢٤ هـ)، تحقيق: حسين شرف، وعبد السلام هار، الجامعة الإسلامية، غزة، (د. ط)، (د. ت)، ج ٣، ص ١٥٥، وانظر: الصّاح أيضًا: ١٢/٣.

(٢) نفسه: ١٥٦/٣.

(٣) انظر: مغني اللبيب: ١٩٩/٢.

(٤) انظر: حاشية الدماميني: ٢٣٧.

(٥) انظر: غريب الحديث للهروي: ١٥٧/٣.

(٦) انظر: الجنى الداني: ٤٢٥.

(٧) انظر: نفسه: ٤٢٦.

٥- (أو) بمعنى (إلا):

ذكر ابن هشام أنّ المتأخرين ذكروا لـ(أو) اثني عشر معنى، أحدها: أن تكون بمعنى (إلا) في الاستثناء، وهذه ينتصب المضارع بعدها بإضمار (أن)، كقولك: لأقتلنّه أو يسلم^(١)، كأنك قلت: لأقتلنّه إلا أن يسلم، وجاء في (أمالي ابن الشجري): "والسادس من معاني (أو) أن تكون بمعنى (إلا أن)، كقولهم: لألزمته أو يتقيني بحقي، معناه: إلا أن يتقيني، وقال الكوفيون: حتى يتقيني"^(٢). من أمثله في القرآن الكريم، قوله- تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً...﴾^(٣)، جاء في تفسير (البحر المحيط): "و (أو) على بابها من كونها تأتي لأحد الشئيين أو لأشياء، والفعل بعدها معطوف على (تمسوهن)، فهو مجزوم أو معطوف على مصدر متوهم، فهو منصوب على إضمار (أن) بعد (أو)، بمعنى (إلا)، والتقدير: ما لم تمسوهن إلا أن تفرضوا لهنّ فريضة، أو معطوف على جملة محذوفة، والتقدير: فرضتم أو لم تفرضوا"^(٤).

جاء في (حاشية الدماميني) تعليقاً على الآية: "ليصير المعنى: لا جناح عليكم في مهر النساء إن طلقتموهن في مدة أثناء المسيس إلا أن تفرضوا لهنّ مهراً مسمى، وعلى هذا فالاستثناء مفرغ"^(٥)، في (الأصمعيّات) سبق الفعل المضارع بـ(أو) في ستة عشر موضعاً، من أمثله قول عروة بن الرّود: (الطويل)

ذَرِينِي أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ لَعْنِي
أُخْلِيكَ أَوْ أُغْنِيكَ عَن سُوءِ مَحْضَرِ^(٦)

التقدير: إلا أن أغنيك، أو بالرفع حيث عطف (أغنيك) بـ(أو) على (أخليك)، ومنه قول سَهْمِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيِّ: (البسيط)

إِنِّي امْرُؤٌ مَن يَكْلَفُ أَوْ يُجَارِينِي
مِنَ الْمَيْمِنِ يُجَسِّمُ نَفْسَهُ تَعْبَا^(٧)

(١) انظر: مغني اللبيب: ٤٢٧/١.

(٢) أمالي ابن الشجري: ٧٨/٣.

(٣) البقرة: ٢٣٦/٢.

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط: ٢٤١/٢.

(٥) انظر: حاشية الدماميني: ١٤٣، والكشاف: ٤٦٢/١.

(٦) الأصمعيّات: ص ٤٧، رقم ٥، ذريني أطوف؛ أي: أسير في البلاد لعني أصيب حاجتي. وأغنيك عن سوء محضري؛ أي: أغنيك عن المسألة. وأخليك؛ أي: أقتل عنك فأفارقك، فتخلي للأزواج. والتخلي: الطلاق.

(٧) نفسه: ص ٦١، رقم ٢٩، كلفه أمراً؛ أوجبه عليه. ويجاريني؛ أي: يجري معي. والمئون: من الإبل، ولعله أراد كرمه وشهامته. وجسّم نفسه: كلفها على مشقة.

يُلاحظ هنا أَنَّ (أو) فيه بمعنى (إلا) الاستثنائية، وتُصَبّ المضارع بعدها بإضمار (أَنَّ)،
ومنه قوله في القصيدة نفسها:

وَيَحْتَلِبُ بِيَدَيْهِ مَا يُسَلِّفُنَا مِّنَ النَّدَامَةِ أَوْ يَنْهَشُهُمَا كَلْبًا^(١)
ومنه قوله أيضاً:

حَتَّى يُصَادِفَ مَالًا أَوْ يُقَالَ فَتَى لِأَقَى التِّي تَشْعَبُ الْفَتِيَانِ فَاَنْشَعَبَا^(٢)
وقوله:

وَإِنْ أَتَاكَ لِمَالٍ أَوْ لِنَصْرُهُ أَنْتَى عَلَيْكَ الَّذِي تَهْوَى وَإِنْ كَذَبَا^(٣)
التَّقْدِيرُ: إِلَّا لِأَنَّ نَصْرَهُ.

ومنه قول مالك بن حريم الهمداني: (الطويل)

مُقَرَّبَةً أَدْنِيئُهَا وَأَفْتَلَيْئُهَا لِتَشْهَدَ غُنْمًا أَوْ لِتَدْفَعَ مَدْفَعَا^(٤)
ومنه قول أبي النشاش النهشلي: (الطويل)

لِيُذْرِكَ ثَارًا أَوْ لِيُذْرِكَ مَغْنَمًا جَزِيلاً وَهَذَا الدَّهْرُ جَمَّ عَجَائِبُهُ^(٥)
ومنه قول الممرق العبدي: (الطويل)

تَرَى أَوْ تَرَأَى عِنْدَ مَعْقِدِ غَرَزِهَا تَهَاوَيْلَ مِنْ أَجْلَادِ هِرٍّ مُعَلَّقِ^(٦)
وتكرّر العطف بـ(أو) في موضع واحد، هو قول أحيحة بن الجلاح: (الوافر)

إِذَا مَا جِئْتُهَا قَدْ بَغْتُ عَدْفًا تُعَانِقُ أَوْ تُقْبَلُ أَوْ تُفَدِّي^(٧)

(١) نفسه: ص ٦١، رقم ٢٨، يحتلب بيديه؛ أي: يحلب. ويُسلِّفُنَا؛ أي: يقدم لنا طعام السُّلْفَةِ؛ وهو الطعام القليل.
(٢) نفسه: ص ٦٠، رقم ٢٠، تَشْعَبُ الْفَتِيَانِ؛ أي: المنية، وتشعبهم: تهلكتهم، ومن ذلك تسمى المنية شعوب.
(٣) نفسه: ص ٦١، رقم ٣٤، المعنى: إذا جاءك يطلب مالاً أو نصرة كالألوان المختلفة، أو النصر الذي تريده، التقدير: وإن كان يكذب فيه.
(٤) نفسه: ص ٧٧، رقم ٣٤، المقربة من الخيل: المؤثرة المكرمة التي تُدنى وتُكْرَم. وأفْتَلَيْئُهَا: افتصلتها من أمها.
(٥) نفسه: ص ١٣٢، رقم ٣، المغنم: الرزق والمكسب.
(٦) نفسه: ص ١٨٣، رقم ٤ (الزيادات من الكتابين)، والغرز: ركاب الرُّحْل من جلد مغرور، يُعتمد عليه في الرُّكوب. والنَّهاويل: الألوان المختلفة، واحداها: تهويل. وأجلاده: جسمه وبدنه؛ أراد كأن هراً عُلق عند موضع غرزها، أنشب أظفاره فيها، فهي تنفر وتسرع لذلك.
(٧) نفسه: ص ١٣٤، رقم ١، العدق: النخلة عند أهل الحجاز، والعدوق: القنو من النخل، والعنقود من العنب.

وسُبق الفعل المضارع المبني على السُّكون بـ(أو) مرّتين، منه قول مَالِكِ بْنِ حَرِيمِ الْهَمْدَانِيِّ:
(الطَّوِيل)

يَقُودُ بِأَرْسَانِ الْجِيَادِ سَرَائِنَا لِيَنْفِئَنَ وَتَرًا أَوْ لِيَدْفَعَنَ مَدْفَعًا^(١)

هنا أتبعنا (أو) بالفعل المضارع المبني على السُّكون؛ لاتصاله بنون النسوة. التَّقْدِير: أَوْ
لَأَنَّ يَدْفَعْنَ.

٦ - لا سِيَمًا:

جاء في (همع الهوامع): "عدَّ الكوفيون وجماعة من البصريين - كالأخفش وأبي حاتم
والفارسي والنَّحَّاس، وابن مضاء^(٢) من أدوات الاستثناء (لا سيما)، ووجهه أنك إذا قلت: قام القوم
لا سِيَمًا زيد، فقد خالفهم زيد في أنه أولى بالقيام منهم فهو مخالفهم في الحكم الذي ثبت لهم
بطريق الأولوية، قال الخضراوي: لما كان ما بعدها بعضًا مما قبلها وخارجًا عنه بمعنى الزيادة
كان استثناء من الأول؛ لأنَّه خرج عنه بوجه لم يكن له"^(٣).

هذا ولم أقف في (الأصمعيّات) على أيّ تمثيل للاستثناء بـ(لا سِيَمًا).

أخيرًا يدرك الباحث أنّ الدِّراسة - في هذا الفصل الأخير من فصول هذا البحث - دارت
حول ظاهرة الاستثناء من خلال ديوان (الأصمعيّات)، وتناولت مجموعة من المسائل التي كان
النُّحاة قد تحدّثوا عنها وفصلوا القول فيها، وما كان دور الباحث سوى الاطّلاع عليها وملاحظة ما
هو مناسب لذكره في الأماكن المطلوبة، حيث مثّل عليه من (الأصمعيّات) كلّما وجد إلى ذلك
سبيلًا.

(١) نفسه: ص ٧٦، رقم ٢٥. الأرسان: جمع الرّسن. والسّرة: الأشراف الأسياد. والوتر: الثّأر. ومدّفع: مصدر ميمي
بمعنى الدّفع.

(٢) أحمد بن عبد الرّحمن بن محمّد، ابن مضاء، ابن عمير القرطبيّ، أبو العباس: عالم بالعربيّة، له معرفة بالطّبّ
والهندسة والحساب، وله شعر، تُوفّي سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة هجريّة. انظر: بغية الوعاة: ١/٣٢٣،
الأعلام: ١/١٤٦.

(٣) انظر: همع الهوامع: ٢/٢١٦، والصّفوة الصّفيّة: ٢/٥٣٧.

الخاتمة

نسأل الله حسنّها

الحمدُ لله الَّذي بنعمه تتمُّ الصّالحات، وحمدًا له على ما منح من أسباب البيان، وعلى ما فتح من أبواب التّبيان، والصلاة والسلام على مَنْ خُتِمَتْ به الرّسالات، والذي رفع بماضي عزمه قواعد الإيمان، وخفض بعامل الجزم كلمة البهتان، وارضَ اللهم عن الصّحابة الكرام الذين أوتوا الحكمة والبيان، وحفظوا السّنة والقرآن، وجزاهم الله عنّا وعن لغة القرآن التي حفظوها خير الجزاء والإحسان وبعد...

يطيب للباحث وقد وصل البحث إلى نهايته أن يلخص أهمّ القضايا والنّتائج التي توصّلت إليها الدّراسة، التي سيعقبها بذكر أهمّ توصيات البحث، أقول ومن الله - تعالى - التّوفيق والسّداد.

أولاً: النّتائج

بعد الدّراسة النّحوية المستفيضة لسبع ظواهر تركيبية جرت على ديوان (الأصمعيّات)، الذي اشتمل على ألف وأربعمائة وتسعة وثلاثين بيتًا، فقد خلصت الدّراسة إلى ما يأتي:

في الفصل الأوّل الذي خصّص لدراسة ظاهرة (التّعجب) يتّضح أنّ ظاهرة التّعجب السّماعي - تلك الظّاهرة النّحوية التّركيبية البارزة في الكلام العربي - قد اشتملت على أساليب سماعية وُضعت في الأصل لغير التّعجب، حيث لا قياس لها، ولا يوجد لها قاعدة قياسيةّ تحكمها، ولكنّها مجرد ألفاظ سُمعت عن العرب وتناقلوها جيلاً بعد جيل، واستخدموها كلّما دعت الحاجة لذلك، وهذه الألفاظ تدلّ على التّعجب بالاستعمال المجازي.

من الملاحظ أيضًا أنّ الأشعار التي تضمّنتها (الأصمعيّات) قد تمثلت فيها الكثير من ألفاظ التّعجب السّماعي المتعارف عليها، وإن كانت بعض ألفاظ التّعجب لم تجد تمثيلاً لها في أشعار الديوان، ويمكن للمتأمّل أن يلاحظ ذلك بوضوح، حيث تمّت الإشارة إلى ذلك، كلّ في مكانه، فألفاظ التّعجب السّماعي كثيرة؛ لأنّها وُضعت في الأصل لغير التّعجب ثمّ نُقلت إليه.

من خلال دراسة ألفاظ التّعجب السّماعي عند العرب يتّضح أيضًا أنّ النّحاة لم يوبّوا لهذه الألفاظ كما فعلوا مع صيغتي التّعجب القياسي.

إذا عقدت موازنة بين استعمال الشعراء لألفاظ التّعجب السّماعية واستعمالهم لصيغتي التّعجب القياسي في ديوان (الأصمعيّات) يتّضح لك أنّ هناك صيغ تعجب سماعية ليست قليلة، استخدمتها العرب في كلامها، فانتشرت في أعمالهم الأدبية بشكل ملحوظ ولموس، بعكس صيغتي التّعجب القياسي التي اصطلح النّحاة عليها، فحضورها قليل إن لم يكن نادرًا.

رَبَّمَا كَانَ لِهَاتَيْنِ الصَّيغَتَيْنِ أَصْلٌ فِي الْإِسْتِعْمَالِ الْيَوْمِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ اصْطِلَاحُ النَّحْوِيِّينَ لِهَاتَيْنِ الصَّيغَتَيْنِ آتِيًا مِنْ فِرَاعٍ أَوْ لِأَجْلِ الصَّدْفَةِ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لَهُمْ مِنْ مَرَجِعٍ اعْتَمَدُوا عَلَيْهِ، فَصِيغَتَا التَّعْجُبِ الْقِيَاسِيَّ قَلِيلَتَا الْوُقُوعِ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ، بِعَكْسِ ظَاهِرَةِ النَّدَاءِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ بِشَكْلِ وَاضِحٍ عَلَى نَحْوِ مَا لُوْحِظُ فِي النَّدَاءِ.

فِي الْفَصْلِ الثَّانِي الَّذِي خُصَّصَ لِلنَّدَاءِ لُوْحِظُ أَنَّ النَّدَاءَ مِنْ أَكْثَرِ الظُّوَاهِرِ التَّرْكِيبِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ تَدَاوَلًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَالْأَقْلَامِ؛ لِذَلِكَ أَفْرَدَلَهُ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ خَاصَّةً النَّحْوِيِّينَ مَجَالًا وَاسِعًا فِي كِتَابِهِمْ.

بَعْدَ تَصَفُّحِ دِيْوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ) بِيْنًا إِثْرَ بَيْتٍ، تَبَيَّنَ أَنَّ حُرُوفَ النَّدَاءِ لَمْ تَكُنْ جَمِيعَهَا حَاضِرَةً، وَأَنَّ حَرْفَ النَّدَاءِ (يَا) مِنْ أَكْثَرِ أَحْرَفِ النَّدَاءِ وَرُودًا فِي تِلْكَ الْأَشْعَارِ، حَيْثُ دَخَلَتْ عَلَى الْمَنَادِي بِجَمِيعِ أَقْسَامِهِ، وَأَنَّهَا اسْتُخْدِمَتْ فِي مَعْظَمِ التَّرَاكِيْبِ النَّدَائِيَّةِ، وَأَنَّ حَرْفَ الْهَمْزَةِ قَدْ اسْتُخْدِمَ قَلِيلًا، وَأَنَّ (أَيَا) وَرَدَتْ مُسْتَخْدَمَةً مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَأَمَّا أَحْرَفُ النَّدَاءِ السَّنَّةِ الْبَاقِيَةِ فَلَمْ أَقْفِ وَلَوْ عَلَى بَيْتٍ وَاحِدٍ لِلتَّمْتِثِْلِ عَلَيْهَا.

أَمَّا أَنْوَاعُ النَّدَاءِ الْخَمْسَةُ فَقَدْ كَانَ لَهَا حَضُورٌ وَاضِحٌ فِي الدِّيْوَانِ، وَتَمَّ التَّمْتِثِْلِ لَهَا، كَذَلِكَ التَّرْخِيمِ وَالِاسْتِعَاثَةِ وَالنَّدْبَةِ.

جَاءَ النَّدَاءُ مَتَبَوِّعًا بِأَسَالِيْبٍ مَتَبَوِّعَةٌ مِنْهَا: الْأَمْرُ، وَالتَّوَكُّيدُ، وَالشَّرْطُ وَالِاسْتِفْهَامُ، وَالتَّنْهِي، وَالتَّنْفِي، وَتَرَاوَحَ اسْلُوبِ النَّدَاءِ فِي دِيْوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ) بَيْنَ النَّدَاءِ الْحَقِيْقِيِّ وَالنَّدَاءِ الْمَجَازِيِّ. مِنْ خِلَالِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْأَشْعَارِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي دِيْوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ) وَجُدَّ أَنَّ الشُّعْرَاءَ وَجَّهُوا نَدَاءَهُمْ لِغَيْرِ الْعَاقِلِ؛ وَذَلِكَ لِأَعْرَاضِ بِلَاغِيَّةٍ فَصَّلَ الْبَلَاغِيُّونَ الْكَلَامَ فِيهَا، وَعِنْدَهَا يَكُونُ النَّدَاءُ مَجَازِيًّا؛ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي النَّدَاءِ أَنْ يَكُونَ حَقِيْقِيًّا؛ أَيُّ: أَنْ يَكُونَ الْمَنَادِي عَاقِلًا حَتَّى تَحْصَلَ الْفَائِدَةُ مِنْ اسْتِدْعَانِهِ بِالنَّدَاءِ.

فِي الْفَصْلِ الثَّلَاثِ الَّذِي خُصَّصَ لظَاهِرَةِ الْاسْتِفْهَامِ يَتَّضِحُ مَا يَأْتِي:

- حَرْفُ الْاسْتِفْهَامِ (الْهَمْزَةُ) أَكْثَرُ دُورَانًا مِنْ بَقِيَّةِ أَدْوَاتِ الْاسْتِفْهَامِ الْآخَرَى فِي دِيْوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ).
- يُلَاحِظُ عَلَى اسْتِخْدَامِ الشُّعْرَاءِ لِلِاسْتِفْهَامِ فِي كَلَامِهِمْ فِي دِيْوَانِ (الْأَصْمَعِيَّاتِ) أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتِخْدِمُوهُ مِنْ أَجْلِ الْاسْتِفْسَارِ عَنِ شَيْءٍ، بَلْ اسْتِخْدَمُوهُ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، تَمَّ التَّعْرُفُ عَلَيْهَا، مِثْلُ: التَّنْسُوِيَّةِ، وَالتَّعْجُبِ، وَالِإِنْكَارِ، وَالتَّقْرِيرِ، وَالتَّهْكَمِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَعَانِي.
- وَرَدَتْ (هَلْ) مَعَ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ وَرُودِهَا مَعَ الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ، وَوَرُودِهَا مَعَ الْفِعْلِ الْمَاضِي شَكْلًا ضِعْفَ وَرُودِهَا مَعَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ تَقْرِيْبًا.
- مِنْ الْمَلَاْحِظِ عَلَى أَسَالِيْبِ الْاسْتِفْهَامِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ فِيهَا (مَنْ) فِي (الْأَصْمَعِيَّاتِ) أَنَّ السُّأَلِ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهَا بِسُؤَالٍ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرُدُّ عَلَى سُؤَالِهِ كَذَلِكَ، وَهِيَ لَيْسَتْ لِلِاسْتِفْهَامِ الْحَقِيْقِيِّ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِهَا مَعَانِي مُخْتَلِفَةٌ: كَالنَّحْسَرِ، وَالتَّنْبِيهِ، وَالعِتَابِ، وَالتَّهْكَمِ وَغَيْرِهِ.

في الفصل الرابع ومن خلال دراسة ظاهرة (النفي) يتضح أن أداتي النفي (لم) و(لا) كانتا من أكثر أدوات النفي دوراناً في شعر (الأصمعيّات)، حيث استعملت (لم) بكثرة فوردت داخله على الفعل المضارع في مائة واثنين من المواضع، تليها (لا) النافية العاملة، حيث وردت في خمسة وتسعين موضعاً، وإن دلّ هذا على شيء فإنه يدلُّ على طبيعة العربيّ البدويّ الذي تعود في كلامه على استخدام النفي وبكثرة، وخاصة اللغات؛ وذلك لأغراض مختلفة يحددها سياق الحال من ناحية، والقرائن والدلائل التي تتضمنها الجملة من ناحية أخرى.

- أمّا بالنسبة ل(لما) فكان ورودها قليلاً، حيث وردت في عدد من المواضع التي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة؛ وربما كان السبب في ذلك أن المتكلمين إذا نفوا حصول الفعل فإنهم يفضلون استخدام (لم) على (لما)؛ لأنّ المنفيّ ب(لما) فيه معنى التوقع، وليس كذلك المنفيّ ب(لم).

- أمّا بالنسبة للأحرف العاملة عمل ليس، فإنني أفضل أن يستخدمها جميع متكلمي العربية وكتّابها، في حالة كونها عاملة، وذلك بالشروط التي حددها النحاة؛ لأنّ معظم استخداماتها في القرآن الكريم جاءت عاملة أكثر ممّا هي غير عاملة، ثمّ إنّ لغة أهل الحجاز التي تُعمل (ما) و(لا) النافيتين عمل (ليس) تشكّل لغة أكثر العرب، فلا يجوز إطلاق الحبل على الغارب، وترك الأمر بحيث يُعمل البعض هذه الحروف في حين يهملها آخرون ممّا يؤدي إلى حصول البلبلة والتشويش، وتوجيه الانتقاد اللاذع لمتكلمي لغة الضاد، وربما يُتهمون بأنهم يرفعون وينصبون كما يشاءون، وهذا الاتهام غالباً ما سيأتي من غير المتخصصين، أو الذين تنقصهم الخبرة في العربية وفنونها.

في الفصل الخامس الذي خصّ لظاهرة الجزاء يتضح ما يلي:

- لم يدرس النحاة ظاهرة الشرط ضمن باب مستقل بذاته من أبواب النحو، وإنّما جاءت مسأله متفرقة هنا وهناك، متداخلة مع مسائل أخرى حسبما تقتضي طبيعة التأليف لكل عالم من علماء النحو.

- تمثلت ظاهرة الشرط والجزاء في ديوان (الأصمعيّات) بشكل يكاد يكون مرضياً، ولكنّها كانت متفاوتة فيما بينها من حيث التمثيل النسبي، فمثلاً وجد حضور كبير لبعض أدوات الشرط، وعلى رأسها (إذا) التي استعملت كثيراً، حيث كانت على رأس أخواتها، فقلّما تجد مقطوعة شعريّة لم تظهر فيها هذه الأداة، ويليهما من حيث الاستعمال النسبي أداة الشرط (إن)، ثمّ (لو)، كما وجدت أدوات أخرى اقتصد في التمثيل بها، وعلى رأسها: (لما) الظرفيّة الشرطيّة، حيث وردت في اثنين وعشرين موضعاً، يليها (من) في ثلاثة عشر موضعاً، كما وجدت أدوات نادرًا ما يُمثل بها مثل: (لولا) و(متى) حيث وردت كلّ واحدة منهما في أربعة مواضع، و(مهما) و(كلّما) في موضعين لكلّ، وأمّا (أما) و(أيّما) و(أيّ) ففي موضع واحد فقط لكلّ، كما وجد الباحث بعض الأدوات التي ليس لها أيّ تمثيل مطلقاً مثل: (إذ ما)، و(حيثما)، و(أني)، و(كيفما)، و(لوما).

- وأُحِظ كذلك دخول (ما) الزائدة للتأكيد بعد أدوات الشرط مثل: (إذا ما)، و(إمّا)، و(متى ما).
- جاءت معظم التراكيب التي استخدمها الشعراء موافقة للضوابط والمعايير التي اصطلح عليها النحاة، وليست خارجة عنها إلا ما ندر، ومن ذلك أن ابن مالك قال بجواز نصب المعطوف على فعل الشرط المجزوم، نَصْبُهُ بـ(أَنْ) النَّاصِبَةَ بِاسْتِخْدَامِ (الواو) أو (الفاء)، وأجاز الكوفيون العطف بـ(ثم)، ووُجِدَ مِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَنْصِبُ الْفِعْلَ الْمَعْطُوفَ عَلَى الشَّرْطِ الْجَائِزِ بِاسْتِخْدَامِ الْحَرْفِ (أَوْ) كَمَا سَبَقَتْ الْإِشَارَةُ.

- ورد في (الأصمعيّات) تراكيب للجملة الشرطيّة تتسم بالغموض والتعمية، وكان سياق الحال هو الذي يسعّفُ الباحث في التعرف على أجزاء هذه الجملة؛ لذلك تجده يجد صعوبة أحيانًا في التعرف على عدد من التراكيب، منها الشرط بـ(لو)، حيث تداخلت (لو) الامتناعيّة مع (لو) الشرطيّة في بعض الأحيان ممّا شكّل صعوبة في التمييز بينهما.

في الفصل السادس الذي خصّ للقسم تبيين أن من النحاة من أفرد له بلبًا خاصًا، في حين وُجِدَ أَنَّ عِدَدًا آخَرَ مِنْهُمْ قَدْ تَنَاوَلُوا هَذِهِ الْمَسَائِلَ مِنْفَرِدَةً غَيْرَ مَجْتَمِعَةً، حَيْثُ جَاءَتْ مَبْعُوثَةً هُنَا وَهُنَاكَ وَمَخْتَلِطَةً مَعَ الْمَسَائِلِ الْآخَرَى حَسَبَ طَبِيعَةِ التَّأْلِيفِ الَّتِي ارْتِضَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ.
- ولُوحِظَ أَيْضًا أَنَّهُمْ اسْتَعْمَلُوا مِصْطَلَحَ الْقِسْمِ بِمَسْمِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا تَقِيدُ الْمَعْنَى نَفْسَهُ، وَتُوَدِّي الْمَقْصُودَ عَيْنَهُ، وَمِنْهَا: الْقِسْمُ وَالِاقْتِسَامُ وَالْيَمِينُ وَالْحَلْفُ وَالْأَلْيَةُ وَالْعَهْدُ وَالْقَصْدُ وَالشَّرْطُ وَالِدُّعَاءُ وَالنَّذْرُ، وَأَنَّ الْقِسْمَ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ مِثْلَهُ يُسْتَعْمَلُ إِذَا أُرِيدَ تَوْثِيقُ خَبْرٍ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ، أَوْ وَعْدٌ يَعِدُ بِهِ، أَوْ عَهْدٌ يَقْطَعُهُ عَلَى نَفْسِهِ.

- مِنْ الْمَلَاظِظِ أَيْضًا أَنَّ أَسْلُوبَ الْقِسْمِ لَيْسَ مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي تَسِيرُ عَلَى نَمَطٍ أَوْ تَتَّخِذُ تَرْتِيبًا وَاحِدًا بَعَيْنِهِ، كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْأَسَالِيبِ الْآخَرَى، وَلَكِنَّهُ يَتَحَرَّكُ دَاخِلَ الْجُمْلَةِ مَتَّخِذًا صُورًا وَأَشْكَالًا مُخْتَلِفَةً مِنْ تَقْدِمِهِ مَرَّةً، وَتَأَخُّرِهِ أُخْرَى، وَتَوْسُطِهِ ثَالِثَةً، وَحَذْفِهِ رَابِعَةً، وَإِقَامَةَ الدَّلِيلِ عَلَى الْمَحْذُوفِ كَمَا سَبَقَ التَّمَثِيلُ.

- يَتَّضِحُ أَيْضًا أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ اسْتِخْدَامِ شُعْرَاءِ (الأصمعيّات) لِلْقِسْمِ فِي صُورِهِ الْمُخْتَلِفَةِ يَتَنَاسَبُ مَعَ السِّيَاقِ الْخَاصِّ الَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهُ فِيهِ، فَعِنْدَمَا يَقْسِمُ شَاعِرٌ (ما) - علي سبيل المثال - بأنه سوف يثأر لشخص عزيز على قلبه، إنّما يصدر هذا القسم عن حاجة ماسّة في نفس مستخدم القسم تدعوه إلى توثيق كلامه باستخدام القسم؛ ليدلّ ذلك على مدى حجم المرارة التي يعاني منها مُسْتَعْمِلُ الْقِسْمِ مِمَّا دَعَاهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ اسْتِخْدَامَ الْقِسْمِ فِي كَلَامِهِ لِتَأْكِيدِ فِكْرَتِهِ الَّتِي يَنَادِي بِهَا وَحِرْصِهِ عَلَى الْوَفَاءِ لِقِسْمِهِ.

- يُلَاظِظُ أَيْضًا أَنَّ دِيْوَانَ (الأصمعيّات) لم يشتمل على الشواهد الشعريّة الكافية التي يمكن التمثيل بها على كلّ ما يتعلّق بظاهرة القسم من أحكام، ولكنّ الباحث قام بالتمثيل على هذه الأحكام كلّما وجدت لذلك سبيلًا.

- أخيراً فإنَّ القسم والشَّرط يجتمعان، فإنَّ تقدُّم القسم ودخل الشَّرط بينه وبين الجواب كان الجواب للقسم وأغنى عن جواب الشَّرط، وإنَّ عكسَ فبالعكس، وأيهما تصدَّر كان الاعتماد عليه والجواب له.

في الفصل السَّابع الَّذي خُصِّص للاستثناء تبيَّن أنَّ (إلَّا) حرفٌ مِنْ أحرف الاستثناء باتِّفاق، والمشبَّه بها مِنْ الأفعال أربعة: (ليس، ولا يكون، وما عدا، وما خلا)، وأمَّا (حاشا، وخلا، وعدا) غير مقرونتين بـ(ما)، فهي متردِّدة بين الحرفيَّة والفعلية، وأمَّا (غير) و(سوى) فهما مِنْ الأسماء.

- يتَّضح مِنْ خلال البحث في هذه الظَّاهرة النَّحويَّة (المستثنى) أنَّ بعضاً مِنْ أدوات الاستثناء كان استخدامه محسوساً ملموساً وبشكل واضح مثل (إلَّا)، وأنها وُظِّفت في هذه المجموعة الشَّعريَّة بشكل جيد، في حين أنَّ البعض الآخر مِنْ أدوات الاستثناء لم يقف الباحث له على أيِّ تمثيل في هذه المجموعة الشَّعريَّة، مثل: (عدا، وخلا، وحاشا)، مجردة مِنْ (ما) المصدرية أو مقرونة بها، كما لم يقف على أمثلة استُخدمت فيها (ليس، ولا يكون) كأدوات للاستثناء، وربَّما كان السَّبب في ذلك يتمثَّل في أنَّ استخدام مثل هذه الألفاظ لم يكن دارجاً على الألسنة في زمانهم، لذلك لم يتمَّ استخدامها مِنْ قِبَل الشعراء.

- لُوْحظ كذلك أنَّ توظيف شعراء (الأصمعيَّات) للمسائل المختلفة الَّتِي تخصُّ هذه الظَّاهرة النَّحويَّة جاء منسجماً ومتوافقاً مع معظم ما قرَّره النُّحاة واصطلحوا عليه، وقالوا بجواز استعماله.

- الملفت للنَّظر أنَّ المسائل النَّحويَّة الَّتِي تخصُّ ظاهرة الاستثناء لم تكن جميعها حاضرة في أشعار هذه المجموعة الَّتِي هي مجال للدراسة، مثل مسألة تقدُّم المستثنى على المستثنى منه، وغيرها مِنْ المسائل الَّتِي طرقتها النُّحاة وناقشوها في مؤلَّفاتهم، ومثل ظاهرة تقدُّم المستثنى على صفة المستثنى منه، وظاهرة الاستثناء مِنْ العدد، وغيرها.

ثانياً: التَّوصيات

بعد أن خلصتُ الدِّراسة إلى مجموعة مِنَ النَّتائج، فإنَّها تقترح بعض التَّوصيات الَّتِي مِنْ شأنها التَّغلب على بعض مشكلات الدِّرس في النَّحو عند الكثير مِنَ الدَّارسين في حالة أخذها بعين الاعتبار، أقول وبالله التَّوفيق:

- هذه دعوة مفتوحة تصلح لكلِّ زمان ومكان موجَّهة عبر صفحات هذه الرِّسالة إلى طلاب وطالبات الدِّراسات العليا، في التَّخصّصات الأدبيَّة المختلفة، عليكم الاهتمام بتراكم الشَّعريِّ والنَّحويِّ والبلاغيِّ في دراساتكم، والعودة إلى هذا التُّراث مستلهمين منه الحاضر مستشرفين مستقبل أمَّتكم مِنْ خلال نصوصه الشَّعريَّة والنَّثريَّة؛ لأنَّ هذا التُّراث يمثِّل رمزاً للأُمَّة العربيَّة والإسلامية

ويمثّل أحد خصوصيّاتها، وهو أحد الأدلة الواضحة على وجود هذه الأمة وعراققتها بين الأمم العريقة.

- علينا جميعاً أن نولي هذا التراث أهميّة خاصّة بالدراسة والبحث والاستقصاء، وعلينا أن نفخر به أمام الأمم؛ لأنّ فيه الشّيء الكثير الذي يستحقّ منّا جميعاً بذل المزيد من الجهد والعطاء.

- تتّجه هذه الدراسة في إحدى توصياتها إلى محبّي الدراسات اللغويّة أن يركّزوا في دراساتهم على المجموعات الشعريّة القديمة؛ لأنّها تعتبر كنوزاً نائمة بحاجة إلى من يوقظها والاستفادة منها.

- يتّجه البحث في إحدى توصياته إلى الباحثين باختيار ظواهر نحويّة وصرفيّة أخرى يقع اختيارهم عليها حسب أهميتها في وجهة نظرهم محاولين تطبيقها على ديوان (الأصمعيّات)، وشيء طبيعي أن يكون هناك ظواهر تركيبية أخرى جديرة بالدراسة وحرية بالبحث مثل ظاهرة ما لم يسمّ فاعله على سبيل المثال، فالباحث يوجه دعوة لطلاب العلم للسّير على الطّريقة نفسها لإكمال ما بدأه.

- توصية أخرى تتوجّه بها الدراسة إلى طلاب وطالبات المدارس والجامعات على اختلاف تخصصاتهم أن يركّزوا على الجانب التّطبيقيّ للقاعدة النحويّة، حبذا لو تمّ تطبيقها على نصوص أدبيّة تراثيّة قديمة؛ لأنّ هذه النصوص تعمل على إثارة العقل من أجل ربط الشّاهد النحويّ بالقاعدة النحويّة، وهذا من شأنه أن يعمل على المساعدة في حلّ بعض مشكلات تعلم النحو والصرف لدى جمهور كبير من طلاب وطالبات اللّغة العربيّة.

- توصية خاصّة تتّجه بها الدراسة إلى من يعتلون منابر الخطابة سواء الدنيّة أو الوطنيّة أو غيرها... احرصوا على تعلم قواعد النحو العربيّ من أجل تقويم ألسنتكم وتصحيح اللّحن الجليّ الذي يعتري ألسنتكم إلّا من رحم ربّي، أنتم تخاطبون جمهوراً متثقّاً في أغلب الأحيان، وسرعان ما يكتشفون اللّحن المتكرّر الذي تقترفه ألسنتكم ممّا يسبب النّفور وعدم مقدرة المخاطبين على مواصلة الاستماع، وربّما يحدث الضّجر والسّأم والملل، فالنّبّي - صلى الله عليه وسلم - يسمع رجلاً يلحن في كلامه، فيقول: "أرشدوا أخاكم فإنّه قد ضلّ"^(١).

- توصية موجّهة إلى أساتذة المدارس والجامعات، لطفاً! لا تكتفوا بأن يركّز الطّلاب على حفظ القواعد النحويّة والصرفيّة، ابتعدوا عن الطّرق العقيمة في تدريس العلوم اللغويّة التي تركّز على استظهار المعلومات من أجل تسطيرها في ورقة الإجابة، ومن ثمّ نسيانها بعد ساعات من خروجه من الامتحان، ركّزوا على إعطاء الطّالب واجبات بيّنة، كّفوهم بالذهاب إلى المكتبة وتطبيق القواعد التي تعلّموها على نصوص أدبيّة؛ لأنّ من شأن ذلك أن يعمل على صقل مهاراتهم اللغويّة وتمكينهم من ترسيخ القواعد التي تعلّموها وعدم نسيانها طوال حياتهم.

(١) كنز العمال، باب: الإكمال، ٣٠٤/١ (٢٨٠٩)، (د: ط)، دار الكتب العلميّة.

- وهذه دعوة موجّهة لطلاب وطالبات اللّغة العربيّة على اختلاف مستوياتهم لكي يعملوا على إخراج القواعد النّحويّة من طور الحفظ والاستظهار إلى مرحلة التّطبيق العمليّ على شواهد شعريّة ونثريّة على حدّ سواء نُقلت عن فصحاء العرب ممّا يؤدّي إلى ترسيخ القواعد النّحويّة لدي دارسي العلوم اللّغويّة، لاسيّما وأنّه لُوحيظ أنّ معظم الطّلاب على اختلاف مستوياتهم ومسمّيّاتهم يقومون بحفظ القواعد النّحويّة، وعند محاولة تطبيقها فإنّهم لا يقدّمون ولا يؤخّرون ممّا جعل ذلك أحد الأسباب المهمّة في ضعف طالب اللّغة العربيّة في مبحث النّحو.

- هذه دعوة أخرى عبر صفحات هذا البحث موجّهة إلي محبّي اللّغة العربيّة من أجل العمل على إبراز رقيّ الثّقافة العربيّة وجلال حضارتها؛ وذلك بالعمل على إحياء روائع الثّراث القديم ونشرها، فثرائنا العربيّ اللّغوي بحاجة إلى بذل المزيد من الجهود من أجل تسليط الضّوء على ما يحتويه من كنوز وروائع تدلّ على عقليّة صانعه الفدّة.

هذا الثّراث فيه الشّيء الكثير الذي يستحقّ أن نتوقّف عنده بالبحث والدراسة والتأمّل، لقد خَلّف لنا أسلافنا كنوزاً لم يتركها سلف لخلّف بهذه الدّرجة من الجودة والإتقان، لقد بذل أسلافنا جهداً طيباً مباركاً، وما زالت الجهود تُبذل، ولكنّ الأعمال الأدبيّة التي ورثناها عن أجدادنا بحاجة إلى بذل المزيد من الاهتمام.

أخيراً، وبعد أن أنعم الله عليّ بإتمام هذه الدّراسة آمل أن أكون قد حقّقتُ بعضاً ممّا هدفتُ الدّراسة إلى تحقيقه.

- كلمة أخيرة:

عزيزي القارئ لهذه الرّسالة، إنّ عثرتَ على صواب فله الحمد والمنّة، فهو صاحب الفضل المنعم على عباده، وإنّ صادفت خطأ فإنّني أنشذك الله أن تصلحه وتعطي حقّ النّصيحة فيه، فإنّ الدّين النّصيحة، فلا إنسان يسلم من أفة الخطأ والنّسيان، فهو ضعيف بمفرده، قويّ بإخوانه، والله أسأل أن يرزقنا الصّواب، وأنّ يجنّبنا الزّلل إنّه على كلّ شيء قدير.

شعر:

تَمَّ الْمُرَادُ وَرَبُّ الْعَرْشِ مَحْمُودٌ فَالشُّكْرُ لِلّهِ لَيْتَ الْجَهْدَ مَقْبُولُ

حيدر القاضي: على البسيط

تمّ بحمد الله وعونه في رجب ٥ رمضان ١٤٣٣هـ- ٢٤ يوليو ٢٠١٢م، حيدر أحمد القاضي

الفهارس الفنيّة العامّة

وتشمل:

أولاً: فهرس الآيات الكريمة.

ثانياً: فهرس الأحاديث المشرّفة.

ثالثاً: فهرس الآثار.

رابعاً: فهرس الأمثال والأقوال المأثورة.

خامساً: فهرس القوافي والأشعار.

سادساً: فهرس المصادر والمراجع.

سابعاً: فهرس الفهارس.

ثامناً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات الكريمة

رقم الآية	الآية القرآنية	رقم الصفحة
الفاتحة (١)		
٧	﴿...غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٢٦١
البقرة (٢)		
١٢	﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ...﴾	١٧١
٢٥٨	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ...﴾	٥٥
٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٧٤
١٣	﴿...أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ...﴾	٢٦٥
١٠٠	﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ...﴾	١٧٨
١٤٨	﴿...أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا...﴾	٣١٣
٢٤٩	﴿...فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا...﴾	٤٠٧
١٧٥	﴿...فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾	١١٣
٢٥٩	﴿...قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾	٦٢
٣٠	﴿...قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...﴾	٣٧
٢٤٧	﴿...قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا...﴾	٦٢
٣٣	﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ...﴾	١١٥
٢٥	﴿...كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ...﴾	٣٦٠
٢٨	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ...﴾	٤٣، ٦١، ١٩٦
٢٥٦	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾	٢٣١
٢٣٦	﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ...﴾	٤١٠
٢٤٥	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾	٢٠٠
٢٢٣	﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ...﴾	٣١٤
١٤	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا...﴾	٣٣٦
٢٦	﴿...وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا...﴾	٦٦
٣٥	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾	١١٥
١٠٢	﴿...وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾	٣٦٦

٣٠٩	﴿...وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ...﴾	١٩٧
٣٢٢	﴿...يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ...﴾	٩٦
آل عمران (٣)		
١٨١	﴿...أَسْلَمْتُمْ ...﴾	٢٠
٢٠٠،٦٢	﴿...أَنْتَى لَكَ هَذَا...﴾	٣٧
٢٨١	﴿...فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾	٣١
٦٢	﴿قَالَ رَبِّ أَنْتَى يَكُونُ لِي عَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ...﴾	٤٠
٢٨١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾	٣١
٤٣	﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ...﴾	٨٦
٣٧٢	﴿...وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي...﴾	٨١
٢٢١	﴿...وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	١٨٢
٢٥٣	﴿...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ...﴾	١٧٩
٢٨٩	﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ...﴾	١١٥
٢٦٥	﴿...وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾	١٣٥
النساء (٤)		
٥٥	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ...﴾	٥١
٢٧٥	﴿...إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾	١٧١
٣٨٩،٣٧٤	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ...﴾	٦٥
٢٧١	﴿...قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ...﴾	٧٧
٢٦٠	﴿...كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا...﴾	٥٦
٢٣١	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ...﴾	١١٤
٥١	﴿...وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾	١٣٢
٢٨٩	﴿...وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾	١٧٢
٢٣٣	﴿بِعَدَّتِهِمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢٠
٣٢٣	﴿...يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ...﴾	٤٢
المائدة (٥)		
١٨١	﴿...أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾	١١٦
٢٣٣	﴿...أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ...﴾	١٩

٢٨٩	﴿... مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا...﴾	٣٢
٢٩٠	﴿... وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾	٩٥
(٦) الأنعام		
٦٠	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ...﴾	١٢٢
٢٨٩	﴿وَإِنْ كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا...﴾	٣٥
٢٨٦	﴿...وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِيْخِيرٍ فَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٧
(٧) الأعراف		
١٨١	﴿...أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّفَهَاءُ مِنَّا...﴾	١٥٥
١٧٧	﴿...أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾	١٧٢
٢٥٠	﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ...﴾	١٢
(٨) الأنفال		
٣٠٢	﴿فَلَمَّا تَثَقَفَتِ الْهُمُ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ...﴾	٥٧
٣٣٦	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ...﴾	٣٨
٢٨٩، ٢٨١	﴿...وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ...﴾	١٩
٢٧٣	﴿...وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...﴾	١٧
(٩) التوبة		
٣٠٥	﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ...﴾	٤٠
٢٧٤	﴿...إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...﴾	٢٨
٤٣	﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ...﴾	٥٥
٣٠٩	﴿...فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ...﴾	٧
٧١	﴿...قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	٣٠
٢٧٦	﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ...﴾	٥٢
٤٣	﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ...﴾	٧
٣٠١	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ...﴾	٦
٢٨٨	﴿...وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾	٢٨
٢٥٢	﴿...وَلِيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى...﴾	١٠٧
٣٩٧، ٢٥٤	﴿...وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ...﴾	٣٢

يونس (١٠)		
١٧٨	﴿أَتَمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ...﴾	٥١
٢٨٨	﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ...﴾	٧٢
٢٦٨	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ...﴾	٩٨
هود (١١)		
٥٣	﴿...إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾	٧٢
٦٨، ٥٢	﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا...﴾	٧٢
١٨١	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...﴾	٨٧
يوسف (١٢)		
٢٨٨	﴿...إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ...﴾	٢٦
١٨٨	﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ...﴾	٩٠
٢٨٨	﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ...﴾	٧٧
٣٦٨	﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ...﴾	٨٥
٣٨٦	﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا...﴾	٩١
٥٠	﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ...﴾	٧٣
٢١٩	﴿...مَا هَذَا بَشَرًا...﴾	٣١
٣٣٠، ٣٢٢	﴿...وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾	١٧
١٣٧	﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا...﴾	٢٩
الرعد (١٣)		
١٨٨، ١٦٨	﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ...﴾	١٦
إبراهيم (١٤)		
١٦٧	﴿...سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا...﴾	٢١
١٧٧	﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	١٠
-	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾	٧
الحجر (١٥)		
٣٧٩	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٧٢
النحل (١٦)		
٢٠١	﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾	٢١

الإسراء (١٧)		
١٧٩	﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ...﴾	٤٠
٣١٦	﴿...أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾	١١٠
٢٧٦	﴿...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾	٩٣
٢٨١	﴿...وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا...﴾	٨
-	﴿...وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...﴾	٢٤-٢٣
٣٨٤	﴿وَلَيْسَ شَيْئًا لَنُذْهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾	٨٦
٩١	﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾	٧٢
الكهف (١٨)		
٢٨٧	﴿...إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا، فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوْتِيَنِي خَيْرًا...﴾	٣٩-٣٨
٢٥٢	﴿...إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾	٥
مريم (١٩)		
١٠٥، ١٠٢	﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا...﴾	٣٨
١٩٨	﴿...أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا...﴾	٧٣
٣٧٩	﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾	٧٠
٣٨١	﴿...لَيْنَ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجَمَنَّكَ...﴾	٤٦
طه (٢٠)		
١٩١	﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾	٥١
١١٥	﴿...قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾	١٢٠
١١٥	﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ...﴾	١١٧
الأنبياء (٢١)		
١٢٨	﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾	٦٩
٢٠٢	﴿...لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ...﴾	١١١
٣٧٨	﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ...﴾	٥٧
الحج (٢٢)		
١٧٢	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً...﴾	٦٣
١٨٥	﴿...هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾	١٥
١٣١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ...﴾	١

المؤمنون (٢٣)		
٨٠	﴿هِيَاهُ هِيَاهُ لِمَا تُوعَدُونَ﴾	٣٦
النور (٢٤)		
٨٣	﴿...سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾	١٦
الفرقان (٢٥)		
١٩٧، ١٨١، ٥٦	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلْمَ...﴾	٤٥
الشعراء (٢٦)		
١٨٠	﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا...﴾	١٨
٢٣١	﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾	٥٠
النمل (٢٧)		
١٣٧	﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ...﴾	٢٥
-	﴿...رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ...﴾	١٩
١٧٥، ٦٣	﴿...فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾	٢٠
٢٠٥	﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾	١٣
٣٦٣	﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ...﴾	٤٩
١٨٩	﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾	٣٥
القصص (٢٨)		
١٤٢	﴿...يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ...﴾	٧٩
٢١٧	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾	١٧
الرُّوم (٣٠)		
٢٦٦	﴿...فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ...﴾	٢٩
٢٨٥	﴿...وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾	٣٦
السجدة (٣٢)		
١٦٨	﴿...لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ...﴾	٣-٢
الأحزاب (٣٣)		
٢٠٥	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ...﴾	٤٠
٣٨٤	﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ...﴾	٦٠

سبأ (٣٤)		
١٨٢	﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴾	١٧
٣٣١	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُوتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾	٥١
فاطر (٣٥)		
٢٥١	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ... ﴾	٢٢
يس (٣٦)		
٢٢٠	﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ... ﴾	١٥
٦٧	﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ... ﴾	٥٢
١٤٢	﴿ ... قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾	٢٦
٢٣٩	﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَاقِي النَّهَارِ ... ﴾	٤٠
الصافات (٣٧)		
٥٢	﴿ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لِمَدِينُونَ ﴾	٥٣
٤٣، ٤٢	﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾	١٢
١٧٩	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾	٩٥
٢٣٩	﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾	٤٧
ص (٣٨)		
٢٢٧	﴿ ... فَنَادُوا وِلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾	٣
٣٦٢	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٨٢
٣٨١	﴿ وَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾	٨٨
الزمر (٣٩)		
٢٥٨، ٢٢١	﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ... ﴾	٣٦
٣٣٧	﴿ ... حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَبَحَّتْ أَبْوَابُهَا ... ﴾	٧١
٢٨٢	﴿ ... حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ... ﴾	٧٣
٥٨	﴿ ... هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾	٩
غافر (٤٠)		
٣٠٣	﴿ ... فَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾	٧٧

فصلت (٤١)		
٢٥٨	﴿... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	٤٦
الشورى (٤٢)		
٢٥٩	﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١
٢٨١	﴿... مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ...﴾	٢٠
الزخرف (٤٣)		
١٤٢	﴿... قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ...﴾	٣٨
٢٦٠	﴿... وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾	١٨
الأحقاف (٤٦)		
٢٦٠	﴿... فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ...﴾	٢٠
محمد (٤٧)		
٢٧٦	﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً...﴾	١٨
٢٩٣	﴿... وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ...﴾	٣٨
الحجرات (٤٩)		
٣٢١	﴿... لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ...﴾	٧
٣٢٨	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا...﴾	٥
الذاريات (٥١)		
٣٦٤	﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾	٢٣
الطور (٥٢)		
١٧٨	﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾	١٥
الرحمن (٥٥)		
٢٦٥، ٢٦٦	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾	٦٠
الواقعة (٥٦)		
١٧٦	﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾	٦٩
٦٤	﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾	٢٧
الحديد (٥٧)		
١٨١	﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ...﴾	١٦

المجادلة (٥٨)		
-	﴿...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾	١١
الحشر (٥٩)		
٣٨٣	﴿لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾	١٢
الصف (٦١)		
١٨٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٢
المنافقون (٦٣)		
٢٨٤	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...﴾	١
٢٠٢	﴿...فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ...﴾	١٠
الطلاق (٦٥)		
٢٠٢	﴿...لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾	١
٣٠٦	﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	٢
الملك (٦٧)		
٢٥٢	﴿...إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾	٢٠
الحاقة (٦٩)		
٩٧	﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ﴾	٢-١
١٨٨	﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾	٨
المعارج (٧٠)		
٢٦١	﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾	٢٨
الجن (٧٢)		
٢٩٠	﴿...فَمَنْ يُؤْمِنِ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾	١٣
الإنسان (٧٦)		
٣٠٤	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣
١٨٣، ٥٧	﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ...﴾	١
المرسلات (٧٧)		
٦٥	﴿لَا يَوْمَ أُجِّلَتْ﴾	١٢
٦٦	﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾	٥٠

النَّبَأُ (٧٨)		
١٨٩	﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾	١
النَّازِعَاتُ (٧٩)		
١٨٩	﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾	٤٣
٢٠١	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾	٤٢
عَبَسَ (٨٠)		
١١٣	﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾	١٧
الانْفِطَارُ (٨٢)		
٣٣٩، ٣٣٦، ٢٨٤	﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾	١
الأَعْلَى (٨٧)		
٢٧١	﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾	٧
الغَاشِيَةُ (٨٨)		
١٧٧	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	١٧
الفَجْرُ (٨٩)		
١٨٤	﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِدِي حَجْرٍ﴾	٥
١٣١	﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾	٢٧
الْبَلَدُ (٩٠)		
٣٨٩	﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾	١
الشَّمْسُ (٩١)		
٣٨٦	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّاهَا﴾	٩
اللَّيْلُ (٩٢)		
٣٣٦	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾	١
الضُّحَى (٩٣)		
٣٨٤، ٣٧٩	﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾	٤
الشَّرْحُ (٩٤)		
٢٠٧، ١٨٧	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	١
القَارِعَةُ (١٠١)		
٦٤	﴿القَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ﴾	٢-١

٧٢	﴿فَأُمَّهُ هَٰوِيَةٌ﴾	٩
العصر (١٠٣)		
٣٧٨	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾	٢
الهمزة (١٠٤)		
٣٧٦	﴿كَأَلَّا لَيُنْبَذَنَّ...﴾	٤
الماعون (١٠٧)		
١٧٧	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾	١
الإخلاص (١١٢)		
٢٠٦	﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾	٣

ثانيًا: فهرس الأحاديث المشرّفة

رقم الصفحة	الحديث الشّريف	مسلسل
٢١	" اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَن مَسَاوِيهِمْ "	-١
٣٣٣	" التمس ولو خاتمًا من حديد "	-٢
٤١٩	" أرشدوا أخاكم فإنه قد ضلّ "	-٣
٥٦	" ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط؟ "	-٤
٤٠٩	" أنا أفصح العرب ميد أنى من قريش "	-٥
٢٧٤	" إنما الولاء لمن أعتق "	-٦
١٢٤	" أي ربّي "	-٧
٧٤	" تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك "	-٨
٨٣	" سبحان الله! تطهري بها "	-٩
٨٣	" سبحان الله! المسلم لا ينجس "	-١٠
٤٣	" عجب ربك من شاب ليست له صبوة "	-١١
٥١	" كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع "	-١٢
٣٩١	" ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء "	-١٣
٣٧٢	" من حلف على يمين فيها إصر فلا كفارة لها "	-١٤
١٦٨	" هل تزوجت بكرًا أم ثيبًا "	-١٥
١٧٤	" وإن زنى، وإن سرق؟ فقال: وإن زنى وإن سرق "	-١٦
-	" ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله "	-١٧
٧٥	" ويحكم أو قال ويلكم "	-١٨

ثالثاً: فهرس الآثار

رقم الصفحة	قائله	الأثر	مسلسل
٣١٢	أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-	"إنَّ أبا بكر رجل أسيف، إنَّه متى يقوم مقامك رَقَّ"	-١
٧٩	ابن عباس- رضي الله عنه-	"أوليس تلك صلاة النَّبِيِّ! لا أمَّ لك"	-٢
-	عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-	"تعلَّموا العربيَّة فإنَّها تنبت العقل وتزيد في المروءة"	-٣
٨٣	أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-	"سبحان الله لقد قَفَّ شَعْرِي لِمَا قَلَّتْ"	-٤
٨٣	قول الصَّحابة- رضي الله عنهم-	"سبحان الله! يا رسول الله"	-٥
٨٣	عليّ- رضي الله عنه-	"كلمة رضيها الله لنفسه فأوصى بها"	-٦
١٥٨	أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-	"وا أبتاه"	-٧
٤٧	عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-	"واعجبا لك يا بن العاص"	-٨
١٥٥	عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-	"يا لله للمسلمين"	-٩

رابعًا: فهرس الأمثال والأقوال المأثورة

رقم الصفحة	المثل أو القول المشهور	مسلسل
٢٣	أَخْبَثُ مِنْ ذَنْبِ الْعَصَى	-١
٩٣	أَزْهَى مِنْ دِيكَ	-٢
٩٣	أَزْهَى مِنْ طَاوُسٍ	-٣
٦٠ "الهامش"	أَشَامُ مِنْ صَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ	-٤
٩٣	أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النَّحْيَيْنِ	-٥
٢٥٤	اطْلُبْهُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ	-٦
١٢ "الهامش"	أَعْدَى مِنَ الشَّنْفَرَى	-٧
٤٣	اغْذِرْ عَجَبٍ	-٨
٤٨ "الهامش"	أَعَزُّ مِنْ كَلِيبٍ وَائِلٍ	-٩
٣٤٠ "الهامش"	أَعْقُ مِنْ ضَبِّ	-١٠
٤٧ "الهامش"	أَعْيَيْتَنِي مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ وَمِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ	-١١
١٣٨ "الهامش"	إِلَى أُمِّهِ يَلْهَفُ اللَّهْفَانُ	-١٢
٨٢	بَخِ بَخِ سَاقٍ بِخُلْحَالٍ	-١٣
٨١	التَّمَرِ وَوَاهَا لِيَه	-١٤
٦٩ "الهامش"	جَارٌ كَجَارِ أَبِي دَاوُدَ	-١٥
١٥١ "الهامش"	حَلَسَ كَشَفَ نَفْسَهُ	-١٦
١٥١ "الهامش"	صَارَ حَلَسُ بَيْتِهِ	-١٧
٤٣	العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَبِ	-١٨
٢٧١	عِنْدَ فُلَانٍ كَذِبٌ قَلِيلٌ	-١٩
٢٧١	عِنْدَهُ صَدَقٌ	-٢٠
٢١١ "الهامش"	فَتَى وَلَا كَمَا لَكَ	-٢١
٣٢٤ "الهامش"	قَدْ حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ وَالنَّزْوَانِ	-٢٢
٧٩	لَا أَبَا لَكَ	-٢٣
٧٩	لَا أُمَّ لَكَ	-٢٤
٣٤٠ "الهامش"	لَا بِيَّ عَلَيْكَ وَلَا هِيَ	-٢٥

٨٤	لله أنت من رجل	-٢٦
٨٤ ، ٨٢	لله درّه - لله درك	-٢٧
٨٢	لله درّه فارساً	-٢٨
٣٢٩	لو ذات سوارٍ لطمثني	-٢٩
٧٨	ما له لا عدّ من نفره	-٣٠
٣٨٨ "الهامش"	مُحَارَفُ الكَسْبِ	-٣١
١٤٢	يا ربّ هيجاء هي خير من دعة	-٣٢
١٥١ "الهامش"	هذا حلس يعزي نفسه	-٣٣
٧١	هوت أمه	-٣٤
٤٧	يا ضلّ ما تجري به العصا	-٣٥
٤٨	يا للأفيكة	-٣٦
٤٨	يا للبهيتة	-٣٧
٤٨	يا للعضيهة	-٣٨
٤٦	يا لها دعة لو أنّ لها سعة	-٣٩

خامساً: فهرس القوافي والأشعار

رقم الصفحة	القائل	البحر	القافية	رقم الصفحة	القائل	البحر	القافية
باب الهزة							
فصل الهزة المكسورة							
٢٧٥	عديُّ بن رَعْلَاءَ	الخفيف	الرَّجَاءِ	٢٥٨	عديُّ بن رَعْلَاءَ	الخفيف	الأَحْيَاءِ
باب الباء							
فصل الباء المفتوحة							
١٥٧، ١٣٣، ٤٦	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	يُقْبِسُوا لَهَا	٢٣٤، ٤٤	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	عَجَبَا
١١٠	ابن مالك	الرَّجَز	بَكَرَ أَبَا	١٩٧، ٦٢	الْفَقْعَسِيِّ	الرَّجَز	الأَرْبَا
١٤٤، ١٣١	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	رُتْبَا	٣٤٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	قُرْبَى وَلَا نَسْبَا
٢٧٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	الْقَطَا عُصْبَا	١٤٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	حَقَبَا
٢١١، ١٨٢	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	الشُّرْبَا	١٧١	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	عَنْهُمْ سَلْبَا
٢٠٧	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	فَانْتَهَبَا	١٩٣	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	إِذَا رَكَبَا
٢١٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	صَخْبَا	٢٠٨	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	لَهُ عَصْبَا
٢١٦	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	تَتَخَذُ نَسْبَا	٢١١	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	سَبْبَا
٢٣٦	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	طُبْبَا	٢٣٥	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	وَالْعُقْبَا
٢٤٣	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	وَلَا ذَنْبَا	٢٤١	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	ذَا أَدْبَا
٢٤٧	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	رُعْبَا	٢٤٤	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	مَا ذَهَبَا
٢٤٨	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	أَوْ لَقْبَا	٢٤٨	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	جَرَبَا
٢٩٥، ٢٥٩	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	رَجَبَا	٢٤٨	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	مَا وَهَبَا
٢٧٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	سَرَبَا	٣٠٦، ٢٧٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	وَاقِفٌ كَثْبَا
٢٩٦	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	وَإِنْ طَلَبَا	٢٨٣	الْفَقْعَسِيِّ	الرَّجَز	قَرَشْبَا
٤١٠، ٣٠٨	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	تَعَبَا	٣٠٢	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	وَاقْتَرَبَا
٣٤٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	دَرَبَا	٣٢٩	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	لَحِيهِ قَتْبَا
٢٤٣، ١٣٣	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	عِنْدِي وَلَا نَسْبَا	٣٤٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	انْتَدَبَا
٣٤٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	رَسَبَا	٣٤٠	سَهْمُ بن حَنْظَلَةَ	البيسيط	وَثْبَا

٣٤٤	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	إِذَا عَتَبَا	٣٤٤	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	وَالنَّقَبَا
٣٥١	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	لَجَبَا	٣٤٥	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	شُهْبَا
٣٤٥	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	شَسِبَا	٣٤٧	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	اللَّبَابَا
٣٥٩	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	عَرَبَا	٣٤٧	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	مُطَلَّبَا
٣٨٣	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	حَطَبَا	٣٧٤	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	الحُجْبَا
٤١١	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	فَانشَعَبَا	٤١١	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	كَلْبَا
١٧٢	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	رَحَبَا	٤١١	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	الْبَسِيطِ	وَإِنْ كَذَبَا
فصل الباء المضمومة							
١٩٩، ٧٢	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	يُؤْبُ	٧٢، ٦٧	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	يُؤُوبُ
١٦١، ١٣٨، ٤٨	امْرؤُ القَيْسِ	الْوَافِرِ	يُصَابُوا	١٩٦، ١٩٣، ٦٨، ١٦	أَبُو النَّشْنَشِ	الطَّوِيلِ	مَذَاهِبُهُ
١٩١، ٦٤	ذُو الخِرْقِ الطَّهَوِيِّ	الْبَسِيطِ	فَتَنَّفَقُ	١٩٨، ٦١	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	وَقَلِيبُ
٧٨	أَبُو النَّشْنَشِ	الطَّوِيلِ	طَالِبُهُ	١٩٢، ٦٥	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	الشَّرَابُ طَيِّبٌ
١٣٤	ضَابِي بنِ الحَارِثِ	الطَّوِيلِ	فَنُؤُوبُ	٣٨٤، ١٤٦، ١٢٠	خُفَافُ بنِ نُذْبَةَ	الْكَامِلِ	وَمُصِيبُ
١٩٢	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	هَيُوبُ	١٥٧	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	مُجِيبُ
٢٠٢	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	مَنْكَ قَرِيبُ	١٩٢	امْرؤُ القَيْسِ	الْوَافِرِ	العِقَابُ
٢٠٩	ضَابِي بنِ الحَارِثِ	الطَّوِيلِ	وَهُوَ يَرِيبُ	٢٠٧	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	عَرِيبُ
٣٨٤ "حاشية"	خُفَافُ بنِ نُذْبَةَ	الْكَامِلِ	صَلِيبُ	٣٤٣، ٢١٤	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	بِحَيْثُ تَنُوبُ
٢٢١	ضَابِي بنِ الحَارِثِ	الطَّوِيلِ	رَيْثَهُنَّ يَخِيبُ	٢١٤	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	الرِّجَالُ يَخِيبُ
٢٣٣	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	عَلِي طَيِّبُ	٢٦٤، ٢٣١	ضَابِي بنِ الحَارِثِ	الطَّوِيلِ	حِينَ تَنُوبُ
٢٤٢	ضَابِي بنِ الحَارِثِ	الطَّوِيلِ	وَجِيبُ	٢٤١	خُفَافُ بنِ نُذْبَةَ	الْكَامِلِ	نَصِيبُ
٢٦٢	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	جَنُوبُ	٢٤٣	أَبُو النَّشْنَشِ	الطَّوِيلِ	هَارِيَةُ
٣٠٨	ضَابِي بنِ الحَارِثِ	الطَّوِيلِ	لَعَرِيبُ	٢٩٥	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	لَهُنَّ دُنُوبُ
٣٢٦	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	تَطِيبُ	٣٢٦	امْرؤُ القَيْسِ	الْوَافِرِ	الْوِطَابُ
٣٥٢	أَبُو النَّشْنَشِ	الطَّوِيلِ	أَقَارِيهُ	٣٢٧	أَبُو النَّشْنَشِ	الطَّوِيلِ	كِتَابِيَةُ
٣٤٣	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	وَهُوَ قَرِيبُ	٣٧٩، ٣٥٢	أَبُو النَّشْنَشِ	الطَّوِيلِ	عَقَارِيهُ
٣٤٣	خُفَافُ بنِ نُذْبَةَ	الْكَامِلِ	سَلِيبُ	٣٤٣	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	عَرِيبُ
٣٤٤	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	ذَهُوبُ	٣٤٤	خُفَافُ بنِ نُذْبَةَ	الْكَامِلِ	تَخْنِيبُ
٣٤٥	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	رَقِيبُ	٣٤٨	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	حَلُوبُ
٣٤٦	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	هُبُوبُ	٣٤٩	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	مَهْيَبُ

٣٨٣	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	شَعُوبُ	٣٥٨	خُفَّافُ بنِ نُذْبَةَ	الكَامِلِ	نَعِيبُ
٣٨٧	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	حِينَ يَرِيبُ	٣٨٧	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	فَعَزِيبُ
٣٨٧	خُفَّافُ بنِ نُذْبَةَ	الكَامِلِ	الْقَنَاةُ ذُنُوبُ	٣٨٧	كَعْبُ بنِ سَعْدِ	الطَّوِيلِ	حَبِيبُ
				٤١١	أَبُو التَّشْنَشِشِ	الطَّوِيلِ	عَجَائِبُهُ
فصل الباء المكسورة							
١٤٦، ٧٦، ٤٧	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	دُبُّ	١٧٣	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	خَطْبِي
١٦٩، ٥٤	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	وَالخِصْبِ	١٧٦	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	عَتَبُ
٢٦٣، ٢٠٠، ٦٣	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	شَعْبِي	٣٨٨	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	الشَّعْبِ
١٣٣، ١٢٩، ١٢٣	ذُرَيْدُ بنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	بِغَالِبِ	٦٧	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	الصَّبِّ
٢١١، ١٨٠	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	حَسْبِي	١٤٠	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	غِبُّ
٣٤٤	عُقْبَةُ بنِ سَابِقِ	الهزج	الجَدْبِ	٢٤٥، ١٩٢	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	الخَبِّ
٣٣٩، ٢١٤	الحَكَمُ الخُضْرِيّ	الطَّوِيلِ	تُهَدَّبِ	١٩٨	ذُرَيْدُ بنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	وَطَّالِبِ
٢٤٣	عُقْبَةُ بنِ سَابِقِ	الهزج	اللَّهَبِ	٢٣٤	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	وَالغَرَبِ
٣٥٥، ٢٥٦	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	الإِزْبِ	٢٥٠	عُقْبَةُ بنِ سَابِقِ	الهزج	جَابُ
٢٦٢	ذُرَيْدُ بنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	نَاكِبِ	٤٠٤، ٢٥٦	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	الرَّكْبِ
٢٧٥	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	سَهْبِ	٢٧٢	الحَكَمُ الخُضْرِيّ	الطَّوِيلِ	وَمَشْرَبِ
٢٩٤	الحَكَمُ الخُضْرِيّ	الطَّوِيلِ	تَغْضَبِ	٢٨١	ذُرَيْدُ بنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	مَحَارِبِ
٢٩٥	ذُرَيْدُ بنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	الضُّوَارِبِ	٢٩٥	ذُرَيْدُ بنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	التَّرَائِبِ
٣٢٠	ذُرَيْدُ بنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	نَاشِبِ	٣١٢	الحَكَمُ الخُضْرِيّ	الطَّوِيلِ	تَقْرَبِ
٣٣٩	الحَكَمُ الخُضْرِيّ	الطَّوِيلِ	التَّقْلَبِ	٣٢٦	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	النَّبِّ
٣٤٨	ذُرَيْدُ بنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	القَرَاهِبِ	٣٣٩	الحَكَمُ الخُضْرِيّ	الطَّوِيلِ	مُنْحَبِ
٣٨٨	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	الْكَسْبِ	٣٧٦	أَسْمَاءُ بنِ خَارِجَةَ	الكَامِلِ	حَرْبِي
باب التاء							
فصل التاء المضمومة							
١٧٩، ١٣٥	السَّمْوَعْلُ بنِ عَادِيَاءِ	الخفيف	وَقْرِيْتُ	١٨٥، ٥٩	السَّمْوَعْلُ بنِ عَادِيَاءِ	الخفيف	دُهَيْتُ
١٦٨	السَّمْوَعْلُ بنِ عَادِيَاءِ	الخفيف	فَجْزِيْتُ	١٧٩	السَّمْوَعْلُ بنِ عَادِيَاءِ	الخفيف	مُقَيْتُ
٢٣٦	سَعْيَةُ بنِ العُرَيْضِ	الوافر	الْبَيْوْتُ	٢١٧	سَعْيَةُ بنِ العُرَيْضِ	الوافر	عَنْيْتُ
٢٤١	السَّمْوَعْلُ بنِ عَادِيَاءِ	الخفيف	بَقَيْتُ	٢٣٧	السَّمْوَعْلُ بنِ عَادِيَاءِ	الخفيف	وَبَيْتُ
٢٧٣	السَّمْوَعْلُ بنِ عَادِيَاءِ	الخفيف	فَكْفَيْتُ	٢٥٧	السَّمْوَعْلُ بنِ عَادِيَاءِ	الخفيف	الْخَتَيْتُ

٢٩١	سَعْيَةَ بنِ العُرَيْضِ	الوافر	عُدَيْتُ	٢٧٦	السَّمْوَعْل بنِ عادياء	الخفيف	المُسْتَمِيْتُ
٣٤٧	السَّمْوَعْل بنِ عادياء	الخفيف	مَبْعُوتُ	٣٣٢	السَّمْوَعْل بنِ عادياء	الخفيف	حُفَيْتُ
٢٧٢	السَّمْوَعْل بنِ عادياء	الخفيف	الحَبِيْتُ	٣٥٣	السَّمْوَعْل بنِ عادياء	الخفيف	رُزَيْتُ
فصل التَّاءِ المَكسُورَةِ							
٢١	أبو قلابَةَ الجَرْمِيِّ	الخفيف	وَالطَّيِّبَاتِ	٢١	أبو قلابَةَ الجَرْمِيِّ	الخفيف	حَشَبَاتِ
٢٨٤ ، ١٩٠	عَمْرُو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ	الطَّويل	وَلَّتْ	١٨٥ ، ٧٤	عَلْبَاءُ بنِ أَرْقَمَ	الكمال	تَعَلَّتِي
٢١٢	عَمْرُو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ	الطَّويل	ابْدَعَرَّتْ	٢٠٨	عَلْبَاءُ بنِ أَرْقَمَ	الكمال	زَلَّتِي
٢٣٣	عَمْرُو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ	الطَّويل	عَزَّتِي	١٩٥	عَبْدُ اللَّهِ بنِ جِنْحَ	الكمال	قَنَاتِي
٣٠٠ ، ٢٤٦	عَبْدُ اللَّهِ بنِ جِنْحَ	الكمال	بِتْرَاتِ	٢٣٦	عَبْدُ اللَّهِ بنِ جِنْحَ	الكمال	لِدَاتِي
٣٠٣	عَلْبَاءُ بنِ أَرْقَمَ	الكمال	حَلَّتِي	٢٦٠	عَبْدُ اللَّهِ بنِ جِنْحَ	الكمال	سَادَاتِ
٣٤١	عَمْرُو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ	الطَّويل	أَزْمَهَرَّتْ	٣٢٨	عَمْرُو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ	الطَّويل	أَجَرَّتْ
٣٥٣	عَلْبَاءُ بنِ أَرْقَمَ	الكمال	جَلَّتْ	٣٤٥	عَبْدُ اللَّهِ بنِ جِنْحَ	الكمال	حُمَاتِي
٣٥٨ "حاشية"	عَمْرُو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ	الطَّويل	فَاسْتَقَرَّتْ	٣٥٨	عَمْرُو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ	الطَّويل	فَاسْبَطَرَّتْ
٣٦٠	عَمْرُو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ	الطَّويل	فَازِيَارَاتِ	٣٥٨ "حاشية"	عَمْرُو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ	الطَّويل	فَكَرَّتْ
				٣٨٨	عَلْبَاءُ بنِ أَرْقَمَ	الكمال	وَالَّتِي
باب الحاء							
فصل الحاءِ السَّاكنَةِ							
				١٠٥	ابن مالِك	الرَّجز	يَضِحُ
فصل الحاءِ المضمومة							
				٣١٤ "حاشية"	لبيد بن ربيعة	الكمال	الصَّالِحُ
فصل الحاءِ المَكسُورَةِ							
				٧٧ "حاشية"	جميل بثينة	الطَّويل	بالقَوَادِحِ
باب الخاء							
فصل الخاءِ المَكسُورَةِ							
				٩٦	طرفه بن العبد	البيسط	طَبَّاحُ
باب الدَّالِ							
فصل الدَّالِ المضمومة							
٢١٢	مَالِكُ بنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّويل	المُتَوَحِّدُ	٢١١	مَالِكُ بنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّويل	يَتَرَوِّدُوا
٢٤٣	مَالِكُ بنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّويل	مِنْهُمُ يَدُ	٢١٣	مَالِكُ بنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّويل	يُحَدِّثُ العُدَّ

٣٠٥	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	أَتَوَدَّدُ	٢٧٠	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	مُرِيدٌ
٣٤٢	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	أَبْرُدُ	٣٣٢	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	مَقْعُدٌ
٣٤٣	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	يَتَأَوَّدُ	٣٤٢	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	فَأَنْجَدُوا
٣٥٩	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	تَأَوَّدُوا	١٥٧، ١٣٣، ٤٦	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	أَسْوَدٌ
				٢٧٠	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	تُعْرَدُ
فصل الدال المكسورة							
١٤٧، ١٣٢، ١٢١	خُفَّافِ بْنِ نُذْبَةَ	السَّرِيعِ	الْخَالِدِ	٦٤	دَوْسَرَ بْنِ ذُهَيْلٍ	الطَّوِيلِ	هِنْدٌ
١٥٥	عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ	الْكَامِلِ	أَرْتَدِي	٢٣٠، ١٥٢	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	عَنْ يَدِ
٢٠٨	دَوْسَرَ بْنِ ذُهَيْلٍ	الطَّوِيلِ	وُدِّي	٣٩٩	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	بِمَرْصَدِ
٢١٠	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	يُجَدِّدِ	٢١٠	عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ	الْكَامِلِ	تُصَنِّدِ
٢١٢	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	يَدِي	٢١٢	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	بِي عَوْدِي
٢١٤	عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ	الْكَامِلِ	شَرَقَ الْعَدِ	٢١٢	مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ	الطَّوِيلِ	عَلَى عَمِدِ
٢٢٥	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	طَائِشَ الْيَدِ	٢٢٠	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	أَرْشَدِ
٢٥٨	دَوْسَرَ بْنِ ذُهَيْلٍ	الطَّوِيلِ	عَهْدِي	٢٣٠	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	الْمُقَيَّدِ
٢٦٩	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	مُلْبِدِ	٢٦٢	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	مُخَلِّدِ
٢٧٥، ٢١٢	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	أَوْ غَدِ	٢٧١	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	وَفَدَفَدِ
٢٨٩	دَوْسَرَ بْنِ ذُهَيْلٍ	الطَّوِيلِ	الْمُرْدِ	٢٨٨	عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ	الْكَامِلِ	نَحْشُدِ
٢٩٤	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	بِمَعْبَدِ	٢٩٤	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	وَيَزِدِدِ
٢٩٧	خُفَّافِ بْنِ نُذْبَةَ	السَّرِيعِ	الْحَارِدِ	٢٩٧	دَوْسَرَ بْنِ ذُهَيْلٍ	الطَّوِيلِ	الْعَمْدِ
٣٣٨	خُفَّافِ بْنِ نُذْبَةَ	السَّرِيعِ	بِالسَّاعِدِ	٣٠٣	عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ	الْكَامِلِ	عَوْدِي
١٩٣	أَحِيحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ	الْوَافِرِ	بَعْدِي	٣٤١	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	الْمُتَبَدِّدِ
٣٥١	عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ	الْكَامِلِ	أُنْشَدِ	٤١١، ٣٤٩	أَحِيحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ	الْوَافِرِ	تَفْدِي
٣٥٦	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	مُعْتَدِي	٣٥٠	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	الْمُعْضَدِ
٣٥٦ حاشية، ٣٩٦	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	ضَحَى الْعَدِ	٣٥٦	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	ابْعُدِ
٣٥٧	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	بِقَعْدِ	٣٥٧	دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	مُهْتَدِ
باب الراء							
فصل الراء الساكنة							
				٧٢	مُرْقَشِ الْأَصْغَرِ	الْبَسِيطِ	صَبُورٌ
فصل الراء المفتوحة							

١٥٤، ٦٩	أبو دُوَادِ الإِيَادِيّ	المتقارب	دَارَا	١٨٧، ٥٤	مَقَّاسُ العَائِذِيّ	الطَّوِيل	الْمَنَآكِرَا
١٤٧، ١٢٩	مَقَّاسُ العَائِذِيّ	الطَّوِيل	الْحَوَافِرَا	١٠٥	أَمْرُو القَيْسِ	الطَّوِيل	أَصْبِرَا
٢٨٧	مَقَّاسُ العَائِذِيّ	الطَّوِيل	سَادِرَا	٣٥٦ "حاشية"	أبو دُوَادِ الإِيَادِيّ	المتقارب	اضْطِمَارَا
٣٤٧	أبو دُوَادِ الإِيَادِيّ	المتقارب	الْخَبَارَا	٣٠٤	أبو دُوَادِ الإِيَادِيّ	المتقارب	انْكِسَارَا
٣٥٦	أبو دُوَادِ الإِيَادِيّ	المتقارب	أَنَارَا	٣٥٦	أبو دُوَادِ الإِيَادِيّ	المتقارب	حِمَارَا
٣٨٢، ٣٧٩	مَقَّاسُ العَائِذِيّ	الطَّوِيل	قَادِرَا	٣٥٧ "حاشية"	أبو دُوَادِ الإِيَادِيّ	المتقارب	النَّفَارَا
٣٥٦	أبو دُوَادِ الإِيَادِيّ	المتقارب	يُطَارَا	٣٨٢ "حاشية"	أبو دُوَادِ الإِيَادِيّ	الطَّوِيل	وَقَاطِرَا
فصل الرّاء المضمومة							
١٥٢، ١٥٠	زهير بن أبي سلمى	الطَّوِيل	تُدَكِّرُ	٢٢٤، ٤٤	أعشى باهلة	الْبَسِيط	وَلَا سَخْرُ
٢٢٥	أعشى باهلة	الْبَسِيط	وَلَا شَجْرُ	١٧٦	أعشى باهلة	الْبَسِيط	مُنْتَشِرُ
٢١١	تَأَبَّطَ شَرًّا	الطَّوِيل	خَابِرُ	٢٣٨	تَأَبَّطَ شَرًّا	الطَّوِيل	مَصَادِرُ
٢٤١	أعشى باهلة	الْبَسِيط	الصَّفْرُ	٢٣٩	أعشى باهلة	الْبَسِيط	صَفْوِه كَدْرُ
٢٤٤	أعشى باهلة	الْبَسِيط	يَقْتَفِرُ	٢٤١	أعشى باهلة	الْبَسِيط	الْبَصْرُ
٢٥٠	أعشى باهلة	الْبَسِيط	مُضْرُ	٣٩٩، ٢٤٦	أبو الطُّفَيْلِ الكِنَانِيّ	الطَّوِيل	يُثَاوِرُ
٣١٤	لييد بن ربيعة	الطَّوِيل	شَاجِرُ	٢٦٠	أعشى باهلة	الْبَسِيط	الزَّفْرُ
٣٣٢	أعشى باهلة	الْبَسِيط	الْحَدْرُ	٣٣٠	أعشى باهلة	الْبَسِيط	أَوْ صَدْرُ
٣٤٦	أعشى باهلة	الْبَسِيط	السَّفْرُ	٣٤٤	أعشى باهلة	الْبَسِيط	عَسْرُ
٣٥٣	أعشى باهلة	الْبَسِيط	جَزْرُوا	٣٥٠	أعشى باهلة	الْبَسِيط	الْمَطْرُ
٣٧٧	-	الْكَامِل	الْمَقْهُورُ	٣٥٨	أعشى باهلة	الْبَسِيط	مُعْتَمِرُ
٣٩٩	أعشى باهلة	الْبَسِيط	يَأْتَمِرُ	٣٩٥	أعشى باهلة	الْبَسِيط	وَقَعِه أَثْرُ
فصل الرّاء المكسورة							
٤٨	كَلَيْبُ بن ربيعة	الرَّجَزُ	وَاصْفُرِي	١٧	الرَّبِيعُ بن زياد	الْكَامِل	لِلنُّظَارِ
١٨٥، ٥٩	عروة بن الورد	الطَّوِيل	وَبِمَنْسِرِ	٨٤، ٤٩	عروة بن الورد	الطَّوِيل	الْمُنْتَوِرِ
٣٢٤، ١٩٧، ٦١	مُهَلْهَلُ بن ربيعة	الْوَافِرِ	الْقُبُورِ	٢٦٦، ١٨٣	عروة بن الورد	الطَّوِيل	مُتَأَخِّرِ
٣٢٤، ٦٦	مُهَلْهَلُ بن ربيعة	الْوَافِرِ	زَيْرِ	١٩٥، ٦٥	الْمُنْخَلُ اليَشْكُرِيّ	(مر)الْكَامِل	حَرُورِ
٧١	عروة بن الورد	الطَّوِيل	مَجَزْرِ	١٤٦، ٦٨ ١٩٣، ١٤٧	الْمُنْخَلُ اليَشْكُرِيّ	(مر)الْكَامِل	الْأَسِيرِ
١٠٥	عُرْوَةُ بن الورد	الطَّوِيل	فَأَجْدِرِ	٩٩	العرجي، وقيل لغيره	الْبَسِيط	وَالسَّمْرِ
٣٨٦ "حاشية"	النابعة الذبيانيّ	الطَّوِيل	صَادِرِ	٣٥٣، ١٢٣	مُهَلْهَلُ بن ربيعة	الْوَافِرِ	فَلَا تَحْوِرِي

١٥٤، ١٤٦، ١٣٤	عُرْوَة بن الوُرْد	الطَّوِيل	مُشْتَرِي	١٢٩	عروة بن الورد	الطَّوِيل	فاسهري
١٥١ "حاشية"	رؤبة بن العجاج	الرَّجَز	بَعِيرِي	١٤٢	المُنْخَل اليَشْكُرِي	(مر)الكمال	قَصِير
١٦٩	عروة بن الورد	الطَّوِيل	مُخْطِر	١٥٤	عروة بن الورد	الطَّوِيل	وَمَجْزِي
٢٠٩	المُنْخَل اليَشْكُرِي	(مر)الكمال	لِزُور	١٦٩	عُرْوَة بن الوُرْد	الطَّوِيل	مُنْكَرِي
٢٤٧	عروة بن الورد	الطَّوِيل	وَاصْبِرِي	٢٤١	عُرْوَة بن الوُرْد	الطَّوِيل	المُنْفَر
٢٨٤	المُنْخَل اليَشْكُرِي	(مر)الكمال	الْكَبِير	٢٥٩	عُرْوَة بن الوُرْد	الطَّوِيل	تَعْتَرِي
٢٩٣	عروة بن الورد	الطَّوِيل	وَمَنْظَر	٢٨٧	المُنْخَل اليَشْكُرِي	(مر)الكمال	ولا تحوري
٢٩٩	عروة بن الورد	الطَّوِيل	المُنْتَظَر	٢٩٥	مُهْلَهْل بن رِبِيعَة	الوافر	القَصِير
٣٢٠	مُهْلَهْل بن رِبِيعَة	الوافر	بِالذُّكُور	٤١٠، ٣١٧	عروة بن الورد	الطَّوِيل	مَحْضَر
٣٥٢	عروة بن الورد	الطَّوِيل	صَبْر	٣٤٨	أبو مَهْدِيَة الكلابي	الكمال	لِطْهُور
٣٨٧	المُنْخَل اليَشْكُرِي	(مر)الكمال	وَبِالكَثِير	٣٨٧	المُنْخَل اليَشْكُرِي	(مر)الكمال	المَطِير
				٣٩٧	عُرْوَة بن الوُرْد	الطَّوِيل	المُجَوَّر

باب السَّيْن

		فصل السَّيْن المَفْتُوحَة					
٨٨	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	القَوَانِيسَا	١٨٣	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	الكَوَانِيسَا
٢٣٢	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	جَالِيسَا	١٠٣	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	فَارِيسَا
٢٤٢	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	آنِيسَا	٢٣٥	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	الْأَكَايسَا
٢٩٧	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	المَعَاطِيسَا	٣٥٨، ٢٤٨	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	فَوَارِيسَا
٣٤٢	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	المَدَاعِيسَا	٣٢٧	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	عَرَائِيسَا
٣٩٦، ٣٥٢	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	عَوَائِيسَا	٣٥٠	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	المُنْقَاعِيسَا
٤٠٥	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	الرَّوَامِيسَا	٣٩٤	العَبَّاس بن مِرْداس	الطَّوِيل	لَايسَا

باب الضَّاد

		فصل الضَّاد المَكْسُورَة					
٢٩٣	ذو الإصبع العدواني	الهزج	المَحْض	٢٠٨	ذو الإصبع العدواني	الهزج	قَبْض

باب العين

		فصل العين المَفْتُوحَة					
٢٤٧، ١٨٢	مَالِك بن حَرِيم	الطَّوِيل	وَدَّعَا	١٧٥	مَالِك بن حَرِيم	الطَّوِيل	أَوْجَعَا
٢٠٨	مَالِك بن حَرِيم	الطَّوِيل	ظَلَّعَا	٢٠٧	مَالِك بن حَرِيم	الطَّوِيل	فَوَدَّعَا
٢١٠	مَالِك بن حَرِيم	الطَّوِيل	مُورَعَا	٢١٠	مَالِك بن حَرِيم	الطَّوِيل	فَتَجَدَّعَا

٢٣٤	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	لَتَنْفَعَا	٢٣٤	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	أُذْرَعَا
٢٤٦	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	لِنَشْبَعَا	٢٤٥	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	مُقَدَّعَا
٢٩٧	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	أَرْبَعَا	٢٨٦	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	مُقَنَعَا
٣٠٨	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	مَوْضَعَا	٣٠١	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	مُقَطَّعَا
٣٤٠	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	بِدَعْدَعَا	٣٤٠	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	مَعَا
٣٤٥	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	لِنُودَعَا	٣٤١	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	مَطْلَعَا
٣٥٣	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	تَمَنَعَا	٣٤٩	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	تَضْوَعَا
٤١٢	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	لِيُدْفَعْنَ مَدْفَعَا	٤١١	مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ	الطَّوِيلِ	لِتُدْفَعْ مَدْفَعَا
فصل العين المضمومة							
١٦	-	الطَّوِيلِ	يَصْنَعُ	٢١٤ ، ١١	عمرو بن معد يكرب	الوافر	تَسْنَطِيْعُ
١٦	-	الطَّوِيلِ	قَلْبُهُ يَتَقَطَّعُ	١٦	الأصمعيّ	الطَّوِيلِ	وَيَخْضَعُ
١٧	-	الطَّوِيلِ	يَمْنَعُ	١٧	الأصمعيّ	الطَّوِيلِ	أَنْفَعُ
١٥٤ ، ٤٥	عمرو بن معد يكرب	الوافر	فَطِيْعُ	٤٥	عمرو بن معد يكرب	الوافر	وَالْفُرُوعُ
١٧٣ ، ٥٣	عمرو بن معد يكرب	الوافر	هُجُوعُ	٥٣	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	أَهْجَعُ
١٧٣ ، ٥٧	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	يَرْجِعُوا	١٨٧ ، ٧٤	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	تَرْقَعُ
٢٩٦ ، ٦٩	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	(مر)الکامل	أَرْوَعُ	١٩٧ ، ٦١	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	مَضْجَعُ
٨٥	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	فَتَصَدَّعُوا	٦٩	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	مَتَّعُوا
١٢٧	مُثَعَّثُ الْعَامِرِيِّ	الوافر	الْمَتَاعُ	١٠٨	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	(مر)الکامل	سَمَيْدَعُ
١٤٠	عمرو بن معد يكرب	الوافر	مَلِيْعُ	١٥٨ ، ١٤٦ ، ١٣٠	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	وَتَسْرَعُوا
٢٣٥	عمرو بن معد يكرب	الوافر	الضَّلُوعُ	١٤٠	عمرو بن معد يكرب	الوافر	الْقَطِيْعُ
٣٨٨	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	لَأَشْنَعُ	٢٣٥	عمرو بن معد يكرب	الوافر	جَزُوعُ
٢٧٣	عمرو بن معد يكرب	الوافر	شَفِيْعُ	٢٧٢	عمرو بن معد يكرب	الوافر	كَتِيْعُ
٢٩٩	عمرو بن معد يكرب	الوافر	رُفُوعُ	٢٩٦	عمرو بن معد يكرب	الوافر	يُضْيِعُوا
٣٢٣	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	المُوجَعُ	٣٠٤	عمرو بن معد يكرب	الوافر	الرَّفِيْعُ
٣٤٨	عمرو بن معد يكرب	الوافر	الصَّقِيْعُ	٣٣٠	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	يَجْرَعُ
٣٤٦	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	التَّبِيْعُ	٣٤٩	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	الجُوعُ
٣٦٦	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	سَيِّبِيْعُ	٣٤٦	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	الْوَعُوعُ
٣٨٠	عمرو بن معد يكرب	الوافر	يَرِيْعُ	٣٧٣	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	أَشْنَعُ
٣٨٢	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	يَنْفَعُ	٣٨٥	سُغْدَى بِنْتُ الشَّمْرَدَلِ	الکامل	فَمُودَعُ

فصل العين المكسورة						
١٨٢، ٥٤	الأجدع بن مالك	الكامل	الأزباع	١٣٩، ٧٥، ٥١	الأجدع بن مالك	الكامل
٩٣	الأجدع بن مالك	الكامل	رداع	١٢٢، ٥٧	الأجدع بن مالك	الكامل
١٣٤	الأجدع بن مالك	الكامل	جفجاع	١٢٣	الأجدع بن مالك	الكامل
١٧٢، ١٣٤	يزيد بن الصعق	الطويل	وتدعي	١٥٥	الخطيئة	الوافر
٣٨٨	الأجدع بن مالك	الكامل	بيفاع	٢٤٦، ١٨٠	الأسدي	الطويل
٢٢٠	مشعث العامري	الوافر	والسباع	٢١١	الأجدع بن مالك	الكامل
٢٤٩	الأجدع بن مالك	الكامل	مظلاع	٢٢٤	الأجدع بن مالك	الكامل
٢٨٨	الأجدع بن مالك	الكامل	بمباع	٢٦٣	الأسدي	الطويل
٣٨٠	الأجدع بن مالك	الكامل	مطاع	٣٢٨	الأجدع بن مالك	الكامل
٣٨٨	الأجدع بن مالك	الكامل	الوعواع	٣٨١	الأجدع بن مالك	الكامل

باب الفاء

فصل الفاء الساكنة						
				٤٦	ابن مالك	الرجز
فصل الفاء المفتوحة						
٢٢	أبو العالية الشامي	البسيط	خلفا	٢٢	أبو العالية الشامي	البسيط
فصل الفاء المضمومة						
١٦٠، ١٤٦، ١٤٥	قيس بن الخطيم	المنسرح	وانصرفوا	٦٧	قيس بن الخطيم	المنسرح
٢٤٧	قيس بن الخطيم	المنسرح	لذة طرف	٢٤٠	قيس بن الخطيم	المنسرح
٢٧٦	قيس بن الخطيم	المنسرح	يختلف	٣٦٨، ٢٦٣	قيس بن الخطيم	المنسرح
٣٣١	قيس بن الخطيم	المنسرح	السلف	٣٣١	قيس بن الخطيم	المنسرح
٣٤٦	قيس بن الخطيم	المنسرح	أنف	٣٤٨	قيس بن الخطيم	المنسرح
٣٥٧	قيس بن الخطيم	المنسرح	والصحف	٣٤٥	قيس بن الخطيم	المنسرح
٣٧٤	قيس بن الخطيم	المنسرح	سداف	٣٦٨	قيس بن الخطيم	المنسرح
				٨٠	قيس بن الخطيم	المنسرح

باب القاف

فصل القاف المضمومة						
٣٥٧	المفضل النكري	الوافر	والحزيق	٥٦	المفضل النكري	الوافر
١٤٩	المفضل النكري	الوافر	يسوق	٢٠٨	المفضل النكري	الوافر

٣٩٧	المفضَّل التُّكْرِي	الوافر	فُوقُ	١٧١، ٣٥٦ "حاشية"	دُو الخِرْقِ الطُّهَوِي	البيسط	الرَّمَقُ
٢٩٨	المفضَّل التُّكْرِي	الوافر	أَنِيقُ	٢٢٤	دُو الخِرْقِ الطُّهَوِي	البيسط	وَلَا نَزَقُ
٣٢٤	المفضَّل التُّكْرِي	الوافر	نَسُوقُ	٣١٠ "حاشية"	السُّهَيْلِي	الكامل	يُتَوَقَّعُ
٤٠٨	دُو الخِرْقِ الطُّهَوِي	البيسط	وَالوَرَقُ	٣٢٦	المفضَّل التُّكْرِي	الوافر	تَسُوقُ
٣٥٦	دُو الخِرْقِ الطُّهَوِي	البيسط	الورقُ	٢٣٥	المُفَضَّل التُّكْرِي	الوافر	رِبِقُ
فصل القاف المكسورة							
١٧٤، ١٣٨، ٥٥	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	مُشَرَّقِي	٣٠٥، ٥٤	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	أَعْرَقِ
١٨٥، ٥٩	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	مُتَأَلَّقِي	١٨٤، ٥٨	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	وَالخَوَزَنَقِ
١٣٥	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	مُحَرَّقِ	١٨٣	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	مَنْطِقِي
١٩٩	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	المُمَزَّقِ	٢٦٧، ١٩٤	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	فَمَطْرَقِ
٢٠٩	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	تَأْتَقِي	٣٤٢، ٢٠٠	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	نَأْتَقِي
٢٦٤، ٢٢٣	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	تَعْتَقِي	٢٠٩	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	تُدَقِّقِ
٢٤٤	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	مُحَمِّقِ	٢٣٢	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	مُحْنِقِ
٢٥٨	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	فِيهَقِ	٢٤٥	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	بِمَعْبِقِ
٢٦٢	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	سَخَط مُفَرَّقِ	٢٦٢	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	مُطَلَّقِ
٢٨٩	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	مُفَلَّقِ	٢٦٣	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	المُطَبَّقِ
٢٩٦	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	أَعْرَقِ	٢٩٤	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	وَتَفَرَّقِ
٢٩٦	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	يَأْنِقِ	٢٩٨	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	أَمْرَقِ
٣٠٧	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	يُخْرِقِ	٣٠٣	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	كُلَّ مَفَرَّقِ
٣٠٧	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	يَنْفِقِ	٣٠٧	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	فَيَسْبِقِ
٣٠٩	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	وَيُطَلِّقِ	٣٠٧	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	يَأْرَقِ
٣١٠	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	يُحَقِّقِ	٣٠٩	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	وَيَفَرِّقِ
٣١٢	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	يُشْرِقِ	٣١٢	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	يَعْرَقِ
٣٢٠	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	يُخَرِّقِ	٣٢٠	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	تُطَلِّقِ
٣٣٩	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	المُوسِّقِ	٣٣٣	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	يَزْتَقِي
٣٥٠	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	تُحَرِّقِ	٣٤١	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	مَصْدَقِ
٣٩٦	خُفَاف بن نَدْبَةَ	الطَّوِيل	بِالمُشَرَّقِ	٣٥١	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	سَاقٍ وَمَفَرَّقِ
٤١١	المُمَزَّق العبدِي	الطَّوِيل	مُعَلَّقِ	٤٠٧	سَلَامَةَ بن جَنْدَل	الطَّوِيل	خَيْفَقِ

باب الكاف

		فصل الكاف المكسورة					
٢١٠	طَرْفَةَ بنِ الْعَبْدِ	الطَّوِيلِ	مَالِكِ	٢٣٢، ١٨٤، ٤٤	سَهْمُ بنِ حَنْظَلَةَ	البسيط	كَذَلِكَ
				٣٩٩	طَرْفَةَ بنِ الْعَبْدِ	الطَّوِيلِ	دَارِكِ

باب اللّام

		فصل اللّام المفتوحة					
٣٩٩، ١٤٢	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	وَأَجْهَلَا	٨٥	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	مُفْصَلًا
٢١٠	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	وَأَطْوَلًا	١٩١	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	مُتَطَلَّلًا
٣٩٩، ٢٣٠	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	فَأَسْأَلًا	٢١٠	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	وَأَعْدَلًا
٢٥٦	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	يَتَحَوَّلًا	٣٥٦، ٢٤٤	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	أَوَّلًا
٣٤١	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الطَّوِيلِ	تَمَهَّلًا	٢٦٩	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	فَأَجْفَلًا
٥٩	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الرَّجَزِ	جَهْلَةً	٥٩	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الرَّجَزِ	التَّتَفُّلَةَ
١٨٨	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الرَّجَزِ	المَحْفَلَةَ	١٨٨	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الرَّجَزِ	وَلَهُ
١٧٢	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الرَّجَزِ	الأَعْرَلَةَ	١٦٩	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الرَّجَزِ	أَنْمَلَةَ
٢٣٢	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الرَّجَزِ	لَهُ	٢١٣	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الرَّجَزِ	أَفْعَلَةَ
٣٠٣	صُحَيْرِ بنِ عُمَيْرِ	الرَّجَزِ	وَالْعَلَةَ	٢٤٠	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الرَّجَزِ	الْوَلَةَ
٣٥٠	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	هَزُولًا	٣٣٨	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	وَأَنْهَلًا
٣٤٧	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	عَيْهَلًا	٣٥٠	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	تَعَوَّلًا
٣٩٥	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	وَتَوَكَّلًا	٣٥٢	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	لِتُرْسِيَلًا
٤٠٢	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	فَأَقْبَلًا	٣٩٩	ضَابِي بنِ الْحَارِثِ	الطَّوِيلِ	مُتَعَلَّلًا

فصل اللّام المضمومة

١٩٠، ٧٠	عبد الله بنِ عَمَمَةَ	الوافر	السَّبِيلُ	٤١٩	حيدرُ القاضي	البسيط	مَقْبُولُ
٣٧٢، ٢١٨، ١٧٣	عبد الله بنِ عَمَمَةَ	الوافر	ذَمُولُ	١٣٦	عبد الله بنِ عَمَمَةَ	الوافر	الأَصِيلُ
٢٤٧	عبد الله بنِ عَمَمَةَ	الوافر	قَتِيلُ	٢٠٩	عبد الله بنِ عَمَمَةَ	الوافر	صَقِيلُ
٢٥٩	حَجَلُ بنِ نَضَلَةَ	الکامل	يَتَقَوَّلُ	٢٥١	حَجَلُ بنِ نَضَلَةَ	الکامل	أَغْزَلُ
٣٤٩	عبد الله بنِ عَمَمَةَ	الوافر	فَصِيلُ	٢٧٠	حَجَلُ بنِ نَضَلَةَ	الکامل	مُزْمَلُ
٣٤٥	حَجَلُ بنِ نَضَلَةَ	الکامل	مِفْصَلُ	٣٤٩	عبد الله بنِ عَمَمَةَ	الوافر	الحَلِيلُ
				٣٨٧، ٣٨٢	عبد الله بنِ عَمَمَةَ	الوافر	خَلِيلُ

فصل اللّام المكسورة						
-	ابن هشام	الطّويل	أَخَا نُدْلٌ	-	ابن هشام	الطّويل
١٩١، ٦٤	امرؤ القيس	السّريع	الباسِلِ	١٧٩	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل
٣٠٦، ١٤٠	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل	سَبِيلِ	١٤٥، ١٣٧	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل
١٩٥	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل	نُزُولِي	١٥٣	امرؤ القيس	السّريع
٢١٣	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل	بِجْهُولِ	٢١٢	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل
٢٢٢	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل	بِغَفُولِ	٢٢٢	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل
٢٢٢	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل	بِسُوُولِ	٢٢٢	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل
٢٤٨	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل	هَدِيلِ	٢٢٥	الْحَارِث بن عَبَاد	الخفيف
٢٦٣	امرؤ القيس	السّريع	وَإِغِلِ	٢٥٨	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل
٤٠١، ٣٠٧	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل	قَلِيلِ	٣٢٦	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل
٣٢٩	كَعْب بن سعدٍ	الطّويل	عَجُولِ	٣٧٣	الْحَارِث بن عَبَاد	الخفيف
باب الميم						
فصل الميم الساكنة						
٣٨٠، ١٧٩	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل	اتَّخَمَ	١٩٨، ٦٦	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل
٢١٦	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل	الرَّجَمَ	٢٩٥، ٢١٣	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل
٢٤٦	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل	مَلُوحَمَ	٢٣٢	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل
٣٤٢	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل	نَحَمَ	٢٥٨	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل
٤٠٨، ٢٩٧	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل	مِنْ نَدَمَ	٥٣	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل
٣٧٤	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل	وَالْقَسَمَ	٣٤٦	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل
				٣٩٩	عَلْبَاء بن أَرْقَمَ	الطّويل
فصل الميم المفتوحة						
١٠٣، ١٠١	العَبَّاس بن مِرْدَاس	الطّويل	المُقَدَّمَا	٣٧٢، ٢٤٥، ٧١	عَوْف بن عَطِيَّةَ	الطّويل
٣١٤، ١٧٣	المُتَلَمَّسُ	الطّويل	أَيْنَمَا	٣٣٠، ٢٤٥، ١٤٩	المُتَلَمَّسُ	الطّويل
١٠٩	ابن مالك	الرَّجَز	أُلْزِمَا	١٨٥، ٦٠ ٣٩٨، ٢٨٧	المُتَلَمَّسُ	الطّويل
١٩٤	عَوْف بن عَطِيَّةَ	الطّويل	العِظَانِمَا	١٨٠	عَوْف بن عَطِيَّةَ	الطّويل
٣٩٦، ٢١٨	المُتَلَمَّسُ	الطّويل	يَتَكْرَمَا	٢٠٩	المُتَلَمَّسُ	الطّويل
٢٣٤	المُتَلَمَّسُ	الطّويل	أَتَكَلَّمَا	٢٧٠، ٢٣٢	المُتَلَمَّسُ	الطّويل

٢٨٣	عَوْفُ بنِ عَطِيَّةَ	الطَّوِيلُ	نُسَالِمًا	٢٣٦	المُتَمَسُّ	الطَّوِيلُ	لِيَعْلَمَا
٢٩٤	عَوْفُ بنِ عَطِيَّةَ	الطَّوِيلُ	كَمَا هُمَا	٢٩٤	عَوْفُ بنِ عَطِيَّةَ	الطَّوِيلُ	آجِمَا
٢٩٨	عَوْفُ بنِ عَطِيَّةَ	الطَّوِيلُ	المَقَاحِمَا	٢٧٩	المُتَمَسُّ	الطَّوِيلُ	المُزْنِمَا
٣٢٧	المُتَمَسُّ	الطَّوِيلُ	لَصَمَّمَا	٣٠٨	المُتَمَسُّ	الطَّوِيلُ	المُدَمَّمَا
٣٣٣	عَوْفُ بنِ عَطِيَّةَ	الطَّوِيلُ	جَمَاجِمَا	٣٢٩	المُتَمَسُّ	الطَّوِيلُ	مِيسَمَا
٣٥١	المُتَمَسُّ	الطَّوِيلُ	فَتَقَوَّمَا	٣٣٥	المُتَمَسُّ	الطَّوِيلُ	وَتَخَرَّمَا
٣٥٧	المُتَمَسُّ	الطَّوِيلُ	فَأَحَجَمَا	٣٥٤	عَوْفُ بنِ عَطِيَّةَ	الطَّوِيلُ	لَايَمَا
				٣٩٦	المُتَمَسُّ	الطَّوِيلُ	أَجَدَمَا
فصل الميم المضمومة							
٢٥	أبو العتاهية	الطَّوِيلُ	والعِلْمُ	٢٥	أبو العتاهية	الطَّوِيلُ	سَهْمُ
٣٦٠، ٦٠	طَرِيفُ العَنْبَرِيِّ	الكَامِلُ	يَتَوَسَّمُ	٢٥	أبو العتاهية	الطَّوِيلُ	النَّجْمُ
٤٠١، ١٣٠	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	مِجْدَامُ	١٢٧	عَمْرُو بنِ حُنَيْيٍّ	الكَامِلُ	تَعْلَمُ
١٥٨	أبو الطَّيِّبِ المَتَنَبِيِّ	البَسِيطُ	عِنْدَهُ سَقَمٌ	١٥٣	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	لَا يَنَامُ
١٩٠	خَفَافُ بنِ نَدْبَةَ	الكَامِلُ	إِثَامُ	١٨٦	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	انْقِحَامُ
٤٠١، ٢٣٦	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	عِصَامُ	٢٢٥	خَفَافُ بنِ نَدْبَةَ	الكَامِلُ	شَمَامُ
٢٣٨	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	قِدَامُ	٢٣٨	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	السَّهَامُ
٢٣٩	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	سَنَامُ	٢٣٨	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	العُظَامُ
٢٤٢	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	المُدَامُ	٢٤٢	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	الإِعْدَامُ
٣٢٧	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	إِنَّمَامُ	٣٠٨	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	مُسْتَهَامُ
٣٤١	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	صِرَامُ	٣٤١	عَمْرُو بنِ حُنَيْيٍّ	الكَامِلُ	تَلَمَّمُوا
٣٤٢	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	إِكَامُ	٣٤٢	عَمْرُو بنِ حُنَيْيٍّ	الكَامِلُ	يُقَدِّمُ
٣٤٨	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	العِرَامُ	٣٤٣	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	آطَامُ
٣٥٢	طَرِيفُ العَنْبَرِيِّ	الكَامِلُ	خَضَمُ	٢٣٤	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	دَامُ
٣٨٥	أبِيَدُ بنِ رِبِيعَةَ	الكَامِلُ	سِهَامُهَا	٣٧٦	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	الْأَيَامُ
٤٠١	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	مِجْدَامُ	٤٠١	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	يُرَامُ
				٤٠١	أبو دُوَادِ الإِيَادِيِّ	الخَفِيفُ	العَمَامُ
فصل الميم المكسورة							
١٧٥، ١٤٩، ٥٥	مُهَلُّهُ بنِ رِبِيعَةَ	الكَامِلُ	والأَحْلَامُ	٣٥٧، ١١٦	بِشْرُ بنِ سَوَادَةَ	الكَامِلُ	الأَفْتَمُ
٣٥٧ "حاشية"	بِشْرُ بنِ سَوَادَةَ	الكَامِلُ	ضَيْغَمُ	١٤٠	بِشْرُ بنِ سَوَادَةَ	الكَامِلُ	مُعْلِمُ

٣٨٧	بِشْرُ بِنِ سَوَادَةَ	الكامل	العُجْرُم	٣٧٥	مُهَلِّهْلُ بِنِ رَبِيعَةَ	الكامل	والإخرام
				٣٨٨	مُهَلِّهْلُ بِنِ رَبِيعَةَ	الكامل	الأعمام
باب النون							
فصل النون المكسورة							
١٧٢، ٥٦	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	العَوَانِي	١٧٠	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	والثَّمَانِ
٦٦	سُحَيْمِ بِنِ وَثِيلِ	الوافر	الأَرْبَعِينَ	٣٥٩، ٦٣	سُحَيْمِ بِنِ وَثِيلِ	الوافر	لبون
١٧١، ١٥٢، ١٣٢	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	عَانِ	١٢٢	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	نَهَانِي
١٩٤	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الطَّوِيلِ	بِالْحَدَثَانِ	١٤٣	-	الوافر	عَنِّي
٢٢١	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	مُتَدَانِيَانِ	٢٢١	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	عُمَانِ
٢٣٧	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	مُهَانِ	٢٣٥	صَخْرُ بِنِ عَمْرُو	الطَّوِيلِ	وَمَكَانِي
٢٤٢	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	اَكْتِنَانِ	٢٤٢	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	وَانِ
٢٤٤	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	تُرْشِدَانِ	٢٤٣	شِمْرُ بِنِ عَمْرُو	الكامل	يَعْنِينِي
٢٦٤، ٢٤٧	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	فَانِ	٢٤٧	سُحَيْمِ بِنِ وَثِيلِ	الوافر	لِحِينِ
٢٦٣	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	دَانِ	٢٥١	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	الْبَنَانِ
٢٧٠	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	جَانِ	٣١٦، ٢٦٣	صَخْرُ بِنِ عَمْرُو	الطَّوِيلِ	وَهَوَانِ
٢٩٧	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	الدُّخَانِ	٢٨٦	شِمْرُ بِنِ عَمْرُو	الكامل	حَزِينِ
٣٩٦	سُحَيْمِ بِنِ وَثِيلِ	الوافر	قَرِينِ	٣١١	سُحَيْمِ بِنِ وَثِيلِ	الوافر	تَعْرِفُونِي
٣٢٧	شِمْرُ بِنِ عَمْرُو	الكامل	بِالطَّيْنِ	٣٢٤	صَخْرُ بِنِ عَمْرُو	الطَّوِيلِ	وَالنَّزْوَانِ
٣٣٤	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	زَمَانِي	٣٢٨	صَخْرُ بِنِ عَمْرُو	الطَّوِيلِ	العَدْوَانِ
٣٣٨	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	الهَجَانِ	٣٣٤ "حاشية"	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	بِلَانِي
٣٥١	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	صَخْصَحَانِ	٣٤٤	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	سَقِيهَتَانِ
٣٨٠، ٣٧٥	شِمْرُ بِنِ عَمْرُو	الكامل	يُرْضِينِي	٣٥١ "حاشية"	سَوَّارِ بِنِ الْمَضْرَبِ	الوافر	رِهَانِ
٣٨٥	صَخْرُ بِنِ عَمْرُو	الطَّوِيلِ	أُدْنَانِ	٣٧٩	صَخْرُ بِنِ عَمْرُو	الطَّوِيلِ	سِنَانِ
باب الهاء							
فصل الهاء الساكنة							
٥	أَبُو مُحَمَّدِ الْبِزِيدِي	المتقارب	بَاهِلَةٌ	٦٤	أَعَشَى بِنِي قَيْسِ	(مج)الكامل	جَارَةٌ
باب الياء							
فصل الياء المكسورة							
١٧٢، ١٣٤	يَزِيدِ بِنِ الصَّدْعِقِ	الطَّوِيلِ	وَتَدْعِي	١٧٣، ٥٥	دُرَيْدِ بِنِ الصَّمَّةِ	الطَّوِيلِ	الرَّدْيِ

باب الألف اللينة

١٣٦	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	الْفَتَى	١٣٤	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	التَّوَى
١٤٢	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	بَكَى	١٤٢	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	اللَّحَى
٢٣٥	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	أَتَى	١٩١ "حاشية"، ١٩٩	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	مَاذَا تَرَى
٢٥٧	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	هُدَى	٣٨٤، ٢٥٠	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	الْفَرَى
٢٧٣	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	لَهَا غِنَى	٢٥٧	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	لَهُم غِنَى
٢٨٨	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	اِكْتَفَى	٢٨٨	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	مَا هَوَى
٢٩١	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	الْعَضَا	٢٩٠	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	النَّسَا
٣١٧	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	لَهُ غِنَى	٢٩٦	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	انْقَضَى
٣٤٠٢	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	الشَّدَى	٣٥٣	الأسعُرُ الجُعْفِيّ	الكامل	مَنْ بَغَى

سادساً: فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- الإِتقان في علوم القرآن، لجلال الدّين السيّوطيّ، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدّراسات القرآنيّة، مجمع الملك فهد للنّشر، السّعوديّة، ط ١، (د. ت).
- ارتشاف الضّرب، لأبي حيّان الأندلسيّ، (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمّد، الخانجيّ، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الأزهيّة في علم الحروف، للهرويّ، (ت: ٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحيّ، مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- أساس البلاغة، للزمخشريّ، (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ، لعبد السّلام هارون، الخانجيّ، القاهرة، ط ١، ١٣٩٩هـ.
- أسرار العربيّة، لعبد الرّحمن بن محمّد "ابن الأنباريّ"، (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمّد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الأشباه والنّظائر، للسيّوطيّ، (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)
- الإصاغة في تمييز الصّحابة، لابن حجر العسقلانيّ، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عليّ محمّد البجاويّ، دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- الأصمعيّات، اختيار الأصمعيّ، (ت: ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر - عبد السّلام هارون، دار المعارف، مصر، ط ٣، (د. ت)
- الأصول في النّحو، لابن السّراج، (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتليّ، الرّسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الأعلام، للزّركليّ، (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، (د. ق)، ط ١٥، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الاقتراح، لجلال الدّين السيّوطيّ، (ت: ٩١١هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمّد ياقوت، دار المعرفة الجامعيّة، طنطا، (د. ط)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- أمالي ابن الشّجريّ، لهبة الله بن عليّ بن محمّد الحسنيّ العلويّ، (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق ودراسة: محمود محمّد الطّناحيّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، (د. ط)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الأمالي، لأبي عليّ القاليّ، (ت: ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، (،)، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- انبأه الرُّوَاة، للقفطي، (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، لعبد الرّحمن بن محمّد "ابن الأتباري"، (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: جودة مبروك، الخانجي، القاهرة، ط١، (د.ت).
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، (ت: ٧٦١هـ) راجعه: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- الإيضاح في شرح المفصل، لابن الحاجب النّحوي، (ت: ٦٤٦هـ) تحقيق: موسى بناي العليي، مطبعة العاني، بغداد، (د.ط)، (د.ت).
- البداية والنهاية، لابن كثير، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التّراث العربي، (د.ق)، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- البرهان في علوم القرآن: للرّكشي، (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (د.ق)، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- بغية الوعاة، للسّيوطي، (٩١١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- البهاء السّبكي وآراؤه البلاغيّة والنّقديّة، لعبد الفتّاح لاشين، دار الطّباعة المحمّديّة، القاهرة، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- البيان والتّبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- تاج العروس، للرّبيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحقّقين، دار الهداية، (د.ق)، (د.ط)، (د.ت).
- تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق الرّافعي، (ت: ١٣٦٥هـ)، راجعه: عبدالله المنشاوي، ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، المنصورة، (ط١)، ١٣٢٩هـ-١٩١١م.
- تاريخ الأدب العربي، (العصر الجاهلي)، لشوقي ضيف، (ت: ١٤٢٦هـ)، دار المعارف، مصر، ط٢٢، (د.ت).
- تاريخ الأدب العربي، (العصر العباسي الأوّل)، لشوقي ضيف، (ت: ١٤٢٦هـ)، دار المعارف، مصر، ط١٦، (د.ت).
- تاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ، (ت: ١٤٠٨هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
- تاريخ بغداد، لأحمد بن عليّ أبو بكر الخطيب البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

- التَّيَّان في إعراب القرآن، للعكبري، (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د. ق)، (د. ط)، (د. ت).
- التَّحْرِير والتَّوْبِير، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، (د. ط)، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- التَّطَوُّر النَّحْوِيُّ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لبرجشتراسر، (ت: ٩٣٢م)، أخرجه وصممه: رمضان عبد التَّوَّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- التَّعْرِيفَات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط)، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- تفسير البحر المحيط، لأبي حيَّان الأندلسي، (ت: ٧٤٥هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- تَهْذِيب التَّهْذِيب، لابن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظاميَّة، الهند، ط ١، ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م.
- تَهْذِيب اللُّغَةِ، لأبي منصور الأزهرّي، (ت: ٣٧٠هـ)، تحقق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصريَّة، مصر الجديدة، (د. ط)، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- تَوْضِيح المَقَاصِد، للمرادي المصري المالكي، (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن سليمان، دار الفكر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
- التَّوْطُّؤَةُ، لأبي علي الشَّلوْبِيْنِي، (ت: ٦٤٥هـ)، تحقيق: يوسف أحمد المطوع، جامعة الكويت، (د. ط)، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- الجامع الكبير "سنن الترمذي"، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، دار الجيل- دار العرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤١٩-١٩٩٨م.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (ت: ٦٧١)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرِّيَّاض، (د. ط)، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- الْجَلِيس الصَّدَّاح الكافي والأنيس النَّاصِح الشَّافِي، للمعافي بن زكريا النَّهْرَوَانِي الجريري، (ت: ٣٩٠هـ)، تحقيق: محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- الْجَمَل فِي النَّحْوِ، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، الرِّسَالَةُ، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- جَمَل مِنْ أُنْسَاب الأَشْرَاف، للبلاذري، (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل ركَّاز، ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٢م.
- جَمَهْرَةُ أُنْسَاب الْعَرَبِ، لابن حزم الأندلسي، (ت: ٣٨٣هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- الجنى الدّاني في حروف المعاني، للمراديّ، (ت: ٧٤٩هـ، وقيل ٧٥٥) تحقيق: فخر الدّين قباوة، ومحمّد فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- الفهرست، لابن النّديم، (ت: ٤٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- حاشية الدّمامينيّ، للدّمامينيّ، (ت: ٨٢٧هـ)، المطبعة البهيّة، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- حاشية الشّمنيّ، للشّمنيّ، المسماه المنصف من الكلام على مغني ابن هشام (ت: ٨٧٢هـ)، المطبعة البهيّة، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- حاشية الصّبان، لمحمّد بن علي الصّبان، (ت: ١٢٠٦هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة التّوفيقيّة، (د.ق)، (د.ط)، (د.ت).
- حاشية محمّد الأمير على مغني اللّبيب، المكتبة التّجارية بمصر، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
- الحماسة، لأبي عبادة الوليد بن البحتريّ، (ت: ٢٨٤هـ)، تحقيق: محمّد إبراهيم حور، وأحمد محمّد عبيد، المجمع التّقافيّ، أبو ظبي، د.ط، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدّين محمّد بن موسى الدّميريّ، (ت: ٨٠٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- خزانة الأدب ولبّ لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغداديّ، (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق محمّد نبيل طريفيّ، وإميل اليعقوبيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ط)، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- الخصائص، لابن جنّي، (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد عليّ النّجار، المكتبة العلميّة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجانيّ، (ت: ٤٧١هـ) القاهرة، مكتبة الخانجيّ، (د.ط).
- ديوان الأصمعيّات: اختيار أبي سعيد عبد الملك بن قُريب، (ت: ٢١٦هـ)، تحقيق وشرح: محمّد نبيل طريفيّ، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: عبد الرّحمن المصطاويّ، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ديوان العباس بن مرداس، جمع وتحقيق: يحيى الجبوريّ، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكريّ، (ت: ٣٩٥هـ)، مكتبة المقدسيّ، القاهرة، (د.ط)، ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م.
- ديوان النّابغة الذّببانيّ، تحقيق: شكري فيصل، بيروت، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.
- رسائل الجاحظ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- رصف المباني، للمالقي، (ت: ٧٠٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن، للألوسي، (ت: ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت).
- سرُّ صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، (ت: ٣٩٢هـ) تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، (د. ط)، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- سمط اللآلي، لأبي عبيد البكري الأوثبي، (ت: ٥٨١هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، (د: ط)، ١٣٥٤هـ-١٩٣٦م.
- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، د. ط، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- شرح أبيات المغني، لعبد القادر البغدادي، (ت: ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد دقاق، دار الثقافة العربيّة، دمشق، ط ٢، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني، (ت: ٩٠٠هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- شرح التسهيل، لابن مالك، (ت: ٦٧٢هـ) تحقيق: عبد الرحمن السيّد، ومحمد المختون، هجر للنشر، (د. ق)، ط ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهرّي، (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الأشبيلي، (ت: ٦٦٩هـ) تحقيق: صاحب أبو جناح، الهيئة العامّة للكتب، الإسكندرية، (د. ط)، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- شرح حماسة أبي تمام، للأعلم الشنتمري، (ت: ٤٤٦هـ)، تحقيق: عليّ المفضل حمّودان، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- شرح ديوان الحماسة، للتبريزي، الشهير بالخطيب، (ت: ٥٠٢هـ)، عالم الكتب، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، (ت: ٤٢١هـ)، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، (ت: ٦٨٨هـ) تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط ٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- شرح شذور الذهب، محمد بن عبد المنعم الجوهري، (ت: ٨٨٩هـ) تحقيق: نواف الحارثي، عمادة البحث العلميّ بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لابن عقيل، (ت: ٧٦٩هـ)، دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، الكويت، ط ٥، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، لجمال الدين بن هشام، (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- شرح الكافية الشافية، لابن مالك، (ت: ٦٧٢)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريري، دار المأمون للتراث، السعودية، ط ١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السديري، (ت: ٣٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: رمضان عبد التواب، مركز تحقيق التراث، مصر، (د. ط)، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- شرح المفصل، لابن يعيش، (ت: ٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د. ط)، (د. ت).
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، (لا ناشر)، (د. ق)، ط ٣، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- شفاء العليل في إيضاح التسهيل، للسلسلي، (ت: ٧٧٠هـ)، تحقيق: عبد الله علي الحسيني البركاتي، المكتبة الفيصلية، مكة، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الصداحي في فقه اللغة، لابن فارس، (ت: ٣٩٥هـ) علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الصّاح، للجوهري، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقق: محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (د. ق)، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، للنووي، (ت: ٦٧٦هـ)، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ط ١، ١٣٤٧هـ-١٩٢٧م.
- الصّفوة الصّفيّة في شرح الدّرة الألفية، للنّيلي، (ت: ما بعد ٦٨٦هـ)، تحقيق: محسن العميري، إحياء التراث الإسلامي، مكة، (د. ط)، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الصناعتين، لأبي هلال العسكري، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عليّ البيجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطنّاحي، هجر للطباعة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجُمحيّ، (ت: ٢٣١هـ)، تحقيق: محمود شاکر، دار المدنيّ، جدّة، (د. ط)، (د. ت).
- طبقات النُحاة واللُّغويّين، لتقيّ الدّين بن قاضي شهبه الأُسديّ الشّافعيّ، (ت: ٨٥١هـ)، تحقيق: محسن غياض، مطبعة النُعمان، بغداد، (د. ط)، ١٣٩٣هـ-١٩٧٤م.
- العبر في خبر مَنْ غبر، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الدّهبيّ، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقق: محمد السّعيد زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- العقيدة في الله، لصالح الرّقّب، ولمحمد بخيت، مكتبة الطّالب الجامعيّة، غزة- فلسطين، ط ٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، لبدر الدّين محمود بن أحمد العينيّ، (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء الثّراث العربيّ، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- غريب الحديث، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد الله الجبوريّ، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهرويّ، (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: حسين شرف، وعبد السّلام هار، الجامعة الإسلاميّة، غزة، (د. ط)، (د. ت).
- الفائق في غريب الحديث، للزمخشريّ، (ت: ٢٣٨هـ): تحقيق: عليّ محمد البجاويّ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط ٢، (د. ت).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، لابن حجر العسقلانيّ، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- فحولة الشعراء، لعبد الملك بن قُريب الأَصمعيّ، (ت: ٢١٦هـ)، تحقيق المستشرق: تشارلز تورّي، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- الكامل، لمحمد بن يزيد المبرّد، (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الكتاب: لسيبويه، (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- كتاب الاختيارين، للأخفش الأصغر، (ت: ٣١٥هـ)، تحقيق: فخر الدّين قباوة، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الحُلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، للبطليموسيّ، (ت: ٥٢١هـ)، تحقيق سعيد سَعوديّ، دار الطليعة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- الكشّاف، للزمخشريّ، (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعليّ معوّض، وفتحي حجازي، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة "مصطفى بن عبدالله القسطنطيني"، (ت: ١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- الكليات، للكفوي، (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- كنز العمال، لعلاء الدّين عليّ المتقيّ بن حسام الدّين الهنديّ، (ت: ٩٧٥هـ)، تحقيق: محمود الدّميّطيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- اللّامات، لأبي القاسم عبد الرّحمن بن اسحق الرّجّاجيّ، (ت: ٣٣٧، وقيل ٣٣٩هـ)، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- لسان العرب، لابن منظور، (ت: ٧١١)، تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمّد حسب الله، وهاشم الشاذليّ، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- اللّمع في العربيّة، لابن جنّي الموصليّ النّحويّ، (ت: هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب النّقائيّة، الكويت، د. ط، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- مجالس العلماء، لأبي القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق الرّجّاجيّ، (ت: ٣٤٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، وزارة الإعلام، الكويت، ط ٢، ١٤٠٤-١٩٨٤م.
- مجمع الأمثال، للميدانيّ، (ت: ٥١٨)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّنّة المحمّديّة، (د. ق)، (د. ط)، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- مختارات شعراء العرب، لابن الشّجريّ، (ت: ٥٤٢)، تحقيق: عليّ البجاويّ، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ط)، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- مراتب النّحويين، تصنيف أبي الطّيّب عبد الواحد بن عليّ اللّغويّ الحلبيّ، (ت: ٣٥١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- المزهري في علوم اللّغة، لجلال الدّين السيوطيّ، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد عليّ منصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، (ت: ٧٧٩هـ)، تحقيق: محمّد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، للأبشيهي، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ٨، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- معاني القرآن، للقرّاء، (ت: ٢٠٧هـ)، دار عالم الكتب، (د. ق)، ط ٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- معاني النّحو، لفاضل صالح السّامرائيّ، شركة العاتك، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- معجم الأدباء، لياقوت الحمويّ، (ت: ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط)، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- معجم الشعراء، للإمام المرزباني، (ت: ٣٨٤ هـ)، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (ت: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د. ق)، (د. ط)، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م.
- المعجم الوافي في أدوات النحو، صنّفه: عليّ توفيق الحمد، ويوسف جميل الرُّغبيّ، دار الأمل، الأردن، ط ٢، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري، (ت: ٧٦١ هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، التراث العربي، الكويت، ط ١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م.
- المفردات في غريب القرآن، للرَّاغِب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢ هـ)، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د. ق)، (د. ط)، (د. ت).
- المفصل، للرَّمْخسري، (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق: عليّ بو ملحَم، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣ م.
- المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني، (ت: ٤٧١ هـ)، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرُّشيد، الجمهوريّة العراقيّة، (د. ط)، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م.
- المقتضب، للمبرد، (ت: ٢٨٥ هـ)، تحقيق: محمّد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لعبد الرّحمن بن علي بن الجوزي، (ت: ٥٩٧ هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨ هـ-١٩٣٩ م.
- المؤتلف والمختلف، للحسن بن بشر الأمدي، (ت: ٣٣٠ هـ)، تحقيق: عبد السّتار فرّاج، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، (د. ط)، ١٣٨١ هـ-١٩٦١ م.
- النّحو الوافي: لعبّاس حسن، (ت: ١٣٩٨ هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط ٨، (د. ت).
- نزهة الألباء، لابن الأنباري، (ت: ٥٧٧ هـ)، تحقيق: إبراهيم السّامرائي، مكتبة المنار، الأردن، (د. ط)، (د. ت).
- نفع الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، لأحمد بن محمّد المقرّي التّلمساني، (ت: ٨٤٧ هـ)، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، (د. ط)، ١٣٨٦ هـ-١٩٦٧ م.
- همع الهوامع، للسّيوطي، (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨ م.
- الوافي بالوفيات، للصدّقي، (ت: ٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، (د. ط)، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

- وفيات الأعيان، لابن خُلَّكان، (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

ثانيًا: الرسائل الجامعية

- الظواهر التركيبية في ديوان (المفضليات)، فاطمة حسن عبد الرحيم فضة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨هـ. "رسالة لنيل درجة الماجستير في النحو".

- الظواهر التركيبية في شعر الشماخ، سليمان تاج الدين أحمد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ-١٩٩١م. "أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في النحو".

- الظواهر التركيبية في الأحاديث القدسية، إعداد الأستاذ الدكتور: جهاد يوسف العرجا، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- النداء في القرآن الكريم، مبارك تريكي، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م. "أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في النحو".

سابعًا: فهرس الفهارس

رقم الصّفحة	نوع الفهرس	مسلسل
٤٦٩ - ٤٢٠	الفهارس الفنيّة العامّة	-١
٤٣١ - ٤٢١	فهرس الآيات الكريمة	-٢
٤٣٢	فهرس الأحاديث النبويّة المشرفّة	-٣
٤٣٣	فهرس الآثار	-٤
٤٣٥ - ٤٣٤	فهرس الأمثال وأقوال العرب	-٥
٤٥٠ - ٤٣٦	فهرس القوافي والأشعار	-٦
٤٦٠ - ٤٥١	فهرس المصادر والمراجع	-٧
٤٦١	فهرس الفهارس	-٨
٤٦٩ - ٤٦٢	فهرس الموضوعات	-٩

ثامناً: فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
-	الإهداء
-	شكر و عرفان
أ - د	المقدمة
٣٥ - ١	تمهيد
٣	توطئة
٢٥ - ٤	أولاً: ترجمة للأصمعيّ، وبيان منزلته كراوية لأشعار العرب ولغتها
٦ - ٤	١- اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه
٦	٢- ولادته، ونشأته
٧ - ٦	٣- معنى الأصمعيّ في اللّغة
٩ - ٧	٤- نبذة مختصرة عن العصر الذي عاش فيه الأصمعيّ
١٠ - ٩	٥- مذهبه وعقيدته
١١ - ١٠	٦- ثقافته، وحياته الثقافيّة
١٤ - ١١	٧- شيوخه، وتلاميذه
١٦ - ١٤	٨- مكانته العلميّة
١٦	٩- منزلته الشعريّة
١٧ - ١٦	١٠- من طرائفه، ومناظراته
١٨ - ١٧	١١- منزلته بين علماء عصره
٢٠ - ١٨	١٢- آثاره، ومؤلفاته
٢٢ - ٢٠	١٣- الأصمعيّ بين المادحين، والقادحين
٢٣ - ٢٢	١٤- آراء النقاد المحدثين فيه
٢٣	١٥- من أقواله
٢٤ - ٢٣	١٦- رأيه في الشّاعر المطبوع، والشّاعر المصنوع
٢٤ - ٢٣	١٧- الأصمعيّ والقراءات
٢٥ - ٢٤	١٨- وفاته
٣٥ - ٢٦	ثانياً: التعرّف بديوان الأصمعيّات وبيان أهميته
٢٨ - ٢٧	١- طبيعة ديوان (الأصمعيّات) ومادّته

٢٩ - ٢٨	٢- توثيق نسبة الكتاب، وأصل التسمية
٢٩	٣- الدوافع من وراء تأليف الكتاب
٣١ - ٢٩	٤- المصادر التي اعتمد عليها الأصمعي في تأليف الكتاب
٣٢ - ٣١	٥- الكتاب وشروحه بين المخطوطة والمطبوعة
٣٤ - ٣٢	٦- مكان تأليف الكتاب ومنهجه
٣٤	٧- أهمية الكتاب ومنزلته بين المجموعات الشعرية الأخرى
٣٥	٨- آراء المحدثين في ديوان (الأصمعيّات)، الخلاصة
١١٣ - ٣٦	الفصل الأول ظاهرة التّعجب في ديوان (الأصمعيّات)
٣٨ - ٣٧	- توطئة
٤١ - ٣٨	- التّعجب لغة واصطلاحاً
٨٥ - ٤٢	المبحث الأول: التّعجب السماعي
٤٥ - ٤٢	المطلب الأول: التّعجب باستخدام لفظ (تَعَجَّب) أو أحد مشتقاته
٤٨ - ٤٥	المطلب الثاني: التّعجب بالنداء
٥٢ - ٤٩	المطلب الثالث: التّعجب بالجار والمجرور: بالأم، بالناء، (من) حرف وسيط بين لفظ التّعجب والمتعجب منه، بحرف الجرّ الزائد الباء، ب(رُبّ)
٦٨ - ٥٢	المطلب الرابع: التّعجب بالاستفهام
٥٧ - ٥٣	- بالهمزة
٦٠ - ٥٧	- ب(هل)
٦٢ - ٦٠	- ب(كيف)
٦٥ - ٦٢	- ب(أنى)، وب(ما)
٦٨ - ٦٥	- ب(أي)، وب(ماذا)، وب(من)
٧٧ - ٦٨	المطلب الخامس: التّعجب السماعي بالدعاء: ويل لك، لحي الله، لا قرب الله، قاتله الله، هوت أمه، هبّلتك أمك، تربت يداك، ويحك، ضلّ سعيك، ألفاظ أخرى.
٨٠ - ٧٨	المطلب السادس: التّعجب بأسلوب النفي: (الجملة المنفيّة) - التّعجب باستخدام (لا) النافية - التّعجب باستخدام (ما) النافية
٨٢ - ٨٠	المطلب السابع: التّعجب باستخدام اسم الفعل:

	- اسم الفعل الماضي، التَّعَجَّبَ بِ(بُطَّانَ، سُرْعَانَ، وَشَكَانَ، شَتَّانَ)، التَّعَجَّبَ بِ(وَا، وَاها، وَي)، التَّعَجَّبَ بِ(بِخِ بَخِ)
٨٥ - ٨٢	المطلب الثامن: التَّعَجَّبَ بِالْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ الْمَثْبُتَةِ: - التَّعَجَّبَ بِ(لِلَّهِ دُرَّهُ)، بِاسْتِخْدَامِ سُبْحَانَ، بِاسْتِخْدَامِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ، التَّعَجَّبَ بِمَرْحَى وَأَخَوَاتِهَا وَهُمَا: (بِرْحَى) وَ(أَيْحَى)، التَّعَجَّبَ بِاسْتِخْدَامِ (كَمْ) الْخَبَرِيَّةِ.
١١٣ - ٨٦	المبحث الثاني: التَّعَجَّبَ الْقِيَاسِيَّ
٨٦	توطئة
٩٦ - ٨٦	المطلب الأول: صيغتا التَّعَجَّبَ الْقِيَاسِيَّ، وشروط الصياغة
١٠٢ - ٩٧	المطلب الثاني: اختلافات النُّحَاةِ فِي صِيغَتِي التَّعَجَّبَ الْقِيَاسِيَّ
١١٠ - ١٠٢	المطلب الثالث: أحكام متفرقة مشتركة تخص صيغتي التَّعَجَّبَ الْقِيَاسِيَّ
١١٣ - ١١٠	المطلب الرابع: تصوُّر لأسباب ندرة ورود صيغتي التَّعَجَّبَ الْقِيَاسِيَّ فِي (الأصمعيَّات)
١٦٢ - ١١٤	الفصل الثاني ظاهرة النداء في ديوان (الأصمعيَّات)
١١٥	- توطئة
١١٧ - ١١٦	- النداء: لغة واصطلاحًا
١٤٧ - ١١٨	المبحث الأول: أنواع النداء وأحكامه
١٢٤ - ١١٨	المطلب الأول: أحرف النداء ومعانيها: يا، ووا، والهمزة، وأيا، وهيا، وأي، و (أي) بالمدّ والسكون، و (أ) بالمدّ
١٢٦ - ١٢٤	المطلب الثاني: العامل في المنادى
١٣٢ - ١٢٦	المطلب الثالث: أنواع المنادى وحكم كلِّ نوع، تابع المنادى وأحكامه
١٣٠ - ١٢٦	أولاً: ١- المبنّي في محل نصب ٢- المنادى المنصوب
١٣٢ - ١٣٠	ثانياً: تابع المنادى وأحكامه
١٣٩ - ١٣٢	المطلب الرابع: حذف (يا) النداء
١٤٥ - ١٣٩	المطلب الخامس: أحكام متفرقة تخصُّ النداء نوع الجملة الندائية قبل النداء وبعده، دخول حرف النداء على غير الأسماء، هل يجوز الجمع بين أداة النداء و(أل)؟، المنادى المضاف إلى ياء المتكلم.
١٤٧ - ١٤٥	المطلب السادس: الأساليب التي تلي النداء وتأتي تابعة له ومرتبطة به: الأمر، التوكيد، الشرط، الاستفهام، النهي، النفي، النداء المتلوّ بشبه الجملة
١٦٢ - ١٤٨	المبحث الثاني: البنى الندائية التابعة للنداء

١٤٨ - ١٥٥	المطلب الأول: الترخيم الترخيم لغة واصطلاحًا، الذي جعل النحاة يفكرون في وضع باب للتخيم، لغنا الترخيم، أغراض الترخيم وأسبابه، شروط الترخيم، الأسماء التي لا تُرخم، الأسماء التي رخمتمها العرب، الترخيم في غير النداء، تصغير الترخيم.
١٥٧ - ١٥٥	المطلب الثاني: الاستغاثة
١٦٠ - ١٥٨	المطلب الثالث: الندبة: لغة واصطلاحًا، الغرض من الندبة، الحروف التي تستخدم في الندبة، ما يُندب وما لا يُندب.
١٦٢ - ١٦٠	المطلب الرابع: النداء الذي يحمل معنى الدعاء، والنداء التعجبي
٢٠٢ - ١٦٣	الفصل الثالث ظاهرة الاستفهام في ديوان (الأصمعيّات)
١٦٤	- توطئة
١٦٥	- الاستفهام: لغة واصطلاحًا
١٨٨ - ١٦٦	المبحث الأول: الاستفهام: أقسامه ومعانيه
١٦٨ - ١٦٦	المطلب الأول: أدوات الاستفهام
١٨٨ - ١٦٨	المطلب الثاني: حرفا الاستفهام
١٧٤ - ١٦٨	أولاً: الهمزة: صورها في (الأصمعيّات)
١٧٨ - ١٧٤	أحكام تخصُّ همزة الاستفهام
١٨٢ - ١٧٨	المعاني التي قد تخرج إليها الهمزة عن معناها الأصلي، الهمزة مقرونة بلفظ (سأل)
١٨٨ - ١٨٢	ثانياً: هل: المعاني التي تخرج إليها (هل): النفي، (هل) بمعنى (قد)، هل بمعنى (إن)، توكيد الفعل المضارع بعد (هل)، زيادة (من) بعد (هل).
٢٠٢ - ١٨٩	المبحث الثاني: أسماء الاستفهام
١٩٥ - ١٨٩	المطلب الأول: أسماء الاستفهام ذات الحرفين: (ما، مَنْ، كم)
١٩٨ - ١٩٥	المطلب الثاني: أسماء الاستفهام ذات الثلاثة أحرف: (أين، متى، كيف، أيّ)
٢٠٠ - ١٩٨	المطلب الثالث: أسماء الاستفهام ذات الأربعة أحرف: (ماذا، مَنْ ذا، أنى)
٢٠٢ - ٢٠١	المطلب الرابع: اسم الاستفهام ذو الخمسة أحرف: (أيّان)، ألفاظ ألحقتها العرب بالاستفهام
٢٧٧ - ٢٠٣	الفصل الرابع ظاهرة النفي في ديوان (الأصمعيّات)
٢٠٤	- توطئة

٢٠٥ - ٢٠٤	- معنى النَّفي لغة واصطلاحاً
٢٦٤ - ٢٠٦	المبحث الأول: النَّفي الصَّرِيح
٢٣٢ - ٢٠٦	المطلب الأول: أحرف النَّفي العاملة
٢١٤ - ٢٠٦	أولاً: أحرف الجزم: ١- لم
٢١٦ - ٢١٥	٢- لَمَّا
٢١٩ - ٢١٦	ثانياً: أحرف النَّصب النَّافية
٢٢٨ - ٢١٩	ثالثاً: الأحرف العاملة عمل ليس
٢٢٢ - ٢١٩	١- ما النَّافية العاملة عمل ليس: شروط عملها، زيادة الباء في خبرها
٢٢٥ - ٢٢٢	٢- لا النَّافية العاملة عمل ليس
٢٢٧ - ٢١٦	٣- (لات) النَّافية العاملة عمل ليس: حقيقتها، عملها
٢٢٨ - ٢٢٧	٤- إنَّ النَّافية العاملة عمل ليس: شروط إعمالها
٢٣٢ - ٢٢٨	رابعاً: لا النَّافية للجنس: الشُّروط التي يجب توافرها لإعمالها، صورها، أحكام كلِّ صورة، حكم حذف اسمها، حكم حذف خبرها.
٢٥٣ - ٢٣٣	المطلب الثاني: أحرف النَّفي غير العاملة
٢٣٧ - ٢٣٣	أولاً: (ما) النَّافية غير العاملة: صورها في (الأصمعيّات)
٢٣٨ - ٢٣٧	زيادة (إن) بعد (ما) النَّافية
٢٤٥ - ٢٣٩	ثانياً: لا النَّافية غير العاملة، وهي لمجرد النَّفي:
	١- (لا) النَّافية الدَّاخلة على الجملة الاسميّة ٢- (لا) النَّافية الدَّاخلة على الجملة الفعلية
٢٤٨ - ٢٤٥	٣- (لا) النَّافية المعترضة
٢٥٢ - ٢٤٨	٤- (لا) الجوابية ٥- (لا) النَّافية العاطفة ٦- (لا) الزَّائدة لتأكيد النَّفي
٢٥٢	ثالثاً: (إن) النَّافية غير العاملة
٢٥٣	رابعاً، خامساً: كلاً، النَّفي بلام الجحود
٢٦٠ - ٢٥٤	المطلب الثالث: الأفعال التي تستخدم في النَّفي الصَّرِيح: ليس، وأبى
٢٦٤ - ٢٦٠	المطلب الرابع: الأسماء التي تستخدم في النَّفي الصَّرِيح
٢٦٤ - ٢٦٣	ألفاظ منفيّة استعملت في الدُّعاء
٢٧٧ - ٢٦٥	المبحث الثاني: النَّفي الضَّمَنِيّ
٢٦٨ - ٢٦٥	المطلب الأول: أساليب تتضمَّن معنى النَّفي الضَّمَنِيّ: الاستفهام، الاستثناء، الشُّرط
٢٧٧ - ٢٦٨	المطلب الثاني: ألفاظ متفرِّقة تتضمَّن معنى النَّفي الضَّمَنِيّ (زال، وبرح، وانفك، وفتى، ومشتقاتها)، لفظ (قليل)، رَبِّ، لَكِنَّ، إِمَّا، بَلْ، النَّفي بـ(هل).

٣٦٠ - ٢٧٨	الفصل الخامس ظاهرة الجزاء في ديوان (الأصمعيّات)
٢٧٩	- توطئة
٢٧٩	- الشَّرط: لغة واصطلاحًا
٣١٨ - ٢٨٠	المبحث الأول: أدوات الشَّرط الجازمة
٢٩٢ - ٢٨٠	المطلب الأول: مسائل مشتركة بين الشَّرط الجازم وغير الجازم
٢٨١ - ٢٨٠	- أصل التسمية، أدوات الشَّرط لها حقّ الصَّدارة، شروط فعل الشَّرط وجوابه
٢٨٣ - ٢٨١	- صور فعل الشَّرط وجوابه، حذف جملة الشَّرط، حذف جملة جواب الشَّرط
٢٨٥ - ٢٨٣	- تقديم الاسم على فعل الشَّرط، توالي شرطين
٢٩٠ - ٢٨٥	- جواب الشَّرط ومواضع اقترانه بالفاء
٢٩١ - ٢٩٠	- جواز حذف الفاء، الحالات التي يجوز فيها دخول الفاء على جواب الشَّرط
٢٩٣ - ٢٩١	- أدوات الشَّرط الجازمة، العلة من وراء جزم حروف المجازاة لفعل الشَّرط وجوابه، اختلف النُّحاة حول العامل في فعل الشَّرط وجوابه.
٣١٠ - ٢٩٣	المطلب الثاني: أدوات الشَّرط الجازمة غير الظرفيّة:
٢٩٨ - ٢٩٣	أولاً: إن: طبيعتها، صورها في الأصمعيّات
٣٠٢ - ٢٩٩	- مسائل تتعلّق ب(إن) الشرطيّة
٣٠٥ - ٣٠٢	- ملحقات (إن) الشرطيّة: إمّا، إلّا
٣٠٥	ثانياً: إذ ما
٣٠٩ - ٣٠٦	ثالثاً: من: طبيعتها، صورها في الأصمعيّات
٣١٠ - ٣٠٩	رابعاً: ما
٣١٠	خامساً: مهما
٣١٥ - ٣١١	المطلب الثالث: أدوات الشَّرط الجازمة الظرفيّة: متى، أيّان، حيثما، أين، أنّى، كيفما
٣١٦	المطلب الرابع: أداة جازمة مشتركة بين الظرفيّة وغير الظرفيّة (أي)
٣١٨ - ٣١٧	المطلب الخامس: أنواع أخرى من الجزاء ينجزم فيها الفعل بغير الأدوات المتعارف عليها
٣٦٠ - ٣١٩	المبحث الثاني: أدوات الشَّرط غير الجازمة
٣٢١ - ٣١٩	المطلب الأول: أدوات الشَّرط الامتناعيّة: أولاً، لولا، ثانياً: لوما...

٣٢٥ - ٣٢١	ثالثًا: لو: المعاني التي تفيدها، اختلاف النُحاة حولها، لو المصدرية، لو التي للثمني، لو الزائدة
٣٢٩ - ٣٢٥	لو الامتناعية: اختلاف النُحاة في إفادتها للامتناع، صورها في (الأصمعيّات)
٣٣١ - ٣٢٩	(لو) الشرطية بمعنى (إن)
٣٣٣ - ٣٣١	أحكام (لو) الشرطية: جواز حذف جوابها...
٣٣٥ - ٣٣٣	جواز حذف النَّاسخ مع اسمه بعد (لو)، الجزم بـ(لو)، وجوب تقدّم الشرط، اقتران جوابها باللام، اقتران جوابها بـ(إذا)، اجتماع شرطين
٣٤٢ - ٣٣٥	المطلب الثاني: أدوات الشرط غير الامتناعية
٣٣٩ - ٣١٩	أولًا: إذا: الفرق بينها وبين (إن)، السبب في عدم المجازاة بها، العامل فيها، جرّها بـ(حتى)، الجزم بها، الاسم الواقع بعدها
٣٥٣ - ٣٣٩	- التراكيب التي وردت (إذا) أحد مكوّناتها
٣٥٣	- اجتماع شرطين
٣٥٥ - ٣٥٤	ثانيًا: أمّا
٣٥٩ - ٣٥٥	ثالثًا: لمّا: طبيعتها، التراكيب التي وردت (لمّا) أحد مكوّناتها
٣٦٠	رابعًا: كلّمّا
٣٨٩ - ٣٦١	الفصل السادس ظاهرة القسم في ديوان (الأصمعيّات)
٣٦٢	- توطئة
٣٦٤ - ٣٦٣	- القسم: لغة واصطلاحًا
٣٧٠ - ٣٦٥	المبحث الأول: أغراض القسم وأنواعه
٣٦٥	- الغرض من القسم
٣٦٧ - ٣٦٦	- أنواع القسم
٣٦٩ - ٣٦٧	- أحرف القسم: الباء، الواو، التاء، اللام، من، ايمن
٣٧٠ - ٣٦٩	- حذف أحرف القسم: حذف مع تعويض، وحذف دون تعويض
٣٧٧ - ٣٧١	المبحث الثاني: ألفاظ القسم
٣٧٣ - ٣٧١	- أقسام وأيمان سمعت عن العرب
٣٧٥ - ٣٧٤	- ألفاظ القسم المستخدمة فيه: أجدك، بودك، إصر، لعمرك، عمرك الله، علم الله...
٣٧٥ - ٣٧٤	أقسم، التائي، قضى الله، وربك، لا جرم...
٣٧٧ - ٣٧٦	حقًا، يقينًا، قطعًا، عليّ عهد، ايمن الله، أحلف بالله، جبر
٣٨٩ - ٣٧٨	المبحث الثالث: أحكام القسم

٣٧٨ - ٣٨١	- جواب القسم، والصدور التي يكون عليها جواب القسم
٣٨١	- جواز حذف أداة القسم والمقسم به
٣٨٣ - ٣٨١	- اجتماع الشرط مع القسم، اجتماع الشرط ب(لو) مع القسم
٣٨٥ - ٣٨٣	- اللام الموطئة للقسم
٣٨٨ - ٣٨٥	- رأي النحويين في لام (لقد)
٣٨٩	- وقوع لا النافية في أسلوب القسم
٤١٣ - ٣٩٠	الفصل السابع ظاهرة المستثنى في ديوان (الأصمعيّات)
٣٩١	- توطئة
٣٩٢	- الاستثناء: لغة واصطلاحاً
٤٠٤ - ٣٩٣	المبحث الأول: الاستثناء وأدواته
٣٩٣	- حقيقة الاستثناء - مكونات جملة الاستثناء
٣٩٣	- أدوات الاستثناء:
٣٩٨ - ٣٩٣	أولاً: الاستثناء ب(إلا)
٤٠٠ - ٣٩٨	ثانياً: الاستثناء ب(سوى)
٤٠٢ - ٤٠٠	ثالثاً: الاستثناء ب(غير)
٤٠٣ - ٤٠٢	رابعاً: الاستثناء ب(عدا، خلا، حاشا)
٤٠٣	خامساً: الاستثناء ب(ليس، ولا يكون)
٤١٢ - ٤٠٤	المبحث الثاني: مسائل متفرقة
٤٠٧ - ٤٠٤	المطلب الأول: مسائل متفرقة لها علاقة بالاستثناء
٤١٢ - ٤٠٧	المطلب الثاني: ألفاظ ألحقت بالاستثناء
٤١٩ - ٤١٣	الخاتمة:
٤١٧ - ٤١٣	- النتائج
٤١٩ - ٤١٧	- التوصيات
٤٦٩ - ٤٢٠	الفهارس الفنيّة العامّة
٤٧٠	ملخص البحث باللّغة العربيّة
٤٧١ - ٤٧٢	Study Abstract

ملخص البحث

عنوان البحث: الظواهر التركيبية البارزة في ديوان الأصمعيّات.

تقوم الدراسة فيه على استقصاء ظواهر تركيبية سبع بارزة وقع الاختيار عليها حسب أهميتها، يقع البحث في مقدمة، رُسمت فيها الخطوط العريضة لهذا البحث، فكانت عرضاً لأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومصادره، ومنهجه، وخطته... تلا التمهيد المقدمة حيث تمت الترجمة لصاحب الديوان الذي اتخذته الدراسة مجالاً تطبيقياً لها، كما تمّ التعرف في هذا التمهيد على قيمة الكتاب وأهميته، ثم وقعت الدراسة النحوية للأصمعيّات في سبعة فصول على النحو الآتي:

أما الفصل الأول فقد تناول ظاهرة التعجب، حيث وقعت الدراسة في مبحثين: تناول الأول منهما التعجب السماعي، بينما تناول الآخر التعجب القياسي.

تناول **الفصل الثاني** ظاهرة النداء، حيث ضمّ مبحثين أيضاً، تناول الأول مجموعة مسائل ترتبط بهذه الظاهرة، بينما تناول الآخر مجموعة من البنى النحوية التابعة للنداء.

أما الفصل الثالث فقد خصّصته للاستفهام، حيث اشتمل على مبحثين أيضاً، تضمن كل مبحث منهما عدداً من المطالب، أمل أن أكون قد تناولت فيها كل المسائل التي أردت دراستها حول هذه الظاهرة.

في **الفصل الرابع** عرضتُ لظاهرة النفي التي شغلت حيزاً أكبر، واستغرقتُ جهداً ووقتاً أكثر من أخواتها؛ نظراً لكثرة المسائل المتعلقة بها، ولكثرة الأمثلة وتداخلها في بعض الأحيان.

أما الفصل الخامس فتناول ظاهرة الجزاء، حيث تعرّفنا على أدوات جازمة عاملة، وأخرى غير جازمة.

تناول **الفصل السادس** ظاهرة القسم، واشتمل على مبحث واحد تقسّم وتفرّع إلى عدد من المطالب التي تناولت عدداً من المسائل التي نعتقد أنّها جديرة بالدراسة، التي نرى أنّ لها أهمية في الجانب التطبيقي لهذه الظاهرة.

في **الفصل السابع** والأخير تمّ دراسة ظاهرة المستثنى، واشتمل على مبحثين، كل مبحث تضمن عدداً من المطالب، تضمن كل مطلب عدداً من المسائل التي يمكنك معرفتها بالاطلاع عليها.

ثمّ جاءت الخاتمة، التي تناولت أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثمّ التوصيات، وختمتُ بالفهارس العامة، التي تعدّ دليلاً ومرشداً لمحتويات البحث.

Abstract

Title: Synthetic and Grammatical Phenomena in Al-Asmaiyyat Diwan.

The study is based on investigating seven prominent, synthetic phenomena that were selected due to their significance. The research falls into an introduction which draws the outline of this research. In addition, it shows the significance of the subject, and the reasons for its choice, sources, approach and plan.

Preface follows introduction where the translation was provided to the Diwan's possessor adopted by the study as an applied field. We are also exposed to the value of this book and its importance. The grammatical study of Al-Asmaiyyat falls into seven chapters as follows:

The first chapter deals with the phenomenon of exclamation, where this subject occupies two sections: the first of which deals with listening exclamation, while the other deals with the standard exclamation.

The second chapter deals with the phenomenon of vocative, and falls into two sections. The first deals with a set of rules associated with this phenomenon, while the other deals with a set of structures adherent to vocative.

The third chapter is allocated to interrogation, which also includes two sections. Each section includes a number of points. I hope that I have dealt with all the points that I wanted to study this phenomenon.

The fourth chapter introduces "negation" that occupies more space. Moreover, it takes more effort and time than other indications for the many issues related to it and examples and their overlapping in some cases.

The fifth chapter presents the phenomenon of penalty, where we are exposed to the assertive and non-assertive particles..

The sixth chapter deals with the phenomenon of vow, and includes one section that has a number of points, which address a number of issues that we believe are worthy studying. Furthermore, and we see that it has a crucial role in the application of this phenomenon.

The last chapter incorporates a fairly detailed analysis of the phenomenon of exception. It includes two sections. Each section includes a number of issues that can be known when reading them.

Then comes the conclusion, which presents the most important findings and recommendations of the study, and concludes the general indexes, which are considered an easy guide to the contents of the search.